

الكتاب في علوم الكتاب

تأليف

الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي
ابن عادل الدمشقي الحنبلي
المتوفى بعد سنة ٨٨٠ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه برسائله الجامعية

الدكتور محمد سعد رمضان / الدكتور محمد القوي الدوسي

الجزء الخامس عشر

المحتوى:

أول سورة الشعراء ~ آخر سورة الأحزاب

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب

العلمية بيروت - لبنان، ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة
أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة
كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات
ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©

All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الطريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٢ - ٦٠٢١٣٣ (٩٦١) -
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2298-3



9 782745 122988

<http://www.al-ilmiyah.com.lb/>

e-mail : baydoun@dm.net.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء

مكية إلا قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧] إلى آخرها فإنها مدنية^(١) وهي مائتان وسبع وعشرون آية، وألف ومائتان وسبع وتسعون كلمة، وخمسة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿طَسَرَ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ لَمَّا كَبَتْ بَنُوعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ إن شأنا نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۝٤﴾ قوله تعالى: ﴿طَسَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

أظهر حمزة ثون «سين» قبل الميم، كأنه ناول الوقف، وإلا فإدغام مثله واجب والباقون يدغمون^(٢). وتقدم إعراب الحروف المقطعة. وفي مصحف عبد الله: «ط س م» مقطوعة من بعضها. قيل: وهي قراءة أبي جعفر، يعنون أنه يقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف، وإلا لم يتصور أن يلفظ بها على صورتها في هذا الرسم^(٣) وقرأ عيسى - وتروى عن نافع - بكسر الميم هنا وفي القصص^(٤) على البناء. وأمال^(٥) الطاء الأخوان وأبو بكر^(٦)، وقد تقدم. روى عكرمة عن ابن عباس قال: (طسم) عجزت العلماء عن علم تفسيرها^(٧). وروى علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس أنه قسم، وهو من أسماء الله تعالى^(٧). وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن^(٧). وقال مجاهد: اسم للسورة^(٧). وقال محمد بن كعب القرظي: قسم بطوله وسناه وملكه^(٧). «تِلْكَ آيَاتُ» أي: هذه الآيات آيات «الكتاب المبين» قوله: «لَمَّا كَبَتْ بَنُوعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ».

(١) انظر الكشف ١٠٧/٣، والقرطبي ٨٧/١٣، والبحر المحيط ٥/٧.

(٢) السبعة (٤٧٠)، الكشف ١٥٠/٢، الإتحاف (٣٣١).

(٣) وتروى عن نافع. انظر المختصر (١٠٦)، السبعة (٤٧٠) تفسير ابن عطية ٨٦/١١ - ٨٧، البحر المحيط ٥/٧.

(٤) البحر المحيط ٥/٧. (٥) في ب: وأما. وهو تحريف.

(٦) السبعة (٤٧٠)، الإتحاف (٣٣١). (٧) انظر البغوي ٢٠٥/٦.

نَفْسِكَ». قرأ قتادة: «بَاخِعُ نَفْسِكَ» على الإضافة^(١). والمعنى قاتل نفسك «أَلَا»^(٢) يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» أي: إن لم يؤمنوا، وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك، وكان يحرص على إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية^(٣)، وهذا تسلية للرسول، أي: لا تبالغ في الحزن والأسف، فصبّره وعزّاه وعرفه أن غمه وحزنه لا يرفع، كما أن وجود الكتاب ووضوحه لا يرفع.

قوله: «إِنْ نَشَأْ نُثَرِّلْ». العامة على نون العظمة فيهما. وروي عن أبي عمرو بالياء فيهما، أي: إِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُنْزِلْ^(٤). و «إِنْ» أصلها أن تدخل على المشكوك فيه^(٥) أو المحقق المبهم زمانه، والآية من هذا الثاني.

قوله: «فَطَلَّتْ» عطف على «نُثَرِّلْ» فهو في محل جزم^(٦). ويجوز أن يكون مستأنفاً غير معطوف على الجزاء^(٧). ويؤيد الأول قراءة طلحة: «فَتَظَلَّلْ»^(٨) بالمضارع مفكوكاً^(٩). قوله: «خَاضِعِينَ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه خبر عن «أَعْبَاقَهُمْ»^(١٠). واستشكل جمعه جمع سلامة؛ لأنه مختص بالعقلاء. وأجيب عنه بأوجه:

أحدها: أن المراد بالأعناق: الرؤساء كما قيل: لهم وجوه وصدور^(١١). قال:

٣٨٩٤ - فِي مَحْفَلٍ مِنْ نَوَاصِي الْخَيْلِ مَشْهُودٌ^(١٢)

الثاني: أنه على حذف مضاف، أي: فظل أصحاب الأعناق، ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل حذف المُخْبَر عنه مراعاة للمحذوف^(١٣)، وتقدم ذلك قريباً عند قراءة: «وَقَمَرًا مُنِيرًا» [الفرقان: ٦١].

الثالث: أنه لما أضيف إلى العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم^(١٤)، كما يكتسب التأنيت بالإضافة لمؤنث في قوله:

(١) المختصر (١٠٦)، الكشف ١٠٧/٣، البحر المحيط ٥/٧.

(٢) في ب: قوله: «أَلَا...». (٣) انظر البغوي ٢٠٥/٦ - ٢٠٦.

(٤) تفسير ابن عطية ٧٨٨/١١، البحر المحيط ٥/٧.

(٥) (فيه): تكملة ليست في المخطوط.

(٦) انظر الكشف ١٠٧/٣، البيان ٢/٢١١، التبيان ٢/٩٩٣.

(٧) انظر التبيان ٢/٩٩٣. (٨) في النسختين: فتظال.

(٩) البحر المحيط ٥/٧. (١٠) انظر البيان ٢/٢١١.

(١١) نقله الفراء عن مجاهد. معاني القرآن ٢/٢٧٧، البيان ٢/٢١١، التبيان ٢/٩٩٣.

(١٢) عجز بيت من بحر البسيط، قالت أم قيس الضبية، وصدرة:

ومشهد قد كفيت الغائبين

وهو في الكشف ١٠٧/٣، اللسان (نصاً) براوية (الناس) مكان (الخيال) والبحر المحيط ٦/٧.

(١٣) انظر البيان ٢/٢١١، التبيان ٢/٩٩٣.

(١٤) قال الأخفش: (أو يكون ذكره لإضافته إلى المذكور كما يؤنث لإضافته إلى المؤنث) معاني القرآن ٢/٢.

٦٤٤. وانظر البيان ٢/٢١١ - ٢١٢، التبيان ٢/٩٩٣.

٣٨٩٥ - كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ الْقَتَاةِ مِّنَ الدِّمِّ^(١)

الرابع : أن «الأعناق» جمع «عُنُقٍ» من الناس، وهم الجماعة^(٢)، فليس المراد الجارحة البتة، ومنه قوله :

٣٨٩٦ - أَنَّ الْمِرَاقَ وَلَفِيْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتًا^(٣)
وهذا قريب من معنى الأول، إلا أن هذا القائل يطلق «الأعناق» على جماعة الناس مطلقاً، رؤساء كانوا أو غيرهم.

الخامس : قال الزمخشري : أصل الكلام : فظفلوا لها خاضعين، فأقحمت «الأعناق» لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله كقولهم : ذهبَ أهل [اليمامة]، كأن الأهل غير مذكور^(٤). قال شهاب الدين : وفي التنظير بقوله : ذهبَ أهل اليمامة^(٥) [نظر، لأن (أهل) ليس مقحماً البتة، لأنه المقصود بالحكم، وأما التأنيث فلاكتسابه التأنيث^(٦) (بالإضافة)^(٧).
السادس : أنها عوملت معاملة العقلاء لما أُسْنِدَ إليهم ما يكون فعل العقلاء^(٨)، كقوله : «سَاجِدِينَ»^(٩) و «طَائِعِينَ»^(١٠) في يوسف وفصلت^(١١).
وقيل : إنما قال : «خَاضِعِينَ» لموافقة رؤوس الآي.

والثاني : أنه منصوب على الحال من الضمير في «أَعْنَأَقُهُمْ» قاله الكسائي^(١٢) وضعفه أبو البقاء، قال : لأن «خَاضِعِينَ» يكون جارياً على غير فاعل «ظَلَّتْ» فيفتقر إلى إبراز ضمير الفاعل، فكان يجب أن يكون : خاضعين هم^(١٣).

(١) عجز بيت من بحر الطويل، قاله الأعشى، وصدده :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته

وتقدم تخريجه. والشاهد فيه قوله : شرقت فإنه أنه مع أن الفاعل مذكر، لأنه مضاف إلى مؤنث وهو (القناة) فاكسب التأنيث منه.

(٢) أشار إليه الأخفش؛ فإنه قال : (يزعمون أنها على الجماعات نحو : هذا عنق من الناس. يعنون الكثير) معاني القرآن ٢/٦٤٣ - ٦٤٤، وانظر التبيان ٢/٩٩٣.

(٣) البيت من بحر الكامل، أنشده الفراء لرجل يدعو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للذهاب إلى العراق. وهو في معاني القرآن ٢/٤٠، الخصائص ١/٢٧٩، تفسير ابن عطية ١١/٨٩، ابن عيش ٤/٣٢، اللسان (عنق، هيت)، البحر المحيط ٥/٧ عنق : بمعنى الجماعة، وهو موطن الشاهد، ورواية الفراء : سلم عليك فلا شاهد فيها. هيت : اسم فعل أمر بمعنى أسرع.

(٤) الكشف ٣/١٠٧. (٥) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(٦) الدر المصون ٥/١٥٠. (٧) زيادة يستقيم بها الكلام.

(٨) انظر تفسير ابن عطية ١١/٩١، البحر المحيط ٧/٦.

(٩) من قوله تعالى : «رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ» [يوسف : ٤].

(١٠) من قوله تعالى : «قَالُوا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» [فصلت : ١١].

(١١) في النسختين : والسجدة. (١٢) انظر التبيان ٢/٩٩٣.

(١٣) التبيان ٢/٩٩٣.

قال شهاب الدين: ولم يجز «خاضعين» في اللفظ والمعنى إلا على من هو له، وهو الضمير في «أَعْتَقَهُمْ»، والمسألة التي قالها: هي أن يجري الوصف على غير من هو له في اللفظ دون المعنى، فكيف يلزم ما ألزمه به، على أنه لو كان كذلك لم يلزم ما قاله، لأن^(١) الكسائي والكوفي^(٢) لا يوجبون إبراز الضمير في هذه المسألة^(٣) إذا أمن اللبس، فهو (لا)^(٤) يلتزم ما ألزمه به، ولو ضعفه بمجيء الحال من المضاف إليه لكان أقرب، على أنه لا يضعف؛ لأن المضاف جزء من المضاف إليه كقوله: ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾^(٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ^(٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ^(٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ^(٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ^(٩).

قوله تعالى: «وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ» وعظ وتذكر «مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ» أي: محدث إنزاله فهو محدث في التنزيل. قال الكلبي: «كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول»^(٦).

وقوله: «إِلَّا كَانُوا» جملة حالية، وتقدم تحقيق هذا وما قبله في أول الانبياء^(٧). ومعنى «مُعْرِضِينَ» أي: عن الإيمان به.

قوله: «فَقَدْ كَذَّبُوا» أي: بلغوا النهاية في رد آيات الله، «فَسَيَأْتِيهِمْ» أي: فسوف يأتيهم «أَنْبَاءٌ»: أخبار وعواقب «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» وذلك إما عند نزول العذاب عليهم في الدنيا، أو عند المعاناة في الآخرة كقوله تعالى: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ يَوْمَ بَعْدَ حِينٍ﴾^(٨). قوله^(٩): «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» أي: صنف، والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه، يقال: «وجه كريم» إذا كان مرضياً في حسنه وجماله. و «كتاب

(١) في ب: إلا أن.

(٢) في ب: والكوفيون.

(٣) ذهب الكوفيون إلى أن الضمير في اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له نحو قولك: هند زيد ضاربه هي لا يجب إبرازه. وذهب البصريون إلى أنه يجب إبرازه، وأجمعوا على أن الضمير في اسم الفاعل إذا جرى على من هو له لا يجب إبرازه. انظر الإنصاف ١/ ٥٧ - ٥٨ المسألة (٨).

(٤) لا: زيادة يتم بها المعنى.

(٥) [الحجر: ٤٧]. الدر المصون ٥/ ١٥٠. وهذا التنظير بناء منه على القول بأن «خاضعين» حال، وانظر البيان ٢/ ٢١١ - ٢١٢.

(٦) انظر البغوي ٦/ ٢٠٦.

(٧) عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ الآية [٢].

(٨) [ص: ٨٨] انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١١٩ - ١٢٠.

(٩) في ب: قوله تعالى.

كريم: إذا كان مريضاً في فوائده ومعانيه. و «النبات الكريم»: هو المرضي في منافعه مما يأكل الناس والأنعام^(١) يقال: نخلة كريمة: [إذا طاب حملها، وناقاة كريمة]^(٢). إذا كثر^(٣) لبنها. قال الشعبي: الناس مثل نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم^(٤).

قوله: «كَمْ أَتْبَنَّا». «كَمْ»^(٥) للتكثير، فهي خبرية، وهي منصوبة بما بعدها على المفعول به، أي: كثيراً من الأزواج أنبتنا، و «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» تمييز^(٦).

وجوّز أبو البقاء أن تكون حالا^(٧). ولا معنى له. قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى الجمع بين «كَمْ» و «كُلٌّ» ولو قيل: أنبتنا فيها من زوج كريم^(٨). قلت: قد دل «كُلٌّ» على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل، و «كَمْ» على أن هذا المحيط مُتَكَثِّرٌ مُفْرَطٌ في الكثرة^(٩).

قوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ» الذي ذكرت «لآيَةً» دلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي وقوله: «لِلْمُؤْمِنِينَ» كقوله: «هُدًى لِلتَّقِيْنَ» [البقرة: ٢] لأنهم المنتفعون بذلك، «وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ»: مصدقين، أي: سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا يؤمنون.

وقال سيبويه: (كان) هنا صلة، مجازة: وما أكثرهم^(١٠) مؤمنين^(١١). «وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» وإنما قدم ذكر «العزیز» على ذكر «الرَّحِيم» لأنه لو لم يقدّمه لكان ربما قيل: إنه رحيم لعجزه عن عقوبتهم، فأزال هذا الوهم بذكر «العزیز» وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعا^(١٢). فإن قيل: حين ذكر الأزواج دلّ عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة، وكان لا يحصيها إلا عالم الغيب، فكيف قال: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً»؟ وهلا قال: آيات؟. فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك مشاراً به إلى مصدر «أنبتنا» فكأنه قال: إن في ذلك الإنبات لآية.

والثاني: أن يراد: إن في كل واحد من تلك الأزواج لآية^(١٣).

(١) انظر الفخر الرازي ١٢٠/٢٤. (٢) ما بين القوسين مكرر في الأصل.

(٣) في ب: كبر. وهو تحريف. (٤) انظر البغوي ٢٠٧/٦ القرطبي ٩١/١٣.

(٥) في ب: لم. وهو تحريف. (٦) انظر التبيان ٩٩٤/٢.

(٧) انظر التبيان ٩٩٤/٢.

(٨) في النسختين: من كل زوج. والتصويب من الكشاف.

(٩) الكشاف ١٠٨/٣. (١٠) في ب: وما كان أكثرهم.

(١١) أي: أن (كان) زائدة بين (ما)، و(أنعل). قال سيبويه: (وتقول: ما كان أحسن زيداً. فتذكر (كان)

لندل أنه فيما مضى) الكتاب ٧٣/١.

(١٢) انظر الفخر الرازي ١٢٠/٢٤. (١٣) المرجع السابق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتَيْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَنْفِقُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ الآية. العامل في «إِذْ نَادَىٰ» مضمرة، فقدرة الزجاج: أثل^(١). وقدرة غيره^(٢): اذكر. واختلف^(٣) في النداء الذي سمعه موسى - عليه السلام^(٤) - من الله تعالى، فقيل^(٥): هو الكلام القديم، فكما أن ذاته تعالى لا تشبه سائر الذوات مع أن^(٦) الدليل دل على أنها معلومة ومرتبة، فكذا كلامه منزّه عن مشابهة الحرف والصوت مع أنه مسموع^(٧) وقيل^(٨): كان نداء من جنس الحروف والأصوات^(٩).

وقالت المعتزلة: كان ذلك النداء حروفاً وأصواتاً علم به موسى من قبل الله تعالى فصار معجزاً، علم به موسى أن الله تعالى مخاطب له فلم يحتج مع ذلك إلى واسطة^(١٠).

قوله: «أَنْ أَتَيْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ». يجوز أن تكون «أَنْ» مفسّرة، وأن تكون مصدرية، أي: بأن^(١١). قوله: «قَوْمَ فِرْعَوْنَ». بدل^(١٢) أو عطف بيان لـ «الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»^(١٣). وقال أبو البقاء: إنه مفعول (تَتَّقُونَ) على قراءة من قرأ (تَتَّقُونَ) بالخطاب وفتح النون^(١٤)، كما سيأتي. ويجوز على هذه القراءة أن يكون منادى^(١٥). قوله: «أَلَا يَتَّقُونَ». العامة على الياء في «يَتَّقُونَ» وفتح النون، والمراد قوم فرعون، والمفعول محذوف، أي: يتقون عقابي، [وقرأ عبد الله بن مسلم بن يسار، وحمام^(١٦)، وشقيق بن سلمة^(١٧) بالتاء من فوق^(١٨)]

(١) معاني القرآن وإعرابه ٨٤/٤.

(٢) وهو أبو البقاء فإنه قال: (قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ﴾، أي: واذكر إذ نادى) التبيان ٩٩٤/٢.

(٣) أي اختلف أهل السنة.

(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٥) هو قول أبي الحسن الأشعري.

(٦) انظر الفخر الرازي ١٢١/٢٤.

(٧) انظر الفخر الرازي ١٢١/٢٤.

(٨) انظر تفسير ابن عطية ٩٣/١١، التبيان ٩٩٤/٢.

(٩) انظر التبيان ٩٩٤/٢، القرطبي ٩١/١٣، انظر الكشف ١٠٨/٣.

(١٠) انظر الفخر الرازي ١٢١/٢٤.

(١١) انظر تفسير ابن عطية ٩٣/١١، التبيان ٩٩٤/٢.

(١٢) انظر التبيان ٩٩٤/٢، القرطبي ٩١/١٣، انظر الكشف ١٠٨/٣.

(١٣) انظر التبيان ٩٩٤/٢، القرطبي ٩١/١٣، انظر الكشف ١٠٨/٣.

(١٤) انظر التبيان ٩٩٤/٢، القرطبي ٩١/١٣، انظر الكشف ١٠٨/٣.

(١٥) انظر التبيان ٩٩٤/٢، القرطبي ٩١/١٣، انظر الكشف ١٠٨/٣.

(١٦) هو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة البصري، الإمام الكبير، روى عن عاصم، وابن كثير، وروى عنه حجاج بن المنهال، وغيره، مات سنة ١٦٧ هـ. طبقات القراء ٢٥٨/١.

(١٧) هو شقيق بن سلمة أبو وائل الكوفي الأسدي، أدرك زمن النبي - ﷺ عرض على عبد الله بن مسعود، وروى عنه الأعمش. مات سنة ٨٢ هـ. طبقات القراء ٣٢٨/١.

(١٨) أي: «اتقون»، وخرجها ابن جني على إضمار قول، أي: قل لهم: ألا تتقون. انظر المحتسب ٢/١٢٧، وتفسير ابن عطية ٩٣/١١، البحر المحيط ٧/٧.

على الالتفات، خاطبهم بذلك توبيخاً^(١) والتقدير: يا قوم فرعون^(٣).

وقرأ بعضهم: «يَتَّقُونَ» بالياء من تحت، وكسر النون^(٤)، وفيها تخريجان:

أحدهما: أن «يَتَّقُونَ» مضارع، ومفعوله ياء المتكلم اجتزى عنها بالكسرة^(٥).

والثاني: جَوَّزَه الزمخشري، أن تكون «يا» للنداء، و «اتَّقُونَ» فعل أمر، كقوله:

«أَلَا يَا أَسْجُدُوا»^(٦) أي: يا قوم اتقون، أو يا ناس اتقون^(٧). وسيأتي تحقيق مثل هذا في

السورة تحتها^(٨). وهذا تخريج بعيد^(٩).

وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب^(١٠).

وجَوَّزَ الزمخشري أن تكون حالاً من الضمير في «الظَّالِمِينَ» أي: يظلمون غير متقين

الله وعقابه، فأدخلت همزة الإنكار على الحال^(١١). وخطأه أبو حيان من وجهين:

أحدهما: أنه يلزم عنه الفصل بين الحال وعاملها بأجنبي منهما، فإن أعرب «قَوْمَ

فِرْعَوْنَ» عطف بيان لـ «القَوْمَ الظَّالِمِينَ».

والثاني: أنه على تقدير تسليم ذلك لا يجوز أيضاً؛ لأن ما بعد الهمزة لا يعمل فيما

قبلها، قال: وقولك: (جئتُ أسرعاً)^(١٢)، إن جعلت (مسرعاً) معمولاً لـ (جئت) لم

يجز، فإن أضمرت عاملاً جاز^(١٣). والظاهر أن «أَلَا» للعرض^(١٤).

وقال الزمخشري: إنها (لا) النافية، دخلت عليها همزة الإنكار^(١٥). وقيل: هي للتنبيه^(١٦).

(١) انظر الكشف ١٠٨/٣، البحر المحيط ٧/٧.

(٢) ما بين القوسين تكملة من الدر المصون ١٥١/٥. (٣) انظر التبيان ٩٩٤/٢.

(٤) قال ابن خالويه: «(ألا يتقون» بكسر النون أجازه عيسى) المختصر (١٠٦).

(٥) قال الزمخشري: قرئ «ألا يتقون» بكسر النون، بمعنى: ألا يتقونني. فحذفت النون، لاجتماع

النونين، والياء للاكتفاء بالكسرة) الكشف ١٠٨/٣.

(٦) في ب: «ألا يسجدوا» [النمل: ٢٥]، وما في الأصل قراءة الكسائي، وما في ب: قراءة الباقيين.

(٧) قال الزمخشري: وفي «ألا يتقون» بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى: ألا يا ناس

اتقون، كقوله: «ألا يسجدوا». الكشف ١٠٨/٣.

(٨) أي: في السورة التي بعدها، وهي سورة النمل.

(٩) قال أبو حيان: (وهو تخريج بعيد والظاهر أن (ألا) للعرض المضمن الحذف على التقوى) البحر المحيط ٧/٧.

(١٠) انظر الكشف ١٠٨/٣. (١١) المرجع السابق.

(١٢) في السختين: جئت مسرعاً. والتصويب من البحر المحيط.

(١٣) انظر البحر المحيط ٧/٧. (١٤) هو قول أبي حيان. البحر المحيط ٧/٧.

(١٥) تابع ابن عادل هنا أبا حيان في النقل عن الزمخشري، وعبارة الزمخشري هي: (ويحتمل أن يكون «لا

يتقون» حالاً من الضمير في «الظَّالِمِينَ» أي: يظلمون غير متقين الله وعقابه، فأدخلت همزة الإنكار

على الحال) الكشف ١٠٨/٣.

(١٦) فيكون المعنى: قل لهم: ألا تتقون. انظر القرطبي ٩١١٣. وقال أبو حيان: (وقول من قال: إنها

للتنبيه لا يصح) البحر المحيط ٧/٧.

فصل (١)

قوله (٢): «نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ» حين رأى الشجرة والنار «أَنْ أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» أي: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، فحكم عليهم بالظلم من وجهين:
الأول: ظلموا أنفسهم بكفرهم.

والثاني: ظلمهم بني إسرائيل (٣) باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (٤). «قَوْمٌ فِرْعَوْنٌ» عطف «قَوْمٌ فِرْعَوْنٌ» على «الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» فهما يدلان لفظاً على معنى واحد (٥). «أَلَا يَتَّقُونَ» أي: يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته. ومن قرأ «تَتَّقُونَ» بالخطاب (٦) فعلى الالتفات إليهم وصرف (٧) وجوهمهم بالإنكار والغضب عليهم، كمن يشكو من جناية والجاني حاضر، فإذا اندفع في الشكاية، وحمي غضبه قطع بأنه يخاطب صاحبه، وأقبل على الجاني يوبخه ويعنفه ويقول له: ألم تتق الله؟ ألم تستحي من الناس؟ فإن قيل: فما الفائدة في هذا الالتفات والخطاب مع موسى - عليه السلام (٨) - في وقت المناجاة، والملفت إليهم غائبون لا يشعرون؟ قلنا: أجري ذلك في تكليم المرسل (٩) إليهم معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم، لأنه مبلغهم (١٠)، وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى، وكم من آية نزلت في الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً بها، واعتباراً بمواردها (١١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِإِهْنَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ (١٥) فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ (١٧)

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ لما أمر موسى - عليه السلام (١٢) - بالذهاب إلى قوم فرعون طلب موسى - عليه السلام - أن يبعث معه هارون - عليه السلام - ثم ذكر (١٣) الأمور الداعية إلى ذلك السؤال (١٤). فقوله: «أَنْ يُكَذِّبُونِ» مفعول «أَخَافُ» أي: أخاف تكذيبهم إياي.

(٢) قوله: سقط من الأصل.

(١) فصل: سقط من ب.

(٤) انظر الفخر الرازي ١٢١/٢٤.

(٣) إسرائيل: سقط من ب.

(٥) المرجع السابق.

(٦) وهي قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار، وحماد، وشقيق بن سلمة.

(٧) في النسختين: وضرب. والتصويب عن الفخر الرازي.

(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٩) في النسختين: الرسل. والتصويب من الفخر الرازي.

(١٠) في النسختين: مبلغه. والتصويب من الفخر الرازي.

(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١١) انظر الفخر الرازي ١٢٢/٢٤.

(١٤) انظر الفخر الرازي ١٢٢/٢٤.

(١٣) في ب: أمر. وهو تحريف.

قوله: «وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ»^(١) الجمهور على الرفع، وفيه وجهان: أحدهما: أنه مستأنف^(٢)، أخبر بذلك.

والثاني: أنه معطوف على خبر «إِنَّ»^(٣) وقرأ زيد بن علي، وطلحة، وعيسى، والأعمش بالنصب فيهما^(٤). والأعرج بنصب الأول ورفع الثاني^(٥). فالنصب عطف على صلة «أَنَّ»^(٦) فتكون الأفعال الثلاثة: «يَكْذِبُونَ»^(٧) و«يَضِيقُ»، و«لَا يَنْطَلِقُ» داخلة في حيز الخوف.

قال الزمخشري: «والفرق بينهما»^(٨)، أي: الرفع والنصب، أنَّ الرفع^(٩) يفيد أن فيه ثلاث علل: خوفُ التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، والنصب على أنَّ خوفه متعلق بهذه الثلاثة. فإن قلت: في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة، وفي جُمْلَتِهَا نَفْيُ انطلاق اللسان، وحقيقته الخوف إنما يلحق الإنسان لأمر سيقع، وذلك كان واقعاً، فكيف جاز تعليق الخوف به؟ قلت: قد عَلَّقَ الخوف بتكذيبهم، وبما يحصل له من ضيق الصدر، والْحُبْسَةِ في اللسان زائدة على ما كان به، على أن تلك الْحُبْسَةِ التي كانت به زالت بدعوته. وقيل: بقيت منها بقية يسيرة. فإن قلت: اعتذارك هذا يرده الرفع، لأنَّ المعنى: إِنِّي خائفٌ ضيقُ الصدرِ غيرُ مُنْطَلِقِ اللسان؟ قلت: يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي»^(١٠).

قوله: «فَأَرْسِلْ» أي: فأرسل جبريل أو الملك، فحذف المفعول به، أي: ليؤازرنِي ويظاهرنِي على تبليغ الرسالة^(١١). قيل: إن الله تعالى أرسل موسى^(١٢).

قال السُّدِّيُّ: إن موسى - عليه السلام^(١٣) - سار بأهله إلى مصر، والتقى بهارون وهو لا يعرفه، فقال: أنا موسى، فتعارفا، وأمره أن ينطلق معه إلى فرعون لأداء الرسالة^(١٤). وقيل: أرسل جبريل إليه كما يرسل إلى الأنبياء - عليهم السلام -^(١٥) فلما

(١) في ب: ولا ينطلق لساني. (٢) انظر التبيان ٩٩٤/٢.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٧٨/٢.

(٤) تفسير ابن عطية ٩٤/١١، البحر المحيط ٧/٧.

(٥) قال أبو حيان: (وحكى أبو عمرو الداني عن الأعرج أنه قرأ بنصب «ويضيّق» ورفع «ولا ينطلق») البحر المحيط ٧/٧.

(٦) انظر التبيان ٩٩٤/٢. (٧) في ب: يكون. وهو تحريف.

(٨) في الكشف: والفرق بينهما في المعنى.

(٩) في النسختين: أن الرفع فيه. (١٠) الكشف ١٠٨/٣ - ١٠٩.

(١١) انظر الكشف ١٠٩/٣.

(١٢) انظر الفخر الرازي ١٢٣/٢٤، البحر المحيط ٨/٧.

(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٤) انظر الفخر الرازي ١٢٣/٢٤، البحر المحيط ٨/٧.

(١٥) في ب: عليهما الصلاة والسلام.

كان متعيناً لهذا الأمر حذف ذكر المرسل لكونه معلوماً^(١).

قوله: «وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ». أي: دعوى ذنب، وهو قتله للقطبي، أي: لهم عليّ ذنب في زعمهم «فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» أي: يقتلونني، فقال الله تعالى: «كَلَّا» أي: لن يقتلوك^(٢).

قوله: «فَادْهَبَا» عطف على ما دل عليه حرف الردع من الفعل، كأنه قيل: ارتدع عما تظن فاذهب أنت وأخوك^(٣) «بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ» سامعون ما تقولون قال: «مَعَكُمْ» بلفظ الجمع، وهما اثنان، أجراهما مجرى الجماعة.

وقيل: أراد معكما ومع بني إسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون^(٤)، «فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» إنما أفرد «رَسُول» إما لأنه مصدر^(٥) بمعنى: رسالة والمصدر يُؤخَدُ، ومن مجيء «رَسُول» بمعنى رسالة قوله^(٦).

٣٨٩٧ - لَقَدْ كَذَبَ الْوَاسُونَ مَا فُتِّهِ عِنْدَهُمْ بِسِرٍّ وَلَا أَرْسَلْنَاهُمْ بِرَسُولٍ^(٧) أي برسالة. وإما لأنهما ذوا شريعة واحدة فترلاً منزلة رسول^(٨).

وإما لأن المعنى: كل واحد منا رسول^(٩). وإما لأنه من وضع الواحد موضع التثنية لتلازمهما^(١٠)، فصارا كالشيئين المتلازمين، كالعينين واليدين. وحيث لم يقصد هذه المعاني طابق في قوله: «إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ» [طه: ٤٧]. وقال أبو عبيد^(١١): يجوز أن يكون «الرسول» بمعنى الاثنين والجمع، تقول العرب: هذا رسولي ووكيللي، [وهذان رسولي ووكيللي]^(١٢)، وهؤلاء رسولي ووكيللي^(١٣)، كما قال: «وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ» [الكهف: ٥٠]. قوله: «أَنْ أَرْسِلَ». يجوز أن تكون مفسرة لـ «رَسُول»^(١٤) إذا قيل: بأنه بمعنى

(١) انظر الفخر الرازي ١٢٣/٢٤. (٢) انظر البيهقي ٢٠٨/٦.

(٣) انظر الكشاف ١٠٩/٣. (٤) انظر تفسير ابن عطية ٩٥/١١، القرطبي ٩٣/١٣.

(٥) وهو قول أبي عبيدة ٨٤/٢، وانظر البيان ٢١٢/٢، التبيان ٩٩٤/٢، البحر المحيط ٨/٧.

(٦) في ب: فقله. وهو تحريف.

(٧) البيت من بحر الطويل، قاله كثير، وهو في ديوانه (١١٠)، ومجاز القرآن ٨٤/٢، تفسير غريب القرآن

(٣١٦)، والمذكر والمؤنث ٢٩٣/٢، الكشاف ١١٠/٣، البيان ٢٠٦/٢، ٢١٢، القرطبي ٩٣/١٣،

اللسان (رسل). الواسون: جمع واش، وهو الساعي بين الناس يوقع بينهم، وروي: (ما بحث) بدل

(ما فئت)، وفي ب: برسولي. والشاهد فيه: قوله: (برسول)، فإنه مصدر بمعنى: رسالة.

(٨) انظر الكشاف ١١٠/٣، البحر المحيط ٨/٧.

(٩) انظر القرطبي ٩٤/١٣، البحر المحيط ٨/٧.

(١٠) أي: رسول الله موسى وأخوه هارون.

(١١) في النسختين: أبو عبيدة. والتصويب من القرطبي.

(١٢) ما بين القوسين سقط من الأصل. (١٣) انظر القرطبي ٩٤/١٣.

(١٤) انظر الكشاف ١١٠/٣.

الرسالة، شرحا الرسالة بهذا وبينّاها به. ويجوز أن تكون المصدرية^(١)، أي: رسول بكذا، والمراد من هذا الإرسال: التولية والإرسال، كقولك: أرسل البازي^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۖ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۝ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ (٢١) وَلَكَ نِعْمَةٌ تَعْنَاهُ عَلَىٰ أَنْ عَبدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝ (٢٢)﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾. اعلم أن في الكلام حذفاً، وهو أنهما أُنياه وقالوا ما أمر الله به، فعند ذلك قال فرعون ما قال. روي أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب: إن هنا إنساناً يزعم أنه رسول رب العالمين. فقال: ائذن له لعلنا نضحك منه، فأديا إليه الرسالة، فعرف موسى، فعدد عليه نعمه أولاً ثم إساءة موسى إليه^(٣). أما النعم فهي قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ والوليد: الصبي، لقرب عهده من الولادة^(٤). وقيل: الغلام، تسمية له بما كان عليه^(٥). و «وَلِيدًا» حال من مفعول «نُرَبِّكَ»^(٦)، وهو فعيل بمعنى مفعول^(٧). قوله: ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ قرأ أبو عمرو في رواية بسكون ميم «عُمُرِكَ»^(٨) تخفيفاً لـ «فَعَلَ»، و «مِنْ عُمُرِكَ» حال من «سِنِينَ»^(٩).

قيل: لبث عندهم ثلاثين سنة^(١٠)، وقيل: وكز^(١١) القبطي، وهو ابن اثنتي عشرة^(١٢) سنة^(١٣) قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ﴾. قرأ الشعبي: «فَعَلَتَكَ» بالكسر على الهيئة^(١٤)، لأنها نوع من القتل^(١٥)، وهي الوَكْزَةُ «وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ». يجوز أن يكون

(١) انظر البحر المحيط ٨/٧.

(٢) انظر الفخر الرازي ١٢٤/٢٤. والبازي: واحد البزاة التي تصيد، ضرب من الصقور. اللسان (بز).

(٣) انظر الفخر الرازي ١٢٥/٢٤.

(٤) المرجع السابق. (٥) أي: أنه مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان.

(٦) نربك: تكملة ليست في المخطوط. (٧) انظر البحر المحيط ١٠/٧.

(٨) رواها عنه الخفاف، وعبيد. السبعة (٤٧١)، المختصر (١٠٦)، تفسير ابن عطية ٩٧/١١، البحر المحيط ١٠/٧.

(٩) انظر التبيان ٩٩٤/٢. (١٠) انظر الفخر الرازي ١٢٥/٢٤.

(١١) في ب: ولر. وهو تحريف.

(١٢) في النسختين: اثني عشر. والتصويب من الفخر الرازي.

(١٣) انظر الفخر الرازي ١٢٥/٢٤.

(١٤) معاني القرآن للقرآء ٢٧٩/٢، المختصر (١٠٦)، المحتسب ١٢٧/٢، تفسير ابن عطية ٩٧/١١، البحر المحيط ١٠/٧.

(١٥) في ب: لا سيما من قتل. وهو تحريف.

حالا^(١). قال ابن عباس: أي: وأنت من الكافرين لنعمتي أي^(٢): وأنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة، وقد افترى عليه أو جهل أمره؛ لأنه كان يعاشرهم بالثقة^(٣)، فإن الكفر غير جائز على الأنبياء قبل النبوة^(٤). ويجوز أن يكون مستأنفاً^(٥)، ومعناه وأنت ممن عادته كفران النعم، ومن كانت هذه حاله لم يستبعد منه قتل خواص ولي نعمه^(٦). وقيل: «مِنَ الْكَافِرِينَ» بفرعون وإلهيته، أو من الذين يكفرون في دينهم، فقد كانت لهم آلهة يعبدونها^(٧) بدليل قوله: ﴿وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] قوله: «قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ». «إِذَا» هنا حرف جواب فقط. قال الزمخشري: إنها جوابٌ وجزاءٌ معاً قال: فَإِنْ قُلْتَ: (إِذَا) حرف جواب وجزاءٌ معاً، والكلام وقع جواباً لفرعون، فكيف وقع جزاء؟ قلت: قول فرعون: «وَفَعَلْتَ فَعَلْتُكَ» فيه معنى أنك جازيت نعمتي بما فعلت، فقال له موسى: نعم فعلتها مجازياً لك تسليماً لقوله، كأن نعمته كانت عنده جدية بأن تُجَارَى بنحو ذلك الجزاء^(٨). قال أبو حيان: وهذا مذهب سيبويه، يعني: أنها للجزاء والجواب^(٩) معاً، قال: ولكن شراح الكتاب فهموا أنها قد تتخلف عن الجزاء، والجواب معنى لازم لها^(١٠).

فصل

واعلم أن فرعون عدد عليه نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال، ووبخه بما جرى على يده من قتل أجناده، وعظم ذلك بقوله: «وَفَعَلْتَ فَعَلْتُكَ الَّتِي فَعَلْتَ».

ولما ذكر فرعون التربية ذكر القتل، وكانت تربيته معلومة ما أنكرها موسى - عليه السلام^(١١) - وقد تقرر في العقول أن الرسول إلى الغير إذا كان معه معجزة وحجة لم يتغير^(١٢) حاله بأن يكون المرسل إليه أنعم عليه أو لم ينعم، فصار قول فرعون غير مؤثر فالإعراض عنه أولى، ولكن أحاب عن القتل بما لا شيء أبلغ منه في الجواب، فقال: «فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» أي: من الجاهلين، أي: لم يأتني من عند الله شيء، أو من

(١) انظر الكشف ١٠٠/٣، البحر المحيط ١٠/٧.

(٢) في ب: أو. (٣) أي: يظهر لهم خلاف ما يظن.

(٤) انظر الفخر الرازي ١٢٥/٢٤. (٥) انظر البحر المحيط ١٠/٧.

(٦) انظر الفخر الرازي ١٢٥/٢٤. (٧) المرجع السابق.

(٨) الكشف ١١١/٣.

(٩) قال سيبويه: (وأما «إِذَا» فجواب وجزاء) الكتاب ٢٣٤/٤.

(١٠) انظر البحر المحيط ١١/٧. أي: أي سيبويه قال معناها الجواب والجزاء فقال الشلويين: دائماً في كل موضع، وقال أبو علي الفارسي غالباً في أكثر المواضع كقولك لمن قال: أزورك: إذن أكرمك، فقد

أجبت وجعلت إكرامه جزاء زيارته، أي: إن تزرتني أكرمك، قال: وقد تتمحض للجواب كقولك لمن قال: أحبك: إذن أصدقك. إذ لا مجازاة هنا، والشلويين يتكلف في جعل مثل هذا جزاءً، أي: إن

كنت قلت ذلك حقيقة صدقتك. انظر الهمع ٦/٢، الأسموني ٢٩٠/٣ - ٢٩١.

(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٢) في ب: يتعين. وهو تحريف.

الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله، لأنه وكزه تأديباً، ومثل ذلك ربما حَسُن^(١). وقيل: من المخطئين، فبين أنه فعله على وجه لا تجوز المؤاخذه^(٢) به، فيعد كافراً لنعمه^(٣).

قوله: «فَقَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ». العامة على تشديد ميم^(٤) «لَمَّا» وهي «لَمَّا» التي هي حرف وجوب عند سيبويه^(٥). أو بمعنى «حِينَ» عند الفارسي^(٦). وروي عن حمزة بكسر اللام وتخفيف الميم^(٧)، أي: لِتَخَوْفِي مِنْكُمْ، و «ما» مصدرية. وهذه القراءة تشبه قراءته في «آل عمران»: ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾^(٨) [آل عمران: ٨١]. وقد تقدمت مستوفاة.

(قال الزمخشري: إنما جمع الضمير في «مِنْكُمْ» و «خِفْتُكُمْ» مع إفراده في «تَمَنَّيَا»^(٩) و «عَبَّدْتُ»^(٩)، لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده، ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله لقوله: ﴿إِنَّكَ أَلَمَلًا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠]، وأما الامتنان والتعبد فمنه^(١٠) وحده^(١١)).

فصل

والمعنى: إني فعلت ذلك الفعل وأنا ذاهل عن كونه مهلكاً، وكان مني في حكم السهو، فلم أستحق التخويف الذي يوجب الفرار، ومع ذلك فررت منكم لما خفتكم عن قولكم: ﴿إِنَّكَ أَلَمَلًا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠] فبين بذلك ألا نعمة له عليه في الفعل، بل بأن يكون مسيئاً فيه أقرب^(١٢).

فصل

وقد ورد لفظ «الفرار» على أربعة:

الأول: بمعنى الهرب، كهذه الآية، ومثله «لَنْ»^(١٣) يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَزْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ^(١٤).

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٥ - ١٢٦. (٢) في ب: لمن أخذه.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٦. (٤) في ب: تشديدهم.

(٥) قال سيبويه: (وأما «لَمَّا» فهي للأمر الذي وقع لوقوع غيره، وإنما تجيء بمنزلة لو، لما ذكرنا، وإنما هما لا ابتداء وجواب) الكتاب ٤/٢٣٤.

(٦) قال أبو علي الفارسي: (وأما «لَمَّا»، فمثل (لم) في الجزم، قال تعالى ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ [آل عمران: ١٤٢]، [التوبة: ١٦] فجزمت كما جزمت لم، وإنما هي (لم) دخلت عليها (ما) فتغيرت بدخول (ما) عن حال (لم) فوق بعدها مثال الماضي في قولك: لما جئت جئت، فصار بمنزلة ظرف من الزمان كأنك قلت: حين جئت جئت، فمن ثم جاز أن تقول: جئتكم ولما، فلا تتبعها شيئاً ولا يجوز ذلك في (لم)، ولولا دخول (ما) عليها لم يجر ذلك فيها) انظر المقتصد شرح الايضاح ٢/١٠٩١ - ١٠٩٢.

(٧) المختصر (١٠٦)، البحر المحيط ٧/١١، الاتحاف (٣٣١).

(٨) [آل عمران: ٨١]. (٩) من الآية التي بعدها.

(١٠) الكشف ٣/١١١. (١١) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٢٦. (١٣) في الأصل: ولن، وفي ب: فلن.

(١٤) في ب: . . . من الموت أو القتل.

الثاني: بمعنى الكراهية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ^(١) مِنْهُ

[الجمعة: ٨] أي: تكرهونه.

الثالث: بمعنى اشتغال المرء بنفسه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ

[عبس: ٣٤ - ٣٥] أي: لا يلتفت إليهم، لاشتغاله بنفسه.

الرابع: بمعنى التبعاد، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦] أي: تباعداً. ثم بين نعم الله عليه بعد الفرار^(٢)، فكأنه قال: أسأتم وأحسن الله إليّ بأن وهب لي حكماً^(٣). قرأ عيسى: «حُكْماً» بضم الكاف^(٤) إتباعاً. والمراد بالحكم: العلم والفهم، قاله مقاتل: وقيل: النية. والأول أقرب، لأن المعطوف غير المعطوف عليه، والنية مفهومة من قوله: «وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ»^(٥).

قوله: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ فِيهِ وَجْهَان»:

أحدهما: أنه خبر^(٦) على سبيل التهكم، أي: إِنْ كَانَ ثُمَّ نِعْمَةٌ فَلَيْسَتْ إِلَّا أَنْكَرُ جَعَلْتَ قَوْمِي عِبِيداً لَكَ^(٧). وقيل: «ثُمَّ»^(٨) حرف استفهام محذوف لفهم المعنى، أي: «أَوْ تِلْكَ»، وهذا مذهب الأخفش^(٩)، وجعل من ذلك:

٣٨٩٨ - أَفَرِحَ أَنْ أُرْزَأَ الْكَرَامَ^(١٠)

وقد تقدم هذا مشبعاً في النساء عند قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سِتْرَةٍ فَيَنْقُصِكَ﴾^(١١) [النساء: ٧٩] وفي غيره.

(١) في الأصل: تفكرون. وهو تحريف. (٢) في ب: إتباعاً بعد الفرار.

(٣) انظر الفخر الرازي ١٢٦/٢٤.

(٤) المختصر (١٠٦)، تفسير ابن عطية ٩٩/١١، البحر المحيط ١١/٧.

(٥) انظر الفخر الرازي ١٢٦/٢٤. (٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢٧٩/٢.

(٧) انظر القرطبي ٩٦/١٣. (٨) ثم: تكملة ليست في المخطوط.

(٩) قال الأخفش: (وقال: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمْنَاهَا عَلَيَّ» فيقال هذا استفهام كأنه قال: أَوْ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمْنَاهَا) معاني القرآن ٦٤٥/٢ - ٦٤٦.

(١٠) جزء بيت من بحر المنسرح، قاله حضرمي بن عامر، وتماهه:

أورث زوداً شصائص نبلا وأن

وقد تقدم تخريجه. والشاهد فيه حذف همزة الاستفهام الإنكاري، والمعنى أفرح.

(١١) [النساء: ٧٩]. وذكر هناك: وقيل في قوله «فمن نفسك» أن همزة الاستفهام محذوفة، تقديره: أومن نفسك، وهو كثير كقوله تعالى: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمْنَاهَا عَلَيَّ» وقول الشاعر:

أفرح أن أُرْزَأَ الْكَرَامَ

البيت، وهذا لم يجره من النحاة إلا الأخفش، وأما غيره فلم يجره إلا قبل (أم) كقوله:

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً بسبع رمين الجمر أم بشمان

انظر اللباب ١٢٢/٣.

قوله: «أَنْ عَبَّدْتَ» فيه أوجه:

أحدها: أنه في محل رفع عطف بيان لـ «تِلْكَ»^(١) كقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾ [الحجر: ٦٦].

الثاني: أنها في محل نصب مفعولاً من أجله^(٢).

الثالث: أنها بدل من «نِعْمَةً»^(٣).

الرابع: أنها بدل من هاء «تَمُنُّهَا».

الخامس: أنها مجرورة بياء مقدرة، أي: بِأَنْ عَبَّدْتَ.

السادس: أنها خبر مبتدأ مضمرة، أي: هي أَنْ عَبَّدْتَ.

السابع: أنها منصوبة بإضمار «أعني» والجملة من «تَمُنُّهَا» صفة لـ «نِعْمَةً» و «تَمُنُّ» يتعدى بالباء، فقليل: هي محذوفة، أي: تَمُنُّ بها.

وقيل: ضُمِّنَ «تَمُنُّ» معنى «تَذَكَّرُ»^(٤). ويقال: عَبَّدْتَ الرجل وأعبدته وتعبدته واستعبدته: [إذا اتخذته عبداً]^{(٥)(٦)}.

فصل

اختلفوا في تأويل «أَنْ عَبَّدْتَ»: فحملها بعضهم على الإقرار، وبعضهم على الإنكار. وعلى كلا القولين فهو جواب لقوله: ﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكُ فَتَنَّا﴾ [الشعراء: ١٨].

فمن قال: هو إقرار، قال: عدها موسى نعمة منه عليه حيث رياه ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بني إسرائيل، ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل، أي: بلى و «تِلْكَ نِعْمَةٌ تمنها عليّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» وتركنتني فلم تستعبدني. ومن قال: هو إنكار قال: قوله: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ» هو على طريق الاستفهام، كما تقدم في إعرابها، يعني: أَوْ تِلْكَ نِعْمَةٌ، فحذفت ألف الاستفهام، كقوله: ﴿فَهُمْ لَظَالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وقال الشاعر:

٣٨٩٩ - تَرُوحُ مِنَ الْحَيِّ أَمْ تَبْتَكَزُ وَمَاذَا يَضِيرُكَ لَوْ تَنْتَظِرُ^(٧)
أي: أتروح من الحي، وقال عمر^(٨) بن عبد الله بن أبي ربيعة:

(١) انظر الكشف ١١١/٣. (٢) حكاه أبو حيان عن الحوفي. البحر المحيط ١٢/٧.

(٣) انظر البيان ٢١٣/٢، التبيان ٩٩٥/٢. (٤) انظر التبيان ٩٩٥/٢. من الوجه الثاني.

(٥) انظر الفخر الرازي ١٢٦/٢٤. (٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) البيت من بحر المتقارب، قاله امرؤ القيس، وهو في ديوانه (١٥٤)، تفسير ابن عطية ١٠٠/١، القرطبي ٩٦/١٣. الرواج: السير في العشي. الابتكار: الخروج مبكراً. الشاهد فيه حذف همزة الاستفهام في (تروح)؛ إذ أصلها: أتروح؟ والدليل وجود (أم) في الكلام.

(٨) في الأصل: عمرو. وهو تحريف.

٣٩٠٠ - لَمْ^(١) أَنْسَ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَقَفَّتْهَا وَطَرَفُهَا فِي دُمُوعِهَا غَرِقَ
وَقَوْلُهَا وَالرَّكَّابَ واقِفَةً تَشْرُكُنِي هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ^(٢)

أي: أترككني. يقول: تمنّ عليّ أن ربيّتي وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملة القبيحة^(٣). أو يريد: كيف تُمنّ عليّ بالتربية، وقد استعبدت قومي؟ ومن أمّين قومه ذلّ، فتعبّدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إليّ^(٤).

وقال الحسن: إنك استعبدت بني إسرائيل، فأخذت أموالهم وأنفقت منها عليّ فلا نعمة لك بالتربية^(٥). وقيل: إن الذي تولى تربيتي هم الذين استعبدتهم فلا نعمة لك عليّ، لأن التربية كانت من قبل أمي ومن قومي، ليس لك إلا مجرد الاسم، وهذا ما يعدّ إنعاماً^(٦). وقيل: معناه: تُمنّ عليّ بالتربية وأنت لولا استعبادك بني إسرائيل وقتلك أولادهم لما دُفعت إليك حتى ربيّتي وكفلتني، فإنه كان لي^(٧) من أهلي من يربّيني ويكفلني، ولم يلقوني في اليَمِّ، فأني نعمة لك عليّ^(٨). وقيل: معناه أنك تدّعي أن بني إسرائيل عبيدك، ولا مئة للمولى على العبد في تربيته^(٩).

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ (٢٥) قَالَ رِجْزٌ رَبٌّ أَبَايَكُمْ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لِمَنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوْلَوْ جِسْمُكَ بَشَرٌ مِثْلِي (٣٠) قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ (٣١) ﴿

قوله تعالى: «وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ» إنما أتى بـ «مَا» دون «مَنْ» لأنها يسأل بها عن طلب الماهية^(١٠)، كقولك^(١١): ما العنقاء^(١٢)؟ ولما كان جواب هذا السؤال لا يمكن

(١) في ب: ألم.

(٢) البيتان من بحر البسيط، قالهما عمر بن أبي ربيعة، وليسا في ديوانه وهما في القرطبي ٩٦/١٣. والشاهد فيهما حذف همزة الاستفهام في (تتركني)، إذ الأصل: أترككني. وليس في الكلام (أم).

(٣) انظر البغوي ٢٠٩/٦ - ٢١٠. (٤) المرجع السابق ٢١٠/٦.

(٥) انظر الفخر الرازي ١٢٦/٢٤. (٦) المرجع السابق.

(٧) لي: سقط من ب. (٨) انظر البغوي ٢١٠/٦.

(٩) انظر الفخر الرازي ١٢٦/٢٤.

(١٠) ماهية الشيء: ما به الشيء هو هو وهي من حيث هي لا موجودة ولا كلي ولا جزئي ولا خاص ولا عام. التعريفات ١٩٥.

(١١) في الأصل: قوله.

(١٢) العنقاء: طائر متروهم لا وجود له. المعجم الوسيط (عنق) ٦٥٥/٢.

عدل موسى - عليه السلام^(١) - إلى جواب ممكن، فأجاب بصفاته تعالى، وخصّ تلك الصفات^(٢) لأنه لا يشاركه فيها أحد، وفيه إبطال لدعواه أنه إله^(٣).

وقيل: جهل السؤال فأتى بـ «ما» دون «من». وليس بشيء^(٤).

وقيل: إنما سأل عن الصفات، ذكره أبو البقاء^(٥).

وليس بشيء، لأن أهل البيان نَصُّوا على أنها يطلب بها الماهيات^(٦)، وقد جاء بـ «من» في قوله: ﴿فَمَنْ زَكَّاهُ يَكُونِ﴾ [طه: ٤٩].

فصل

اعلم أن فرعون لم يقل: «وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ» إلا وقد دعاه موسى إلى طاعة رب العالمين، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَٰ فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] فلا بد من أنهما قالاً ذلك حين دخلا عليه، فعند ذلك قال فرعون: «وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ»^(٧) يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إليّ يستوصفه إلهه الذي أرسل إليه؟ وهو سؤال عن جنس الشيء، والله منزّه عن الجنسية. فأجابه موسى - عليه السلام^(٨) - بذكر أفعاله التي يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، فقال: «رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ» أنه خلقها.

قال أهل المعاني: كما توقنون هذه الأشياء التي تعابونها، فأيقنوا أن إله الخلق هو الله عزّ وجل^(٩).

قوله: «وَمَا بَيْنَهُمَا» عاد ضمير التثنية على جمعين اعتباراً بالجنسين، كما فعل ذلك في قوله:

٣٩٠١ - بَيْنَ رَمَاحِي مَالِكٍ وَنَهْشِلٍ^(١٠)

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٢) أي: «رب السموات والأرض...».

(٣) انظر البحر المحيط ١٢/٧.

(٤) قال أبو البقاء: (وقيل: جهل حقيقة السؤال، فجاء موسى بحقيقة الجواب) التبيان ٩٩٥/٢.

(٥) قال أبو البقاء: (إنما جاء بـ «ما» لأنه سأل عن صفاته وأفعاله، أي: ما صفته؟ وما أفعاله؟ ولو أراد العين لقال: «من»)، ولذلك أجابه موسى - عليه السلام - بقوله: «رب العالمين» (التبيان ٩٩٥/٢).

(٦) ماهية الشيء: حقيقته، وتطلق غالباً على الأمر المتعقل، مثل المتعقل من الإنسان وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي، والأمر المتعقل من حيث إنه مقول في جواب ما هو؟ يسمى ماهية... التعريفات ١٩٥.

(٧) انظر الفخر الرازي ١٢٧/٢٤. (٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٩) انظر البغوي ٢١٠/٦ - ٢١١. الإيضاح (١٣٨).

(١٠) من الرجز، قاله أبو النجم العجلي، وقيل: ثقلت من أول التثقل. وهو في ابن يعيش ١٥٣/٤، ١٥٥، اللسان (بقل)، البحر المحيط ١٢/٧، شرح شواهد الشافعية ٣١٢/٤. مالك: قبيلة من هوازن. نهشل: قبيلة من ربيعة. الشاهد فيه أنه جعل رماح مالك جنساً، ورماح نهشل جنساً آخر فقال: رماحي بالتثنية.

ولما ذكر موسى - عليه السلام^(١) - هذا الجواب الحق تحير فرعون في جواب موسى، فقال لمن حوله من أشرف قومه - قال ابن عباس: كانوا خمسمائة^(٢) - : «أَلَا تَسْتَمِعُونَ» على سبيل التعجب من جواب موسى، يعني: أنا أطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية^(٣). وقيل: استبعد جواب موسى وقال: «أَلَا تَسْتَمِعُونَ» لأنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم، فزادهم موسى بياناً فقال: «رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ» فعدل عن التعريف بخالقية السموات والأرض إلى التعريف بكونه تعالى خالقاً لنا ولآبائنا، وذلك لأنه^(٤) يمكن أن يعتقد أن السموات والأرضين^(٥) واجبة لذواتها، فهي غنية عن الخالق، ولا يمكن أن يعتقد في نفسه وفي آبائه وأجداده [كونهم واجبين لذواتهم، لأن المشاهدة دلّت على أنهم وجدوا]^(٦) بعد العدم، وعدموا بعد الوجود، وما كان كذلك استحال أن يكون واجباً لذاته، واستحال وجوده إلا بالمؤثر، فكان التعريف بهذا الأثر أظهر، فلهذا عدل موسى - عليه السلام^(٧) - إليه، فقال فرعون: «إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» يعني: أن المقصود من سؤالنا طلب الماهية والحقيقة، والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد البتة تلك الخصوصية فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلاً عن أن يجيب عنه، فقال موسى - عليه السلام^(٨) - : «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» فعدل إلى طريق ثالث أوضح من الثاني، وذلك أنه أراد بـ «الْمَشْرِقِ» طلوع الشمس وظهور النهار، وأراد بـ «الْمَغْرِبِ»: غروب الشمس وزوالها، والأمر ظاهر؛ لأن التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم إلا بتدبير مدبر، وهذا بعينه طريقة إبراهيم - عليه السلام - مع نمرود، فإنه استدل أولاً بالإحياء والإماتة، وهو الذي ذكره إبراهيم - عليه السلام - بقوله: «رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ» فأجابه نمرود: «أَنَا أَنَا - وَأُمِّيَّتٌ» [البقرة: ٢٥٨] فقال: «إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ» وهو^(٩) الذي ذكره موسى - عليه السلام^(١٠) - بقوله: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وأما قوله: «إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» فكانه - عليه السلام - قال: إن كنت من العقلاء عرفت أنه لا جواب عن سؤالك إلا ما ذكرت، لأنك طلبت مني تعريف حقيقته، ولا يمكن^(١١) تعريف حقيقته بنفس حقيقته، ولا بأجزاء حقيقته، فلم يبق إلا أن أعرف حقيقته بآثار حقيقته، وقد عرفت حقيقته بآثار حقيقته، فمن كان عاقلاً يقطع بأنه لا جواب عن

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٢) انظر البغوي ٢١١/٦.

(٣) في ب: بالفاعل.

(٤) في ب: أنه.

(٥) في ب: والأرض.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٩) في ب: وهذا.

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١١) في ب: ولا يكون.

سؤالك إلا ما ذكرته. وأعلم أن حقيقته غير معقولة للبشر، فيستحيل^(١) من موسى - عليه السلام^(٢) - أن يذكر ما تعرف (به تلك)^(٣) الحقيقة، إلا أن عدم العلم بتلك الخصوصية لا يقدح في صحة الرسالة، فلما انقطع فرعون عن الجواب ولزمته الحجة تكبر عن الحق، وعدل إلى التخويف، وقال: «لَئِنْ أَتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ»^(٤): المحبوسين. قال الكلبي: كان سجنه أشد من القتل، لأنه^(٥) كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فرداً لا يسمع ولا يبصر فيه شيئاً يهوي به في^(٦) الأرض^(٧).

وقال: «لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ» ولم يقل: «لَأَسْجُنَنَّكَ» وهو أخص منه؛ لأن فيه مبالغة ليست في ذاك، أو^(٨) معناه: لأجعلنك ممن عرفت حاله في سجون^(٩) فعند ذلك ذكر موسى كلاماً مجملًا ليعلق قلبه به فيعدل عن وعيده، فقال «أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ» أي: هل يحسن أن يذكر هذا مع اقتداري على أن آتيك بدليلين يدلان على وجود الله، وعلى أنني رسوله. فعند ذلك قال: «فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ». وإنما قال موسى ذلك لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد البيان، فقال فرعون: «فَأَتِ بِهِ» فإننا لن نسجنك حينئذ «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ»^(١٠) فإن قيل: كيف قطع الكلام بما لا تعلق له بالأول، وهو قوله: «أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ»^(١١) أي: بآية^(١٢) بيّنة، والمعجز لا يدل على الله لدلالة سائر ما تقدم؟

فالجواب: بل يدل على ما أراد أن يظهره من انقلاب العصا حيّة على الله، وعلى توحيده، وعلى أنه صادق في ادعاء الرسالة، فالذي ختم به كلامه أقوى من كل ما تقدم^(١٣). والواو في قوله: «أَوْ لَوْ جِئْتُكَ» واو الحال، دخلت عليها همزة الاستفهام، والمعنى: أنفعل بي ذلك ولو جئتُك بشيء مبين؟ أي: جاثياً بالمعجزة^(١٤) وقال الحوفي: «هي واو العطف»^(١٥). وتقدم تحرير هذا عند قوله: «أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ»^(١٦) في البقرة، وغالب الجمل هنا تقدم إعرابها.

قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (٣٢) وَرَجَّ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ

(١) في ب: ليستحيل.

(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) به تلك: تكملة من الفخر الرازي.

(٤) انظر الفخر الرازي ١٢٩/٢٤ - ١٣٠.

(٥) في ب: لأن.

(٦) في ب: إلى.

(٧) انظر البغوي ٢١٢/٦.

(٨) في ب: و.

(٩) انظر الكشاف ١١٢/٣.

(١٠) انظر الفخر الرازي ١٢٩/٢٤ - ١٣٠.

(١١) مبين: مكرر في ب.

(١٢) في ب: بأنه. وهو تحريف.

(١٣) انظر الفخر الرازي ١٢٩/٢٤ - ١٣٠.

(١٤) انظر الكشاف ١١٢/٣.

(١٥) انظر البحر المحيط ١٤/٧.

(١٦) من قوله تعالى: ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

﴿٣٢﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٤﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَّبِعْ فِي الدَّائِنِ خَشِيرَتَهُ ﴿٣٥﴾ يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُبَانٌ مَّنِيٌّ وَرَجَّ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِ﴾: واعلم أن قوله: «أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ» يدل على أن الله تعالى عرفه قبل إلقاء العصا بأنها تصير ثعباناً، فلذلك^(١) قال ما قال، فلما ألقى موسى^(٢) عصاه وصارت ثعباناً، روي أنها لما انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل، ثم انحطت مقبلة إلى فرعون تقول: يا موسى، مرني بما شئت، ويقول فرعون: (يا موسى)^(٣) أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها، فأخذها فعادت عصا^(٤). فإن قيل: كيف قال: «ثُبَانٌ مَّنِيٌّ» وفي آية أخرى: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه: ٢٠] وفي آية الثالثة: ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ [القصص: ٣١] والجآن مائل إلى الصغر، والثعبان إلى الكبر؟

فالجواب: أن الحية اسم الجنس، ثم لكبرها صارت ثعباناً، وشبهها بالجان لخفتها، وسرعتها^(٥)، فصح الكلامان. ويحتمل أنه شبهها بالشیطان لقوله: ﴿وَالْمَآءَ حَلَقَتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ تَارِ السَّمُورِ﴾ [الحجر: ٢٧]. ويحتمل أنها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعباناً^(٦) ثم إن موسى - عليه السلام^(٧) - لما أراه آية العصا قال فرعون: «هل غيرها؟» قال: نعم، فأراه يده، ثم أدخلها جيبه، ثم أخرجها «فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ» تضيء الوادي من شدة بياضها من غير برص، لها شعاع كشعاع الشمس. فعند هذا أزداد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر أموراً:

أحدها: قال لهم: «إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ» وكان زمانهم زمان السحرة، فأوهمهم أن هذا كبير من السحرة.

وثانيها: قال: «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ» وهذا موجب للتفسير عنه لثلا يقبلوا قوله، والمعنى: يفرق جمعكم بما يلقيه من العداوة بينكم^(٨)، ومفارقة الوطن أصعب الأمور، وهذا نهاية ما يفعله المضل المنفر عن المحق.

وثالثها: قوله: «فَمَاذَا تَأْمُرُونَ» أي: ما رأيكم فيه، فأظهر لهم من نفسه أنه متبع لرأيكم، ومثل هذا يوجب جذب القلوب، وانصرافها عن العدو^(٩) قوله: «حَوْلَهُ» حال من

(١) في ب: فكذلك. وهو تحريف.

(٢) موسى: سقط من ب.

(٣) يا موسى: تكلمة من الفخر الرازي.

(٤) انظر الفخر الرازي ١٣١/٢٤.

(٥) بينكم: سقط من ب.

(٦) انظر الفخر الرازي ١٣٢/٢٤.

(٧) في ب: أو سرعتها.

«الْمَلَأَ»^(١)، ومفعول القول قوله: «إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ» وقيل: صلة «لِلْمَلَأَ»، فإنه بمعنى «الَّذِي». وقيل: الموصول محذوف. وهما قولان للكوفيين. قال الزمخشري: «فَإِنْ قُلْتَ: قوله تعالى: (لِلْمَلَأَ حَوْلَهُ) فما العامل في (حَوْلَهُ)؟ قلت: هو منصوب نصبين: نصب في اللفظ، ونصب في المحل. فالعامل في النصب اللفظي ما تقدم في الظرف، والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال»^(٢).

قوله: «أَرْجِهْ وَأَخَاهُ». لما قال لهم فرعون تلك الكلمات اتفقوا على جواب واحد، وهو قولهم: «أَرْجِهْ» قرئ: «أَرْجِهْ وَأَرْجِئْهُ وَأَرْجِئْهُ»^(٣) (بالهمز والتخفيف)^(٤)، وهما لغتان، يقال: أَرْجِئْهُ وأَرْجِئْتَهُ (أَرْجِئْتَهُ) إذا أخرته. والمعنى: أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة. وقيل: «أحبسه»^(٥) «وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُواكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ» أشاروا عليه بإنفاذ حاشرين يجمعون السحرة، ظناً منهم بأنهم إذا كثروا غلبوه وكشفوا حاله. وعارضوا^(٦) قوله: «إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ» بقولهم: «بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ» فجاءوا بكلمة الإحاطة، وبصيغة المبالغة ليطيّبوا قلبه^(٧).

قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَبْنِئَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْفَالِغِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَالِغِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمَقْرِينَ (٤٢)

قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾. اليوم المعلوم: يوم الزينة^(٩).

قال ابن عباس: وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة، وهو يوم النيروز^(١٠) وميقاته: وقت الضحى، لأنه الوقت الذي وقّت لهم موسى - عليه السلام^(١١) - من يوم الزينة في قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾^(١٢) يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحًى^(١٣) [طه: ٥٩].

(١) انظر تفسير ابن عطية ١١/١٠٥، التبيان ٢/٩٩٥.

(٢) في النسختين: أَرْجِئْهُ وَأَرْجِئْهُ وَأَرْجِئْهُ.

(٣) الكشف ٣/١١٣.

(٤) قوله: «أَرْجِهْ وَأَخَاهُ» قرأه ابن كثير وهشام بهززة ساكنة، ويصلان الهاء بواو في الوصل، وكذلك قرأ أبو عمرو، غير أنه يضم الهاء، ولا يصلها بواو، وقرأ ابن ذكوان بهززة ساكنة ويكسر الهاء، من غير أن يصلها بياء، وكذلك قرأ قالون، غير أنه لم يهزم. وقرأ ورش والكسائي بغير هز، ويصلان الهاء بياء في الوصل، وقرأ حزة وعاصم بإسكان الهاء من غير هز. والهمز في هذا الفعل وتركه لغتان، يقال: أَرْجِئْهُ وَأَرْجِئْهُ بمعنى: أخرته. السبعة (٢٨٧ - ٢٨٩)، الكشف ١/٤٧٠ - ٤٧١، التبيان ٢/٢١٣.

(٥) ما بين القوسين مكرر في ب. (٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٣٢.

(٧) في ب: وعارضوه. (٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٣٢.

(٩) انظر البغوي ٦/٢١٣، الفخر الرازي ٢٤/١٣٣.

(١٠) انظر البغوي ٦/٢١٣. (١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٢) في ب: من عدوكم. وهو تحريف. (١٣) انظر الكشف ٣/١١٣، الفخر الرازي ٢٤/١٣٣.

قوله: «وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ». والمعنى: أنهم بعثوا على الحضور ليشاهدوا ما يكون من الجانبين ولمن تكون الغلبة، وكان موسى - عليه السلام^(١) - يطلب ذلك ليظهر حجته عليهم عند الخلق العظيم^(٢).

قوله: «لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ». أي نرجو أن تكون الغلبة لهم «إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِيِينَ» لموسى. وقيل: إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء. وأرادوا بـ «السَّحَرَةَ»: موسى وهارون وقومهما^(٣). «فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأْجُزُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرِبِينَ». [فابتدءوا بطلب الجزاء، وهو إما المال وإما الجاه، فبذل لهم ذلك وأكد به قوله: «وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرِبِينَ»]^(٤) لأن نهاية مطلوبهم البذل ورفع المنزلة^(٥).

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٤٣) ﴿قَالُوا جَاهِلْمُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤) ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٤٥) ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَاجِدِينَ﴾ (٤٦) ﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْمَالِيْنَ﴾ (٤٧) ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (٤٨)

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾. اعلم أنهم لما اجتمعوا كان لا بد من ابتداء موسى أو ابتداءهم، ثم إنهم تواضعوا فقدّموه على أنفسهم، وقالوا له: ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ لَكُنْ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥] فلما تواضعوا له تواضع هو أيضاً لهم^(٦) فقدّمهم على نفسه، وقال: «أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ»^(٧). فإن قيل: كيف جاز لموسى - عليه السلام^(٨) - أن يأمر السحرة بإلقاء الحبال والعصي، وذلك سحر وتلييس وكفر، والأمر بمثله لا يجوز؟ فالجواب: ليس ذلك بأمر، لأن مراد موسى - عليه السلام^(٩) - منهم أن يؤمنوا به، ولا يقدموا^(٩) على ما يجري مجرى المقاتلة، وإذا ثبت ذلك وجب تأويل صيغة الأمر، وفيه وجوه:

أحدها: أن ذلك الأمر كان مشروطاً، والتقدير: ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محقين، كقوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا أَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٣] أي: إن كنتم قادرين.

وثانيها: لما تعين ذلك طريقاً إلى كشف الشبهة صار جائزاً.

وثالثها: أن هذا ليس بأمر، بل هو تهديد، أي^(١٠): إن فعلتم ذلك أتينا بما يبطله،

كقول القائل: «لئن رميتني لأفعلن ولأصنعن» ثم يفوق^(١١) له السهم فيقول له: «إرم» فيكون ذلك منه تهديداً.

(٢) انظر الفخر الرازي ١٣٣/٢٤.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) في ب: هو لهم أيضاً.

(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) في ب: أو. وهو تحريف.

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) المرجع السابق.

(٥) انظر الفخر الرازي ١٣٣/٢٤.

(٧) انظر الفخر الرازي ١٣٣/٢٤.

(٩) في ب: ولا يقدمون.

(١١) فاق السهم: وضع فوقه في الوتر ليزقى به. اللسان (فوق) المعجم الوسيط (فوق) ٧٣٢/٢.

ورابعها: أنهم لما تواضعوا^(١) (له)^(٢) وقدموه على أنفسهم فقدمهم على نفسه رجاء أن يصير تواضعه سبباً لقبول الحق، ولقد حصل ببركة ذلك التواضع ذلك المطلوب^(٣).

قوله: «فَالْقُلُوبُ جَبَالُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ». روي عن ابن عباس قال: كانت مطلية بالزئبق، والعصي مجوفة مملوءة من الزئبق، فلما حميت اشتدت حركتها، فصارت كأنها حيات تدب من كل جانب من الأرض^(٤).

قوله: «بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ». يجوز أن يكون قَسَمًا^(٥)، وجوابه: «إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ» ويجوز أن يتعلق بـ «الْعَالِيُونَ» لأن ما في حيز «إِنْ» لا يتقدم عليها.

قوله: «فَالْقُلُوبُ جَبَالُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ» تقدم خلاف القراءة في «تَلَقَّفَ»^(٦) وقال ابن عطية هنا: وقرأ البرزني وابن فليح^(٧) بشدّ التاء وفتح اللام وشد^(٨) القاف^(٩) ويلزم على هذه القراءة إذا ابتداء أن يَجْلِبَ^(١٠) همزة الوصل، وهمزة الوصل لا تدخل على الأفعال المضارعة، كما لا تدخل على أسماء الفاعلين^(١١). قال أبو حيان: كأنه يُخَيَّلُ إليه أنه لا يمكن الابتداء بالكلمة إلا باجتلاب همزة الوصل، [وهذا ليس بلازم (و)^(١٢) كثيراً ما^(١٣) يكون الوصل]^(١٤) مخالفاً للوقف، والوقف مخالفاً للوصل، ومن له تَمَرُّون في القراءات عرف ذلك^(١٥). قال شهاب الدين: يريد قوله: (فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفَتْ) فإن البرزني يشدد التاء^(١٦)، إذ الأصل: «تَتَلَقَّفُ» بتاءين، فأدغم، فإذا وقف على «هِيَ» وابتداء «تَتَلَقَّفُ» فحقه أن يَفُكَّ ولا يدغم لثلاث^(١٧) يُبْتَدَأُ بساكن وهو غير ممكن، وقول ابن عطية: «ويلزم على هذه القراءة... إلى آخره» تضعيف للقراءة لما ذكره هو من أن همزة الوصل لا تدخل على الفعل المضارع، ولا يمكن الابتداء بساكن، فمن ثَمَّ ضَعُفَتْ.

(١) في الأصل: تواضعوه. (٢) له: تكمله من الفخر الرازي.

(٣) انظر الفخر الرازي ١٣٣/٢٤ - ١٣٤. (٤) انظر الفخر الرازي ١٣٤/٢٤.

(٥) انظر الكشف ١١٤/٣، تفسير ابن عطية ١٠٧/١١، الثبيان ٩٩٥/٢.

(٦) عند قوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ» [الأعراف: ١١٧].

(٧) هو عبد الوهاب بن فليح بن رباح، أبو إسحاق المكي، إمام أهل مكة في القراءة في زمانه، أخذ القراءة عن داود بن شبل، والحسن، وغيرهما وروى عنه الحسين بن محمد الحداد، وغيره، مات سنة ٢٥٠ هـ تقريباً. طبقات القراء ٤٨٠/١ - ٤٨١.

(٨) في ب: وتشديد.

(٩) رويت في القراءات السبعة المتواترة عن ابن كثير. السبعة (٤٧١) الإتحاف (٣٣١).

(١٠) في النسختين: يحذف. والتصويب من تفسير ابن عطية. وفي البحر المحيط كما في النسختين، فيبدو أن ابن عادل تابع أبا حيان في النقل عن ابن عطية.

(١١) تفسير ابن عطية ١٠٨/١١. (١٢) و: تكملة ليست في المخطوط.

(١٣) في الأصل: بل ما. (١٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٥) البحر المحيط ١٦/٧. (١٦) التاء: سقط من ب.

(١٧) في ب: ولا.

وجواب الشيخ بمنع الملازمة حسن إلا أنه كان ينبغي أن يبدل لفظة الوقف بالابتداء لأنه^(١) هو الذي وقع الكلام فيه، أعني: الابتداء بكلمة «تَلَقَّفُ»^(٢) [٣].

قوله: «فَأَلْقَى» قال الزمخشري: «فإن قلت: فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به؟ قلت: هو الله - عز وجل^(٤) -، ثم قال: ولك ألا تقدر فاعلاً، لأن «أَلْقَوْا»^(٥) بمعنى: خروا وسقطوا»^(٦). قال أبو حيان: وهذا ليس بشيء؛ لأنه لا يبنى الفعل للمفعول إلا وله فاعل ينوب المفعول به عنه، أما أنه لا يقدر له فاعل فقول ذاهب عن الصواب^(٧).

فصل

تقدم الكلام على نظير هذه الآية^(٨)، واعلم أن السحرة لما شاهدوا أمراً خارجاً عن حدّ السحر لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين و «قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٩).

قوله: «رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ». عطف بيان لـ «رَبِّ الْعَالَمِينَ» لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا^(١٠) عزله. ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام: أنه الذي دعا موسى وهارون - عليهما السلام^(١١) - إليه^(١٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ آذَنْ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْتَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

قوله: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ آذَنْ لَكُمْ﴾ الآيات. لما آمنوا بأجمعهم لم يأمن فرعون أن يقول قومه: إن هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا إلا عن مغرقة بصحة أمر موسى - عليه السلام^(١٣) - فيسلكون^(١٤) طريقهم، فلبس على القوم وبالغ في التنفير عن موسى من وجوه:

أحدها: قوله: «قَبْلَ أَنْ آذَنْ لَكُمْ». والمعنى: إن مسارعتكم إلى الإيمان به دالة

(١) في ب: إلا أنه. وهو تحريف. (٢) الدر المصون ١٥٤/٥.

(٣) ما بين القوسين في الأصل: ما تلقف. (٤) في ب: هو الله تعالى.

(٥) في النسخين: ألقى. (٦) الكشف ١١٤/٣.

(٧) البحر المحيط ١٦/٧.

(٨) عند قوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ» [الأعراف: ١١٧].

(٩) انظر الفخر الرازي ١٣٤/٢٤.

(١٠) في النسخين: فأراد. والتصويب من الفخر الرازي.

(١١) في ب: عليهما الصلاة والسلام. (١٢) انظر الفخر الرازي ١٣٥/٢٤.

(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٤) في ب: ويسلكون.

على ميلكم إليه فتطرق التهمة إليهم فلعلهم قصرُوا في السحر حياله .

وثانيها: قوله: «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ» وهذا تصريح بما رمز به^(١) أولاً، وتعريض منه بأنهم فعلوا ذلك عن مواطأة بينهم وبين موسى، وقصروا في السحر ليظهرُوا أمر موسى، وإلا ففي قوة السحرة^(٢) أن يفعلوا مثل ما فعل، وهذه شبهة قوية في تنفير من قبل.

وثالثها: قوله: «فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» وهو وعيد وتهديد شديد.

ورابعها: قوله: «لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمِيعًا» وهذا الوعيد المفصل، وليس في الإهلاك أقوى منه، ثم إنهم أجابوا عن هذه الكلمات من وجهين:

الأول: قوله: «لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ»^(٣) والضير والمضرة واحد، وليس المراد أن ذلك وقع، وإنما عنوا بالإضافة إلى ما عرفوه من دار الجزاء.

والجواب الثاني: قوله: «إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا» وهو إشارة منهم إلى الكفر والسحر وغيرهما. والطمع في هذا الموضع يحتمل اليقين، كقول إبراهيم - عليه السلام^(٤) -: «وَالَّذِي أَطْمَعُ»^(٥). ويحتمل الظن، لأن المرء لا يعلم ما سيختاره من بعد^(٦). قوله: «أَنْ كُنَّا». قرأ العامة بفتح «أَنْ» أي: لأن كُنَّا بينوا القول بالإيمان وقرأ أبان بن تغلب وأبو معاذ^(٧) بكسر الهمزة^(٨)، وفيه وجهان:

أحدهما: أنها شرطية، والجواب محذوف لفهم المعنى^(٩)، أو متقدم عند من يجيزه^(١٠). نظيره قول القائل^(١١): «إِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ فَوْقَنِي حَقِّي» مقولة لمن يؤخر جعله^(١٢).

والثاني: أنها المخففة من الثقيلة، واستغني عن اللام الفارقة^(١٣) لإرشاد المعنى إلى الثبوت دون النص^(١٤) كقوله:

(١) في الأصل: زمزم. وهو تحريف. (٢) في النسختين: السحر. والتصويب من الفخر الرازي.

(٣) في الأصل: لمنقلبون. وهو تحريف. (٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٥) من قوله تعالى: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» الآية ٨٢ من السورة نفسها.

(٦) انظر الفخر الرازي ١٣٥/٢٤ - ١٣٦.

(٧) هو الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي، روى القراءة عن خارجة بن مصعب، وروى عنه الليث بن مقاتل، وغيره مات سنة ٢١١ هـ. طبقات القراء ٩/٢.

(٨) المختصر (١٠٦)، دون عزو إلى قارئ، المحتسب ١٢٧/٢، منسوبة إلى أبان بن تغلب، البحر المحيط ١٦/٧.

(٩) هذا التخريج على مذهب البصريين. انظر المحتسب ١٢٨/٢ - ١٢٩، البحر المحيط ١٦/٧، الهمع ٦١/٢.

(١٠) هذا التخريج على مذهب الكوفيين والأخفش وأبي زيد والمبرد الذين يجيزون تقديم جواب الشرط عليه. انظر البحر المحيط ١٦/٧، الهمع ٦١/٢.

(١١) في ب: العامل. (١٢) الكشف: ١١٥/٣.

(١٣) في ب: العارفة. وهو تحريف. (١٤) وهو قول أبي حيان. البحر المحيط ١٦/٧.

٣٩٠٢ - وَإِنْ مَالِكَ كَانَتْ كِرَامُ الْمَعَادِينِ^(١)

وفي الحديث: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(٢) - يَحِبُّ الْعَسْلَ» أي: لِيَحِبُّهُ^(٣). والمعنى على الأول^(٤): «لَأَنَّ كِنَا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ حَضَرُوا ذَلِكَ الْمَوْقِفَ، أَوْ يَكُونُ الْمَرَادُ: مِنَ السَّحَرَةِ خَاصَّةً، أَوْ مِنْ رَعِيَةِ فِرْعَوْنَ، أَوْ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ»^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾^(٥٢) ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ خَبْرِينَ﴾^(٥٣) ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾^(٥٤) ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَافِطُونَ﴾^(٥٥) ﴿وَأَنَّا لَجَمِيعٌ خَدِرُونَ﴾^(٥٦) ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾^(٥٧) ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾^(٥٨) ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^(٥٩) ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُتْرِفِينَ﴾^(٦٠) ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾^(٦١) ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(٦٢)

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾. قرئ: «أَسْرٍ» بقطع الهمزة ووصلها^(٦).

لما ظهر من أمر موسى - عليه السلام^(٧) - ما شاهدوه أمره الله أن يخرج بني إسرائيل، لما كان في المعلوم من تدبير الله وتخليصه من القوم وتمليكه بلادهم وأموالهم، ولم يأمن^(٨). وقد جرت تلك الغلبة الظاهرة أن يقع من فرعون بني إسرائيل ما يؤدي إلى الاستئصال، فلذلك^(٩) أمره الله تعالى أن يسري بني إسرائيل، وهم الذين آمنوا، وكانوا

(١) عجز بيت من بحر الطويل قاله الطرماح بن حكيم، وصدره:

أنا ابن أباة الضميم من آل مالك

وهو في ديوانه (٥١٢)، البحر المحيط ١٦/٧، شرح التصريح ٢٣١/١، الهمع ١٤١/١، الأسموني ٢٨٩/١، الدرر ١٨١/١. آباءة: جمع آب كقضاة جمع قاض من أبي إذ امتنع، الضميم: الظلم، مالك: اسم أبي القبيلة، ومالك الثاني هو القبيلة، ولذلك قال: كانت. بتأنيث الفعل، وصرفها مراعاة للحي. والشاهد فيه حذف اللام الفارقة من خبر (إن) المخففة من الثقلية لدلالة المقام عليها إذ إن المقام للمدح وتوهم النفي هنا ممتنع.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) يعني بالحديث الخبر لا حديث رسول الله ﷺ - فقد روي عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ - يحب الحلواء والعسل». أخرجه البخاري (طلاق) ٢٧١/٣، (أطعمة) ٢٩٨/٣، (أشربة) ٣٢٥/٣، الترمذي (أطعمة) ١٧٨/٣، أبو داود (أشربة) ١٠٧/٤، ابن ماجه (أطعمة) ١١٠٢/٢، أحمد ٥٠٩/٦.

(٤) أي على قراءة العامة. (٥) انظر الفخر الرازي ١٣٦/٢٤.

(٦) قرأ ابن كثير ونافع: «أن أسر» بكسر النون والراء من سريت، وقرأ الباقر «أن أسر» من أسريت. وهما لغتان. السبعة (٤٧١)، الكشف ٥٣٥/١، الإنحاف (٣٣٢).

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٨) في ب: ولم يأمره.

(٩) في ب: فكذلك. وهو تحريف.

من قوم موسى - عليه السلام^(١) - . واعلم أن في الكلام حذفاً، وهو أنه أسرى بهم كما أمره الله تعالى، ثم إن قوم موسى قالوا لقوم فرعون: «إن لنا في هذه الليلة عيداً»، ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب، ثم خرجوا بتلك^(٢) الأموال في الليل إلى جانب البحر، فلما سمع فرعون ذلك أرسل في المدائن حاشرين^(٣) يحشرون الناس، يعني الشرط ليجمعوا السحرة^(٤). وقيل: ليجمعوا له الجيش^(٥) روي أنه كان له ألف مدينة واثنان عشر ألف قرية^(٦). و «حَاشِرِينَ» مفعول «أُرْسِلَ» ثم إنه قوى نفسه ونفس^(٧) قومه بأن وصف قوم موسى بالذم، ووصف قوم نفسه بالمدح^(٨)، أما وصفه قوم موسى - عليه السلام^(٩) - بالذم، فقال: «إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ» [معمول لقول مضمّر^(١٠)] أي: قال: إن هؤلاء، وهذا القول يجوز أن يكون حالاً، أي: أرسلهم قائلاً ذلك، ويجوز أن يكون مفسراً لـ «أُرْسِلَ». والشِرْذِمَةُ: الطائفة من الناس^(١١) وقيل: كل بقية من شيء خسيس يقال لها: شردمة^(١٢). ويقال: ثوب شرادم، أي: أخلاق، قال:

٣٩٠٣ - جَاءَ الشُّتَاءُ وَقَمِصِي أَخْلَاقٍ شَرَادِمٌ تَضَحْكُ مِنْهُ الْخُلَاقُ^(١٣)
وأشد أبو عبيدة:

٣٩٠٤ - فِي شَرَادِمِ النِّعَمِ^(١٤)

وجمع الشردمة: شرادم، فذكرهم بالاسم الدال على القلة، ثم جعلهم قليلاً بالوصف، ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً، واختار جمع السلامة الذي هو جمع القلة.

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٢) في ب: تلك.

(٣) انظر الفخر الرازي ١٣٦/٢٤ - ١٣٧.

(٤) انظر البغوي: ٢١٥/٦. (٥) في الأصل: ونفسه. وهو تحريف.

(٦) انظر الفخر الرازي ١٣٧/٢٤. (٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٨) انظر الكشاف ١١٥/٣. (٩) ما بين القوسين في ب: معمولاً لقول مضميراً.

(١٠) انظر مجاز القرآن ٨٦/٢. (١١) انظر مجاز القرآن ٨٦/٢.

(١٢) رجز مجهول القائل، وهو في معاني القرآن للفراء ٤٢٧/١، ٨٧/٢، تفسير ابن عطية ١١/١١، القرطبي ١٠١/١٣، اللسان (توق)، خلق، شرذم، البحر المحيط ٣/٧، الخزانة ٢٣٤/١. وروي (التواق)، وهو الذي يروض الأمور ويصلحها. وروي (التواق) وهو ابن الشاعر. ويقال: نفس تواق، أي: مشتاقة. أخلاق: جمع خلق، وهو البالي. ووصف المفرد بالجمع باعتبار أجزائه، الشرادم: جمع شردمة، وهي الجماعة القليلة من الناس، وثياب شرادم: أخلاق متقطعة، وثوب شرادم: قطع، وجمع في البيت ثم وصف باعتبار أجزاء الثوب التي يتألف منها. وهذا موطن الشاهد.

(١٣) قال أبو عبيدة: «(إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) أي: طائفة، وكل قليلة فهي شردمة قال:

يَحْذِينَ فِي شَرَادِمِ النِّعَمِ

أي مقطع النعال وبقاياها) مجاز القرآن ٨٦/٢. وهذا الجزء من البيت مجهول القائل، وهو في تفسير ابن عطية ١١/١١، البحر المحيط ٣/٧.

ويجوز أن يريد بالقللة الذلة، لا قلة العدو، أي: إنهم لقلتهم لا يبالى بهم^(١).

قال ابن عباس: كان الشرذمة الذين قتلهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لا شاب فيهم دون عشرين^(٢) سنة، ولا شيخ^(٣) يوفي على الستين سوى الحشم^(٤)، وفرعون يقللهم لكثرة من معه^(٥). وهذا الوصف قد استعمل في الكثير عند الإضافة إلى ما هو أكثر منه، فروي أن فرعون خرج على فرس أدهم حصان وفي عسكره على لون فرسه ثمانمائة^(٦) ألف^(٧).

قوله: «وَلَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ». يقال: غَاظَهُ وَأَغَاظَهُ وَغَيَّظَهُ: إذا أغضبه. والغَيْظ: الغضب^(٨). والمعنى: أنهم يفعلون أفعالاً تغيظنا. واختلفوا في تلك الأفعال. فقيل: أخذهم الحلبي وغيره. وقيل: خروجهم عن عبوديته. وقيل: خروجهم بغير إذنه. وقيل: مخالفتهم^(٩) له في الدين. وقيل: لأنهم لم يتخذوا فرعون إلهاً^(١٠).

وأما وصفه قومه فهو قوله: «وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ». قرأ الكوفيون^(١١) وابن ذكوان: «حاذرون» بألف. والباقون: «حذرون» بدونها^(١٢). فقال أبو عبيدة والزجاج: هما بمعنى واحد، يقال: رجل حذر^(١٣) وحاذر بمعنى^(١٤).

وقيل: بل بينهما فرق، فالحذر: المتيقظ. والحاذر: الخائف^(١٥). وقيل: الحذر: المخلوق مجبولاً على الحذر. والحاذر: ما عرض له ذلك^(١٦).

وقيل: الحذر: المتسلح الذي له شوكه سلاح^(١٧)، وأنشد سيبويه في إعمال «حذر» على أنه مثال مبالغة محول من حاذر قوله:

٣٩٠٥ - حَذِرْ أُمُوراً لَا تَضْبِرْ وَآمِنْ مَّا لَيْسَ مُنْجِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ^(١٨)

(١) انظر الكشف ١١٥/٣، الفخر الرازي ١٣٧/٢٤.

(٢) في ب: عشرون.

(٣) في ب: ولا ينسخ. وهو تحريف.

(٤) الحشم: خدم الرجل، سموا بذلك لأنهم يغضبون له. (اللسان: حشم).

(٥) انظر الفخر الرازي ١٣٧/٢٤.

(٦) في الفخر الرازي: ثلثمائة.

(٧) انظر الفخر الرازي ١٣٧/٢٤.

(٨) انظر اللسان (غيظ).

(٩) في ب: مخالفهم. وهو تحريف.

(١٠) انظر الفخر الرازي ١٣٧/٢٤.

(١١) وهم عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي.

(١٢) السبعة (٤٧١)، الكشف ١٥١/٢، النشر ٣٣٥/٢، الإتحاف (٣٣٢).

(١٣) حذر: مكرر في الأصل.

(١٤) قال أبو عبيدة: (حذر وحذر، وقوم حذرون وحاذرون) مجاز القرآن ٨٦/٢، فكأنه يرى المعنى فيها واحداً. وقال الزجاج: (فالحاذر المستعد، والحذر المتيقظ) معاني القرآن وإعرابه ٩٢/٤.

(١٥) انظر الكشف ١١٥/٣.

(١٦) انظر معاني القرآن للقرآن ٢٨٠/٢.

(١٧) انظر معاني القرآن للقرآن ٢٨٠/٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩٢/٤، التبيان ٩٩٦/٢.

(١٨) البيت من بحر الكامل، قيل: قاله أبا بن عبد الحميد اللاهقي، وضعه حينما سأله سيبويه عن شاهد لتعدي (فعل). وقيل: قاله عبد الله بن المقفع، وقد تقدم.

وزعم بعضهم أن سيبويه لما سأل: هل يحفظ شيئاً في إعمال «فَعِلَ»؟ صنع له هذا البيت، فغيب على سيبويه: كيف يأخذ الشواهد الموضوعة؟

وهذا غلط، فإن هذا الشخص قد أقر على نفسه بالكذب، فلا يقدح قوله في سيبويه. والذي ادعى أنه صنع البيت هو الأخفش^(١). و «حَذِرَ» يتعدى بنفسه، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال العباس بن مرداس^(٢):

٣٩٠٦ - وَإِنِّي حَازِرٌ أَنَّمِي سِلَاحِي إِلَى أَوْصَالِ ذِيَالٍ مَنِيْعٍ^(٣)

وقرأ ابن السميع وابن أبي عمار^(٤): «حَادِرُونَ»^(٥) بالذال المهملة^(٦) من قولهم: عين حدر، أي: عظيمة^(٧)، كقولهم:

٣٩٠٧ - وَعَيْنٌ لَهَا حَذْرَةٌ بِذَرَةٍ^(٨)

والمعنى: عظيماً. وقيل: الحادر: القوي الممتلئ، وحكي: رجل حادر، أي: ممتلئ غيظاً، ورجل حادر، أي: أحقق، كأنه ممتلئ من الحق قال:

٣٩٠٨ - أَحِبُّ الْغُلَامَ السُّوءَ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ وَأَبْقِضُهُ مِنْ بُغْضِهَا وَهُوَ حَادِرٌ^(٩)

ويقال أيضاً رجل [حَذَرٌ بزنة يقظ مبالغة في (حادر) من هذا المعنى^(١٠)، فصار يقال]^(١١) حَذِرٌ وَحَذَرٌ وَحَادِرٌ بالذال المعجمة والمهملة والمعنى مختلف.

(١) والذي ذكره البغدادي في الخزانة نقلاً عن المازني أن الذي فعل ذلك هو أبان اللاحقي. انظر الخزانة ١٧١/٨ - ١٧٢.

(٢) هو العباس بن مرداس الصحابي - رضي الله عنه - ابن أبي عامر بن حارثة أسلم قبل فتح مكة ببسبر، وأمه الخنساء الصحابية الشاعرة، وكان من المؤلفة قلوبهم. الخزانة ١٥٢/١ - ١٥٤.

(٣) البيت من بحر الوافر، وهو في مجاز القرآن ٨٦/٢، تفسير ابن عطية ١١٣/١١، واللسان (ذيل)، البحر المحيط ١٨/٧. وفي ب: (والى) بدل (وإنى)، (أعني) بدل (أنمي)، (صنيع) بدل (منيع). أنمي: أزيد وأمد. الأوصال: جمع وصل، وهو المفضل. الذيال: طويل الذيل المتبخر في مشيته. المنيع: القوي السريع. والشاهد فيه قوله (حادر) فإنه اسم فاعل من (حذر) وهو متعد إلى مفعول محذوف لدلالة المقام كأنه قال: حاذر عدوي.

(٤) لم أهتم إلى ترجمة له فيما رجعت إليه من مراجع.

(٥) في ب: حاذون. وهو تصحيف.

(٦) المختصر (١٠٦)، المحتسب ١٢٨/٢، البحر المحيط ١٨/٧.

(٧) انظر البحر المحيط ١٨/٧.

(٨) صدر بيت من بحر المتقارب قاله امرؤ القيس، وعجزه: شَتَّتَ مَاقِيَهُمَا مِنْ آخِرِ.

وهو في ديوانه (١٦٦)، القرطبي ١٠٢/١٣، اللسان (حذر)، المفضليات ٨٥٦.

(٩) البيت من بحر الطويل، لم أهتم إلى قائله، وهو في الكشاف ١١٥/٣، اللسان (حذر)، البحر المحيط

١٨/٧. والشاهد فيه قوله: (حادر). فإنه بمعنى ممتلئ قوي.

(١٠) حكاه أبو حيان عن صاحب اللوامح. البحر المحيط ١٨/٧.

(١١) ما بين القوسين سقط من الأصل.

وأعلم أن الصفة إذا كانت جارية على الفعل وهو اسم الفاعل واسم المفعول كالضارب والمضروب أفادت الحدوث. وإذا لم تكن كذلك وهي المشبهة إفادت الشبوت. فمن قرأ «حَذِرُونَ»^(١) ذهب إلى معنى أنا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحزم ومن قرأ: «حَاذِرُونَ»^(٢) ذهب إلى معنى: إنا قوم ما عهدنا أن نحذر إلا عصرنا هذا. ومن قرأ: «حَادِرُونَ» بالذال المهملة^(٣)، فكأنه ذهب إلى نفي أصلاً، لأن الحادر^(٤) هو السمين، فأراد: إنا قوم أقوياء أشداء، أو أراد: إنا شاكون في السلاح. والغرض من هذه التقادير ألا يتوهم أهل المدائن أنه منكسر من قوم موسى، أو خائف منهم^(٥). قوله: «فَأَخْرَجْنَاهُمْ». أي: خلقنا في قلوبهم داعية الخروج، فاستلزمت الداعية الفعل، فكان الفعل مضافاً إلى الله تعالى لا محالة^(٦).

وقوله: «مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ» أي: أخرجناهم من بساتينهم التي فيها عيون الماء وكنوز الذهب والفضة^(٧). قال مجاهد: سماها كنوزاً، لأنه لم يعط حق الله منها، وما لم يعط الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً^(٨).

قوله: «وَمَقَامٍ». قرأ العامة بفتح الميم، وهو مكان القيام. وقتادة والأعرج بضمها^(٩) وهو مكان الإقامة. والمراد بـ «الكَرِيمِ»: الحسن^(١٠).

قال المفسرون: هي مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع^(١١).

وقيل: المواضع التي كانوا يتنعمون فيها^(١٢) [١٣] (١٤).

قوله: «كَذَلِكَ». فيه ثلاثة أوجه: قال الزمخشري: يحتمل ثلاثة أوجه: النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه والجر على أنه وصف لـ «مَقَامٍ»^(١٥) أي: ومقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم، والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمر كذلك^(١٦). قال أبو حيان: فالوجه الأول لا يسوغ، لأنه يؤول إلى تشبيه الشيء بنفسه، وكذلك الوجه الثاني؛ لأن المقام الذي كان لهم هو المقام الكريم، فلا

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. (٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

(٣) وهي قراءة عاصم وابن عامر وخمزة والكسائي.

(٤) وهي قراءة ابن السميع وابن أبي عمير. (٥) في ب: الحاذر. وهو تصحيف.

(٦) انظر الفخر الرازي ١٣٧/٢٤. (٧) انظر الفخر الرازي ١٣٧/٢٤.

(٨) المرجع السابق ١٣٨/٢٤.

(٩) انظر البيهقي ٢١٦/٦، الفخر الرازي ١٣٧/٢٤ - ١٣٨.

(١٠) المختصر (١٠٧)، البحر المحيط ١٩/٧.

(١١) انظر البيهقي ٢١٧/٦. (١٢) انظر الفخر الرازي ١٣٨/٢٤.

(١٣) انظر الفخر الرازي ١٣٨/٢٤. (١٤) ما بين القوسين في ب: يتنعمون. وهو تحريف.

(١٥) في ب: لقيام. وهو تحريف. (١٦) الكشف ١١٦/٣.

يشبه الشيء بنفسه^(١). قال شهاب الدين: وليس في ذلك تشبيه الشيء بنفسه؛ لأن المراد في الأول: أخرجناهم إخراجاً مثل الإخراج المعروف المشهور، وكذلك الثاني^(٢).

قوله: «وَأَوْرَثْنَاها» عطف على «فَأَخْرَجْنَاهُمْ» أي: وأورثناها بهلاكهم بني إسرائيل وذلك أن الله تعالى رد بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه وأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمساكن^(٣).

قول: «فَاتَّبَعُوهُمْ». قرأ العامة بقطع الهمزة من «اتَّبِعْ» أي: ألحقه نفسه، فحذف الثاني^(٤). وقيل: يقال: اتَّبِعْ بمعنى «اتَّبِعْ» بوصل الهمزة، أي: لحقه^(٥).

وقرأ الحسن والحارث الدَّمَّارِي بوصلها وتشديد التاء^(٦)، وهي بمعنى اللحاق.

وقوله: «مُشْرِقِينَ» أي: داخلين في وقت الشروق من: شَرَقَتِ الشمس شروقاً: إذا طلعت^(٧) كـ «أصبح، وأمسي»: إذا دخل في هذين الوقتين. وقيل: داخلين نحو المشرق كـ «أُنْجِدْ، وَأَتَهَمْ». و^(٨) «مُشْرِقِينَ» منصوب على الحال، والظاهر أنه من الفاعل^(٩). وقيل: «مُشْرِقِينَ» بمعنى: مضيئين. وفي التفسير: أنَّ بني إسرائيل كانوا في نور، والقبط في ظلمة، فعلى هذا يكون «مُشْرِقِينَ» حالاً من المفعول^(١٠). قال شهاب الدين: وعندي أنه يجوز أن يكون حالاً من الفاعل والمفعول إذا جعلنا «مُشْرِقِينَ»: داخلين في وقت الشروق، أو في مكان المشرق، لأن كلاً من القبيلين كان داخلًا في ذلك الزمان، أو في ذلك المكان^(١١).

قوله: «فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ» أي: تقابلا ورأى بعضهم بعضاً. قرأ العامة: «تَرَاءَى» بتحقيق^(١٢) الهمزة. وابن وثاب والأعمش من غير همز^(١٣)، بأن تكون الهمزة مخففة بين بين، لا بالإبدال المحض، لثلاث يجتمع ثلاث ألفات، الأولى الزائدة بعد الراء، والثانية المبدلة من الهمزة، والثالثة لام الكلمة، لكن الثالثة لا تثبت وصلاً لحذفها لالتقاء الساكنين^(١٤). ثم اختلف القراء في إمالة هذا الحرف فنقول: هذا الحرف إما أن يوقف عليه أو لا، فإن وقف

(١) البحر المحيط ١٩/٧. (٢) الدر المصون ١٥٥/٥.

(٣) انظر البغوي ٢١٧/٦، القرطبي ١٠٥/١٣.

(٤) فتكون الهمزة للتعدية إلى المفعول الثاني، كقولهم: وأتبعه الشيء جعله له تابعاً. انظر اللسان (تبع).

(٥) انظر اللسان (تبع).

(٦) المختصر (١٠٧)، البحر المحيط ١٩/٧، الإنحاف ٣٣٢.

(٧) انظر الكشف ١١٦/٣. (٨) و: سقط من ب.

(٩) انظر البحر المحيط ١٩/٧. (١٠) المرجع السابق.

(١١) الدر المصون ١٥٥/٥ - ١٧٦. (١٢) في ب: بتخفيف.

(١٣) أي: (تراي). قال ابن خالويه: «فلما تراءى الفئتان» بلا همز الأعمش عن عاصم (المختصر ١٠٧)،

البحر المحيط ١٩/٧، وفيه: (وقال أبو حاتم: وما روي عن ابن وثاب والأعمش خطأ).

(١٤) حكاه أبو حيان عن أبي الفضل الرازي. انظر البحر المحيط ١٩/٧.

عليه فحمزة يميل ألفه الأخيرة، لأنها^(١) طرف منقلبة عن ياء. ومن ضرورة إمالتها إمالة فتحة الهمزة المسهلة، لأنه إذا وقف على مثل هذه سهلها على مقتضى مذهب، وأمال الألف الأولى إتباعاً لإمالة فتحة الهمزة. ومن ضرورة إمالتها إمالة فتحة الراء قبلها، وهذا هو الإمالة لإمالة^(٢). وغيره من القراء لا يميل شيئاً من ذلك. وقياس مذهب الكسائي أن يميل الألف الأخيرة، وفتحة الهمزة قبلها^(٣)، وكذا نقله ابن الباذش^(٤) عنه وعن حمزة^(٥).

وإن وصل فإن الألف الأخيرة تذهب لالتقاء الساكنين، ولذهابها تذهب إمالة فتحة الهمزة، وتبقى إمالة الألف الزائدة^(٦)، وإمالة فتحة الراء قبلها عنده اعتداداً بالألف المحذوفة، وعند ذلك يقال: حذف السبب وبقي المسبب؛ لأن إمالة الألف الأولى إنما كان لإمالة الألف الأخيرة [كما تقدم تقريره، وقد ذهبت الأخيرة]^(٧) فكان ينبغي ألا تمال الأولى لذهاب^(٨) المقتضي لذلك، ولكنه راعى المحذوف وجعله في قوة المنطوق^(٩)؛ ولذا تجرأ عليه أبو حاتم فقال: وقراءة هذا الحرف بالإمالة محال^(١٠). وقد تقدم في الأنعام عند «رَأَى الْقَمَرَ»^(١١) و «رَأَى الشَّمْسَ»^(١٢) ما يشبه هذا العمل^(١٣).

قوله: «لَمَذْكُونٌ». العامة على سكون الدال، اسم مفعول من «أَذْرَكَ» أي: لملحقون. وقرأ الأعرج وعبيد بن عمرو^(١٤) بفتح الدال مشددة وكسر الراء^(١٥).

(١) في الأصل: لأن. وهو تحريف.

(٢) انظر الحجة لابن خالويه (٢٦٧ - ٢٦٨)، الكشف ١/ ١٩١ - ١٩٢.

(٣) انظر الحجة لابن خالويه (٢٦٨)، الكشف ١/ ١٩١.

(٤) هو أحمد بن علي بن أحمد خلف، أبو جعفر بن الباذش، الأنصاري الغرناطي، أستاذ كبير، وإمام محقق، ألف كتاب الإقناع في السبع، وكتاب الطرق المتداولة في القراءات قرأ على أبيه، وعبد الله بن أحمد الهمداني الجبائي، وشريح بن محمد، وغيرهم، قرأ عليه أحمد بن علي بن حكيم الغرناطي، وأبو محمد بن عبيد الله الحجري، مات سنة ٥٤٠هـ، وقيل: سنة ٥٤٢هـ. طبقات القراء ٨٣/ ١.

(٥) قال أبو حيان (وقال الأستاذ أبو جعفر أحمد ابن الأستاذ أبي الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري هو ابن الباذش في كتاب الإقناع من تأليفه: (تراوى الجيمان) في الشعراء، إذا وقف حمزة والكسائي أمالا الألف المنقلبة عن لام الفعل، وحمزة يميل (تفاعل) وصلاً ووقفاً لإمالة الألف المنقلبة، ففي قراءته إمالة الإمالة، وفي هذا الفعل وفي (راءى) إذا استقبله ألف وصل لمن أمال للإمالة حذف السبب وإبقاء المسبب، كما قالوا: صغقني في النسب إلى الضعق) البحر المحيط ١٩/ ٧ - ٢٠.

(٦) في ب: والزائدة. وهو تحريف. (٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) الأولى: سقط من الأصل. (٩) انظر الكشف ١/ ١٩١ - ١٩٢.

(١٠) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ١١٦، البحر المحيط ١٩/ ٧.

(١١) من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٧].

(١٢) من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: ٧٨].

(١٣) انظر الباب ٤٥٢/ ٣ - ٤٥٣.

(١٤) في ب: عمر. وفي المختصر، والمحتسب، وتفسير ابن عطية، والبحر المحيط: عبيد بن عمير.

(١٥) المختصر (١٠٧)، المحتسب ٢/ ١٢٩، تفسير ابن عطية ١١/ ١١٥، البحر المحيط ٧/ ٢٠، وضبطها

ابن خالويه، وأبو حيان بكسر الراء، وابن جني، وابن عطية بفتح الراء.

قال الزمخشري: المعنى: متتابعون في الهلاك على أيديهم^(١)، ومنه بيت الحماسة:

٣٩٠٩ - أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجِي الْحَيَاةَ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ أَجْزَعُ^(٢)

يعني: أن «أدرك» على «افتعل» لازم بمعنى فني واضمحل، يقال: أدرك الشيء يدرك فهو مدرك، أي: فني متتابعاً^(٣)، ولذلك كسرت الراء. وممن نص على كسرهما أبو الفضل الرازي، قال: «وقد يكون «أدرك» على «افتعل» بمعنى «أفعل» متعدياً، ولو كانت القراءة من هذا لوجب^(٤) فتح الراء ولم يبلغني عنهما - يعني: عن الأعرج وعبيد - إلا الكسر^(٥).

فصل

المعنى «فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ»، أي: رأى كل فريق صاحبه.

وقرىء «فَلَمَّا تَرَأَتْ الْفِئَتَانِ»^(٦) قال أصحاب موسى: «إِنَّا [لَمُذْرَكُونَ] أي^(٧) لَمُلْحَقُونَ، وقالوا: يا موسى «أودينا من قبل أن تَأْتِيَنَا»^(٨) كانوا يذبحون أبناءنا، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩] يدركوننا في هذه الساعة فيقتلوننا، ولا طاقة لنا بهم، فعند ذلك قال موسى ثقة بوعده الله إياه «كَلَّا» وذلك كالمنع مما توهموه، أي: لن يدركونا «إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ»^(٩) يدلني على طريق النجاة^(٩).

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَفْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾﴾

قوله: [﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾]. لما قال موسى: «إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ» بين تعالى كيف هداه ونجّاه وأهلك أعداءه، فقال^(١٠): «﴿فَأَوْحَيْنَا﴾»^(١١) إلى موسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ ولا بد قبله من جملة محذوفة، أي: فضرب فانفلق. وزعم البين عصفور أن المحذوف إنما هو: «ضرب» وفاء: «انفلق». وأن الفاء الموجودة

(١) الكشف ١١٦/٣.

(٢) البيت من بحر الطويل، قاله أبو الحناك البراء بن ربيعي الفقعسي، وهو في الكشف ١١٦/٣، البحر المحيط ٢٠/٧، شرح شواهد الكشف (٧٣). والشاهد فيه قوله: (تتابعوا). فهو بمعنى: انقروا واحداً بعد واحد.

(٣) انظر المحتسب ١٢٩/٢، اللسان (درك).

(٤) انظر البحر المحيط ٢٠/٧.

(٥) في ب: بوجب.

(٦) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

(٧) انظر الفخر الرازي ١٣٨/٢٤.

(٨) انظر الفخر الرازي ١٣٨/٢٤.

(٩) في ب: سيهديني.

(١٠) في الأصل: وأوحينا. وهو تحريف.

(١١) ما بين القوسين سقط من ب.

هي فاء «فَضَرَبَ» فأبقى^(١) من كل فعل ما يدل على المحذوف، أبقى الفاء من «فَضَرَبَ» ليدل على «ضَرَبَ» وأبقى «انْفَلَقَ» ليدل على الفاء المتصلة به^(٢).

قوله: «فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ» اختلف القراء في ترقيق راء^(٣) «فرق» فروي عن ورش الترقيق لأجل القاف^(٤). وقرئ: «فَلَقَ» بلام بدل الراء، لموافقة «فانفلق»^(٥) والطود: الجبل العظيم المتطاوّل في السماء^(٦).

فصل

قال ابن جريج: لما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح والبحر يرمي بموج كالجبال قال يوشع: يا مكلم الله، أين أمرت؟ فقد غشنا فرعون والبحر أمامنا، فقال موسى: ها هنا. فحاض يوشع الماء وجاز البحر ما يوارى حافر دابته الماء، وقال^(٧) الذي يكتم إيمانه: يا مكلم الله، أين أمرت؟ قال: ها هنا. فكبح^(٨) فرسه بلجامه حتى طار الزيد من شدقيه، ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء، وصنع القوم مثل ذلك، فلم يقدروا، فجعل موسى لا يدري كيف يصنع، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق، فإذا الرجل واقف على فرسه لا يتبل سرجه ولا لبده^(٩)، وهذا معجز عظيم من وجوه أحدها: أن تفرق ذلك الماء معجز^(١٠).

وثانيها: ثبت في الخبر أنه تعالى أرسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما حيرهم، فاحتبسوا القدر الذي يتكامل معه عدد بني إسرائيل، وهذا معجز ثالث. ورابعها: أن جعل الله في تلك الجدران المائية كوى^(١١) ينظر بعضهم إلى بعض، وهذا معجز رابع.

(١) في ب: وأبقى.

(٢) قال ابن عصفور: (وكذلك أيضاً يجوز حذف حرف العطف والمعطوف عليه لفهم المعنى، فمن ذلك قوله تعالى: «فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق» وقوله تعالى: «وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست» [الأعراف: ١٦٠] وقوله تعالى: «فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر» [البقرة: ١٨٤] التقدير: فضرِب فانفلق، فضرِب فانبجست، و «فأفطر فعدة» فحذف ضرب وأفطر وفاء العطف مما بعدها من أيام أخر. شرح جمل الزجاجي ٢٥١/١، وانظر المقرب ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٣) في ب: وا. وهو تحريف. (٤) الانحاف ٣٣٢.

(٥) حكاه يعقوب عن بعضهم. المختصر ١٠٧، البحر المحيط ٢٠/٧.

(٦) انظر الكشف ١١٦/٣. (٧) في ب: قال.

(٨) الكبح: كبحك الدابة باللجام، كبح الدابة يكبحها كبأً وأكبحها: جذبها إليه باللجام، وضرب فاهاً به كي تقف ولا تجري. اللسان (كبح).

(٩) انظر البغوي ٢١٨/٦ - ٢١٩. (١٠) في الأصل: معجزة.

(١١) كوى: جمع كوة، وهي الخرق في الحائط، والثقب في البيت ونحوه. اللسان (كوى).

وخامسها: أن بقى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب آل فرعون فطمعوا أن يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى - عليه السلام^(١) - فهو معجز خامس^(٢).

قوله: «وَأَزَلُّنَا» أي: قربنا من النجاة، و «ثُمَّ ظَرْفُ مَكَانٍ بَعِيدٍ، و «الْآخِرِينَ» هم موسى وأصحابه^(٣). وقرأ الحسن وأبو حيوة: «وَزَلُّنَا» ثلاثياً^(٤).

وقال أبو عبيدة: أَزَلُّنَا: جمعنا، ومنه: ليلة المزدلفة، أي: ليلة الجمع^(٥).

وفي القصة أن جبريل كان بين بني إسرائيل وقوم فرعون، وكان يسوق بني إسرائيل ويقول: ليلحق آخركم بأولكم، ويستقبل القبط، ويقول: رويدكم لكي يلحق آخركم. وقرأ أبيّ وابن عباس وعبد الله بن الحارث بالقاف^(٦)، أي: أزللنا، والمراد بـ «الآخرين» في هذه القراءة: فرعون وقومه^(٧). والمعنى: جعلنا طريقهم في البحر زلّلاً على خلاف ما جعله لبني إسرائيل ييساً فيزلقهم فيه.

قوله: «وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ». والمعنى: أنه تعالى جعل البحر ييساً في حق موسى^(٨)، حتى خرجوا عنه، وأغرق فرعون ومن معه، لأنه لما تكامل دخولهم في البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا^(٩).

قوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» أي: إن في الذي حدث في البحر آية عجيبة من الآيات العظام الدالة على قدرة الله تعالى؛ لأن أحداً من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته، وكون وقوعه مصلحة في الدين والدنيا، وعلى صدق موسى لكونه معجزة له، وعلى التحذير عن مخالفة أمر الله ورسوله، وفيه تسلية للنبي - عليه السلام^(١٠) - لأنه قد يغتم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه، فنبهه الله تعالى بهذا الذكر على أن له أسوة بموسى وغيره^(١١).

ثم قال: «وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» أي: من أهل مصر. قيل: لم يكن من أهل مصر إلا آسية امرأة فرعون وحزقييل المؤمن، ومريم بنت ناموشا التي دلت على عظام

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٢) انظر الفخر الرازي ١٣٩/٢٤.

(٣) هذا على خلاف ما جاء في كتب التفسير، قال الزمخشري: «الآخرين» قوم فرعون، أي قربانهم من بني إسرائيل، أو أدنيننا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد، أو قدمناهم إلى البحر الكشف ١١٦/٣. وانظر القرطبي ١٠٧/١٣، البحر المحيط ٢٠/٧.

(٤) تفسير ابن عطية ١١٨/١١، البحر المحيط ٢٠/٧.

(٥) مجاز القرآن ٨٧/٢.

(٦) المختصر (١٠٧)، المحتسب ١٢٩/٢، البحر المحيط ٢٠/٧.

(٧) قال ابن جني: (من قرأ «وَأَزَلُّنَا» بالفاء فالآخرون موسى - عليه السلام - وأصحابه، ومن قرأها بالقاف فالآخرون فرعون وأصحابه أي: أهلكنا ثم الآخرين، أي فرعون وأصحابه) المحتسب ١٢٩/٢.

(٨) في الأصل: في حق موسى في حق. (٩) انظر الفخر الرازي ١٤٠/٢٤.

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١١) انظر الفخر الرازي ١٤١/٢٤.

يوسف - (عليه السلام) ^(١) - «وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ» في الانتقام من أعدائه «الرَّحِيمُ» بعباده، لأنه تعالى أفاض عليهم أصناف نعمه، وكان قادراً على أن يهلكهم، فدل على كمال رحمته وسعة جوده وفضله ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦٩ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ... عِبْدُونَ ٧٠ قَالُوا تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عِكْفِينَ ٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ٧٢ أَوْ يَبْصُرُونَ ٧٣ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٧٥ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ٧٧

قوله تعالى: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ» ^(٤) إِبْرَاهِيمَ... الآيات.

اعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة شدة حزن محمد - عليه السلام ^(٥) - ثم ذكر قصة موسى ليعرف محمداً أن مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى، ثم ذكر عقيبها قصة إبراهيم ليعرف محمد أن حزن إبراهيم بهذا السبب كان أشد من حزنه ^(٦).

قوله: «إِذْ قَالَ» العامل في «إِذْ» «نَبَأَ» ^(٧) أو «اتْلُ» قاله الحوفي ^(٨) وهذا لا يتأتى إلا على كون «إِذْ» مفعولاً به ^(٩). وقيل: «إِذْ» بدل من «نَبَأَ» بدا اشتغال، وهو يؤول إلى أن العامل فيه «اتْلُ» بالتأويل المذكور ^(١٠).

قوله: «وَقَوْمِهِ» الهاء تعود على إبراهيم ^(١١)، لأنه المحدث عنه.

وقيل: تعود على «أَبِيهِ» لأن أقرب مذكور، أي: قال لأبيه وقوم أبيه، ويؤيده: ﴿إِنِّي أَرَأَيْتَكَ وَقَوْمَكَ﴾ [الأنعام: ٧٤] حيث أضاف القوم إليه ^(١٢).

قوله «مَا تَعْبُدُونَ» أي: أي شيء تعبدون؟ وهو يعلم أنهم عبدة الأصنام، ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة، كما تقول (لتاجر الرقيق) ^(١٣): ما ^(١٤) مالك؟ وأنت تعلم أن ^(١٥) ماله الرقيق، ثم تقول: الرقيق جمال وليس بمال ^(١٦).

قوله: «تَعْبُدُ أَصْنَامًا» أتوا في الجواب بالتصريح بالفعل ليعطفوا عليه قولهم:

- (١) انظر البغوي ٦/٢٢٠.
- (٢) ما بين القوسين في ب: عليه الصلاة والسلام.
- (٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٤١.
- (٤) ما بين القوسين سقط من ب.
- (٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.
- (٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٤١ - ١٤٢.
- (٧) انظر التبيان ٢/٩٩٦.
- (٨) انظر البحر المحيط ٧/٢٢.
- (٩) فهذا إخراج له عن الظرفية ليصبح هذا القول.
- (١٠) انظر البحر المحيط ٧/٢٢.
- (١١) واستظهره أبو حيان. البحر المحيط ٧/٢٢.
- (١٢) انظر البحر المحيط ٧/٢٢.
- (١٣) ما بين القوسين في النسختين: للتاجر. والتصويب من الفخر الرازي.
- (١٤) ما: سقط من ب.
- (١٥) أن: سقط من الأصل.
- (١٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٤٢.

«فَتَنَظَّلُ» افتخاراً بذلك، وإلا فكان قولهم: «تَعْبُدُ أَصْنَامًا» كافياً^(١) كقوله تعالى: «قُلِ الْعَفْوَ»^(٢)، «قَالُوا خَيْرًا»^(٣).

قوله: «فَتَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ». العكوف: الإقامة على الشيء. قال بعض العلماء: إنما قالوا: «فَتَنَظَّلُ» لأنهم يعبدونها بالنهار دون الليل، يقال: ظل يفعل كذا: إذا فعل بالليل^(٤). فقال إبراهيم - عليه السلام - منبهاً على فساد مذهبيهم: «هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ» لا بد من محذوف، أي: يسمعون دعاءكم^(٥)، أو يسمعونكم تدعون^(٦)، فعلى الأول هي متعدية لواحد اتفاقاً. وعلى الثاني هي متعدية لاثنتين قامت الجملة المقدرة مقام الثاني، وهو قول الفارسي^(٨). وعند غيره: الجملة المقدرة حال^(٩). وتقدم تحقيق القولين.

وقرأ قتادة ويحيى بن يعمر بضم الياء وكسر الميم^(١٠)، والمفعول الثاني محذوف، أي: يسمعونكم الجواب^(١١).

قوله: «إِذْ تَدْعُونَ» منصوب بما قبله، فما قبله وما بعده ماضيان معنى وإن كانا مستقبلين لفظاً لعمل الأول^(١٢) في «إِذْ» ولعمل «إِذْ» في الثاني^(١٣).

وقال بعضهم: «إِذْ» هنا بمعنى: «إِذَا»^(١٤) وقال الزمخشري: إنه على حكاية الحال الماضية، ومعناه: استحضروا الأحوال التي كنتم تدعونها فيها، هل سمعوكم إذا سمعوا^(١٥)؟ وهو أبلغ في التبكيت^(١٦)، وقد تقدم أنه قرئ بإدغام ذال «إِذْ» وإظهارها في التاء^(١٧). وقال

(١) انظر الكشف ١٧٧/٣، البحر المحيط ٢٢/٧ - ٢٣.

(٢) من قوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ» [البقرة: ٢١٩].

(٣) من قوله تعالى: «وَقِيلِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا» [النحل: ٣٠].

(٤) انظر الفخر الرازي ١٤٢/٢٤. (٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٦) انظر معاني القرآن للأخفش ٦٤٦/٢، الكشف ١١٧/٣، البيان ٢١٤/٢، التبيان ٩٩٦/٢.

(٧) انظر البيان ٢١٤/٢، البحر المحيط ٢٣/٧.

(٨) قال أبو علي: (وأفعال الحواس الخمس كلها متعدية نحو رأته وشمته وذقته ولمسته وسمعته، إلا أن سمعت يتعدى إلى مفعولين، ولا بد من أن يكون الثاني مما يسمع كقولك: سمعت زيداً يقول ذاك، ولو قلت: سمعت زيداً يضرب أخاك، لم يجز، فإن اقتضت على مفعول واحد وجب أن يكون مما يسمع) انظر المقتصد شرح الإيضاح ٥٩٧/١.

(٩) انظر البحر المحيط ٢٣/٧. (١٠) المختصر (١٠٧)، المحتسب ١٢٩/٢.

(١١) انظر المحتسب ١٢٩/٢، الكشف ١١٧/٣، التبيان ٩٩٧/٢، البحر المحيط ٢٣/٧.

(١٢) وهو (يسمع) من «يسمعونكم».

(١٣) المقصود به جملة «تدعون» فهي في محل جر بإضافة (إِذْ) إليها.

(١٤) انظر البحر المحيط ٢٣/٧. (١٥) في الكشف: هل سمعوا أو أسمعوا قط.

(١٦) الكشف ١١٧/٣.

(١٧) عند قوله تعالى: «وَإِذَا تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعِثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ» [الأعراف:

١٦٧]. انظر الباب ١١٥/٤ - ١١٦.

ابن عطية: ويجوز فيه قياس «مذكر» ونحوه، ولم يقرأ به أحد، والقياس أن يكون اللفظ به «إدَّعُونَ»^(١) والذي منع من هذا اللفظ اتصال الدال الأصلية في الفعل فكثرت التمثالات^(٢)، يعني: فيكون اللفظ بدال مشددة مهملة، ثم بدال ساكنة مهملة أيضاً.

قال أبو حيان: وهذا لا يجوز، لأن هذا الإبدال إنما هو في تاء الافتعال بعد الدال والدال والزاي نحو: اذَّهَنَ، واذَّكَّرَ، واذَّجَّرَ، وبعد جيم شذوذاً نحو: «اجْدَمَعُوا» في «اجتمعوا»، وفي تاء الضمير بعد الدال والزاي نحو: «فَزَدَ فِي قُرْتِ» و «جَلَدُ فِي جَلَدَتْ»^(٣) أو تاء «تَوَلَّجَ» قالوا فيها: «دَوَلَجَ»^(٤) وتاء المضارعة، ليس شيئاً مما ذكر، وقوله: «والذي منع... إلى آخره» يقتضي جوازه لو لم يوجد ما ذكر، فعلى مقتضى قوله يجوز أن تقول في «إِذْ تَخْرُجُ»: «إِذْ خُرْجَ» ولا يقول ذلك أحد، بل يقولون: اتخرج فيدغمون الدال في التاء^(٥).

فصل

تقرير هذه الحجة التي ذكرها إبراهيم - عليه السلام^(٦) - أن من عبد غيره لا بد أن يلتجئ إليه في المسألة ليعرف مراده أو يسمع دعاءه، ثم يستجيب له في بذل منفعة أو دفع مضرة، فقال لهم: إذا كان الذي تعبدونه لا يسمع دعاءكم حتى يعرف مقصودكم، ولو عرف ذلك لما صح أن يبذل النفع أو يدفع الضرر، فكيف تعبدون ما هذا صفته؟ فعند هذه الحجة الباهرة لم يجدوا ما يدفعون به حجته إلا التقليد، فقالوا: «وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ».

وهذا^(٧) من أقوى الدلائل على فساد التقليد ووجوب التمسك بالاستدلال، إذ لو قلبنا الأمر فمدحنا التقليد وذمنا^(٨) الاستدلال لكان ذلك مدحاً لطريقة الكفار التي ذمها الله، وذمناً لطريقة إبراهيم التي مدحها الله^(٩).

قوله: «كَذَلِكَ» منصوب بـ «يَفْعَلُونَ»^(١٠) أي: يفعلون مثل فعلنا، و «يَفْعَلُونَ» في محل نصب مفعولاً ثانياً لـ «وَجَدْنَا».

قوله: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ». أراد به أن الباطل لا يتغير بأن يكون قديماً أو حديثاً، ولا بأن يكون في فاعليه كثرة أو قلة^(١١).

قوله: «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي» اللغة الغالبة إفراد «عَدُوٌّ» وتذكيره، قال تعالى: «هُوَ أَلَدُّ لِي»

(١) في تفسير ابن عطية: «إذ تدعون».

(٢) تفسير ابن عطية ١/١٢١.

(٣) في ب: وجلدت في جلدة. وهو تحريف.

(٤) انظر المتع ١/٣٥٦ - ٣٥٩.

(٥) البحر المحيط ٧/٢٣. يتصرف يسير.

(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٧) في ب: وهلا. وهو تحريف.

(٨) في ب: وذمينا.

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٤٢.

(١٠) انظر التبيان ٢/٩٩٧، البحر المحيط ٧/٢٣.

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٤٢.

[المنافقون: ٤] وإنما فعل به ذلك تشبيهاً بالمصادر نحو: «الْوَلُوعُ، والقَبُولُ»^(١) وقد يقال: أعداء، وعدو^(٢)، وقوله: «عَدُوٌّ لِي» على أصله من غير تقدير مضاف ولا قلب، لأن العدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والكثرة^(٣)، قال الشاعر:

٣٩١٠ - وَقَوْمٌ عَلَى ذَوِي مِثْرَةٍ أَرَاهُمْ عَدُوًّا وَكَأَنُوا صَدِيقًا^(٤)
وتقدم الكلام في نظيره عند قوله^(٥): «إِنَّا رَسُولٌ»^(٦).

وقيل: المعنى: «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي» لو عبدتهم يوم القيامة، كقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]. (وقيل: الأصنام لا تُعَادَى لأنها جماد، والتقدير: فإن عبادهم عدو لي^(٧))^(٨). وقيل: بل^(٩) في الكلام قلب تقديره: فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لَهُمْ^(١٠) وهذا مرجوحان لاستقامة الكلام بدونهما. فإن قيل: لم قال: «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي» ولم يقل فإنها عدو لكم؟ فالجواب: أنه - عليه السلام^(١١) - صور المسألة في نفسه، بمعنى أنني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها، وأراهم أنها نصيحة نصح بها نفسه، فإذا تفكروا وقالوا: ما نصحتنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه فيكون أدعى إلى القبول^(١٢).

قوله: «إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه منقطع، أي: لكن رب العالمين ليس بعدو لي^(١٣). وقال الجرجاني: فيه تقديم وتأخير، أي: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون إلا رب

(١) انظر الكشف ١١٧/٣.

(٢) عدوا من الصفات التي يستوي فيها المذكر والمؤنث فعول بمعنى فاعل، فلا تلحقها التاء للفصل بين المذكر والمؤنث غالباً لعدم الحاجة إليه، كرجل صبور، بمعنى: صابر، وامرأة صبور، بمعنى: صابرة وشدة امرأة عدوة، لخروجه عن القاعدة، ومع ذلك فإنه محمول على صديقة، كما في عكسه، وهو حمل صديق على عدوه في قوله لم أبخل وأنت صديق. والقياس صديقة، وهم يحملون الضد على ضده، كما يحملون النظر على نظيره. انظر شرح التصريح ٢٨٦/٢ - ٢٨٧، الهمع ١٧٠/٢.

(٣) كالمصدر. انظر الكشف ١١٧/٣.

(٤) البيت من بحر المتقارب، لم أهد إلى قائله، وهو في الكشف ١١٧/٣، والفخر الرازي ١٣٤/٢٤، شرح شواهد الكشف (٨٥) المثرة: العداوة. وروي (مرة) وهي القوة وشدة الجدل.

(٥) في ب: قوله تعالى.

(٦) من قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

(٧) حكاه أبو حيان. البحر المحيط ٢٤/٧. (٨) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(٩) ما بين القوسين في ب: وإن قيل: فلم لم يقل إن من يعبد الأصنام عدو لي فيكون. وهو تحريف.

(١٠) وهو قول الفراء. انظر معاني القرآن ٣/٣٨١.

(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٢) انظر الفخر الرازي ١٤٣/٢٤.

(١٣) قال الفراء: (أي كل آلهة لكم فلا أعبدوها إلا رب العالمين فإنني أعبد) معاني القرآن ٢/٢٨١، وصرح به الزمخشري، فإنه قال: «إلا رب العالمين» استثناء منقطع كأنه قال ولكن رب العالمين) الكشف ٣/

١١٧، وانظر التبيان ٩٩٦/٢.

العالمين^(١) فإنهم عدو لي، و «إِلَّا» بمعنى «دُون»، وسَوَى^(٢).

والثاني: أنه متصل، وهو قول الزجاج^(٣)، لأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام، فقال إبراهيم: كل من تعبدون أعداء لي إلا رب العالمين.

وقال الحسن بن الفضل^(٤): معناه: إلا من عبد رب العالمين. وقيل: معناه: فإنهم غير معبود لي إلا رب العالمين. ثم وصف معبوده، وهو قوله: «الَّذِي خَلَقَنِي» يجوز فيه أوجه: النصب على النعت لـ «رَبِّ الْعَالَمِينَ»، أو البدل، أو عطف البيان، أو على إضمار «أعني»^(٥). والرفع على خبر مبتدأ مضمّر، أي: هو الذي خلقني، أو على الابتداء. و «فَهُوَ يَهْدِينِ»^(٦) جملة اسمية في محل رفع خبراً له^(٧).

قال الحوفي: ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط^(٨). وهذا مردود، لأن الموصول معيّن ليس عاماً، ولأن الصلة لا يمكن فيها التجدد، فلم يشبه الشرط^(٩) وتابع أبو البقاء^(١٠) الحوفي، ولكنه لم يتعرض للفاء، فإن عنى ما عناه الحوفي فقد تقدم ما فيه، وإن لم يعفه فيكون تابعاً للأخفش في تجويزه^(١١) زيادة الفاء في الخبر مطلقاً نحو: «زيد فاضربه»^(١٢) وقد تقدم تجويزه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) ﴿

واعلم أن إبراهيم - عليه السلام^(١٣) - لما استثنى رب العالمين وصفه بما يستحق العبادة لأجله بأوصاف:

أحدها^(١٤): قوله: «الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ»^(١٥)، وذلك لأن الله تعالى أثنى على

(١) في ب: إلا رب العالمين وقال الحسن بن الفضل فإنهم عدو لي.

(٢) انظر القرطبي ١١٠/١٣، البحر المحيط ٢٤/٧، وقال أبو حيان معقّباً على قول الجرجاني: (فجعله مستثنى عما بعد «كنتم تعبدون» ولا حاجة إلى هذا التقدير، لصحة أن يكون مستثنى من قوله: «فإنهم عدو لي»).

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٩٣/٤. (٤) لعله الحسن بن أبي الفضل. وقد تقدم.

(٥) انظر البحر المحيط ٢٤/٧. (٦) في النسختين: يهديني.

(٧) انظر البيان ٢/٢١٥، التبيان ٩٩٧/٢، البحر المحيط ٢٤/٧.

(٨) انظر البحر المحيط ٢٤/٧.

(٩) هذا اعتراض أبي حيان على الحوفي. انظر البحر المحيط ٢٤/٧.

(١٠) قال أبو البقاء: (...) «الذي» مبتدأ، «فَهُوَ» مبتدأ ثان، و «يهدين» خبره، والجملة خبر «الذي» التبيان ٩٩٧/٢.

(١١) في ب: تجويز. (١٢) انظر البحر المحيط ٢٤/٧.

(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٤) في ب: أهلها. وهو تحريف.

(١٥) في ب: يهديني.

نفسه بهذين الأمرين في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾^(١) [الأعلى : ٢ - ٣].
وقال: «خَلَقَنِي» بلفظ الماضي، لأن خلق الذات لا يتجدد في الدنيا، بل لما وقع
بقي إلى الأمد المعلوم^(٢).

وقال: «فَهُوَ يَهْدِينِ»^(٣) بلفظ المستقبل، لأن الهداية مما تتكرر كل حين وأوان،
سواء كانت تلك الهداية من المنافع الدنيوية بتمييز النافع^(٤) عن الضار، أو من المنافع
الدنية بتمييز الحق عن الباطل والخير عن الشر^(٥).

قوله: «وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ»^(٦). يجوز أن يكون مبتدأ وخبره محذوف^(٧)
وكذلك ما بعده، ويجوز أن تكون^(٨) أوصافاً لـ «الَّذِي خَلَقَنِي» ودخول الواو جائز^(٩)،
وقد تقدم تحقيقه في أول البقرة^(١٠) كقوله:

٣٩١١ - إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثِ الْكَتِيبَةِ فِي الْمُرْدَحَمِ^(١١)
وأثبت ابن أبي إسحاق - وتروى عن عاصم أيضاً - ياء المتكلم في: «يَسْقِينِ»
و«يُسْقِينِ»^(١٢).

فصل (١٣)

المعنى: يرزقني ويغذوني بالطعام والشراب، ونبه بذكر الطعام والشراب على ما
عداهما.

قوله: «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» أضاف^(١٤) المرض إلى نفسه، وإن كان المريض
والشفاء كله من الله استعمالاً لحسن الأدب كما قال الخضر^(١٥): ﴿فَارَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾

(١) [الأعلى : ٢، ٣]. انظر الفخر الرازي ١٣٤/٢٤.

(٢) انظر الفخر الرازي ١٤٤/٢٤. (٣) في ب: يهديني.

(٤) في ب: المنافع. (٥) انظر الفخر الرازي ١٤٤/٢٤.

(٦) في ب: ويسعين.

(٧) وقدره ابن الأباري من جنس الأول، أي: فهو يهديني. البيان ٢/٢١٥، وانظر التبيان ٢/٩٩٧.

(٨) في الأصل: أن تكونوا. (٩) انظر التبيان ٢/٧٧٩.

(١٠) عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [البقرة : ٤]. انظر الباب ٤٥/١.

(١١) البيت من بحر المتقارب مجهول القائل، وهو في معاني القرآن ١/١٠٥، ٢/٥٨، ٢٤٦، الكشف ١/٢٣، الإنصاف ٢/٤٦٩، الخزانة ١/٤٥١، ٥/١٠٧، ٦/٩١. القرم بفتح القاف: السيد. الهمام: الملك العظيم الهمة، السيد الشجاع السخي. الكتبية: الجيش. المزدحم: محل الازدحام، وأراد به المعركة. والشاهد فيه عطف بعض الصفات على بعض، فقد عطف قوله (وابن الهمام) على (القرم)، ثم عطف عليه (وليث الكتبية) وذلك جائز، لأن الموصوف بها واحد.

(١٢) القرطبي ١٣/١١١، الإنحاف ٣٣٢ - ٣٣٣.

(١٣) فصل: سقط من الأصل. (١٤) في ب: وأضاف.

(١٥) في ب: الخضر عليه الصلاة والسلام.

[الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

وأجاب ابن الخطيب بأجوبة أخرى، منها: أن أكثر أسباب المرض تحدث بتفريط الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك، ومن ثم قال الحكماء: لو قيل لأكثر الموتى: ما سبب آجالكم؟ لقالوا: التَّخَم. ومنها: أن الشفاء محبوب، وهو من أصول النعم، والمرض مكروه وليس من النعم وكان مقصود إبراهيم - عليه السلام^(١) - تعديد النعم، ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يصفه إلى الله، فإن نقضته بالأمانة فجوابه: أن الموت ليس بضرر، لأن شرط كونه ضرراً وقوع الإحساس به، وحال حصول الموت لا يحصل الإحساس به، إنما الضرر في مقدماته، وذلك هو عين المرض، ولأن الأرواح إذا كملت في العلوم والأخلاق كان يقاؤها في هذه الأجساد عين الضرر، وخلاصتها عنها عين السعادة (بخلاف المرض^(٢))^(٣).

قوله: «وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ». والمراد منه: الإمامة في الدنيا والتخلص عن آفاتهما، والمراد من الإحياء: المجازاة^(٤)، ولذلك أدخل «ثُمَّ» ههنا للتراخي، أي: يميتني^(٥) ويحيين في الآخرة.

قوله: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» قرأ العامة: «خَطِيئَتِي» بالإفراد. والحسن: «خَطَايَايَ»^(٦) جمع تكسير. فإن قيل: لم قال: «وَالَّذِي أَطْمَعُ» والطمع عبارة عن الظن والرجاء، وهو عليه السلام^(٧) كان قاطعاً بذلك؟ فالجواب: هذا الكلام يستقيم على مذهب أهل السنة، حيث قالوا: لا يجب على الله لأحد شيء، وأنه يحسن منه كل شيء، ولا اعتراض لأحد عليه في فعله.

وأجاب الجبائي عنه من وجهين:

الأول: أن قوله: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي» أراد به سائر المؤمنين، لأنهم الذين يطمعون ولا يقطعون به.

والثاني: المراد^(٨) من الطمع: اليقين، وهو المروي عن الحسن^(٩).

وأجاب الزمخشري بأنه إنما ذكره على هذا الوجه تعليماً لأمته كيفية الدعاء^(١٠).

قال ابن الخطيب: وهذه وجوه ضعيفة، أما الأول فإن الله تعالى حكى الشاء أولاً

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٢) انظر الفخر الرازي ١٤٥/٢٤.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب. (٤) انظر الفخر الرازي ١٤٥/٢٤.

(٥) في ب: يميتني في الدنيا.

(٦) المختصر (١٠٧)، تفسير ابن عطية ١٢٥/١١، البحر المحيط ٢٥/٧، الإتحاف (٣٣٣).

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٨) في ب: أن المراد.

(٩) انظر الفخر الرازي ١٤٥/٢٤. (١٠) انظر الكشاف ١١٨/٣، الفخر الرازي ١٤٥/٢٤.

والممدح ثانياً، ومن أول الممدح إلى آخر الدعاء كلام إبراهيم - عليه السلام^(١) - فجعل الشيء الواحد وهو كقوله: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» كلام غيره ممّا ييطل نظم الكلام ويفسده.

وأما قوله: إن الطمع هو اليقين (فهذا)^(٢) على خلاف اللغة.

وأما الثالث وهو أن المراد تعليم الأمة فباطل أيضاً^(٣)، لأن^(٤) حاصله يرجع إلى أنه كذب على نفسه لغرض تعليم الأمة، وإنه باطل أيضاً^(٥). فإن قيل: لم أسند إلى نفسه الخطيئة مع أن الأنبياء منزّهون عن الخطايا؟ فالجواب^(٦) من وجوه:

أحدها: قال مجاهد: هي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفافات: ٨٩] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله لسارة: «هذه أختي»^(٧) وزاد الحسن قوله للكوكب: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦].

قال ابن الخطيب: وهذا ضعيف، لأن نسبة الكذب إليه غير جائز^(٨).

وثانيها: أنه ذكره على سبيل التواضع وهضم النفس.

قال ابن الخطيب: وهذا ضعيف، لأنه إن كان صادقاً في هذا التواضع فقد لزم الإشكال، وإن كان كاذباً فحينئذ يرجع حاصل الجواب إلى إلحاق المعصية به، وهو منزّه عن المعصية^(٩).

وقال: وثالثها، وهو الجواب الصحيح: أن يحمل ذلك على ترك الأولى، وقد يسمى ذلك خطأ، فإن من ملك جوهرة أمكنه أن^(١٠) يبيعها بألف ألف دينار، فباعها بدينار، قيل: إنه أخطأ، وترك الأولى على الأنبياء جائز^(١١).

فإن قيل: ما فائدة قوله: «يَغْفِرَ لِي»؟

فالجواب من وجوه: الأول: أن الأب إذا عفا عن ولده، والسيد عن عبده، والزوج عن زوجته فإنما يكون ذلك طلباً للثواب، أو لحسن الثناء والمحمدة، أو دفعاً للألم الحاصل من الرقة الجنسية، وإذا كان كذلك لم يكن عفوّه إلا رعاية جانب نفسه، إما لتحصيل ما ينبغي، أو لدفع ما لا ينبغي، وأما الإله سبحانه فإنه كامل بذاته فيستحيل أن

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٨) [الأنعام: ٧٦]، (٧٧، ٧٨). وانظر القرطبي

١١٢/١٣.

(٩) الفخر الرازي ١٤٦/٢٤.

(١٠) المرجع السابق.

(١١) في الأصل: بأن.

(١٢) الفخر الرازي ١٤٦/٢٤.

(١٣) في ب: و.

(٢) فهذا: تكملة من الفخر الرازي.

(٣) أيضاً: سقط من ب.

(٤) في ب: لأنه. وهو تحريف.

(٥) الفخر الرازي ١٤٥/٢٤ - ١٤٦.

(٦) في ب: والجواب.

(٧) انظر الفخر الرازي ١٤٦/٢٤، القرطبي ١٣/

١١٢.

تحدث له صفات كمال لم تكن، أو يزول عنه نقصان كان، وإذا كان كذلك لم يكن عفوهُ إلا رعاية لجانب المعفو عنه.

فقلوه: «يَغْفِرْ لِي» معناه: أن غفرانه لي ولأجلي، لا لأجل أمر عائد إليه البتة^(١).
وثانيها: كأنه قال: خلقتني لا لي، فإنك حين خلقتني لم أكن موجوداً، فإذا عفوت كان ذلك العفو لأجلي^(٢)، فلما خلقتني أولاً مع أنني ما كنت^(٣) محتاجاً إلى ذلك الخلق، فلأن تغفر لي وتعفو عني حال ما أكون في أشد^(٤) الحاجة إلى العفو والمغفرة كان أولى.
وثالثها: أن إبراهيم - عليه السلام^(٥) - كان مع شدة استغراقه في المعرفة شديد الفرار عن الوسائط، ولذلك^(٦) لما قال له جبريل: «ألك حاجة؟» قال: «أما إليك فلا» فها هنا قال: «أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي» أي: بمجرد عبوديتي واحتياجي إليك تغفر لي خطيئتي، لا أن تغفرها بواسطة شفاعة شافع^(٧). فإن قيل^(٨): لم علق غفران الخطيئة بيوم الدين وإنما تغفر في الدنيا؟

فالجواب: لأن أثرها يظهر يوم الدين، وهو الآن خفي لا يعلم^(٩).

قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ۝٨٣ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤ وَاجْعَلْ لِي مِنْ رِزْقِي حَنَّةً الْيَمِيمِ ۝٨٥ وَأَغْفِرْ لَائِي إِنَّكَ كَانَتْ مِنْ أَلْضَّالِّينَ ۝٨٦ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾

قوله تعالى^(١٠): ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾. لما حكي عن إبراهيم - عليه السلام^(١١) - ثناءه على الله - تعالى - ذكر^(١٢) بعد ذلك دعاءه ومسألته، وذلك تنبيه على أن تقديم الثناء على الدعاء من المهمات^(١٣). فإن قيل: لم لم يقتصر إبراهيم على الثناء ولا سيما يروى عنه أنه قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي؟

فالجواب: أنه عليه السلام^(١٤) إنما ذكر ذلك حين اشتغاله بدعوة الخلق إلى الحق، لأنه قال: ﴿فَاتَّبَعْتُمُ عَذْوِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] ثم ذكر الثناء، ثم ذكر الدعاء، لأن^(١٥) الشارع لا بد له من تعليم الشرع، فأما حين^(١٦) خلا بنفسه ولم يكن غرضه

(٩) انظر الكشف ١١٨/٣، والفخر الرازي ١٤٦/٢٤.

(١٠) تعالى: سقط من ب.

(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٢) في ب: ذكره.

(١٣) انظر الفخر الرازي ١٤٧/٢٤.

(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٥) في النسختين: لما أن. والتصويب من الفخر الرازي.

(١٦) ما: تكملة من الفخر الرازي.

(١) في ب: البتة إليه.

(٢) في ب: لأجل.

(٣) في الفخر الرازي: مع أنني كنت.

(٤) في ب: شدة.

(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٦) في ب: وكذلك. وهو تحريف.

(٧) انظر الفخر الرازي ١٤٦/٢٤.

(٨) في الأصل: علق. وهو تحريف.

تعلم الشرع اقتصر على قوله: «حسبي من سؤالي علمه بحالي»^(١) واعلم أن قوله: «رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَالْحَقِّقْنِي بِالصَّالِحِينَ» أجابه الله تعالى بقوله «وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكِنَّ الْفَضْلِينَ»^(٢).

والمراد بـ «الحكم»: إدراك الحق والعلم، لأن النبوة كانت حاصلة له، وتحصيل الحاصل محال، وهذا قول مقاتل^(٣). وقال ابن عباس: معرفة حدود الله وأحكامه. وقال الكلبي: النبوة^(٤) «وَالْحَقِّقْنِي بِالصَّالِحِينَ» من قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة.

قوله: «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ». أي: ثناء حسناً، وذكر أجمعاً، وقبولاً عاماً في الأمم التي تجيء بعدي. قال ابن عباس: أعطاه الله بقوله: «وَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ»^(٥) [الصفات: ١٠٨] فأهل الأديان يتولونه ويشنون عليه.

قال القتيبي: وضع اللسان موضع القول على الاستعارة، لأن القول يكون به^(٦). وقيل: المراد منه: أن يجعل في ذريته في آخر الزمان من يكون داعياً إلى الله تعالى وذلك هو محمد - عليه السلام^(٧) - فالمراد من قوله: «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» بعثة محمد^(٨) - ﷺ^(٩) -.

قوله: «وَاجْعَلْنِي (مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ)»^(١٠) «مِنْ وَرَثَةِ» إما أن يكون مفعولاً ثانياً، أي: مستقراً أو كائناً من ورثة. وإما أن يكون صفة لمحذوف هو المفعول الثاني، أي: وارثاً من ورثة^(١١). واعلم أنه لما طلب سعادة الدنيا طلب بعدها سعادة الآخرة، وهي جنة النعيم، وشبهها بما يورث لأنه^(١٢) الذي يغتنم في الدنيا، فشبّه غنيمة الآخرة بغنيمة الدنيا^(١٣).

قوله: «وَاعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ». لما فرغ من طلب السعادات^(١٤) الدنيوية والأخروية لنفسه طلبها لأشد الناس التصاقاً به، وهو أبوه، وفيه وجهان:
الأول: أن المغفرة مشروطة بالإسلام، وطلب المشروط متضمن لطلب الشرط، فقولُه «وَاعْفِرْ لِأَبِي» كأنه دعاء له بالإسلام.

(١) انظر الفخر الرازي ١٤٧/٢٤.

(٢) [البقرة: ١٣٠]، [النحل: ١٢٢]، [العنكبوت: ٢٧]. وانظر الفخر الرازي ١٤٧/٢٤.

(٣) انظر الفخر الرازي ١٤٧/٢٤. (٤) في ب: والنبوة.

(٥) [الصفات: ١٠٨]، وتكررت في نفس السورة الآية (٧٨، ١٢٩) وانظر الفخر الرازي ١٤٩/٢٤.

(٦) انظر القرطبي ١١٣/١٣. (٧) في ب: ﷺ.

(٨) في ب: محمداً. وهو تحريف. (٩) انظر الفخر الرازي ١٤٩/٢٤.

(١٠) ما بين القوسين مكرر في ب. (١١) ذكر هذا الوجه أبو البقاء. انظر التبيان ٩٩٧/٢.

(١٢) في ب: لأنه هو. (١٣) انظر الفخر الرازي ١٤٩/٢٤ - ١٥٠.

(١٤) في النسختين: السؤالات. والتصويب من الفخر الرازي.

الثاني: أن أباه وعده بالإسلام لقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ آسِئَةً لِّإِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤] فدعا له قبل أن يتبين له (أنه عدو لله) (١)، كما سبق في سورة التوبة. وقيل: إن أباه قال له: إنه على دينه باطناً وعلى دين نمرود ظاهراً تقية وخوفاً، فدعا له لاعتقاده أن الأمر كذلك، فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه: «إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ» فلولا اعتقاده فيه أنه في الحال ليس بضال لما قال ذلك (٢).

قوله: «وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ». (قال الزمخشري) (٣): الإخزاء من الخزي، وهو الهوان، ومن الخزية، وهي الحياء (٤). وهذه الآية تدل على أنه لا يجب على الله شيء كما تقدم في قوله: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ». فإن قيل: لما قال أولاً: «وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ» كان كافياً عن قوله: «وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ». وأيضاً فقد قال الله تعالى: «إِنَّ الْآخِرَىٰ لَأَيْسَرُ وَأَلْسَنُ مِنَ الْأُولَىٰ» [النحل: ٢٧] فما كان نصيب الكفار فقط كيف يخافه المعصوم؟

فالجواب: أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فكذا درجات الأبرار خزي المقربين، وخزي كل واحد بما يليق به (٥).

قال الزمخشري: في (يبعثون) ضمير العباد لأنه معلوم، أو ضمير الضالين (٦). قوله: «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ... الآية». «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ» بدل من «يوم» قبله (٧) وجعل ابن عطية هذا من كلام الله تعالى إلى آخر الآيات مع إعرابه «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ» بدلاً من «يَوْمَ يُبْعَثُونَ» (٨). وردّه أبو حيان بأن العامل في البذل هو العامل في المبدل منه أو آخر مثله مقدر. وعلى كلا هذين القولين لا يصح لاختلاف المتكلمين (٩). واعلم أن الله تعالى قد أكرمه بهذا الوصف حيث قال: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٨٤].

قوله: «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ» فيه أوجه:

أحدها: أنه منقطع، أي «من أتى الله بقلب سليم» فإنه ينفعه ذلك.

وقال الزمخشري: ولا بد مع ذلك من تقدير المضاف، وهو الحال المراد بها سلامة

(١) ما بين القوسين سقط من ب. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٥٠.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب. (٤) الكشف ٣/١١٨.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٥٠. (٦) الكشف ٣/١١٨.

(٧) من الآية التي قبلها. انظر التبيان ٢/٩٩٧.

(٨) قال ابن عطية: «(يوم) بدل من الأول في قوله تعالى: «يوم يبعثون» والمعنى: يوم لا تنفع أعلام الدنيا ومحاسنها» تفسير ابن عطية ١١/١٢٦.

(٩) انظر البحر المحيط ٧/٢٨.

القلب^(١)، وليست من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن البنين والمال لا ينفعان، وإنما ينفع سلامة القلب، ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى^(٢).
قال أبو حيان: ولا ضرورة تدعو إلى حذف المضاف كما ذكر^(٣).

قال شهاب الدين^(٤): إنما قدر المضاف ليتوهم دخول المستثنى في المستثنى منه لأنه متى لم يتوهم ذلك لم يقع الاستثناء، ولهذا منعوا: صَهَلَتِ الْخَيْلُ إِلَّا الْإِبِلَ. إِلَّا بتأويل^(٥).

الثاني: أنه مفعول به لقوله: «لَا يَنْفَعُ» أي: لا ينفع المال والبنون إلا هذا الشخص فإنه ينفعه ماله المصروف في وجوه البرّ وبنوه الصالحاء، لأنه علّمهم وأحسن إليهم^(٦).

الثالث: أنه بدل من المفعول المحذوف، أو مستثنى منه، (إذ التقدير: لا ينفع مال ولا بنون أحداً من الناس إلا من كانت هذه صفته^(٧))، والمستثنى منه^(٨) يحذف كقوله:

٣٩١٢ - وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جَفْنُ سَيْفٍ وَمِغْزَرًا^(٩)

أي: ولم ينج بشيء.

الرابع: أنه بدل من فاعل «يَنْفَعُ» فيكون مرفوعاً. قال أبو البقاء: وغلب من يعقل فيكون التقدير: إِلَّا مَالُ مَنْ، أو بنون من فإنه ينفع نفسه وغيره بالشفاعة^(١١).

قال شهاب الدين: وأبو البقاء خلط وجهاً بوجه، وذلك أنه إذا أردنا أن نجعله بدلاً من فاعل «يَنْفَعُ» قلنا: فيه طريقتان^(١٢):

إحدهما^(١٣): طريقة التغليب، أي: غلبنا البنين على المال، فاستثنى من البنين

(١) في النسختين: السلامة. وما أثبتته من الفخر الرازي.

(٢) الكشف ١١٨/٣. (٣) البحر المحيط ٢٦/٧.

(٤) الدر المصون ١٥٩/٥.

(٥) شرط الاستثناء المنقطع أن يناسب المستثنى منه، فلا يجوز قام القوم إلا ثعباناً، وأن لا يسبق ما هو نص في خروجه، فلا يجوز صهلت الخيل إلا الإبل، بخلاف صوتت الخيل إلا الإبل، فالمثال الذي ذكره شهاب الدين على ظاهره لا يجوز، لأنه قد سبق ما هو نص في خروج ما بعد (إلا)، فيصبح (إلا) لغواً لا فائدة منها، لأن الصهيل خاص بالخيل، وكأن شهاب الدين يقصد بالتأويل هنا أن يضمن (صهلت) معنى (صوتت). انظر حاشية الصبان على الأشموني ١٤٣/٢.

(٦) انظر الكشف ١١٨/٣. (٧) انظر التبيان ٩٩٨/٢.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب. (٩) في الأصل: ولا.

(١٠) عجز بيت من بحر الطويل، وصدّره:

نجا سالم والنفس منه بشدقه

وقد تقدم تخريجه.

(١٢) في النسختين: طريقان. والصواب ما أثبتته.

(١١) التبيان ٩٩٨/٢.

(١٣) في الأصل: أحدهما.

فكانه قيل: لا ينفع البنون إلا من أتى من البنين بقلب سليم فإنه ينفع نفسه بصلاحه وغيره بالشفاعة.

والطريقة الثانية: أن نقدر مضافاً محذوفاً قيل «من» أي: إلا مال من، أو بنو من، فصارت الأوجه خمسة^(١). ووجه الزمخشري اتصال الاستثناء بوجهين:

أحدهما: إلا حالة^(٢) «مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» وهو من قوله:

٣٩١٣ - تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(٣)

وما ثوابه إلا السيف، ومثاله أن يقال: هل لزيد مالٌ وبنون؟ فيقال: ماله وبنوه سلامة^(٤) قلبه، يريد نفى المال والبنين عنه، وإثبات سلامة قلبه بدلاً عن ذلك^(٥).

والثاني: قال: وإن^(٦) شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى، كأنه قيل: يوم لا ينفع غنى إلا من أتى الله، لأن غنى الرجل في دينه بسلامه قلبه، كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه^(٧).

فصل

وفي «السليم» ثلاثة أوجه:

قال ابن الخطيب: أصحها: أن المراد منه سلامه النفس^(٨) عن الجهل والأخلاق الرذيلة^(٩). وقيل: السليم: الخالص من الشرك والشك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، وهذا قول أكثر المفسرين^(١٠). وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله تعالى: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»^(١١)^(١٢). وقيل: السليم: هو^(١٣) اللديغ من خشية الله^(١٤). وقيل: السليم: هو الذي سَلِمَ وَأَسْلَمَ وَسَلِّمَ وَأَسْتَسَلَّمَ^(١٥).

قوله تعالى: ﴿وَأَزَلَّتْ رَجُلَتُكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٦) وَبَرَزْتَ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ^(١٧) وَقِيلَ لَهُمَ إِنَّمَا مَا

(١) الدرر المصون ١٥٩/٥. (٢) في الكشاف: حال.

(٣) عجز بيت من بحر الوافر، قاله عمرو بن معديكرب، وصدرة:

وخيل قند دلفت لها بخيل

وقد تقدم.

(٤) في ب: وسلامة.

(٦) في ب: إن.

(٨) في الفخر الرازي: القلب.

(١٠) انظر القرطبي ١١٤/١٣.

(١١) ورد في القرآن إحدى عشرة مرة، أولها [البقرة: ١٠]. انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٦٦٤).

(١٢) انظر القرطبي ١١٤/١٣.

(١٤) هو: سقط من ب.

(١٥) المرجع السابق.

كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاُونَ ﴿٩٤﴾
وَجُنُودٌ إِنْ لَيْسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ
سُئِلَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ
حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْغَيْرِزِ الرَّحِيمِ ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» أي: أن^(١) الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويفرحون بأنهم المحشورون إليها^(٢). «وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» أي: أظهرت^(٣).

وقرأ مالك بن دينار^(٤): «وَبَرَزَتْ» بفتح الباء والراء^(٥) خفيفة مبنياً للفاعل مسنداً لـ «الجحيم»، فلذلك رفع^(٦)، والمراد بـ «الغاوين» الكافرون^(٧).
«وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ»: يمنعونكم من العذاب بنصرتهم، أو ينفعون أنفسهم بانتصارهم.

قوله: «فَكَبِّكُوا» أي: ألقوا وقلب بعضهم على بعض. قال الزمخشري: الكَبْكَبَةُ: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى^(٨).
وقال ابن عطية نحواً منه^(٩)، قال: وهو الصحيح، لأن تكرير الفعل^(١٠) يبين نحو: صَرَ وَصَرَ صَرَ^(١١)، وهذا هو مذهب الزجاج^(١٢).

وفي مثل هذا البناء ثلاثة مذاهب:
أحدها: هذا.

والثاني: وهو مذهب البصريين أن الحروف كلها أصول.
والثالث: وهو قول الكوفيين: أن الثالث مبدل من مثل الثاني. فأصل «كَبْكَبَ»: كَبَّبَ، بثلاث باءات، ومثله «أَلَمَلَمَ، وَكَفَكَفَ»، هذا إذا صح المعنى بسقوط الثالث،

(١) أن: سقط من الأصل. (٢) انظر الفخر الرازي ١٥٢/٢٤.

(٣) انظر البغوي ٢٢٤/٦. (٤) تقدم.

(٥) في الأصل: الراء والباء. (٦) تفسير ابن عطية ١٢٧/١١، البحر المحيط ٢٧/٧.

(٧) انظر القرطبي ١١٥/١٣ - ١١٦. (٨) الكشف ١١٩/٣.

(٩) قال ابن عطية: (و «كَبْكَبَ» مضاعف من «كَب» هذا قول الجمهور) تفسير ابن عطية ١٢٨/١١.

(١٠) في تفسير ابن عطية: لأن معناه واحد والتضعيف.

(١١) تفسير ابن عطية ١٢٨/١١.

(١٢) قال الزجاج: (ومعنى كَبِكَبُوا طرح بعضهم على بعض، وقال أهل اللغة معناه: هَوَّروا. وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنه إذا ألقى ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها يستجير بالله منها) معاني القرآن وإعرابه ٩٤/٤.

فأما^(١) إذا لم يصح المعنى بسقوطه كانت كلها أصولاً من غير خلاف^(٢) نحو: «سَيَمِيمٌ، وَخَمِيمٌ»^(٣). وواو «كُنْكِبُوا» قيل: للأصنام، إجراء لها مجرى العقلاء. وقيل^(٤): (لعابديها)^{(٥)(٦)}.

فصل

قال ابن عباس: جمعوا^(٧). وقال مجاهد: دَهَوْرُوا^(٨). وقال مقاتل: قَذَفُوا^(٩) وقال الزجاج: طَرَحَ بعضهم على (بعض)^{(١٠)(١١)}. وقال القتيبي: أَلْقُوا على رؤوسهم «هَمَّ وَالْعَاوُونَ» يعني: الشياطين، قاله قتادة ومقاتل. وقال الكلبي: كَفَرَةُ الجن. «وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ» أتباعه من الجن والإنس. وقيل: ذريته^(١٢).

قوله: «وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ» جملة حالية^(١٣) معترضة بين القول ومعموله ومعمول الجملة القسمية^(١٤).

قوله: «إِنْ كُنَّا لَفِي». مذهب البصريين: أن «إِنْ» مخففة، واللام فارقة. ومذهب الكوفيين: أن «إِنْ»^(١٥) نافية، واللام بمعنى «إِلا»^(١٦).

فصل

المعنى: قال الغاؤون للشياطين والمعبودين «وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ» مع المعبودين، ويجادل بعضهم بعضاً: «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» يذكرون ذلك حين يروا صورها على وجه الاعتراف (بالخطأ العظيم وعلى)^(١٧) وجه الندامة لا على وجه المخاطبة، لأنها جماد لا تخاطب، وأيضاً فلا ذَنْبَ لها بأن عبدها غيرها. ومما يدل على أن ذلك ليس

(١) انظر شرح الشافعية ١/ ٦١ - ٦٢، البحر المحيط ٣/ ٧ - ٤.

(٢) أما: سقط من ب.

(٣) الخمخم: بالكسر، نبات تعلق حبه الإبل. اللسان (خمم).

(٤) في الأصل: وهي. (٥) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٧.

(٦) ما بين القوسين في ب: العائد بها. وهو تحريف.

(٧) انظر البغوي ٦/ ٢٢٤.

(٨) انظر البغوي ٦/ ٢٢٥. دهور الشيء فتدهور: قذفه ودفعه فسقط في مهواة، يقال: دهور الكلام، أي: قحم بعضه في أثر بعض، ويقال: دهور اللقم أي أدارها والتهمها. اللسان (دهر).

(٩) المرجع السابق. (١٠) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٤.

(١١) ما بين القوسين في ب: بعضهم. وهو تحريف.

(١٢) انظر البغوي ٦/ ٢٢٥.

(١٣) حالية: سقط من الأصل.

(١٤) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٧. (١٥) في ب: نا. وهو تحريف.

(١٦) انظر الإنصاف المسألة (٩٠) ٢/ ٦٤٠ - ٦٤٣، البحر المحيط ٧/ ٢٧، ائتلاف النصرة (١٥٥ - ١٥٦).

(١٧) ما بين القوسين في النسختين: والخطأ العظيم على. والتصويب من الفخر الرازي.

بخطاب لها في الحقيقة قولهم: «وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ»^(١) قوله: «إِذْ نُسَوِّكُمْ». «إِذْ» منصوب إمّا بـ «مُبِين»^(٢)، وإما بمحذوف، أي: ضللنا في وقت تسويتنا لكم بالله في العبادة^(٣). ويجوز على ضعف أن يكون معمولاً لـ «ضَلَّالٍ»، والمعنى عليه إلا أن ضعفه صناعي وهو أن المصدر الموصوف لا يعمل بعد وصفه^(٤).

فصل

«نُسَوِّكُمْ» نَعْدِلُكُمْ «بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» فنعبدكم، «وَمَا أَضَلَّنَا»: دعانا^(٥) إلى الضلال «إِلَّا الْمُجْرِمُونَ». قال مقاتل: يعني: الشياطين^(٦). وقال الكلبي: إلا أولونا الذين اقتدينا بهم^{(٧)(٨)}.

قوله: «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ» أي: من يشفع لنا؟ كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبیین والمؤمنين، «وَلَا صَدِيقٍ» وهو الصادق في المودة بشرط الدين. قال جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ: مَا فَعَلَ صَدِيقِي فَلَانَ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٩). فيقول مَنْ بَقِيَ: «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»^(١٠).

قال الحسن: «استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعاة يوم القيامة»^(١١) والحميم: القريب، من قولهم: حامة فلان، أي: خاصته^(١٢).

وقال الزمخشري: الحميم: من الاحتمام، وهو الاهتمام أو من الحامة^(١٣) وهي الخاصة، وهو الصديق الخالص^(١٤) والنفي هنا يحتمل نفي الصديق من أصله، أو نفي صفته فقط^(١٥)، فهو من باب:

٣٩١٤ - عَلَى لَاجِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ^(١٦)

و «الصديق» يحتمل أن يكون مفرداً وأن يكون مستعملاً للجمع، كما يستعمل

(١) انظر الفخر الرازي ١٥٢/٢٤. (٢) في الآية التي تسبقها من السورة نفسها.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر التبيان ٩٩٨/٢.

(٥) انظر البغوي ٢٢٥/٦.

(٦) في ب: ادعانا.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) المرجع السابق.

(٩) ذكره البغوي بسنده ٢٢٥/٦ - ٢٢٦.

(١٠) في الأصل: في.

(١١) انظر البغوي ٢٢٦/٦.

(١٢) انظر اللسان (حَمَم).

(١٣) في ب: الحمامة. وهو تحريف.

(١٤) الكشف ١١٩/٣.

(١٥) لأنه إذا انتفت صفه الصديق فلا فائدة فيه، فيصير كأنه معدوم. البحر المحيط ٢٨/٧.

(١٦) صدر بيت من بحر الطويل، قاله امرؤ القيس، وعجزه:

إذا سافه العود النبطي جرجرا

الْعَدُوَّةُ، فيقال^(١): هم صديق، وهم عدو، وقد تقدم^(٢). وإنما جمع «الشافعين» ووَحَّدَ «الصديق» لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق^(٣).

قوله: «فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ». لَوْ^(٤) يجوز أن تكون الْمُشْرِيةَ معنى^(٥) التمني، فلا جواب لها على المشهور، ويكون نصب «فَتَكُونُ» جواباً للتمني الذي أَفْهَمْتُهُ «لَوْ»^(٦) ويجوز أن تكون على بابها، وجوابها محذوف، أي: لَوْجَدْنَا شَفْعَاءَ وَأَصْدِقَاءَ، أو لَعَمَلْنَا صَالِحاً^(٧) وعلى هذا فنصب الفعل بـ «أَنْ» مضمرة عطفاً على «كرة» أي: لو أَنَّ لَنَا كَرَّةً (فَكُونَا)^(٨) كقولها:

٣٩١٥ - لَلْبَسِ عِبَاءَةً وَتَقَرَّ عَيْنِي^(٩)

فصل

قال الجبائي: قولهم: «فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» ليس بخبر عن إيمانهم، لكنه خبر عن عزمهم، لأنه لو كان خبراً عن إيمانهم لوجب أن يكون صدقاً، لأن الكذب لا يقع من أهل الآخرة، وقد أخبر الله تعالى بخلاف ذلك في قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(١٠) [الأنعام: ٢٨] وقد تقدم في سور الأنعام بيان فساد هذا الكلام^(١١).

قوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» أي: فيما ذكره من قصة إبراهيم - عليه السلام^(١٢) - آية لمن يريد أن يستدل بذلك ثم قال: «وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» حمله أكثر المفسرين على

(١) في ب: يقال.

(٢) انظر المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٨٨/١ - ٢٩٠، الكشاف ١٢٠/٣.

(٣) انظر الكشاف ١١٨/٣. (٤) لو: سقط من ب.

(٥) في ب: معنى.

(٦) انظر الكشاف ١٢٠/٣، البيان ٢/٢١٥، أمالي ابن الشجري ١/٢٨٠، البحر المحيط ٧/٢٠.

(٧) انظر الكشاف ١٢٠/٣، التبيان ٢/٩٩٨، البحر المحيط ٧/٢٠.

(٨) فكوناً: تكملة ليست في المخطوط.

(٩) صدر بيت من الوافر قالته ميسون بنت بحدل زوج معاوية بن أبي سفيان وعجزه:

أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ لَبَسَ الشُّفُوفَ

وهو في الكتاب ٣/٤٥، المقتضب ٢/٢٦، أمالي ابن الشجري ١/٢٨٠، ابن يعيش ٧/٢٥، المغني ١/٢٦٧، ٢٨٣، ٣٦١/٢، ٤٧٩، ٥٥١، التصريح ٢/٢٤٤، الهمع ٢/١٧، شرح شواهد المغني ٢/٦٥٣، ٧٧٨، الأشموني ٣/٣١٣، الخزانة ٨/٥٩٣، الدرر ٢/١٠، العباءة: جبة الصوف. قَرَّتْ عينه: بردت، كناية عن السرور والرضا. الشفوف: جمع شف - بكسر السين وفتحها - وهو الثوب الرقيق يصف البدن. والشاهد فيه نصب (تقر) بإضمار (أن) بعد الواو، ليعطف على اللبس، لأنه اسم و (تقر) فعل، فلا يمكن عطفه عليه، فحمل على إضمار (أن)، لأن (أن) وما بعدها اسم، فعطف اسماً على اسم وجعل الخبر عنهما واحداً، وهو (أحب).

(١٠) [الأنعام: ٢٨]. وانظر الفخر الرازي ٢٤/١٥٣.

(١١) انظر اللباب ٣/٣٩٨ - ٣٩٩. (١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(قوم إبراهيم، ثم بين تعالى أن مع كل هذه الدلائل فأكثر قومه لم يؤمنوا به، فيكون هذا تسلياً للرسول - ﷺ - فيما يجده) ^(١) من تكذيب ^(٢) قومه ^(٣). «وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» أي: أنه قادر على تعجيل الانتقام لكنه رحيم بالإمهال لكي يؤمنوا ^(٤).

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ^(١١٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُ ^(١١٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ^(١١٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(١١٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(١١٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(١٢٠) ﴿١١٥﴾ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ^(١٢١) قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ^(١٢٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ^(١٢٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ^(١٢٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ^(١٢٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ^(١٢٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ^(١٢٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١٢٨) فَاجْعَلْهُنَّ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ ^(١٢٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ^(١٣٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ^(١٣١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ^(١٣٢)

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآيات. لما قصَّ على محمد - ﷺ - خبر موسى وإبراهيم - عليهما السلام ^(٥) - تسلياً له مما يلقاه من قومه قصص عليه أيضاً نبأ نوح، فقد كان نبؤه ^(٦) أعظم من نبأ غيره، لأنه دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ومع ذلك كذبه قومه ^(٧).

قوله: «كَذَّبَتْ» إنما أنت فعل القوم لأنه مؤنث بدليل تصغير «القوم» على (قَوْمِيَّة) ^(٨) وقيل: لأن القوم بمعنى أمة، ولما كانت آحاده عقلاء ذكوراً وإناثاً عاد ^(٩) الضمير عليه باعتبار تغليب الذكور، فقيل: لهم أخوهم ^(١٠). وحكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين لوجهين:

أحدهما: أنهم ^(١١) وإن كذبوا نوحاً لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره، لأن طريقة معرفة الرسل لا تختلف من حيث المعنى؛ لأن كل واحد من المرسلين جاء بما جاء به الآخر، فلذلك ^(١٢) حكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين.

وثانيهما: أن قوم نوح كذبوا جميع رسل الله، إما لأنهم كانوا من الزنادقة أو من البراهمة ^(١٣).

- (١) ما بين القوسين بياض في الأصل، وسقط من ب، وهو من الفخر الرازي.
- (٢) في ب: من كذب.
- (٣) انظر الفخر الرازي ١٥٣/٢٤.
- (٤) في ب: عليهما الصلاة والسلام.
- (٥) المرجع السابق.
- (٦) نبؤه: سقط من ب.
- (٧) انظر الفخر الرازي ١٥٤/٢٤.
- (٨) انظر الكشف ١٢٠/٣، البحر المحيط ٣٠/٧.
- (٩) في ب: أعاد.
- (١٠) انظر البحر المحيط ٣٠/٧.
- (١١) أنهم: سقط من ب.
- (١٢) في ب: فذلك. وهو تحريف.
- (١٣) انظر الفخر الرازي ١٥٤/٢٤.

قوله: «أَخُوهُمْ» لأنه كان منهم، من قول العرب: يا أخا بني تميم. يريدون يا^(١) واحداً منهم^(٢)، فهو أخوهم في النسب لا في الدين «أَلَا تَتَّقُونَ» أي: عقاب الله، فحذف مفعول (تَتَّقُونَ)^(٣).

«إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» أي: على الوحي، وكان مشهوراً فيهم بالأمانة كمحمد - ﷺ - في قریش، فكانه قال: كنتُ أميناً من قبل، فكيف تتهمونني اليوم^(٤)؟ ثم قال: «فَاتَّقُوا اللَّهَ» بطاعته وعبادته «وَأَطِيعُوا» فيما أمرتكم به من الإيمان والتوحيد، «وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ» أي^(٥): على ما أنا فيه من ادعاء الرسالة. لكلا يظن به أنه دعاهم رغبة في الدنيا، ثم قال: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا». فإن قيل: فلماذا كرر الأمر بالتقوى؟

فالجواب: لأنه في الأول أراد: ألا تتقون^(٦) مخالفتي، وأنا رسول الله، وفي الثاني: ألا تتقون^(٧) مخالفتي ولست^(٨) آخذاً منكم أجراً، فهو في المعنى مختلف، ولا تكرار فيه، وقد يقول الرجل لغيره: ألا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيراً، ألا تتقي الله وقد علمتك كبيراً. وإنما قدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته، لأن تقوى الله^(٩) علة لطاعته، فقدم العلة على المعلول^(١٠).

قوله: «أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ» «وَاتَّبَعَكَ» جملة حالية من كاف «لك».

قال الزمخشري: والواو للحال، وحقها أن يضمّر بعدها (قد)^(١١) وقرأ ابن مسعود وابن عباس وأبو حيو: «وَأَتَّبَعَكَ» مرفوعاً^(١٢) جمع تابع «كَصَاحِبٍ وَأَصْحَابٍ» أو تبيع كـ «شَرِيفٍ وَأَشْرَافٍ»، أو «تبع» كـ (برم)^(١٣) وأبرام^(١٤) وفي رفعه وجهان:

أحدهما: أنه مبتدأ، و «الْأَرْذَلُونَ» خبره^(١٥)، والجملة حالية أيضاً^(١٦).

والثاني: أنه عطف على الضمير المرفوع في «تُؤْمِنُ»، وحسن ذلك الفصل بالجار، و «الْأَرْذَلُونَ» صفته^(١٧).

(٢) انظر الكشف ١٢٠/٣.

(٤) انظر الفخر الرازي ١٥٤/٢٤.

(٦) أي: سقط من ب.

(٨) في ب: وليست. وهو تحريف.

(١٠) انظر الفخر الرازي ١٥٤/٢٤ - ١٥٥.

(١) يا: سقط من ب.

(٣) انظر البحر المحيط ٣٠/٧.

(٥) في ب: واتقوا.

(٧) في الأصل: ألا تتقوا.

(٩) لفظ الجلالة: سقط من ب.

(١١) انظر الكشف ١٢٠/٣.

(١٢) قال الفراء: (وذكر أن بعض القراء قرأ: «وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ» ولكني لم أجده عن القراء المعروفين، وهو وجه حسن) معاني القرآن ٢٨١/٢. وانظر المحتسب ١٣١/٢، تفسير ابن عطية ١٣٢/١١ - ١٣٣، البحر المحيط ٣١/٧، الإتحاف (٣٣٣).

(١٣) البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، والجمع أبرام، وهو اللثيم. اللسان (برم).

(١٥) انظر المحتسب ١٣٢/٢، التبيان ٩٩٨/٢.

(١٤) انظر البحر المحيط ٣١/٧.

(١٧) انظر المحتسب ١٣١/٢، التبيان ٩٩٨/٢.

(١٦) انظر التبيان ٩٩٨/٢.

وقرأ اليماني: «وَأَتَّبَاعَكَ» بالجر^(١) عطفاً على الكاف في «ذَلِكَ»، وهو ضعيف أو ممنوع عند البصريين^(٢)، وعلى هذا فيرتفع «الْأَرْدَلُونَ» على خبر ابتداء مضمّر، أي: هم الأردلون^(٣) وقد تقدم ما ذة «الْأَرْدَلِ»^(٤) في هود^(٥).

فصل

الردالة: الخسّة والذلة، وإنما استردّلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا. وقيل: كانوا من^(٦) أهل الصناعات الخسيسة كالحياكة^(٧) والحجامة^(٨).

وهذه الشبهة في غاية الركاكة، لأن نوحاً - عليه السلام^(٩) - بعث إلى الخلق كافة، فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب وخستها، فأجابهم نوح عنه بالجواب الحق، وهو قوله: «وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(١٠) أي: ما أعلم أعمالهم وصنائعهم، وليس عليّ من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء، إنما كُلفت أن أدعوهم إلى الله ولي منهم ظاهر أمرهم^(١١).

قوله: «وَمَا عَلِمِي» يجوز في «مَا»^(١٢) وجهان:

أظهرهما: أنها استفهامية في محل رفع بالابتداء، و «عَلِمِي» خبرها^(١٣)، والباء متعلقة به. والثاني: أنها نافية، والباء متعلقة بـ «عَلِمِي» أيضاً، قاله الحوفي^(١٤). ويحتاج إلى إضمار خبر ليصير الكلام به (جملة)^{(١٥)(١٦)}.

(١) البحر المحيط ٣١/٧.

(٢) ووجه ضعفه عند البصريين أو امتناعه أنه لا بد من إعادة حرف الجر مع المعطوف وحجتهم في ذلك أن الجار مع المجرور بمنزلة شيء واحد، فإذا عطفت على الضمير المجرور - والضمير إذا كان مجروراً اتصل بالجار، ولم ينفصل منه، ولهذا لا يكون إلا متصلاً، بخلاف ضمير المرفوع والمنصوب - فكانك قد عطفت الاسم على الحرف الجار، وعطف الاسم على الحرف لا يجوز. وأجاز ذلك الكوفيون محتجين بقراءة حمزة في أول سورة النساء: «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ» بجر «الأرحام» عطفاً على الهاء في «به». انظر الإنصاف المسألة (٦٥) ٢/٤٦٣ - ٤٧٤.

(٣) انظر البحر المحيط ٣١/٧. (٤) في ب: الأردلون.

(٥) عند قوله تعالى: «وَمَا تَرَكَ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَيْتُمْ بَادِيَ الرَّأْيِ» [٢٧].

(٦) من: سقط من ب.

(٧) حاك الثوب يحوكه حوكاً وحياكاً وحياكة: نسجه. اللسان (حوك).

(٨) الحجامة: حرفة الحجّام، والحجّام: محترف الحجامة. المعجم الوسيط (حجم) وانظر الكشف ٣/١٢٠، الفخر الرازي ٢٤/١٥٥.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٥٥.

(١١) انظر البغوي ٦/٢٢٧. (١٢) في ب: فيه.

(١٣) قال الزمخشري: «وما علمي» أي شيء علمي (الكشف ٣/١٢٠).

(١٤) انظر البحر المحيط ٣١/٧. (١٥) المرجع السابق، وهو اعتراض أبي حيان.

(١٦) ما بين القوسين في ب: جملة اسمية.

قوله: «إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي» «إِنْ» نافية، أي: ما حسابهم إلا على ربي، ومعناه: لا نعتبر إلا الظاهر من أمرهم دون ما يخفى^(١).

قوله: «لَوْ تَشْعُرُونَ» جوابها محذوف^(٢)، ومفعول «تشعرون»^(٣) أيضاً^(٤)، والمعنى «لَوْ تَشْعُرُونَ» تعلمون ذلك ما عتصموهم بصنائعهم^(٥).

قال الزجاج: الصناعات^(٦) لا تَضُرُّ في الدِّيَانَاتِ^(٧). وقيل: معناه: إني لم أعلم أن الله يهديهم ويضلّكم، ويوفّقهم ويخذلكم^(٨).

وقرأ الأعرج وأبو زرعة: «لَوْ يَشْعُرُونَ» بياء الغيبة^(٩)، وهو التفتات، ولا يحسن عَوْدُهُ على المؤمنين^(١٠).

قوله: «وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ» وذلك كالدلالة على أن القوم سألوه إبعادهم فبين أن الدين يمنعه عن طردهم، وقد آمنوا به، وبين أن الغرض من تحمل الرسالة كونه نذيراً، فقال: «إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ» أي: إني أخوف من كذبي ولم يقبل مني، فمن قبل فهو القريب، ومن رد فهو البعيد، فلما أجابهم بهذا الجواب لم يكن منهم إلا التهديد، فقالوا: «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ»^(١١).

قال مقاتل والكلبي: من المقتولين بالحجارة^(١٢).

وقال الضحاك: من المشثومين^(١٣). فعند ذلك حصل اليأس لنوح من فلاحهم، وقال: «رَبِّ إِنِّ قَوْمِي كَذَّبُون». وليس الغرض منه إخبار الله تعالى بالتكذيب لعلمه بأنه عالم الغيب والشهادة، ولكنه أراد: لا أدعوك عليهم لما آذوني، وإنما أدعوك لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوك في وحيك ورسالتك «فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا» أي: فاحكم بيني وبينهم^(١٤). و «فَتْحًا» يجوز أن يكون مفعولاً به بمعنى المفتوح، وأن يكون مصدراً مؤكداً^(١٥). والفَتْحَةُ: الحكومة. والفَتْاح: الحكم، لأنه يفتح المستغلق^(١٦). والمراد: إنزال العقوبة عليهم لقوله عقيبه: «وَنَجِّنِي»، ولولا أن المراد إنزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى^(١٧).

(١) انظر الفخر الرازي ١٥٥/٢٤. (٢) انظر القرطبي ١٢١/١٣.

(٣) في الأصل: تحشرون. وهو تحريف.

(٤) وقدره أبو حيان: بأن المعاد حق والحساب حق. البحر المحيط ٣١/٧.

(٥) انظر البغوي ٢٢٧/٦. (٦) في ب: الصانع. وهو تحريف.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٩٥/٤. (٨) انظر البغوي ٢٢٧/٦.

(٩) المختصر (١٠٧)، البحر المحيط ٣١/٧.

(١٠) انظر القرطبي ١٢١/١٣. (١١) انظر الفخر الرازي ١٥٥/٢٤.

(١٢) انظر البغوي ٢٢٧/٦. (١٣) انظر البغوي ٢٢٧/٦ - ٢٢٨.

(١٤) انظر الفخر الرازي ١٥٥/٢٤. (١٥) انظر التبيان ٩٩٩/٢.

(١٦) انظر الكشاف ١٢١/٣. (١٧) انظر الفخر الرازي ١٥٥/٢٤.

قوله: «وَتَجْنِي» المنجى منه محذوف لفهم المعنى، أي: مما يجلّ بقومي^(١)، و «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» بيان لقوله: «مَنْ»^(٢) معي».

قوله: «فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ».

قال الزمخشري: الفلك: السفينة، واحدها: فُلك، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤] فالواحد بوزن (فُقل)^(٣) والجمع بوزن (أُسَد)^(٤) وَالْمَشْحُونُ: «الْمَمْلُوءُ الْمُوقَرُّ»، يقال: شَحَنَهَا عَلَيْهِمْ حَيْلًا وَرَجَالًا أي مَلَأَهَا^(٥) وَالشَّحْنَاءُ: العداوة لأنهما تملأ الصدور إحنا^(٦). والفلك هنا مفرد بدليل وصفه بالمفرد، وقد تقدم الكلام عليه في البقرة^(٧).

فصل

دلّت الآية على أن الذين نجوا معه كان فيهم كثرة، وأن الفلك امتلأ بهم وبما صاحبهم من الحيوانات، ثم إنه تعالى بعد أن نجاهم أغرق الباقيين فقال: «ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ»^(٨).

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ آلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَائَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِالنَّعِيمِ وَبَيْنَ وَحِشَتِ وَعْيُونِ ﴿١٣٣﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٤﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٥﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَنَّهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآيات. الكلام في فاتحة هذه القصة كالكلام في فاتحة قصة نوح. وقوله: «تَعْبَثُونَ» جملة حالية من فاعل «تبنون»^(٩). والرَّيْعُ - بكسر الراء وفتحها - جمع «رَيْعَة» وهو في اللغة: المكان المرتفع^(١٠)، قال ذو الرمة:

(١) انظر البحر المحيط ٣٢/٧. (٢) في ب: ومن.

(٣) في النسختين: فعل. والتصويب من الكشف.

(٤) الكشف ١٢١/٣. (٥) ما بين القوسين زيادة يظهر بها المعنى.

(٦) انظر اللسان (شحن).

(٧) عند قوله تعالى: ﴿... والفلك التي تجري في البحر بما ينفخ الناس﴾ [البقرة: ١٦٤].

(٨) انظر الفخر الرازي ١٥٥/٢٤ - ١٥٦. (٩) انظر التبيان ٩٩٩/٢.

(١٠) انظر اللسان (ريع).

٣٩١٦ - طِرَاقُ الْخَوَافِي مُشْرِقٌ فَوْقَ رِنْعَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِي رِنْعِهِ يَسْتَرْفِرُ^(١)

وقال أبو عبيدة: وهو^(٢) الطريق^(٣)، وأنشد للمسيب بن علس^(٤) يصف ظعنًا:

٣٩١٧ - فِي الْآلِ يَخْفِضُهَا وَيَرْفَعُهَا رِنْعٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَخْلُ^(٥)

والرَّيْع - بالفتح -: ما يحصل من الخراج.

فصل

قال الوالي عن ابن عباس: الرِّئْع: كل شرف^(٦). وقال الضحاك ومقاتل: بكل طريق^(٦) وهو رواية العوفي عن ابن عباس^(٧). وعن مجاهد قال: هو الفج بين جيلين^(٨) وعنه أيضاً أنه المنظر^(٨). و«الآية»: العَلَم.

قال ابن عباس: كانوا يبنون بكل ربيع علماً يعثون فيه بمن يمر في الطريق إلى هود^(٩) - عليه السلام^(١٠) - . وقيل: كانوا يبنون في^(١١) الأماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم، فنهبوا عنه، ونسبوا إلى العيث^(١٢). وقال سعيد بن جبير ومجاهد: هي بروج الحمام، لأنهم كانوا يلعبون بالحمام^(١٣).

قوله^(١٤): «وَتَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» قال مجاهد: قصوراً مُشَيَّدة^(١٥). وقال الكلبي: هي الحصون^(١٦). وقال قتادة: مأخذ الماء يعني: الحياض، واحداً مَصْنَعَةً^(١٧). «لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ». العامة على تخفيفه مبنياً للفاعل. وكتادة بالتشديد مبنياً للمفعول^(١٨)، ومنه قول امرئ القيس:

٣٩١٨ - وَهَلْ يَنْعَمَنَّ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبْنِي بِأَوْجَالِ^(١٩)

(١) البيت من بحر الطويل، قاله ذو الرمة. وقد تقدم.

(٢) في ب: هو. (٣) مجاز القرآن ٨٨/٢.

(٤) هو زهير بن علس بن مالك، والمسيب لقبٌ لُقِبَ به ببيت، وهو من شعراء بكر بن وائل المعدودين وخال الأعشى. الخزائن ٢٤٠/٣.

(٥) البيت من بحر الكامل قاله المسيب بن علس، وهو في تفسير ابن عطية ١٣٥/١١، القرطبي ١٣/١٢٢، اللسان (ربيع)، البحر المحيط ٢٩/٧ - ٣٠، شرح شواهد الكشاف (١٠٠) الآل: الشراب. الرِّئْع: الطريق. وهو موطن الشاهد. يلوح: يتراءى. السخل: الثوب الأبيض.

(٦) انظر البغوي ٢٢٩/٦. (٧) في ب: رضي الله عنهما.

(٨) انظر البغوي ٢٢٩/٦. (٩) انظر الفخر الرازي ١٥٧/٢٤.

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١١) في: تكملة من الفخر الرازي.

(١٢) انظر الفخر الرازي ١٥٧/٢٤. (١٣) انظر البغوي ٢٢٩/٦.

(١٤) قوله: سقط من الأصل. (١٥) انظر البغوي ٢٢٩/٦.

(١٦) المرجع السابق. (١٧) المرجع السابق.

(١٨) قال ابن خالويه: «لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» قتادة، «تَخْلُدُونَ» بالتشديد أبو العالية) المختصر (١٠٧). وكذا في البحر المحيط ٣٢/٧، وقال ابن جني (ومن ذلك قراءة قتادة: «لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ») المحتسب ١٣٠/٢.

(١٩) البيت من بحر الطويل، قاله امرؤ القيس، وهو في ديوانه (٢٧)، المحتسب ١٣٠/٢، الحماسة =

و «لَعَلَّ» هنا على بابها. وقيل: للتعليل. ويؤيده قراءة عبد الله: «كَي تَخْلِدُونَ»^(١). وقيل: للاستفهام، قاله زيد بن علي، وبه قال الكوفيون. وقيل: معناها التشبيه، أي: كأنكم تخلدون. ويؤيده ما في حرف أبي: «كَأَنَّكُمْ تُخْلِدُونَ» بضم التاء مخففاً ومشدداً^(٢). وقرئ: «كَأَنَّكُمْ خَالِدُونَ»^(٣) ولم يعلم من نص عليها أنها تكون للتشبيه. والمعنى: كأنكم تبقون فيها خالدين. قوله: «وَإِذَا بَطِشْتُمْ» أي: وإذا^(٤) أردتم، وإنما احتجنا إلى تقدير الإرادة لثلاث يتحد الشرط والجزاء^(٥)، و «جَبَّارِينَ» حال. واعلم أن اتخاذ الأبنية العالية يدل على حب الدنيا، واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء، والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو، وهذه صفات الإلهية وهي ممتنعة الحصول للعبد^(٦) ولما ذكر هود^(٧) هذه الأشياء قال: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا» زيادة في دعائهم إلى الآخرة، وزجراً لهم عن حب الدنيا والاشتغال بالسرف والتجبر، ثم وصل هذا الوعظ بما يؤكد القبول بأن نبههم على نعم الله تعالى عليهم فقال: «وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ» أي: أعطاكم من الخير ما تعلمون، ثم فصل ذلك الإعطاء فقال^(٨): «أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ وَجَنَّتٍ وَغِيُونَ»^(٩) أي: بساتين وأنهار، «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ». قال ابن عباس: «إِنْ عَصَيْتُمُونِي»^(١٠) عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٌ. قوله: «أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ» فيه وجهان:

أحدهما: أن الجملة الثانية بيان للأولى وتفسير لها^(١١).

والثاني: أن^(١٢) «بأنعام» بدل من قوله: «بِمَا تَعْلَمُونَ» بإعادة العامل^(١٣)، كقوله: «اتَّبِعُوا الرُّسُلَ أَنْتُمْ مَن لَّا يَسْتَلْكُمْ (أَجْرًا)»^(١٤) [يس: ٢٠ - ٢١].

قال أبو حيان: والأكثر لا يجعلون هذا بدلاً وإنما يجعلونه تكريراً^(١٦)، وإنما يجعلون بدلاً بإعادة العامل إذا كان حرف جر من غير إعادة متعلقه نحو: «مَرَرْتُ بِزَيْدٍ بِأَخِيكَ» ولا يقولون: «مررت بزيد مررت بأخيك» على البدل^(١٧).

قوله: «أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ» معادل لقوله: «أَوْعِظْتُ». وإنما أتى بالمعادل كذا

= البصرية ١٢٦/١، البحر المحيط ٣٣/٧. وأتى به استثناساً لقراءة التشديد، ويعني بالمخلد المنعم

المرفه الذي يلبس الخلد، وهو السوار أو القرط. الأوجال: جمع وجل، وهو الفرع.

(١) انظر البحر المحيط ٣٢/٧. (٢) انظر البحر المحيط ٣٢/٧.

(٣) انظر القرطبي ١٢٤/١٣، البحر المحيط ٣٢/٧.

(٤) في ب: أي إذا. (٥) انظر البحر المحيط ٣٣/٧.

(٦) انظر الفخر الرازي ١٥٧/٢٤. (٧) في ب: ولما جرد ذكر.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب. (٩) انظر الفخر الرازي ١٥٧/٢٤.

(١٠) انظر البغوي ٢٣٠/٦. (١١) انظر التبيان ٩٩٩/٢.

(١٢) أن: سقط من ب. (١٣) في ب: القليل. وهو تحريف.

(١٤) ما بين القوسين سقط من ب. (١٥) [يس: ٢٠، ٢١]، وانظر البحر المحيط ٣٣/٧.

(١٦) قال أبو حيان: ويسمى التبع.

(١٧) البحر المحيط ٣٣/٧.

دون قوله: «أم لم تعظ» لتواخي الفواصل^(١). وأبدى له الزمخشري معنى فقال: وبينهما فرق، لأن المعنى: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشره، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك: «أم لم تعظ»^(٢).

وقرأ العامة: «أَوْعَظْتَ»^(٣) بإظهار الظاء قبل التاء. وروي عن أبي عمرو والكسائي وعاصم، وبها قرأ الأعمش وابن محيصن بالإدغام^(٤). وهي ضعيفة^(٥)، لأن الظاء أقوى، ولا يدغم الأقوى في الأضعف، على أنه قد جاء من هذا في القرآن العزيز أشياء متواترة يجب قبولها نحو: «زُخِرَ عَنْ»^(٦) و «لَيْسَ بَسْطَتْ»^(٧).

فصل

لما وعظهم ورجبهم وخوفهم أجابوه بقولهم: «سَوَاءَ عَلَيْنَا أَيْ: مستو عندنا أوعظت أم لم تكن من الواعظين أظهروا قلة اكتراثهم بكلامه»^(٨)، ثم قالوا: «إِنْ هَذَا إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ». قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام، أي: اختلاق الأولين وكذبهم، كقوله: «وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا»^(٩) والباقون بضميتين^(١٠). فقيل: معناهما: الاختلاق، وهو الكذب. وكذا قرأ ابن مسعود^(١١). وقيل: عادة الأولين من قبلنا حياة وموت هو^(١٢) خلق الأولين وعادتهم^(١٣). وروى الأصمعي عن نافع، وبها قرأ أبو قلابه ضم الخاء وسكون اللام^(١٤)، وهي تخفيف المضمومة. ثم قالوا: «وَمَا تَحْنُ

(١) في النسختين: القوافي. والأدق ما أثبتته. (٢) الكشف ١٢٢/٣.

(٣) في ب: وعظت. (٤) انظر البحر المحيط ٣٣/٧.

(٥) حكم أبو حيان على هذه القراءة بأنها خلاف الأفصح، فإنه قال في معرض حديثه عنها: (وإن كان غيرها هو أفصح وأقيس) البحر المحيط ٣٣/٧، وسيبويه ذكر أن مثل هذا الإدغام جائز فإنه قال: (وكذلك الظاء لأنهما إذا كانا منفصلين، يعني الظاء وبعدها التاء، جاز البيان، ويترك الإطباق على حاله إن أدغمت، فلما صار في حرف واحد ازداد ثقلاً، إذ كانا يستقلان منفصلين، فالزموها ما الزموا الصاد والتاء، فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالطاء وهي الظاء ليكون العمل من وجه واحد) الكتاب ٤/٤٦٨، وظاهر هذا أنها تنطق: أَوْعَظْتُ. والفراء ذكر أنهم قد يحولون الظاء تاء في قوله: «أَوْعَظْتُ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ». معاني القرآن ٢/٢٨٩. وظاهر كلام الفراء أن مثل هذا لغة من لغات الغرب.

(٦) من قوله تعالى: «فَمَنْ زَحْرَجَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» [آل عمران: ١٨٥].

(٧) من قوله تعالى: «لَيْسَ بَسْطَتْ إِلَيَّ يَدُكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» [المائدة: ٢٨].

(٨) انظر الفخر الرازي ١٥٧/٢٤.

(٩) من قوله تعالى: «إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا» [العنكبوت: ١٧].

(١٠) السبعة (٤٧٢)، الكشف ١٥١/٢، النشر ٢/٣٣٥ - ٣٣٦، الإتحاف (٣٣٣).

(١١) انظر البحر المحيط ٣٣/٧ - ٣٤. (١٢) في ب: وهو.

(١٣) انظر البحر المحيط ٣٤/٧.

(١٤) المختصر (١٠٧)، تفسير ابن عطية ١٣٧/١١، البحر المحيط ٣٤/٧.

بِمُعَذِّبِينَ» أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من إنكار المعاد، فعند هذا بين الله تعالى أنه أهلهم، وقد سبق بيان كيفية الهلاك^(١).

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ عَنْ آمَانَتِكُمْ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ الَّتِي شَرِبْتُ وَلِكُنَّ شَرِبَ يَوْمَ تَعْلَمُونَ (١٥٥) وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩)

قوله تعالى: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ» تقدم نظيره^(٢).

وقوله: «أَتُتْرَكُونَ [في ما ههنا] أي: أظنون أنكم تتركون»^(٣) في دياركم «أَمِينِينَ» وتطمعون في أنه لا دار [للمجازاة]^(٤) (٥).

وقوله: «فِي مَا هَهْنَا» أي: في^(٦) الذي استقر في هذا المكان من النعيم، ثم فسره [بقوله: «فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ»]^(٧) (٨).

قوله: «فِي جَنَّاتٍ» بدل من «فِي مَا هَهْنَا»^(٩) بإعادة العامل^(١٠)، فصل بعدما أجمل كما في القصة قبلها^(١١)، و «ما» موصولة وظرف المكان^(١٢) صلتها^(١٣).

قوله: «وَنَخْلٍ» يجوز أن يكون من باب ذكر الخاص بعد العام، لأن الجنات تشمل النخل. ويجوز^(١٤) أن يكون تكريراً للشيء الواحد بلفظ آخر، فإنهم يطلقون الجنة ولا يريدون إلا النخل^(١٥)، قال زهير:

(١) انظر الفخر الرازي ١٥٨/٢٤. (٢) في فاتحة قصة نوح.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب. (٤) انظر الفخر الرازي ١٥٩/٢٤.

(٥) ما بين القوسين في الأصل: للمحاجة. (٦) في: سقط من ب.

(٧) انظر الكشف ١٢٢/٣، الفخر الرازي ١٥٩/٢٤.

(٨) ما بين القوسين تكملة من الكشف والفخر الرازي.

(٩) في ب: فيما تقريباً. (١٠) انظر التبيان ٩٩٩/٢، البحر المحيط ٣٤/٧.

(١١) أي: كما أجمل هود - عليه السلام - في قوله: «أمدمكم بما تعلمون» ثم فصل في قوله: «أمدمكم بأنعام

وبنين». انظر الكشف ١٢٢/٣، البحر المحيط ٣٤/٧.

(١٢) في الأصل: العامل. (١٣) انظر البحر المحيط ٣٤/٧.

(١٤) ويجوز: سقط من ب. (١٥) انظر الكشف ١٢٢/٣، البحر المحيط ٣٤/٧.

٣٩١٩ - كَأَنَّ عَيْنَيْ فِي عَرْبِي مُقْتَلَةٌ مِنْ التَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سَحْقًا^(١)

و «سَحْقًا»: جمع سَحْق، ولا يوصف به إلا النخل. وقيل: المراد بـ «الجَنَّاتِ» غيرها من الشجر، لأن اللفظ يصلح لذلك، ثم يعطف عليها النخل^(٢). والطلع الكفري^(٣) وهو: عنقود التمر قبل خروجه من الكم^(٤). وقال الزمخشري: الطلع: هو الذي يطلع^(٥) من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنؤ^(٦) والقنؤ: هو اسم للخارج من الجذع كما هو يَعْزُجُونَهُ^(٧)، و «الهضيم»: قال ابن عباس: هو اللطيف^(٨)، ومنه قولهم: كشح^(٩) هضيم. وروي عطية^(١٠) عنه: يانع^(١١). وقال عكرمة: اللين^(١٢). وقيل: المتراكب. قال الضحاك ومقاتل: قد ركب بعضه بعضاً حتى هضم بعضه بعضاً، أي: كسره^(١٣).

وقال^(١٤) أهل المعاني: هو المنضم بعضه إلى بعض في وعائه قبل أن يظهر^(١٥). وقال^(١٦) الأزهرى: الهضيم^(١٧): هو الداخل بعضه في بعض من النضج والنعامة^(١٨). وقيل: هضيم، أي: هاضم يهضم الطعام، وكل هذا للطفاته^(١٩).

قوله: «وَتَنَحُّونَ». العامة على الخطاب وكسر الحاء. والحسن وعيسى وأبو حيوة يفتحها. وعن الحسن أيضاً: «تَنَحَّاتُونَ» بألف للإشباع. وعنه وعن أبي حيوة «يَنَجُّونَ»

(١) البيت من بحر البسيط، قاله زهير، وهو في ديوانه (٣٧)، الكشف ١٢٢/٣، القرطبي ١٢٧/١٣، اللسان (سحق، قتل)، البحر المحيط ٣٤/٧، شرح شواهد الكشف (٨٢). الغرب: الراوية التي يحمل عليها الماء، أو دلو عظيم من مسك ثور. المقتلة: الناقة المذلة. التواضع: جمع ناضحة، وهي الناقة التي يستقى عليها الماء. سحقا: جمع سحوق، وهي النخلة الطويلة. وهو موطن الشاهد.

(٢) انظر الكشف ١٢٢/٣، الفخر الرازي ١٥٩/٢٤.

(٣) في اللسان (كفر): (الكفر، والكفري، والكفري، والكفري، والكفري): وعاء طلع النخل، وهو أيضاً الكافور، ويقال له: الكفري والجفري.

(٤) الكَمُّ كَمُّ الطَّلْع، ولكل شجرة مثمرة كَم، وهو يرعومته. اللسان (كمم).

(٥) في الكشف: الطلعة هي التي تطلع.

(٦) القنؤ: العذق بما فيه من الرطب، وجمعه أقتاء وقتران وقتيان. اللسان (قنا).

(٧) الكشف ١٢٢/٣، العرجون: العذق عامة، وقيل: هو العذق إذا يبس وأعوج وقيل: هو أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ. اللسان (عرجن).

(٨) انظر البغوي ٢٣٢/٦.

(٩) الكشف: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو من لدن السرة إلى المتن. اللسان (كشح).

(١٠) في النسختين: ابن عطية. انظر البغوي ٢٣٢/٦.

(١١) المرجع السابق. انظر البغوي ٢٣٢/٦.

(١٢) في ب: وقال هو. انظر البغوي ٢٣٢/٦، اللسان (هضم).

(١٣) في ب: قال. في ب: الهضم.

(١٤) التهذيب (هضم) ١٠٥/٦. انظر البغوي ٢٣٢/٦ - ٢٣٣.

بالياء من تحت^(١)، وتقدم ذلك كله في الأعراف^(٢).

قوله: «فَارِهَيْنِ». قرأ الكوفيون^(٣) وابن ذكوان: «فارهين» بالالف، كما قرءوا: «حَاذِرُونَ»^(٤) بها. والباقون: «فَرِهَيْنِ» بدون ألف^(٥)، كما قرءوا: «حَاذِرُونَ» بدونها^(٦). والفراهة: النشاط والقوة. وقيل: الحذق^(٧)، يقال دابة فاره، ولا يقال: فارهة^(٨)، وقد فره يفره فراهة^(٩) و «فارهين» حال من الناحتين^(١٠).

فصل (١١)

من قرأ: «فَرِهَيْنِ» قال ابن عباس: أشيرين بطرين. وقال عكرمة: (ناعمين)^(١٢). وقال مجاهد: شرهين. وقال قتادة: معجبين بصنيعكم. وقال السدي: متجبرين. وقال الأخفش: فرحين، والعرب تعاقب بين الحاء والهاء مثل: مدحته ومدته. وقال الضحاك: كيسين. «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرَفِينَ». قال ابن عباس: المشركين^(١٣). وقال مقاتل: هم^(١٤) التسعة الذين عقروا الناقة^(١٥) (وهم الَّذِينَ)^(١٦) يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ^(١٧) بالمعاصي «وَلَا يُضْلِحُونَ» أي: ولا يطيعون الله فيما أمرهم به. فإن قيل: ما فائدة قوله: «وَلَا يُضْلِحُونَ» مع قوله: «يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ»؟ فالجواب: أن فسادهم خالص ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح^(١٨). ثم إن القوم أجابوه بقولهم: «إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ». قال مجاهد

(١) المختصر (١٠٧)، البحر المحيط ٣٥/٧.

(٢) عند قوله تعالى: «وَتَحْتُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا» [٧٤]. وذكر هناك: وقرأ الحسن «ينحتون» بفتح الياء، وزاد الزمخشري أنه قرأ «ينحاتون» بإشباع الفتحة، وقرأ يحيى بن مصرف، وأبو مالك بالياء من أسفل على الالتفات إلا أن أبا مالك فتح الحاء كقراءة الحسن. انظر الباب ٤/٦٤ - ٦٥.

(٣) وهم: عاصم، وحزمة، وابن عامر، والكسائي.

(٤) في ب: حاذرين. [الشعراء: ٥٦].

(٥) السبعة (٤٧٢)، الكشف ١٥١/٢، النشر ٣٣٦/٢، الإنحاف (٣٣٣).

(٦) تقدم الكلام عليها. (٧) انظر معاني القرآن للقرآن ٢٨٢/٢.

(٨) قال ابن منظور: (وفي حديث جريج: دابة فارهة، أي: نشيطة حادة قوية) اللسان (فره)، فترى أنه جاء فيه التأنيث.

(٩) انظر اللسان (فره).

(١٠) انظر معاني القرآن وإعرابه ٩٦/٤، البيان ٢١٥/٢، التبيان ١٠٠٠/٢.

(١١) ينظر هذا الفصل في معالم التنزيل للبغوي ٢٣٣/٦.

(١٢) ما بين القوسين في ب: ناعهن. وهو تحريف.

(١٣) انظر البغوي ٢٣٣/٦. (١٤) هم: سقط من الأصل.

(١٥) انظر البغوي ٢٣٣/٦. (١٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٧) في ب: في الأمر. وهو تحريف.

(١٨) انظر الكشف ١٢٣/٣، الفخر الرازي ٢٣٤/٦.

وقتادة: من المسحورين: من المخدوعين، أي: ممن سحر مرة بعد مرة^(١). وروى أبو صالح عن ابن عباس: أي: من المخلوقين المعلنين بالطعام والشراب^(٢). قال المؤرج: المسحّر: المخلوق بلغة بجيلة^(٣)، يريد: أنك تأكل الطعام والشراب، أي: لست^(٤) بملك، بل أنت بشر مثلنا.

والمعنى: «من المسحورين» أي: ممن له سحر، وكل دابة تأكل فهي سحرة، والسحر: أعلى البطن^(٥). وعن الفراء: المسحّر: من له جوف، أراد: وإنك تأكل الطعام والشراب^(٦) «مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا» فكيف تكون نبياً؟ «فَأْتِ بَآيَةَ» على صحة ما تقول «إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ» أنك رسول الله إلينا. فقال صالح: «هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا^(٧) شِرْبٌ» يجوز أن يكون الوصف وحده الجار والمجرور، وهو قوله: «لَهَا شِرْبٌ»^(٨) و «شِرْبٌ» فاعل به لاعتماده^(٩). ويجوز أن يكون «لَهَا شِرْبٌ» صفة لـ «ناقة».

وقرأ ابن أبي عبلة: «شُرْبٌ» بالضم فيهما^(١٠). والشُرْب - بالكسر - النصيب من الماء كالسقي، وبالضم^(١١): المصدر^(١٢).

فصل

روي أنهم قالوا: نريد ناقة عشراء تخرج من الصخرة فتلد سقياً^(١٣). فتفكر صالح، فقال له جبريل - عليه السلام^(١٤) - صل ركعتين، وسل ربك الناقة. ففعل، فخرجت الناقة، وبركت بين أيديهم، وحصل سقب مثلها في^(١٥) العظم^(١٦)، ثم قال لهم صالح: «هَذِهِ نَاقَةٌ^(١٧) لَهَا شِرْبٌ» حظ ونصيب من الماء «وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ». قال قتادة: كانت يوم شربها تشرب ماءهم كلهم وشربهم في^(١٨) اليوم^(١٩) الذي لا^(٢٠) تشرب^(٢١) هي^(٢٢). «وَلَا

(١) انظر البغوي ٢٣٣/٦. (٢) انظر البغوي ٢٣٤/٦.

(٣) انظر الفخر الرازي ١٦٠/٢٤. (٤) في ب: ليست. وهو تحريف.

(٥) السحر والسحر والسحر: ما التزق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن. اللسان (سحر).

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٢. (٧) في ب: هذه ناقة الله.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب. (٩) انظر البيان ٢١٦/٢.

(١٠) انظر تفسير ابن عطية ١٤١/١١، البحر المحيط ٣٥/٧.

(١١) في ب: والضم. (١٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٢.

(١٣) السقب: ولد الناقة، وقيل: الذكر من ولد الناقة، بالسین لا غير، وقيل: هو سقب ساعة تضعه أمه. اللسان (سقب).

(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٥) في ب: ثم في. (١٦) انظر الفخر الرازي ١٦٠/٢٤.

(١٧) في ب: هذه ناقة الله. (١٨) في: تكلمة من الفخر الرازي.

(١٩) في ب: يومهم. (٢٠) لا: سقط من الأصل.

(٢١) في ب: تشرب فيه. (٢٢) انظر الفخر الرازي ١٦٠/٢٤.

تَمْسُوهَا بِسُوءٍ» يعقر أو ضرب أو غيرهما «فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ». روي أن مسطعا^(١) ألجأها إلى مضيق فرماها بسهم، فسقطت، ثم ضربها قدار^(٢). «فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا تَادِمِينَ» على عقرها. فإن قيل: لم أخذهم العذاب وقد ندموا؟ فالجواب: أن ندمهم كان عند معاينة العذاب حين لا ينفع الندم. وقيل: لم يكن ندمهم ندم [التائبين، لكن ندم]^(٣) [الخائفين]^(٤) من العقاب العاجل^(٥). «فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَنْ نَمُوتَ بِأَلُوطَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ بَنِي وَأَهْلِ مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآيات.

قوله: «مِنَ الْعَالَمِينَ». يحتمل عوده إلى الآتي، أي: أنتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة، وهي إتيان الذكران. [ويحتمل عوده إلى المآتي، أي: أنتم اخترتم الذكران]^(٦) من العالمين لا الإناث^(٧) منهم^(٨).

قوله: «مِنْ أَرْوَاجِكُمْ». يصلح أن يكون تبييناً، وأن يكون للتبعيض، ويراد بما خلق العضو المباح منهن، وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم^(٩). «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ». معتدون مجاوزون الحلال إلى الحرام، والعادي: المعتدي في ظلمه.

والمعنى: أتركبون هذه المعصية على عظمها «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ» في جميع المعاصي^(١٠) «قَالُوا لَنْ نَمُوتَ بِأَلُوطَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ» أي: من جملة من أخرجناه من بلدنا، ولعلمهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ الأحوال^(١١).

(١) في الفخر الرازي: مصدعاً. (٢) انظر الكشاف ٣/ ١٢٣، الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٠.

(٣) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي. (٤) في النسختين: الخائف.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٠. (٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) في ب: إلا الإناث. وهو تحريف. (٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦١.

(٩) انظر الكشاف ٣/ ١٢٣ - ١٢٤، الفخر الرازي ٢٤/ ١٦١.

(١٠) المرجعان السابقان. (١١) انظر الكشاف ٣/ ١٢٤، الفخر الرازي ٢٤/ ١٦١.

قوله: «لِعَمَلِكُمْ» كقوله: ﴿إِنِّي لَكَا لِمَنَ التَّصْوِيتِ﴾^(١) [الأعراف: ٢١] وقد تقدم. وقيل: «مِنَ الْقَالِينَ» صفة^(٢) لخبر محذوف، هذا الجار متعلق به، أي: إني قال «لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ»^(٣). المبغضين. والقلي: البغض الشديد^(٤)، كأنه بُغِضَ يَقلِي الفؤاد والكبد^(٥). وقوله: «مِّنَ الْقَالِينَ» أبلغ من أن يقول: إني لعملكم قال، كما تقول: فلان من العلماء، أبلغ من قولك: فلان عالم^(٦).

ويجوز أن يراد: من الكاملين في قلاكم^(٨). [والقالي: المُبْغِضُ، يقال: قَلَاةٌ يَقلِيهِ قَلَى، وَيَقْلَاةٌ، وهي شاذة^(٩)، قال:

٣٩٢٠ - وَتَرْمِثْنِي بِالطَّرْفِ أَنِّي أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِيَنِي لَكِنَّ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي^(١٠)
وقال آخر:

٣٩٢١ - وَاللَّهِ مَا فَارَقْتَكُمْ عَنْ قَلَى لَكُمْ وَلَمْ كُنْ مَا يُقْضَى فَسَوْفَ يَكُونُ^(١١)

واسم المفعول فيه: «مَقْلِي» والأصل: «مَقْلَوِي» فأدغم ك «مَرْمِي» قال:

٣٩٢٢ - وَلَسْتُ بِمَقْلِي الْخِلَالِ وَلَا قَالِي^(١٢)

(١) [الأعراف: ٢١]. وذكر هناك: يجوز في «لكما» أن يتعلق بما بعده على أن (ال) معرفة لا موصولة، وهي مذهب أبي عثمان المازني، أو على أنها الموصولة، ولكن تسمح في الطرف وعذيله ما لا يتسامح في غيرها اتساعاً فيهما لدورانها في الكلام، وهو رأي بعض البصريين، أو أن ذلك جائز مطلقاً، وهو رأي الكوفيين، أو أنه متعلق بمحذوف على البيان، أي أعني لكما أو تعلق بمحذوف مدلول عليه بصلة (ال)، أي: إني ناصح لكما، ومثل هذه الآية الكريمة «إني لعملكم من القالين»، وجعل ابن مالك ذلك مطرداً في مسألة (ال) الموصولة إذا كانت مجرورة بـ (من). انظر الباب ٢٠/٤.

(٢) صفة: سقط من ب. (٣) انظر التبيان ٢/١٠٠٠.

(٤) الشديد: سقط من ب. (٥) انظر الكشف ٣/١٢٤، الفخر الرازي ٢٤/١٦١.

(٦) في ب: مثل. وهو تحريف.

(٧) قال الزمخشري: (لأنك تشهد له بكونه معدوداً في زمريهم ومعرفة مساهمته لهم في العلم) الكشف ٣/١٢٤.

(٨) انظر الكشف ٣/١٢٤، الفخر الرازي ٢٤/١٦١.

(٩) انظر اللسان (قلا) وفيه: (ويقلا لغة طييء).

(١٠) البيت من بحر الطويل، مجهول القائل، وهو في ابن يعيش ٨/١٤٠، المغني ١/٧٦، ٢/٤٠٠، ٤١٣، الهمع ٢/٧١، شرح شواهد المغني ١/٢٣٤، ٢/٨٢٨، الخزانة ١١/٢٢٥، الدرر ٢/٨٧ ترميثي: تشيرين إلي. الطرف: البصر. تقليتي، يقال: قلا يقله قلى. ويقلا لغة طييء.

(١١) البيت من بحر الطويل. قاله الأقره الأودي، وليس في ديوانه، وهو في المقاصد النحوية ٢/٣١٥، التصريح ١/٢٢٥، الهمع ١/١١٠، الأشموني ١/٢٢٥، ٢٨٤، الدرر ١/٨٠. والشاهد فيه قوله: «عن قلى» أي: عن بغض.

(١٢) عجز بيت من بحر الطويل، قاله امرؤ القيس، وصدره:

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى

وهو في ديوانه (٣٥)، القرطبي ١٣/١٣٣، البحر المحيط ٧/٣٦. والشاهد فيه قوله: (مقلى) فإنه اسم =

وغلط بعضهم فجعل ذلك من قولهم: قَلَى اللَّحْمَ، أي شَوَاهُ، فكأنه قلى كبده بالبغض ووجه الغلط أن هذا من ذوات الياء، وذاك من ذوات الواو.

يقال: قَلَى اللحم يَقْلُوهُ قَلْوًا، فهو قال كَغَارِ، و «مَقْلُو»^(١) كما تقدم^(٢). ثم دعا فقال: «رَبِّ^(٣) نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ» من العمل الخبيث.

قال الله تعالى: «فَنَجِّنَا وَأَهْلَهُ» من عقوبة عملهم «إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ» وهي امرأة لوط، بقيت في الهلاك والعذاب. فَإِنْ قِيلَ: «فِي الْغَابِرِينَ» صفة لها، كأنه قيل: «إِلَّا عَجُوزًا [غابرة، وإن لم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم؟ فالجواب: معناه: «إِلَّا عَجُوزًا»^(٤) مقدراً غبورها. قيل: إنما هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر من الحجارة»^(٥). «ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخِرِينَ» أي: أهلكناهم «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَسَاءً مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ» والمخصوص بالذم محذوف، أي: (مَطَرُهُمْ)^(٦)^(٧) قال وهب بن منبه: الكبريت والنار^(٨). «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

فصل

قال القاضي عبد الجبار في تفسير قوله: «وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ» دليل على بطلان الجبر من وجوه:

الأول: أنه لا يقال: «تَذَرُونَ» إلا مع القدرة على خلافه، ولذلك لا يقال للمرء: لم تذر الصعود إلى السماء، كما يقال: لم تذر (الدخول و)^(٩) الخروج.

الثاني: أنه قال: «مَا خَلَقَ لَكُمْ» ولو كان الفعل لله تعالى لكان الذي خلقه لهم ما خلقه فيهم وأوجبه لا ما لم يفعلوه.

الثالث: قوله تعالى: «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ» فَإِنْ كَانَ تَعَالَى خَلَقَ فِيهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فكيف ينسبون إلى أنهم تعدوا؟ وهل يقال للأسود: إنك متعدي في لونك؟ وأجيب بأن حاصل هذه الوجوه يرجع إلى أن العبد لو لم يكن موجدًا لأفعال نفسه لما

= مفعول من (قلى) والأصل: مقلوي. قلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وكسر ما قبل الياء للمناسبة، لأنه إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، وتدغم الياء في الياء.

(١) قال أبو حيان: (ولا يكون (قلى) بمعنى أبغض وقلا من الطبخ والشئ من مادة واحدة لاختلاف التركيب، فمادة (قلا) من الشئ من ذوات الواو، تقول: قلوب اللحم فهو مقلو، ومادة (قلى) من البغض من ذوات الياء، قلت الرجل فهو مقلبي قال الشاعر: ولست بمقلبي الخلال ولا قال) البحر المحيط ٣٦/٧.

(٢) رب: سقط من ب.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) انظر الفخر الرازي ١٦١/٢٤.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) ما بين القوسين في ب: أمطرنا عليهم.

(٧) انظر البحر المحيط ٣٧/٧.

(٨) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

(٩) انظر البغوي ٢٣٥/٦.

توجه المدح والذم والأمر والنهي عليه، (وليس لهذه)^(١) الآية في هذا المعنى خاصية أزيد مما ورد من الأمر والنهي والمدح والذم في قصة إبراهيم وموسى ونوح وسائر القصص، فكيف خص هذه القصة بهذه الوجوه دون سائر القصص. وإذا^(٢) ثبت أن هذه الوجوه هي ذلك الوجه المشهور فالجواب عنها هما^(٣) الجوابان المشهوران:

الأول: أن الله تعالى لما علم وقوع هذه الأشياء، فعدمها محال، لأن عدمها يستلزم انقلاب العلم جهلاً، وهو محال، والمفضي إلى المحال محال، وإن كان عدمها محالاً كان التكليف بالترك تكييفاً بالمحال.

الثاني: أن القادر لما كان قادراً على الضدين امتنع أن يرجح أحد المقدورين على الآخر لا لمرجح، والمرجح: هو الداعي والإرادة، وذلك المرجح مرجح محدث، فله مؤثر، وذلك المؤثر إن كان هو العبد لزم التسلسل، وهو محال، وإن كان هو الله تعالى فذاك الجبر على قولك، فثبت بهذين البرهانين القاطعين سقوط ما قاله^(٤).

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَنْتَقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّ اعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: «لَيْكَةِ» بلام واحدة وفتح التاء، جعلوه اسماً غير معرّف بـ «أل» مضافاً إليه «أصحاب» هنا وفي «ص»^(٥) خاصة.

والباقون: «الْأَيْكَةِ» معرباً بـ «أل» موافقة لما أجمع^(٦) عليه في الجخر^(٧) وفي «ق»^(٨)

(١) ما بين القوسين في الفخر الرازي: ولهذه. (٢) في ب: إذا.

(٣) في ب: هو. وهو تحريف. (٤) انظر الفخر الرازي ١٦١/٢٤ - ١٦٢.

(٥) وهو قوله تعالى: «وَنُمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ» [١٣].

(٦) في ب: اجتمع.

(٧) وهو قوله تعالى: «وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ» [٧٨].

(٨) وهو قوله تعالى: «وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ» [١٤]. وانظر السبعة

(٣٦٨، ٤٧٣)، الكشف ٢/٣٢، النشر ٢/٣٣٦، الإتحاف (٣٣٣).

وقد اضطربت أقوال الناس في القراءة الأولى، وتجراً^(١) بعضهم على قارئها. وَوَجَّهَهَا عَلَى مَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَنَّ (لَيْكَةَ) اسْمٌ لِلْقَرْيَةِ الَّتِي كَانُوا^(٢) فِيهَا وَ (الْأَيْكَةَ): اسْمٌ لِلْبَلَدِ كُلِّهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: لَا أَحَبُّ مَفَارِقَةَ الْخَطِّ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا مَا يَخْرُجُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَهَذَا لَيْسَ بِخَارِجٍ^(٣) مِنْ كَلَامِهَا مَعَ صَحَّةِ الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ، وَذَلِكَ أَنَّا وَجَدْنَا فِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ الْفَرْقَ بَيْنَ «لَيْكَةَ»، وَ «الْأَيْكَةَ»، فَقِيلَ: «لَيْكَةُ» هُوَ^(٤) اسْمٌ لِلْقَرْيَةِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا. وَالْأَيْكَةُ: الْبَلَادُ كُلُّهَا، فَصَارَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا شَبِيهاً بِمَا بَيْنَ (مَكَّةَ)، وَ (بَكَّةَ) وَرَأَيْتُهُنَّ مَعَ هَذَا فِي الَّذِي يُقَالُ: إِنَّهُ الْإِمَامُ - مَصْحَفُ عُثْمَانَ - مُفْتَرِقَانِ، فَوُجِدَتْ الَّتِي فِي «الْحِجْرِ» وَالَّتِي فِي «ق»: «الْأَيْكَةُ»، وَوُجِدَتْ الَّتِي فِي «الشُّعْرَاءِ» وَالَّتِي فِي «ص» «لَيْكَةُ» ثُمَّ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهَا مَصَاحِفُ الْأَمْصَارِ^(٥) بَعْدُ، فَلَا نَعْلَمُهَا إِذَا اخْتَلَفَتْ^(٦) فِيهَا، وَقَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَى هَذَا اللَّفْظِ الَّذِي قَصَصْنَا، يَعْنِي: بِغَيْرِ أَلْفٍ وَلَا مِ^(٧)، وَلَا^(٨) إِجْرَاءً^(٩). انْتَهَى مَا قَالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ^(١٠). قَالَ أَبُو شَامَةَ^(١١) بَعْدَ نَقْلِهِ كَلَامَ أَبِي عُبَيْدٍ: هَذِهِ عِبَارَتُهُ، وَلَيْسَتْ سَدِيدَةً، فَإِنَّ اللَّامَ مُوجُودَةً فِي «لَيْكَةَ» وَصَوَابُهُ: بِغَيْرِ أَلْفٍ وَهَمْزَةٍ^(١٢). قَالَ شُهَابُ الدِّينِ: بَلْ هِيَ سَدِيدَةٌ، فَإِنَّهُ يَعْنِي بِغَيْرِ أَلْفٍ وَلَا مِ مُعْرِفَةٌ لَا مُطْلَقٌ لَامٍ فِي الْجُمْلَةِ^(١٣). وَقد تَعَقَّبَ^(١٤) قول^(١٥) أَبِي عُبَيْدٍ وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ^(١٦): أَجْمَعَ الْقُرَاءُ عَلَى خَفْضِ الَّتِي فِي «الْحِجْرِ» وَ «ق» فَيَجِبُ أَنْ يُرَدَّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَى مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ إِذْ كَانَ الْمَعْنَى وَاحِدًا، فَأَمَّا مَا حَكَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ «لَيْكَةَ»: اسْمُ الْقَرْيَةِ^(١٧)، وَأَنَّ «الْأَيْكَةَ»: اسْمُ الْبَلَدِ^(١٨) كُلِّهِ، فَشَيْءٌ لَا يَثْبُتُ وَلَا يُعْرَفُ مَنْ قَالَهُ وَلَوْ عُرِفَ لَكَانَ فِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ جَمِيعًا مِنَ الْمُفْسِّرِينَ وَالْعَالَمِينَ^(١٩) بِكَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى خِلَافِهِ، وَلَا نَعْلَمُ خِلَافًا بَيْنَ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ «الْأَيْكَةَ» الشَّجَرُ الْمُتَلَفُّ.

فَأَمَّا احْتِجَاجُ بَعْضٍ مِنْ احْتِجَاجِ لِقَاءِ قُرَاءَةٍ مِنْ قُرَاءٍ فِي هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ بِالْفَتْحِ، لِأَنَّهُ فِي السَّوَادِ^(٢٠) «لَيْكَةُ» فَلَا حُجَّةَ فِيهِ، وَالْقَوْلُ فِيهِ: إِنْ أَصْلُهُ: «الْأَيْكَةُ» ثُمَّ خَفِضَتِ الْهَمْزَةُ،

(١) فِي ب: تَجْرَأُ.

(٢) فِي ب: يَكُونُ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٣) فِي ب: عَنْ.

(٤) هُوَ: سَقَطَ مِنْ ب. وَفِي إِبْرَازِ الْمَعْنَى: هِيَ.

(٥) فِي ب: الْأَعْصَارُ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٦) فِي الْأَصْلِ: اخْتَلَفَ.

(٧) وَلَا: سَقَطَ مِنْ ب.

(٨) فِي ب: فَلَامٌ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٩) يَعْنِي بِالْإِجْرَاءِ الصَّرْفُ، وَقَوْلُهُ: بَلَا إِجْرَاءً، أَيْ: بِالْمَنْعِ مِنَ الصَّرْفِ.

(١٠) انْظُرْ إِعْرَابَ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ ٤٩٨/٢ - ٤٩٩، إِبْرَازِ الْمَعْنَى (٤١٨).

(١١) تَقْدِمُ.

(١٢) إِبْرَازِ الْمَعْنَى (٤١٨).

(١٣) الدَّرُ الْمَصُونُ ١٦٥/٥.

(١٤) فِي ب: تَعَقَّبُوا.

(١٥) فِي الْأَصْلِ: أَقْوَالٌ.

(١٦) يَعْنِي النَّحَاسُ.

(١٧) فِي ب: لِلْقَرْيَةِ.

(١٨) فِي ب: لِلْبَلَدِ.

(١٩) فِي ب: وَالْقَائِلِينَ.

(٢٠) يَعْنِي بِالسَّوَادِ: الْخَطُّ.

فألقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنت عن ألف الوصل، لأنَّ اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا إلاَّ الخفض، كما تقول: «مَرَزْتُ بِالْأَخْمَرِ» على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول: «بِلِخْمَرٍ»، فإن شئت كتبت^(١) في الخط على ما كتبت^(١) أولاً، وإن شئت كتبت^(١) بالحدف، ولم يَجْزُ إلاَّ الخفض، فلذلك^(٢) لا يجوز في «الْأَيْكَةَ» إلاَّ الخفض، قال سيبويه: واعلم أنَّ كل ما لم ينصرف إذا دَخَلَتْهُ^(٣) الألف واللام أو أضفته^(٤) (انصرف)^(٥) (٦) (٥). ولا نعلم أحداً خالف سيبويه في هذا^(٧) وقال المبرِّد في كتاب الخط: كتبوا في بعض المواضع: «كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ» بغير ألف، لأن الألف تذهب في الوصل، ولذلك^(٨) غلط القارئ بالفتح فتوهم أن «لَيْكَةَ» اسم شيء، وأن اللام أصل فقرأ: «أَصْحَابُ لَيْكَةِ»^(٩).

وقال الفراء: نرى - والله أعلم - أنها كتبت في هذين الموضعين بترك الهمز^(١٠)، فسقطت الألف لتحريك اللام^(١١). قال مكِّي: تعقَّب ابن قتيبة على أبي عبيد فاختار «الْأَيْكَةَ» بالألف والهمزة والخفض، وقال: إِنَّمَا^(١٢) كُتِبَتْ بغير ألف على تخفيف الهمز، قال: وقد أجمع الناس على ذلك، يعني: في «الحِجْر» و «ق» فوجب أن يُلْحَق ما في «الشعراء» و «ص»^(١٣) بما^(١٤) أجمعوا عليه، فما أجمعوا عليه شاهد لما اختلفوا فيه^(١٥). وقال^(١٦) أبو إسحاق^(١٧): القراءة بِجَرٍّ لَيْكَةٍ وأنت تريد «الْأَيْكَةَ»^(١٨) أجود من أن تجعلها «لَيْكَةَ» وتفتحها؛ لأنَّها لا تنصرف لأن «لَيْكَةَ» لا تُعْرَفُ^(١٩)، وإنما هي «أَيْكَةَ» للواحد،

(١) في ب: كتبت.

(٢) في ب: دخلت.

(٣) في ب: سقط من ب.

(٤) قال سيبويه: (وجميع ما لا ينصرف إذا أدخلت عليه الألف واللام أو أضيف انجر، لأنها أسماء أدخل عليها ما يدخل على المنصرف، وأدخل فيها الجر كما يدخل في المنصرف) الكتاب ٢٢/١ - ٢٣. وقال: (واعلم أن كل اسم لا ينصرف فإن الجر يدخله إذا أضفته أو أدخلت فيه الألف واللام، وذلك أنهم آمنوا التثنية وأجروه مجرى الأسماء) الكتاب ٢٢١/٣.

(٥) ما بين القوسين في ب: الصرف.

(٦) إعراب القرآن ١٨٩/٣ - ١٩٠، وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).

(٧) في ب: وكذلك.

(٨) انظر إعراب القرآن للنحاس ٤٩٨/٢ - ٤٩٩، إبراز المعاني (٤١٩).

(٩) في ب: الهمزة.

(١٠) معاني القرآن ٩١/٢، وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).

(١١) في ب: إنها.

(١٢) في ب: وبما.

(١٣) الكشف ٣٢/١ - ٣٣، وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).

(١٤) في ب: قال.

(١٥) يعني الزجاج.

(١٦) في ب: لا تصرف.

و «أَيْكَ» للجمع، مثل: أجمه وأجَم. والأَيْكَ: الشجر الملتف، فأجود القراءة فيها الكسر وإسقاط الهمزة لموافقة المصحف؛ ولا أعلمه إلا قد قرئ به^(١).

وقال الفارسي: قول من قال: «لَيْكَة» بفتح التاء مُشْكِلٌ، لأنه فتح مع لحاق اللام^(٢) الكلمة، وهذا في الامتناع كقول من قال: مَرَزْتُ بِلَخْمَر. فيفتح الآخر مع لحاق لام المعرفة، وإنما كتبت «لَيْكَة» على تخفيف الهمز^(٣)، والفتح لا يصح في العربية لأنه فتح حرف الإعراب في موضع الجر مع لام المعرفة، فهو على قياس قول من قال: مَرَزْتُ بِلَخْمَر، ويبعد أن يفتح نافع ذلك مع ما قال عنه ورش^(٤). يعني أن ورشاً نقل عن نافع نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها حيث وُجِدَ بشروط مذكورة، ومن جملة ذلك ما في سورة «الحجر» و «ق» من لفظ «الْأَيْكَة»، فقرأ على قاعدته في السورتين بنقل الحركة وطرح الهمز وخفض التاء^(٥)، فكذاك ينبغي أن يكون الحكم في هذين الموضعين أيضاً^(٦).

وقال الزمخشري: قرئ «أَصْحَابُ الْأَيْكَة» بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الإضافة، وهو الوجه، ومن قرأ بالنصب وزعم أن «لَيْكَة» بوزن: «لَيْلَة»^(٧) - اسم بلد - فتوهم قاد إليه خط المصحف^(٨). . . وإنما كتبت على حكم لفظ الالفاظ، كما يكتب أصحاب (النحو)^(٩) لأن ولاولي^(١٠) على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف. وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة، على «أَنْ لَيْكَة» اسم لا يعرف، وروي أن «أَصْحَابُ الْأَيْكَة» كانوا أصحاب شجر مُلْتَفٍّ، وكان شجرهم الدَّوم^(١١)، وهو شَجَرُ الْمُثُل^(١٢). يعني أن مادة (ل ي ك) مفقودة في لسان العرب. كذا قال الثقات ممن تتبّع ذلك.

قال^(١٣): وهذا كما نصّوا على أن الخاء والذال المعجمتين لم يجامعا الجيم في لغة

(١) معاني القرآن وإعرابه ٩٨/٤. وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).

(٢) في ب: التاء. وهو تحريف. (٣) في ب: الهمزة.

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي ٤٥/٦ - ٤٦. وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).

(٥) قال ابن مجاهد: (غير أن ورشاً روى عن نافع: «الأيكة» ههنا وفي (ق) متروكة الهمزة مفتوحة اللام بحركة الهمزة، والهمزة ساقطة) السبعة (٣٦٨).

(٦) انظر إبراز المعاني (٤١٩). (٧) في ب: ليكة. وهو تحريف.

(٨) هنا سقط في عبارة الزمخشري بين قوله: (خط المصحف) وقوله: (إنما كتبت على حكم لفظ الالفاظ)، وهو: (حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة، وفي سورة (ص) بغير ألف، وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه، وإنما كتبت في هاتين السورتين) الكشف ١٢٥/٣.

(٩) النحو: تكملة من الكشف.

(١٠) يريد: الآن والأولى، فلما خفت بحذف الهمزة تحركت اللام قبلها لثلاثا يلتقي ساكنان، وسقطت همزة الوصل لعدم الاحتياج لها.

(١١) الكشف ١٢٥/٣.

(١٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩٧/٤، إعراب القرآن للنحاس ١٩٠/٣.

(١٣) أي: أبو شامة شارح الشاطبية.

العرب، ولذلك^(١) لم يذكرها صاحب «الصحاح»^(٢) مع ذكره التفرقة المتقدمة عن أبي عبيد، ولو كانت موجودة في اللغة لذكرها مع ذكره التفرقة المتقدمة لشدة الاحتياج إليها^(٣). وقال الزجاج أيضاً: أهل المدينة يفتحون على ما جاء في التفسير أن اسم المدينة التي كان فيها شعيب «لَيْكَة»^(٤) «لَيْكَة»^(٥).

قال أبو علي: لو صح هذا فلم أجمع^(٦) القراء على الهمز في قوله: ﴿وَأِنْ كَانَ أَحَبُّ الْأَيْكَةِ﴾ [الحجر: ٧٨] في «الحجر»، و «الْأَيْكَةُ» التي ذكرت هاهنا هي «الْأَيْكَةُ» التي ذكرت هناك، وقد قال ابن عباس: الْأَيْكَةُ: الْعَيْضَةُ^(٧) ولم يفسرها بالمدينة ولا البلد^(٨). قال شهاب الدين: وهؤلاء كلهم كأنهم زعموا أن هؤلاء الأئمة الأئمة بالمدن إنما أخذوا هذه القراءة من خط المصاحف دون أفواه الرجال، وكيف يظن بمثل^(٩) أسن القراء وأعلامهم إسناداً، والآخذ القرآن^(١٠) عن جملة من (جلّة)^(١١) الصحابة: أبي الدرداء وعثمان بن عفان وغيرهما، وبمثل^(٩) إمام مكة^(١٢) - شرفها الله تعالى - وبمثل إمام المدينة^(١٣)، وكيف ينكر على أبي عبيد قوله أو يتهم في نقله؟ ومن حفظ حجة على من لم يحفظ؛ والتواتر قطعي فلا يعارض بالظني، وأما اختلاف القراءة مع اتحاد القصة فلا يضر^(١٤) ذلك، عبر عنها تارة بالقرية خاصة وتارة بالمصر الجامع للقرى كلها، الشامل هو لها، وأما تفسير ابن عباس فلا ينافي ذلك، لأنه عبر عنها بما كثر فيها^(١٥).

قوله: «إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ» ولم يقل: أخوهم؛ لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، فلما ذكر مدين قال: «أَخَاهُمْ»^(١٦) لأنه كان منهم، وكان^(١٧) الله تعالى بعثه إلى قومه - أهل مدين - وإلى أصحاب الأيكة^(١٨).

وفي الحديث: «إِنَّ شُعَيْباً أَخَا مَدْيَنَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ»^(١٩).

(١) في ب: وكذلك. (٢) وقد تقدمت ترجمته.

(٣) إبراز المعاني (٤١٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٩٨/٤، وانظر أيضاً إبراز المعاني (٤١٩).

(٥) ما بين القوسين في ب: أَيْكَة. (٦) في ب: الجمع. وهو تحريف.

(٧) العيضة: مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر، وجمعها غياض. اللسان (غيض).

(٨) الحجة لأبي علي الفارسي ٤٦/٦ - ٤٨. وانظر أيضاً إبراز المعاني ٤١٩ - ٤٢٠.

(٩) في ب: مثل. (١٠) في ب: للقرآن.

(١١) جلّة: تكملة من الدر المصون. (١٢) يريد: ابن كثير، أحد القراء السبعة.

(١٣) يريد: نافعا، أحد القراء السبعة. (١٤) في ب: فلا يضمن. وهو تحريف.

(١٥) الدر المصون ١٦٦/٥.

(١٦) من قوله تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ [الأعراف: ٨٥].

(١٧) في الأصل: فكان. (١٨) انظر البغوي ٢٣٦/٦.

(١٩) انظر الكشف ١٢٥/٣، ألفخر الرازي ١٦٣/٢٤.

[قال ابن كثير: ومن زعم من المفسرين كقتادة وغيره أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين فقول ضعيف^(١)، وإنما عمدتهم شيطان:

أحدهما: أنه قال: «كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ وَلَمْ يَظَلُّوا» كما قال: ﴿وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥].

والثاني: أنه ذكر عذابهم بـ «يَوْمَ الظُّلَّةِ» وذكر في أولئك «الرجفة»^(٢) والصيحة»^(٣) والجواب عن الأول: أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله: «أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» لأنه وصفهم بعبادة الأيكة، فلا يناسب ذكر الأخوة هاهنا، ولما نسبهم إلى القبيلة ساغ ذكر شعيب بأنه أخوهم. وأما احتجاجهم بـ «يَوْمَ الظُّلَّةِ» فإن كان دليلاً على أنهم أمة أخرى فليكن تعداد «الرجفة، والصيحة» دليلاً على أنهما أمتان، ولا يقوله أحد.

وأيضاً فقد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في المكيال والميزان، فدلّ على أنهم أمة واحدة أهلكوا بأنواع من العذاب، وذكر في كل موضع ما يناسب ذلك الخطاب، فاجتمعوا تحت الظلة، ورجفت بهم الأرض من تحتهم، وجاءتهم صيحة من السماء»^(٤).

قوله: «أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ» الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن. واعلم أن الكيل على ثلاثة أضرب: وافٍ، وطفيف، وزائد. فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء بقوله: «أَوْفُوا الْكَيْلَ» ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف بقوله: «وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ»، ولم يذكر الزائد، لأنه إن^(٥) فعله فقد أحسن، وإن لم يفعله^(٦) فلا إثم عليه. ثم^(٧) لما أمر بالإيفاء بين كيف يفعل، فقال: «وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ»^(٨). قرىء: «بِالْقِسْطَاسِ» مضموماً ومكسوراً^(٩)، وهو: الميزان وقيل: القَرْسَطُونُ^(١٠) «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ». يقال بخسه حقه: إذا نقصه إياه^(١١)، وهذا عام في كل

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٥.

(٢) قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثمين﴾ [الأعراف: ٩١].

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذْتُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جاثمين﴾ [هود: ٩٤].

(٤) ما بين القوسين سقط من ب. (٥) في ب: لأن إنه.

(٦) في ب: يفعل. (٧) ثم: سقط من ب.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٣.

(٩) فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر «بِالْقِسْطَاسِ» بضم القاف وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم «بِالْقِسْطَاسِ» بكسر القاف. السبعة (٣٨٠) الكشف ٢/ ٤٦.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٦٣. في لسان العرب: (قسطس): القسطاس والقسطاس أعدل الموازين وأقومها... الزجاج: قيل: القسطاس: القرسطون، وقيل: هو القبان.

(١١) البخس: النقص، بخسه حقه يبخسه بخساً إذا نقصه. اللسان (بخس).

حق^(١). «وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» وقد تقدم^(٢).

قوله: «وَالْجِبِلَّةُ» العامة على كسر الجيم والباء وشد اللام. وأبو حصين^(٣) والأعمش والحسن بضمهما^(٤) وشد اللام^(٥). والسلمي بفتح الجيم أو كسرهما مع سكون الباء^(٦) وهذه لغات في هذا الحرف، ومعناه: الخلق المتّحد الغليظ، مأخوذ من الجبل^(٧) قال الشاعر:

٣٩٢٣ - وَالْمَوْتُ أَعْظَمُ حَادِثٍ مِمَّا يَمُرُّ عَلَى الْجِبِلَّةِ^(٨)

وقال الهروي^(٩): الجبلُ والجبلُ^(١٠) والجبلُ لغات، وهو الجمع الكثير العدد من الناس^(١١). وقيل: «الْجِبِلَّةُ» من قولهم: جُبِلَ على كذا، أي: خُلِقَ وطُيعَ عليه^(١٢)، وسيأتي في «يس» إن شاء الله تعالى تمام الكلام على ذلك عند قوله: «جِبِلًّا كَثِيرًا»^(١٣). والمراد بـ «الْجِبِلَّةِ الْأَوَّلِينَ»: الأمم المتقدمين، أي: أنه المنفرد بخلقهم وخلق من تقدمهم.

قوله: «قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا». جاء في قصة هود^(١٤) «مَا أَنْتَ»^(١٥) بغير واو، وهاهنا بالواو. فقال الزمخشري: إذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مخالف للرسالة عندهم: التّسحير والبشرية، وأنّ الرسول لا يجوز أن يكون مُسَحَّرًا ولا بَشَرًا، وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد، وهو كونه مُسَحَّرًا،

(١) انظر الفخر الرازي ١٦٣/٢٤

(٢) في سورة هود عند قوله تعالى: «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» [٨٥]. انظر الباب ٤/٣٦٤.

(٣) ذكر ابن الجوزي في طبقات القراء أن أبا حصين ممن أخذ عنه الأعمش ولم يترجم له. انظر طبقات القراء ١/٣١٥.

(٤) في ب: بضمها. وهو تحريف.

(٥) المختصر (١٠٧)، المحتسب ١٣/٢، البحر المحيط ٣٨/٧.

(٦) نقلها بالفتح عنه ابن خالويه: المختصر (١٠٧)، وقال أبو حيان: (وقرأ السلمي «والجيلة» بكسر الجيم وسكون الباء، وفي نسخة عنه فتح الجيم وسكون الباء، وهي من جبلوا على كذا، أي: خلقوا) البحر المحيط ٣٨/٧.

(٧) انظر اللسان (جبل).

(٨) البيت من الكامل، لم أهد إلى قائله، وهو في تفسير غريب القرآن (٣٢٠)، تفسير ابن عطية ١١/١٤٦، القرطبي ١٣/١٣٦، البحر المحيط ٧/٣٠.

(٩) تقدم. (١٠) في ب: الجبل.

(١١) انظر البحر المحيط ٧/٣٠. (١٢) انظر اللسان (جبل).

(١٣) من قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» [يس: ٦٢].

(١٤) كذا في النسختين. والصواب أن هذا في قصة ثمود. انظر الكشف ٣/١٢٥.

(١٥) من قوله تعالى: «مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» [الشعراء: ١٥٤].

ثم (قرر)^(١) بكونه بشرًا^(٢). ثم قالوا: «وَأِنْ نُّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ» ومعناه ظاهر. ثم إن شعيباً - عليه السلام^(٣) - كان يتوعدهم بالعذاب^(٤) إن لم يؤمنوا فقالوا: «فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ»^(٥) وقد تقدم الكلام في «كِسَفًا» واشتقاقه في الإسراء^(٦). وإنما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فقال شعيب: «رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ» أي: من نقصان الكيل والوزن، وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إلَيَّ، وما عليّ إلا الدعوة، فلم يدع عليهم، بل فوض الأمر فيه إلى الله تعالى.

قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَّوْمٍ أُولَٰئِكَ﴾. وذلك أنه أخذهم حرّ شديد، فكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أشدّ حرّاً، فخرجوا، فأظلمت^(٧) سحابة، وهي الظُّلَّة، فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا^(٨). فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: إن العذاب النازل بعاد وشمود وقوم لوط وغيرهم ما كان بسبب كفرهم، بل بسبب تأثيرات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه المنجمون؟ وإذا قام هذا الاحتمال لم يحصل^(٩) الاعتبار بهذه^(١٠) القصص، لأنّ الاعتبار إنما يحصل إذا علمنا أنّ نزول العذاب كان بسبب كفرهم، وأيضاً فيحتمل أن ينزل العذاب محنة للمكلفين^(١١) كما قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ﴾ [محمد: ٣١] وقد ابتلي المؤمنون بالبلاء العظيم في مواضع كثيرة، وإذا كان كذلك لم يدلّ نزول البلاء بهم على كونهم مبطلين؟ فالجواب^(١٢): هذا سؤال باطل، لأنه يقال: ما الاتصالات التي أوجبت نجات بني إسرائيل من البحر وأغرقت فرعون وقومه في ساعة واحدة، وما^(١٣) الاتصالات التي أوجبت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم على القبط دون بني إسرائيل وهم معهم في بلد واحد، وما^(١٤) الاتصالات التي نجت لوطاً ومن معه وأهلك قومه وهم قريب منهم، وما الاتصالات التي أوجبت حمل الطير الأبايل حجارة من سجيل ورمت بها أصحاب الفيل دون غيرهم، وما الاتصالات التي فرقت البحر اثني عشر فرقاً بعدد^(١٥) أسباط بني إسرائيل، وقلبت العصا حية تسعى، وتلقفت^(١٦) ما صنعتها السحرة، ونتقت الجبل فوق بني إسرائيل كأنه ظلّة، وأخرجت الناقة من الحجر، وأطفأت نار إبراهيم، وكل ذلك ثابت بالتواتر لا يمكن إنكاره.

(١) كذا في الكشاف، وفي النسختين: قدره.

(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) في ب: سقط من ب.

(٤) انظر الفخر الرازي ١٦٤/٢٤.

(٥) عند قوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْقُطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ من الآية ٩٢.

(٦) انظر البغوي ٦/٣٣٨ - ٣٣٩.

(٧) في ب: فأظلمت.

(٨) لم يحصل: سقط من ب.

(٩) في ب: للكافرين. وهو تحريف.

(١٠) في ب: وهما. وهو تحريف.

(١١) في ب: بعد. وهو تحريف.

(١٢) في ب: وتلقفت.

وأيضاً فإن الله تعالى أنزل هذه القصص على محمد - عليه السلام^(١) - تسلياً له وإزالة للحزن عن قلبه. فلما أخبر الله تعالى محمداً أنه هو الذي أنزل العذاب عليهم جزاء على كفرهم علم أن الأمر كذلك، وحينئذ حصل له التسلي^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩٦) ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣) ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (١٩٤) ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١٩٥) ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٩٦).

قوله تعالى^(٣): ﴿وَلَهُمْ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. الهاء تعود على القرآن وإن لم يجر له ذكر للعلم به^(٤). و «تَنْزِيلٌ» بمعنى مُنْزَلٌ^(٥)، أو على حذف مضاف أي: ذُو تَنْزِيلٍ، وقوله: «نَزَلَ» قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص: «نَزَلَ» مخففاً، و «الرُّوحُ الْأَمِينُ» مرفوعان على إسناد الفعل له «الروح» و «الأمين» نعته، والمراد به جبريل.

وباقى السبعة: بالتشديد مبنياً للمفاعل، وهو الله تعالى، و «الرُّوحُ الْأَمِينُ» منصوبان^(٦) على المفعول به، و «الأمين» صفته أيضاً. وقرئ: «نَزَلَ» مشدداً مبنياً للمفعول^(٨)، و «الرُّوحُ الْأَمِينُ» مرفوعان على ما لم يسم فاعله. و «بِهِ» إمّا متعلق بـ «نَزَلَ» أو بمحذوف على أنه حال^(٩).

قوله: «عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ». قال أبو حيان: الظاهر تعلّق «عَلَى قَلْبِكَ» و «لِتَكُونَ» بـ «نَزَلَ»^(١٠). ولم يذكر ما يقابل هذا الظاهر. وأكثر ما يتخيّل أنه يجوز أن يتعلّق بـ «تَنْزِيلٍ» أي: وإنه لتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ على قلبك لتكون، ولكن فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ».

وقد يجاب عنه بوجهين:

أحدهما: أن هذه الجملة اعتراضية، وفيها تأكيد وتشديد، فليست بأجنبية.

والثاني: الاعتذار في الظرف وعديله. وعلى هذا فلا يبعد أن يجيء في المسألة باب^(١١) الإعمال^(١٢)، فإن كلاً من «تَنْزِيلٍ» و «نَزَلَ» يطلب هذين الجارين.

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٢) انظر الفخر الرازي ١٦٤/٢٤.

(٣) تعالى: سقط من ب. (٤) انظر التبيان ١٠٠٠/٢.

(٥) المرجع السابق. (٦) و: تكملة ليست في المخطوط.

(٧) السبعة (٤٧٣)، الكشف ١٥١/٢ - ١٥٢، النشر ٣٣٦/٢، الإتاح (٣٣٤).

(٨) قال أبو البقاء: (وعلى ترك التسمية والتشديد) التبيان ١٠٠٠/٢ ولم أعثر عليها عند غيره، ولم يعزها إلى من قرأ بها.

(٩) انظر الكشف ١٢٦/٣، تفسير ابن عطية ١٤٨/١١.

(١٠) البحر المحيط ٤٠/٧. (١١) في الأصل: من باب.

(١٢) وهو التنازع.

فصل

لما ذكر قصص الأنبياء لمحمد - عليه السلام^(١) - أتبعه بما يدل على نبوته فقال: «وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٢) لأنه^(٣) لفصاحته معجز فيكون من رب العالمين. وأيضاً فلأنه إخبار عن الأمم الماضية من غير تعلم ألبتة، وذلك لا يكون إلا بوحي من الله تعالى. وأيضاً فقوله: «وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ» مؤكداً لما ذكرنا، لأن ذكر هذه القصص على ما هي في زبر الأولين من غير تفاوت أصلاً مع أنه لم يشغل بالتعلم والاستفادة دليل على أنه ليس إلا من عند الله^(٤)، «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ»^(٥) عَلَى قَلْبِكَ يا محمد، أي^(٦): فهمك إياه وأثبته في قلبك كي لا تنساه كقوله: «سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى» [الأعلى: ٦] «لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ»: المخوفين. وسمي جبريل روحاً، لأنه خلق من الروح. وقيل: لأنه نجاه الخلق في باب الدين، فهو كالروح التي تستتبع الحياة. وقيل: لأنه روح كله، لا كالنفس في أبدانهم روح^(٧). وسماه أميناً لأنه مؤتمن على ما يؤديه للأنبياء - (عليهم السلام)^(٨) - .

فصل

روي أن جبريل - عليه السلام - نزل على آدم - عليه السلام^(٩) - اثنتا عشرة مرة، وعلى إدريس أربع مرات، وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة، وعلى موسى أربعمئة مرة، وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد - عليه السلام - أربع عشرة ألف مرة. فإن قيل: لم قال: «عَلَى قَلْبِكَ» وهو إنما أنزل عليه؟

فالجواب: ليؤكد أن ذلك المنزل محفوظ للرسول^(١٠) متمكن من قبله لا يجوز عليه التغيير، ولأن القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز والاختيار، وأما سائر الأعضاء فمستخرة له، ويدل على ذلك القرآن والحديث والمعقول، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧]، «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ»، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] واستحقاق الجزاء ليس إلا على ما في القلب، قال تعالى^(١١): ﴿لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاجَهَا وَلَكِنْ بِنَافِلَةِ النَّفَقِ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] والتقوى في القلب لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات: ٣] وقوله: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٢) في ب: لأن.

(٣) انظر الفخر الرازي ١٦٥/٢٤.

(٤) أي: سقط من ب.

(٥) انظر الفخر الرازي ١٦٦/٢٤.

(٦) ما بين القوسين في ب: عليهم الصلاة والسلام.

(٧) المرجع السابق.

(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٩) كذا في الفخر الرازي، وفي الأصل: والمرسل، وفي ب: والرسول.

(١٠) في ب: قال الله تعالى.

الضُّدُورُ ﴿العاديات: ١٠﴾. وحكى عن أهل النار قولهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] والعقل في القلب، والسمع منفذ إليه، وقال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] والسمع والبصر لا يستفاد منهما إلا ما يؤديانه إلى القلب، وقال: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ولم تخن الأعين إلا بما تضرر القلوب إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الحديث فقوله - عليه السلام ^(١) -: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» ^(٢).

وأما المعقول فإن القلب إذا غشي عليه، فإذا قطع سائر الأعضاء لم يحصل به الشعور، وإذا أفاق ^(٣) القلب شعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات.

وأيضاً فإذا فرح القلب أو حزن فإنه يتغير حال الأعضاء عند ذلك. وأيضاً فإن القلب منبع المشيئات الباعثة على الأفعال الصادرة عن سائر الأعضاء ^(٤).

قوله: «بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ» ^(٥). يجوز أن يتعلق بـ «المُنْذِرِينَ» أي: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي، وهم: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد - صلى الله عليه وعليهم وسلّم ^(٦) - (و) ^(٧) يجوز أن يتعلق بـ «نَزَلَ» أي: نزل باللسان العربي لتنذره، لأنه لو نزل بالأعجمي لقالوا: لم نزل علينا ما لا نفهمه ^(٨)؟ وجوز أبو البقاء أن يكون بدلاً من «بِهِ» بإعادة العامل، قال: أي نزل بلسان عربي، أي: برسالة أو لغة ^(٩). قال ابن عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه ^(١٠).

قوله: «وَلَئِنَّ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ». أي: وإن القرآن. وقيل: وإن ^(١١) محمداً ونعته «لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ» أي: كتب الأولين. وقيل: المراد وجوه ^(١٢) التخويف، لأن ذكر هذه الأشياء بأسرها قد تقدم ^(١٣)، وفيه التفات ^(١٤)، إذ لو جرى على ما تقدم ل قيل: «وإنك لفي زبر». وقرأ الأعمش: «زُبُرٍ» بسكون الباء، وهي مخففة من المشهورة ^(١٥).

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٢) أخرجه البخاري (إيمان) ١٩/١ - ٢٠، ومسلم (مساقاة) ١٢١٩/٣، وابن ماجه (فتن) ١٣١٨/٢ - ١٣١٩، الدارمي (بيوع) ٢٤٥/٢، أحمد ٢٧٠/٤.

(٣) في ب: فاق. (٤) انظر الفخر الرازي ١٦٦/٢٤ - ١٦٧.

(٥) عربي: سقط من ب. (٦) في ب: ﷺ.

(٧) و: سقط من الأصل. (٨) انظر الكشاف ١٢٦/٣ - ١٢٧.

(٩) التبيان ١٠٠١/٢. (١٠) انظر البغوي ٢٤٠/٦.

(١١) في ب: إن. (١٢) في الأصل: وجود.

(١٣) انظر الكشاف ١٢٦/٣، الفخر الرازي ١٦٩/٢٤.

(١٤) انظر البحر المحيط ٤١/٧.

(١٥) أي أنها مخففة من (زُبُر) جمع (زبور). انظر تفسير ابن عطية ١٤٩/١١، البحر المحيط ٤١/٧.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (١٩٧) ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ (١٩٨) ﴿فَفَرَأَوْهُمْ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٩٩) ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢٠٠) ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٢٠١) ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٠٢) ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ (٢٠٣) ﴿أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٢٠٤)

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾. قرأ ابن عامر^(١) «تَكُنْ» بالتاء من فوقه «آيَةٌ» بالرفع. والباقون «يَكُنْ» بالياء من تحت «آيَةٌ» بالنصب^(٢). وابن عباس: «تَكُنْ» بالتاء من فوق «آيَةٌ» بالنصب^(٣). فأما قراءة ابن عامر فتكون يحتمل أن تكون تامة، وأن تكون ناقصة. فإن كانت تامة جاز أن يكون «لَهُمْ» متعلقاً بها، و «آيَةٌ» فاعلاً بها، و «أَنْ يَغْلَمَهُ» إما بدل من «آيَةٌ» وإما خبر مبتدأ مضمرة، أي: أو لم تحدث لهم علامة علم علماء بني إسرائيل^(٤). وإن كانت ناقصة جاز فيها أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون اسمها مضمراً فيها بمعنى^(٥) «القصّة»، و «آيَةٌ أَنْ يَغْلَمَهُ» جملة قدم فيها الخبر. واقعة موقع خبر «تَكُنْ»^(٦).

الثاني: أن يكون اسمها ضمير القصّة أيضاً و «لَهُمْ» خبر مقدم، و «آيَةٌ» مبتدأ مؤخر، والجملة خبر «تَكُنْ»، و «أَنْ يَغْلَمَهُ» إما بدل من «آيَةٌ»^(٧) وإما خبر مبتدأ مضمرة، أي: هي أن يعلمه.

الثالث: أن يكون «لَهُمْ» خبر «تَكُنْ» مقدماً على اسمها، و «آيَةٌ» اسمها، و «أَنْ يَغْلَمَهُ» على الوجهين المتقدمين: البدلية، وخبر ابتداء مضمرة^(٨).

الرابع: أن تكون «آيَةٌ» اسمها، و «أَنْ يَغْلَمَهُ» خبرها. وقد اعترض هذا بأنه يلزم جعل الاسم نكرة والخبر معرفة^(٩) وقد نص بعضهم على أنه ضرورة^(١٠) كقوله:

(١) في ب: ابن عباس. وهو تحريف.

(٢) السبعة (٤٧٣)، الكشف ١٥٢/٢، النشر ٣٣٦/٢، الإتحاف (٣٣٤).

(٣) البحر المحيط ٤١/٧. (٤) انظر التبيان ١٠٠١/٢.

(٥) في ب: يعني.

(٦) انظر الكشف ١٢٧/٣، البيان ٢١٦/٢، التبيان ١٠٠١/٢.

(٧) انظر الكشف ١٢٧/٣. (٨) انظر التبيان ١٠٠١/٢.

(٩) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠١/٤ والكشاف ١٢٧/٣.

(١٠) أي: أن وقوع الاسم نكرة والخبر معرفة إنما هو ضرورة في الشعر، قال المبرد: (واعلم أن الشعراء يضطرون فيجعلون الاسم نكرة والخبر معرفة، وإنما حملهم على ذلك معرفتهم أن الاسم والخبر يرجعان إلى شيء واحد، فمن ذلك قول حسان:

كَأَنَّ سَلَافَةً مِنْ بَيْتِ رَاسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عِلٌّ وَمَاءٌ

٣٩٢٤ - وَلَا يَكْ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا^(١)

وقوله:

٣٩٢٥ - يَكُونُ مِرَاجِعَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ^(٢)

وقد اعتذر عن ذلك بأن «آيَةً» قد تخصصت بقوله: «لَهُمْ»^(٣) فإنه حال منها، والحال صفة، وبأن تعريف الخبر ضعيف لعمومه. وهو اعتذار باطل، ولا ضرورة تدعو إلى هذا التخريج، بل التخريج ما تقدم. وأما قراءة الباقيين فواضحة جداً، فـ «آيَةً» خبر مقدم، و «أَنْ يَغْلَمَهُ» اسمها مؤخر، و «لَهُمْ» متعلق بـ «آيَةً» حالاً من «آيَةً»^(٤). وأما قراءة ابن عباس فكقراءة: «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا»^(٥) [الأنعام: ٢٣]، وكقول لييد:

٣٩٢٦ - فَمَضَى وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَّدَتْ^(٦) أَقْدَامُهَا^(٧)

إما لتأنيث الاسم لتأنيث^(٨) (الخبر)^(٩)، وإما لأنه بمعنى المؤنث، ألا ترى أن «أَنْ يَغْلَمَهُ» في قوة المعرفة، و «إِلَّا أَنْ قَالُوا» في قوة مقاتلهم، وإقْدَامُهَا بِأَقْدَامَتِهَا^(١٠).

وقرأ الجحدري: «أَنْ تَغْلَمَهُ» بالتاء من فوق^(١١)، شبه البنين بجمع التكسير في تغير واحده صورة، فعامل^(١٢) فعله المسند إليه معاملة فعله في لحاق علامة التأنيث، وهذا كقوله:

٣٩٢٧ - قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ يَا بُؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّاراً لَأَقْوَامٍ^(١٣)

(١) عجز بيت من بحر الوافر، قاله القطامي، وصدده:

ففي قبل التفرق يا ضباعا

وقد تقدم.

(٢) عجز بيت من بحر الوافر قاله حسان بن ثابت، وصدده:

كَأَنَّ سَبِيْنَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ

رأس: موضع بالشام. والشاهد فيه نصب (مزاجها) على الخبر، وهو معرف بإضافته إلى الضمير، ورفع (عسل وماء) على أنه اسم (يكون)، وهو نكرة، وذلك على خلاف الأصل لضرورة الشعر. وقد تقدم.

(٣) انظر التبيان ١٠٠١/٢، المغني ٤٥٤/٢. (٤) في ب: و.

(٥) انظر الكشف ١٢٧/٣، البيان ٢١٦/٢.

(٦) [الأنعام: ٢٣]. بناء التأنيث في «تكن» ونصب «فتنتهم» وهي قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، وروى خلف وغيره عن عبيد عن شبل عن ابن كثير كذلك. السبعة (٢٥٥)، الكشف ١/٤٢٦ و «فتنتهم» خبر «تكن» مقدم، و «إِلَّا أَنْ قَالُوا» اسمها مؤخر.

(٧) البيت من بحر الكامل، قاله لييد. وقد تقدم.

(٨) في النسختين: عددت.

(٩) الخبر: زيادة من البحر المحيط.

(١٠) لتأنيث: سقط من ب.

(١١) انظر البحر المحيط ٤١/٧.

(١٢) المختصر (١٠٧)، البحر المحيط ٤١/٧.

(١٣) في ب: فعامله.

(١٤) البيت من بحر البسيط، قاله التابعة الديباني. وقد تقدم.

وكتبوا في الرسم الكريم: «عَلَمَوا» بواو بين الميم والالف^(١). قيل: هو على لغة من يميل الالف نحو الواو، وهذا كما فعل في «الصَّلَوة والزَّكَّوة»^(٢).

فصل

المعنى: أو لم يكن لهؤلاء المنكرين علم بني إسرائيل علامة ودلالة على نبوة محمد - ﷺ - لأنَّ العلماء الذين كانوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، كعبد الله بن سلام، وابن يامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد^(٣). قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد - ﷺ - فقالوا: إنَّ هذا لزمانه^(٤)، وإنَّا لنجد في التوراة نعتة وصفته، فكان ذلك آية على صدقه^(٥).

قوله: «وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ». قال صاحب التحرير: الأعجمين: جمع أعجمي بالتخفيف، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع سلامة^(٦).

قال شهاب الدين: وكأَنَّ سبب منع جمعه أنه من باب: أفعل فعلاء، كـ «أَخْمَرَ حَمْرَاءَ». والبصريون لا يجيزون جمعه جمع سلامة إلا ضرورة، كقوله:

٣٩٢٨ - خَلَّائِلَ أَسْوَدِينَ وَأَخْمَرِينَ^(٧)

فلذلك^(٨) قدره منسوباً مخفف الياء^(٩). وقد جعله ابن عطية «أَعْجَمَ» فقال: الأعجمون: جمع أعجم، وهو الذي لا يفصح وإن كان عربي النسب يقال له: أعجم، وذلك يقال للحيوانات، ومنه قول النبي - ﷺ -: «الْعَجَمَاءُ جَبَّارٌ»^(١٠). وأسند الطبري عن

(١) في ب: وألف. (٢) انظر الكشف ١٢٧/٣، البحر المحيط ٤١/٧.

(٣) انظر البغوي ٣٤٠/٦، ٣٤١. (٤) في ب: الزمانه. وهو تحريف.

(٥) انظر البغوي ٢٤٠/٦. (٦) انظر البحر المحيط ٤١/٧.

(٧) عجز بيت من بحر الوافر، قاله حكيم الأعور بن عياش الكلابي. وصدرة:

فَمَا وَجَدَتْ بَنَاتِ بَنِي نَسْرَارٍ

وهو في المقرب (٤٠٣) منسوباً إلى الكميت، وديوان الكميت ١١٦/٢، ابن يعيش ٦٠/٥، الهمع ١/٤٥، الأشموني ٨١/١، الخزانة ١٧٨/١، ١٨/٨، شرح شواهد الشافية ١٤٣/٤، الدرر ١٩/١. الحلائل: جمع حليل - بالحاء المهملة - الزوج، والحليلة: الزوجة. والشاهد فيه قوله: (أسودين وأحمرين) حيث جمع (أسود، وأحمر) جمع المذكر السالم، وذلك شاذ لضرورة الشعر، فإن كل صفة لا تلحقها التاء فكانها من قبيل الأسماء، ولهذا لم يجمع على هذا الجمع (أفعل فعلاء)، ولا (فعلان فعلى)، وأجاز ابن كيسان: أحمرّون وسكرانون، واستدل بهذا البيت، وهو عند غيره شاذ.

(٨) في ب: فكَذَلِكَ. وهو تحريف. (٩) الدر المصون ١٦٩/٥.

(١٠) في ب: (جرح العجماء جبار). أخرجه البخاري (الديات) ١٩٣/٤ - ١٩٤، مسلم (الحدود) ٣/١٣٣٤ - ١٣٣٥، أبو داود (الديات) ٧١٥/٤ - ٧١٦، الترمذي (الزكاة) ٧٧/٢، النسائي (الزكاة) ٥/٤٥، ابن ماجه (الديات) ٨٩١/٢ الموطأ (العقول) ٨٦٩/٢، أحمد ٢٢٨/٢، ٢٣٩، ٣٢٦/٥.

العجماء: البهيمة من الأنعام وغيرها، الجبار: هو الهدر الذي لا يغرّم. وانظر غريب الحديث لابن الأثير ١٨٧/٣.

عبد الله بن مطيع^(١) أنه كان واقفاً بعرفة وتحتة جمل، فقال: جَمَلِي هذا أَعْجَمٌ، ولو أنه أنزل عليه ما كانوا يؤمنون^(٢).

والعجمي: هو الذي نسبته في العجم وإن كان أفصح الناس^(٣).

وقال الزمخشري: الأعجم: الذي لا يفصح، وفي لسانه عجمة واستعجام، والأعجمي مثله إلا أن فيه زيادة ياء^(٤) النسب تأكيداً^(٥). وتقدم نحو من هذا في سورة النحل^(٦) وقد صرح أبو البقاء بمنع أن يكون «الأعجمين» جمع أعجم، وإنما هو جمع أعجمي^(٧) مخففاً من «أعجمي» «كالأشعرين» في الأشعري. قال: «الأعجمين» الأعجميين، فحذف ياء النسب، كما قالوا: (الأشعرين أي)^(٨): الأشعريون، وواحد (أعجمي) ولا يجوز أن يكون جمع (أعجم) لأن مؤنثه (عجماء)، ومثل هذا لا يجمع جمع التصحيح^(٩). قال شهاب الدين: وفيما قاله ابن عطية نظر^(١٠)، وأما الزمخشري فليس في كلامه أنه جمع (أعجم) مخففاً أو غير مخفف، وإن كان ظاهره أنه جمع (أعجم) من غير تخفيف، ولكن الذي قاله ابن عطية تبع فيه الفراء فإنه قال: الأعجمين: جمع (أعجم) أو (أعجمي) على حذف ياء النسب، كما قالوا: الأشعرين وواحد (أشعري)^(١١) وأنشد للكمي:

٣٩٢٩ - وَلَوْ جَهَّزْتَ قَافِيَةَ شُرُودَا^(١٢) لَقَدْ دَخَلْتَ بَيْوتَ الْأَشْعَرِينَا^(١٣)

لكن الفراء لا يضره ذلك، فإنه من الكوفيين، وقد تقدم عنهم أنهم يجيزون جمع

(١) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود، من بني عويج بن عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان أبوه مطيع بن الأسود يسمى العاص، فسماه النبي - ﷺ - مطيعاً. المعارف ٣٩٥.

(٢) جامع البيان ٧٠/١٩. (٣) تفسير ابن عطية ١٥٠/١١ - ١٥١.

(٤) ياء: سقط من ب.

(٥) الكشف ١٢٧/٣. وفيه: إلا أن فيه لزيادة ياء النسب زيادة تأكيد.

(٦) عند قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لِّسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ من الآية (١٠٣).

(٧) في الأصل: أعجم.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) التبيان ١٠٠١/٢ - ١٠٠٢.

(١٠) في ب: نظر واضح.

(١١) تبع شهاب الدين أبا حيان في النقل عن الفراء، فإنهما قد نقلتا معنى كلامه وغبارة الفراء: (الأعجم في لسانه، والأعجمي المنسوب إلى أصله إلى العجم وإن كان فصيحاً. ومن قال: أعجم، قال للمرأة عجماء إذا لم تحسن العربية، ويجوز أن تقول: عجمي تريد أعجمي تنسبه إلى أصله) معاني القرآن للفراء ٢٨٣/٢.

(١٢) في ب: سدوداً.

(١٣) البيت من بحر الوافر قاله الكمي، وهو في ديوانه ١١٩/٢، البحر المحيط ٤٢/٧. قوله: (قافية شُروداً) أي: قافية سائرة في البلاد تشرد كما تشرد البعير والشاهد فيه قوله: «الأشعرين» فإنه جمع (أشعري) مخفف (أشعري) والأصل: الأشعريين. فخفف بحذف الياء الأولى.

(أَفَعَلَ فَعْلَاءً)^(١). وقرأ الحسن وابن مقسم: «الْأَعْجَمِيِّينَ»^(٢) بياء^(٣) النسب^(٤) - وهي مؤيدة لتخفيفه منه في قراءة العامة.

فصل

قوله^(٥) «وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ» يعني: القرآن على رجل ليس بعربي^(٦) اللسان «فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ» بغير لغة العرب «مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ» وقالوا ما نفقه قولك، وجعلوه عذراً لجحودهم، ونظيره: «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ» [فصلت: ٤٤].

وقيل: معناه: ولو أنزلناه^(٧) على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفة من اتباعه^(٨). قوله: «كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ» أي: قيل ذلك^(٩)، أو الأمر كذلك^(١٠). والضمير في «سَلَكْنَاهُ» عائد على القرآن، وهو الظاهر^(١١)، أي: سلكناه في قلوب المجرمين (كما سلكناه في قلوب المؤمنين)^(١٢)، ومع ذلك لم ينبج^(١٣) فيهم. وقال ابن عباس والحسن ومجاهد: أدخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين^(١٤).

وهذه الآية تدل على أن الكل بقضاء الله وخلقه. قال الزمخشري: أراد به أنه صار ذلك التكذيب متمكناً في قلوبهم أشد التمكن، فصار ذلك كالشيء الجبلي^(١٥).

والجواب: أنه إما أن يكون قد فعل الله تعالى فيهم ما يقتضي الترجيح أم لا، فإن كان الأول فقد دللنا^(١٦) في سورة الأنعام على أن الترجيح لا يتحقق ما لم يشب^(١٧) إلى حد الوجوب، وحينئذ يحصل المقصود، وإن لم يفعل فيهم ما يقتضي الترجيح البتة امتنع قوله: «كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ»^(١٨).

(١) الدر المصون ١٦٩/٥. (٢) في ب: الأعجمين.

(٣) في ب: بياي.

(٤) المختصر (١٠٧)، المحتسب ١٣٢/٢، البحر المحيط ٤٢/٧، الإتحاف (٣٣٤).

(٥) قوله: سقط من الأصل. (٦) في ب: يعرف.

(٧) في الأصل: أنزلنا. (٨) انظر البخوي ٢٤١/٦.

(٩) فتكون الكاف صفة لمصدر محذوف، أي: سلوكاً مثل. التبيان ٧٧٧/٢.

(١٠) فتكون الكاف في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف. المرجع السابق.

(١١) انظر البحر المحيط ٤٢/٧. (١٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٣) في اللسان (نجم): نجع فيه القول والخطاب والوعظ: عمل فيه ودخل وأثر.

(١٤) انظر البخوي ٢٤١/٦ - ٢٤٢.

(١٥) نص عبارة الزمخشري: (فإن قلت: كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته. قلت: أراد به الدلالة

على تمكنه مكذباً في قلوبهم أشد التمكن وأثبتة فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا) الكشف ٣/

١٢٨، وابن عادل تبع ابن الخطيب في النقل عن الزمخشري، فقد نقل معنى كلامه.

(١٦) في ب: قدمنا. (١٧) يشب: سقط من ب.

(١٨) انظر الفخر الرازي ١٧٠/٢٤.

قوله: «لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ» في الجملة وجهان:

أحدهما: الاستئناف على جهة البيان والإيضاح لما قبله.

والثاني: أنها حال من الضمير في «سَلَكْنَاهُ» أي^(١): غير مُؤْمِنٍ بِهِ^(٢).

ويجوز أن يكون حالاً من «المُجْرِمِينَ» لأنَّ المضاف جزء من المضاف إليه «حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» يعني: الموت^(٣).

قوله: «فَيَأْتِيَهُمْ» و^(٤) «فَيَقُولُوا» عطف على «يَرَوْا»^(٥).

وقرأ العامة بالياء من تحت. والحسن وعيسى بالتاء من فوق^(٦).

أتت ضمير العذاب. لأنه في معنى العقوبة^(٧). وقال الزمخشري: أتت على أن

الفاعل ضمير^(٨) الساعة^(٩). قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى التعقيب في قوله:

«فَيَأْتِيَهُمْ»؟ قلت: ليس المعنى التعقيب في الوجود، بل المعنى ترتبها في الشدة، كأنه

قيل: لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب أشد منها، ومثال ذلك أن تقول: إن

أسأت مَقَّتَكَ الصَّالِحُونَ فَمَقَّتَكَ اللَّهُ^(١٠) فإنك لا تقصد أن مَقَّتَ اللَّهُ بعد مَقَّتِ الصَّالِحِينَ،

وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء^(١١).

وقرأ الحسن: «بَعْتَةً» بفتح الغين^(١٢).

فصل

المعنى: يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ «بَعْتَةً» أي: فجأة «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» به في الدنيا، «فَيَقُولُوا

هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ» أي: لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة^(١٣) والنظرة، وإنما يقولون ذلك

استراوحاً عند تعذر الخلاص، لأنهم يعلمون في الآخرة ألا^(١٤) ملجأ لهم^(١٥). قال

مقاتل: لما وعدهم النبي - ﷺ - بالعذاب^(١٦) قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب؟ ومتى هذا

(١) أي: سقط من الأصل.

(٢) انظر الكشاف ١٢٨/٣.

(٣) في ب: عند الموت.

(٤) و: سقط من ب.

(٥) انظر التبيان ١٠٠٢/٢.

(٦) المختصر (١٠٨)، المحتسب ١٣٣/٢، قال ابن جني: (الفاعل المضمّر الساعة، أي: فتأتيهم الساعة

«بعتة» فأضمرها لدلالة العذاب الواقع فيها عليها، وكثرة ما تردد في القرآن من ذكر إتيانها) وانظر أيضاً

البحر المحيط ٤٢/٧.

(٧) ضمير: سقط من ب.

(٨) انظر البحر المحيط ٤٢/٧.

(٩) وعبرة الزمخشري: (وقرأ الحسن: «فتأتيهم» بالتاء يعني: الساعة) الكشاف ١٢٨/٣.

(١٠) فمقتك الله: تكلمة من الكشاف (١١) الكشاف ١٢٨/٣. يتصرف يسير.

(١٢) المختصر (١٠٨)، الكشاف ١٢٨/٣، البحر المحيط ٤٣/٧.

(١٣) في ب: الرجفة.

(١٤) في ب: لا.

(١٥) بالعداب: سقط من ب.

(١٦) انظر الفخر الرازي ١٧٠/٢٤.

مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ^(١) كثيرة في الدنيا، يعني كفار مكة، ولم نهلكهم «ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ» يعني: العذاب «مَا^(٢) أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ» في تلك السنين، أي: إنهم وإن طال تمتعهم بنعم الدنيا، فإذا أتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئاً، ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط.

قوله: «مَا أَغْنَى عَنْهُمْ^(٣)» يجوز أن تكون «مَا» استفهامية في محل نصب مفعولاً مقمداً، و «مَا كَانُوا» هو الفاعل^(٤)، و «مَا» مصدرية بمعنى: أي شيء أغنى عنهم كونهم متمتعين. وأن تكون نافية^(٥)، والمفعول محذوف، أي: لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ تمتعهم شيئاً. وقرئ «يُمَتَّعُونَ» بإسكان الميم وتخفيف التاء^(٦) من: أَمَتَّعَ اللَّهُ زَيْدًا بكذا.

قوله: «إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ» يجوز أن تكون الجملة صفة لـ «قَرْيَةٍ»^(٧) وأن تكون حالاً منها. وسوغ^(٨) ذلك سبق النفي^(٩). وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف عزلت الواو عن الجملة بعد «إِلَّا» ولم تعزل عنها في قوله: «وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ» [الحجر: ٤٤]؟ قلت: الأصل عزل الواو، لأن الجملة صفة لـ «قَرْيَةٍ» وإذا زيدت فلنؤكد وصل الصفة^(١٠) بالموصوف، كما في قوله^(١١): «سَبْعَةٌ وَاقِمَتُهُمْ كُتُبُهُمْ»^(١٢) [الكهف: ٢٢]. قال أبو حيان: ولو قدرنا «لَهَا مُنْذِرُونَ» جملة لم يجز أن تجيء صفة بعد «إِلَّا»، ومذهب الجمهور أنه لا تجيء الصفة بعد «إِلَّا» معتمدة على أداة الاستثناء^(١٣)، نحو: مَا جَاءَنِي أَحَدٌ إِلَّا رَاكِبٌ. وإذا سمع مثل هذا خرجوه على البدل، أي: إِلَّا رَجُلٌ رَاكِبٌ، ويدل على صحة هذا المذهب أن العرب تقول: ما مررت بأحدٍ إِلَّا قائماً ولا يحفظ عنهم «إِلَّا قَائِمٌ» يعني: بالجبر، فلو كانت الجملة صفة بعد «إِلَّا» (لَسَمِعَ الْجَرُّ)^(١٤) في هذا^(١٥). وأيضاً^(١٦) فلو كانت الجملة صفة للنكرة لجاز أن تقع صفة المعرفة بعد «إِلَّا». يعني نحو: مَا مَرَرْتُ بِزَيْدٍ إِلَّا الْعَاقِلُ.

= موضع المفعول الثاني) الكتاب ٢٣٩/١ - ٢٤٠. وقال أبو حيان: (وتقرر في علم العربية أن أرايت إذا كانت بمعنى أخبرني تعدت إلى مفعولين أحدهما منصوب والآخر جملة استفهامية في الغالب، تقول العرب: أرايت زيدا ما صنع وما جاء مما ظاهره خلاف ذلك أول البحر المحيط ٤٣/٧، وانظر الهمع ١٥٥/١).

- (١) في ب: فما.
- (٢) عنهم: سقط من ب.
- (٣) انظر البيان ٢١٧/٢.
- (٤) انظر البيان ٢١٧/٢، التبيان ١٠٠٢/٢.
- (٥) المختصر (١٠٨)، الكشف ١٢٨/٣، البحر المحيط ٤٤/٧، ولم يعزها أحد إلى قارىء.
- (٦) انظر نص الزمخشري الآتي.
- (٧) في ب: ومسوغ.
- (٨) انظر البحر المحيط ٤٤/٧.
- (٩) في الأصل: الصلة.
- (١٠) قوله: سقط من ب.
- (١١) [الكهف: ٢٢]، الكشف ١٢٨/٣ - ١٢٩.
- (١٢) أي: مقصوداً بها وصف ما قبل «إِلَّا». (١٣) ما بين القوسين في ب: سمع الجر أيضاً.
- (١٤) يعني في المفرد، وهو قولهم: ما مررت بأحدٍ إِلَّا قائماً، فكان يقال: قائم أيضاً.
- (١٥) وأيضاً: سقط من ب.

ثم قال: فإن كانت الصفة غير معتمدة على الأداة^(١) جاءت الصفة بعد «إلا» نحو: ما جاءني أحدٌ إلا زَيْدٌ خَيْرٌ من عمرو، والتقدير: ما جاءني أحدٌ خَيْرٌ من عمرو إلا زَيْدٌ.

وأما كون الواو تزداد لتأكيد وصل الصفة بالموصوف فغير معهود في عبارة النحويين، لو قلت: جاءني رجلٌ وعاقِلٌ. لم يجز، وإنما تدخل الواو في الصفات جوازاً إذا عطف^(٢) بعضها على بعض وتغاير مدلولها، نحو: «مَرَزْتُ بِزَيْدٍ الشجاع والشاعر»^(٣). وأما «وَأَمُّهُمْ كَلْبُهُمْ» [الكهف: ٢٢] فتقدم الكلام عليه^(٤).

قال شهاب الدين: أما كون الصفة لا تقع بعد (إلا) معتمدةً فالزمخشري يختار غير هذا، فإنها مسألة خلافية^(٥)، وأما كونه لم يقل (إلا قائماً) بالنصب دون «قائماً» بالجر فذلك^(٦) على أحد الجائزين، وليس فيه دليل على المنع من قسمه. وأما قوله: فغير معهود في كلام النحويين. فممنوع، هذا ابن جني نصّ عليه في بعض كتبه^(٧)، وأما^(٨) إلزامه أنها لو كانت الجملة صفة بعد (إلا) للنكرة، لجاز أن تقع صفة المعرفة بعد (إلا) فغير لازم، لأن ذلك مختص بكون الصفة جملة، وإذا كانت جملة تعذر كونها صفة للمعرفة، وإنما اختص ذلك بكون الصفة جملة، لأنها لتأكيد وصل الصفة والتأكيد لائق بالجملة.

وأما قوله: لو قلت: جاءني رجلٌ وعاقِلٌ. لم يجز، فمسلم، ولكن إنما امتنع ذلك في الصفة المفردة لثلاث يلبس أن الجائي اثنان: رجلٌ وآخر عاقِلٌ، بخلاف كونها جملة فإنّ اللبس منتفٍ، وقد تقدم (الكلام في)^(٩) «سَبْعَةٌ وَأُمُّهُمْ»^(١٠) [الكهف: ٢٢]. قوله: «ذِكْرِي» يجوز فيها أوجه:

أحدها: أنها مفعول من أجله، وإذا كانت مفعولاً من أجله ففي العامل فيها وجهان: أحدهما: «مُنْذِرُونَ» على أنَّ المعنى: منذرون لأجل الموعظة والتذكرة^(١١). الثاني: «أَهْلَكُنَا».

قال الزمخشري: والمعنى: وَمَا أَهْلَكُنَا من أهل قرية ظالمين إلا بعد ما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم، ليكون تذكراً وعبرة لغيرهم، فلا يعصون^(١٢) مثل

(١) في ب: الإعادة. وهو تحريف.

(٢) في ب: عطفت.

(٣) في ب: وبالشاعر. وهو تحريف.

(٤) البحر المحيط ٤٤/٧ بتصرف يسير وانظر أيضاً ١١٤/٦ - ١١٥.

(٥) انظر شرح المفصل ٩٣/٢. (٦) في ب: فذاك.

(٧) لم أهد إليه في الخصائص أو في سر صناعة الإعراب.

(٨) في ب: فأما. (٩) الكلام في: تكملة من الدر المصون.

(١٠) [الكهف: ٢٢]. الدر المصون ١٧١/٥. (١١) انظر الكشاف ١٢٨/٣.

(١٢) في الأصل: فلا يعصوا.

عصيانهم. ثم قال: وهذا الوجه عليه المَعْوَل^(١). قال أبو حيان: وهذا لا معْوَل عليه، فإنَّ مذهب الجمهور أنَّ ما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها إلا أن يكون^(٢) مستثنى أو مستثنى منه، أو تابعاً له غير معتمدٍ على الأداة نحو: ما مررتُ بأحدٍ إلا زَيْدٌ خَيْرٌ من عمرو. والمفعول له^(٣) ليس واحداً من هذه.

ويتخرَّج مذهب على مذهب الكسائي والأخفش^(٤)، وإن كانا لم ينصَّا على المفعول له بخصوصيته^(٥). قال شهاب الدين: والجواب ما تقدم قبل ذلك من أنه يختار مذهب الأخفش^(٦). الثاني من الأوجه الأول^(٧): أنها في محل رفع خبراً لمبتدأ محذوف، أي: هذه ذكرى، وتكون الجملة اعتراضية^(٨).

الثالث: أنها صفة لـ «مُنْذِرُونَ» إمَّا على المبالغة، وإمَّا على الحذف، أي: مُنْذِرُونَ ذُوو^(٩) ذكرى^(١٠)، أو على وقوع المصدر وقوع اسم الفاعل. أي: منذرون مذكرون. وتقدم تقريره.

الرابع: أنها في محل نصب على الحال، أي: مذكرين، أو ذوي ذكرى، أو جعلوا نفس الذكرى مبالغة^(١١).

الخامس: أنها منصوبة على المصدر المؤكد، وفي العامل فيها حيثنذ وجهان: أحدهما: لفظ «مُنْذِرُونَ» لأنه^(١٢) من معناها، فهما كـ (قَعَدْتُ جُلُوساً)^(١٣). والثاني: أنه محذوف من لفظها، أي: يُذَكِّرُونَ ذكرى^(١٤)، وذلك المحذوف صفة لـ «مُنْذِرُونَ».

قوله: «وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ» في تعذيبهم، حيث قدمنا الحجة عليهم، وأعذرنا إليهم، أو: ما كنا ظالمين فنهلك قوماً غير ظالمين^(١٥).

(١) الكشف ١٢٨/٣. (٢) يكون: سقط من ب.

(٣) له: سقط من ب.

(٤) وذلك أن الكسائي جوز تأخير معمول ما قبل (إلا) عنها مرفوعاً كان، أو منصوباً، أو مجزوراً، نحو ما ضرب إلا زيد عمراً وما مر إلا زيد بعمرو. ووافقه الأخفش في الظرف المجرور، والحال، نحو ما جلس إلا زيد عندك وما مر إلا عمرو بك، وما جاء إلا زيد ركباً. قال أبو حيان: وهو المختار، لأنه يتسامح في المذكورات ما لا يتسامح في غيرها. الهمع ١/٢٣٠ - ٢٣١.

(٥) البحر المحيط ٤٥/٧. (٦) الدر المصون ١٧٢/٥.

(٧) يعني الأوجه في (ذكرى). (٨) انظر الكشف ١٢٨/٣.

(٩) في ب: و. وهو تحريف. (١٠) انظر الكشف ١٢٨/٣.

(١١) انظر الكشف ١٢٨/٣، البيان ٢/٢١٧، ونسبه ابن الأنباري للكسائي. البحر المحيط ٤٤/٧.

(١٢) في ب: لأن. (١٣) انظر الكشف ١٢٨/٣، البحر المحيط ٤٤/٧.

(١٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/١٠٢، البيان ٢/٢١٧.

(١٥) انظر الكشف ١٢٨/٣، الفخر الرازي ٢٤/١٧٦.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢١٠) ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ (٢١٢) فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ (٢١٣) ﴿

قوله: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾. العامة على الياء ورفع النون، وهو جمع تكسير.

وقرأ الحسن البصري وابن السميع والأعمش بالواو مكان الياء والنون مفتوحة^(١)، إجراء له مجرى جمع السلامة. وهذه القراءة (قَدْ رَدَّهَا)^(٢) جمع كثير من النحويين.

قال الفراء: غلط الشيخ، ظنَّ أنَّها النون التي على هجائين^(٣). فقال النضر بن شميل: إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤية فهلا^(٤) جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه - يعني: محمد بن السميع - مع أنا نعلم أنهما لم يقرأ به إلا وقد سمعا فيه^(٥). وقال النحاس: هو غلط عند جميع النحويين^(٦).

وقال المهدوي: هو غير جائز في العربية^(٧). وقال أبو حاتم: هي غلطٌ منه أو عليه^(٨). وقد أثبت هذه القراءة جماعة من أهل العلم ودفَعُوا عنها الغلط، فإنَّ القارئ بها من العلم بمكانٍ مكيين. وأجابوا عنها بأجوبة صالحة.

فقال النضر بن شميل: قال يونس بن حبيب: سمعت أعرابياً يقول: دخلت بساتين من ورائها بَسَاتُون. فقلت: ما أشبه هذا بقراءة الحسن^(٩).

وخرَّجها بعضهم على أنها جمع (شَيَاطِ) بالتشديد، مثال مبالغة. مثل: (ضَرَابٌ وَقَتَالٌ) على أن يكن مشتقاً من: شَاطِ يَشِيْطُ، أي: أحرق، ثم جُمِعَ جمع سلامة مع تخفيف الياء، فوزنه^(١٠): (فَعَالُونَ) مخففاً من (فَعَالِينَ) بتشديد العين.

ويدل على ذلك أنَّهما وغيرهما قرءوا بذلك، أعني: بتشديد الياء^(١١)، وهذا منقول عن مؤرج السدوسي^(١٢). ووجهها آخرون بأنَّ (آخره لما)^(١٣) كان يشبه يبرين^(١٤)، وفلسطين، أجري إعرابه تارة على النون، وتارة بالحرف، كما قالوا: هذه يبرين وفلسطين ويبرون وفلسطين^(١٥)، وتقدم القول في ذلك في البقرة^(١٦). والهاء في «به» تعود على

(١) المختصر (١٠٨)، المحتسب ١٣٣/٢، البحر المحيط ٤٦/٧.

(٢) ما بين القوسين في الأصل: قدرها. (٣) معاني القرآن ٢/٢٨٥. (٤) في ب: فهل.

(٥) انظر الكشف ١٢٩/٣، القرطبي ١٤٢/١٣، البحر المحيط ٤٦/٧.

(٦) إعراب القرآن ١٩٤/٣. (٧) انظر القرطبي ١٤٢/١٣، البحر المحيط ٤٦/٧.

(٨) انظر البحر المحيط ٤٦/٧.

(٩) انظر تفسير ابن عطية ١٢٥٥/١١، القرطبي ١٤٢/١٣، البحر المحيط ٤٦/٧.

(١٠) في ب: بوزنه. وهو تحريف. (١١) انظر القرطبي ١٤٢/١٣، البحر المحيط ٤٦/٧.

(١٢) تقدم. (١٣) ما بين القوسين في ب: آخرها.

(١٤) في ب: ميرين. (١٥) انظر الكشف ١٢٩/٣، البحر المحيط ٤٦/٧.

(١٦) عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سَلِيمَانَ وَمَا كَفَرَ سَلِيمَانٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾ من الآية (١٠٢).

القرآن. وجاءت هذه الجمل الثلاثة منفية على أحسن ترتيب، نفى أولاً تنزيل الشياطين به، لأن النفي في الغالب يكون في الممكن، وإن كان الإمكان هنا منتفياً ثم نفى ثانياً ابتغاء ذلك، أي: ولو فرض الإمكان لم يكونوا أهلاً له^(١). ثم نفى ثالثاً^(٢) الاستطاعة والقدرة، ثم ذكر علة ذلك وهي انعزالهم عن السماع من الملائ الأعلى، لأنهم يرحمون بالشهب لو (تَسَمَّعُوا)^(٣)^(٤).

فصل

لما احتج على صدق محمد - عليه السلام^(٥) - بكون القرآن تنزيل رب العالمين، لوقوعه في الفصاحة القصوى، ولاشتماله على قصص المتقدمين من غير تفاوت، مع أنه - عليه السلام - لم يتعلم من أحد، وكان الكفار يقولون: هذا من إلقاء الجن والشياطين كسائر ما ينزل به على الكهنة، فأجاب الله تعالى بأن ذلك لا يتسهل للشياطين، لأنهم معزولون عن استماع كلام أهل السماء برجمهم بالشهب. فإن قيل: العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك لا يحصل إلا بخبر النبي الصادق فإذا أثبتنا كون محمد - عليه السلام^(٦) - صادقاً بفصاحة القرآن، وإخباره عن الغيب، ولا يثبت كون الفصاحة والإخبار عن الغيب معجزاً إلا إذا ثبت كون الشياطين ممنوعين عن ذلك. (فلزم الدور).

فالجواب: لا نسلم أن العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك^(٧) لا يستفاد إلا من قول النبي - ﷺ - «لأننا نعلم بالضرورة أن النبي - ﷺ - كان يلعن الشياطين، ويأمر الناس بلعنهم، فلو كان ذلك إنما حصل من إلقاء الشياطين لكان الكفار أولى بأن يحصل لهم مثل هذا العلم، فيجب أن يكون اقتدار الكفار على مثله أولى. ولما لم يكن كذلك علمنا أن الشياطين ممنوعون، لأنهم معزولون عن تعرف الغيوب^(٨)». ثم إنه تعالى لما ذكر هذا الجواب خاطب الرسول - عليه السلام^(٩) - فقال: «فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ». قال ابن عباس: يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبتك^(١٠). وقوله: «فَتَكُونُ» منصوب في جواب النهي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. روى عبد الله بن عباس عن علي بن أبي

(٢) في الأصل: ثالثاً نفى.

(٤) ما بين القوسين في الأصل: قسموا.

(٦) عليه السلام: سقط من ب.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٧١ - ١٧٢.

(١٠) انظر البغوي ٦/ ٢٤٤.

(١) له: سقط من ب.

(٣) انظر البحر المحيط ٤٦/ ٧.

(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

طالب - رضي الله عنه^(١) - قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله - ﷺ - «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» دعاني رسول الله - ﷺ - فقال: «يا علي، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنني متى أناديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال: يا محمد، إلاً تفعل ما تؤمر يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملاً لنا عُساً^(٢) من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به». ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحزمة، والعباس، وأبو لهب، فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله - ﷺ - جَذْبَةً^(٣) من اللحم، فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسقِ القوم. فجئت بذلك العُسَ فشربوا حتى رروا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله - ﷺ - أن يكلمهم بَدْرَةً^(٤) أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم. فتفرق القوم، ولم يكلمهم رسول الله - ﷺ - فقال: الغد يا علي، إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلهم، فأعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت، ثم دعاني بالطعام فقدمته، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا، ثم تكلم رسول الله - ﷺ - فقال: يا بني عبد المطلب: إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرنني^(٥) على أمري ويكون أخي ووصي وخليفتي فيكم؟ فأحجم^(٦) القوم عنها جميعاً، فقلت وأنا أحدثهم سئاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، قال: فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع^(٧).

(١) في ب: كرم الله وجهه.

(٢) العُسُ: القدح الضخم، وقيل: هو أكبر من الغمر، وهو إلى الطول، يروي الثلاثة والأربعة والعدَّة، والرَّفْد أكبر منه والجمع عسائ وعسَّة. اللسان (عس).

(٣) الجَذْبَةُ: القطعة. ففي اللسان (جذب): يقال: بيني وبين المنزل جذبة أي: قطعة، يعني: بعداً، ويقال: جذبة من غزل، للمجذوب منه مرة.

(٤) بدرت إلى الشيء أبدر بدوراً: أسرع، وكذلك بادرت إليه، وتبادر القوم أسرعوا، وابتدروا السلاح: تبادروا إلى أخذه، وبادر الشيء مبادرةً وبداراً وابتدرةً وبدر غيره إليه يبدره: عاجله، وبدرني الأمر وبدر إلي: عجل إلي واستبق. اللسان (بدر).

(٥) وأزره على الأمر: أعانه وقواه. اللسان (وزر).

(٦) أحجم عن الأمر: كف أو نكص هية. اللسان (حجم).

(٧) أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي. انظر البغوي

وعن ابن عباس قال: لما نزلت: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» خرج رسول الله - ﷺ - حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا^(١) إليه، فقال: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقِي؟» قالوا: ما جرئنا عليك كذباً. قال: فأني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك^(٢) ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام، فنزلت: «تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ»^(٣) [المسد: ١].

قوله: «وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ»: ألن جانبك «لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». واعلم أن الطائر إذا أراد أن ينحط كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع ولين الجانب^(٤).
قوله: «فَإِنْ عَصَوْكَ»: في هذه الواو وجهان:

أحدهما: أنها ضمير الكفار، أي: فإن عصاك الكفار في أمرك لهم بالتوحيد.

والثاني: أنها ضمير المؤمنين، أي: فإن عصاك المؤمنون في فروع الإسلام وبعض الأحكام بعد تصديقك والإيمان برسالتك، وهذا في غاية البعد «فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ» (من الكفر وعبادة غير الله)^{(٥)(٦)}.

فصل

قال الجُبَّائِي: هذا يدل على أنه - عليه السلام^(٧) - كان بريئاً من معاصيهم، وذلك يوجب أن الله تعالى أيضاً بريء من عملهم كالرسول، وإلا كان مخالفة لله، كما لو رضي عن شخص فإن الله راضٍ عنه، وإذا كان تعالى بريئاً من عملهم فلا يكون فاعلاً له. والجواب^(٨): أنه تعالى بريء من المعاصي، بمعنى أنه ما أمر بها بل نهى عنها، فأما بمعنى أنه لا يريد لها فلا نسلم، بدليل أنه علم وقوعها، وكل ما كان معلوم الوقوع فهو واجب الوقوع، وإلا لانتقلب علمه جهلاً، وهو محال، والمفضي إلى المحال محال، وعلم ما هو واجب الوقوع لا يزداد عدم وقوعه، فثبت قولنا^(٩).

قوله: «وَتَوَكَّلْ». قرأ نافع وابن عامر بالفاء. والباقون بالواو^(١٠).

(١) في ب: واجتمعوا.

(٢) التَّبُّ: الخسار، والثَّيَاب: الخسران والهلاك، وتَّبَّأ له على الدعاء، نصب، لأنه مصدر محمول على فعله، كما تقول: سقياً لفلان، معناه سقي فلان سقياً. اللسان (تب).

(٣) أخرجه البخاري (تفسير) ١٧١/٣، ١٧٩، ٢٢٢ الترمذي (تفسير) ١٢١/٥، أحمد ٢٨١/١، ٣٠٧.

(٤) انظر الكشف ١٢٩/٣، الفخر الرازي ١٧٣/٢٤.

(٥) انظر البحر المحيط ٤٧/٧. (٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٨) في ب: فالجواب.

(٩) انظر الفخر الرازي ١٧٣/٢٤.

(١٠) السبعة (٤٧٣)، الكشف ١٥٣/٢، النشر ٣٣٦/٢، الإنحاف (٣٣٤).

فأما قراءة الفاء فإنه جُعِلَ فيها ما بعد الفاء كالجاء لما قبلها مترتباً عليه . وقراءة الواو لمجرد عطف جملة على أخرى . والتوكل: عبارة عن تفويض الرجل أمره إلى من يكمل أمره ويقدر على نفعه وضره^(١) . ثم قال: «عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» ليكفيك كيد^(٢) الأعداء بعزته وينصرك عليهم برحمته .

قوله: «الَّذِي يَرَاكَ» يجوز أن يكون مرفوع المحل خبراً لمبتدأ محذوف^(٣)، أو منصوبه على المدح^(٤)، أو مجروره على النعت أو البدل أو البيان^(٥) .

قال أكثر المفسرين: معناه: يراك حين تقوم إلى صلاتك^(٦) . وقال مجاهد: يراك أينما كنت^(٧) . وقيل: حين تقوم لدعائهم .

قوله: «وَتَقْلِبُكَ» . عطف على مفعول «يَرَاكَ» أي: ويرى تَقْلِبُكَ، وهذه قراءة^(٨) العامة . وقرأ^(٩) جناح بن حبيش بالباء من تحت مضمومة، وكسر اللام، ورفع الباء^(١٠)، جعله فعلاً، مضارع (قَلَّبَ) بالتشديد، وعطفه على المضارع قبله، وهو «يَرَاكَ» أي: الذي يُقْلِبُكَ .

فصل

معنى^(١١) تقلبه أي: تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك، قال عكرمة وعطية عن ابن عباس: «فِي السَّاجِدِينَ» أي: في المصلين^(١٢) .

وقال مقاتل والكلبي: أي: مع المصلين في الجماعة، أي: يراك حين تقوم وحدك للصلاة، ويراك إذا صليت مع المصلين جماعة^(١٣) .

وقال مجاهد: يرى تقلب بصرك في المصلين، فإنه كان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه^(١٤) . قال عليه السلام^(١٥): «وَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ وَلَا رُكُوعُكُمْ»^(١٦)، وَإِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي»^(١٧) . وقال الحسن: «تَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ» أي: تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين^(١٨) . وقال سعيد بن جبير: يعني: وتصرفك في

(١) انظر الكشاف ١٢٩/٣، الفخر الرازي ١٧٣/٢٤ .

(٢) في ب: ليد . وهو تحريف .

(٣) أي: هو الذي .

(٤) فيكون مقطوعاً عما قبله .

(٥) من قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ .

(٦) انظر القرطبي ١٣/١٤٤ .

(٧) انظر البحر المحيط ٧/٤٧ .

(٨) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٧/٤٧ .

(٩) في ب: منى . وهو تحريف .

(١٠) انظر البغوي ٦/٢٤٩ .

(١١) المرجع السابق .

(١٢) في ب: ركوعكم ولا خشوعكم .

(١٣) أخرجه البخاري (صلاة) ٨٤/١، (أذان) ١٣٦/١، مسلم (صلاة) ٣١٩/١، الموطأ (سفر) ١٦٧/١، أحمد ٣٧٥، ٣٦٥، ٣٠٣/٢ .

(١٤) انظر البغوي ٦/٢٥٠ .

أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك. والساجدون: هم الأنبياء^(١).

وقال عطاء عن ابن عباس: أراد: وتقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة^(٢). «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» السميع لما تقوله، العليم بما تنويه.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿٢٢١﴾ ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿٢٢٢﴾ ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ ﴿٢٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ الآية. أعاد الشبهة المتقدمة وأجاب عنها من وجهين:
الأول: قوله: «تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» كما تقدم من أنَّ الكفار يدعون إلى طاعة الشيطان، ومحمد يدعو إلى لعن الشيطان والبراءة منه.

والثاني: قوله: «يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ» ومعناه: أنهم كانوا يقيسون حال النبي - ﷺ - على حال الكهنة (فكانه قيل: إن كان الأمر على ما ذكرتم فكما أن الغالب على سائر الكهنة الكذب، فيجب أن تكون حال الرسول كذلك، فلما لم يظهر في إخبار الرسول عن المغيبات إلا الصدق علمنا أنَّ حاله بخلاف حال الكهنة)^{(٣)(٤)}.

قوله: «عَلَىٰ مَن» متعلق بـ «تَنَزَّلُ» بعده. وإنما قُدِّم، لأنَّ له صدر الكلام، وهو مُعلق لما قبله من فعل التَّنَبُّؤِ، لأنها بمعنى العلم.

ويجوز أن تكون هنا متعدية لاثنتين، فتسد الجملة المشتبهة على الاستفهام مسد الثاني، لأنَّ الأول^(٥) ضمير المخاطبين. وأن تكون متعدية لثلاثة فتسد مسد اثنتين^(٦).

وقرأ البَزْزِيُّ: «عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ» بتشديد التاء من «تنزل» في الموضعين^(٧) والأصل^(٨): «تَنَزَّلُ» بتاءين فأدغم، والإدغام في الثاني سهل، لتحرك ما قبل المدغم، وفي الأول ضُعُوبَةٌ لسكون ما قبله وهو ثَوْنٌ «مَن». وتقدم تحقيق هذا في البقرة عند قوله: «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ».

قوله: «يُلْقُونَ». يجوز أن يعود الضمير على «الشَّيَاطِينِ» فيجوز أن تكون الجملة من «يُلْقُونَ» حالاً، وأن تكون مستأنفة^(٩). ومعنى إلقائهم السمع: إنصاتهم إلى الملائكة الأعلى لِيَسْتَرْقُوا شَيْئاً، أو يلقون الشيء المسموع إلى الكهنة^(١٠).

(٦) انظر البحر المحيط ٤٨/٧.

(٧) انظر الإتحاف (٣٣٤).

(٨) في ب: وإلا. وهو تحريف.

(٩) انظر الكشاف ١٣٠/٣.

(١٠) انظر البحر المحيط ٤٨/٧.

(١) انظر البغوي ٢٥٠/٦ - ٢٥١.

(٢) انظر البغوي ٢٥١/٦.

(٣) انظر الفخر الرازي ١٧٤/٢٤.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) في ب: الأولين. وهو تحريف.

ويجوز أن يعود على «كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٌ» من حيث إنه جمعٌ في المعنى، فتكون الجملة إما مستأنفة، وأما صفة لـ «كُلُّ أَفَّاكٍ»^(١). ومعنى الإلقاء ما تقدم.

وقال أبو حيان: حال عود الضمير على «الشَّيَاطِينِ»، وبعد ما ذكر المعنيين المتقدمين في إلقاء السمع قال: فعلى معنى الإنصات يكون «يُلْقُونَ» استئناف إخبار، وعلى إلقاء المسموع إلى الكهنة يحتمل الاستئناف، واحتمل الحال من «الشَّيَاطِينِ» أي: تَنَزَّلُ على كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ مُلْقِينَ ما سَمِعُوا^(٢). انتهى.

وفي تخصيصه الاستئناف بالمعنى الأول وتجويزه الوجهين في المعنى الثاني نظر، لأن جواز الوجهين جارٍ في المعنيين فيحتاج في ذلك إلى دليل. فإن قيل: كيف قال: «وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ» بعد ما حكم عليهم أن كل واحد منهم أفَّاك؟

فالجواب: أن الأفَّاكين هم الذين يكثرون الكذب، لا أنهم الذين لا ينطقون إلا بالكذب، فأراد أن هؤلاء الأفَّاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني، وأكثرهم يفترى عليه^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ (٢٢٥) ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (٢٢٦) ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٢٢٧)

قوله تعالى: «وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ». قد تقدم أن نافعاً يقرأ بتخفيف التاء ساكنة وفتح الباء في سورة الأعراف عند قوله: «لَا يَتَّبِعُوكُمْ»^(٤) والفرق بين المخفف والمثقل^(٥). وسكن الحسن العين^(٦)، ورويت عن أبي عمرو، وليست ببعيدة عنه كـ «يَنْصُرُكُمْ»^(٧) وبابه^(٨) وروى هارون^(٩) عن بعضهم^(١٠) نصب العين، وهي غلط^(١١).

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق بتصرف يسير.

(٣) انظر الكشف ١٣٠/٣، الفخر الرازي ١٧٥/٢٤.

(٤) من قوله تعالى: «وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ» [الأعراف: ١٩٣].

(٥) وذكر هناك أن نافعاً قرأ بالتخفيف «يَتَّبِعُوكُمْ» وكذا هنا «يَتَّبِعُهُمُ» والباقون بالتشديد «يَتَّبِعُهُمُ» قيل: هما لغتان. وقيل: تبع بمعنى اتقى أثره واتبعه بالتشديد اقتدى به، والأول أظهر. انظر اللباب ١٣٤/٤.

(٦) المختصر (١٠٨)، الكشف ١٣١/٣، البحر المحيط ٤٨/٧.

(٧) من قوله تعالى: «إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ» [آل عمران: ١٦٠].

(٨) أي تخفيف الضم بالإسكان. انظر السبعة (١٥٦)، المختصر (١٠٨) الكشف ٢٤٠/١، البحر المحيط ٤٨/٧.

(٩) في ب: أبو هارون. (١٠) هو يعقوب كما في المختصر (١٠٨).

(١١) قال أبو حيان: (وروى هارون نصبها عن بعضهم، وهو مشكل) البحر المحيط ٤٨/٧ - ٤٩.

والقول بأن الفتحة للإتباع خطأ. والعامية على رفع «الشُعْرَاء» بالابتداء، والجملة بعده الخبر^(١). وقرأ عيسى بالنصب على الاشتغال^(٢).

فصل

لَمَّا قَالَ الْكَفَّارُ: لَمْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَالَ: الشَّيَاطِينُ تَنْزِلُ بِالْقُرْآنِ عَلَى مُحَمَّدٍ، كَمَا أَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ بِالْكَهَانَةِ عَلَى الْكَهَنَةِ، وَعَلَى الشُّعْرَاءِ بِالشُّعْرِ؟ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى فَرَّقَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣) - وَبَيْنَ الْكَهَنَةِ، ذَكَرَ هُنَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشُّعْرَاءِ: أَنَّ الشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، وَهُمْ: الضَّالُّونَ. ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِهِ لِأَمْرَيْنِ:

الأول: «أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ» والمراد منه: الطرق المختلفة، كقولك: أنا في وادٍ وأنت في وادٍ، وذلك بأنهم قد يمدحون الشيء بعد أن ذمّوه، وبالعكس، وقد يعظمونه^(٤) بعدما يستحقرونه^(٥) وبالعكس وذلك يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق، بخلاف أمر محمد - عليه السلام^(٦) - فإنه من أول أمره إلى آخره بقي على طريق واحد، وهو الدعوة إلى الله، والترغيب في الآخرة، والإعراض عن الدنيا.

والثاني: «أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ».

وذلك أيضاً من علامات الغواية، فإنهم يرغبون في الجود، ويرغبون عنه، وينفرون عن البخل ويصيرون إليه، ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم وعن واحد من أسلافهم. ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش، وذلك يدل على الغواية والضلالة. وأما محمد - عليه السلام^(٧) - فإنه بدأ بنفسه «فَلَا تَنَعَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ» [الشعراء: ٢١٣] ثم بالأقرب فالأقرب فقال: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» [الشعراء: ٢١٤]. وكل ذلك خلاف طريقة الشعراء، فظهر بهذا البيان أنَّ حال محمد - عليه السلام^(٨) - لم يشبه حال الشعراء^(٩).

قوله: «يَهِيمُونَ». يجوز أن تكون هذه الجملة خبر «أَنَّ» وهذا هو الظاهر، لأنه محط الفائدة، و«فِي كُلِّ وَادٍ» متعلق به. ويجوز أن يكون «فِي كُلِّ وَادٍ» هو الخبر، و«يَهِيمُونَ» حال من الضمير في الخبر، والعامل ما تعلق به هذا الخبر، أو نفس الجار^(١٠) كما تقدم في نظيره. ويجوز أن تكون الجملة خبراً بعد خبر عند من يَرَى تَعَدُّدَ

(١) انظر الكشف ٣/ ١٣٠، البحر المحيط ٤٨/ ٧.

(٢) المختصر (١٠٨)، الكشف ٣/ ١٣١، البحر المحيط ٤٨/ ٧.

(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٤) في ب: يعظموه.

(٥) في ب: يستحقرونه. (٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٨) في النسختين: ولا.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٧٥ - ١٧٦.

(١١) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٢.

الخبر مطلقاً. وهذا من باب الاستعارة البليغة والتمثيل الرائع، شبه جَوْلَانَهُمْ في أفانين^(١) القول، وطرائق المدح والذم، والتشبيب، وأنواع الشعر بِهَيْمِ الهائم في كل وجه وطريق^(٢). وقيل: أراد بـ «كُلُّ وَادٍ» أي: على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون (القوافي)^{(٣)(٤)}.

والهائم: الذي: يَخِيطُ في سَيْرِهِ ولا يقصد موضعاً معيناً، يقال^(٥) هام على وجهه، أي: ذهب والهائم: العاشق من ذلك، والهَيِّمان: العطشان والهَيَّامُ داء يأخذ الإبل من العطش، وَجَمَلُ أَهْيَمٍ وناقَةٌ هَيَّامٌ والجمع فيهما هَيِّمٌ قال تعالى: «شَرِبَ الْهَيْمُ»^(٦) والهِيَّامُ من الرمل: اليابس، فإنهم يخيلون فيه معنى العطش^(٧).

فصل

قال المفسرون: أراد شعراء الكفار، وكانوا يهجون رسول الله - ﷺ - وذكر مقاتل أسماءهم فقال: منهم عبد الله بن الزُّبَيْرِ السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف^(٨)، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وأمّية بن أبي الصلت الشقي تكلموا بالكذب والباطل، وقالوا: نحن نقول كما قال محمد، وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة من قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون رسول الله - ﷺ - وأصحابه، ويروون عنهم ذلك فذلك قوله: «يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ» وهم الرواة الذين يريدون هجاء المسلمين. وقال قتادة: هم الشياطين^(٩).

ثم إنه تعالى لما وصف شعراء الكفار بهذه الأوصاف استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية، ويهجون الكفار ويكافحون عن النبي - ﷺ - وأصحابه منهم حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، فقال: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»^(١٠).

روي عن كعب بن مالك أنه قال للنبي - ﷺ - إِنَّ اللَّهَ قد أنزل في الشعراء ما أنزل، فقال النبي - ﷺ -: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَجَاهِدُ بَسِيفَهُ وَلِسَانَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكُنَّ مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحَ النَّبْلِ» وفي رواية قال له: «أَهْلُهُمْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ هُوَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبْلِ»^(١١). وكان يقول لحسان: «قُلْ فَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكُمْ»^(١٢).

(١) في ب: أذنين. وهو تحريف. (٢) وطريق: سقط من ب.

(٣) انظر البغوي ٢٥٢/٦. (٤) ما بين القوسين في ب: قافية.

(٥) يقال: سقط من الأصل. (٦) من قوله تعالى: «فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ» [الواقعة: ٥٥].

(٧) انظر اللسان (هيم). (٨) في ب: المناف.

(٩) انظر البغوي ٢٥١/٦ - ٢٥٢. (١٠) انظر البغوي ٢٥٢/٦.

(١١) أخرجه أحمد ٤٥٦/٣، ٤٦، ٣٨٧/٦، (١٢) أخرجه أحمد ٢٩٨/٤، ٣٠١.

واعلم أن الله تعالى وصفهم بأمور:

الأول: الإيمان، وهو قوله: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا».

وثانيها: العمل الصالح، وهو قوله: «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ».

وثالثها: أن يكون شعرهم في التوحيد والنبوة، ودعوة الحق، وهو قوله: «وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا».

ورابعها: أن لا يذكرُوا هجواً إلا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم وهو^(١)

«وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا»^(٢) قال الله تعالى: «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ» [النساء: ١٤٨]. وروي أن النبي - ﷺ - قال: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً»^(٣) وقالت عائشة^(٤): الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح. وقال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، [وكان عمر يقول الشعر]^(٥) وكان عليّ أشعر الثلاثة. وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشد^(٦).

وقوله: «وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» أي^(٧): لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله، «وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا» أي: انتصروا من المشركين، لأنهم بدأوا بالهجاء، ثم أوعد شعراء المشركين فقال: «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَشْرَكُوا وَهَجُوا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - «أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» أي مرجع يرجعون بعد الموت.

قال ابن عباس: إلى جهنم والسعير^(٨).

قوله: «أَيُّ مُنْقَلَبٍ» منصوب على المصدر، والناصب له «يَنْقَلِبُونَ» وقُدِّم، لتضمنه معنى الاستفهام، وهو معلق لـ «سَيَعْلَمُ» ساذاً مسدّ مفعوليه^(٩).

وقال أبو البقاء: «أَيُّ مُنْقَلَبٍ» صفة لمصدر محذوف، أي: ينقلبون انقلاباً أي منقلب، ولا يعمل فيه «سَيَعْلَمُ» لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله^(١٠).

وهذا مردود بأن أيّاً الواقعة صفة لا تكون استفهامية، وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة لشيء بل كل منهما قسم برأسه.

(١) ما بين القوسين سقط من الأصل، والانتصار في ب: الانتصار. وما ذكرته أصوب.

(٢) انظر الفخر الرازي ١٧٦/٢٤.

(٣) أخرجه البخاري (أدب) ٧٣/٤، أبو داود (أدب) ٢٧٧/٥، الترمذي (أدب) ٢١٦/٤، ابن ماجه (أدب) ١٢٣٥/٢، والدارمي (استذنان) ٢٩٧/٢، أحمد ٤٥٦/٣، ١٢٥/٥.

(٤) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٢٥٦/٦ - ٢٥٧.

(٥) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(٦) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٢٥٦/٦ - ٢٥٧.

(٧) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٢٥٧/٦ - ٢٥٨.

(٨) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٢٤٧/٦ - ٢٥٨.

(٩) انظر البيان ٢١٧/٢، البحر المحيط ٤٩/٧ - ٥٠. (١٠) التبيان ١٠٠٢/٢.

و «أي» تنقسم إلى أقسام كثيرة، وهي: الشرطية^(١)، والاستفهامية^(٢).
والموصولة^(٣)، والصفة^(٤)، والموصوفة عند الأخفش خاصة^(٥)، والمناداة نحو: يا
أيها^(٦) والموصلة لنداء ما فيه (أل) نحو: يا أيها الرجل. عند غير الأخفش^(٧)،
والأخفش يجعلها في النداء موصولة^(٨).

وقرأ ابن عباس والحسن «أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» بالفاء والتاء من فوق من
الانفلات^(٩).

روى الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس أن النبي - ﷺ - قال: «أُعْطِيَتِ السُّورَةُ الَّتِي

(١) قال سيويه: (فما يجازى به من الأسماء غير الظروف: من، وما، وأيهم) الكتاب ٥٦/٣. وانظر المغني
٧٧/١.

(٢) قال سيويه: (وسألته - يعني أبا الخطاب الأخفش - عن أيهم، لم لم يقولوا: أيهم مررت به؟ وإنما
ترك الألف استغناء فصارت بمنزلة الابتداء، ألا ترى أن حد الكلام أن تؤخر الفعل فتقول: أيهم
رأيت، كما تفعل ذلك بالألف، فهي نفسها بمنزلة الابتداء) الكتاب ١٢٦/١. وانظر المغني ٧٧/١.

(٣) قال سيويه: (وتقول: أيها تشاء لك، فـ (تشاء) صلة لـ (أيها) حتى كمل اسماً، ثم بنيت (لك) على
(أيها)، كأنك قلت: الذي تشاء لك) الكتاب ٣٩٨/٢.

(٤) قال سيويه: (ومن النعت أيضاً: مررت برجل أيما رجل، فأما نعت للرجل في كماله وبذنه غيره، كأنه
قال: مررت برجل كامل) الكتاب ٤٢٢/١ وقال ابن هشام: (أن تكون دالة على معنى الكمال، فتقع
صفة للنكرة نحو: زيد رجل أي رجل. أي: كامل في صفات الرجال، وحالاً للمعرفة كمررت بعبد
الله أي رجل) المغني ٧٨/١، ولا يوصف بـ (أي) إلا أن تكون مضافة، قال سيويه: (...). وكذلك
أي، لا تقول: هذا رجل أي) الكتاب ٢٥/٣.

(٥) قال أبو حيان: (...). فأي تكون شرطية واستفهامية وموصولة ووصفاً على مذهب الأخفش موصوفة
بنكرة نحو: مررت بأي معجب لك) البحر المحيط ٥٠/٧. وقال ابن هشام بعد أن ذكر أن الأخفش
زعم أن أيًا في (يا أيها الرجل) لا تكون وصلة إلى نداء ما فيه (أل) وإنما هي الموصول: (...). وزاد
قسماً، وهو: أن تكون نكرة موصوفة نحو: مررت بأي معجب لك، كما يقال: بمن معجب لك،
وهذا غير مسموع) المغني ٧٩/١.

(٦) في ب: يا هذا.

(٧) ظاهر عبارة ابن عادل أن (أي) في النداء قسمان: مناداة وتوصف باسم الإشارة، ووصلة لنداء ما فيه
(أل) وهما عند النحاة قسم واحد، قال سيويه: (وأما قولك: يا أيها ذا الرجل، فإن (ذا) وصف لـ
(أي) كما الألف واللام وصف، لأنه مبهم مثله، فصار صفة له كما صار الألف واللام وما أضيف إليها
صفة للألف واللام) الكتاب ١٩٣/٢.

(٨) وعبرة الأخفش صريحة في أن (أي) في النداء موصوفة لا موصولة، قال في معرض حديثه عن قوله
تعالى: «إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا بِعِظْمَائِكُمْ بِهِ» [النساء: ٥٨]: (فإن قيل: كيف تكون (ما) اسماً وحدها وهي لا
يتكلم بها وحدها؟ قلت: هي بمنزلة (يا أيها الرجل)، لأن (أيًا) ههنا اسم ولا يتكلم به وحده حتى
يوصف فصار (ما) مثل الموصوف ههنا، لأنك إذا قلت: غَسَلْتُه غَسْلًا نَعْمًا. فإنك تريد المبالغة
والجودة) معاني القرآن ١٩٢/١.

(٩) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٤٩/٧.

يذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة^(١).

وعن أنس أن رسول الله - ﷺ - قال: «إنَّ الله تعالى أعطاني السبع مكان التوراة، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل، ما قرأهن نبي قبلي».

وعن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به، وهود^(٢)، وشعيب، وصالح، وإبراهيم، وبعدد من كذب بعيسى، وصدق بمحمد - ﷺ -»^(٣).

(١) ذكر البغوي في تفسيره ٤٠٨/٥، الدر المنثور ٥٤٨/٥.

(٢) كذا في الكشف، وفي النسختين: وكذب بهود.

(٣) رواه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب. انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشف (١٣٤). وفي ب: صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم.

سورة النمل

سورة النمل مكية، وهي ثلاث وتسعون آية، وألف ومائة وتسع وأربعون كلمة، وأربعة آلاف وسبع مائة وتسعة وتسعون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿طَسَّ تِلْكَ مَا يَتْلُو الْفَرَّانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿طَسَّ تِلْكَ مَا يَتْلُو الْفَرَّانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾. «تلك» إشارة إلى آيات السورة^(١) أي: هذه آيات القرآن.

قوله: «وَكِتَابٍ» العامة على جره عطفاً على «الْفَرَّانِ»، وهل المراد به نفس القرآن فيكون من عطف بعض الصفات على بعض، والمدلول واحد^(٢)، أو اللوح المحفوظ، أو نفس السورة^(٣)، أقوال^(٤). وقيل: القرآن والكتاب علمان^(٥) للمنزل على نبينا - ﷺ - فهما كالعباس وعباس، يعني فيكون «أل» فيهما للمح الصفة، وهذا خطأ؛ إذ لو كانا علمين لما وصفا بالنكرة^(٦)، وقد وصف «قرآن» بها في قوله: ﴿تِلْكَ مَا يَتْلُو الْفَرَّانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١] - في الحجر - ووصف بها^(٧) «كتاب» كما في هذه الآية الكريمة. والذي يقال إنه نكر^(٨) هنا لإفادة التفخيم، كقوله^(٩): ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥]. وقرأ ابن أبي عبلة: «وَكِتَابٍ مُبِينٍ» برفعها عطفاً على «آيَاتُ» المخبر بها عن «تِلْكَ»^(١٠).

(١) انظر الكشاف ١٣٢/٣. (٢) هو قول الزمخشري. الكشاف ١٣٢/٣.

(٣) هذان القولان لأبي حيان. البحر المحيط ٥٢/٧.

(٤) أقوال: تكملة ليست في المخطوط. (٥) في ب: علماً. وهو تحريف.

(٦) انظر البحر المحيط ٥٢/٧ - ٥٣. (٧) في ب: وصف بهما. وهو تحريف.

(٨) في ب: ذكر. وهو تحريف. (٩) في ب: لقوله. وهو تحريف.

(١٠) قال الزمخشري: (وقرأ ابن أبي عبلة «وَكِتَابٍ مُبِينٍ» بالرفع على تقدير: وآيات كتاب مبين، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه) الكشاف ١٣٢/٣، وانظر تفسير ابن عطية ١١/١٦٦، البحر المحيط ٥٣/٧.

فإن قيل: كيف صحَّ أن يشار لاثنتين أحدهما مؤنث، والآخر مذكر باسم إشارة المؤنث، ولو قلت: تلك هند وزيد لم يجز؟
فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: (أن المراد بالكتاب)^(١) هو الآيات، لأن الكتاب عبارة عن آيات مجموعة، فلما كانا شيئاً واحداً، صحت الإشارة إليهما بإشارة الواحد المؤنث.
الثاني: أنه على حذف مضاف، أي: وآيات كتاب مبین.

الثالث: أنه لما ولي المؤنث ما يصح الإشارة به إليه، اكتفي به وحسن، ولو أولي المذكر لم يحسن، ألا تراك^(٢) تقول: جاءتني هند وزيد، ولو حذف (هند) أو أخرتها لم يجز تأنيث الفعل^(٣).

قوله: «هَذَى وَبُشِّرَى» يجوز فيهما أوجه:

أحدها: أن يكونا منصوبين على المصدر^(٤) بفعل مقدر من لفظهما، أي: يهدي هدى، ويبشر بشرى^(٥).

الثاني: أن يكونا في موضع الحال من «آيات» والعامل^(٦) فيها ما في «تِلْكَ» من معنى الإشارة^(٧).

الثالث: أن يكونا في موضع الحال من «الْقُرْآن» وفيه ضعف، من حيث كونه مضافاً إليه^(٨).

الرابع: أن يكونا^(٩) حالاً من «كِتَاب»، في قراءة من رفعه، ويضعف في قراءة من جره، لما تقدم من كونه^(١٠) في حكم المضاف إليه، لعطفه عليه^(١١).

الخامس: أنهما حالان من الضمير المستتر في «مبين» سواء رفعته (أم جرته)^(١٢)^(١٣).

السادس: أن يكونا بدلين من «آيات»^(١٤).

السابع: أن يكونا خبراً بعد خبر^(١٥).

(٩) في النسختين: يكون. والصواب ما أثبتته.

(١٠) من كونه: سقط من ب.

(١١) انظر التبيان ٢/١٠٠٣.

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) ما بين القوسين في ب: أم جرته. وهو غريب.

(١٤) انظر الكشف ٣/١٣٢.

(١٥) المرجع السابق، البيان ٢/٢١٨، التبيان ٢/١٠٠٣.

(١) ما بين القوسين في ب: المراد به الكتاب.

(٢) في ب: ألا ترى أنك.

(٣) انظر التبيان ٢/١٠٠٣.

(٤) انظر البحر المحيط ٧/٥٣.

(٥) في ب: أي: هدى وبشرى بشرى.

(٦) في ب: فالعامل.

(٧) انظر الكشف ٣/١٣٢، التبيان ٢/١٠٠٣.

(٨) انظر التبيان ٢/١٠٠٣.

الثامن : أن يكونا خبري ابتداء مضمرة ، أي : (هي)^(١) هَذَى وَيُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ^(٢) .

فصل

المراد يهديهم^(٣) إلى الجنة ويشري لهم ، كقوله تعالى : «فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ»^(٤) منه وفضل وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا^(٥) ، ولهذا^(٦) خص به المؤمنين^(٧) ، وقيل : المراد بالهدى : الدلالة ، وإنما خصه بالمؤمنين ، لأنه ذكر مع الهدى البشرى ، والبشرى إنما تكون للمؤمنين ، أو لأنهم تمسكوا به ، كقوله : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَحْشَنَّا﴾ [النازعات : ٤٥] ، أو أنه يزيد^(٨) في هداهم ، كقوله تعالى : ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾^(٩) [مريم : ٧٦] .

قوله : «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» يجوز أن يكون مجرور المحل ، نعتاً للمؤمنين ، أو بدلاً أو بياناً ، أو منصوبة على المدح ، أو مرفوعة على تقدير مبتدأ ، أي : هم الذين ، والمراد بها : الصلوات الخمس ، وكذا القول في الزكاة ، فإنها هي الواجبة ، لأن التعريف بالآلف واللام يقتضيه ذلك . وإقامة الصلاة أن يؤديها بشرائطها ، والزكاة بوضعها في مواضعها^(١٠) .

قوله : «وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» هم^(١١) الثاني تكرير للأول على سبيل التوكيد اللفظي ، وفهم الزمخشري منه الحصر ، أي : لا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء المتصفون بهذه الصفات . ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية ، وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم^(١٢) حتى صار معناها : وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح ، لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق^(١٣) .

و «بِالْآخِرَةِ» متعلق بـ «يوقنون» ، ولا يضر الفصل بينهما بالتوكيد . وهذه الجملة يحتمل أن تكون معطوفة على الصلة ، داخلة في حيز الموصول ، وحينئذ يكون قد غاير بين الصلتين لمعنى ، وهو أنه لما كان إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد أتى بالصلتين جملة فعلية ، فقال : «يُقِيمُونَ» ، وَ «يُؤْتُونَ» . ولما كان الإيقان بالآخرة أمراً ثابتاً مطلوباً دوامه ، أتى بالصلة جملة اسمية ، مكرراً فيها المسند إليه ، مقدماً الموقن به ، الدال على الاختصاص ، ليدل على الثبات

(١) هي : تكملة ليست في المخطوط .

(٢) انظر الكشف ١٣٢/٣ ، البيان ٢١٨/٢ وفيه : هو هدى ، التبيان ١٠٠٣/٢ .

(٣) في ب : يهد لهم . (٤) ما بين القوسين في النسختين : يشهرهم ربهم برحمة .

(٥) [النساء : ١٧٥] . (٦) في ب : وهذا .

(٧) انظر الفخر الرازي ١٧٧/٢٤ . (٨) في ب : مزيد .

(٩) انظر الفخر الرازي ١٧٧/٢٤ - ١٧٨ . (١٠) انظر الفخر الرازي ١٧٨/٢٤ .

(١١) انظر الكشف ١٣٢/٣ .

والاستقرار، وجاء بخبر المبتدأ في هذه الجملة فعلاً مضارعاً، دلالة على أن ذلك متجدد كل وقت، غير منقطع^(١). ويحتمل أن تكون مستأنفة غير داخلية في حيز الموصول^(٢). قال الزمخشري: ويحتمل أن تتم الصلة عنده، أي: عند قوله: «وَهُمْ»، قال: وتكون الجملة اعتراضية^(٣).

يريد أن الصلة تمت عند الزكاة، فيجوز فيه^(٤) ذلك، وإلا فكيف يصح - إذا أخذنا بظاهر كلامه - أن الصلة تمت عند قوله^(٥): «وَهُمْ»^(٦) وتسمية هذا اعتراضاً: يعني من حيث المعنى وسياق الكلام، وإلا فالاعتراض في الاصطلاح: إنما يكون بين متلازمين من مبتدأ أو خبر، وشرط وجزاء، وقسم وجوابه، وتابع ومتبوع، وصلة وموصول، وليس هنا شيء من ذلك.

فإن قيل: إن المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة لا بد وأن يكونوا متيقنين بالآخرة، فما وجه ذكره مرة أخرى؟
فالجواب من وجهين:

الأول^(٧): أن الذي يستفاد منه طرق للنجاة هو معرفة المبدأ، ومعرفة المعاد، والعمل الصالح، وأشرفه الطاعة بالنفس والطاعة بالمال، فقوله: «لِلْمُؤْمِنِينَ»، أي^(٨): الذين يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وهو إشارة إلى معرفة المبدأ، وقوله^(٩): «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ»، إشارة إلى الطاعة بالنفس والمال، وقوله: «وَهُمْ»^(١٠) بالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ إشارة إلى علم المعاد، فكأنه تعالى جعل معرفة المبدأ طرفاً أولاً، ومعرفة المعاد طرفاً أخيراً، وجعل الطاعة بالنفس والمال متوسطاً^(١١) بينهما.

الثاني: أن المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة منهم من هو جازم بالحشر والنشر، ومنهم من يكون شاكاً فيه، إلا أنه يأتي بهذه الطاعات احتياطاً، فيقول: إن كنت مصيباً فيها فقد فزت بالسعادة، وإن كنت مخطئاً فيها^(١٢) لم يفتني إلا خيرات قليلة في هذه المدة اليسيرة، فمن أتى بالصلاة والزكاة على هذا الوجه، لم يكن في الحقيقة مهتدياً بالقرآن، (وأما من كان جازماً بالآخرة كان مهتدياً به)^(١٣). فلهذا ذكر هذا القيد^(١٤).

(١) انظر البحر المحيط ٥٣٢/٧. (٢) المرجع السابق.

(٣) الكشف ١٣٢/٣. (٤) في النسختين: في. والصواب ما أثبت.

(٥) عند قوله: سقط من ب.

(٦) اعترض أبو حيان على الزمخشري تسميته مثل هذا اعتراضاً، ووجه ابن عادل ذلك بأنه إنما يعني الاعتراض من ناحية المعنى. انظر البحر المحيط ٥٣/٧.

(٧) الأول: سقط من ب. (٨) أي: سقط من ب.

(٩) في ب: قوله. (١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) في ب: متوسطة. (١٢) فيها: سقط من ب.

(١٣) ما بين القوسين سقط من الأصل. (١٤) انظر الفخر الرازي ١٧٨/٢٤.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾﴾ قوله (١): ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ الآية.

لما بين^(٢) ما للمؤمنين من البشرى أتبعه بما للكفار من سوء العذاب، فقال: «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ» القبيحة، حتى رأوها حسنة، «فهم يعمَهُون» يترددون فيها متحيرين. فإن قيل: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته مع أنه أسنده إلى الشيطان في قوله ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]؟

فالجواب: أما أهل السنة فأجروا الآية على ظاهرها، لأن الإنسان لا يفعل شيئاً ألبتة إلا إذا دعاه الداعي إلى الفعل والمعقول من الداعي هو العلم و^(٣) الاعتقاد، أو الظن بكون الفعل مشتملاً على منفعة، وهذا الداعي لا بد وأن يكون من فعل الله تعالى لوجهين:

الأول: أنه لو كان لافتقر فيه إلى داع آخر، ولزم^(٤) التسلسل، وهو محال.

الثاني: أن العلم^(٥) إما أن يكون ضرورياً، أو كسبياً، فإن كان ضرورياً فلا بد من تصورين والتصور يمتنع أن يكون مكتسباً، لأن المكتسب إن كان شاعراً به، فهو متصور له، وتحصيل الحاصل محال، وإن لم يكن متصوراً، كان غافلاً عنه، والغافل عن الشيء يمتنع أن يكون طالباً له. فإن قيل: هو مشعور به من وجه^(٦)، قلنا: فالمشعور به غير ما هو^(٧) غير^(٨) مشعور به، فيعود التقسيم^(٩) المتقدم في كل واحد من هذين الوجهين.

وإذا ثبت أن التصور غير مكتسب ألبتة، والعلم الضروري هو الذي يكون مكتسباً، فإن^(١٠) كل واحد من تصوّريه كاف^(١١) في حصول التصديق، فالتصورات^(١٢) غير مكتسبة فهي مستلزمة التصديقات، فإذا متى حصلت التصورات البديهية، كان التصديق بها بديهياً وليس كسبياً. ثم إن التصديقات البديهية إن كانت مستلزمة التصديقات النظرية، كانت كسبية، لأن لازم الضروري ضروري، وإن لم تكن مستلزمة لها لم تكن تلك الأشياء التي فرضناها علوماً نظرية كذلك، بل هي اعتقادات تقليدية، لأنه لا معنى لاعتقاد المقلد إلا

(١) في ب: قوله تعالى.

(٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ١٧٩/٢٥ - ١٨٠.

(٣) في ب: أو. (٤) في ب: لزوم.

(٥) في ب: أن العلم الثاني. وهو تحريف. (٦) في ب: وجهين. وهو تحريف.

(٧) في ب: فالمشعور غيرها وهو. (٨) غير: تكملة من الفخر الرازي.

(٩) كذا في الفخر الرازي، وفي الأصل: التقديم، وفي ب: التقدير.

(١٠) في ب: على. (١١) في ب: كافياً.

(١٢) في ب: والتصورات.

اعتقاد تحسيني بفعله ابتداء من غير أن يكون له موجب، فثبت بهذا أن العلوم بأسرها ضرورية، وثبت أن مبادئ الأفعال هي العلوم، وأفعال العباد بأسرها ضرورية فالإنسان مضطر في صورة مختار، فثبت أن الله تعالى هو الذي (زين لكل عامل عمله، والمراد من التزيين هو الذي)^(١) يخلق في قلبه العلم بما فيه من (المنافع والذات، ولا يخلق في قلبه العلم بما فيه من)^(٢) المضار والآفات، فثبت بهذه الدلائل^(٣) العقلية القاطعة وجوب^(٤) إجراء هذه الآية على ظاهرها. وأما المعتزلة فتأولوها بوجوه:

أحدها: أن المراد بينا لهم أمر الدين، وما يلزمهم أن يتمسكوا به، وزيناه بأن بينا حسنه وما لهم فيه من الثواب، لأن التزيين من الله للعمل^(٥) ليس إلا وصفه بأنه حسن واجب وحميد العاقبة، وهو المراد من قوله^(٦): ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

وقوله: ﴿فَهُمْ يَغْمَهُونَ﴾ يدل على ذلك، إذ المراد: فهم يعدلون ويتخيرون عما زيننا من أعمالهم.

وثانيها: أنه تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق، جعلوا إتمام الله عليهم بذلك ذريعة إلى اتباع شهواتهم، وعدم الانقياد لما يلزمهم من التكليف، فكانه^(٧) تعالى زين بذلك أعمالهم، ولذلك أشارت الملائكة عليهم السلام بقولهم: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ﴾ [الفرقان: ١٨] ﴿وَبَايَعَهُمْ حَتَّىٰ شُوا﴾^(٩) [الفرقان: ١٨] ﴿الَّذِكْرَ﴾ [الفرقان: ١٨].

وثالثها: أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملاسة ظاهرة للتزيين، فأسند إليه.

والجواب عن الأول: أن قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ صيغة عموم، فوجب أن يكون الله تعالى قد زين لهم كل أعمالهم حسناً أو قبيحاً^(١٠).

وعن الثاني: أن الله تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق فهل لهذه الأمور في ترجيح فاعلية المعصية على تركها أثر، وليس لها أثر، وليس لها أثر فيه، فإن كان الأول، فقد دللنا على أن التحصيل متى حصل فلا بد أن ينتهي إلى حد الوجوب والاستلزام، وحينئذ يحصل الغرض - وإن لم يكن له فيه أثر - صارت^(١١) هذه الأشياء بالنسبة إلى أعمالهم كصيرير الباب ونعيق الغراب، بالنسبة إلى أعمالهم، وذلك يمنع من إسناد فعلهم

(١) ما بين القوسين سقط من ب. (٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

(٣) في ب: العلوم.

(٤) وجوب: سقط من ب.

(٥) في ب: الفعل.

(٦) في ب: وجب.

(٧) في ب: فكان الله.

(٨) في ب: نسوا. وهو تحريف.

(٩) في ب: فصارت.

(١٠) في ب: حسناً كان العمل أو قبيحاً.

(١١) في ب: فصارت.

إليها، وهذا بعينه هو الجواب عن التأويل الثالث الذي ذكره^(١).

قوله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ» أي: القتل والأسر يوم بدر، وقيل: المراد مطلق العذاب، سواء كان في الدنيا أو^(٢) في الآخرة، وسوء العذاب: شدته^(٣).

قوله: «الْأَخْسَرُونَ» في (أَفْعَلَ) قولان، أظهرهما: أنها على بابها من^(٤) التفضيل، وذلك بالنسبة إلى الكفار، من حيث اختلاف الزمان والمكان، يعني: أنهم أكثر خسراناً في الآخرة منهم في الدنيا، أي أن خسرانهم في الآخرة أكثر من خسرانهم في الدنيا^(٥).

وقال جماعة - منهم الكرمانى^(٦) - هي هنا للمبالغة لا للشركة، لأن المؤمن لا خسران له في الآخرة البتة^(٧)، وقد تقدم جواب ذلك، وهو أن الخسران راجع إلى شيء واحد، باعتبار اختلاف زمانه ومكانه. وقال ابن عطية: «الْأَخْسَرُونَ» جمع («أَخْسَرَ»، لأن أفعل صفة لا يجمع إلا أن يضاف، فتقوى رتبته في الأسماء، وفي هذا نظر^(٨)). قال أبو حيان: ولا نظر في أنه يجمع جمع سلامة أو جمع تكسير إذا كان بـ (ال)، بل لا يجوز فيه إلا ذلك إذا كان قبله ما يطابقه في الجمعية، فيقول: الزيدون هم الأفضلون والأفاضل، والهندات هن الفضليات والفضل^(٩)، وأما قوله: لا يجمع إلا أن يضاف فلا^(١٠) يتعين إذ ذاك جمعه، بل إذا أضيف إلى نكرة فلا^(١١) يجوز جمعه، وإن أضيف إلى معرفة جاز فيه الجمع والإفراد^(١٢).

قوله تعالى: ﴿وَأِنَّكَ لَلْأَلْفَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَابِئُكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْسٍ لَكُمْ بَشَاهٍ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا يُودِي أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) ﴿

قوله^(١٢): «وَأِنَّكَ لَلْأَلْفَى»^(١٣): (لقي) مخففاً يتعدى لواحد، وبالتضعيف يتعدى لاثنتين، فأقيم أولهما هنا مقام الفاعل، والثاني «القرآن»^(١٤)، وقول من قال: إن أصله (تَلَقَّنَ) بالنون تفسير معنى^(١٥)، فلا يتعلق به متعلق بأن^(١٦) النون أبدلت حرف علّة.

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ١٧٩/٢٤ - ١٨٠.

(٢) في ب: و. (٣) انظر الفخر الرازي ١٨٠/٢٤.

(٤) في الأصل: على. (٥) انظر البحر المحيط ٥٤/٧.

(٦) تقدم. (٧) انظر البحر المحيط ٥٤/٧.

(٨) تفسير ابن عطية ١٦٧/١١. (٩) في ب: والفضلي.

(١٠) في النسختين: لا. والتصويب من البحر المحيط. (١١) البحر المحيط ٥٤/٧.

(١٢) قوله: سقط من الأصل. (١٣) في ب: وإنك لتلقى القرآن.

(١٤) انظر البحر المحيط ٥٤/٧.

(١٥) قال الزمخشري: «لتلقى القرآن» لتوآته وتلقته الكشاف ١٣٣/٣.

(١٦) أن: سقط من الأصل.

فصل

المعنى لتوثاته^(١) وتلقنه من عند أي حكيم وأي عليم، وهذا معنى مجيئهما منكرتين، وهذه الآية تمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من القصص كأنه قال على أثر ذلك: خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى، فإن قيل: الحكمة إما أن تكون نفس العلم، وإما أن يكون العلم داخلاً فيها، فبعد ذكر الحكمة لم ذكر العلم؟

فالجواب: أن الحكمة هي العلم بالأمور العملية^(٢) فقط، والعلم أعم منه؛ لأن^(٣) العلم قد يكون عملياً وقد يكون نظرياً، والعلوم النظرية أشرف من العلوم العملية^(٤)، فذكر الحكمة على العموم ثم ذكر العليم وهو البالغ^(٥) في كمال العلم، وكمال العلم من جهات ثلاثة^(٦): وحدتها، وعموم تعلقها بكل المعلومات، وبقاؤها مصونة عن كل التغيرات وما حصلت هذه الكمالات الثلاثة إلا في علمه (سبحانه)^(٧)،^(٨)

قوله تعالى: «إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ...» الآيات، يجوز أن يكون «إِذْ» منصوباً بإضمار اذكر^(٩)، أو (يعلم) مقدر مدلولاً عليه بـ «عليم»^(١٠)، (أو بـ «عليم»^(١١))^(١٢) وفيه ضعف لتقيد الصفة بهذا الظرف^(١٣).

فصل (١٤)

«إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ» في مسيره من مدين إلى مصر^(١٥)، قيل: إنه لم يكن مع موسى - عليه السلام^(١٦) - غير امرأته ابنة شعيب - عليه السلام^(١٧) -، وقد كنى الله عنها بالأهل، فتبع^(١٨) ذلك ورود الخطاب بلفظ الجمع^(١٩)، وهو قوله: «امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ»^(٢٠): أبصرت ناراً، وذلك أنهما كانا يسيران ليلاً وقد اشتبه الطريق عليهما، والوقت وقت برد، وفي^(٢١) مثل هذا الحال تقوى النفس بمشاهدة نار لما يرجى فيها من

(١) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ١٨٠/٢٤ - ١٨١.

(٢) في ب: العلمية. وهو تحريف. (٣) لأن: مكرر في ب.

(٤) في ب: العلمية. وهو تحريف. (٥) في ب: المبالغ. وهو تحريف.

(٦) في ب: ثلاث. (٧) في ب: ثلاث.

(٨) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ١٨٠/٢٤ - ١٨١.

(٩) ما بين القوسين في ب: تعالى. (١٠) انظر الكشف ١٣٣/٣، التبيان ١٠٠٣/٢.

(١١) بعليم: سقط من ب. (١٢) انظر الكشف ١٣٣/٣.

(١٣) ما بين القوسين سقط من الأصل. (١٤) انظر البحر المحيط ٥٤/٧.

(١٥) في ب: قوله. (١٦) انظر البغوي ٢٥٩/٦ - ٢٦٠.

(١٧) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٨) في النسختين: فيمنع. والتصويب من الكشف والفخر الرازي.

(١٩) في ب: ورود الخطاب بالجمع.

(٢٠) انظر الكشف ١٣٣/٣ - ١٣٤، الفخر الرازي ١٨١/٢٤.

(٢١) في ب: وقت برموني.

زوال الحيرة في أمر الطريق، ومن الانتفاع بالنار للاصطلاء، فلذلك^(١) بشرها فقال: «أَنْتَ^(٢) نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ»^(٣) والخبر: ما يخبر به^(٤) عن حال الطريق؛ لأنه كان قد ضله^(٥). ثم^(٦) في الكلام حذف، وهو أنه لما أبصر النار توجه إليها، وقال: سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ يعرف به الطريق^(٧).

قوله: «أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ» قرأ الكوفيون^(٨) بثنوين «شِهَابٍ»^(٩)، على أن «قَبَسٍ» بدل من «شِهَابٍ»^(١٠) أو صفة له^(١١)، لأنه^(١٢) بمعنى مقبوس، كالبض^(١٣) والنفض^(١٤)، والباقون بالإضافة^(١٥) على البيان^(١٦)، لأنَّ الشَّهاب يكون قبساً وغيره.

والشَّهَابُ: الشعلة، والقَبَسُ: القطعة منها يكون في عود وغير عود^(١٧). و «أو»: على بابها من التنويع، والطاء في «تَصْطَلُونَ»: يدل من تاء الافتعال، لأنه من صَلَّى بالنار^(١٨).

فإن قيل: قال هاهنا: «سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ»^(١٩)، وفي موضع آخر: «لَعَلَّيْ مَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ»^(٢٠) [القصص: ٢٩] وهما كالمتدافعين، لأن أحدهما تَرْجُ والآخر تيقن^(٢١). فالجواب^(٢٢): قد يقول الراجي إذا قوي رجأؤه: سأفعل كذا، و^(٢٣) سيكون كذا،

(١) في ب: فذلك. (٢) في ب: إني أنت.

(٣) انظر الفخر الرازي ١٨١/٢٥. (٤) به: سقط من ب.

(٥) انظر الكشف ١٣٤/٣، الفخر الرازي ١٨١/٢٤.

(٦) في ب: و. (٧) انظر الفخر الرازي ١٨١/٢٤.

(٨) هو عاصم وحزمة والكسائي.

(٩) السبعة (٤٧٨)، الكشف ١٥٤/٢، النشر ٣٣٧/٢، الإتحاف (٣٣٥).

(١٠) انظر معاني القرآن للأخفش ٦٤٧/٢، الكشف ١٣٤/٣، البيان ٢١٨/٢.

(١١) انظر الكشف ١٣٤/٣، التبيان ١٠٠٤/٢.

(١٢) في ب: ولأنه.

(١٣) القبض - بالتحريك - بمعنى المقبوض، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم. اللسان (قبض).

(١٤) النفض - بالتحريك - ما تساقط من الورق والتمر، وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض.

اللسان (نفض).

(١٥) السبعة (٤٧٨)، الكشف ١٥٤٥/٢، النشر ٣٣٧/٢، الإتحاف (٣٣٥).

(١٦) أي: من إضافة النوع إلى جنسه، بمنزلة قولك: ثوب خز. مشكل إعراب القرآن ١٤٤/٢، البيان ٢٨٠/٢.

(١٧) انظر مجاز القرآن ٩٢/٢، اللسان (قبس).

(١٨) وهو إبدال مطرد، لأن تاء (افتعل) تبدل طاء إذا كانت الفاء صاداً، أو ضاداً، أو طاء، أو ظاء، فأصل

«تصطلون» «تصتليون» أبدل من التاء طاء لتوافق الطاء في الإطباق، ونقلت الضمة من الياء إلى اللام فبقيت

الياء ساكنة وواو الجمع ساكنة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. البيان ٢١٨/٢، المتع ٣٦٠/١. وفي اللسان

(صلا): وصلى بالنار وصليلها صلياً وصليلاً وصلّى وصلأ، واصطلى بها وتصلها قاسى حرها.

(١٩) في ب: بقبس. وهو تحريف. (٢٠) في ب: متيقن.

(٢١) في ب: والجواب. (٢٢) و: سقط من ب.

مع تجويزه الخيبة^(١). فإن قيل : كيف جاء بسين التسويف؟

فالجواب : عدة لأهله أنه^(٢) يأتيهم به، وإن أبطأ، أو كانت المسافة بعيدة^(٣)، وأدخل «أو» بين الأمرين المقصودين، يعني الرجاء على أنه إن لم يظفر بهذين المقصودين، ظفر بأحدهما، إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار، ثقة منه بعادة الله تعالى لأنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده^(٤). «لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» تستدفنون من البرد.

قوله : «نودي» في القائم مقام الفاعل ثلاثة أوجه :

أحدها^(٥) : أنه ضمير موسى، وهو الظاهر، وفي «أن» حيثئذ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها المفسرة، لتقدم ما هو بمعنى القول^(٦).

والثاني : أنها الناصبة للمضارع، ولكن وصلت هنا بالماضي، وتقدم تحقيق ذلك، وذلك على إسقاط الخافض، أي : نودي موسى بأن بورك^(٧).

الثالث : أنها المخففة، واسمها ضمير الشأن، و «بورك» خبرها، ولم يحتاج هنا إلى فاصل، لأنه دعاء^(٨)، وقد تقدم نحوه في النور، في قوله : «أَنْ غَضِبَ» [النور : ٩] - في قراءته فعلاً ماضياً^(٩) - قال الزمخشري : فإن قلت : هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، والتقدير^(١٠) : بأنه بورك، والضمير ضمير الشأن والقصة^(١١)؟

قلت : لا ؛ لأنه لا بد من (قَدْ)، فإن قلت : فعلى إضمارها؟

قلت : لا يصح، لأنها علامة، والعلامة لا تحذف^(١٢) انتهى.

فمنع أن تكون مخففة لما ذكر، وهذا بناء منه على أن «بُورِكَ» خبر لا دعاء، أما إذا قلنا إنه دعاء كما تقدم في النور فلا حاجة إلى (الفاصل كما تقدم)، وقد تقدم فيه استشكال، وهو أن الطلب لا يقع خبراً في هذا الباب، فكيف وقع هذا خبراً لـ (أن) المخففة، وهو دعاء.

الثاني من الأوجه الأول : أن القائم مقام^(١٣) الفاعل نفس «أَنْ بُورِكَ» على حذف حرف الجر، أي : بأن بورك، ف (أَنْ) حيثئذ إما ناصبة في الأصل، وإما مخففة^(١٤).

(١) انظر الكشف ١٣٤/٣، الفخر الرازي ١٨١/٢٤.

(٢) في ب : أنهم. وهو تحريف.

(٣) انظر الكشف ١٣٤/٣، الفخر الرازي ١٨١/٢٤.

(٤) المرجعان السابقان. (٥) في ب : أحدهما. وهو تحريف.

(٦) انظر الكشف ١٣٤/٣، التبيان ١٠٠٤/٢، البحر المحيط ٥٥/٧.

(٧) انظر التبيان ١٠٠٤/٢، البحر المحيط ٥٥/٧.

(٨) المرجعان السابقان. (٩) وهي قراءة نافع. انظر السبعة (٤٥٤).

(١٠) في الكشف : وتقديره نودي. (١١) والقصة : ليس في عبارة الزمخشري.

(١٢) في الكشف : لأنها علامة لا تحذف. الكشف ١٣٤/٣.

(١٣) ما بين القوسين سقط من ب. (١٤) انظر البيان ٢١٩/٢، التبيان ١٠٠٤/٢.

الثالث: أنه ضمير المصدر^(١) المفهوم من الفعل، أي: نودي النداء، ثم فسر بما بعده^(٢) ومثله ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَآئِكَ لِيَسْجُتُوا﴾ [يوسف: ٣٥].

قوله: «مَنْ فِي النَّارِ» مَنْ قَائِمٌ مقام الفاعل لـ «بُورِكَ»^(٣)، وَبَارَكَ يتعدى بنفسه، ولذلك^(٤) بُنِيَ للمفعول، يقال: بَارَكَكَ اللَّهُ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَبَارَكَ فِيكَ، وَبَارَكَ لَكَ^(٥)، وقال الشاعر:

٣٩٣٠ - فَبُورِكَتْ مَوْلُوداً وَبُورِكَتْ نَاشِئاً وَبُورِكَتْ عِنْدَ الشَّيْبِ إِذْ أَنْتَ أَشْيَبُ^(٦)

وقال عبد الله بن الزبير:

٣٩٣١ - فَبُورِكَ فِي بَنِيكَ وَفِي بَنِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَتَخُنْ لَكَ الْفِدَاءُ^(٧)

وقال آخر:

٣٩٣٢ - فَبُورِكَ فِي الْمَيِّتِ الْغَرِيبِ كَمَا بُورِكَ^(٨) نَبْعَ الرُّمَانِ وَالزُّيْنُونِ^(٩)

فصل (١٠)

والمراد بـ «مَنْ» إما الباري تعالى، وهو على حذف مضاف، أي من قدرته وسلطانه في النار^(١١)، وقيل المراد به موسى والملائكة، وكذلك بـ «مَنْ حَوْلَهَا»، وقيل المراد بـ «مَنْ» غير العقلاء وهو النور والامكنة التي حولها^(١٢)، فالأول مروى عن ابن عباس، وروى مجاهد عنه أنه قال: معناه بوركت النار^(١٣). وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أيضاً، قال: سمعت أباي يقرأ: «أَنَّ بُورِكَتِ النَّارُ وَمَنْ حَوْلَهَا»^(١٤) و «مَنْ»: قد تأتي بمعنى

(١) في ب: المضمهر. (٢) انظر التبيان ١٠٠٤/٢، البحر المحيط ٥٥/٧.

(٣) انظر التبيان ١٠٠٤/٢. (٤) في ب: وكذلك.

(٥) انظر اللسان (برك).

(٦) البيت من بحر الطويل، لم أهتم إلى قائله، وهو في القرطبي ١٥٨/١٣، البحر المحيط ٥٥/٧. والشاهد فيه بناء الفعل (بارك) للمفعول، لأنه فعل متعد.

(٧) البيت من بحر الوافر، قاله عبد الله بن الزبير، وهو في الحماسة البصرية ٤٣٩/١، البحر المحيط ٧/٥٥، والشاهد فيه كالشاهد في البيت السابق.

(٨) في ب: بورك في.

(٩) البيت من بحر الخفيف، قاله أبو طالب بن عبد المطلب في رثاء مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وهو في ديوانه (٢١) برواية:

بـورِكَ البيت... كما بـورِكَ نـبـع... والـتـين

وتفسير ابن عطية ١٧١/١١، المفضليات (١٩٣)، اللسان (برك)، وفيه (نضح) مكان (نبح) البحر المحيط ٥٥/٧، والشاهد فيه كالشاهد في البيت السابق.

(١٠) فصل: سقط من ب. (١١) انظر البحر المحيط ٥٥/٧ - ٥٦.

(١٢) المرجع السابق. (١٣) انظر البغوي ٢٦٠/٦.

(١٤) المرجع السابق ٢٦١/٦.

(ما)، كقوله: ﴿فِيَنَّهُمْ مَّنْ يَمُوتُ عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ [النور: ٤٥]، و (مَا) قد تكون صلة في الكلام، كقوله^(١): «جُنْدًا مَا هُنَالِكَ»^(٢)، ومعناه: بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَفِيَمَنْ حَوْلَهَا وهم الملائكة وموسى عليهم السلام^(٣). وقال الزمخشري: «بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ»: بورك من في مكان النار ومن حولها: مكانها، ومكانها: هي البقعة التي حصلت فيها، وهي البقعة المذكورة في قوله تعالى^(٤): ﴿مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾ [القصص: ٣٠]، وتدل عليه قراءة أبي^(٥).

قوله: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ» فيه أوجه:

أحدها: أنه من تَمَّة النداء: أي: نودي بالبركة وتنزيه رب العزة، أي: نودي بمجموع الأمرين^(٦).

الثاني: أنه من كلام الله تعالى مخاطباً لنبيينا محمد - عليه الصلاة والسلام^(٧) -، وهو على هذا اعتراض بين أثناء القصة^(٨).

الثالث: أن معناه وَبُورِكَ مَنْ^(٩) سَبَّحَ اللَّهُ، يعني أنه حذف (مَنْ) وصلتها، وأبقى معمول الصلاة، إذ التقدير: بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا، ومن قال: سُبْحَانَ اللَّهِ^(١٠) و «سُبْحَانَ» في الحقيقة ليس معمولاً لقال، بل لفعل من لفظه، وذلك الفعل هو المنصوب بالقول.

فصل

روي^(١١) عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله: «بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ» يعني: قُدِّسَ مَنْ فِي النَّارِ، وهو الله، عني به نفسه على معنى: أنه نادى موسى منها، وأسمعه كلامه من جهتها، كما روي أنه مكتوب في التوراة: «جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران»، فمجيئه من سيناء بعثته موسى منها، وأمن ساعير

(١) في ب: لقوله.

(٢) من قوله تعالى: «جُنْدًا مَا هُنَالِكَ مهزوم من الأحزاب» [ص: ١١]. والاستدلال بها على أن (ما) زائدة. البيان ٣١٣/٢، التبيان ١٠٩٨/٢.

(٣) انظر البغوي ٢٦١/٦. (٤) تعالى: سقط من ب.

(٥) انظر المحتسب ١٣٤/٢.

(٦) قال أبو حيان: (والظاهر أن قوله: «وسبحان الله رب العالمين» داخل تحت قوله «نودي»). البحر المحيط ٥٦/٧.

(٧) في ب: ﷺ وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم.

(٨) انظر البحر المحيط ٥٦/٧. (٩) من: سقط من ب.

(١٠) وعليه فهو من كلام الله تعالى. حكاه القرطبي وأبو حيان عن ابن شجرة. انظر القرطبي ١٦٠/١٣، البحر المحيط ٥٦/٧.

(١١) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٢٦١/٦.

بعثته المسيح، ومن جبال فاران بعثته المصطفى منها، وفاران: مكة. وهل كان ذلك نوره عز وجل؟

قال سعيد بن جبیر: كانت النار بعينها، والنار إحدى حجب الله تعالى، كما جاء في الحديث: «حجابه النار لو كشفها لأخرقت سُبُحَاتِ وَجْهِهِ»^(١) ما انتهى إليه بصره من خلقه^(٢) والسبب الذي لأجله بوركت البقعة، وبورك من فيها وحواليها: حدوث هذا الأمر العظيم فيها، وهو تكليم موسى وجعله رسولا، وإظهار المعجزات عليه، ولهذا جعل الله أرض الشام موسومة بالبركات في قوله: ﴿وَبَيَّنَّاهُ لَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٧] وحققت أن تكون كذلك، فهي مبعث الأنبياء عليهم السلام^(٣) ومهبط الوحي، وكفاتهم أحياء وأمواتا^(٤).

ولما نزه نفسه، - وهو المنزه من كل سوء وعيب - تعرف إلى موسى بصفاته في^(٥) قوله: «يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ». في اسم «إِنَّ» وجهان: أظهرهما أنه ضمير الشأن («وَأَنَا اللَّهُ» مبتدأ)^(٦) وخبره، و^(٧) «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» صفتان لله.

والثاني: أنه ضمير راجع إلى ما دلَّ عليه ما قبله، يعني: إن مكلّمك أنا، و«الله» بيان لـ «أَنَا»، و«الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»: صفتان للبيان قاله الزمخشري^(٨). قال أبو حيان: وإذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز أن يعود الضمير على ذلك المحذوف: إذ^(٩) قد غيّر الفعل عن بنائه له^(١٠) وعزم على أن لا يكون محدثاً عنه، فعود الضمير إليه ممّا ينافي ذلك؛ إذ يصير^(١١) معتنى به^(١٢). قال شهاب الدين: وفيه نظر، لأنه قد يلتفت إليه، وقد تقدم ذلك في البقرة عند قوله: «فَمَنْ عَفِيَ لَهُ»، ثم قال: «وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ»^(١٣)، قيل: إلى الذي عفي له^(١٤) وهو وليّ الدم على ما تقدم تحريره^(١٥) ولئن سلّم ذلك، فالزمخشري^(١٦) لم يقل إنه عائد على ذلك الفاعل، إنما قال: راجع إلى ما دلَّ عليه ما قبله يعني من (السياق)^(١٧)^(١٨).

(١) وجهه: سقط من ب. (٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٥٧.

(٣) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٦/٢٦١. (٤) في ب: عليهم الصلاة والسلام.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٨٢. (٦) في: سقط من ب.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب. (٨) و: سقط من ب.

(٩) انظر الكشف ٣/١٣٤. (١٠) في ب: و.

(١١) له: تكملة من البحر المحيط. (١٢) في البحر المحيط: مقصوداً.

(١٣) البحر المحيط ٧/٥٦.

(١٤) من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٍ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

(١٥) له: تكملة ليست في المخطوط. (١٦) انظر الباب ١/٣٥٢. ووجه التنظير بالآية ظاهر.

(١٧) في ب: قال الزمخشري. وهو تحريف.

(١٨) الدر المصون ٥/١٧٨. (١٩) ما بين القوسين في ب: السياق وذلك.

وقال أبو البقاء: يجوز أن يكون ضمير ربّ: أي: إن الرب أنا الله، فيكون «أنا» فصلاً أو توكيداً أو خبر إن، والله بدل منه^(١). وقيل: الهاء في قوله «إنه» عماد^(٢)، وليست كناية، فإن قيل: هذا النداء قد يجوز أن يكون من عند غير الله، فكيف علم موسى أنه من الله؟

فالجواب: لأهل السنة فيه طريقان: الأول: أنه سمع الكلام المنزه عن مشابهة كلام المخلوقين، فعلم بالضرورة أنه صفة الله.

الثاني: قول أئمة ما وراء النهر^(٣)، وهو أنه - عليه السلام^(٤) - سمع الصوت من الشجرة، فنقول: إنما عرف أن ذلك من الله تعالى لأمر:

أحدها: أن النداء إذا حصل في النار أو الشجرة، علم أنه من قبل الله تعالى: لأن أحداً منا لا يقدر عليه، وهذا ضعيف، لاحتمال أن الشيطان دخل في النار والشجرة، ثم نادى.

والثاني: يجوز في نفس النداء أن يكون قد بلغ في العظم مبلغاً لا يكون إلا معجزاً، وهو أيضاً ضعيف، لأننا لا نعرف مقادير قوى الملائكة والشياطين، فلا قدر إلا ويجوز صدوره منهم.

وثالثها: أنه قد يقترن به معجز دل على ذلك، وقيل: إن النار كانت مشتعلة في شجرة خضراء لم تحترق، فصار ذلك كالمعجزة^(٥) وهذا أيضاً في غاية الضعف والبعد، لأنه كيف تنادي النار أو^(٦) الشجرة، وتقول: يا موسى إني أنا ربك، أو^(٦) إني أنا الله رب العالمين!!

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَآئِلًا كَانَتْ سَوَآءَ دُخَانٍ مُّبِينٍ ۚ وَفُتِحَتْ يَأْمُوسَ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلِينَ ۚ﴾ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ (١١) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ يَدٌ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سِتْرِ آيَاتِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِيقْنَهَا أَنْفُسَهُمْ ۚ فَلَمَّا وَعُلُوهُ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)﴾

قوله: ﴿وَأَلْقِ﴾ عطف على ما قبله من الجملة الاسمية الخبرية، وقد تقدم أن سبويه لا يشترط تناسب الجمل، وأنه يجيز: جاء زيدٌ ومن أبوك، وتقدمت أدلته أول البقرة.

وقال الزمخشري: فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ؟﴾ قلت: على قوله:

(١) التبيان: ١٠٠٥/٢.

(٢) قال الفراء: (وقوله: «إنه أنا الله» هذه الهاء هاء عماد، وهو اسم لا يظهر) المعاني ٢٨٧/٢.

(٣) في ب: ما ورد النهي. وهو تحريف.

(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٥) انظر الفخر الرازي ١٨٢/٢٤ - ١٨٣. وفيه: وهذا هو الأصح والله أعلم.

(٦) في ب: و.

«بُورِكَ»؛ لأن معنى: نودي أن بورك^(١)، وقيل له: ألق عصاك، والدليل على ذلك قوله: «وأن ألق عصاك»، بعد قوله: أن يا موسى إني أنا الله على تكرير حرف التفسير، كما يقول: كتبت إليه أن حجّ واعتمر، وإن شئت: أن حجّ وأن اعتمر^(٢). قال أبو حيان: وقوله إنه معطوف على «بُورِكَ» مُتَّابٌ لتقديره، وقيل له: ألق عصاك، لأن هذه جملة معطوفة على «بُورِكَ» وليس جزؤها الذي هو معمول، وقيل: معطوفاً على «بُورِكَ»، وإنما احتاج إلى تقدير: وقيل له: ألق، ليكون جملة خبرية مناسبة للجملة الخبرية التي عطف عليها، كأنه يرى في العطف تناسب الجمل المتعاطفة. والصحيح أنه لا يشترط ذلك^(٣)، ثم ذكر مذهب سيبويه^(٤).

«فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ»، وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها^(٥)، سميت جاناً، لأنها تستر عن الناس^(٦). وقرأ الحسن، والزهري، وعمر بن عبد الله بن عبيد «جَانٌّ» بهمزة مكان الألف^(٨)، وقد^(٩) تقدم تقرير هذا عند «وَلَا الضَّالِّينَ» [الفاتحة: ٧] على لغة من يهرب من التقاء الساكنين، فيقول شأبه ودأبه. «وَلَّى مُدْبِرًا» هرب^(١٠) من الخوف، و«وَلَمْ يَعْصِبْ»: لم يرجع، يقال: عقب فلان: إذا رجع، وكل راجع معقب. وقال قتادة: ولم يلتفت، فقال الله^(١١): «يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ»^(١٢)، يريد: إذا أمّنتهم لا يخافون^(١٣)، وقيل: المراد إذا أمرتهم بإظهار معجز أن لا يخافوا فيما يتعلق بإظهار ذلك، وإلا فالمرسل قد يخاف لا محالة^(١٤)، لأن الخوف الذي هو شرط الإيمان لا يفارقهم، قال النبي - ﷺ -: «أنا أخشاكم لله»^(١٥). قوله: «تَهْتَزُّ» جملة حالية من (هاء) «رَأَاهَا»^(١٦)، لأن^(١٧) الرؤية بصرية، وقوله:

(١) في الكشف: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودي، والمعنى: قيل له: بورك من في النار.

(٢) البحر المحيط ٥٦/٧.

(٣) الكشف ١٣٤/٣.

(٤) قال أبو حيان: (بل قوله: «وَأَلْقَ عَصَاكَ» معطوف على قوله «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» عطف جملة الأمر على جملة الخبر، وقد أجاز سيبويه جاء زيد ومن عمرو البحر المحيط ٥٦/٧.

(٥) في ب: اضطراب، انظر البغوي ٢٦٢/٦.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٨٤/٢٤. (٧) في ب: وعمر.

(٨) المحتسب ١٣٥/٢، الخصائص ١٢٦/٣، سر صناعة الإعراب ٧٢/١ - ٧٣، المنصف ١٤٩/١، الكشف ١٣٤/٣، ابن يعيش ١٢٩/٩ - ١٣٠، البحر المحيط ٥٦/٧ - ٥٧.

(٩) قد: سقط من ب. (١٠) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٢٦٢/٦.

(١١) لفظ الجلالة: سقط من ب. (١٢) في الأصل: المرسلين. وهو تحريف.

(١٣) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٢٦٢/٦. (١٤) انظر الفخر الرازي ١٨٤/٢٤.

(١٥) أخرجه البخاري (نكاح) ٢٣٧/٣، أحمد ٦٧/٦، ١٥٦، ٢٢٦، ٢٤٥.

(١٦) انظر مشكل إعراب القرآن ١٤٥/٢، البيان ٢١٩/٢، التبيان ١٠٠٥/٢.

(١٧) في ب: لأنه. وهو تحريف.

«كَأَنَّهُمَا جَانٌّ»: يجوز أن تكون حالاً^(١) ثانية^(٢)، وأن تكون حالاً من ضمير «تَهْتَرُ»^(٣)، فيكون حالاً متداخلة، وقوله: «وَلَمْ يُعَقَّبْ» يجوز أن يكون عطفاً على «وَلَّى»، وأن يكون حالاً أخرى، والمعنى: ولم يرجع على عقبه، كقوله:

٣٩٣٣ - فَمَا عَقَّبُوا إِذْ قِيلَ هَلْ^(٤) مِنْ مُعَقَّبٍ وَلَا تَزِلُّوا يَوْمَ الْكُرْبَةِ مَنَزِلًا^(٥)
قوله: «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه استثناء منقطع، لأن المرسلين^(٦) معصومون من المعاصي، وهذا هو الظاهر^(٧) الصحيح، والمعنى: لكن من ظلم من سائر الناس، فإنه يخاف فإن تاب وبذل حسناً بعد سوء فإني غفورٌ رحيمٌ.

والثاني: أنه متصل^(٨)، وللمفسرين فيه عبارات، قال الحسن: إن موسى ظلم يقتل القبطي، ثم تاب فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ٢٢].

وقال ابن جريج: قال الله لموسى^(٩): أخفكتك لقتلك^(١٠) النفس، وقال: معنى الآية: لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يتوب^(١١).

وقيل: محمول على ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل^(١٢). وقال بعض النحويين: «إلا» هاهنا بمعنى ولا، يعني: لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون الثابتون، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠]. يعني ولا الذين ظلموا^(١٣). وعن الفراء أنه متصل، لكن من جملة محذوفة تقديره: وإنما يخاف غيرهم إلا من ظلم^(١٤).

(١) في ب: حال.

(٢) انظر مشكل إعراب القرآن ١٤٥/٢، البيان ٢١٩/٢.

(٣) انظر التبيان ١٠٠٥/٢. (٤) في ب: هم.

(٥) البيت من بحر الطويل، لم أهد إلى قائله، وهو في الكشاف ١٣٤/٣، البحر المحيط ٥٧/٧، شرح شواهد الكشاف (١٠٠).

(٦) في ب: المرسلون.

(٧) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢٠٠/٣، مشكل إعراب القرآن ١٤٦/٢، البيان ٢١٩/٢، التبيان ١٠٠٥/٢.

(٨) انظر تفسير ابن عطية ١٧٥/١، البحر المحيط ٥٧/٧.

(٩) لموسى: سقط من ب. (١٠) في ب: بقتلك.

(١١) انظر البغوي ٢٦٢/٦. (١٢) انظر الفخر الرازي ١٨٤/٢٤.

(١٣) قال ابن الأنباري: (وذهب الكوفيون إلى أن (إلا) بمعنى الواو، وليس بصحيح لاختلاف المعنى، لأن (إلا) تقتضي إخراج الثاني مما دخل فيه الأول، والواو تقتضي مشاركة الثاني للأول، فلا يقام أحدهما مقام الآخر) البيان ٢١٩/٢، وانظر البحر المحيط ٥٧/٧.

(١٤) قال الفراء: «والآخر أن تجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة، لأن المعنى: لا يخاف المرسلون إنما الخوف على غيرهم، ثم استثنى فقال: إلا من ظلم فإن هذا لا يخاف يقول: كان مشركاً فتاب وعمل صالحاً فذلك مغفور له ليس بخائف» المعاني ٢٨٧/٢.

ورده النحاس: بأنه لو جاز هذا لجاز: لا أضربُ القوم إلا زيداً أي: وإنما أضرب غيرهم إلا زيداً، وهذا ضد البيان و^(١) المجيء بما لا يعرف معناه^(٢).

وقدره الزمخشري بـ «لكن»^(٣)، وهي علامة على أنه منقطع - وذكر كلاماً طويلاً - فعلى الانقطاع يكون منصوباً فقط على لغة الحجاز، وعلى لغة تميم يجوز فيه نصب والرفع على البدل من الفاعل قبله، وأما على الاتصال: فيجوز فيه الوجهان على اللغتين، ويكون الاختيار البدل، لأن الكلام غير موجب.

وقرأ أبو جعفر وزيد بن أسلم «ألاً» بفتح الهمزة وتخفيف اللام^(٤) - جعلها حرف تنبيه - و «مَنْ» شرطية، وجوابها: «فَإِنِّي غَفُورٌ»^(٥) والعامة على تنوين «حُسْنًا»، ومحمد بن عيسى الأصبهاني^(٦) غير منون^(٧)، جعله فعلى مصدراً كرجعى، فمنعها الصَّرف لألف التأنيث، وابن مقسم بضم الحاء والسين منوناً^(٨)، ومجاهد وأبو حيوه ورويت عن أبي عمرو بفتحهما^(٩)، وتقدم تحقيق القراءتين في البقرة^(١٠).

قوله: «تَخْرُجُ» الظاهر أنه جواب لقوله «أَدْخُلْ» أي: إن أَدْخَلْتَهَا تَخْرُجْ على هذه الصفة^(١١)، وقيل: في الكلام حذف تقديره: وَأَدْخُلْ يَدُكَ تَدْخُلُ^(١٢)، وأخرجها تخرج، فحذف من الثاني ما أثبت في الأول، ومن الأول ما أثبت في الثاني^(١٣)، وهذا تقدير ما لا حاجة إليه.

قوله: «بَيْضَاء» حال من فاعل «تَخْرُجُ»^(١٤)، و «مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» يجوز أن يكون حالاً أخرى أو من الضمير في «بَيْضَاء»، أو صفة لـ «بَيْضَاء»^(١٥) والمراد بالجيب: جيب القميص، قال المفسرون كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا إزار، فأدخل يده في جيبه وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق^(١٦). قوله: «فِي تَسْعٍ» فيه أوجه: أحدها: أنه حال ثالثة، قاله أبو البقاء يعني من فاعل «تخرج»، أي آية في تسع آيات، كذا قدره^(١٧).

(١) و: سقط من ب. (٢) إعراب القرآن ٢٠٠/٣.

(٣) الكشف ١٣٤/٣.

(٤) المختصر (١٠٨)، المحاسب ١٣٦/٢، تفسير ابن عطية ١٧٧/١١، البحر المحيط ٥٧/٧.

(٥) في ب: «إني غفور رحيم».

(٦) تقدم.

(٧) البحر المحيط ٥٧/٧.

(٨) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٥٧/٧.

(٩) عند قوله تعالى: ﴿... وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

(١٠) انظر البحر المحيط ٥٨/٧.

(١١) انظر البحر المحيط ٥٨/٧. (١٢) تدخل: سقط من ب.

(١٣) حكاه أبو حيان. البحر المحيط ٥٨/٧. (١٤) انظر مشكل إعراب القرآن ١٤٦/٢، البيان ٢٩٩/٢.

(١٥) انظر التبيان ١٠٠٥/٢. (١٦) انظر البغوي ٢٦٢/٦ - ٢٦٣.

(١٧) التبيان ١٠٠٥/٢.

الثاني: أنه متعلق بمحذوف، أي: اذهب^(١) في تسع آيات^(٢)، وقد تقدم اختيار الزمخشري كذلك عند ذكر البسمة، ونظره بقول الآخر:

٣٩٣٤ - فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ^(٣)

وقولهم: بالرفاء والبنين^(٤) وجعل هذا التقدير أقرب^(٥) وأحسن^(٦).

الثالث: أن يتعلق بقوله: «وَأَلْقَى عَصَاكَ وَأَدْخِلْ».

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون المعنى: وَأَلْقَى عَصَاكَ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي تِسْعِ آيَاتٍ، أي: في جملة تسع آيات. ولقائل أن يقول: كانت الآيات إحدى عشرة منها اثنتان اليد والعصا، والتِسْعُ الْقُلُوبُ، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجذب في بواديهم، والنقصان من مزارعهم^(٧) انتهى.

وعلى هذا تكون (في) بمعنى (مع) أي: هذه آية مع تسع آيات^(٨) أنت مرسل بهن إلى فرعون وقومه، لأن اليد والعصا حينئذ خارجتان من التسع، وكذا قال ابن عطية، أعني أنه جعل «في تسع» متصلاً بـ «أَلْقَى» و «أَدْخِلْ»، إلا أنه جعل اليد والعصا من جملة التسع، وقال: تقديره: تُمَهِّدُ لَكَ ذَلِكَ وَتَيْسِّرُ فِي تِسْعٍ^(٩)، وجعل الزجاج (في) بمعنى (من)^(١٠)، قال كما تقول: خذ لي من الإبل عشراً فيها فحلان، أي منها فحلان^(١١).

قوله: «إِلَى فِرْعَوْنَ» هذا يتعلق بما تعلق به «فِي تِسْعٍ» إذا لم نجعله حالاً، فإن جعلناه حالاً علقناه بمحذوف، فقدّره أبو البقاء مرسلأ إلى فرعون^(١٢). وفيه نظر، لأنه كَوْنٌ مَقِيدٌ، وسبقه إلى هذا التقدير الزجاج^(١٣)، وكأنهما أرادا^(١٤) تفسير المعنى دون الإعراب.

(١) قال الزمخشري: (و «في تسع آيات» كلام مستأنف وحرف الجز فيه يتعلق بمحذوف، والمعنى: اذهب في تسع آيات «إلى فرعون») الكشف ١٣٥/٣.

(٢) آيات: سقط من ب.

(٣) صدر بيت من بحر الوافر، قاله سمير بن الحارث الضبي، أو تأبط شراً، وعجزه:

فريق تحسد الأنس الطمما

وهو في الكشف ٥/١، ١٣٥/٣، السبع الطوال ٢٩٦، البحر المحيط ٥٨/٧، شرح شواهد الكشف (١٠٧).

والشاهد فيه قوله: (إلى الطعام) فإنه متعلق بفعل محذوف تقديره: أدعوكم.

(٤) أي: أعروست بالرفاء والبنين. انظر مجمع الأمثال للميداني ١٧٥/١ - ١٧٦.

(٥) في النسختين: أعرب. (٦) انظر الكشف ٤/١ - ٥.

(٧) الكشف ١٣٥/٣. (٨) هذا تعقيب أبي حيان. البحر المحيط ٥٨/٧.

(٩) انظر تفسير ابن عطية ١١/١٧٨. (١٠) في النسختين: مع من. والصواب ما أثبت.

(١١) قال الزجاج: (ومثل قوله: «في تسع آيات» ومعناه من تسع قولهم: خذ لي عشراً من الإبل فيها فحلان، المعنى: منها فحلان) معاني القرآن وإعرابه ٤/١١٠.

(١٢) قال أبو البقاء: (و «إلى» متعلقة بمحذوف، تقديره: مرسلأ إلى فرعون) التبيان ٢/١٠٥٥.

(١٣) لم أجده في معاني القرآن وإعرابه للزجاج، وهو في البحر المحيط ٥٨/٧.

(١٤) في ب: أراد.

وجوّز أبو البقاء أيضاً أن تكون صفة لـ «آيات»، وقدّره: واصلةً إلى فرعون^(١)، وفيه ما تقدم.

قوله: «مُبْصِرَةٌ» حال، ونسب الإبصار إليها مجازاً، لأن بها يبصر^(٢)، وقيل: بل هي من أبصر المنقولة بالهمزة من بصر، أي: أنها^(٣) تبصر غيرها لما فيها من الظهور، ولكنه مجاز آخر غير الأول، وقيل: هو^(٤) بمعنى مفعول، نحو «ماءٌ ذافِقٌ» أي: مدفوق^(٥).

وقرأ عليّ بن الحسين وقتادة بفتح الميم والصاد^(٦)، أي: على وزن أرض مسبعة، ذات سبع^(٧)، ونصبها على الحال^(٨) أيضاً، وجعلها أبو البقاء في هذه القراءة مفعولاً من أجله^(٩)، وقد تقدم ذلك. ومعنى «مُبْصِرَةٌ»: بينة واضحة.

«قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» ظاهر.

قوله^(١٠): «وَجَحَدُوا بِهَا» أي: أنكروا الآيات، ولم يقرؤا أنها من عند الله^(١١).

قوله: «وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ» يجوز أن تكون هذه الجملة معطوفة على الجملة قبلها، ويجوز أن تكون حالاً من فاعل «جَحَدُوا»^(١٢)، وهو أبلغ في الذم، واستفعل هنا بمعنى «تَفَعَّلَ»، نحو: استعظم واستكبر، والمعنى: أنهم علموا أنها من عند الله، وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوا بأنفسهم^(١٣) واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم، والاستيقان أبلغ من الإيقان^(١٤).

قوله: «ظُلُمًا وَعُلُوءًا» يجوز أن يكونا في موضع الحال، أي: ظالمين عالين، وأن يكونا مفعولاً من أجلهما^(١٥)، أي: الحامل على ذلك الظلم والعلو.

وقرأ عبد الله وابن وثاب والأعمش وطلحة: «وَعِلْيَا» بكسر العين واللام وقلب الواو

(١) قال أبو البقاء: (ويجوز أن يكون صفة لـ «تسع» أول «آيات»، أي: واصلة إلى فرعون) التبيان ١٠٠٥/٢.

(٢) وهذا مجاز عقلي لأنه من إسناد الفعل لغير ما هو له.

(٣) في ب: بأنها.

(٤) هو: سقط من ب.

(٥) انظر البحر المحيط ٥٨/٧.

(٦) المحتسب ١٣٦/٢، الكشف ١٣٥/٣، البحر المحيط ٥٨/٧.

(٧) وجعلها الزمخشري مكاناً تكثر فيها التبصرة. الكشف ١٣٥/٣.

(٨) انظر البحر المحيط ٥٨/٧.

(٩) قال أبو البقاء: (ويقرأ بفتح الميم والصاد، وهو مصدر مفعول له، أي: تبصرة) التبيان ١٠٠٦/٢.

(١٠) قوله: سقط من ب.

(١١) انظر البغوي ٢٦٣/٦.

(١٢) قال الزمخشري: (الواو في «واستيقنتها» واو الحال وقد بعدها مضمرة) الكشف ١٣٥/٣.

(١٣) في ب: بأنفسهم.

(١٤) انظر الكشف ١٣٥/٣، الفخر الرازي ١٨٤/٢٤.

(١٥) انظر التبيان ١٠٠٦/٢.

ياء^(١)، وتقدم تحقيقه في «عَيْتًا» في مريم^(٢)، وروي عن الأعمش وابن وثاب ضم العين كما في «عَيْتًا»^(٣).

وقرىء: «وَعَلُّوا» بالغين المعجمة^(٤)، وهو قريب من هذا المعنى، وأي ظلم أفحش من ظلم من استيقن أنها آيات بينة من عند الله ثم كابر بتسميتها سحراً بيناً^(٥)؟ والعلو: الترفع عن^(٦) الإيمان، والشرك وعدم الإيمان بما جاء به موسى^(٧)، كقوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٦].

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنِقَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾. قوله: «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ» «كَيْفَ» خر مقدم، و«عَاقِبَةُ» اسمها^(٨)، والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض لأنها معلقة لـ «انْظُرْ» بمعنى تَفَكَّرْ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَبْتَائِهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتَظِرِ الطَّيْرِ وَأَوْثِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودٌ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَبْتَائِهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَنَبَسَرَهُ مِنْ حِجَابٍ مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ الآية . . والمراد بالعلم أي: علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسيح الجبال، والمعنى: طائفة من العلم، أو علماً سنياً عزيزاً^(٩). قوله: «وَقَالَا»، قال الزمخشري: فإن قلت: أليس هذا موضع الفاء دون الواو، كقولك: أعطيته فشكر، ومنعته فصبر؟ قلت: بلى، ولكن عطفه بالواو إشعار^(١٠) بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه، فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد، كأنه^(١١) قال: ولقد آتيناهما علماً^(١٢) فعملما به وعلماه وعرفاه حتى معرفته، وقالوا الحمد لله^(١٣)، انتهى.

- (١) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٥٨/٧.
 (٢) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٥٨/٧.
 (٣) انظر الكشف ١٣٥/٣، الفخر الرازي ١٨٤/٢٤.
 (٤) انظر الفخر الرازي ١٨٤/٢٤.
 (٥) انظر الكشف ١٣٥/٣، الفخر الرازي ١٨٥/٢٤.
 (٦) في ب: وإشعار. وهو تحريف.
 (٧) في ب: كأنهما.
 (٨) (١٢) في ب: علماً به. وهو تحريف.
 (٩) (١٣) الكشف ١٣٥/٣.

وإنما نكر «عِلْماً» تعظيماً له، أي علماً سنياً، أو دلالة على التبويض^(١)، لأنه قليل جداً بالنسبة إلى علمه تعالى.

فصل

المعنى: «وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا» بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والإنس «عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢)، ولم يفضلوا أنفسهم^(٣) على الكل، وذلك يدل على حسن التواضع. قوله: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ»، قال الحسن: المال لأن النبوة عطية مبتدأة لا تورث^(٤)، وقال غيره: بل النبوة والعلم والملك دون سائر أولاده^(٥)، ولو تأمل الحسن لعلم أن المال لا يورث من الأنبياء، لقوله عليه السلام^(٦): «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةً»^(٧)، وأيضاً فإن المال إذا ورثه الولد فهو أيضاً عطية مبتدأة من الله تعالى، ولذلك يرثه الولد إذا كان مؤمناً، ولا يرث إذا كان كافراً أو قاتلاً، ولا كذلك^(٨) النبوة، لأن الموت^(٩) لا يكون سبباً لنبوة الولد^(١٠)، وكان لداود تسعة عشر ابناً، وأعطى سليمان ما أعطى داود من الملك، وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين، قال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبداً من سليمان، وكان سليمان شاكراً لنعم الله^(١١).

«وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ»، يعني صوته، سمي صوت الطير منطقاً، لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس، روي عن كعب قال: صاح ورشان^(١٢) عند سليمان عليه السلام^(١٣)، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: إنه يقول: لدوا للموت، وابنوا^(١٤) للخراب، وصاحت فاختة^(١٥)، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا لا، قال

(١) في ب: التخصيص. (٢) انظر البغوي ٦/٢٦٤.

(٣) في ب: أنفسهم. (٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٨٦.

(٥) المرجع السابق. (٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٧) أخرجه البخاري (فرض الخمس) ٢/١٨٦، (فضائل أصحاب النبي) ٢/٣٠١، (مغازي) ٣/١٦، (نفقات) ٣/١٨٧، (فرائض) ٤/٢١٤، مسلم (جهاد) ٣/١٣٧٧، ١٣٨٢، ١٣٨٣ أبو داود (إمارة) ٣/٣٦٥ - ٣٧١، الترمذي (سير) ٣/٨٢، ومالك (كلام) ٢/٩٩٣، أحمد ١/٤، ٦، ٩، ١٠، ٢٥، ٤٧، ٤٨، ٢/٤٦٣، ٦/١٤٥، ٧٦٢.

(٨) في ب: وكذلك وهو تحريف. (٩) في النسختين: النبوة. والتصويب من الفخر الرازي.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٨٦. (١١) انظر البغوي ٦/٢٦٤.

(١٢) الورشان: طائر من الفصيلة الحمامية، أكبر قليلاً من الحمامة المعروفة، يستوطن أوربة، ويهاجر في جماعات إلى العراق والشام، ولكنها لا تمر بمصر، والجمع ورشان ووراشين. المعجم الوسيط (ورش).

(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٤) في ب: وانموا.

(١٥) الفاختة: ضرب من الحمام المطوق إذا مشى توسع في مشيه وباعد بين جناحيه وإبطيه وتمايل، والجمع: فواخت. المعجم الوسيط (فخت).

فإنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا، وصاح^(١) الطاووس^(٢) فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: فإنه يقول: كما تدين تدان، قال: وصاح هدهد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: فإنه يقول: استغفروا الله يا مذنبين، وصاحت طيطوى^(٣)، فقال أتدرون ما تقول؟ قالوا لا، قال فإنه يقول: كل حي ميت، وكل جديد بال، وصاح خطاف^(٤)، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: فإنه يقول: قدّموا خيراً تجدوه، وهدرت حمامة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا لا، قال: فإنها تقول: سبحان ربي الأعلى (ملء سمائه وأرضه، وصاح قمري^(٥))، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: فإنه يقول: سبحان ربي الأعلى^(٦)، قال: والغراب يدعو^(٧) على العشار، والحدأة تقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨]، والقطاة^(٨) تقول: من سكت سلم، والبيغاء^(٩): ويل لمن الدنيا همّة، والضفدع يقول: سبحان ربي القدّوس، والبازي^(١٠) يقول: سبحان ربي وبحمده^(١١). وعن مكحول^(١٢) قال: صاح ذُرّاج^(١٣) عند سليمان، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: فإنه يقول: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١٤) [طه: ٥].

قوله: «وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» تؤتى الأنبياء^(١٥) والملوك، قال ابن عباس: من أمر الدنيا والآخرة^(١٦). وقال مقاتل: يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين

(١) في ب: وصاحت.

(٢) الطاووس: طائر حسن الشكل كثير الألوان، يبدو كأنه يعجب بنفسه وبريشه ينشر ذنبه كالطاق، يذكر ويؤنث، والجمع: طاويس وأطواس. المعجم الوسيط (طوس).

(٣) الطيطوى: ضرب من القطا طوال الأرجل. اللسان (طيط).

(٤) الخطاف: هو ضرب من الطيور القواطع، عريض المنقار دقيق الجناح طويله، منتفش الذيل والجمع: خطاطيف. المعجم الوسيط (خطف).

(٥) القمري: ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت، والجمع: قمر. والأنثى: قمرية، والجمع: قماري المعجم الوسيط (قمر).

(٦) ما بين القوسين سقط من ب. (٧) في ب: يدعوا.

(٨) القطاة: واحدة القطا، وهو نوع من الحمام، يؤثر الحياة في الصحراء ويتخذ أفنحوه في الأرض، وبطيخ جماعات، ويقطع مسافات شاسعة، ويبضه مرقط، والجمع: قطا، وقطوات، وقطيات. المعجم الوسيط (قطو).

(٩) البيغاء: طائر من الفصيلة البغاوية يطلق على الذكر والأنثى، يتميز بمنقار معقوف، وأربع أصابع في كل رجل، وله لسان لحمي غليظ، ومن أشهر أوصافه أنه يحاكي كلام الناس. المعجم الوسيط (بغ).

(١٠) البازي: جنس من الضفدع الصغيرة أو المتوسطة الحجم، من فصيلة العقاب النسرية، تميل أجنحتها إلى القصر، وتميل أرجلها وأذناها إلى الطول، ومن أنواعه الباشق والبيدق، والجمع: بواز، وبزاة. المعجم الوسيط (بزا).

(١١) انظر البغوي ٦/ ٢٦٤ - ٢٦٥. (١٢) تقدم.

(١٣) الدراج: نوع من الطيور يدرج في مشيه. المعجم الوسيط (درج).

(١٤) انظر البغوي ٦/ ٢٦٥. (١٥) الأنبياء: سقط من ب.

(١٦) انظر البغوي ٦/ ٢٦٥.

والريح^(١) «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ»، والمراد بقوله «أُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» كثرة ما أوتي، لأن كثرة المشاركة سبب لجواز الاستعارة، فلا جرم يطلق لفظ الكل على الكثرة، كقوله: «وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(٢) [النمل: ٢٣] وقوله: «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ»، أي: الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا، روي أن سليمان أعطي ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمائة (سنة)^(٣) وستة أشهر، ملك جميع أهل^(٤) الدنيا من الجن والإنس والدواب والطيور والسباع، وأعطي على ذلك منطق كل شيء، وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة^(٥).

فقوله: «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ» تقرير لقوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا والمقصود منه: الشكر والمحمدة، كما قال عليه السلام^(٦): أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ^(٧).

فإن قيل: كيف قال^(٨) «عُلِمْنَا» و «أُوتِينَا»، وهو كلام المتكبر؟ فالجواب من وجهين: الأول: أن يريد نفسه وأباه.

والثاني: أن هذه التون يقال لها نون الواحد المطاع، وكان ملكاً مطاعاً^(٩).

قوله: «وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ»: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطيور في مسير له، فقوله: «مِنَ الْجَنِّ» وما بعده بيان لـ «جنوده» فيتعلق بمحذوف، ويجوز أن يكون هذا الجار حالاً^(١٠)، فيتعلق بمحذوف أيضاً.

قوله: «فَهُمْ يُوزَعُونَ» أي: يمنعون ويكفون، والوزع: الكف والحبس، يقال: وزعه يزهه فهو وازع وموزوع^(١١)، وقال عثمان - رضي الله عنه -: «مَا يَزَعُ السُّلْطَانُ»^(١٢) أَكْثَرُ مِمَّا يَزَعُ الْقُرْآنُ»^(١٣)، وعنه: «لَا بُدَّ لِلْقَاضِي مِنْ وَزَعَةٍ»^(١٤) وقال الشاعر:

٣٩٣٥ - وَمَنْ لَمْ يَزَعْهُ لُبُّهُ وَحَيَاؤُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ شَيْبِ قَوْدِيهِ وَازِعٌ^(١٥)

(١) المرجع السابق. (٢) انظر الفخر الرازي ١٨٦/٢٤.

(٣) سنة: تكملة من البغوي. (٤) أهل: سقط من ب.

(٥) انظر البغوي ٦/٢٦٥ - ٢٦٦. (٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٧) أخرجه الترمذي (تفسير) ٤/٣٧٠، أبو داود (سنة) ٥٤/٥، أحمد ١/٢٨١، ١٩٥، ٢٨٣، ١٤٤.

(٨) في ب: قد. وهو تحريف. (٩) انظر الكشاف ٣/١٣٦، الفخر الرازي ١٨٦/٢٤.

(١٠) انظر التبيان ٢/١٠٠٦. (١١) انظر اللسان (وزع).

(١٢) في النسختين: الشيطان. والصواب ما أثبت.

(١٣) انظر القرطبي ١٣/١٦٨، البحر المحيط ٦/٥١، وانظر مجمع الأمثال للميداني ٤/٥٢.

(١٤) أي: أعوان يكفونه عن التمدي والشر والفساد. وهذا القول ليس من كلام أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وإنما هو من كلام الحسن البصري - رضي الله عنه - لما ولي القضاء.

انظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٣/٢٢٨، وتفسير ابن عطية ١١/١٨٣، القرطبي ١٣/

١٦٨، اللسان (وزع) البحر المحيط ٧/٥١.

(١٥) البيت من بحر الطويل، ولم أهد إلى قائله، وهو في البحر المحيط ٧/٥١، والشاهد فيه قوله: (وازع) فإنه بمعنى الحابس والمنع.

وقوله: «أَوْزَغْنِي أَنْ أَشْكُرَ» بمعنى ألهمني^(١) من هذا، لأنَّ تحقيقه: اجعلني من حيث أزع نفسي عن الكفر فقوله: «فَهُمْ يُوزَّغُونَ» معناه: يحبسون، وهذا لا يكون إلا إذا كان في كل قبيل منها وازع متسلط على من يرده ويكفه^(٢). قال قتادة: كان كل صنف من جنوده وزعة ترد أولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير^(٣)، والوازع: الحابس والنقيب^(٤)، وقال مقاتل يوزعون يساهون^(٥)، وقال السدي: يوقفون^(٦)، وقيل يجمعون^(٧).
قوله: «حَتَّى إِذَا» فِي الْمَعْنَى^(٨) بـ «حَتَّى» وجهان:

أحدهما: هو «يُوزَّغُونَ»، لأنه مضمن معنى فهم يسرون ممنوعاً بعضهم من مفارقة بعض حتى إذا.

والثاني: أنه محذوف، أي فساروا حتى^(٩) وتقدم الكلام في حتى الداخلة على إذا، هل هي حرف ابتداء أو حرف جر^(١٠).

قوله: «عَلَى وَادِي» متعلق بـ «أَتَوَّا»، وإنما عدِّي بـ «عَلَى»، لأنَّ الواقع كذا، لأنهم كانوا محمولين على الريح، فهم مستعلون. وقيل: هو من قولهم: أتيت عليه، أي استقصيته إلى آخره، والمعنى أنهم قطعوا الوادي كله وبلغوا آخره^(١١).

ووقف القراء كلهم على «وَادٍ» دون ياء اتباعاً للرسم، ولأنها محذوفة لفظاً لالتقاء الساكنين في الوصل، ولأنها قد حذفت حيث لم تحذف لالتقاء الساكنين (نحو «جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ»^(١٢)) [الفجر: ٩] فحذفها وقفاً، وقد عهد حذفها دون التقاء الساكنين^(١٣)، فحذفها عند التقاء الساكنين أولى، إلا الكسائي، فإنه وقف بالياء، قال: لأن الموجب للحذف إنما هو التقاء الساكنين بالوصل، وقد زال، فعادت اللام، واعتذر عن مخالفة الرسم بقوة الأصل^(١٤).

والتَّمْلُ: اسم جنس معروف واحد نملة، ويقال: تَمْلَةٌ وتُمْلٌ بضم النون وسكون الميم، وتُمْلَةٌ وتُمْلٌ بضمهما^(١٥)، وتَمْلَةٌ بالفتح، والضم بوزن سمرة، وتُمْلٌ بوزن رجل، واشتقاقه من: التَّنْمِلُ، لكثرة حركته، ومنه قيل للواشي: التَّمْلُ، يقال: أتمل بين القوم تَمْلًا، أي: وشى وتَمَّ؛ لكثرة تردده، وحركته في ذلك^(١٦)، قال:

(١) انظر معاني القرآن للقراء ٢/ ٢٨٩. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٨٧.

(٣) انظر البغوي ٦/ ٢٦٦. (٤) انظر اللسان (وزع).

(٥) انظر البغوي ٦/ ٢٦٦. (٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق. (٨) أي: الذي جعل غاية.

(٩) انظر البحر المحيط ٧/ ٦٠. (١٠) عند قوله تعالى: «حَتَّى إِذَا فُشِلْتُمْ» [آل عمران: ١٥٢].

(١١) انظر الكشف ٣/ ١٣٧.

(١٢) من قوله تعالى: «وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ» [الفجر: ٩].

(١٣) ما بين القوسين سقط من ب. (١٤) انظر حجة القراءات لأبي زرعة (٥٢٣)، الإتحاف (٣٣٥).

(١٥) في النسختين: بضمها. (١٦) انظر اللسان (نمل).

٣٩٣٦ - وَلَسْتُ بِذِي تَأْيِيدٍ فِيهِمْ وَلَا مُتَمِشٍ مِنْهُمْ مُنْمِلٌ^(١)
ويقال أيضاً: نَمِلَ يَنْمِلُ، فهو نَمِلٌ وَنَمَالٌ، وَتَنَمَّلَ الْقَوْمُ: تَفَرَّقُوا لِلْجَمْعِ تَفَرَّقَ
النمل، وفي المثل: «أَجْمَعُ مِنْ نَمْلَةٍ»^(٢) وَالنَّمْلَةُ أَيْضاً: قَرْحَةٌ تَخْرُجُ فِي الْجَنْبِ، تَشْبِيهَا
بِهَا فِي الْهَيْئَةِ، وَالنَّمْلَةُ أَيْضاً شَقٌّ فِي الْحَافِرِ، وَمِنْهُ: فَرَسٌ مَنْمُولُ الْقَوَائِمِ، وَالْأَنْمَلَةُ: طَرَفُ
الإصبع من ذلك؛ لِدَقَّتْهَا وَسُرْعَةُ حَرَكَتِهَا، وَالْجَمْعُ: أَنْامِلٌ^(٣).

فصل

قال كعب: كان سليمان إذا سار^(٤) بعسكره حملته الريح تهوي بهم^(٥) فسار من
اصطخر^(٦) إلى اليمن، فمرّ على مدينة الرسول - ﷺ -، فقال سليمان: هذه دار هجرة
نبي الله في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتبعه، ورأى حول البيت
أصناماً تعبد من دون الله، فلما جاوز سليمان البيت بكى^(٧) فأوحى الله إلى البيت: ما
يبكيك؟ قال: يا رب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم
يهبطوا ولم يصلوا عندي والأصنام تعبد حولي من دونك، فأوحى الله إليه: لا تبك،
فلإني سوف أملاك وجوهاً سجداً، وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك في آخر الزمان
أحب أنبيائي إليّ وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني، وأفرض على عبادي فريضة
يزفون^(٨) إليك زفيف النسور إلى أوكارها، ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها
والحمامة إلى بيضها، وأطهرك من الأوثان وعبدَةِ الشيطان، ثم مضى سليمان حتى مرّ
بوادي السدير من الطائف، فأتى على وادي النمل، هكذا قال كعب إنه واد
بالطائف^(٩)، وقال مقاتل: إنه وادٍ بالشام كثير النمل^(١٠)، وقيل وادٍ كان يسكنه الجن،
وأولئك النمل مراكبهم^(١١).

قوله: «قَالَتْ نَمْلَةٌ» هذه النملة هنا مؤنثة حقيقة، بدليل لحاق علامة التأنيث فعلها،
لأن نملة تطلق على الذكر وعلى الأنثى، فإذا أريد تمييز ذلك قيل: نملة ذكر، ونملة
أنثى، نحو: حَمَامَةٌ وَيَمَامَةٌ. وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة - رحمه الله - أنه وقف
على قتادة وهو يقول: سلوني، فأمر من سألته عن نملة سليمان: هل كانت ذكراً أو^(١٢)

(١) البيت من بحر المتقارب، مجهول القائل. وقد تقدم.

(٢) انظر مجمع الأمثال للميداني ١/ ٣٣٥. (٣) انظر اللسان (نمل).

(٤) في ب: سافر. (٥) بهم: سقط من ب.

(٦) اصطخر: أطلال مدينة إيرانية قديمة. المنجد في الأعلام (٥٢).

(٧) في ب: أبكى.

(٨) الزفيف: الإسراع ومقاربة الخطو، وزف يزف زفاً وزفيفاً وزفوفاً، وزفَّ القوم في مشيهم: أسرعوا.
اللسان (زقف).

(٩) انظر البغوي ٦/ ٢٦٦ - ٢٦٧. (١٠) انظر البغوي ٦/ ٢٦٧.

(١١) المرجع السابق. (١٢) في ب: أم.

أنثى، فلم يجب، فقيل لأبي حنيفة في ذلك، فقال: كانت أنثى، واستدل بلحاق العلامة^(١).
قال الزمخشري: وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها^(٢) على المذكر
والمؤنث^(٣)، فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم: حمامة ذكر وحمامة أنثى، وهو وهي^(٤)،
انتهى.

وقد ردّ هذا أبو حيان، فقال: ولحاق التاء في «قالت» لا يدل على أن النملة مؤنثة،
بل يصح أن يقال في المذكر: قالت نملة؛ لأن نملة وإن كانت بالتاء هو مما^(٥) لا يتميز
فيه المذكر من المؤنث، وما كان كذلك كالحمامة والقملة مما بينه في الجمع وبين واحده
تاء التأنيث من الحيوان، فإنه يخبر عنه^(٦) إخبار المؤنث، (ولا يدل كونه يخبر عنه إخبار
المؤنث)^(٧) على أنه ذكر أو أنثى، لأن التاء دخلت فيه للفرق لا للدلالة على التأنيث
الحقيقي، بل دالة على الواحد من هذا الجنس، قال: وكان قتادة بصيراً بالعربية، وكونه
أفحم يدل على معرفته باللسان إذ علم أن النملة يخبر عنها إخبار المؤنث وإن كانت تنطلق
على الأنثى والذكر^(٨) إذ لا^(٩) يتميز فيه أحد هذين، ولحاق العلامة لا يدل، فلا يعلم
التذكير والتأنيث إلا بوحى من الله، قال: وإنما استنباط^(١٠) تأنيثه من كتاب الله^(١١)
بـ «قالت»^(١٢)، ولو كان ذكراً لقيل: «قال» فكلام النحاة على خلافه، وأنه لا يخبر عنه
إلا إخبار المؤنث، سواء كان ذكراً أم أنثى.

قال: وأما تشبيه الزمخشري النملة بالحمامة والشاة، فبينهما قدر مشترك يتميز فيهما
المذكر من المؤنث فيمكن أن تقول^(١٣): حمامة ذكر، وحمامة أنثى فتميزه بالصفة، وأما
تمييزه بـ «هو» و «هي» فإنه لا يجوز، لا تقول هو الحمامة، ولا هو الشاة، وأما
النملة والقملة فلا^(١٤) يتميز فيه^(١٥) المذكر من المؤنث، ولا يجوز فيه^(١٦) في الإخبار إلا
التأنيث وحكمه حكم المؤنث بالتاء من الحيوان نحو: المرأة، أو^(١٧) غير العاقل كالدابة،
إلا إن وقع فصل بين الفعل وبين ما أسند إليه من ذلك، فيجوز أن تلحق العلامة وأن لا
تلحقها، على ما تقرر في علم العربية^(١٨). انتهى.

(١) الكشف ٣/ ١٣٧. بتصرف.

(٢) في ب: وقوعهما.

(٣) في ب: على الذكر والأنثى.

(٤) الكشف ٣/ ١٣٧.

(٥) في ب: ما.

(٦) في ب: غير. وهو تحريف.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) في ب: الذكر والأنثى.

(٩) في ب: ولا.

(١٠) في ب: استنبط.

(١١) في ب: الله تعالى.

(١٢) بقالت: سقط من ب.

(١٣) في ب: أن يقال.

(١٤) ب: سقط من ب.

(١٥) في ب: و.

(١٦) في ب: فيهما.

(١٧) فيه: تكملة من البحر المحيط.

(١٨) في ب: و.

(١٩) البحر المحيط ٧/ ٦١.

قال شهاب الدين: أما ما ذكره ففيه نظر، من حيث^(١) إن التأنيث إما لفظي أو معنوي^(٢)، واللفظي^(٣) لا يعتبر (في لحاق العلامة)^(٤) البتة، بدليل أنه لا يجوز (قامت رُبْعَةٌ وأنت تعني رجلاً، وكذلك)^(٥) لا يجوز: قامت طلحة، ولا حمزة - على مذكر - فتعين أن يكون للحاق إنما هو للتأنيث المعنوي، وإنما يعتبر لفظ التأنيث والتذكير في باب العدد على معنى خاص أيضاً، وهو أنا ننظر^(٥) إلى ما عاملت العرب ذلك اللفظ به من تذكير أو تأنيث من غير نظر إلى مدلوله، فهناك له هذا الاعتبار وتحقيقه هنا يخرجنا عن المقصود وإنما نبهتك على^(٦) القدر المحتاج إليه.

وأما قوله: وأما النملة والقملة فلا يتميز، يعني لا يتوصل لمعرفة الذكر منهما ولا الأنثى بخلاف الحمامة والشاة، فإن الاطلاع على ذلك^(٧) ممكن، فهو أيضاً ممنوع إذ^(٨) قد يمكن الاطلاع على (ذلك، وأن الاطلاع على ذكورية الحمامة والشاة أسهل من الاطلاع على)^(٩) ذكورية النملة والقملة، ومنعه أيضاً أن يقال هو الشاة وهو الحمامة ممنوع^(١٠).

وقرأ الحسن وطلحة ومعتمر^(١١) بن سليمان: «النَّمْلُ» و«نَمْلَةٌ» بضم الميم وفتح النون^(١٢) بزنة^(١٣) رجل وسمرة، وسليمان التيمي^(١٤) بضميتين فيهما^(١٥)، وتقدم أن ذلك لغات في الواحد والجمع. قوله: «لَا يَخْطِمُكُمْ»، فيه وجهان:
أحدهما: أنه نهى.

والثاني: أنه جواب للأمر^(١٦).

وإذا كان نهياً ففيه وجهان:

أحدهما: أنه نهى مستأنف لا تعلق له بما قبله من حيث الإعراب، وإنما هو نهى للجنود في اللفظ، وفي المعنى للنمل، أي لا تكونوا بحيث يحطمونكم، كقولهم: لا أَرَيْتَكَ هَهْنًا^(١٧).

(١) في ب: حين. (٢) المقصود به الحقيقي.

(٣) في ب: فاللفظي. (٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) في ب: أن نظر. (٦) في ب: عن.

(٧) أي: على ذكورة وأثوثة. (٨) إذ: تكملة ليست في المخطوط.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب. (١٠) الدر المصون ١٨٢/٥ - ١٨٣.

(١١) في النسختين: معمر. والصواب ما أثبتته. (١٢) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٦١/٧.

(١٣) في ب: بوزنة. وهو تحريف.

(١٤) هو سليمان بن قته التيمي، مولا هم البصري، ثقة، عرض على ابن عباس، وعرض عليه عاصم الجحدري. طبقات القراء ٣١٤/١.

(١٥) المحتسب ١٣٧/٢، البحر المحيط ٦١/٧.

(١٦) وضعفه أبو البقاء لأن جواب الأمر لا يؤكد بالنون في الاختيار. التبيان ١٠٠٦/٢.

(١٧) انظر البحر المحيط ٦١/٧.

والثاني: أنه بدل من جملة الأمر قبله، وهي «اذْخُلُوا»، وقد تعرض الزمخشري لذلك^(١)، فقال^(٢): فإن قلت: لا يحطمنكم ما هو؟ قلت يحتمل أن يكون جواباً للأمر، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر، والذي جَوُز أن يكون بدلاً منه أنه^(٣) في معنى: لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم^(٤)، على طريقة: لا أَرَيْتَكَ هَهُنَا، أرادت: لا يحطمنكم جنود سليمان، فجاءت بما هو أبلغ، ونحوه^(٥):

٣٩٣٧ - عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا^(٦)

قال أبو حيان: أما تخريجه على أنه جواب الأمر، فلا يكون ذلك إلا على قراءة الأعمش، فإنه مجزوم مع أنه يحتمل أن يكون استئناف نهي^(٧) يعني أن الأعمش قرأ: «لا يَخْطُمُكُمْ» بجزم الميم دون نون توكيد، قال: وأما مع وجود نون التوكيد فلا يجوز ذلك إلا إن كان في شعر، وإذا لم يجز ذلك في جواب الشرط إلا في الشعر فأحرى أن لا يجوز في جواب الأمر إلا في الشعر، وكونه جواب الأمر متنازع فيه على ما قرر في علم النحو. ومثال مجيء النون في جواب الشرط قول الشاعر:

٣٩٣٨ - تَبْتُمُ نَبَاتٌ^(٨) الْخَيْزُرَانَةُ^(٩) فِي الثَّرَى^(١٠) حَدِيثًا مَتَى مَا يَأْتِيكَ الْخَيْزُرُ يَنْقَعًا^(١١)

وقول الآخر:

٣٩٣٩ - فَمَهْمَا تَشَأْ مِنْهُ فَرَارَةٌ تُغْطِيكُمْ وَمَهْمَا تَشَأْ مِنْهُ فَرَارَةٌ تَمْنَعُ^(١٢)

(١) في ب: كذلك وهو تحريف. (٢) الكشف ١٣٧/٣ - ١٣٨.

(٣) في النسختين: أن يكون نهياً بدلاً من الأمر لأنه. والتصويب من الكشف.

(٤) في ب: يحطمنكم. (٥) ونحوه: مكرر في ب.

(٦) رجز لم أمتد إلى قائله، وهو في الكشف ١٣٨/٣، البحر المحيط ٦٢/٧، شرح شواهد الكشف (١٣٧). وأتى به شاهداً على المبالغة في قوله: من نفسي ومن إشفاقها. وكان وجه الكلام أن يقول: من إشفاق نفسي.

(٧) في البحر المحيط: نفي. البحر المحيط ٦٢/٧.

(٨) في ب: بيان. (٩) في ب: الخيزرانة.

(١٠) في ب: في البرى.

(١١) البيت من بحر الطويل قاله النجاشي، وهو في الكتاب ٥١٥/٣، المقاصد النحوية ٣٤٤/٤، الهمع ٧٨، الأشموني ٢٢٠/٣، الخزانة ٣٩٥/١١، الدرر ٩٧/٢. وروي: (الخيزراني) مكان (الخيزرانة). الخيزراني: كل نبت ناعم. وأراد بالخيزر المال. والشاهد فيه قوله: (ينفعا) فإن أصله (ينفعن) بنون التوكيد الخفيفة، ثم أبدل منها الألف في الوقف، وهذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر، لأن جواب الشرط لا يؤكد بالنون، لأنه خبر يجوز فيه الصدق والكذب، ولكنه أكد تشبيهاً بالنهي حين كان مجزوماً غير واجب.

(١٢) البيت من بحر الطويل، نسبة سيبويه إلى ابن الخرع، وهو عوف بن الخرع، وينسب أيضاً إلى الكميت بن ثعلبة، وهو في الكتاب ٥١٥/٣، المقاصد النحوية ٣٣٠/٤، التصريح ٣٠٦/٢، الهمع ٧٩/٢، الأشموني ٢٠٢/٢، الخزانة ٣٨٧/١١، الدرر ١٠٠/٢، والشاهد فيه قوله: (تمنعا)، والكلام فيه كالکلام في سابقه.

قال سيبويه: وهو قليل في الشعر شبهوه بالنهي حيث كان مجزوماً غير واجب^(١)، قال: وأما تخريجه على البديل فلا يجوز، لأن مدلول «لَا يَحْطِمَنَّكُمْ» مخالف لمدلول «ادْخُلُوا»، وأما قوله: لأنه بمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم^(٢)، فتفسير معنى لا إعراب، والبديل من صفة الألفاظ، نعم لو كان اللفظ القرآني: لا تكونوا بحيث لا يحطمنكم، لَتَحْيَلُ فيه البديل، لأن الأمر بدخول المساكن نهى عن كونهم بظاهر الأرض.

وأما قوله: إنه أراد لا يحطمنكم جنود سليمان إلى آخره، فيسوغ زيادة الأسماء، وهو^(٣) لا يجوز، بل الظاهر إسناد الحطم^(٤) إلى جنوده، وهو على حذف مضاف، أي: خيل سليمان وجنوده، أو نحو ذلك مما يصح تقديره^(٥)، انتهى.

أما منعه كونه جواب الأمر من أجل النون، فقد سبقه إليه أبو البقاء، فقال: وهو ضعيف، لأن جواب الشرط لا يؤكد بالنون في الاختيار^(٦). وأما منعه البديل بما ذكر فلا نسلم تغاير المدلول بالنسبة لما يؤول إليه المعنى. وأما قوله: فيسوغ زيادة الأسماء فهو^(٧) لم يسوغ ذلك، وإنما فسر المعنى - وعلى تقدير ذلك - فقد قيل به شائعاً^(٨). وجاء الخطاب في قولها «ادخلوا» كخطاب العقلاء لما عوملوا معاملتهم^(٩). وقرأ أبي: «ادْخُلْنَ مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ»^(١٠) - بالنون الخفيفة - جاء به على الأصل. وقرأ شهر بن حوشب^(١١): «مَسْكَنَكُمْ» بالإنفراد^(١٢) وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة وعيسى الهمداني بضم الياء وفتح الحاء وتشديد الطاء والنون مضارع حطمه بالتشديد^(١٣). وقرأ الحسن أيضاً قراءتان: فتح الياء وتشديد الطاء مع سكون الحاء وكسرها^(١٤) والأصل: لا يَحْطِمَنَّكُمْ، فادغم وإسكان الحاء مشكل تقدم نظيره في «لَا يَهْدِي»^(١٥) ونحوه، وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب وأبو عمرو في رواية بسكون نون التوكيد^(١٦). والحطم: الكسر،

(١) الكتاب ٥١٥/٣. (٢) في البحر المحيط: فيحطمنكم. وفي ب: فتحطموا.

(٣) في ب: وهي. (٤) في النسختين: الحكم. والتصويب من البحر المحيط.

(٥) البحر المحيط ٦٢/٧. (٦) التبيان ١٠٠٦/٢.

(٧) فهو: نكلمة ليست في المخطوط. (٨) أي: إبدال الفعل من الفعل متى استقام ذلك من جهة المعنى.

(٩) انظر التبيان ١٠٠٦/٢.

(١٠) في ب: لا يحطمنكم. وفي البحر المحيط: «ادخلن مساكنكم لا يحطمنكم» ٦١/٧ وفي تفسير ابن عطية: (وفي مصحف أبي «لا يحطمنكم» مخففة النون التي قبل الكاف) ١٨٧/١١.

(١١) شهر بن حوشب، أبو سعيد الأشعرى الشامي، ثم البصري، تابعي، مشهور عرض عليه أبو نهيك علباء بن أحمد، مات سنة ١٠٠هـ، وقيل غير ذلك. طبقات القراء ٣٢٩/١.

(١٢) المختصر (١٠٨)، البحر المحيط ٦١/٧. (١٣) المرجعان السابقان.

(١٤) البحر المحيط ٦١/٧، وفي المختصر لم ينص على سكون الحاء (١٠٨)، وفي المحتسب بفتح الياء والحاء وتشديد الطاء والنون، وروي عنه بكسر الحاء ١٣٧/٢.

(١٥) من قوله تعالى: «أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي» [يونس: ٣٥]. انظر اللباب ٢٩١/٤ - ٢٩٢.

(١٦) في السبعة قال ابن مجاهد: (وقرأ عبيد عن أبي عمرو «لا يحطمنكم» ساكنة النون. وهو غلط) (٤٧٩) =

يقال منه: حطَّمته، ثم استعمل لكل كسر معناه، والحطام: ما تكسر ييساً^(١)، وغلب على الأشياء التافهة، والحطْم: السائق السريع، كأنه يحطم الإبل^(٢)، قال:

٣٩٤٠ - قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطْمٍ لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ

وَلَا بِجَزَارٍ ظَهَرَ وَضَمٌ^(٣)

والحُطْمَة: من دركات النار، ورجل حُطْمَة للأكل^(٤)، تشبيهاً لبطنه بالنار^(٥)،

كقوله:

٣٩٤١ - كَأَنَّمَا فِي جَوْفِهِ تَنُورٌ^(٦)

وقوله: «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» جملة حالية^(٧).

فصل .

قال الشعبي: كانت تلك التملة ذات جناحين^(٨)، فنادت «يَا أَيُّهَا التَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ»، ولم تقل: ادخلن، لأنها لما جعلت لهم قولاً كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين^(٩)، «لَا يَخْطِمُنْكُمْ» لا يكسرنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، فسمع^(١٠) سليمان قولها، وكان لا يتكلم خلق إلا حملت الريح ذلك فألقت في مسامع سليمان. فإن قيل: كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده، وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والأرض؟ قيل: كانت جنوده ركبناً وفيهم مشاة على الأرض تطوى بهم، وقيل يحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان. وقال المفسرون: علم النمل أن سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا^(١١) ظلم، ومعنى الآية: أنكم لو لم تدخلوا

= وفي الهامش: قال أبو علي الفارسي معلقاً على قول ابن مجاهد: إن هذه القراءة غلط؛ يريد أنها غلط من طريق الرواية لا أنها لا تتجه في العربية.

(١) في ب: يعساً. (٢) انظر اللسان (حطم).

(٣) رجز يروى للحطيم القيسي، أو أبي زغبة الخزرجي، أو رشيد بن رميض العنزي. وهو في الكتاب ٣/

٢٢٣، المقتضب ٢/١٩٣، ٣/٣٢٣، الكامل ٢/٤٩٤، ٤٩٩، ٣/١٢٣٠، المخصص ٥/٢٢، ابن

يعيش ٦/١١٣، اللسان (حطم). الحطم: الشديد السوق للإبل، كأنه يحطم ما مر عليه لشدة سوقه.

وهو موطن الشاهد هنا. الوض: كل ما قطع عليه اللحم.

وفيه شاهد آخر، وهو نعت (سواق) بـ (حطم)، لأنه نكرة، وليس بمعدول عن فاعل إلا في باب

المعرفة، نحو: عمر وزفر.

(٤) في ب: أي: أكل. (٥) انظر اللسان (حطم).

(٦) شطر بيت لم أعثر له على سابق أو لاحق، ولم أهد إلى قائله، وهو في المفردات في غريب القرآن

(١٢٣).

(٨) انظر البغوي ٦/٢٦٧.

(٧) انظر البحر المحيط ٧/٦٢.

(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٦/٢٦٧.

(٩) المرجع السابق.

(١١) لا: سقط من ب.

مساكنكم وطئوكم ولم يشعروا بكم، وروي أن سليمان لما دخل^(١) وادي النمل حبس جنده، حتى دخل النمل بيوتهم^(٢). قال أهل المعاني: في كلام هذه النملة أنواع من البلاغة: نادت، ونبتت، وسمت، وأمرت، ونصت، وحذرت، وخصت، وعمت، وأشارت، وأعذرت^(٣)، ووجهه: نادت: «يا» نبتت: «ها»^(٤) سمت: «النمل»، أمرت «ادخلوا»، نصت: «مساكنكم»، حذرت: «لا يحطمنكم»، خصت: «سليمان»، عمت: «وجنده»، أشارت: «وهم»، أعذرت: «لا يشعرون».

قوله: «ضاحكاً» قيل: هي حال مؤكدة^(٦) لأنها مفهومة من (تبسم)، وقيل: بل هي حال مقدرة، فإن التبسم ابتداء الضحك، وقيل: لما كان التبسم قد يكون للغضب، ومنه: تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الغضبان، أي تضحكاً مسيئاً له، قال عنترة:

٣٩٤٢ - لَمَّا رَأَيْتِي قَدْ قَصَدْتُ أَرِيدَهُ أَبْدَيْ نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمٍ^(٧)
وتَبَسَّمَ: تَفَعَّلَ بمعنى بَسَّمَ المجزء، قال:

٣٩٤٣ - وَتَبَسَّمَ عَنِ أَلْمَى كَأَنَّ مُتَوَرًّا تَحَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دَغُصٌ لَهُ نَدِي^(٨)
وقال بعض المولدين:

٣٩٤٤ - كَأَنَّمَا تَبَسَّمَ عَنِ لَوْلُو مُنْضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقْحَ^(٩)
وقرأ ابن السميع: «ضحكاً» مقصوراً^(١٠)، وفيه ثلاثة أوجه:
أحدها: أنه مصدر مؤكد معنى تبسم، لأنه بمعناه^(١١).

(١) في ب: بلغ. (٢) آخر ما نقله هنا البغوي ٢٦٧/٦.

(٣) وأعذرت: سقط من ب. (٤) في ب: ما.

(٥) في ب: وعمت.

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١١٢/٤، التبيان ١٠٠٦/٢.

(٧) البيت من بحر الكامل، وهو من معلقة عنترة، وهو في شرح السبع الطوال لابن الأنباري (٣٥٠)، الحماسة البصرية ٧٩/٢، يقول: ليس إبداءه نواجذه للضحك إنما لكراهة منه وخشية من الموت. وهذا موطن الشاهد.

(٨) البيت من الطويل، وهو من معلقة طرفة بن العبد، وهو في ديوانه (٢١) والسبع الطوال ١٤٣ - ١٤٤، اللسان (لما)، البحر المحيط ٥١/٧. قوله: عن ألقى: أي عن ثغر ألقى، فاكتمى بالنعث عن المنعوت. الألقى: أسمر الشفتين. المنور: النبات ذو الزهر. حرّ الرمل: أحسنه لوناً، الدغص: كثيب الرمل. الندي: الذي في أسفله الماء. والشاهد فيه قوله: (تبسم). فإنه من الثلاثي (بسم) وهو بمعنى (تبسم).

(٩) البيت من بحر السريع، قاله البحر، وهو في ديوانه ٤٣٥/١، المصون (٧٩)، معاهد التنصيص ١/١٦٤، المنقذ: المنظم. البرد: حبيبات الثلج النازلة عن الغمام. الأقاح: جمع أقحوان، وهو نوع من الورود. والشاهد فيه قوله: (تبسم) فإنه من الثلاثي (بسم).

(١٠) المحتسب ١٣٩/٢، البحر المحيط ٦٢/٧. (١١) المرجعان السابقان.

والثاني: أنه في موضع الحال، فهو في المعنى كالذي قبله^(١).

الثالث: أنه اسم فاعل كفرح، وذلك لأن فعله على فَعِلَ بكسر العين، وهو لازم، فهو كفرح وبطر^(٢). قوله: «أَنْ أَشْكُرَ» مفعول ثانٍ لـ «أَوْزَعْنِي»، لأن معناه: أَلْهَمْنِي، وقيل^(٣) معناه: اجعلني أزع شكر نعمتك، أي: أكفه وأمنعه حتى لا ينفلت مني، فلا أزال شاكرًا^(٤)، وتفسير الزجاج له بامعني أن أكفر نعمتك^(٥) من باب تفسير المعنى باللازم.

فصل

قال الزجاج أكثر ضحك الأنبياء التبسم^(٦)، وقوله: «ضاحكاً» أي: مبتسماً، وقيل: كان أوله التبسم وآخره الضحك^(٧)، قال مقاتل: كان ضحك سليمان من قول النملة تعجباً، لأن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك^(٨)، وإنما ضحك لأمرين: أحدهما: إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وعلى شهرة حاله وحالهم في التقوى، وهو قولها: «وهم لا يشعرون».

والثاني: سروره بما آتاه الله ما له يؤت أحداً، من سمعه كلام النملة وإحاطته بمعناه^(٩). ثم حمد سليمان ربه على ما أنعم عليه، فقال: «رَبِّ أَوْزَعْنِي» أَلْهَمْنِي. «أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ».

وهذا يدل على أن دخول الجنة برحمته وفضله، لا باستحقاق العبد^(١٠)، والمعنى: أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي في أسمائهم واحشرنني في زمريهم، قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين^(١١). فإن قيل: درجات الأنبياء أفضل من درجات الأولياء والصالحين، فما السبب في أن الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين، فقال يوسف^(١٢): «تَوَقَّيْ مُسْلِمًا وَالْحَقَّقِي بِالصَّالِحِينَ» [يوسف: ١٠١]، وقال سليمان: «وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»؟

فالجواب: الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله ولا يهيم بمعصية، وهذه درجة عالية^(١٣).

(١) انظر البحر المحيط ٦٢/٧.	(٢) انظر التبيان ١٠٠٦/٢.
(٣) في ب: وفعل. وهو تحريف.	(٤) انظر الكشف ١٣٨/٣.
(٥) انظر معاني القرآن وإعراجه ١١٢/٤ - ١١٣.	(٦) معاني القرآن وإعراجه ١١٢/٤.
(٧) انظر البغوي ٢٦٨/٦.	(٨) المرجع السابق.
(٩) انظر الكشف ١٣٨/٣، الفخر الرازي ١٨٨/٢٤.	(١٠) انظر الفخر الرازي ١٨٨/٢٤.
(١١) انظر البغوي ٢٦٨/٦.	(١٢) في النسختين: إبراهيم. والتصويب من الفخر الرازي.
(١٣) انظر الفخر الرازي ١٨٨/٢٤.	

قوله تعالى: ﴿وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَحِشْتُكَ مِنْ سَبِيلِ يَنْبَغِي يَقِينٌ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَنَالِكُهُمْ وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَرَّشُ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ﴾ الآية «تَقَعَّدَ الطَّيْرَ»: طلبها وبحث عنها، والتفقد طلب ما فقد، والمعنى طلب ما فقد من الطير، واختلفوا فيما تفقده من أجله، فقيل: لأنه أخل بالنوبة التي كان ينوبها^(١)، وقيل: لأن هندسة الماء كانت لديه، وكان يرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجية وكان يعرف قربه وبعده في عمق الأرض^(٢). قال سعيد بن جبير: لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الأزرق: يا وصال، انظر ما يقول: إن الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب، فيجيء الهدهد ولا يبصر الفخ، حتى يقع في عنقه، فقال له ابن عباس: ويحك إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر^(٣)، وهذا القول فيه نظر، لأن الجن أعرف بالأرض من الهدهد، فإنهم سكانها، وقيل: لأنه كان يظله من الشمس^(٤).

قوله: «مَا لِي»^(٥) لَا أَرَى الْهَدْهَدَ، هذا استفهام توقيف^(٦) ولا حاجة إلى ادعاء القلب وأن الأصل: ما للهدهد لا أراه^(٧)؟ إذ المعنى قوي دونه، والهدهد معروف، وتصغيره على هديه، وهو القياس، وزعم بعض النحويين أنه قلب ياء تصغيره ألفاً، فيقال: هداهد، وأنشد:

٣٩٤٥ - كَهْدَاهِدٍ كَسَرَ الرُّمَاءَ جَنَاحَهُ يَدْعُو بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ هَدِيدًا^(٨)

كما قالوا: دَوَابَّةٌ وَشَوَابَّةٌ، في: دُوَيْبَّةٌ وَشَوَيْبَةٌ، ورده بعضهم بأن الهداهد الحمام الكثير ترجيع الصوت^(٩). تزعم العرب أن جارحاً في زمن الطوفان اختطف فرخ حمامة

(١) انظر الفخر الرازي ١٨٩/٢٤. (٢) انظر البغوي ٢٦٩/٦.

(٣) المرجع السابق. (٤) انظر الفخر الرازي ١٨٩/٢٤.

(٥) لي: سقط من ب. (٦) يريد استفهاماً حقيقياً يقصد منه السؤال عما يسأل عنه.

(٧) انظر القرطبي ١٧٩/١٣.

(٨) البيت من بحر الكامل، قاله النيمري، وهو في الخصائص ٩٥/٢، المفضليات (٤٥٧) المقرب

(٤٣٦)، جمهرة القرشي (١٧٥)، اللسان (هدد، هذل)، البحر المحيط ٥١/٧. الهديل: المراد به هنا

صوت الهدهد. والشاهد فيه أن (هداهد) تصغير (هدد) بقلب ياء التصغير ألفاً.

(٩) انظر المقرب (٤٣٦ - ٤٣٧)، اللسان (هدد).

تسمى الهديل، قالوا: فكل حمامة تبكي فإنما تبكي على الهديل^(١).

قوله: «أم كان»، هذه «أم» المنقطعة، وتقدم الكلام فيها، وقال ابن عطية: قوله: «ما لي لا أرى الهدهد» مقصد الكلام: الهدهد غاب، ولكنه أخذ اللازم عن مغيبه وهو أن لا يراه، فاستفهم على جهة التوقيف^(٢) عن اللازم، وهذا ضرب من الإيجاز، والاستفهام الذي في قوله «ما لي» ناب مناب الألف التي تحتاجها «أم»^(٣)، قال أبو حيان: فظاهر كلامه أن «أم» متصلة، وأن الاستفهام الذي في قوله: «ما لي» ناب مناب ألف الاستفهام، فمعناه: أغاب عني الآن فلم أره حال التفقد أم كان ممن غاب قبل، ولم أشعر بغيبته؟^(٤).

قال شهاب الدين: ولا يظن بأبي محمد^(٥) ذلك، فإنه لا يجهل أن شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام أو التسوية لا مطلق الاستفهام^(٦).

قوله: «عذاباً»، أي تعذيباً، فهو اسم مصدر أو مصدر على حذف الزوائد كـ «أَنْتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاكُم» [نوح: ١٧]، وقد كتبوا: «أَوْ لَأَذِيعُكُمْ» بزيادة ألف بين لام ألف والذال، ولا يجوز أن تُقرأ بها، وهذا كما تقدم أنهم كتبوا: «وَلَا وَضَعُوا خِلَافَكُمْ» [التوبة: ٤٧] بزيادة ألف بين لام ألف والواو^(٧).

قوله: «أَوْ لَيَأْتِيَنِي»، قرأ ابن كثير بنون التوكيد المشددة بعدها نون الوقاية، وهذا هو الأصل، واتبع مع ذلك رسم مصحفه، والباقون بنون مشددة فقط^(٨)، والأظهر أنها نون التوكيد الشديدة، تُوصل بكسرها لياء المتكلم، وقيل: بل هي نون التوكيد الخفيفة أدغمت في نون الوقاية، وليس بشيء لمخالفة الفعلين قبله، وعيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة لم يصلها بالياء^(٩).

فصل

قال المفسرون: معنى الآية: ما للهدهد لا أراه، تقول العرب: ما لي أراك كثيراً؟ فقال: ما لي لا أرى الهدهد، على تقدير أنه مع جنوده وهو لا يراه، ثم أدركه الشك في غيبته فقال: أم كان من الغائبين، يعني أكان من الغائبين؟ والميم صلة^(١٠)، وقيل: أم

(١) انظر اللسان (هدل).

(٢) في ب: الوقف.

(٣) تفسير ابن عطية ١١/١٨٩.

(٤) البحر المحيط ٧/٦٤.

(٥) تفسير ابن عطية ١١/١٨٩.

(٦) الدر المصون ٥/١٨٥.

(٧) انظر تأويل مشكل القرآن (٥٨).

(٨) السبعة (٤٧٩)، الكشف ٢/١٥٤ - ١٥٥، النشر (٣٣٧)، الإتحاف (٣٣٥).

(٩) قال ابن خالويه: (أوليائين سلطان عيسى بن عمر) المختصر (١٠٨ - ١٠٩) وما ذكره المؤلف في البحر المحيط ٧/٦٥.

(١٠) انظر البغوي ٦/٢٦٩.

بمعنى بل، ثم أوعد على غيبته، فقال: «لأعذبنه عذاباً شديداً»، فقيل: بنتف ريشه ووضعه لهوام الأرض، وقيل: بحبسه في القفص، وقيل: بأن يفرق بينه وبين إلفه، وقيل: بحبسه مع ضده، «أو لأذبحته أو ليأتيني بسلطان مبين» حُجَّة ظاهرة^(١).

قوله: «فَمَكَّتْ» قرأ عاصم بفتح الكاف، والباقون بضمها^(٢)، وهما لغتان، إلا أن الفتح أشهر، ولذلك جاءت الصفة^(٣) على ماكث، دون مكث^(٤)، واعتذر عنه بأن فاعلاً قد جاء لفعل بالضم، نحو: حَمَضَ فهو حامض، وَخَثَرَ فهو خاثِر، وَفَرَّه فهو فارِه.

قوله: «غَيْرَ بَعِيدٍ»، يجوز أن يكون صفة للمصدر، أي مكثاً غير بعيد، وللزمان أي: زماناً غير بعيد^(٥)، وللمكان أي: مكاناً غير بعيد^(٦)، والظاهر أن الضمير في مكث للدهد^(٧)، وقيل: لسليمان^(٨) - عليه السلام^(٩) - فقال: «أَحْطَت بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ»، والإحاطة: العلم بالشيء من جميع جهاته، يقول: علمت ما لم تعلم، وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك.

قوله: «مِنْ سَبَأَ»، قرأ البرزّي^(١٠)، وأبو عمرو بفتح الهمزة^(١١)، جعلاه اسماً للقبيلة أو البقعة، فمتعاه من الصرف للعلمية والتأنيث، وعليه قوله:

٣٩٤٦ - مِنْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرَبٍ إِذْ يَنْبُتُونَ مِنْ دُونِ سَبِيلِهِ الْعَرِمَا^(١٢)

وقرأ قُتَيْلٌ بسكون الهمزة^(١٣)، كأنه نوى الوقف وأجرى الوصل مجراه، والباقون بالجر والتنوين^(١٤)، جعلوه اسماً للحي أو المكان، وعليه قوله:

٣٩٤٧ - السَّوَادُونَ وَتَيْمٌ فِي دُرَى سَبَأٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ^(١٥)

(١) المرجع السابق ٦/ ٢٧٠.

(٢) السبعة (٤٨٠)، الكشف ١٥٥/٢، النشر (٣٣٦)، الإتحاف (٣٣٥).

(٣) يقصد اسم الفاعل من هذا الفعل. (٤) انظر الكشف ١٥٥/٢.

(٥) انظر البيان ٢/ ٢٢٠. (٦) انظر التبيان ٢/ ١٠٠٦.

(٧) انظر البحر المحيط ٦٥/٧. (٨) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ١٩٠، القرطبي ١٣/ ١٨٠.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٠) في الأصل: اليزيدي.

(١١) السبعة (٤٨٠)، الكشف ١٥٥/٢، النشر (٣٣٧)، الإتحاف (٣٣٥).

(١٢) البيت من بحر المنسرح، قاله النابغة الجعدي، وهو في الكتاب ٣/ ٢٥٣، الكشف ٣/ ١٣٩، تفسير ابن عطية ١١/ ١٩١، الانصاف ٢/ ٥٠٢، القرطبي ١٣/ ١٨١، اللسان (سبأ، عرم).

(١٣) السبعة (٤٨٠)، الكشف ١٥٥/٢، النشر (٣٣٧)، الإتحاف (٣٣٥ - ٣٣٦).

(١٤) البيت من بحر البسيط، قاله جرير في هجاء عمرو بن لجأ التيمي، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣٩، تفسير ابن عطية ١١/ ١٩١، أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٨، ٣٤٣، القرطبي ١٣/ ١٨١، البحر المحيط ٦٦/٧ معنى: (عض أعناقهم جلد الجواميس): أن الجلود المصنوعة من جلد الجواميس قد أثرت في أعناقهم.

والشاهد فيه هنا أن (سبأ) جعل اسماً للحي أو المكان، ولهذا صرف.

وهذا الخلاف جارٍ بعينه في سورة سبأ^(١).

وفي قوله: «مِنْ سَبَأٍ نَبَأٌ» فيه من البديع التجانس، وهو: تجنيس التصريف، وهو عبارة عن انفراد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف^(٢) كهذه الآية، ومثله: «تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ»^(٣).

وفي الحديث: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرِ»^(٤)، وقال آخر:

٣٩٤٨ - لِلَّهِ مَا صَنَعْتَ بِنَا تِلْكَ الْمَعَاجِرُ وَالْمَحَاجِرُ^(٥)

وقال الزمخشري: وقوله «مِنْ سَبَأٍ نَبَأٌ» من جنس الكلام الذي سماه المحدثون^(٦) البديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً، أو يصنعه عالم بجوهر هذا الكلام، يحفظ معه صحة المعنى وسداده، ولقد جاء هنا زائداً على الصحة، فحسن وبدع لفظاً ومعنى، ألا ترى أنه لو وضع مكان: «نبأ»: «بخبير» لكان المعنى صحيحاً، وهو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال^(٧).

يريد بالزيادة: أن النبأ أخص من الخبر، لأنه لا يقال إلا فيما له شأن من الأخبار، بخلاف الخبر، فإنه يطلق على ما له شأن، وعلى ما لا شأن له، فكل نبأ خبر من غير عكس. وبعضهم يعبر عن نحو: «من سبأ نبأ» في علم البديع بالترديد، أقاله صاحب التحرير^(٨)، وقال غيره^(٩): إن التردد عبارة عن رد أعجاز البيوت على صدورهما، أو رد كلمة من النصف الأول إلى النصف الثاني، فمثال الأول قوله:

٣٩٤٩ - سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطُمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ الْخَنَا بِسَرِيعٍ^(١٠)

(١) يشير إلى قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ» [سبأ: ١٥].

(٢) انظر الإيضاح (٣٩٦ - ٣٩٧). (٣) [غافر: ٧٥].

(٤) أخرجه البخاري (مناقب) ٦٨٣/٢، مسلم (زكاة) ٦٨٣/٢، (إمارة) ١٤٩٢/٣ - ١٤٩٣، أبو داود (جهاد) ٩٣٣/٢. ومالك (جهاد) ٤٦٧/٢، أحمد ٣٩/٣، ١٨١/٥.

(٥) البيت من مجزوء الكامل، لم أهدأ إلى قائله، وهو في البحر المحيط ٦٦/٧. المعاجز: جمع معجز: وهو غطاء الرأس من المرأة والعمامة من الرجل. المحاجر: جمع - محجر - بكسر الميم وفتحها - ما دار بالعين وظهر من البرقع من جميع العين. والشاهد فيه قوله: (المعاجز والمحاجر) فإنه جناس تصريف لاختلاف اللفظين في حرف واحد.

(٦) في النسختين: النحويون. والتصويب من الكشاف. (٧) الكشاف ١٣٩/٣.

(٨) انظر البحر المحيط ٦٦/٧، وكتاب التحرير والتجوير لأقوال أئمة التفسير من جمع الشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المقدسي، عرف بابن النقيب - رحمه الله تعالى - هو أحد مصادر أبي حيان في كتابه البحر المحيط.

(٩) هو صاحب كتاب التفرع بفنون البديع. انظر البحر المحيط ٦٦/٧.

(١٠) البيت من بحر الطويل، قاله الأقيشر الأسدي، وهو في الإيضاح للقرظيني (٤٠٠)، البحر المحيط ٧/٦٦، معاهد التنقيص ٨٢/٢، الخزائن ٤٨٨/٤. ويروى: إلى داعي الندى. والخنا: من قبيح الكلام. والشاهد فيه رد المعجز على الصدر، وهو قوله: (سريع... سريع).

ومثال الثاني قوله:

٣٩٥٠ - وَاللَّيَالِي إِذَا نَأَيْتُمْ طَوَالَ وَاللَّيَالِي إِذَا دَنَوْتُمْ قِصَارًا^(١)

وقرأ ابن كثير في رواية: «مِنْ سَبَا» مقصوفاً منونا^(٢)، وعنه أيضاً: «مِنْ سَبَا» بسكون الباء وفتح^(٣) الهمزة^(٤)، جعله على فَعْل ومنعه من الصرف^(٥)، لما تقدم. وعن الأعمش: «مِنْ سَبَا» بهمزة مكسورة غير منونة^(٦)، وفيها إشكال؛ إذ لا وجه للبناء، والذي يظهر أن تنوينها لا بد وأن يقلب ميماً وصلأ، ضرورة ملاقاته للباء، فسمعها الراوي؛ فظن أنه كسر من غير تنوين^(٧). وروي عن أبي عمرو: «مِنْ سَبَا» بالالف صريحة^(٨)، كقولهم: تفرقوا أيدي سبأ^(٩). وكذلك قرىء «بِتَبَا» بالالف خالصة^(١٠)، وينبغي أن يكونا لقارئ واحد^(١١) وسبأ في الأصل: اسم رجل من قحطان، واسمه: عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وسبأ لقب له، وإنما لقب به: لأنه أول من سبأ^(١٢).

قوله: «إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ» لما قال الهدهد لسليمان: «وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَا بِنْتًا يَمِينًا»، قال سليمان: وما ذاك؟ قال: «إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ» وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل، وكان أبوها ملك أرض اليمن من نسل يعرب بن قحطان، وكان ملكاً عظيماً الشأن، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً لي، وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها: ريحانة بنت النسكن، فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها، وفي الحديث: «إن أحد أبوي بلقيس كان جنياً» وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس^(١٣)، والضمير في «تملكهم» راجع إلى «سبأ»، فإن أريد به القوم فالأمر ظاهر، وإن أريد المدينة فمعناه: تملك^(١٤) أهلها^(١٥)، (قال عليه السلام لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»)^{(١٦)(١٧)}.

(١) البيت من بحر الخفيف، ولم أهدأ إلى قائله، وهو في البحر المحيط ٦٦/٧.

(٢) المختصر (١٠٩)، البحر المحيط ٦٦/٧. (٣) في ب: ويفتح.

(٤) ذكره أبو معاذ. انظر المختصر (١٠٩)، البحر المحيط ٦٦/٧.

(٥) قال أبو حيان: (بناء على فعلى فامتنع من الصرف للتأنيث اللازم) البحر المحيط ٦٦/٧.

(٦) المختصر (١٠٩)، تفسير ابن عطية ١٩١/١١.

(٧) قال أبو حيان: (يصعب توجيهها) البحر المحيط ٦٦/٧.

(٨) قال أبو حيان: (وروى ابن حبيب عن اليزيدي «من سبأ» بالالف ساكنة، كقولهم: تفرقوا أيدي سبأ) البحر المحيط ٦٦/٧.

(٩) مجمع الأمثال للميداني ٤/٢. (١٠) انظر البحر المحيط ٦٦/٧.

(١١) في النسختين: واحد. والصواب ما أثبتته. (١٢) انظر البحر المحيط ٦٦/٧.

(١٣) انظر البغوي ٦/٢٧٣. (١٤) في ب: ملك.

(١٥) انظر الكشاف ٣/١٣٩. (١٦) أخرجه البخاري ٤/٢٢٨، النسائي (قضاء) ٨/٢٢٧.

(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.

قوله: «وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» يجوز أن يكون معطوفاً على «تَمْلِكُهُمْ»، وجاز عطف الماضي على المضارع، (لأن المضارع^(١)) بمعناه، أي: ملكتهم، ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من مرفوع «تملكهم». و «قَدْ» معها مضمرة^(٢) عند من يرى ذلك. وقوله: «مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» عام مخصوص بالعقل؛ لأنها لم تؤت ما أوتيته سليمان. وقوله: «وَلَهَا عَرْشٌ» يجوز أن تكون هذه جملة مستقلة بنفسها سبقت للإخبار بها، وأن تكون معطوفة على «أُوتِيَتْ»، وأن تكون حالاً من مرفوع «أُوتِيَتْ»، والأحسن أن يجعل الحال الجار، «وعَرْشٌ» مرفوع به، وبعضهم يقف على «عَرْشٌ» ويقطعه عن نعتة. قال الزمخشري: ومن تَوَكَّى^(٣) الْقُصَّاص من يقف على قوله: «وَلَهَا عَرْشٌ»، ثم يبتدىء: «عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا»، يريد: أمرٌ عظيم أن وجدتها، فَرَّ من استعظام الهدهد عرشها، فوقع في عظيم، وهي مسخ كتاب الله^(٤).

قال شهاب الدين: التَوَكَّى: الحمقى جمع أُنُوك وهذا الذي ذكره من أمر الوقف نقله الداني^(٥) عن نافع^(٦) وقرره أبو بكر بن الأنباري ورفعاه إلى بعض أهل العلم^(٧)، فلا ينبغي أن يقال (تَوَكَّى الْقُصَّاص)، وخرجه الداني على أن يكون «عَظِيمٌ» مبتدأ، و «وَجَدْتُهَا» الخبر^(٨)، وهذا خطأ، كيف يبتدىء بنكرة من غير مسوغ، ويخبر عنها بجملة لا رابط بينها وبينه، والإعراب ما قاله الزمخشري من أن عظيم^(٩) صفة لمحذوف خبراً مقدماً، و «وَجَدْتُهَا» مبتدأ مؤخرأ مقدراً معه حرف مصدري أي: أمر عظيم وجداني إياها وقومها غير عابدي الله^(١٠).

قوله: «وَجَدْتُهَا»، هي التي بمعنى^(١١) لقيت وأصبحت، فيتعدى لواحد، فيكون «يَسْجُدُونَ» حالاً من مفعولها وما عطف عليه، فإن قيل: كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان، وأيضاً: فكيف سوئ بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم؟.

فالجواب عن الأول: يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان، فاستعظم لها^(١٢) ذلك العرش ويجوز أن يكون لسليمان - مع جلالته - مثله كما قد يكون لبغض الأمراء شيء لا يكون مثله للسلطان.

(١) ما بين القوسين سقط من ب. (٢) انظر التبيان ١٠٠٧/٢.

(٣) التوكى: الحمقى. اللسان (نوك). (٤) الكشف ١٤٠/٣.

(٥) في ب: الثاني. وهو تحريف. (٦) انظر المكتفى في الوقف والابتداء (٤٢٧).

(٧) انظر إيضاح الوقف والابتداء ٨١٥/٢ - ٨١٦.

(٨) انظر المكتفى في الوقف والابتداء (٤٢٨) وفيه: قال المقرئ أبو عمرو: فيرتفع قوله: «عظيم» على هذا المذهب بالابتداء، والخبر في قوله «وجدتها».

(٩) في ب: عظيم. (١٠) الدر المصون ١٨٧/٥، وانظر الكشف ١٤٠/٣.

(١١) بمعنى: سقط من ب. (١٢) لها: سقط من ب.

وعن الثاني: أنه وصف عرشها بالعظم بالنسبة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك، وَوَصَفُ عَرْشِ اللَّهِ بِالْعَظْمِ تَعْظِيمٌ لَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ مَا خَلَقَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(١).
قال المفسرون: العرش السرير الضخم كان مضروباً من الذهب مكللاً بالدرّ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد، وعليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق^(٢).
قال ابن عباس: كان عرشها ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً^(٣). واعلم أن قوله: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» إن قلنا: إنه من كلام الهدهد، فالهدهد قد استدرك على نفسه، واستقلّ عرشها بالنسبة إلى عظمة عرش الله، وإن قلنا: إنه من كلام الله تعالى، فالله رد عليه استعظامه لعرشها^(٤).

فصل

طعنت الملاحظة في هذه القصة من وجوه:

أحدها: أنَّ هذه الآيات اشتملت على أنَّ النملة والهدهد تكلمتا بكلام لا يصدر ذلك إلاَّ عن العقلاء وذلك يجر إلى السَّفْسَطة^(٥)، فإنَّنا لو جَوَّزنا ذلك لما أمِنَّا من النملة التي نشاهدها في زماننا هذا^(٦) أنَّ تكون أعلم بالهندسة من إقليدس^(٧)، وبالنحو من سيويه، وكذا القول في القملة والضئبان^(٨)، ولجوزنا أن يكون فيهم الأنبياء والمعجزات والتكاليف، ومعلوم أنَّ مَنْ جَوَّزه كان إلى الجنون^(٩) أقرب.

وثانيها: أنَّ سليمان - عليه السلام^(١٠) - كان بالشام، فكيف طار^(١١) الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام إلى اليمن، ثم رجع إليه؟.

وثالثها: كيف خفي على سليمان (عليه السلام)^(١٢) تلك المملكة العظيمة مع أنَّ الجن والإنس كانوا في طاعته، وأنه - عليه السلام^(١٣) - كان ملك الدنيا كلها، وكان

(١) انظر الكشف ١٣٩/٣ - ١٤٠، اللخر الرازي ١٩٠/٢٤.

(٢) انظر البغوي ٢٧٣/٦ - ٢٧٤. (٣) انظر البغوي ٢٧٤/٦.

(٤) انظر البحر المحيط ٧٠/٧.

(٥) السَّفْسَطة: قياس مركب من الوهميات، والغرض منه إفحام الخصم وإسكاته (من اليونانية). المعجم الوسيط (سفسط).

(٦) هذا: سقط من ب.

(٧) إقليدس وهو رياضي يوناني، علم في الإسكندرية، وضع مبادئ الهندسة المسطحة. المنجد في الأعلام (٥٨).

(٨) الضَّب: من دواب البحر. الضُّبَّان من الجمال: السَّمين الشديد. المعجم الوسيط (ضأب).

(٩) في ب: الجواب. وهو تحريف. (١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١١) في ب: صار. (١٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

تحت طاعة بلقيس - على ما يقال - اثنا عشر ألف تحت يد كل واحد منهم مائة ألف، مع ما يقال إنه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال طيران الهدد إلا مسيرة ثلاثة أيام؟
وابعها: من أين حصل للهدد إنكار سجودهم للشمس وإضافته للشيطان وتزيينه؟
والجواب عن الأول: أن ذلك الاحتمال قائم في أول العقل، وإنما يدفع ذلك بالإجماع^(١). وعن البواقي: أن الإيمان بافتقار العالم إلى القادر المختار يزيل هذه الشكوك^(٢).

فصل (٣)

قالت^(٤) المعتزلة: قوله «يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» يدل على أن فعل العبد من جهته، لأنه تعالى أضاف ذلك إلى الشيطان بعد إضافته إليهم، وأورده مورد الذم، وبين أنهم لا يهتدون.
والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا قول الهدد فلا يكون حجة.

وثانيها: أنه متروك الظاهر، فإنه^(٥) قال: «فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ»، وعندكم الشيطان، فإنه ما صد الكافر عن السبيل، إذ لو صدّه الشيطان عن السبيل لكان معذوراً ممنوعاً، فيسقط عنه التكليف فلم يبق إلا التمسك بالمدح والذم، وجوابه قد تقدم^(٦).

قوله: «أَلَا يَسْجُدُوا» قرأ الكسائي بتخفيف «أَلَا»، والباقون بتشديدها^(٧)، فأما قراءة الكسائي، «أَلَا» فيها تنبيه واستفتاح، و «يَا» بعدها حرف نداء، أو تنبيه أيضاً على ما سيأتي، و «أَسْجُدُوا»: فعل أمر، فكان^(٨) حق الخط على هذه القراءة أن يكون يَا اسْجُدُوا، ولكن الصحابة أسقطوا ألف «يَا» وهمزة الوصل من «أَسْجُدُوا» خطأ لما سقط لفظاً، ووصلوا الياء بسين «اسْجُدُوا»، فصارت صورته «يَسْجُدُوا» كما ترى، فاتخذت القراءتان لفظاً وخطأ^(٩)، واختلفا تقديرًا^(١٠). واختلف النحويون في «يَا» هذه، هل هي حرف تنبيه أو للنداء والمنادى محذوف، تقديره: يَا هَؤُلَاءِ اسْجُدُوا، وقد تقدم ذلك عند قوله في سورة النساء: «يَا لَيْتَنِي»^(١١) والمُرْجِعُ أن تكون للتنبيه^(١٢)، لئلا يؤدي إلى حذف كثير من غير بقاء ما يدل على المحذوف، ألا ترى أن جملة النداء حذفت، فلو ادَّعيت

(١) في ب: الإجماع. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٩٠ - ١٩١.

(٣) فصل: سقط من ب. (٤) في ب: فإن قيل.

(٥) في ب: كأنه. (٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٩١.

(٧) السبعة (٤٨٠)، الكشف ٢/١٥٦، النشر ٢/٣٣٧، الإنحاف (٣٣٦).

(٨) في ب: كان. (٩) في ب: خطأ ولفظاً.

(١٠) انظر الكشف ٢/١٥٧ - ١٥٨، البحر المحيط ٧/٦٨.

(١١) من قوله تعالى: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً» من الآية (٧٣).

(١٢) وهو قول الأخفش. انظر المعاني ٢/٦٤٩، ورجحه أبو حيان. البحر المحيط ٧/٦٩.

حَذَفَ الْمَتَادَى كَثُرَ الحذف، ولم يبق^(١) معمولٌ يدل على عامله؛ بخلاف ما إذا جعلتها للتنبيه. ولكن غارَضنا هنا أنَّ قبلها حرف تنبيه آخر، وهو «ألا» وقد اعتذر عن ذلك بأنه جُمِعَ بينهما تأكيداً، وإذا كانوا قد جمعوا بين حرفين عاملين للتأكيد^(٢)، كقوله:

٣٩٥١ - فَأَصْبَحَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ يَمَا^(٣) بِهِ^(٤)

فغير العاملين أولى، وأيضاً فقد جمعوا بين حرفين عاملين مُتَّحِدِي اللفظ^(٥) والمعنى كقوله:

٣٩٥٢ - فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْقَى لِمَا بِي وَلَا لِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً^(٦)

فهذا أولى، وقد كثر مباشرة «يا» لفعل^(٧) الأمر، وقبلها «ألا» التي للاستفتاح، كقوله:

٣٩٥٣ - أَلَا يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثُمَّتْ اسْلَمِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمْ^(٨)

وقوله:

٣٩٥٤ - أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرَ عَائِكَ الْقَطْرُ^(٩)

وقوله:

٣٩٥٥ - أَلَا يَا اسْلَمِي ذَاتَ الدَّمَالِيحِ وَالْعَقْدِ وَذَاتَ اللَّثَاثِ الْحُمِّ وَالْفَاحِمِ الْجَعْدِ^(١٠)

وقوله:

٣٩٥٦ - أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَكْرِ وَإِنْ كَانَ حَيَّانَا عِدَى آخِرِ الدُّهْرِ^(١١)

(١) ببق: سقط من ب. (٢) انظر البحر المحيط ٦٩/٧.

(٣) في ب: با. وهو تحريف.

(٤) صدر من بيت من بحر الطويل، وقد تقدم؛ قاله الأسود بن يعفر، وعجزه:

أَصْعَدَ فِي عِلْوِ الْهَوَى أَمْ تَصَوَّبَا

(٥) في ب: الملفظ.

(٦) البيت من بحر الوافر. قاله مسلم بن معبد الوالبي، وقد تقدم.

(٧) في ب: مباشرة بالفعل.

(٨) البيت من بحر الطويل، ويعزى لحמיד بن ثور الهلالي، وهو في ملحق ديوانه (١١٣)، ابن يعيش ٣٩/٣.

(٩) البيت من بحر الطويل، قاله ذو الرمة وهو في ديوانه ٢٩٠ مجاز القرآن ٩٤/٢، معاني القرآن للأخفش ٢/٦٤٩، أمالي ابن الشجري ١٥١/٢، تفسير ابن عطية ١٩٥/١١، القرطبي ١٨٧/١٣، الإنصاف ١٠٠/١،

البحر المحيط ٦٩/٧، المغني ٢٤٣/١، المقاصد النحوية ٦/٢، التصريح ١٨٥/١، الهمع ١١١/١، ٢/٤،

شرح شواهد المغني ٦١٧/٢، الأشموني ٢٢٨، ٣٧/١، الدرر ٨١/١، ٢٣/٢، ٨٦.

(١٠) البيت من بحر الطويل، لم أعتد لقائله، وهو في البحر المحيط ٦٨/٧.

(١١) البيت من بحر الطويل، قاله الأخطل، وهو في ديوانه ١٥٠ مجاز القرآن ٩٤/٢، معاني القرآن للفراء

٢/٢٩٠، أمالي ابن الشجري ١٥١/٢، ١٥٣، تفسير ابن عطية ١٩٥/١١، اللسان (عدا)، البحر

المحيط ٦٩/٧، ابن يعيش ٢٤/٢.

وقوله:

٣٩٥٧ - أَلَا يَا اسْقِيَانِي قَبْلَ خَيْلِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَايَا قُرْبَنٍ وَلَا تَذَرِي^(١)

وقوله:

٣٩٥٨ - أَلَا يَا اسْقِيَانِي قَبْلَ غَارَةِ سَنْجَالِ^(٢)

[وقوله:

٣٩٥٩ - فَقَالَتْ أَلَا يَا اسْمَعْ أَعْظَكَ بِخُطْبَةٍ وَقُلْتُ سَمِعْنَا فَانْطَقِي وَأَصِيبِي^(٣)]

وقد جاء ذلك وإن لم يكن قبلها «أَلَا»، كقوله:

٣٩٦٠ - يَا دَارَ هِنْدٍ يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي بِسَمْسَمٍ أَوْ عَن يَمِينِ سَمْسَمٍ^(٤)

فعلم أن قراءة الكسائي قوية، لكثرة دَوْرها في لغتهم، وقد سمع ذلك في الثَّر، سَمِعَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: أَلَا يَا اِرْحَمُونِي، أَلَا يَا تَصَدَّقُوا عَلَيْنَا^(٥)، وأما قوله:

٣٩٦١ - يَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سَمْعَانَ مِنْ جَارِ^(٦)

فيحتمل أن تكون «يَا» للنداء، والمنادى محذوف، وأن يكون للتنبيه، وهو الأرجح لِمَا مَرَّ. واعلم أنَّ الوقف عند الكسائي على «يَهْتَدُونَ» تام^(٧)، وله أن يقف على «أَلَا يَا» معاً، ويبتدئ «أَسْجُدُوا» بهمزة مضمومة. وله أن يقف على «أَلَا» وحدها^(٨)، وعلى «يَا»

(١) البيت من بحر الطويل، لم أهد إلى قائله، وهو في البحر المحيط ٦٩/٧.

(٢) صدر بيت من بحر الطويل، قاله الشماخ بن ضرار، وعجزه:

وقبل منايَا قد حضرن وآجال

وهو في ملحق ديوانه (٤٥٦) برواية:

أَلَا يَا أَصِيحَابِي قَبْلَ غَارَةِ سَنْجَالِ وَقَبْلَ مَنَايَا بَاكَرَاتٍ وَأَجَالِ

وهو في الكتاب ٢٢٤/٤، المقرب (٧٥)، ابن يعيش ١١٥/٨، معجم البلدان (سنجل)، اللسان (سنجل)، البحر المحيط ٦٨/٧، المغني ٣٧٣/٢، شرح شواهد ٧٩٦/٢. سنجال: قرية بأرمينية، وقيل: بأذربيجان.

(٣) البيت من بحر الطويل، قال النمر بن تولب، وروى: (نعظك بخطة) بدل (أعظك بخطبة)، (سمعا) بدل (سمعتا). وهو في معاني القرآن ٤٠٢/٢، ونوادر أبي زيد (١٩٢)، الكشف ١٥٨/٢، الإنصاف ١٠٢/١، أمالي ابن الشجري ١٥١/١، تفسير ابن عطية ١٩٦/١١ البحر المحيط ٦٩/٧.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) رجز قاله العجاج، وقيل: رؤية. وروي: يا دار سلمى. وهو في مجاز القرآن ٩٤/٢، الخصائص ٢/١٦٩، الإنصاف ١٠٢/٢، ابن يعيش ١٣/١٠، اللسان (سمم)، شرح شواهد الشافعية ٤٢٨/٤.

(٦) قال الفراء: (وسمعت بعض العرب يقول: أَلَا يَا اِرْحَمَانَا، أَلَا يَا تَصَدَّقَا عَلَيْنَا. قال: يعنيني وزميلي) معاني القرآن ٢٩٠/٢. وانظر البحر المحيط ٦٩/٧.

(٧) البيت من بحر البسيط مجهول القائل، وقد تقدم.

(٨) انظر منار الهدى في بيان الوقف والابتداء (٢٨٤). (٩) انظر الكشف ١٤٠/٣.

وحدها، لأنهما حرفان منفصلان، وهذان الوقفان وقفاً اختياري لا اختياري، لأنهما حرفان لا يتم معنهما إلا بما يتصلان به، وإنما فعله القراء امتحاناً وبياناً. فهذا^(١) توجيه قراءة الكسائي^(٢)، والخطب فيها سهل. وأما قراءة الباقيين فتحتاج إلى إمعان^(٣) نظر، وفيها أوجه كثيرة:

أحدها: أن «لَا» أصلها: أن لا، فَأَنْ ناصبة للفعل بعدها، ولذلك سقطت نون الرفع، و «لَا» بعدها حرف نفْي، وأن وما بعدها في موضع مفعول «يَهْتَدُونَ» على إسقاط الخافض أي: إلى أن لا يسجدوا، و «لَا» مزيدة^(٤) كزيادتها في: ﴿لَيْتَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]، والمعنى: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا.

الثاني^(٥): أنه بدل من «أَعْمَالُهُمْ»^(٦) وما بينهما اعتراض^(٧) تقديره: وزينَ لهم الشيطانُ عدم السجود لله.

الثالث: أنه بدل من «السَّبِيل» على زيادة «لَا» أيضاً، والتقدير: فَصَدَّهُمْ عن السجود لله^(٨).
الرابع: أن^(٩) «لَا يَسْجُدُوا» مفعولاً له، وفي متعلقه وجهان:
أحدهما: أنه «زَيْنَ» أي: زينَ لهم لأجل ألا يسجدوا.

والثاني: أنها متعلق بـ «صَدَّهُمْ»، أي: صَدَّهُمْ لأجل أن لا يسجدوا، وفي «لَا» حيثنَّ وجهان:

أحدهما: أنها ليست مزيدة (بل باقية على معناها من النفي).

والثاني: أنها مزيدة^(١٠) والمعنى: وزينَ لهم لأجل توقعه سجودهم، أو لأجل خوفه من سُجودهم، وعدم الزيادة أظهر^(١١).

الخامس: أنه خبراً مبتدأ مضمّر، وهذا المبتدأ إما أن يُقدَّر ضميراً عائداً على «أَعْمَالُهُمْ»، التقدير هي ألا يسجدوا^(١٢)، فتكون^(١٣) «لَا» على بابها من النفي، وإما أن

(١) في ب: فهنا. (٢) انظر إبراز المعاني (٤٢٣ - ٤٢٤).

(٣) في ب: ادوان. وهو تحريف.

(٤) انظر الكشف ١٥٧/٢، مشكل إعراب القرآن ١٤٧/٢، البيان ٢٢١/٢، التبيان ١٠٠٧/٢، البحر المحيط ٦٨/٧.

(٥) في ب: والثاني.

(٦) انظر الكشف ١٥٧/٢، مشكل إعراب القرآن ١٤٧/٢، البيان ٢٢١/٢، التبيان ١٠٠٧/٢، البحر المحيط ٦٨/٧.

(٧) انظر البحر المحيط ٦٨/٧.

(٨) انظر الكشف ١٥٨/٢، مشكل إعراب القرآن ١٤٧/٢، البيان ٢٢١/٢، التبيان ١٠٠٧/٢.

(٩) أن: سقط من ب. (١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) انظر البيان ١٠٠٧/٢.

(١٢) انظر البحر المحيط ٦٨/٧.

(١٣) في ب: فكيف يكون. وهو تحريف.

يُقَدَّر ضميراً عائداً على «السَّيْلِ»، التقدير: هو أن لا يسجدوا، فتكون «لا» مزيدة - على ما تقدم - ليصح المعنى.

وعلى الأوجه الأربعة المتقدمة لا يجوز الوقف على «يَهْتَدُونَ»، لأن ما بعده إما معمول له أو لِمَا قبله من «زَيْنَ» و «صَدَّ»، أو ^(١) بدل مما قبله أيضاً من «أَعْمَالَهُمْ» أو من «السَّيْلِ» على ما قُرِّرَ، بخلاف الوجه الخامس، فإنه ^(٢) مَبْنِيٌّ على مبتدأ مضمّر، وإن كان ذلك الضمير مفسراً بما سبق قبله، وقد كتبت «ألاً» موصولة غير مفصولة، فلم تُكْتَبْ «أَنَّ» منفصلة من «لا»، فمن ثَمَّ: امتنع أن يُوقَفَ هؤلاء في الابتلاء والامتحان على «أَنَّ» وحدها، لاتصالها بلا في الكتابة ^(٣)، بل يُوقَفَ لهم على «ألاً» بجملتها، كذا قال القراء والنحويون متى سئلوا ^(٤) عن مثل ذلك ^(٥) وقفوا لأجل البيان على كل كلمة على حدتها، لضرورة البيان، وكونها كُتِبَتْ متصلة بـ «لا» غير مانع من ذلك. ثَمَّ قول القراء: كتبت ^(٦) متصلة فيه تجوُّز وتسامح، لأن حقيقة هذا أن يَثْبُتُوا صورة نُونٍ ويصلونها بلا، فيكتبونها «أثلاً»، ولكن لما أدغمت فيما بعدها لفظاً، وذهب لفظها إلى لفظ ما بعدها قالوا ذلك تسامحاً. وقد رَتَّبَ أبو إسحاق على القراءتين حُكْماً، وهو وجوب سجود التلاوة وعدمه، فَأَوْجَبَهُ مع قراءة الكسائي، وكأنه ^(٧) لأجل الأمر به، ولم يوجب في قراءة الباقيين لعدم وجود الأمر فيها ^(٨)، إلاَّ أَنَّ الزمخشري لم يرتضه منه ^(٩)، فإنه قال: فَإِنْ قُلْتَ: أَسْجَدَةُ التلاوة واجبة في القراءتين جميعاً أو في واحدة منهما؟ قُلْتَ: هي واجبة فيهما ^(١٠)، وإحدى القراءتين أمر بالسجود والأخرى ذم للترك ^(١١)، وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد مرجوع ^(١٢) إليه.

قال شهاب الدين: وكان الزجاج أخذ بظاهر الأمر، وظاهره الوجوب وهذا لو خُلينا

(١) أو: سقط من ب. (٢) في ب: أنه.

(٣) في ب: الكفارة. وهو تحريف. (٤) في ب: ييسلوا. وهو تحريف.

(٥) انظر إبراز المعاني (٤٢٢ - ٤٢٣). (٦) كتبت: سقط من ب.

(٧) في ب: كأنه.

(٨) قال الزجاج: (ومن قرأ بالتخفيف فهو موضع سجدة من القرآن، ومن قرأ «ألا يسجدوا» - بالتشديد - فليس بموضع سجدة) معاني القرآن وإعرابه ١١٥/٤، وسبق إلى ذلك الفراء فإنه قال: (ومن قرأ «ألا يسجدوا» فشدد فلا ينبغي لها أن تكون سجدة، لأن المعنى: زين لهم الشيطان ألا يسجدوا، والله أعلم بذلك) معاني القرآن ٢٩٠/٢.

(٩) في ب: فيه.

(١٠) في الكشف: فيهما جميعاً، لأن مواضع السجدة إما أمر بها، أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها. (١١) الكشف ١٤٠/٣، وبين هذه العبارة والعبارة التالية في الكشف: وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن سجدة القرآن أربع عشرة، وإنما اختلف في سجدة (ص) فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر، وفي سجدتي سورة الحج.

(١٢) الكشف ١٤٠/٣.

الآية لكان السُّجُودُ واجباً، ولكن دَلَّتْ السُّنَّةُ على استحبابه دون وجوبه، على أننا نقول: هذا مبنيٌّ على نظر آخر، وهو أنَّ هذا الأمر من كلام الله تعالى أو من كلام الهدهد محكيًا عنه، فإن كان من كلام الله تعالى فيقال: يقتضي الوجوب إلا أنَّ يجيء دليل يصرفه عن ظاهره، وإن كان من كلام الهدهد - وهو الظاهر - ففي انتهاضه دليلاً نظر^(١)، وهذا الذي ذكره ليس بشيء، لأنَّ المراد بالسجود ههنا عبادة الله لا عبادة الشمس، وعبادة الله واجبة وليس المراد من الآية سجود التلاوة، وأين^(٢) كانت التلاوة في زمن سليمان عليه السلام^(٣) ولم يكن ثم قرآن.

وقرأ الأعمش «هَلَاً» و «هَلَاً» بقلب الهمزة هاء مع تشديد «لَا». وتخفيفها، وكذا هي في مصحف عبد الله^(٤)، (وقرأ عبد الله)^(٥) «تَسْجُدُونَ» بقاء الخطاب ونون الرفع^(٦)، وقرئ كذلك بالياء من تحت^(٧)، فَمَنْ أَثَبَّتْ نون الرفع فـ «لَا» بالتشديد أو التخفيف للتحضيض، وقد تكون المخففة للعرض^(٨) أيضاً نحو ألا تنزل عندنا فتحدث، وفي حرف عبد الله أيضاً «لَا هَلْ تَسْجُدُونَ» بالخطاب^(٩). قوله: «الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ» يجوز أن يكون مجرور المحل نعتاً «لله» أو بدلاً منه أو بياناً، و^(١٠) منصوبة على المدح، ومرفوعة على خبر ابتداءٍ مضمرة. و «الْخَبَاءَ» مصدر خَبَأْتُ الشيء أَخْبُوهُ خَبْئاً أي: سَتَرْتُهُ^(١١)، ثم أُطْلِقَ على الشيء الْمَخْبُوءِ وَنَحْوَهُ «هَذَا خَلَقَ اللَّهُ»^(١٢) [لقمان: ١١] قال المفسرون: الْخَبَاءُ فِي السَّمَوَاتِ الْمَطَرُ، وفي الأرض النبات^(١٣)، وَالْخَابِئَةُ^(١٤) من هذا إلا أَنَّهُم التزموا فيها ترك الهمزة كالبَرِيَّةِ وَالذَّرِيَّةِ عند بعضهم^(١٥). وقيل: الْخَبَاءُ الْغَيْبُ أي: يعلم

(١) الدر المصون ١٩٠/٥. (٢) في ب: وأن. وهو تحريف.

(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٤) المختصر (١٠٩)، الكشف ١٤٠/٣، تفسير ابن عطية ١٩٦/١١ - ١٩٧، البحر المحيط ٦٨/٧.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٩٠/٢، الكشف ١٤٠/٣، البحر المحيط ٦٨/٧.

(٧) وهي قراءة الأعمش. انظر البحر المحيط ٦٨/٧.

(٨) والعرض والتحضيض معناهما: طلب الشيء، لكن العرض طلب بلين، والتحضيض طلب بحث، وتختص (ألا) هذه بالفعلية. انظر المغني ٦٩/١، ٧٤.

(٩) تفسير ابن عطية ١٩٧/١١، البحر المحيط ٦٨/٧.

(١٠) في ب: أو. (١١) انظر اللسان (خبأ).

(١٢) أي: مخلوقة، فالمصدر بمعنى اسم المفعول.

(١٣) انظر البغوي ٢٧٤/٦.

(١٤) الخابية: الحب، أصلها الهمز من خَبَأْتُ، إلا أن العرب تركت همزه، قال أبو منصور: تركت العرب الهمز في أخبيت وخبيت وفي الخابية، لأنها كثرت في كلامهم، فاستقلوا الهمز فيها. انظر اللسان (خبأ).

(١٥) انظر لسان العرب (برأ).

غيب السموات والأرض^(١)، وقرأ أبي وعيسى «الْحَبَّ»^(٢) بنقل حركة الهمزة إلى الباء وحذف الهمزة فيصير نحو: رأيت لَبَّ^(٣)، وقرأ عبد الله وعكرمة ومالك بن دينار «الْحَبَّا» بألف صريحة^(٤)، وجهها أنه أبدل الهمزة ألفاً فلزم تحريك الباء، وذلك على لغة من يقف من العرب بإبدال الهمزة حرفاً يجانس حركتها، فيقول: هذا الْحَبُّ^(٥)، ورأيت الخبا، ومررت بالخبي^(٦)، ثم أجزى الوضْلُ مَجْرَى الْوَفْقِ^(٧)، وقيل: إنه لما نُقِلَ حركة الهمزة إلى الساكن قبلها لم^(٨) يحذفها بل تركها، فَسَكَنْتَ بعد فتحة فُذِبِرَتْ بحركة ما قبلها، وهي لغة ثابتة، يقولون: المرأة والكماة بألف مكان الهمزة بهذه الطريقة^(٩). وقد طعن أبو حاتم على هذه القراءة وقال^(١٠): لا يجوز في العربية، لأنه إن حذف الهمزة أَلْقَى^(١١) حركتها على الباء، فقال الْحَبَّ، وإن حوَّلها قال الْحَبِّي، بسكون الباء وياء بعدها^(١٢).

قال المبرد: كان أبو حاتم دون أصحابه في النحو، لم يَلْحَقْ بهم إلا أنه إذا خرج من بلدهم لم يلق أَعْلَمَ منه^(١٣).

قوله: «فِي السَّمَوَاتِ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بـ «الْحَبَّ»، أي: الْمَحْبُوءُ فِي السَّمَوَاتِ^(١٤).

والثاني: أنه متعلق بـ «يُخْرِجُ» على أَنَّ معنى (في) بمعنى (من)، أي: يخرجهم من السموات، و «مِنْ» و «فِي» يتعاقبان^(١٥)، يقول العرب: لأستخرجن العلم فيكم، أي منكم - قاله الفراء^(١٦) -، وقرأ عبد الله: «يُخْرِجُ الْحَبَّ مِنَ السَّمَوَاتِ»^(١٧).

قوله: «مَا تُخْفُونَ» قرأ الكسائي وحفص بالتاء من فوق فيهما^(١٨)، والباقون بالياء

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٩١، البغوي ٦/٢٧٤.

(٢) المختصر (١٠٩)، تفسير ابن عطية ١١/١٩٧، البحر المحيط ٧/٦٩.

(٣) في النسختين: الأَب.

(٤) المختصر (١٠٩)، تفسير ابن عطية ١١/١٩٧، البحر المحيط ٧/٦٩.

(٥) في ب: الخبا. وهو تحريف. (٦) انظر شرح الشافعية ٢/٣١٢ - ٣١٣.

(٧) انظر الكشف ٣/١٤٠، البحر المحيط ٧/٤٨.

(٨) في ب: ولم.

(٩) انظر الكتاب ٣/٥٤٥، وشرح الشافعية ٣/٤١، والبحر المحيط ٧/٦٩.

(١٠) في ب: فقال. (١١) في ب: التي. وهو تحريف.

(١٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/٢٠٧، القرطبي ١٣/١٨٨، البحر المحيط ٧/٦٩.

(١٣) المراجع السابقة. (١٤) واستظهره أبو حيان. انظر البحر المحيط ٧/٦٩.

(١٥) في ب: متعاقبان يخرج.

(١٦) قال الفراء: (وهي في قراءة عبد الله «يخرج الخبء من السموات» وصلحت (في) مكان (من) لأنك تقول: لأستخرجن العلم الذي فيكم منكم، ثم تحذف أيهما شئت أعني: (من) و (في) فيكون المعنى قائماً على حاله) معاني القرآن ٢/٢٩١.

(١٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٩١. (١٨) في ب: فيها. والمقصود بقوله (فيهما): «تخفون، وتعلنون».

من تحت^(١)، فالخطاب ظاهر على قراءة الكسائي، لأن ما قبله أمرهم بالسجود وخطابهم به والغيبة على قراءة الباقيين غير حفص ظاهرة أيضاً، لتقدم الضمائر الغائبة في قوله: «لَهُمْ»، و «أَعْمَالُهُمْ» و «صَدَّهُمْ» و «فَهُمْ» وأما قراءة حفص فتأويلها أنه خرج إلى خطاب الحاضرين بعد أن أتم قصة أهل سبأ، ويجوز أن يكون التفتاً على أنه نزل الغائب منزلة الحاضر، فخطابه ملتفتاً إليه^(٢).

وقال ابن عطية: القراءة بياء الغيبة تُعْطِي أَنَّ الآية من كلام الهدهد، وبتاء الخطاب تعطي أنها من خطاب الله لأمة محمد - ﷺ -^(٣) - وقد تقدم أن الظاهر أنه^(٤) من كلام الهدهد مطلقاً، وكذلك الخلاف في:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَذَا فَأَلْفَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْأَيُّ الْمَلَأِ إِنِّي أُلْفِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» هل هو من كلام الهدهد استدراكاً منه لما وصف عرش بلقيس بالعظم، أو من كلام الله تعالى ردّاً عليه في وصفه عرشها بالعظم. والعامّة على جر «العظيم» تابعاً للجلالة، وابن محيصن^(٥) بالرفع^(٦) وهو يحتمل وجهين: أن يكون نعتاً للرب، وأن يكون مقطوعاً عن تبعيّة «العرش» إلى الرفع بإضمار مبتدأ^(٧).

فصل

دلّ قوله: «يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» (على كمال القدرة، وسمي المخبوء بالمصدر ليتناول جميع الأرزاق والأموال، فدلّ قوله: «وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ»)^(٨) على كمال العلم، وإذا كان قادراً على كل المقدرات عالماً بكل المعلومات، وجب^(٩) أن يكون إلهاً، والشمس ليست كذلك، فلا تكون إلهاً، وإذا لم تكن إلهاً، لم تستحق العبادة^(١٠). فإن قيل: إن إبراهيم وموسى عليهما السلام^(١١) قدما دلالة الأنفس على دلالة الآفاق، فإن^(١٢) إبراهيم قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ثم

(١) السبعة (٤٨١)، الكشف ١٥٨/٢، النشر ٣٣٧/٢، الإنحاف (٣٣٦).

(٢) انظر الكشف ١٥٨/٢ - ١٥٩، البحر المحيط ٦٩/٧ - ٧٠.

(٣) تفسير ابن عطية ١٩٨/١١. (٤) أنه: سقط من ب.

(٥) في ب: وابن عمر. وهو تحريف.

(٦) المختصر (١٠٩)، البحر المحيط ٧٠/٧، الإنحاف (٣٣٦).

(٧) وعليه تستوي قراءته وقراءة الجمهور في المعنى. انظر البحر المحيط ٧٠/٧.

(٨) ما بين القوسين سقط من الأصل. (٩) في ب: ويجب.

(١٠) انظر الفخر الرازي ١٩٢/٢٤. (١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٢) في ب: قال.

قال^(١): ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَنِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وموسى - عليه السلام^(٢) - قال ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]، ثم قال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨] وههنا قدم خبأ السموات على خبأ الأرض، فجوابه: أن إبراهيم وموسى ناظرا من ادعى إلهية البشر، فابتداء بإبطال إلهية البشر، ثم انتقلا إلى إلهية السماء، وههنا الكلام مع^(٣) من ادعى إلهية الشمس، لقوله^(٤) ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤] فلا جرم ابتداء بذكر السماويات، ثم بالأرضيات^(٥). قوله: «أَصْدَقْتُ أَمْ كُنْتُ» الجملة الاستفهامية في محل نصب بـ «نَنْظُرُ»^(٦)، لأنها مُعلقة لها، و «أَمْ» هنا متصلة، وقوله: «أَمْ كُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ» أبلغ من قوله: «أَمْ كَذَبْتُ» - وإن كان هو الأصل - لأنَّ المعنى من الذين اتصفوا وانخرطوا في سلك الكاذبين^(٧). وقوله: «سَتَنْظُرُ» من النظر الذي هو التأمل. قوله: «هَذَا» يجوز أن يكون صفة لـ «كِتَابِي» أو بدلا منه أو بيانا له.

قال المفسرون: إن سليمان - عليه السلام^(٨) - كتب كتاباً فيه: «من عند سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السَّلامُ على من اتَّبَعَ الْهُدَى، أما بعد، أَلَا تَغْلُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ»^(٩). قال ابن جريج: لم يزد سليمان على ما قصه الله^(١٠) في كتابه، ثم ختمه بخاتمه، ثم قال للهدد: «أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ»^(١١). قوله: «فَأَلْقِهِ»، قرأ أبو عمرو وحزمة وأبو بكر بإسكان الهاء، وقالون بكسرها فقط من غير صلة بلا خلاف عنه، وهشام عنه وجهان: القصر والصلة^(١٢)، والباقون بالصلة بلا خلاف، وتقدم توجيه ذلك في «آل عمران» و «النساء» وغيرهما^(١٣)، عند «يُؤَوِّدُهُ» إِلَيْكَ [آل عمران: ٧٥] و «نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى»^(١٤). وقرأ مسلم بن جندب^(١٥) بضم الهاء موصولة بواو «فَأَلْقَهُو إِلَيْهِمْ»^(١٦)، وقد تقدم أن الضم الأصل، وقال «إِلَيْهِمْ» - على لفظ

(١) في ب: أن. (٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) في ب: سبع. وهو تحريف. (٤) في النسختين: رأيتها. والصواب ما أثبت.

(٥) انظر الفخر الرازي ١٩٢/٢٤ - ١٩٣.

(٦) لأنه من النظر الذي هو التأمل والتصفح. انظر البحر المحيط ٧٠/٧.

(٧) انظر الكشف ١٤١/٣. (٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٩) انظر البغوي ٢٧٥/٦. (١٠) لفظ الجلالة سقط من ب.

(١١) انظر البغوي ٢٧٥/٦.

(١٢) المراد بالصلة: إشباع حركة الهاء. السبعة (٤٨١)، الكشف ١٥٩/٢، الإتحاف (٣٣٦).

(١٣) في سورة النور عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيُتَّقِهِ﴾ [النور: ٥٢].

(١٤) من قوله تعالى: ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَفُضِّلَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١١٥]. انظر اللباب ١٦٠/٣.

(١٥) هو مسلم بن جندب أبو عبد الله الهذلي مولاهم، المدني القاص، تابعي مشهور، عرض على عبد

الله بن عياش وعرض عليه نافع وغيره، مات حوالي سنة ١١٠ هـ. طبقات القراء ٢٩٧/٢.

(١٦) المختصر (١٠٩)، البحر المحيط ٧٠/٧.

الجمع - لأنه قال: ﴿وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ﴾ [النمل: ٢٤] والمعنى: فألقه إلى الذين هذا دينهم^(١).

قوله: «ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ»، زعم أبو علي وغيره أن في الكلام تقديمًا، وأن الأصل: فانظر ماذا يرجعون، ثم تولى عنهم^(٢). ولا حاجة إلى هذا، لأن المعنى بدونه صحيح، أي: قف قريباً منهم^(٣) لتتظر^(٤) ماذا يكون^(٥).

قوله: «مَاذَا يَرْجِعُونَ» إن جعلنا (انظر) بمعنى: تأمل وتفكر كانت «ما» استفهامية، وفيها حيتنٌ وجهان:

أحدهما: أن يجعل مع «ذا» بمنزلة اسم واحد، وتكون مفعولة بـ «يرجعون» تقديره: أي شيء ترجعون.

والثاني: أن يجعل «ما» مبتدأ، و «ذا» بمعنى الذي، و «يرجعون» صلتها، وعائدها محذوف تقديره: أي شيء الذي يرجعونه، وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية، وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية مُعلّقة لـ «انظر»، فمحّلها النصب على إسقاط الخافض أي: انظر في كذا وفكر فيه وإن جعلناه بمعنى انتظر من قوله ﴿أَنْظُرُونَا نَقْشَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] كانت «مَاذَا» بمعنى الذي، (و «يَرْجِعُونَ» صلتها وعائدها محذوف)^(٦)، والعائد مقدّر كما تقرر وهذا الموصول مفعول به، أي: انتظر الذي يرجعون. قال^(٧) أبو حيان: و «ماذا»^(٨) إن كان معنى^(٩) «فانظر» معنى التأمل بالفكر كان انظر معلقاً، و «ماذا» إما^(١٠) أن يكون كلمة^(١١) استفهام في موضع نصب، وإما أن يكون «ما» استفهاماً، و «ذا» موصولة بمعنى الذي، فعلى الأول يكون «يرجعون» خبراً عن «ماذا»، وعلى الثاني يكون «ذا» هو الخبر، و «يرجعون» صلة^(١٢) انتهى.

وهذا غلط إما من الكاتب، وإما من غيره؛ وذلك أن قوله: «فعلى الأول» يعني به أن «ماذا» كلمة^(١٣) استفهام في موضع^(١٤) نصب يمنع قوله: «يَرْجِعُونَ» خبراً^(١٥) عن «ماذا»، كيف يكون خبراً عنه وهو منصوب به كما تقرر، وقد صرح هو بأنه منصوب يعني

(١) انظر الفخر الرازي ١٩٣/٢٤.

(٢) نقله أبو حيان عن ابن زيد وأبي علي. انظر البحر المحيط ٧٠/٧.

(٣) منهم: سقط من ب.

(٤) في ب: انتظر.

(٥) ما بين القوسين في ب: و «يرجعون» صلة.

(٦) انظر البحر المحيط ٧٠/٧.

(٧) في ب: وقال.

(٨) في ب: وما. وهو تحريف.

(٩) في ب: بمعنى.

(١٠) إما: سقط من ب.

(١١) في الأصل: كله.

(١٢) البحر المحيط ٧٠/٧ - ٧١.

(١٣) في الأصل: كله.

(١٤) في ب: بهمز. وهو تحريف.

بما بعده ولا يعمل فيه ما قبله، وهذا نظير ما تقدم في آخر السورة قبلها في قوله: ﴿وَسِعَ الْعَرْشُ كُلَّ شَيْءٍ يُدْرِكُ أَثَرَهُ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] في كون اسم الاستفهام معمولاً لما بعده، وهو معلق لما قبله، فكما حكمت على الجملة من «يَنْقَلِبُونَ»^(١) وما اشتملت عليه من اسم الاستفهام المعمول لها بالنصب على سبيل التعليق، كذلك يحكم على «يَرْجِعُونَ» فكيف تقول: إنها خبر؟

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتَوْهُ مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٌ فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)﴾

قوله: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ» العامة على كسر الهمزتين على الاستئناف جواباً لسؤال قومها، كأنهم قالوا: ممن الكتاب؟ وما فيه؟ فأجابتهم بالجوابين^(٢). وقرأ عبد الله: «وإِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ» بزيادة واو عاطفة «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ» على قوله: «إِنِّي أُلْقِي إِلَيْهِ»^(٣). وقرأ عكرمة وابن أبي عتبة بفتح الهمزتين، صرح بذلك الزمخشري^(٤) وغيره^(٥). ولم يذكر أبو البقاء إلا الكسر في «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ» وكأنه سكت عن الثانية، لأنها معطوفة على الأولى^(٦)، وفي تخريج الفتح فيهما أوجه:

أحدهما: أنه بدل من «كِتَاب»^(٧) بدل اشتمال، أو بدل كل من كل، كأنه قيل: ألقى إليّ أنه من سليمان^(٨)، وأنه كذا وكذا، وهذا هو الأصح.

والثاني: أنه مرفوع بـ «كَرِيم» ذكره أبو البقاء^(٩).

الثالث: أنه على إسقاط حرف العلة.

قال الزمخشري: ويجوز أن يريد لأنه من سليمان ولأنه، كأنها عللت كرمه بكونه

(١) في ب: منقلبون. وهو تحريف.

(٢) انظر الكشف ١٤١/٣.

(٣) انظر الكشف ١٤١/٣، البحر المحيط ٧٢/٧.

(٤) نص على ذلك الزمخشري دون عزو إلى قارئ معين فإنه قال: (وقرىء «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَأَنَّ» بالفتح) الكشف ١٤١/٣.

(٥) انظر المختصر لابن خالويه (١٠٩) حيث عزاها إلى عكرمة فقط، وعزاها أبو حيان إلى من نص عليه ابن عادل. البحر المحيط ٧٢/٧، وأجاز الفراء الفتح ولم ينص على أنها قراءة، معاني القرآن ٢/٢٩١.

(٦) قال أبو البقاء: (قوله تعالى: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ» بالكسر على الاستئناف وبالفتح بدلاً من «كِتَاب» أو مرفوع بـ «كَرِيم») التبيان ٢/١٠٠٨.

(٧) انظر الكشف ١٤١/٣، التبيان ٢/١٠٠٨.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٩١. (٩) انظر التبيان ٢/١٠٠٨.

من سليمان وتصديره باسم الله^(١). وقال مكّي: وأجاز الفراء الفتح فيهما في الكلام، كأنه لم يطلع على أنها قراءة^(٢) وقرأ أبي: أن من سليمان وأن بسم الله بسكون النون فيهما^(٣)، وفيها وجهان:

أظهرهما: أنها «أن» المفسرة، لتقدم ما هو بمعنى القول^(٤).

والثاني: أنها المخففة^(٥) واسمها محذوف، وهذا لا يتمشى على أصول البصريين؛ لأن اسمها لا يكون إلا ضمير شأن وضمير الشأن لا يفسر إلا بجمله مصرح بجزيئها^(٦).

فصل

قال المفسرون: أخذ الهدهد هذا الكتاب، وأتى به إلى^(٧) بلقيس، وكان بأرض يقال لها: «مأرب» من صنعاء، فرمى بالكتاب^(٨) إليها، فأخذته بلقيس، وكانت قارئة، ومن ثم اتخذ^(٩) الناس البطائق، فلما رأت الخاتم أرعدت وخضعت، لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها، لطاعة الطير وهيبة الخاتم، فقرأت^(١٠) الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد، فقعدت على سرير ملكها، وجمعت الملاً من قومها، وقالت لهم: «إِنِّي أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ كِتَابَ كَرِيمٍ»^(١١). قال عطاء والضحاك: سمته كريماً، لأنه كان محتوماً^(١٢).

وروى^(١٣) ابن عباس عن النبي - ﷺ - قال: «كرمه ختمه»^(١٤). وقال مقاتل والزجاج: كريم أي: حسن ما فيه^(١٥)، وروي عن ابن عباس أي: شريف لشرف صاحبه^(١٦).

وقيل سمته كريماً، لأنه مصدر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»^(١٧)، ثم بينت ممن الكتاب، فقالت: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ»، وبينت المكتوب فقالت: «وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». فإن قيل: لم قدم سليمان اسمه على قوله: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»؟

(١) الكشاف ١٤١/٣، وقال الفراء: (وإن شئت كانا في موضع نصب لسقوط الخافض منهما) معاني القرآن ٢٩١/٢.

(٢) مشكل إعراب القرآن ١٤٨/٢.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٩١/٢، المختصر (١٠٩)، الكشاف ١٤١/٣، البحر المحيط ٧٢/٧.

(٤) انظر الكشاف ١٤١/٣، البحر المحيط ٧٢/٧.

(٥) انظر البحر المحيط ٧٢/٧. (٦) انظر الهمع ١٤٢/١.

(٧) إلى: سقط من ب. (٨) في ب: الكتاب.

(٩) في ب: أخذ. (١٠) في ب: فقراً. وهو تحريف.

(١١) انظر البغوي ٢٧٦/٦. (١٢) المرجع السابق.

(١٣) في ب: وروى عن. (١٤) انظر البغوي ٢٧٦/٦.

(١٥) معاني القرآن وإعرابه ١١٧/٤. (١٦) انظر البغوي ٢٧٦/٦.

(١٧) المرجع السابق.

فالجواب: حاشاه من ذلك، بل ابتداء الكتاب بـ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وإنما كتب اسمه عنواناً بعد ختمه، لأن بلقيس إنما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه كما هو المعمود، ولذلك قالت^(١): «إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، أي: إن^(٢) الكتاب... فالتقديم واقع في حكاية الحال^(٣). واعلم أن قوله: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» مشتمل على إثبات الصانع سبحانه، وإثبات كونه عالماً قادراً^(٤) حياً مريداً حكيماً^(٥) رحيماً^(٦).

فصل (٧)

وقد استنبط الشيخ الإمام العالم شرف الدين محمد بن سعيد الشهير بالبوصيري^(٨) من أسرار البسملة ما أبطل به مذهب النصاري، فقال: بلغني أن بعض النصاري انتصر لدينه، وانتزع من البسملة الشريفة دليلاً على تقوية اعتقاده في المسيح وصحة يقينه فقلب حروفها ونكر^(٩) معروفها وفرق مألوفها وقدم فيها وأخر وفكر وقدر فقتل كيف قدر، ثم عبس وبسر، ثم أدير واستكبر، فقال: قد انتظم من البسملة: «المسيح ابن الله المحرر»، وظن^(١٠) ذلك سرّاً في قلب البسملة مضمرّاً، وعلى جبين الكتاب العزيز مسطراً، فنظرت إلى ما عزاه إلى البسملة واستخرجه من حروفها المستعملة والمهملة فإذا هو: «لا ما المسيح ابن الله محرر»، فأسقط في يده^(١١)، ونكص على عقبيه، وقامت حجته من لسانه عليه، ثم عاد إليّ رسوله يخبر أن الذي صح له نظمه وتمت^(١٢) عنده منها حكمه: «ألم المسيح ابن الله محرراً»، فقلت: ورسّل الله كلهم ألبوا وأنبأوه، فأى خصوصية لربك بالنبوة، وأى رتبة زدت بها على النبوة، فقال: أردت بالألم إثبات ما أنكرته من الصلب، ونفيته عنه من ألم الطعن والضرب، وقد شهدت به كتب الله المنزلة، وشافهتك به حروف البسملة، فقلت: وهل شهدت لك إلا بالنقيض، ورحت منها بأخيب قداح المفيض^(١٣)، وحيث رضيت البسملة بيننا وبينك حكماً وجوزت منها أحكاماً عليك وحكماً، فلتنصرون البسملة الأخيار منا على الأشرار، ولتفضلن أصحاب الجنة على أصحاب النار، وحيث كان مقصودك من ذكر الألم الإفصاح عما أردته من الصلب والطعن والضرب والثلب

(١) في ب: قال. وهو تحريف.

(٢) إن: سقط من ب.

(٣) انظر الفخر الرازي ١٩٤/٢٤.

(٤) في ب: حكماً.

(٥) في الأصل: قوله.

(٦) في ب: حكماً.

(٧) في الأصل: قوله.

(٨) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين شاعر حسن الديباجة

مليح المعاني نسبته إلى بوصير له ديوان شعر وأشهر شعره البردة، والهمزية. مات سنة ٦٩٦ هـ

بالاسكندرية. الاعلام ١٣٩/٦.

(٩) في ب: وأنكر.

(١٠) في النسختين: وظن أن، والصواب ما أثبت.

(١١) في ب: يديه.

(١٢) في ب: ثبت.

(١٣) أفاض الرجل بالقداح إفاضاً: ضرب بها لأنها تقع منبثة متفرقة. اللسان (فيض).

وسقيه من الخل الممزوج بالمرار يئس الشراب فخذ الجواب عنه، والله الموفق^(١) للصواب: أما دعواك النبوة فقد قالت لك البسمة بلسان حالها: لا ما المسيح ابن الله محرر، وألحقته بقولها: الحلم ربح رأس المال، لحملة الإيمان، الحلم^(٢) ربح رأس مال^(٣) الإيمان، ليس بزأ من أخل ما حرم الله، المسلم له نبي حرم الراح لنبيه^(٤)، سلم بالله من يحرم الراح، لله نبي مسلم حرم الراح، المسلم للرحمانية رابع، لا مرحمة للثام أبناء السحرة^(٥)، رحم حر مسلم أناب إلى الله، إنما الله رب للمسيح راحم. وزعمت أنه ربك، فقالت: حرم من لا رب له إلا المسيح، وقالت أيضاً: النحر لأُم لها المسيح رب، وقلت: إنه حمل الله، فقالت: أسمى الله^(٦) ابن المحرر حملاً، وقالت ما أسلم الرب حملة يسخر، وقالت: ألا يحرس الرب حملة من ألم؟ وقلت^(٧): إنه ألم، فقالت المحرر من ربه حل الألم، وقالت: سل حمراً أريهم يحل الألم؟ وقالت: حرم حمار ينسب لله الألم، وقلت: إنه طعن بالحرية مسمراً، فقالت: من رأى المسيح ألم للحرية، وقالت: إن رباً حلل مسمره لحليم، وقالت: أحال ربنا الحليم مسمره؟ وقالت: أمحال الرب الحي من سمه، وقلت: إنه^(٨) إله يحلل ويحرم، فقالت: ابن سليل رحم لا إله محرم، وقالت: سل ابن مريم أحل الحرام، وقالت: أمحلل^(٩) لم حرمه رب الناس، وإن قلت: إنه رسول صدقتك، وقالت: أيل أرسل الرحمة من بلحم ويرحمه؛ أيل اسم من أسماء الله تعالى بلسان كتبهم وترجمة بلحم «بيت لحم» الذي ولد في المسيح. وقلت: إنه ركب الحمار، فقالت: سلم أن الرب لا يحمله حمار، وقالت للناس: رب لم يحمله حمار، وباهيتها ببسملتك التي لفقها الفلاسفة للأساقفة، فقالت لم نر أخبار الملة المسيح، وقالت: أخبار الملة^(١٠) محل مرسلين، وقالت: ما حرر إلا^(١١) المسيح الأمانة وقلت: إن النصارى لا تمسهم النار، فقالت: حر لهب النار لأُم المسيح، وكرهت الإسلام، فقالت للإسلام بحر ما أحلى نميره، الإسلام بحر حلالي منهمر، حلا الإسلام لمحرره بإيمان، وقالت: من حرم الإسلام لا ربح له، وقالت: إن المسلم لحري بالرحمة، وقالت: ما برح الله راحم المسلمين، وقالت: إن ملة الإسلام لحرم رحيب، وقالت: لا راحة لمحارب المسلمين، وقالت: الإسلام حرم لا رأي لمحاربه. وقالت: المسلم حرب للنار الحامية، وقالت: حن المسلم إلى رحمة الرب، وقالت: الأخبار رحمة للمسلمين، وقالت: المحارب راحة للمسلمين، ونَقِمْتُ قيام الدين بالسيف، فقالت: أم الحسام للنبي الرحمة، وأثنت البسمة على نفسها فقالت: البسمة لأرحم

(١) في ب: الموافق.

(٢) في ب: الحكم.

(٣) في ب: ماله.

(٤) في ب: حرم الراح المسلم حرم الراح لنبيه.

(٥) في ب: الملة المسيح.

(٦) في ب: السحر.

(٧) في ب: الله.

(٨) في الأصل إن، والأنسب ما أثبت.

(٩) في ب: المحلل.

(١٠) في ب: ما.

الراحمين، وقالت: الحرُّ ينال الرحمة^(١) ما بيسمل. فانظر^(٢) إلى البسملة قد لاحت لك بارقة من أنوارها وحلت لك عقدة من إزار أسرارها تخبر أن من وراء رجلها خيولاً وليوثاً، ومن دون طلبها سيولاً وغيوثاً، وأما بيسملتك فلو كان على أصل ثابت، أو لم تغرس من الكفر على أخبث المنابت، لهززت إليك بجذعها، واستدللت على طيب أصلها بخير فروعها، لكنني وجدتها شجرة خبيثة، وثمرة لا تسوغها القديمة ولا الحديثة، ألفاظها تصم الأسماع ومعانيها تحل عقود الإجماع، والنظر فيها يصدىء الأفهام والعقول، ويعلم كل غائب ما يقول، ولذلك^(٣) ضربت عن ذكرها صفحاً، وعددت الإعراض عنها غنيمةً وربحاً، فكفرها قائم وقاعد، والمعترف بها سواء والجاحد، والثلاثة الآلهة فيها يوصفون بالواحد، وأما بسملة المسلمين: فإن الله أودعها من العلوم والحكم ما فضلهم به على سائر الأمم، وأعلم أن منها ألفات اختصرت، وبين الهجاء مواضعها غابت أو حضرت، وقد استعملت بعضها في بعض المواضع؛ لأبين حكمها وأحيي رسمها، وصرفت للمسألتين، وصارت كعبة فضلها للقبلتين، وتارة توافق حروفها في العدد والعادة، وتارة تقضي على ألفات الوصل بالزيادة، وما أخطأت - بحمد الله - منها واحدة^(٤) صواباً، ولا عيبت جواباً ولا خرجت عن حدها^(٥) كتابة ولا حساباً، ولا تحسبني استحسنت كلمتك الباردة^(٦)، فنسجت على منوالها، وقابلت الواحدة منها بعشر أمثالها، وما كان ذلك الهذيان مما يُجاب، لولا ما يداخلك من التيه والإعجاب، فتظن أنك جئت بشيء عجاب، أو حكمة كلمك الله بها وحياً أو من وراء حجاب، وتقول لإخوانك الذين يمدونك في الغي ويحسبون أنك^(٧) على شيء: قد أفحمت بكلمتي المسلمين، وأسكت بمسألتي فضلاء المتكلمين، فندر قومك في طغيانهم، وقرهم على فساد إيمانهم، ولا أنت ممن يجري بمحاكاة كفرك قلبي^(٨)، ولا أحرك به لساني، ولا أفغر به فمي، وقد أتيتك بما يتبعك فيبهتك ويسمعك ما يصمك عن الإجابة، ويصمك على أسلوب رأيته في كتب أنبيائك، وتفسير علمائك تعلم به أن هذه البسملة مستقر لسائر العلوم والفنون، ومستودع لجوهر سرها المكنون، ألا ترى أن البسملة إذا حصلت جملها^(٩) كان عدده^(١٠) سبعمائة وستة وثمانين ب، س، م، ا، ل، ل، ل، هـ، ا، ل، ر، ح، م، ن، ا، ل، ر، ح، ي، م، ٢، ٦٠، ٤٠، ١، ٣٠، ٣٠، ٥، ١، ٣٠، ٢٠٠، ٨، ٤٠، ٥٠، ١، ٣٠، ٢٠٠، ٨، ١٠، ٤٠ وإذا قلت إن مثل عيسى كآدم^(١١) وافق

(١) الرحمة: سقط من ب.

(٢) في ب: قوله فانظر.

(٣) في ب: كذلك.

(٤) في ب: واحدة منها.

(٥) في ب: عدداً.

(٦) في ب: الباردة.

(٧) في ب: ويحسبونك.

(٨) في ب: قلبي.

(٩) في ب: جملتها.

(١٠) في ب: عددها.

(١١) في ب: لكآدم.

جملها^(١) سبعمائة وستة وثمانين، وإن باهيتها بسملتك التي ترعد من كفرها الفرائص، وتجاوز بالبهتان ما لا يجوز على الله من النقائص، ردت عليه وقالت: ليس لله من شريك، جملها^(٢) سبعمائة وستة وثمانين، بحساب الألف التي بعد لامى الجلالة، وقالت: و^(٣) لا أشرك بربى أحداً سبعمائة وستة وثمانين، وقالت: ما لعلوم^(٣) الفلسفة أنوار هداية، سبعمائة وستة وثمانين، وقالت: يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ: سبعمائة وستة وثمانين، بإسقاط ألف الجلالة. ولو استشهدت بسملتك لشهدت لي بالحق عليك، وشكت إلى الله وإلى الناس مما نسبت من الإفك والبهتان إليك، إذ ألفاظها - وحاكى الكفر ليس بكافر - تنافي المعقول والمنقول، وتنافر: «بسم الأب والابن وروح القدس، إله واحد»، وباطنها يقول: «ما سبح إلا بنور، الإله القدوس واحد»، وتقول: بسملوا بالقرآن، وخذوا الله بلا جسد، فهي كافرة الظاهر مؤمنة الباطن، كسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ونظرت في محصلها من العدد، فإذا جملته ستمائة وستة وتسعون، فإذا قلت: أف لها بسملة ما نزل الله بها من سلطان، وافقت المعنى وطابقت العدد، وكانت ستمائة وستة وتسعون، وكذلك ما عطفته عليها من الكلام، وهو: ﴿يَسْأَلُكُمْ أَفْسُوءُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١] موافق للمعنى مطابق للعدد: ستمائة وستة وتسعون، وكذلك قولك: «لا بسملة بحق كبسملة المسلمين» ستمائة وستة وتسعون، وقد أجابتك البسملة بما لم تحط به خبراً، وجاءتك بما لم تستطع عليه صبراً، على الأسلوب الذي تضمنته شريعتكم^(٤)، فإنني رأيت في إنجيلك وقد سألت بنو إسرائيل المسيح أن يُريهم آية، ليؤمنوا به وهو في بيت المقدس، فقال: تهدمون هذا الهيكل، وأنا أقيمُه في ثلاثة أيام، فقالوا: بيت بني في خمسة وأربعين سنة، يقيمه في ثلاثة أيام!! وعلمه في الإنجيل أنه أشار إلى هيكل نفسه الذي هو هيكل آدم، وحمله خمسة وأربعون وفي هذا رد عليهم ليس هذا موضعه. ورأيت في التوراة في البشارة بإسماعيل بعد قوله: «وأكبره»^(٥) وأنميّه بماد ماد ومعناه بحد جدلها بل أشار بها إلى اسم محمد - ﷺ -، بطريق الحمل، إذ هو اثنان وتسعون في الموضوعين، وفي قصة يعقوب إذ قال لبنيه ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾ [البقرة: ١٣٣]، فقالوا له: أعلم إسرائيل (الله أحد)^(٦) فطابت نفسه، وعلم أن بنيه الاثني عشر سبطاً يعبدون الله وحده، لأنهم عدلوا عن قولهم: «الله واحد» إلى قولهم^(٧): «الله أحد»، إذ جملها^(٨) ثلاثة عشر، وهي إشارة إلى أن الاثني عشر سبطاً يعبدون الله الواحد. وفيه أن المصلّي إذا دخل في الصلاة تكون على رأسه طيلسان يسمى: «صيصيت»، وفي طرفه خمسة خيوط وثمان عقد ليجتمع له من جمع صيصيت وهو ستمائة ومن خمسة

(١) في ب: جملتها.

(٢) و: سقط من ب.

(٣) في ب: بالعلوم.

(٤) في ب: كتب شريعتكم.

(٥) وأكبره: سقط من ب.

(٦) ما بين القوسين في ب: إنه.

(٧) قولهم: سقط من ب.

(٨) في ب: جملتها.

خيوط وثمان عقد ثلاثة عشر لتتمة ما عليهم من الفرائض، وهي ستمائة، وثلاث عشرة فريضة، ليدكروا^(١) بها ما كتب الله عليهم من الفرائض، والتزموا^(٢) بها^(٣). ولنرجع إلى الإعراب والتفسير.

قوله: «أَلَا تَعْلَمُوا» فيه أوجه:

أحدها: أن «أَنْ» مفسرة كما تقدم في أحد الأوجه في «أَنْ» قبلها في قراءة عكرمة^(٤)، ولم يذكر الزمخشري غيره^(٥)، وهو وجه حسن، لما في ذلك من المشاكلة^(٦)، وهو عطف الأمر عليه، وهو قوله: «وَأَتُونِي»^(٧).

الثاني: أنها مصدرية في محل رفع بدلاً من «كِتَاب»، كأنه قيل: أَلْقِي إِلَيَّ أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ^(٨).

الثالث: أنها في موضع رفع على خبر ابتداء مضمر، أي هو أن لا تعلموا^(٩).

الرابع: أنها على إسقاط الخافض، أي: بأن لا تعلموا^(١٠)، فيجيء في موضعها القولان المشهوران^(١١).

والظاهر أن «لَا» في هذه الأوجه الثلاثة للنهي، وقد تقدم أن «أَنْ» المصدرية توصل بالمتصرف^(١٢) مطلقاً. وقال أبو حيان: و «أَنْ» في قوله: «أَنْ لَا تَعْلَمُوا» في موضع رفع^(١٣) على البديل من «كِتَاب»، وقيل في موضع نصب على: «بأن لا تعلموا»، وعلى هذين التقديرين تكون «أَنْ» ناصبة للفعل^(١٤). فظاهر هذا أنها نافية، إذ لا يتصور أن تكون ناهية بعد «أَنْ» الناصبة للمضارع، ويؤيد هذا ما حكاه عن الزمخشري، فإنه قال: وقال الزمخشري: و «أَنْ» في أن لا تعلموا مفسرة^(١٥)، قال: فَعَلَى هذا تكون «لَا» في:

(١) في الأصل: يذكروا. (٢) انظر الكليات لأبي البقاء الكفوي الحنفي (٧).

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ من الآية ٣٠ من السورة نفسها؛ بفتح الهمزتين.

(٥) قال الزمخشري: (و «أَنْ» في «أَلَا تَعْلَمُوا» مفسرة أيضاً) الكشاف ١٤١/٣، وانظر البيان ٢٢٢/٢، التبيان ١٠٠٨/٢.

(٦) في ب: من المشاكلة كلمة. (٧) انظر البحر المحيط ٧٢/٧.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢٩١/٢، مشكل إعراب القرآن ١٤٨/٢، البيان ٢٢٢/٢.

(٩) قال أبو البقاء: (موضعه رفع بدلاً من «كِتَاب»، أي: هو ألا تعلموا) التبيان ١٠٠٨/٢.

(١٠) انظر مشكل إعراب القرآن ١٤٨/٢، البيان ٢٢١/٢.

(١١) وهما إما أن يكون في موضع نصب وذلك عند الخليل وأكثر النحويين، وجر عند الكسائي، وجوز سيبويه أن يكون المحل جراً، وتقدم الحديث عنهما عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢].

(١٢) في ب: بالتصرف. (١٣) رفع: سقط من ب.

(١٤) البحر المحيط ٧٢/٧. (١٥) الكشاف ١٤١/٣.

«لَا تَغْلُوا» للنهي، وهو حسن لمشاكلة عطف الأمر عليه^(١) فقلوه: «فعلى هذا»: إلى آخره صريح بأنها على غير هذا يعني الوجهين المتقدمين ليس للنهي فيهما^(٢)، ثم القول بأنها للنفي لا يظهر، إذ يصير المعنى - على الإخبار منه عليه السلام - بأنهم لا يعلمون عليه، وليس هذا مقصوداً، وإنما المقصود أن ينهاهم عن ذلك. وقرأ ابن عباس والعجلي: «تغلوا» - بالغين المعجمة^(٣)، من الغلو، وهو مجاوزة الحد.

فصل

قال ابن عباس: «لا تكبروا عليّ»^(٤)، وقيل: لا تتعظموا ولا ترتفعوا عليّ أي: لا تمتنعوا من الإجابة، فإن ترك الإجابة من العلو والتكبر، «وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ»: مؤمنين طائعين^(٥)، قيل: هو من الإسلام^(٦)، وقيل: من الاستسلام^(٧). فإن قيل: النهي عن الاستعلاء والأمر بالانقياد قبل إقامة الدلالة على كونه رسولاً حقاً يدل على الاكتفاء بالتقليد.

فالجواب: معاذ الله أن يكون هناك تقليد؛ وذلك لأن رسول سليمان إلى بلقيس الهدهد، ورسالة الهدهد معجزة، والمعجزة تدل على وجود الصانع وصفاته، وتدل على صدق المدعي للرسالة، فلمّا كانت تلك الرسالة دلالة تامة على التوحيد والنبوة، لا جرم لم يذكر في الكتاب دليل آخر^(٨).

قلوه: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي» أشيروا عليّ فيما عرض لي، وأجيبوني فيما أشاوركم، والفتوى هي الجواب في الحادثة، استفتت، على طريق الاستفادة من الفتي في السن، أي: أجيبوني في الأمر الفتي، وقصدت^(٩) بذلك استطلاع آرائهم وتطبيب قلوبهم^(١٠).

«مَا كُنْتُ قَاطِعَةً» قاضية وفاصلة، «أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ» تحضرون. «قَالُوا» مجيبين لها، «نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً» في القتال، «وَأُولُوا بَأْسَ شَدِيدٍ»، في الحرب، قال مقاتل: أرادوا بالقوة كثرة العدد، وأرادوا بالبأس الشديد: الشجاعة^(١١)، والبأس: النجدة والبلاء في الحرب، وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك^(١٢)، ثم قالوا: «وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ» أيتها الملكة في القتال وتركه.

قلوه: «مَاذَا تَأْمُرِينَ» ماذا هو المفعول الثاني لـ «تأمرين»، والأول محذوف تقديره:

(١) البحر المحيط ٧/٧٢. (٢) في ب: فيها.

(٣) المختصر (١٠٩)، المحتسب ٢/١٣٩، البحر المحيط ٧/٧٢.

(٤) انظر البغوي ٦/٢٧٧. (٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٩٥.

(٦) في ب: وتصدقت. وهو تحريف. (٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٩٥.

(٨) انظر البغوي ٦/٢٧٧. (٩) المرجع السابق.

«تأمريننا»، والاستفهام معلق للنظر^(١)، ولا يخفى حكمه مما تقدم قبله، والمعنى : فانظري في الرأي ماذا تأمرين تجدينا لأمرك طائعين. قالت - مجيبة لهم - عن التعريض بالقتال - :

قوله تعالى : ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِيتُونَنِي بِمَالٍ فَمَا عَاقِبَتَنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا عَاقَبَكُم بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِسَنَّهُمْ بِمُخَوِّدٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى : «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً» بالقهر «أَفْسَدُوهَا» : خربوها، «وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً»، فذكرت لهم عاقبة الحرب^(٢)، وحذرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم.

قوله : «وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ» أي : مثل ذلك الفعل يفعلون، وهل^(٣) هذه الجملة من كلامها - وهو الظاهر - فتكون منصوبة بالقول، أو من كلام الله تعالى، فهي^(٤) استثنائية لا محل لها من الإعراب، وهي معترضة بين قولها^(٥).

قوله : «وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ» : ما بعث على وجه الإكرام، وهي اسم للمهدي، فيحتمل أن يكون اسماً صريحاً، ويحتمل أن تكون - في الأصل - (مصدراً أطلق على اسم المفعول، وليست مصدراً قياسياً، لأن الفعل منه : أهدى رباعياً، فقياس)^(٦) مصدره : إهداء.

فصل

اعلم أن بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست فقالت للملأ من قومها : «إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ»، أي : لسليمان وقومه «بِهَدِيَّةٍ» أصانعه بها على ملكي وأخبره بها أملك أم نبي، فإن يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن يكن نبياً لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن نتبعه على دينه، فذلك قولها : «فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ»^(٧)، (وهذا الكلام يدل على أنها لم تثق بالقبول وجوزت الرد، وأرادت أن يتكشف لها غرض سليمان)^(٨).

قوله : «فَنَاظِرَةٌ عطف على «مُرْسِلَةٌ»، و «بِمَ» متعلق بـ «يرجع»^(٩)، وقد وهم

(١) انظر البحر المحيط ٧٣/٧. وفيه : (فهو في موضع مفعول لـ «انظري» بعد إسقاط الحرف من اسم الاستفهام).

(٣) في ب : وقيل.

(٢) انظر الفخر الرازي ١٩٦/٢٤.

(٥) انظر تفسير ابن عطية ٢٠٣/١١، التبيان ١٠٠٨/٢.

(٤) فهي : مقط من ب.

(٧) انظر البغوي ٢٧٨/٦.

(٦) ما بين القوسين مقط من ب.

(٩) انظر البحر المحيط ٧٣/٧ - ٧٤.

(٨) ما بين القوسين مقط من ب.

الحوافي فجعلها متعلقة بـ «نَاطِرَةٌ»^(١)، وهذا لا يستقيم، لأن اسم الاستفهام له صدر الكلام و «بم يرجع» معلق لناطرة^(٢).

قوله: «فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ» أي: فلما جاء الرسول، أضمره لدلالة قولها «مرسلة»، فإنه يستلزم رسولاً، والمراد به الجنس لا حقيقة رسول واحد، بدليل خطابه لهم بالجمع في قوله: «أَتُحَدِّثُونِي...» إلى آخره^(٣)، وكذلك قرأ عبد الله: فلما جاءوا، وقرأ^(٤): «فارجعوا إليهم»^(٥)، اعتباراً بالأصل المشار إليه.

قوله: «أَتُحَدِّثُونِي» استفهام إنكار، وقرأ حمزة بإدغام نون الرفع في نون الوقاية، وأما الياء فإنه يحذفها وقفاً، ويثبتها وصلأ على قاعدته في الزوائد^(٦)، والباقون بنونين - على الأصل - وأما الياء فإن نافعاً وأبا عمرو كحمزة يثبتانها وصلأ ويحذفانها وقفاً، وابن كثير يثبتها في الحالين، والباقون يحذفونها في الحالين.

وروي عن نافع أنه يقرأ بنون واحدة، فتكملت ثلاث قراءات^(٧) كما في: «تَأْمُرُونَ أَغْبَدُ» [الزمر: ٦٤].

قال الزمخشري: ما الفرق بين قولك: أتمدوني^(٨) بمال وأنا أغني منكم^(٩)، وبين أن تقوله بالفاء؟ قلت: إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالماً بزيادتي عليه في الغنى، وهو - مع ذلك - يمدني بالمال، وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفي عليه حالي، وإنما أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده، كأني أقول له^(١٠): أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه، وعليه ورد قوله: «فَمَا آتَانِي اللَّهُ»^(١١) انتهى.

وفي هذا الفرق نظر، إذ لا يفهم ذلك بمجرد الواو والفاء، ثم إنه لم يجب عن السؤال الأول، وهو أنه: لم عدل عن قوله: وأنا أغني منكم^(١٢) إلى قوله: «فَمَا آتَانِي اللَّهُ»؟

وجوابه: أنه أسند إيتاء الغنى إلى الله، إظهاراً لنعمته عليه، ولو قال: وأنا^(١٣) أغني منكم، كان فيه افتخار^(١٤) من غير ذكر لنعمة الله عليه، فأظهر - بهذا الكلام - قلة

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٤. (٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٧٤.

(٣) المرجع السابق. (٤) في ب: فاقرأ.

(٥) انظر تفسير ابن عطية ١١/ ٢٠٤، البحر المحيط ٧/ ٧٤.

(٦) في الأصل: الرواية، وفي ب: الرواب. والصواب ما أثبت.

(٧) السبعة (٤٨١ - ٤٨٢)، الكشف ٢/ ١٦٠، الإنحاف (٣٣٦ - ٣٣٧).

(٨) في الكشف: أتمدني. (٩) في ب: عنكم.

(١٠) له: تكلمة من الكشف. (١١) الكشف ٣/ ١٤٣.

(١٢) في ب: عنكم. (١٣) في ب: أنا.

(١٤) في ب: إنكار. وهو تحريف.

الاكتراث بذلك المال. قوله: «بَلْ أَنْتُمْ» إضراب انتقال، قال الزمخشري: فإن قلت: فما وجه الإضراب؟ قلت: لما أنكر عليهم الإمداد، وعلل إنكاره، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو أنهم لا يعرفون سبب رضى إلا مما يهدى إليهم من حظوظ الدنيا التي لا يعرفون غيرها، والهدية: يجوز إضافتها إلى المهدي وإلى المهدي إليه، وهي هنا محتملة للأمرين^(١). قال أبو حيان: وهي هنا مضافة للمهدي إليه، وهذا هو الظاهر، ويجوز أن تكون مضافة إلى المهدي، أي: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار^(٢).

قال شهاب الدين: كيف يجعل الأول هو الظاهر، ولم ينقل أن سليمان - عليه السلام - أرسل إليهم هدية في هذه الحالة، حتى يضيفها إليهم، بل الذي يتعين إضافتها إلى المهدي^(٣). ومعنى الآية: «بَلْ أَنْتُمْ بِهِدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ»، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها تفرحون بإهداء بعضكم لبعض، وأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي، لأن الله تعالى^(٤) قد مكنتني فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحداً، ومنع ذلك أكرمني بالدين والنبوة^(٥). قوله: «أَرْجِعْ» الظاهر أن الضمير يعود على الرسول^(٦)، وتقدمت قراءة عبد الله: «ارجعوا»، وقيل: يعود على الهدد^(٧). «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ» وهذا جواب قسم مقدر، وكذلك قوله «وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ». قوله: «لَا قَبِيلَ» صفة لـ «جُنُودٍ»، أي: لا طاقة، وحقيقته: لا مقابلة^(٨) والضمير في «بها» عائد على «جُنُودٍ»، لأنه جمع تكسير فيجري مجرى المؤنثة الواحدة كقولهم: الرِّجَالُ وأعضاؤها^(٩). وقرأ عبد الله «بهم»^(١٠) على الأصل. «وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا» أي من بلادهم وأرض سبأ^(١١) «أَذَلَّةً» حال^(١٢)، والذل أن يذهب عنهم ما كان عندهم من العز والملك^(١٣). قوله: «وَهُمْ صَاغِرُونَ» حال ثانية^(١٤)، والظاهر أنها مؤكدة، لأن «أَذَلَّةً» تغني عنها. فإن قيل: قوله «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ»، و «لَنُخْرِجَنَّهُمْ» قسم، فلا بد أن يقع!

(١) الكشف ١٤٣/٣. بتصرف. (٢) البحر المحيط ٧/٧٤.

(٣) الدر المصون ١٩٤/٥ - ١٩٥. (٤) تعالى: سقط من ب.

(٥) انظر البغوي ٢٨١/٦.

(٦) قيل: إن الرسول هو المنذر بن عمرو أمير الوفد. انظر القرطبي ٢٠١/١٣.

(٧) انظر الكشف ١٤٣/٣. (٨) المرجع السابق.

(٩) انظر البحر المحيط ٧/٧٤. ووجه الاستشهاد بالمثل أن الرجال جمع تكسير فيصح أن يعود عليه الضمير جمعاً مذكراً أو مفرداً مؤنثاً على معنى جماعة الرجال.

(١٠) معاني القرآن للقرآء ٢٩٣/٢، البحر المحيط ٧/٧٤.

(١١) انظر الكشف ١٤٣/٣، البحر المحيط ٧/٧٤.

(١٢) انظر مشكل إعراب القرآن ١٤٨/٢، البيان ٢٢٢/٢.

(١٣) انظر الكشف ١٤٣/٣.

فالجواب: أنه معلق^(١) على شرطٍ حُذِفَ لفهم المعنى، أي: إن^(٢) لم يأتوني مسلمين، والصغار: أن يقعوا في أسر واستعباد^(٣).

فصل

قال ابن عباس: لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان، قالت: قد عرفت والله ما هذا بملك، ولا لنا به من^(٤) طاقة، وبعثت إلى سليمان: إني قادمة عليك^(٥) بملوك قومي، حتى^(٦) أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم أذنت بالرحيل إلى سليمان، فلما قربت منه على فرسخ، فرأى سليمان رهجاً قريباً، فقال ما هذا؟ قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان. قال ابن عباس: وكان بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ، فأقبل سليمان حينئذٍ على جنوده^(٧)، فقال «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيَكُمُ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ؟»

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتَأْتِمُنَا الْمَلَأُ أَيَكُمُ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَالِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَالِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَكُمْ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)

قال ابن عباس^(٨): طائعين، واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها، فقال أكثرهم: لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها، فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها، وقيل: ليربها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها. وقال قتادة: لأنه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد، فأحب أن يراه. وقال ابن زيد: أراد أن يأمر بتنكيرها^(٩) وتغييرها، فيختبر بذلك عقلها، ويؤيد ذلك قوله تعالى: «نَكُرُّوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي»^(١٠).

قوله: «قَالَ عِفْرِيتٌ»^(١١) العامة على كسر العين وسكون الفاء^(١٢) بعدها تاء مجبورة. وقرأ أبو حيوة: بفتح العين^(١٣)، وأبو رجاء وأبو السمال - ورويت عن أبي بكر الصديق -

(١) في ب: متعلق. (٢) إن: سقط من ب.

(٣) انظر الكشف ١٤٣/٣. (٤) من: سقط من ب.

(٥) في ب: إليك. (٦) حتى: سقط من ب.

(٧) انظر البغوي ٢٨١/٦. (٨) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٢٨٢/٦.

(٩) في ب: بتنكيره. (١٠) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٢٨٢/٦.

(١١) في ب: «قال عفریت من الجن». (١٢) في الأصل: الباء. وهو تحريف.

(١٣) الظاهر أن المراد: عفریت. كقراءة العامة في المرسوم، أحد اللغات. في هذا اللفظ، وفي المختصر

قال ابن خالويه: (عفرية أبو حيوة) ١٠٩، وانظر البحر المحيط ٧٦/٧.

«عفريّة» مفتوحة بعدها تاء التأنيث المنقلبة هاء وقفاً^(١)، وأنشدوا على ذلك قول ذي الرمة:

٣٩٦٢ - كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيَةٍ مُصَوَّبٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ^(٢)

وقرأت طائفة «عفر» بحذف الياء والتاء^(٣)، فهذه أربع قراءات قد قرئ بهن، وفيه لغتان أخريان، وهما: عَفْرِيَّةٌ، وطِيءٌ وتميم يقولون: عَفْرَى بِالْف التأنيث كذكرى^(٤)، واشتقاقه من العفر، وهو التراب، يقال: عافره فعفره أي: صارعه فصّره وألقاه في العفر وهو التراب. وقيل: من العفر، وهو القوة^(٥). والعفريت من الجن المنارد الخبيث، ويقال: عفريت نفريت، وهو إتياع كشيطان ليطان^(٦)، وحسن بسن^(٧). ويستعار للعارم من الإنس، ولاشتهار هذه الاستعارة وصف في الآية بكونه من الجن، تمييزاً له. قال ابن قتيبة: العفريّة الموثق الخلق^(٨). وعفريّة الديك والحبارت للشعر الذي على رأسهما^(٩). وعَفْرَنِيّ للقوي^(١٠)، ورجل عَفْرٍ - بتشديد الراء - للمبالغة، مثل: سَرَّ شِمْرٌ^(١١). قيل: إن الشيطان أقوى من الجن، وإن المردة أقوى من الشياطين، وإن العفريت أقوى منهما. قال بعض المفسرين: العفريت من الرجال الخبيث المنكر^(١٢)، وقال ابن عباس: العفريت: الداهية^(١٣)، وقال الربيع^(١٤): الغليظ^(١٥)، وقال الفراء: القوي الشديد^(١٦).

قوله: «أَنَا أَتَيْكَ بِهِ» يجوز أن يكون فعلاً مضارعاً، فوزنه أفعل، نجو: أضرب، والأصل: أَتَيْكَ - بهمزتين - فأبدلت الثانية ألفاً^(١٧)، وأن يكون اسم فاعل، ووزنه فاعل،

(١) المختصر (١٠٩)، المحتسب ١٤١/٢، البحر المحيط ٧٦/٧.

(٢) البيت من بحر البسيط، قاله ذو الرمة وهو في ديوانه ١١/١، مجاز القرآن ٩٥/٢، الكامل ١٠١٠/٢، تفسير ابن عطية ٢٠٧/١١، القرطبي ٢٠٣/١٣، اللسان (قضب) البحر المحيط ٥١/٧، ٧٦، والبيت في وصف ثور وحشي، منقضب: منقطع. يقول: كَانَ الثَّورُ كَوْكَبٌ مُصَوَّبٌ مُنْقَضِبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيَةٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ. والشاهد فيه قوله: (عفريّة) فإنها لغة في (عفريت).

(٣) تفسير ابن عطية ٢٠٧/١١، البحر المحيط ٧٦/٧.

(٤) انظر البحر المحيط ٧٦/٧. (٥) انظر اللسان (عفر).

(٦) في ب: نيطان. (٧) انظر الإتياع والمزاوجة لابن فارس (٣٢، ٦٧).

(٨) وعبارته في تفسير غريب القرآن: (قال عفريت من الجن أي: شديد «وثيق») ٣٢٤.

(٩) مفردات غريب القرآن (٣٣٩).

(١٠) في لسان العرب (عفر): وأسَدُ عَفْرٍ وَعَفْرِيَّةٌ وَعَفْرِيَّةٌ وَعَفْرَنِيٌّ: شديد قوي.

(١١) سَرَّ شِمْرٌ، بكسر الشن وتشديد الراء، بوزن رجل عَفْرٍ: وهو الموثق الخلق المصحح الشديد، ومعنى شر شمر إذا كان شديداً يتشمر فيه عن الساعدين. اللسان (شمر).

(١٢) انظر الكشف ١٤٣/٣. (١٣) انظر البغوي ٢٨٢/٦.

(١٤) هو الربيع بن نافع الحلبي أبو توبة الطرسوسي، أخذ عن معاوية بن سلام وأبي الأحوص وإبراهيم بن سعد وخلق وأخذ عنه أبو داود، مات سنة ٢٤١ هـ. تذكرة الحفاظ للذهبي ٤٧٢/٢ - ٤٧٣.

(١٥) انظر البغوي ٢٨٢/٦. (١٦) معاني القرآن ٢/٢٩٤.

(١٧) لأنه إذا التقى همزتان في كلمة، وكانت الأولى متحركة والثانية ساكنة أبدلت الثانية حرف مد من جنس حركة الأولى.

والألف زائدة، والهمزة أصلية عكس الأول^(١). وأمال^(٢) حمزة «آتيك» في الموضعين من هذه السورة بخلاف عن خلاد^(٣).

فصل

قوله: «قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ» أي: مجلسك الذي تقضي فيه، قال ابن عباس: كان له في^(٤) كل غداة مجلس يقضي فيه إلى انتصاف النهار^(٥)، «وإِنِّي عَلَيْهِ» على حملة، «لَقَوِيَّ»^(٦) أمين» به على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان: أريد أسرع من هذا، ف «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ»، فقيل: هو جبريل - عليه السلام - وقيل: ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان - عليه السلام^(٧) - وقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا، وكان وزير سليمان^(٨)، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم، إذا دعا به أجيب، وقيل: بل هو سليمان نفسه^(٩)، والمخاطب هو العفريت الذي كلمه، وأراد سليمان - عليه السلام^(١٠) - إظهار معجزة، فتحدثهم أولاً، ثم بين للعفريت أنه يتأتى له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتهيأ للعفريت^(١١).

(قال محمد بن المنكدر^(١٢): إنما هو سليمان قال له عالم من بني إسرائيل آتاه الله علماً وفهماً: «أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرْفُكَ»، قال سليمان: هات، قال: أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك، فإن دعوت الله وطلبت إليه كان عندك، قال: صدقت، ففعل ذلك، فجاء بالعرش في الوقت^(١٣). وضعف السهيلي ذلك بأنه لا يصح من سياق الكلام^(١٤)^(١٥)، قال ابن الخطيب: وهذا القول أقرب لوجه:

الأول: أن لفظة «الذي» موضوعة في اللغة للإشارة إلى شخص معين عند محاولة تعريفها بقضية^(١٦) معلومة، والشخص المعروف بأنه عنده علم من الكتاب هو سليمان - عليه السلام - فوجب انصرافه إليه أقصى ما في الباب أن^(١٧) يقال: كان آصف كذلك

(١) انظر الكشف ١٤٣/٣، تفسير ابن عطية ٢١٠/١١، التيان ١٠٠٩/٢، البحر المحيط ٧٦/٧.

(٢) في ب: وأما. وهو تحريف. (٣) السبعة (٤٨٢)، الإنحاف (٣٣٧).

(٤) في: سقط من ب. (٥) انظر البغوي ٢٨٣/٦.

(٦) في ب: القوي. وهو تحريف. (٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٨) في ب: سليمان عليه الصلاة والسلام. (٩) نفسه: سقط من ب.

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١١) انظر الفخر الرازي ١٩٧/٢٤.

(١٢) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله القرشي التيمي، أبو عبد الله المدني، أحد الأئمة الأعلام، أخذ عن

عائشة وأبي هريرة، وغيرهما، وأخذ عنه زيد بن أسلم، ويحيى الأنصاري والزهري، وغيرهم، مات

سنة ١٣٠ هـ. خلاصة تهذيب التهذيب الكمال ٤٦٠/٢ - ٤٦١.

(١٣) انظر البغوي ٢٨٣/٦ - ٢٨٤. (١٤) انظر القرطبي ١٣/٢٠٥.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب. (١٦) في ب: لقضية.

(١٧) أن: سقط من ب.

أيضاً، لكننا نقول: إن سليمان كان أعرف بالكتاب منه، لأنه هو النبي، فكان^(١) صرف اللفظ إلى سليمان أولى.

الثاني: أن إحضار العرش في تلك^(٢) الساعة اللطيفة درجة عالية، فلو حصلت لآصف دون سليمان، لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في أعين الخلق.

الثالث: أن سليمان قال «هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ» فظاها^(٣) يقتضي أن يكون ذلك المعجز قد أظهره الله تعالى^(٤) بدعاء سليمان^(٥).

فصل

واختلفوا في الكتاب، فقيل: هو اللوح المحفوظ، والذي عنده علم الكتاب جبريل - عليه السلام - وقيل: كتاب سليمان، أو كتاب بعض الأنبياء، وفي الجملة فإن ذلك مدح، وإن لهذا الوصف تأثيراً في نقل ذلك العرش، ولذلك^(٦) قيل: إنه اسم الله الأعظم، وإن عنده وقعت الإجابة من الله تعالى في أسرع الأوقات^(٧). قوله: «قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه الجفن عبْر^(٨) به عن سرعة الأمر كما تقول لصاحبك: افعل ذلك في لحظة، وهذا قول مجاهد^(٩)، وقال الزمخشري: هو تحريكك أجفانك إذا نظرت، فوضع موضع النظر^(١٠).

الثاني: أنه بمعنى المطروف^(١١)، أي: الشيء الذي تَنْظُرُهُ^(١٢)، والأول هو الظاهر، لأن الطرف قد وصف بالإرسال في قوله:

٣٩٦٣ - وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ^(١٣)

قال^(١٤) سعيد بن جبیر «من قبل أن يرتد» أي: من قبل أن يرجع إليك أقصى (من

(٢) تلك: سقط من ب.

(٤) تعالى: سقط من ب.

(٦) في ب: وكذلك.

(٨) في ب: عر. وهو تحريف.

(١٠) الكشف ٣/١٤٣.

(١٢) وهو قول ابن جبیر وقتادة، انظر البحر المحيط ٧/٧٧.

(١٣) البيتان من بحر الطويل، قالتها امرأة لم تسم، وهما في عيون الأخبار لابن قتيبة ٤/٢٢، الإنصاف

٢/٨٠٤، والبيت الأول في الكشف ٣/١٤٣، البحر المحيط ٧/٧٧، وهما في شرح شواهد الكشف

(٥٣). والشاهد فيهما قوله: «أرسلت طرفك» حيث جعل الطرف مما يرسل، وهذا يؤيد أن المراد

بالطرف في الآية آلة البصر مؤدى بها الفعل نفسه.

(١٤) في ب: فصل قال.

تري، وهو أن يصل إليك من كان منك على مدِّ بصرك^(١). وقال مجاهد: يعني إدامة النظر^(٢) حتى يرتد^(٣) الطرف خاسئاً^(٤). وقال وهب: تمد عينك فلا ينتهي طرفك إلى مداه، حتى أمثله بين يديك^(٥). فإن قيل: هذا يقتضي (إما القول بالطفرة)^(٦)^(٧) أو حصول الجسم الواحد دفعة واحدة في مكانين.

والجواب^(٨): أن المهندسين قالوا: كرة الشمس مثل كرة الأرض مائة وأربعة وستين مرة ثم إن زمان طلوعها^(٩) زمان قصير، فإذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان البعد الذي بين الشام واليمن كانت تلك اللمحة كثيرة فلما ثبت عقلاً إمكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت أنه تعالى قادر على كل الممكنات زال السؤال^(١٠).

قوله: «فَلَمَّا رَأَاهُ» يعني سليمان، العرش «مُسْتَقَرًّا» عنده محمولاً إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف، ف «مُسْتَقَرًّا» حال، لأن الرؤية بصرية، و «عنده» معمول له^(١١)، لا يقال إذا وقع الظرف حالاً وجب حذف متعلقه، فكيف ذكر هنا^(١٢)؟ لأن الاستقرار هنا ليس هو ذلك الحصول المطلق، بل المراد به هنا الثابت الذي لا يتقلقل، قاله أبو البقاء^(١٣). وقد جعله ابن عطية هو العامل في الظرف الذي كان يجب حذفه، فقال: وظهر^(١٤) العامل في الظرف من قوله «مُسْتَقَرًّا»، وهذا هو المقدر أبدأً مع كل ظرف جاء هنا مظهراً، وليس في كتاب الله مثله^(١٥)، وما قاله أبو البقاء أحسن^(١٦) على أنه قد ظهر العامل المطلق في قوله:

٣٩٦٤ - فَأَنْتَ لَدَى بُخْبُوحَةِ الْهُونِ كَائِنٌ^(١٧)

- (١) انظر البغوي ٦/٢٨٤. (٢) ما بين القوسين سقط من ب.
(٣) في ب: يزيد. وهو تحريف. (٤) انظر البغوي ٦/٢٨٤.
(٥) المرجع السابق.
(٦) الطفرة: الوثبة، وقد طفر يطفر طفراً وطفوراً: وثب في ارتفاع. وطفر الحائط: وثبه إلى ما ورائه. اللسان (طفر).
(٧) ما بين القوسين سقط من ب. (٨) في ب: فالجواب.
(٩) في ب: طولها. وهو تحريف. (١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/١٩٨.
(١١) انظر البحر المحيط ٧/٧٧. (١٢) في ب: عنده.
(١٣) قال أبو البقاء: «مُسْتَقَرًّا» أي: ثابتاً غير متقلقل، وليس بمعنى الحصول المطلق، إذ لو كان كذلك لم يذكر التبيان ٢/١٠٠٩.
(١٤) في ب: فظهر. (١٥) تفسير ابن عطية ١١/٢١١.
(١٦) انظر البحر المحيط ٧/٧٧.
(١٧) عجز بيت من بحر الطويل، مجهول القائل، وصدرة:
لَكَ الْعِزُّ إِنْ مَوْلَاكَ عِزٌّ وَإِنْ يَهْنُ
وقد تقدم.

وقد تقدم ذلك محققاً في أول الفاتحة^(١).

قوله^(٢) «أشكر» معلق «ليبلوني»، وأم متصلة^(٣)، وكذلك قوله: «ننظر أتتهدي أم تكون»^(٤). قوله: «ومن شكر...» يحتمل أن تكون «من» شرطية، أو موصولة مضمّنة معنى الشرط، فلذلك دخلت الفاء في الخبر، والظاهر أن جواب الشرط: الثاني، أو خبر الموصول قوله: «فإن ربي غني كريم» ولا بد حينئذ من ضمير يعود على «من» تقديره^(٥) غني عن شكره، وقيل الجواب محذوف تقديره: فإنما كفر عليه، لدلالة مقابله، وهو قوله «فإنما يشكر لنفسه» عليه^(٦).

فصل

تقدم معنى الابتلاء، وقوله: أشكر نعمته أم أكفرها فلا أشكرها، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، أي: يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قيد^(٧) النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة، ومن كفر فإن ربي غني^(٨) عن شكره كريم بالإفضال على من يكفر نعمه^(٩).

قوله تعالى: ﴿قَالَ تَكْرُؤًا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرَ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ^(٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ^(٤٣)

قوله تعالى: «تكرؤا لها عرشها» أي: غيروا لها سريرها إلى حال تنكيره إذا رآته، وذلك أنه إذا ترك على حاله عرفته لا محالة. وإذا غير دلت معرفتها على فضل عقل. قوله: «ننظر» العامة على جزمه جواباً للأمر قبله، وأبو حيوة بالرفع^(١٠)، جعله استثناءً^(١١).

فصل

روي أنه جعل أسفله أعلاه، وأعلاه أسفله، وجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر،

(١) عند قوله تعالى: ﴿الحمد لله﴾ [الفاتحة: ٢].

(٢) قوله: سقط من الأصل.

(٣) قال الأخفش: (أي: لينظر أشكر أم أكفر، كقولك: جئت لأنظر أزيد أفضل أم عمرو) معاني القرآن ٦٥٠/٢، وانظر أيضاً التبيان ١٠٠٩/٢، البحر المحيط ٧٧/٧ - ٧٨.

(٤) في ب: ... أم تكون من الذين لا يهتدون.

(٥) في ب: يقدره. (٦) انظر البحر المحيط ٨٧/٧.

(٧) في ب: قيل. (٨) في الأصل: غني حميد.

(٩) انظر البغوي ٢٨٤/٦.

(١٠) المختصر (١١٠)، تفسير ابن عطية ٢١٢/١١، البحر المحيط ٨٧/٧.

(١١) انظر الكشف ١٤٤/٣، التبيان ١٠٠٩/٢، البحر المحيط ٨٧/٧.

ومكان الأخضر أحمر^(١). «تَنْظُرُ أَتَهْتَدِي» إلى عرشها فتعرفه، أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون إليه، وقيل: أتعرف به نبوة سليمان ولذلك قال: «أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ» إليه، وذلك كالذم، ولا يليق إلا بطريق الدلالة، فكأنه - عليه السلام - أحب أن تنظر فتعرف به نبوته، حيث صار منتقلاً من المكان البعيد إلى هناك^(٢)، وذلك يدل على كمال قدرة الله تعالى، وعلى صدق سليمان^(٣) - عليه السلام^(٤) - . ويعرف بذلك أيضاً فضل عقلها، لأنه روي أنه ألقى إليه نقصان عقلها، لكي لا يتزوجها - كما ذكر وهب ومحمد بن كعب وغيرهما - أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن، وذلك أن أمها كانت جنية، وإذا ولدت ولداً لا ينكفون من تسخير سليمان وذريته من بعده، فأساءوا الشئاء عليها، ليزهدوه فيها، وقالوا: إن في عقلها شيئاً، وإن رجلها كحافر الحمار، وإنها شعراء الساقين، فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح^(٥).

قوله: «أَهَكَذَا» ثلاث كلمات - حرف التنبيه وكأن التشبيه واسم الإشارة - فصل (بحرف الجرّ بين حرف التنبيه واسم الإشارة، والأصل: أَكْهَذَا^(٦)، أي: (أ) ^(٧) مثل هذا عرشك، ولا يجوز ذلك في غير الكاف لو قلت: أبهذا مَرَزْتُ، وألهذا فعلت لم يجز أن تفصل^(٨) بحرف الجرّ بين «ها» و «ذا» فتقول: أها بذا مَرَزْتُ وأها لذا فَعَلْتُ.

قوله^(٩): «قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ»، قال مقاتل: عرفته، ولكنها شبّهت عليهم كما شبّهوا عليها^(١٠). وقال عكرمة: كانت حكيمة لم تقل: نعم، خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا، خوفاً من التكذيب^(١١)، قالت كأنه هو، فعرف سليمان كمال عقلها، حيث توقفت في محل التوقف، قيل لها: فإنه عرشك، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب عليه، وكانت قد أغلقت عليه الأبواب وأخذت مفاتيحها. قوله: «وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا» فيه وجهان: أحدهما: أنه من كلام بلقيس، فالضمير في «قَبْلِهَا» راجع للمعجزة والحالة الدالة عليها السياق والمعنى: وأوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور هذه المعجزة أو من قبل هذه الحالة، وذلك لما رأت قبل ذلك من أمر الهدهد ورد الهدية والرسول «من قَبْلِهَا» من قبل الآية في العرش، «وَكُنَّا مُسْلِمِينَ» منقادين طائعين لأمر سليمان.

الثاني: أنه من كلام سليمان وأتباعه، فالضمير في قبلها عائد على بلقيس، فكأن سليمان وقومه قالوا: إنها قد أصابت في جوابها وهي عاقلة، وقد رزقت الإسلام، ثم

(١) انظر البيهقي ٢/ ٢٨٥.

(٢) في ب: هنا.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ١٩٩.

(٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٥) انظر البيهقي ٦/ ٢٨٥.

(٦) في ب: أهكذا.

(٧) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق.

(٨) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(٩) في الأصل: فصل.

(١٠) انظر البيهقي ٦/ ٢٨٥.

(١١) المرجع السابق.

عطفوا على ذلك قولهم^(١) : «وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة مثل علمها، ورضهم من ذلك شكر الله تعالى في أن خصهم بمزيد التقدم في الإسلام، قاله مجاهد^(٢) .

قوله : «وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» في فاعل «صَدَّ» ثلاثة أوجه : أحدها : ضمير الباري^(٣) .

والثاني : ضمير سليمان^(٤) ، أي منعها ما كانت تعبد من دون الله ، وهو الشمس ، وعلى هذا فـ «مَا كَانَتْ تَعْبُدُ» منصوب على إسقاط الخافض ، أي : وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد من دون الله ، قاله الزمخشري^(٥) مجوزاً له . وفيه نظر من حيث إن حذف الجار ضرورة ، كقوله :

٣٩٦٥ - تَمُرُّونَ الدِّيَارَ فَلَمْ تَعُوجُوا^(٦)

كذا قاله أبو حيان^(٧) ، وقد تقدم آيات كثيرة من هذا النوع .

الثالث : أن الفاعل هو «ما كانت» أي : صدها ما كانت تعبد عن الإسلام^(٨) ، (أي : صدها عبادة الشمس عن التوحيد)^(٩) . والظاهر أن الجملة من قوله : «وَصَدَّهَا» معطوفة على قوله «وَأُوتِينَا»^(١٠) . وقيل : هي حال من قوله : أم تكون من الذين و (قد) مضمرة ، وهذا بعيد جداً^(١١) . وقيل : هو مستأنف إخباراً من الله تعالى بذلك^(١٢) .

(١) في ب : قوله .

(٢) انظر الكشف ١٤٤/٣ ، الفخر الرازي ١٩٩/٢٤ - ٢٠٠ ، القرطبي ٢٠٧/١٣ - ٢٠٨ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٩٥/٢ ، مشكل إعراب القرآن ١٤٩/٢ ، الكشف ١٤٥/٣ ، البيان ٢٢٢/٢ ، التبيان ١٠٠٩/٢ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢٩٥/٢ ، مشكل إعراب القرآن ١٤٩/٢ ، الكشف ١٤٥/٣ .

(٥) قال الزمخشري : (وقيل : وصدها الله ، أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل) الكشف ١٤٥/٣ .

(٦) صدر بيت من بحر الوافر ، قاله جرير وعجزه :

كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذْنٌ حَرَامٌ

وقد تقدم .

(٧) قال أبو حيان : (وكونه الله أو سليمان و (ما) مفعول (صدها) على إسقاط حرف الجر قاله الطبري ، وهو ضعيف لا يجوز إلا في ضرورة الشعر نحو قوله :

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا

أي : عن الديار ، وليس من مواضع حذف حرف الجر) . البحر المحيط ٧٩/٧ .

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢٩٥/٢ ، مشكل إعراب القرآن ١٤٩/٢ ، البيان ٢٢٢/٢ ، التبيان ١٠٠٩/٢ .

(٩) ما بين القوسين سقط من ب . (١٠) انظر البحر المحيط ٧٩/٧ .

(١١) وضعفه أبو حيان معللاً بقوله : (لطول الفصل بينهما ، ولأن التقديم والتأخير لا يذهب إليه إلا عند الضرورة) البحر المحيط ٧٩/٧ .

(١٢) المرجع السابق .

قوله: «إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ» يعبدون الشمس، والعامّة على كسر «إنّها» استئنافاً وتعليلاً. وقرأ سعيد بن جبّير وأبو حيوة بالفتح^(١)، وفيها وجهان: أحدهما: أنها بدل من «مَا كَانَتْ تَعْبُدُ» أي: وصداها «أنّها كانت»^(٢).

والثاني: أنها على إسقاط حرف العلة، أي: لأنها^(٣)، فهي قريبة من قراءة العامة.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٤)

قوله: «قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ» تقدّم الخلاف في الظرف الواقع بعد «دخل» هل هو منصوب على الظرف، وشذ ذلك مع دخل خاصة - كما قاله سيبويه^(٤) - أو مفعول به كهديت البيت كما قاله الأخفش^(٥). والصَّرْحُ: القصر، أو صحن الدار، أو بلاط متخذ من زجاج وأصله من التصريح، وهو الكشف، وكذب «صَرَاحٌ»، أي: ظاهر مكشوف، ولومٌ صَرَاحٌ. والصريحُ مقابل الكناية، لظهوره واستتار ضده. وقيل: الصريح الخالص من قولهم: لَبَنٌ صَرِيحٌ بَيْنَ الصَّرَاحَةِ والصَّرُوحَةِ^(٦). وقال الراغب: الصَّرْحُ بيت عالٍ مُزَوَّقٌ، سمي بذلك اعتباراً بكونه صرحاً عن البيوت، أي: خالصاً^(٧).

قوله: «سَاقِيهَا» العامة على ألف صريحة، وقُنْبُلٌ روى همزها عن ابن كثير^(٨)، وضَعَفَهَا أبو علي^(٩)، وكذلك فعل قنبل في جمع ساق في: ص، وفي الفتح، همز واوه، فقرأ «بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ»^(١٠)، ﴿فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ﴾ [الفتح: ٢٨] بهمزة مكان الواو، وعنه وجه آخر: السُّوقُ، وسُوقُوهُ - بزيادة واو بعد الهمز^(١١) -، وروي عنه أنه كان يهمزه مفرداً في قوله: ﴿يَكْشِفُ عَنْ سَاقِي﴾^(١٢) [القلم: ٤٢] فأما همزة الواو ففيها أوجه:

(١) المختصر (١١٠) تفسير ابن عطية ٢١٣/١١، البحر المحيط ٧٩/٧.

(٢) في ب: كانت تعبد.

(٣) انظر مشكل إعراب القرآن ١٤٩/٢، الكشف ١٤٥/٣، البيان ٢٢٣/٢، التبيان ١٠٠٩/٢، البحر المحيط ٧٩/٧.

(٤) قال سيبويه: (وقد قال بعضهم: ذهب الشام، يشبه بالمبهم، إذ كان مكاناً يقع عليه المكان والمذهب. وهذا شاذ، لأنه ليس في ذهب دليل على الشام، وفيه دليل على المذهب والمكان، ومثل ذهب الشام: دخلت البيت) الكتاب ٣٥/١.

(٥) عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنْ سَفْهِ نَفْسِهِ﴾ [البقرة: ١٣٠].

(٦) انظر اللسان (صرح). (٧) المفردات في غريب القرآن (٢٧٩).

(٨) السبعة (٤٨٣)، الكشف ١٦٠/٢ - ١٦١، النشر (٣٣٨)، الإتحاف (٣٣٧).

(٩) قال أبو علي: (أما الهمز في «ساقها» و «ساق» فلا وجه له) انظر الحجة ٦٨/٦.

(١٠) من قوله تعالى: ﴿نَفْطَقْ مِصْحَابَ السُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

(١١) انظر السبعة (٥٥٣ - ٥٥٤) (٦٠٥).

(١٢) تفسير ابن عطية ٢١٤/١١، البحر المحيط ٧٩/٧.

أحدها: أن الواو الساكنة المضموم ما قبلها يقلبها بعض العرب همزة، وتقدم تحقيق هذا أول البقرة عند «يوقنون»^(١)، وأنشد عليه:

٣٩٦٦ - أَحَبُّ الْمُؤَقِدِينَ إِلَيَّ مُؤَسَّى^(٢)

وكان أبو حية النميري^(٣) يهمز كلَّ واوٍ في القرآن هذا وصفها^(٤).

الثاني: أنَّ ساقاً على «فعل» كأسد، فجمع على «فعل» بضم العين، كأسد والواو المضمومة تطلب همزة، نحو: «وُجُوه»^(٥)، و «وُقُتَّتْ»^(٦)، ثم بعد الهمزة سكنت.

الثالث: أن المفرد سمع همزه كما سيأتي تقريره، فجاء جمعه عليه.

وأما سؤوق - بالواو بعد الهمزة - فإن ساقاً جمع على سووق بواو، فهمزت الأولى لانضمامها وهذه الرواية غريبة عن قبل. وأما «ساقها» فوجه الهمزة أحد أوجه: إما لغة من يقلب الألف همزة، وعليه لغة العجاج^(٧) في: «العالم» و «الخاتم»، وأنشد:

٣٩٦٧ - وَخُتِفَ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمِ^(٨)

وسيأتي تقريره في: «مِسَاكِنُهُ» [سبأ: ١٤] - إن شاء الله^(٩) - وتقدم طرف منه في

(١) من قوله تعالى: «وبالآخرة هم يوقنون» [البقرة: ٤٤]. انظر اللباب ١/ ٥١.

(٢) البيت من بحر الوافر، قاله جزي، وعجزه:

وجملة لو أضاءهما الوقود

وقد تقدم.

(٣) هو الهيثم بن الربيع، شاعر، مجيد، متقدم، من مخضرمي دولتي بن أمية والعباس، ومن الأعراب الفصحاء كان مقصداً وراجزاً، الخزائن ١٠/ ٢١٧ - ٢٢٠.

(٤) قال أبو علي: (قال محمد بن يزيد: أخبرني أبو عثمان قال: أخبرني الأخفش قال: كان أبو حية النميري يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة، وينشد:

أَحَبُّ الْمُؤَقِدَانِ إِلَيَّ مُؤَسَّى

وتقدير ذلك أن الحركة لما كانت تلي الواو في مؤسى صارت كأنها عليها، والواو إذا تحركت بالضمه أبدلت منها الهمزة) الحجة ١/ ١٧٩ - ١٨٠.

(٥) من قوله تعالى: «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه» [آل عمران: ١٠٦] وفي مواطن أخرى [الحج: ٧٢]، [الملك: ٢٧]، [القيامة: ٢٢، ٢٤]، وفي [عبس: ٣٨، ٤٠]، [الغاشية: ٢، ٨]. انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٧٤٤).

(٦) من قوله تعالى: «وإذا الرُّسُلُ أَقْبَتْ» [المرسلات: ١١]. انظر ابن يعين ١٠/ ١١، المتع ١/ ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٧) في ب: الحجاج. وهو تحريف.

(٨) رجز. قاله العجاج، وهو في ديوانه (٦٠)، المقرب (٥١٧)، اللسان (علم)، شرح شواهد الشافية ٢/ ٤٢٨. ختف: امرأة الياس بن مضر. والشاهد فيه همز ألف العالم، وهو مفرد، ولم يسبق الحرف المهموز بالضم وهي لغة قليلة.

(٩) في ب: الله تعالى.

الفاتحة^(١)، وإما على التشبيه برأس، وكأس، كما قالوا: حَلَّاثُ السَّوِيْقِ^(٢)، حملاً على حلَّاثه عن الماء، أي: طرده^(٣) وإما حملاً للمفرد والمثنى على^(٤) جمعها، وقد تقرر في جمعها الهمز.

فصل

لما حكى تعالى إقامتها على الكفر مع الدلائل المتقدمة، ذكر أنَّ سليمان^(٥) أظهر أمراً^(٦) آخر داعياً لها إلى الإسلام، فأمر الشياطين فبنوا صرحاً أي: قصرًا من زجاج، كأنه الماء بياضاً وأجري تحته الماء، وألقى فيه كل شيء من دواب البحر من السمك والضفادع وغيرها، ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس^(٧)، وقيل: اتخذ صحنًا من قوارير وجعل تحتها^(٨) تماثيل من الحيتان والضفادع، فكان الواحد إذا رآه ظنه ماء^(٩)، فلما جلس على السرير دعا بلقيس، فلما جاءت قيل لها: ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً، وهي معظم الماء، «وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقِيهَا» لتخوضه^(١٠)، فقيل كان المقصود من بناء الصرح تهويل المجلس وتعظيمه، وحصل كشف الساق على سبيل التبع^(١١)، وقيل: إن سليمان أراد أن ينظر إلى ساقها من غير أن يسألها كشفها لما قالت الشياطين له^(١٢) إن رجلها كحافر الحمار^(١٣)، وهي شعراء الساقين، فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدمًا، إلا أنها كانت شعراء الساقين، فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداه^(١٤) أَنَّهُ صرَحٌ «مُمرَّد»، أي: مُملَّسٌ، ومنه الأمرد لملاسة وجهه من الشعر وبرية مرداء لخلوها من النبات، ورملة مرداء، لا تنبت شيئاً، والمارد من الشياطين من تَعَرَّى من الخير وتجرد منه^(١٥). ومارد حصنٌ معروف، وفي أمثال الرِّبَاء: «تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ»^(١٦) قالتها في حصنين امتنع فتحهما عليها. والقوارير: جمع قارورة، وهي الزجاج الشفاف^(١٧)، و «مِنْ قَوَارِيرٍ» صفة ثانية لـ «صرح».

قوله: «قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» قال مقاتل: لما رأت السرير والصرح، علمت

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ [الْفَاتِحَة: ٧]. انظر اللباب ١/ ٣٣.

(٢) همزوا ما ليس بمهموز، وقياسه: حليت السويق. انظر اللسان (حلا، علم).

(٣) حلا الإبل والماشية عن الماء تحليئاً وتحليئة: طردها، أو حبسها عن الورد ومنعها أن ترده. اللسان (حلا).

(٤) في ب: سليمان عليه الصلاة والسلام.

(٥) في ب: عن.

(٦) انظر البغوي ٦/ ٢٨٧.

(٧) في ب: أمر.

(٨) انظر البغوي ٦/ ٢٨٧.

(٩) في الأصل: تحته.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٠١.

(١١) في ب: لتخرضه. وهو تحريف.

(١٢) في ب: حمار.

(١٣) لها: سقط من ب.

(١٤) انظر اللسان (مرد).

(١٥) انظر البغوي ٦/ ٢٨٧ - ٢٨٨.

(١٦) انظر اللسان (قرر).

(١٧) انظر مجمع الأمثال ١/ ٢٢٢.

أن ملك سليمان من الله، فقالت ربّ إني ظلمت نفسي بعبادة^(١) غيرك، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين، وأخلصت لك^(٢) التوحيد^(٣).

وقيل: إنها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها إن سليمان يزيد أن يغرقني وكان القتل أهون من هذا، فقولها: «ظلمت نفسي» تعني ذلك الظن^(٤).

واختلفوا: هل تزوجها سليمان أم لا؟ وأنه تزوجها في هذه الحال، ومن قبل أن يكشف عن ساقبها؟ والأظهر من كلام الناس أنه تزوجها، وروي عن ابن عباس لما أسلمت، قال لها: اختاري من قومك من يتزوجك^(٥)، فقالت: مثلي لا تنكح الرجال - مع سلطاني^(٦) - فقال: النكاح من الإسلام، فقالت: إن كان كذلك فزوجني لتبع ملك همدان، فزوجها إياه، ثم ردهما إلى اليمن^(٧).

وروي أن الملك وصل إلى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة^(٨).

قوله: «مَعَ سُلَيْمَانَ» متعلق بمحذوف على أنه حال، ولا يتعلق: «أَسْلَمْتُ»، لأن إسلامه سابق لإسلامها بزمان، وهو وجه لطيف، وقال ابن عطية: و «مَعَ» ظرف بني على الفتح، وأما إذا أسكنت العين، فلا خلاف أنه حرف^(٩). وقد تقدم القول في ذلك^(١٠)، وقال مكّي^(١١) هنا تحوياً من قول ابن عطية^(١٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٥) قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ نَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا أَطِيعُوا بَنِيكُمْ وَمِمَّنْ مَعَكُمْ قَالَ طَاعُوا اللَّهَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ

(١) في ب: بعبادتك.. وهو تحريف. (٢) في ب: خلصت له.

(٣) انظر البغوي ٢٨٨/٦. (٤) المرجع السابق.

(٥) في ب: يتزوجها. وهو تحريف. (٦) في ب: مثلي مع سلطاني لا ينكح الرجال.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠١. (٨) انظر البغوي ٦/٢٩٠.

(٩) انظر البحر المحيط ٧/٨٠.

(١٠) عند قوله تعالى: ﴿... قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

(١١) مكّي: سقط من ب.

(١٢) قال مكّي: (وقيل: هو اسم ظرف فلذلك فتح كالظرف، فإذا أسكنت العين فهو حرف لا غير) مشكل إعراب القرآن ٢/١٥٠.

أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَكَ بِيُوتَهُمْ خَاوِبَةً بَمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَجْمَعْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا بَتُّوفٍ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَنَا هُمْ صَالِحًا﴾ الآية.

قوله: «إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ» أي: وحده، ويجوز في «أَنَّ» أن تكون مفسرة^(١) وأن تكون مصدرية، أي بأن اعبدوا فيجيء في محلها القولان^(٢).

قوله: «فَإِذَا هُمُ فَرِيقَانِ» تقدم الكلام في «إِذَا» الفجائية^(٣)، والمراد بالفريقين قوم صالح، وأنهم انقسموا فريقين: مؤمن وكافر، وقد صرح بذلك في الأعراف في قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَن ءَامَنَ﴾ [الأعراف: ٧٥]. وجعل الزمخشري الفريق الواحد^(٤) صالحاً وحده والآخر جميع قومه^(٥)؛ وحمله على ذلك العطف بالفاء، فإنه يؤذن أنه بمجرد إرساله صاروا فريقين، ولا يصير قومه فريقين إلا بعد زمان ولو قليلاً.

و «يَخْتَصِمُونَ» صفة لـ «فَرِيقَانِ» على المعنى، كقوله: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ ائْتَصِمُوا﴾ [الحج: ١٩] و ﴿وَلَيْنَ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾^(٦) [الحجرات: ٩] واختير هنا مراعاة الجمع، لكونها فاصلة^(٧).

قوله: «يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ» أي: قال لهم صالح يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالبلاء والعقوبة، أي أن الله قد مكنكم من التوصل إلى رحمته وثوابه فلماذا تعدلون عنه إلى استعجال عذابه، وقيل: إنهم كانوا يقولون إن العقوبة التي يعدها صالح - إن وقعت على زعمه - تُبَيِّنُ حينئذ واستغفرنا فحينئذ يقبل الله توبتنا، ويدفع العذاب عنا، فخطبهم صالح على حسب اعتقادهم، فقال: هَلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ قَبْلَ نَزُولِ الْعَذَابِ، فَإِنْ اسْتَعْجَلَ الْخَيْرَ أَوْلَىٰ مِنْ اسْتَعْجَالِ الشَّرِّ، ووصف العذاب بأنه سيئة مجازاً، إما لأن العقاب من

(١) لأن «أرسلنا» تتضمن معنى القول.

(٢) فهي على القول الأول لا محل لها من الإعراب، وعلى القول الثاني ففي موضعها خلاف أهى في موضع نصب على نزع الخافض، أم في موضع جر. انظر البحر المحيط ٨٢/٧.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿... فَإِذَا هُم مَّبْسُورُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

(٤) في ب: الواحد الفريق.

(٥) وعبارته: (وقيل: أريد بالفريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد) الكشف ١٤٥/٣، وهو قول حكاه الزمخشري وليس له.

(٦) وإنما كانت الصفة على المعنى في هاتين الآيتين لأن مقتضى الظاهر في الأول أن يكون الخير (اختصماً) وفي الثانية (اقتتلنا)، ولكن لما كان المثنى في الآيتين يفهم معنى الجمع ساغ ذلك. انظر

البيان ٢٢٣/٢، البيان ١٠١٠/٢.

(٧) انظر البحر المحيط ٨٢/٧.

لوازمه، أو لأنه يشبهه في كونه مكروهاً. وأما وصف الرحمة بأنها حسنة، فقليل: حقيقة، وقيل: مجاز^(١). ثم إن صالحاً عليه السلام^(٢) لما قرّر هذا الكلام الحق أجابوه بكلام فاسد، فقالوا «اطَّيْرْنَا بِكَ» أي: تشاء منا بك، لأن الذي يصيبنا من شدة وقحط شؤمك وشؤم من معك^(٣). وقرئ: «تَطَيَّرْنَا بِكَ»^(٤)، وهو الأصل، وأدغم، وتقدّم تقريره^(٥)، قال الرمخشري: كان الرجل يخرج مسافراً فيمُرُّ بطائر فيزجره، فإن مرَّ سانحاً^(٦) تيمّن، وإن مرَّ بارحاً تشاءم^(٧)، فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان للخير والشر، وهو قدر الله^(٨) وقسمته، فأجاب صالح - عليه السلام^(٩) - بقوله: طائرکم عند الله، أي السبب الذي يجيء منه خيرکم وشرکم عند الله، وهو قضاؤه وقدره وهو مكتوب علیکم^(١٠). سمي طائراً لسرعة نزوله بالإنسان، لأنه لا شيء أسرع من قضاء محتوم. قال ابن عباس: الشؤم أتاكم من عند الله بكفرکم^(١١). وقيل طائرکم: عملکم عند الله^(١٢). سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء، وقيل: إنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم، وقيل: لأنه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا^(١٣).

قوله: «تُفْتَنُونَ» جاء بالخطاب^(١٤) مراعاةً لتقدّم الضمير، ولو روعي ما بعده لقليل «يُفْتَنُونَ» بياء الغيبة، وهو جائز ولكنه مرجوح، ويقول: أنت رجل يفعل وتفعل بالياء والتاء، ونحن قوم نقرأ ويقرأون^(١٥). والمراد من هذا الكلام أن صالحاً - عليه السلام^(١٦) - بين بهذا الكلام جهلهم بقوله: «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ»، فيحتمل أن غيرهم دعاهم إلى هذا القول، ويحتمل أن المراد أن الشيطان يفتنكم بوسوسته.

وقال^(١٧) ابن عباس: يُخْتَبَرُونَ بالخير والشر كقوله: ﴿وَيَلُوكُم بِالْأَشْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال محمد بن كعب: يعذبون^(١٨).

- (١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٢. (٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.
- (٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٢ - ٢٠٣.
- (٤) لم تعز إلى من قرأ بها. انظر الكشاف ٣/١٤٦، البحر المحيط ٧/٨٢.
- (٥) عند قوله تعالى: ﴿وإن نصبهم سنينةً يطيروا بموسى ومن معه﴾ [الأعراف: ١٣١].
- (٦) سانحاً: تكلمة من الكشاف.
- (٧) السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك. والبارح: ما أتاك من ذلك عن يسارك. انظر اللسان (سنح).
- (٨) في ب: وهو قضاؤه وقدره الله.
- (٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.
- (١٠) الكشاف ٣/١٤٥ - ١٤٦. بتصرف.
- (١١) انظر البغوي ٦/٢٩١.
- (١٢) انظر الكشاف ٣/١٤٦.
- (١٣) في ب: فحطوا. وانظر البغوي ٦/٢٩٠ - ٢٩١.
- (١٤) في ب: الخطاب.
- (١٥) انظر البحر المحيط ٧/٨٣.
- (١٦) في ب: عليه الصلاة والسلام.
- (١٧) في ب: قال.
- (١٨) انظر البغوي ٦/٢٩١.

قوله: «وكان في المدينة تسعة رهط» يعني: مدينة ثمود، والأكثر أن يتميز، والعدد مجرور بـ «من»، كقوله: «أَزْبَعَةَ مِنَ الطَّيْرِ»^(١) وفي المسألة مذاهب:

أحدها: أنه لا يجوز إلا في قليل.

الثاني: أنه يجوز ولكن لا ينقاس.

الثالث: التفصيل بين أن تكون للقلة كرهط ونفر، فيجوز، أو للكثرة فقط، أو لها وللقلة فلا يجوز نحو: تسعة قوم^(٢). ونص سيبويه على امتناع ثلاث^(٣) غنم^(٤).

قال الزمخشري: وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط، لأنه في معنى الجمع، كأنه قيل: تسعة أنفس^(٥). قال أبو حيان: وتقدير غيره^(٦) تسعة رجال هو الأولى^(٧)؛ لأنه من حيث أضاف إلى أنفس كان ينبغي أن يقول: تسع أنفس - على تأنيث النفس - إذ الفصيح فيها التأنيث، ألا تراهم عدوا من الشذوذ قول الشاعر:

٣٩٦٨ - ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ وَثَلَاثُ دَوْدٍ^{(٨)(٩)}

قال شهاب الدين: وإنما أراد تفسير المعنى^(١٠). وقال ابن الخطيب: والأقرب أن يكون المراد تسعة جمع؛ إذ الظاهر من الرهط الجماعة لا الواحد، ثم يحتمل أنهم كانوا قبائل ويحتمل أنهم دخلوا تحت العدد، لاختلاف وصفهم وأحوالهم، لا لاختلاف النسب^(١١).

قوله: «يُفْسِدُونَ» يجوز أن يكون نعتاً للمعدود أو^(١٢) العدد، فيكون في موضع جر أو رفع^(١٣).

قوله: «ولا يصلحون» قيل: مؤكد للأول، وقيل: ليس مؤكداً؛ لأن بعض المفسدين قد يصلح في وقت ما، فأخبر عن هؤلاء بانتفاء توهم ذلك^(١٤)، وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة، وهم غواة قوم صالح، ورأسهم: قُدار بن سالف، وهو عاقر الناقة^(١٥).

(١) من قوله تعالى: «قَالَ فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُمْ إِلَيْكَ» [البقرة: ٢٦٠].

(٢) انظر البحر المحيط ٨٣/٧، التصريح ٢٧٠/٢، الهمع ٢٥٣/١، الأشموني ٥/٤.

(٣) في النسختين: ثلاثة. والصواب ما أثبتته. (٤) انظر الكتاب ٥٦٢/٣.

(٥) الكشف ١٤٦/٣. (٦) وهو ابن عطية. انظر تفسيره ٢١٨/١١.

(٧) في ب: الأول. وهو تحريف.

(٨) صدر بيت من بحر الوافر، قاله الحطيطي، وعجزه:

لقد جار الزمان على عيالي

وقد تقدم.

(٩) البحر المحيط ٨٣/٧. (١٠) الدر المصون ١٩٩/٥.

(١١) الفخر الرازي ٢٤/٢٠٣، وفيه: السبب. (١٢) في ب: و.

(١٣) انظر التبيان ١٠١٠/٢، البحر المحيط ٨٣/٧.

(١٤) انظر الكشف ١٤٦/٣، البحر المحيط ٨٣/٧. (١٥) انظر البغوي ٦/٢٩١.

قوله: «قَالُوا تَقَاسَمُوا» يجوز في «تَقَاسَمُوا» أن يكون أمراً، قال بعضهم لبعض: احلفوا على كذا، ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً، وحينئذ يجوز أن يكون مفسراً لـ «قَالُوا» كأنه قيل: ما قالوا؟ فقيل: تقاسموا^(١). ويجوز أن يكون حالاً على إضمار «قد»، أي: قالوا ذلك متقاسمين، وإليه ذهب الرمخشري، فإنه قال: يحتمل أن يكون أمراً وخبراً في محل الحال بإضمار «قد»^(٢). قال أبو حيان: أما قوله: وخبراً. فلا يصح؛ لأن الخبر أحد قسمي الكلام لأنه ينقسم إلى الخبر والإنشاء، وجميع معانيه إذا حققت راجعة إلى هذين القسمين^(٣). قال شهاب الدين: ولا أدري عدم الصحة مماذا؟ لأنه جعل الماضي خبراً، لاحتماله الصدق والكذب، مقابلاً للأمر الذي لا يحتملها، أما كون الكلام لا ينقسم إلا إلى خير وإنشاء وأن^(٤) معانيه إذا حققت ترجع إليهما، فأى مدخل لهذا في الرد على الرمخشري^(٥).

ثم قال أبو حيان: والتقيد بالحال ليس إلا من باب نسبة التقيد، لا من نسبة الكلام التي هي الإسناد، فإذا أطلق عليها الخبر كان ذلك على تقدير أنها لو لم تكن حالاً لجاز أن تستعمل خبراً؛ وكذلك قولهم في الجملة الواقعة صلة: هي خبرية، فهو مجاز والمعنى: أنها لو لم تكن صلة لجاز أن تستعمل خبراً، وهذا فيه عوض^(٦).

قال شهاب الدين: مسلم أن الجملة ما دامت حالاً أو صلة لا يقال لها خبرية، بمعنى أنها تستقل^(٧) بإفادة الإسناد، لأنها سيقّت مساق القيد في الحال ومساق حد كلمة في الصلة^(٨)، وكان ينبغي أن يذكر أيضاً الجملة الواقعة صفة، فإن الحكم فيها كذلك^(٩)، ثم قال^(١٠): وأما إضمار «قد» فلا يحتاج إليه، لكثرة وقوع الماضي حالاً دون «قد»، كثرة ينبغي القياس عليها^(١١).

قال شهاب الدين: الرمخشري مَشَى مع الجمهور فإنّ مذهبه أنه لا بدّ من «قد» ظاهرة أو مضمرة لتقرّبه من الحال^(١٢). وقرأ ابن أبي ليلى: «تَقَسَّمُوا» - دون ألف مع

(١) انظر البيان ٢/ ٢٢٤، التبيان ٢/ ١٠١.

(٢) الكشف ٣/ ١٤٦. وقال الفراء: (فمن قال «تقاسموا» فجعل «تقاسموا» خبراً فكأنه قال: متقاسمين معاني القرآن ٢/ ٢٩٦.

(٣) البحر المحيط ٧/ ٨٣. (٤) في ب: فإن.

(٥) الدر المصون ٥/ ١٩٩. (٦) البحر المحيط ٧/ ٨٣ - ٨٤.

(٧) في ب: تنتقل.

(٨) يريد أن جملة الصلة بالنسبة إلى الموصول كالتعريف بالنسبة إلى المعرف.

(٩) الدر المصون ٥/ ١٥٥. (١٠) وهو أبو حيان.

(١١) البحر المحيط ٧/ ٨٤. ومن الواضح أن أبا حيان يوافق الكوفيين على ما ذهبوا إليه من جواز وقوع الفعل الماضي حالاً دون إضمار «قد» انظر الهمع ١/ ٢٤٧.

(١٢) الدر المصون ٥/ ١٩٩.

تشديد السين^(١) - والتَّقَاسُم والتَّقَشُّم كالْتَّظَاهِر والتَّظْهَر^(٢).

قوله: «بِاللَّهِ» إن جعلت «تَقَاسَمُوا» أمراً، تعلق به الجار قولاً واحداً، وإن جعلته ماضياً احتمل أن يتعلق به، ولا يكون داخلاً تحت القول، والمقول هو «لُتَبَيَّنَّتْ» (إلى آخره، واحتمل أن يتعلق بمحذوف هو فعل القسم، وجوابه: «لُتَبَيَّنَّتْ» فعلى هذا يكون ما بعده داخلاً تحت المقول^(٣).

قوله: «لُتَبَيَّنَّتْ»^(٤) قرأ الأخوان^(٥) بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء^(٦)، والباقون بنون المتكلم وفتح التاء^(٧). «ثُمَّ لَنَقُولَنَّ»: قرأ الأخوان بتاء الخطاب المضمومة وضم اللام والباقون بنون المتكلم وفتح اللام^(٨)، ومجاهد وابن وثاب والأعمش كقراءة الأخوين^(٩). (إلا أنه بياء الغيبة في الفعلين^(١٠))، وحמיד بن قيس كهذه القراءة في الأول، وقراءة غير الأخوين^(١١) من السبعة في الثاني^(١٢). فأما قراءة الأخوين^(١٣) فإن جعلناه «تقاسموا» فعل أمر، فالخطاب واضح، رجوعاً بآخر الكلام إلى أوله، وإن جعلناه ماضياً، فالخطاب على حكاية خطاب بعضهم لبعض بذلك. وأما قراءة بقية السبعة، فإن جعلناه ماضياً أو أمراً فالأمر فيهما واضح وهو حكاية إخبارهم عن أنفسهم وأما قراءة الغيبة فيهما فظاهرة على أن يكون «تَقَاسَمُوا» ماضياً^(١٤) رجوعاً بآخر الكلام إلى أوله في الغيبة، وإن جعلناه أمراً كان «لُتَبَيَّنَّتْ» جواباً لسؤال مقدر، كأنه قيل: كيف تقاسموا؟ فقيل: لُتَبَيَّنَّتْ. وأما غيبة الأول والمتكلم في الثاني، فتعليله مأخوذ مما تقدم في تعليل القراءتين، وقال الزمخشري: وقرئ «لُتَبَيَّنَّتْ» بالتاء والياء والنون، ف «تَقَاسَمُوا» مع التاء والنون يصح (فيه الوجهان^(١٥))، يعني يصح^(١٦) في «تَقَاسَمُوا» أن يكون أمراً وأن يكون خبراً، قال: ومع الياء لا يصح إلا أن يكون خبراً^(١٧).

قال شهاب الدين: وليس كذلك^(١٨) لما تقدم من أنه يكون أمراً وتكون^(١٩) الغيبة

(١) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٨٣/٧. (٢) انظر الكشف ١٤٦/٣، البحر المحيط ٨٣/٧.

(٣) انظر البحر المحيط ٨٤/٧. (٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) حمزة والكسائي. (٦) أي: لتبينته.

(٧) السبعة (٤٨٣)، الكشف ١٦١/٢ - ١٦٢، النشر ٣٣٨/٢، الإتحاف (٣٣٧).

(٨) المراجع السابقة. (٩) في الأصل: الأخوان.

(١٠) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٨٤/٧. (١١) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٢) (لينته - ثم لنقولن) انظر البحر المحيط ٨٤/٧.

(١٣) في الأصل: الأخوان. (١٤) ماضياً: سقط من ب.

(١٥) لم يشر إلى ضبط الفاء في الفعل وهي لام الكلمة فإن كانت بالضم فيكون الخطاب للجمع، وإن كانت بالفتح فيكون الخطاب للواحد كما لم يعزها إلى من قرأ بها، والظاهر أن المراد به خطاب الجمع فيكون «لتبينته».

(١٦) ما بين القوسين سقط من الأصل. (١٧) الكشف ١٤٦/٣.

(١٨) في ب: لذلك. (١٩) في الأصل: خبراً من قال، ومع الياء لا يصح إلا أن يكون خبراً لا أمراً.

فيما بعده جواباً لسؤال مقدر^(١). وقد تابع^(٢) الزمخشري أبو البقاء على ذلك فقال: «تَقَاسَمُوا» فيه وجهان:

أحدهما: هو أمر^(٣) أي: أمر بعضهم بذلك بعضاً، فعلى هذا يجوز في «لَنُنَبِّئَنَّ» النون بتقدير: قولوا لَنُنَبِّئَنَّ، والتاء على خطاب الأمر المأمور، ولا يجوز التاء.

والثاني: هو فعل ماضٍ، وعلى هذا يجوز الأوجه الثلاثة^(٤). يعني بالأوجه: النون والتاء والياء، قال^(٥): وهو على هذا تفسير^(٦)، أي: و^(٧) تقاسموا على كونه ماضياً مفسراً لنفس «قَالُوا» وقد سبقهما إلى ذلك مكي^(٨) - رحمه الله - وتقدم توجيه ما منعه والله الحمد، وتنزيل هذه الأوجه بعضها على بعض مما يصعب استخراجها من كلام القوم، وتقدم الكلام في «مَهْلِكٌ أَهْلِهِ» في الكهف^(٩).

فصل

من جعله^(١٠) أمراً فموضع «تَقَاسَمُوا» جزم على الأمر، أي: احلفوا^(١١)، ومن جعله فعلاً ماضياً^(١٢) فمحله نصب أي: تحالفوا وتوافقوا لنبيته لقتلته، بيئاتاً أي: ليلاً، وأهله: أي: قومه الذين أسلموا معه، «ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَّهِ»: أي لولي دمه، «مَا شَهِدْنَا» ما حضرنا، «مَهْلِكٌ أَهْلِهِ» إهلاكهم، ولا ندري من قتله، ومن فتح الميم فمعناه: هلاك أهله، «وَإِنَّا لَصَادِقُونَ»: في قولنا ما شهدنا ذلك^(١٣).

قوله: «وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا» غدروا غدرًا حين قصدوا تبيت صالح والفتك به، «وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا» جازيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم، «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» فشبه إهلاكهم من حيث لا يشعرون بمكر الماكر على سبيل الاستعارة^(١٤). وقيل: إن الله تعالى أخبر صالحاً بمكرهم فتحرز عنهم، فذلك مكر الله في حقهم^(١٥).

قوله: «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ»: قرأ الكوفيون^(١٦) بفتح «أَنَا»، والباقون بالكسر^(١٧)، فالفتح من أوجه:

(١) الدر المصون ٢٠٠/٥.	(٢) في ب: بالغ. وهو تحريف.
(٣) في ب: أمراً. وهو تحريف.	(٤) التبيان ١٠١٠/٢.
(٥) هو أبو البقاء.	(٦) التبيان ١٠١٠/٢.
(٧) و: سقط من ب.	(٨) انظر الكشف ١٦٢/٢. ومشكل إعراب القرآن ١٥٠/٢ - ١٥١.
(٩) عند قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا» [الكهف: ٥٩].	(١٠) في ب: من جعل تقاسموا.
(١١) في الأصل: اختلفوا.	(١٢) في الأصل: ماضياً تقاسموا.
(١٣) انظر البغوي ٢٩٢/٦.	(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٣.
(١٥) المرجع السابق.	(١٦) وهم: عاصم وحزمة والكسائي.
(١٧) السبعة (٤٨٣ - ٤٨٤)، الكشف ١٦٣/٢، النشر ٣٣٨/٢، الإتحاف (٣٣٨).	

أحدها: أن يكون على حذف الجر، لأننا دمرناهم، و «كَانَ» تامة، و «عَاقِبَةُ» فاعل بها، و «كَيْفَ»: حال^(١).

الثاني: أن يكون بدلاً من «عَاقِبَةُ»، أي: كيف كان تدميرنا إيائهم، بمعنى كيف حدث^(٢).

الثالث: أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هي أننا دمرناهم، أي: العاقبة تدميرنا إيائهم^(٣)، ويجوز مع هذه الأوجه الثلاثة أن تكون كان ناقصة، ويجعل «كَيْفَ» خبرها^(٤)، فتصير الأوجه ستة، ثلاثة مع تمام «كَانَ» وثلاثة مع نقصانها، ونزيد مع الناقصة وجهاً آخر، وهو أن يجعل «عَاقِبَةُ» اسمها، و «أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ» خبرها، و «كَيْفَ»: حال^(٥)، فهذه سبعة أوجه، والثامن: أن تكون «كان» زائدة، و «عاقبة» مبتدأ، وخبره «كَيْفَ»، و «أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ» بدل من «عاقبة» أو خبر مبتدأ مضمّر^(٦)، وفيه تعسف.

التاسع: أنها على حذف الجار أيضاً، إلا أنه الباء، أي: بأننا دمرناهم، ذكره أبو البقاء^(٧).

العاشر: أنها بدل من «كَيْفَ»^(٨)، وهذا وهم من قائله، لأن المبدل من اسم الاستفهام يلزم معه إعادة حرف^(٩) الاستفهام، نحو: كم مالكم^(١٠) أعشرون أم ثلاثون^(١١)؟ وقال مكي: ويجوز في الكلام نصب «عَاقِبَةُ» ويجعل «أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ» اسم كان^(١٢). انتهى.

بل كان هذا هو الأرجح كما كان النصب في قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [العنكبوت: ٢٤] ونحوه^(١٣) أرجح، لما تقدّم شبهه بالمضمّر، لتأويله بالمصدر، وتقدّم تحقيق هذا^(١٤). وقرأ أبي: «أَنْ دَمَرْنَاهُمْ» وهي: أن^(١٥) المصدرية التي يجوز أن تنصب المضارع، والكلام فيها كالكلام على «أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ»^(١٦) وأما قراءة الباقيين، فعلى

(١) انظر مشكل إعراب القرآن ١٥١/٢ - ١٥٢، الكشف ١٤٧/٣.

(٢) المرجع السابق ١٥١/٢، الكشف ١٤٧/٣.

(٣) هذا تقدير الزمخشري. الكشف ١٤٧/٣، وقدره مكي: «هو أنا...». مشكل إعراب القرآن ١٥٢/٢. الكشف ١٦٣/٢. التبيان ١٠١٠/٢.

(٤) انظر البيان ٢٢٥/٢. (٥) انظر مشكل إعراب القرآن ١٥٢/٢، الكشف ١٤٧/٣.

(٦) انظر البحر المحيط ٨٦/٧.

(٧) قال أبو البقاء: (هو في موضع نصب، أي: بأننا أو لأننا) التبيان ١٠١١/٢.

(٨) حكاها أبو البقاء. التبيان ١٠١١/٢. (٩) في ب: حروف.

(١٠) في ب: مالك. (١١) انظر التبيان ١٠١٢/٢.

(١٢) وعبارته: ويجوز في الكلام نصب «عاقبة» على خبر (كان)، وتجعل «أنا» اسم (كان) مشكل إعراب القرآن ١٥٢/٢.

(١٣) يريد قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٨٢].

(١٤) عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الأعراف: ٨٢].

(١٥) في ب: أنا. وهو تحريف. (١٦) انظر البحر المحيط ٨٦/٧.

الاستئناف، وهو تفسير للعاقبة^(١)، وكان يجوز فيها التمام والنقصان والزيادة، و «كَيْفَ» وما في حيزها في محل نصب على إسقاط الخافض، لأنه معلق للنظر، و «أَجْمَعِينَ»: تأكيد للمعطوف والمعطوف عليه.

فصل

قال ابن عباس: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه، فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلتهم^(٢). وقال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً، ليأتوا دار صالح، فجشم عليهم الجبل فأهلكهم وأهلك الله قومهم بالصيحة^(٣).

قوله: «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ» العامة على نصب «خَاوِيَةٌ» حالاً، والعامل فيها معنى اسم الإشارة^(٤)، وقرأ عيسى: «خَاوِيَةٌ» بالرفع^(٥)، إما على خبر «تلك»، و «بُيُوتُهُمْ» بذل من «تِلْكَ»، وإما خبر ثان، و «بُيُوتُهُمْ» خبر أول^(٦)، وإما على خبر مبتدأ محذوف، أي: هي خاوية^(٧)، وهذا إضمار مستغنى عنه، و «بِمَا ظَلَمُوا» متعلق بـ «خاوية»، أي بسبب ظلمهم: و «خَاوِيَةٌ» أي: خالية «بِمَا ظَلَمُوا» بظلمهم وكفرهم، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّعِبْرَةٍ»، «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» قدرتنا. «وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» قيل: كان الناجون منهم أربعة آلاف^(٨).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلَحِشَّةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ٥٤ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْإِنْسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ٥٥﴾ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْظَهُرُونَ ٥٦ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ٥٧﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ الآية، «وَلَوْ طَا» إما منصوب عطفاً على

(١) انظر مشكل إعراب القرآن ١٥١/٢، البيان ٢٢٤/٢، البيان ١٠١٠/٢.

(٢) انظر البغوي ٢٩٢/٦ - ٢٩٣. (٣) انظر البغوي ٢٩٣/٦.

(٤) انظر الكشف ١٤٧/٣، البيان ٢٢٥/٢، البيان ١٠١١/٢.

(٥) قال ابن خالويه: «فتلك بيوتهم خاوية» بالرفع حكاه أبو معاذ. المختصر (١١٠) الكشف ١٤٧/٣، البحر الميخبط ٨٦/٧.

(٦) انظر مشكل إعراب القرآن ١٥٢/٢، البيان ٢٢٥/٢.

(٧) انظر مشكل إعراب القرآن ١٥٢/٢، الكشف ١٤٧/٣، البيان ٢٢٥/٢. وجوز مكي وابن الأنباري وجهين آخرين، وهما: أن تجعل «خاوية» بدلاً من «البيوت»، وأن تجعل «بيوتهم» عطف بيان على «تلك» و «خاوية» خبر «تلك». انظر مشكل إعراب القرآن ١٥٢/٢ - ١٥٣، البيان ٢٢٥.

(٨) انظر البغوي ٢٩٣/٦.

«صالحاً» أي: وأرسلنا لوطاً^(١)، وإما عطفاً على «الَّذِينَ آمَنُوا»، أي: وأنجينا لوطاً^(٢)، وإما «بإذْكَر» مضمره^(٣)، و «إِذْ قَالَ»: بدل اشتمال من «لوطاً»^(٤)، وتقدّم نظيره في مريم^(٥) وغيرها.

«تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ» استفهام على وجه الإنكار، والتوبيخ بمثل هذا اللفظ أبلغ، و «الْفَاحِشَةُ»: الفعلة القبيحة.

قوله: «وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» جملة حالية من فاعل «تَأْتُونَ» أو من «الْفَاحِشَةَ»، والعائد محذوف، أي: وأنتم تبصرونها لستم غمياً عنها جاهلين بها، وهو أشنع. وقيل: المعنى يرى بعضكم بعضاً، وكانوا لا يستترون، عتواً منهم^(٦). فإن قيل: إذا فسرت «تُبْصِرُونَ» بالعلم، وبعده: «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» فكيف يكون علماً جهلاً؟ فالجواب:

تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك، أو تجهلون العاقبة، أو أراد بالجهل: السفاهة والمجانة التي كانوا عليها^(٧).

قوله: «شَهْوَةً»: مفعول من أجله^(٨)، أو في موضع الحال، وقد تقدّم^(٩).

قوله: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ»: خبر مقدم، و «إِلَّا أَنْ قَالُوا» في موضع الاسم. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق برفعه اسماً، و «إِلَّا أَنْ قَالُوا» خبر^(١٠) وهو ضعيف، لما تقدّم تقريره^(١١). وتقدّم قراءتا «قَدَرْنَا» تشديداً وتخفيفاً^(١٢)، والمخصوص بالذم محذوف في قوله: «فَسَاءَ مَطَرُ الْمُُنْذِرِينَ» أي: مَطَرُهُمْ^(١٣).

فصل

لما بيّن تعالى جهلهم، بيّن أنهم أجابوا بما لا يصلح أن يكون جواباً، فقال:

- (١) انظر مشكل إعراب القرآن ١٥٣/٢، الكشف ١٤٧/٣، البيان ٢٢٥/٢، البحر المحيط ٨٦/٧.
- (٢) انظر البحر المحيط ٨٦/٧.
- (٣) انظر مشكل إعراب القرآن ١٥٣/٢، الكشف ١٤٧/٣، البيان ٢٢٥/٢، البحر المحيط ٨٦/٧.
- (٤) انظر الكشف ١٤٧/٣.
- (٥) عند قوله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نَدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٢، ٣].
- (٦) انظر الكشف ١٤٧/٣.
- (٧) انظر الكشف ١٤٧/٣، الفخر الرازي ٢٤/٢٠٤.
- (٨) انظر البحر المحيط ٨٦/٧.
- (٩) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ [الأعراف: ٨١].
- (١٠) المحتسب (١٤١)، البحر المحيط ٨٦/٧.
- (١١) وذلك أن علة الضعف فيه أن قوله: «أَنْ قَالُوا» يشبه المضمر في أنه لا يوصف والمضمر أعرف من هذا المظهر.
- (١٢) بالتخفيف قرأ أبو بكر عن عاصم، والباقون بالتشديد. السبعة (٤٨٤)، الإتحاف ٣٣٨.
- (١٣) انظر البحر المحيط ٨٧/٧. وفي ب: أمطرهم.

«فَمَا^(١) كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنطَهَرُونَ»، أي: يتطهرون من هذا الصنيع الفاحش^(٢). وقيل: قالوا ذلك على وجه الهزاء^(٣).
«فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاَهَا» قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا «مِنْ الْغَابِرِينَ»، أي: الباقين في العذاب، و «أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا»، وهو الحجارة «فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ»^(٤).

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرُكُونَ﴾ (٥٩) «أَمِنْ خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ بِلَ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠)

قوله تعالى^(٥): ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الآية، العامة على كسر لام قل، لالتقاء الساكنين، وأبو السمال بفتحها^(٦) تخفيفاً، وكذا في قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ [النمل: ٩٣]، «وَسَلَامٌ»: مبتدأ، سوغ الابتداء به كونه دعاء.

فصل

المعنى: «الحمد لله» على هلاكهم، وهذا خطاب لرسول الله - ﷺ - أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية، و «سَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ» بأن أرسلهم ونجاهم^(٧). وقيل: هذا كلام مبتدأ، فإنه تعالى لما ذكر أحوال الأنبياء - عليهم السلام^(٨) - وكان محمد - عليه السلام^(٩) - كالمخالف لمن قبله - في العذاب؛ لأن عذاب الاستئصال مرتفع عن قومه - أمره الله تعالى بأن يشكر ربه على ما خصه به من هذه النعم، وبأن يسلم على الأنبياء الذين ضربوا على مشاق الرسالة^(١٠).

قوله: «وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ» قال مقاتل: هم الأنبياء والمرسلون، بدليل قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾^(١١) [الصافات: ١٨١]. وقال ابن عباس - في رواية أبي مالك - هم أصحاب محمد - ﷺ -^(١٢) وقال الكلبي: هم أمة محمد^(١٣). وقيل: هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين^(١٤).

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٤.

(١) في النسختين: وما.

(٤) انظر البغوي ٦/٢٩٤.

(٣) المرجع السابق ٢٤/٢٠٤ - ٢٠٥.

(٦) انظر تفسير ابن عطية ١١/٢٢٤، البحر المحيط ٧/٨٨.

(٥) تعالى: سقط من ب.

(٨) في ب: عليهم الصلاة والسلام.

(٧) انظر البغوي ٦/٢٩٤.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٥.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٢) انظر البغوي ٦/٢٩٥.

(١١) انظر البغوي ٦/٢٩٤ - ٢٩٥.

(١٤) المرجع السابق.

(١٣) المرجع السابق.

قوله: «أَمَّا» أم هذه متصلة عاطفة، لاستكمال شروطها^(١)، والتقدير: أَيُّهَا خَيْرٌ، و «خَيْرٌ» إمَّا تفضيل - على زعم الكفار - وإلزام^(٢) الخصم، أو صفة لا تفضيل فيها^(٣). و «مَا» في «أَمَّا مَا» بمعنى الذي، وقيل: مصدرية، وذلك على حذف مضاف من الأول، أي: أتوحيد الله خير أم شرككم^(٤)؟ وقرأ أبو عمرو وعاصم: «أَمَّا يُشْرِكُونَ» بالغيبة حملاً على ما قبله من قوله: «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ»، وما بعده من قوله: «بَلْ أَكْثَرُهُمْ»، والباقون على الخطاب^(٥)، وهو التفات للكفار، بعد خطاب نبيه - عليه السلام^(٦) - وهذا تبكيت للمشركين بحالهم، لأنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى، ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لزيادة خير ومنفعة، ف قيل لهم هذا الكلام تنبيهاً لهم على نهاية ضلالهم وجهلهم^(٧)، وروي أن رسول - ﷺ - كان إذا قرأها قال: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم»^(٨).

قوله: «أَمَّنْ خَلَقَ» «أَم» هذه منقطعة^(٩)، لعدم تقدم همزة الاستفهام ولا تسوية، و «مَنْ خَلَقَ» مبتدأ وخبره محذوف، فقدّرهُ الزمخشري: خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ^(١٠)، فقدّر ما^(١١) أثبت في الاستفهام الأول، وهو حَسَنٌ، وقدّرهُ ابن عطية: يُكْفَرُ بنعمته ويُشْرِكُ به، ونحو هذا من المعنى^(١٢). وقال أبو الفضل الرازي: لا بُدَّ من إضمار جملة معادلة، وصار ذلك المضمّر كالمنطوق لدلالة الفحوى عليه، وتقدير تلك الجملة: أَم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَمَنْ لَمْ يَخْلُقْ؟ وكذلك أخواتها، وقد أظهر في غير هذه المواضع ما أضمر فيها^(١٣)، كقوله: «أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ» [النحل: ١٧]. وقال أبو حيان: وتسمية هذا المقدّر جملة إن أراد أنها جملة من جهة الألفاظ فصحيح^(١٤)، وإن أراد الجملة المصطلح عليها في النحو، فليس بصحيح، بل هو مضمّر من قبيل المفرد^(١٥). وقرأ الأعمش: «أَمَّنْ» بتخفيف الميم^(١٦) جعلها (مَنْ) الموصولة داخلة عليها همزة الاستفهام، وفيها وجهان:

- (١) لأن «أَم» المتصلة هي الواقعة بعد همزة التسوية، أو همزة يطلب بها وب «أَم» التعيين، وسميت متصلة لأن ما قبلها وما بعدها لا تستغني أحدهما عن الآخر، وتسمى معادلة لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية في النوع الأول والاستفهام في النوع الثاني. انظر المغني ٤١/١، الهمع ١٣٢/٢.
- (٢) في ب: والدام. وهو تحريف.
- (٣) انظر مشكل إعراب القرآن ١٥٣/٢، البيان ٢٢٥/٢.
- (٤) انظر تفسير ابن عطية ٢٢٥/١١ - ٢٢٦، البحر المحيط ٨٨/٧.
- (٥) الكشف ١٦٣/٢ - ١٦٤، الإتحاف (٣٣٨).
- (٦) في ب: عليه الصلاة والسلام. انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٥.
- (٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٥، القرطبي ١٣/١٢١.
- (٩) انظر الكشف ٣/١٤٨. (١٠) المرجع السابق.
- (١١) في ب: فقدّرنا. (١٢) تفسير ابن عطية ١١/٢٢٧.
- (١٣) انظر البحر المحيط ٧/٨٩. (١٤) في ب: صحيح.
- (١٥) البحر المحيط ٧/٨٩. (١٦) المختصر (١١٠)، المحتسب ٢/١٤٢.

أحدهما: أن يكون مبتدأ والخبر محذوف وتقديره ما تقدم من الأوجه، قاله أبو حيان^(١).

والثاني: أنها بدل من «الله»، كأنه قيل: أمن^(٢) خلق السموات والأرض خير أمّا يشركون، ولم يذكر الزمخشري غيره^(٣). ويكون قد فصل بين البدل والمُبدل منه بالخبر وبالمعطوف على المبدل^(٤) منه، وهو نظير قولك: أزيد خير أم عمّرو أخوك^(٥)، على أن يكون أخوك^(٦) بدلاً من: أزيد، وفي جواز مثل هذا نظر^(٧).

قوله: «فَأَنبَأْنَا» هذا التفات من الغيبة إلى المتكلم، لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته، والإيدان بأنّ إثبات الحقائق المختلفة الألوان والطعوم - مع سقيها بماء واحد - لا يقدر عليه إلا هو وحده، ولذلك رشحه بقوله: «مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِئُوا شَجَرَهَا»^(٨). فإن الإنسان ربما يقول: أنا الذي ألقي البذر في الأرض وأسقيها الماء وأسعى في تشميسها، وفاعل السبب فاعل المسبب، فإذا أنا المنبت للشجرة، فلما كان هذا الاحتمال قائماً، لا جرم أزال الله تعالى هذا الاحتمال، فرجع من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم. والحدائق جمع حديقة وهي البستان، وقيل القطعة من الأرض ذات الماء^(٩). قال الراغب: سُمِّيَتْ بذلك تشبيهاً بحديقة العين في الهيئة وحصول الماء فيه^(١٠). وقال غيره: سُمِّيَتْ بذلك لإحداق الجدران بها^(١١).

وليس بشيء، لأنها يطلق^(١٢) عليها ذلك مع عدم الجدران^(١٣) ووقف القراء على «ذات» من «ذَاتِ بَهْجَةٍ» بتاء مجهورة، والكسائي بها، لأنها تاء تانيث^(١٤). وقيل:

(١) قال أبو حيان: (وقرأ الأعمش بتخفيفها جعلها همزة الاستفهام أدخلت على (من) و «من» في القرائتين مبتدأ وخبر) البحر المحيط ٨٩/٢.

(٢) في الأصل: أما.

(٣) قال الزمخشري: (وقرأ الأعمش «أمن» بالتخفيف، ووجهه أن يجعل بدلاً من «الله» كأنه قال: أمن خلق السموات والأرض خير أم ما تشركون) الكشف ١٤٨/٣.

(٤) في ب: البدل. وهو تحريف. (٥) في ب: أم أخوك. وهو تحريف.

(٦) في ب: أخوك.

(٧) ما ذكره ابن عادل عن الفصل لا يضرب، لأنهم قد فصلوا بين المتلازمين كالمبتدأ والخبر بجملته الاعتراض، والفصل هنا بجزء من المبدل منه وهو الخير وما عطف عليه.

(٨) انظر الكشف ١٤٨/٣. (٩) المرجع السابق.

(١٠) المفردات في غريب القرآن (١١١).

(١١) قال الفراء: (إنما يقال: حديقة لكل بستان عليه حائط، فما لم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة) معاني القرآن ٢٩٧/٢.

(١٢) في ب: مطلق.

(١٣) قال أبو حيان: (الحديقة: البستان كان عليه جدار أو لم يكن) البحر المحيط ٨١/٧.

(١٤) انظر إبراز المعاني (٢٤٧).

«ذات»، لأنه بمعنى جماعة حقائق ذات بهجة كما تقول^(١): النساء ذهبت، و «البهجة»: الحسن، لأن حس الناظر يبتهج به^(٢). وقرأ ابن أبي عبلة: «ذَوَاتِ بِهِجَةٍ» بالجمع، وفتح هاء «بِهِجَةٍ»^(٣). قوله: «مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِئُوا»، «أَنْ تُنْبِئُوا» اسم كان و «لَكُمْ» خبر مقدم، والجملة المنفية يجوز أن تكون صفة لـ «حادثات»^(٤)، وأن تكون حالاً: لتخصصها بالصفة.

قوله: «إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ» استفهام بمعنى الإنكار، هل معبود سواه أعانه على صنعه، بل ليس معه إله، وقرئ: إلهاً مَعَ اللَّهِ، أي: تدعون أو تشركون^(٥)، «بَلْ هُمْ قَوْمٌ»: يعني كفار مكة، يَعْدِلُونَ: يشركون، أي: يعدلون بالله^(٦) سواه، وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر، ونظير هذه الآية أول سورة الأنعام^(٧).

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

قوله: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾، قال الزمخشري: «أَمَّنْ» وما بعده بدل من «أَمَّنْ خَلَقَ»، وحكمها حكمه^(٨). ومعنى قراراً: لا تميد بأهلها^(٩)، فإنها لو كانت متحركة لما استقر أحد بالسكنى على الأرض. قوله: «خِلَالَهَا»: يجوز أن يكون ظرفاً، لـ «جعل» بمعنى خلق المتعدية لواحد، وأن يكون في محل المفعول الثاني^(١٠) على أنها بمعنى صير، وخاللها^(١١): وسطها أنهاراً. واعلم^(١٢) أن المياه المنبعثة في الأرض أربعة:

الأول: مياه العيون السيالة، قال ابن الخطيب: وهي تنبعث من أبخرة كثيرة المادة قوية الاندفاع تفجر الأرض بقوة^(١٣).

الثاني: ماء العيون الراكدة، وهي تحدث من أبخرة بلغت قوتها إلى وجه الأرض، ولم يبلغ من قوتها وكثرة مادتها أن يطرد (تاليها سابقها)^(١٤).

(١) في ب: يقال. (٢) انظر الكشف ١٤٨/٣.

(٣) انظر البحر المحيط ٨٩/٧. (٤) انظر التبيان ١٠١٢/٢. وفي ب: الحادثات.

(٥) انظر الكشف ١٤٨/٣، البحر المحيط ٨٩/٧، وفيهما: أتدعون أو أتشركون.

(٦) في ب: الله.

(٧) وهو قوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا يبرئهم يعدلون﴾ [١]. انظر اللباب ٣٧١/٣.

(٨) الكشف ١٤٨/٣. (٩) انظر البغوي ٢٩٦/٦.

(١٠) انظر التبيان ١٠١٢/٢. (١١) في ب: وإخلالها.

(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٠٧/٢٤.

(١٣) الفخر الرازي ٢٠٧/٢٤. (١٤) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

الثالث: ماء القنى والأنهار، وهي متولدة من أبخرة ناقصة القوة عن أن تشق الأرض، فإذا أزيل عن وجهها ثقل التراب صار حيثئذ لتلك الأبخرة منفذاً يندفع إليه بأدنى حركة.

الرابع: مياه الآبار، وهي منبعثة كمياه الأنهار إلا أنه لم يحصل لها ميل إلى موضع تسيل إليه. ونسبة القنى إلى الآبار نسبة العيون السائلة إلى العيون الراكدة^(١).

قوله: «وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي» وهي الجبال ثوابت.

قوله: «بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ»: يجوز فيه ما جاز في «خِلَالَهَا»^(٢)، والحاجز: الفاصل، حجز بينهم يحجز أي: منع وفصل، والمراد بالبحرين: العذب والملح. «إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ» قرئ «إِلَهٌ» بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية، وإدخال ألف بينهما تخفيفاً وتسهيلاً^(٣)، وهذا كله معروف من أول هذا الكتاب، «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» توحيد ربهم.

قوله: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ» المضطر: اسم مفعول مأخوذ من اضطر، ولا يستعمل إلا مبنياً للمفعول، وإنما كرر الجعل هنا، ولم يشرك^(٤) بين المعمولات^(٥) في عامل واحد، لأن كل واحدة من هذه مئة مستقلة، فأبرزها في جملة مستقلة بنفسها، قال الزمخشري ضرورة الحال المحوجة إلى الالتجاء، والاضطرار: افتعال منها، فيقال: اضطرَّ إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر^(٦). فإن قيل: هذا يعم المضطرين، وكم من مضطر يدعو فلا يجاب، فالجواب:

أنه ثبت في أصول الفقه أن المفرد المعرف لا يفيد العموم، وإنما يفيد الماهية فقط، والحكم المثبت للماهية يكفي في صدقه ثبوته في فرد واحد من أفراد الماهية فقط، فإنه تعالى وعد بالاستجابة، ولم يذكر أنه يستجيب في الحال^(٧).

قوله: «وَيَكْشِفُ السُّوءَ» كالتفسير للاستجابة، فإنه لا يقدر أحد على كشف ما دفع إليه من فقر إلى غنى ومرض إلى صحة، إلا القادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا ينازع^(٨)، «وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ» أي: يورثكم سكتانها^(٩) والتصرف فيها قرناً بعد قرن، وأراد بالخلافة الملك والتسليط^(١٠). قوله: «قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ» قرأ أبو عمرو

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٤/٢٠٧.

(٢) انظر التبيان ٢/١٠١٢.

(٣) قال ابن خالويه: «إِلَهٌ» بهمزتين بينهما مدة عبد الرحمن الأعرج المختصر (١١١) وانظر أيضاً البحر المحيط ٨٩/٧، ولم يعز أبو حيان هذين الوجهين إلى من قرأ بهما.

(٤) لم يشرك: سقط من ب. (٥) في ب: الممولان.

(٦) الكشف ٣/١٤٩. (٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٨ - ٢٠٩.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٩. (٩) في ب: من سكتانها.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٠٩.

وهشام: «يَذْكُرُونَ» بالغيبة والباقون بالخطاب^(١)، وهما واضحتان، وأبو حيوة: «تَذْكُرُونَ» بتاءين^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا مِّمَّنْ يَدْنِي رَحْمَتُهُ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٤)

قوله: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات^(٣) في البحر^(٤) إذا سافرتُم بالليل في البر والبحر^(٥). و «مَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ»، وهي المطر، وتقدم الكلام في «بُشْرًا» في الأعراف^(٦)، «أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

قوله: «أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» لما عدد نعم الدنيا أتبع ذلك بنعم الآخرة، وهي لا تتم إلا بالإعادة بعد الابتداء والإبلاغ إلى حد التكليف، فقد تضمن الكلام كل نعم الدنيا والآخرة، وهي لا تتم إلا بالإرزاق، فلذلك قال: «وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٧) «مِنَ السَّمَاءِ»: المطر، ومن الأرض: النبات، «أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ حُجَّتْكُمْ عَلَى قَوْلِكُمْ: إِنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ولا برهان لكم، فإذا أنتم مبطلون.

فإن قيل: كيف قيل لهم: أم من يبدؤ الخلق ثم يعيده، وهم ينكرون الإعادة؟ فالجواب: كانوا معترفين بالابتداء، ودلالة الابتداء على الإعادة دلالة ظاهرة قوية، فلما كان الكلام مقروناً بالدلالة الظاهرة، صاروا كأنهم لم يبق لهم عذر في الإنكار^(٨).

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٦٥) ﴿بَلِ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (٦٦)

قوله (تعالى): «قُلْ»^(٩) لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ لما بين أنه مختص بالقدرة، بين أنه المختص بعلم الغيب، وإذا ثبت ذلك، ثبت أنه الإله المعبود^(١٠).

(١) السبعة (٤٨٤)، الكشف ١٦٤/٢، النشر ٣٣٨ - ٣٣٩، الإتحاف ٣٣٨.

(٢) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٩٠/٧.

(٣) في النسختين: والولايات. والتصويب من الفخر الرازي.

(٤) في ب: الأرض. (٥) انظر الفخر الرازي ٢٠٩/٢٤.

(٦) عند قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» [الأعراف: ٥٧].

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٠. (٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١١.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب. (١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١١.

وفي هذا الاستثناء أوجه:

أحدها: أنه فاعل «يعلم»، و «من» مفعوله، و «الغيب» بدل من «من في السموات» أي: لا يعلم غيب من في السموات والأرض إلا الله، أي: الأشياء الغائبة التي تحدث في العالم، وهو وجه غريب ذكره أبو حيان^(١).

الثاني: أنه مستثنى متصل من «من»، ولكن لا بد من الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة على هذا الوجه، و^(٢) بيانه أن الظرفية المستفادة من «مَنْ فِي» حقيقة بالنسبة إلى غير الله تعالى، ومجاز بالنسبة إلى الله تعالى بمعنى^(٣): أن علمه في السموات والأرض فيندرج (في)^(٤) «مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» بهذا الاعتبار، وهو مجاز، وغيره من مخلوقاته في السموات والأرض حقيقة، فبذلك الاندراج المؤول استثنى من «مَنْ»، وكان الرفع على البذل أولى، (لأن الكلام غير موجب)^(٥)، قال مكّي: الرفع في اسم الله - عز وجل - على البذل^(٦) من^(٧).

ورد الزمخشري هذا بأنه جمع بين الحقيقة والمجاز وأوجب أن يكون منقطعاً، فقال: فإن^(٨) قلت: لم رفع اسم الله، والله يتعالى أن يكون ممن في السموات والأرض؟ قلت: جاء على لغة بني تميم، حيث يقولون: ما في الدار أحد^(٩) إلا حمار، يريدون: ما فيها إلا حمار، كأن أحداً لم يذكر، ومنه قوله:

٣٩٦٩ - عَشِيَّةً مَا تُغْنِي الرِّمَاحُ مَكَانَهَا وَلَا الثُّبُلُ^(١٠) إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ الْمُصَّمَّمُ^(١١)

وقولهم: ما أتاني زيد «إلا عمرو»، وما أعاني^(١٢) إخوانكم إلا إخوانه، فإن قلت: ما الداعي إلى اختيار المذهب التميمي على الحجازي؟ قلت: دعيت إليه نكتة سرية، حيث أخرج المستثنى مخرج قوله: إِلَّا الْيَعَافِيرُ، بعد قوله: لَيْسَ بِهَا أَنْيْسُ^(١٣): ليؤول

(١) انظر البحر المحيط ٩١/٧. (٢) و: سقط من ب.

(٣) في ب: معنى. (٤) في: تكلمة ليست في المخطوط.

(٥) انظر البيان ٢٢٦/٢. (٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) مشكل إعراب القرآن ١٥٣/٢، وانظر التبيان ١٠١٢/٢.

(٨) في ب: وإن. (٩) في ب: واحد.

(١٠) في ب: السبيل.

(١١) البيت من بحر الطويل، قاله الحصين بن الحمام، ويروى لضرار بن الأزور. وقد تقدم.

(١٢) في الكشاف: وما أعانه.

(١٣) جزءان من بيتين من الرجز وتماهما:

وبلسة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

قالهما جران العود، وهما في الكتاب ٢٦٣/١، ٣٢٢/٢، معاني القرآن للفراء ٤٧٩/١، ١٥/٢، المقتضب ٣١٨/٢، ٣٤٦، ٤١٤/٤، الإنصاف ٢٧١/١، ٣٧٧، ابن يعيش ٨٠/٢، ١١٧، ٢١/٧، ٥٢/٨، شذور الذهب (٢٦٥)، المقاصد النحوية ١٠٧/٣، التصريح ٣٥٣/١، الهمع ٢٢٥/١، ٢/٢ =

المعنى إلى قولك: إن كان الله ممن في السموات والأرض، فهم يعلمون الغيب يعني أن علمهم الغيب - في استحالة - كاستحالة أن يكون الله منهم، كما أن معنى «ما في البيت» إن كانت اليعافير أنيساً ففيها أنيس بئاً للقول بخلوها من الأنيس. فإن قلت: هلا زعمت أن الله ممن في السموات والأرض، كما يقول المتكلمون: «إن الله في كل مكان» على معنى: أن علمه في الأماكن كلها، فكأن ذاته فيها حتى لا يحمل على مذهب بني تميم؟ قلت: يأبى ذلك أن كونه في السموات والأرض مجاز، وكونهم فيهن حقيقة، وإرادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازاً غير صحيح، على أن قولك: من في السموات والأرض، وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إيهام وتسوية، والإيهامات مزالة عنه وعن صفاته، ألا ترى كيف قال عليه السلام^(١) لمن قال: ومن يعصهما فقد غوى: «بشئ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ»^(٢)»^(٣).

فقد رجح الانقطاع، واعتذر عن ارتكاب مذهب التميميين بما ذكر، وأكثر العلماء أنه لا يجمع بين الحقيقة والمجاز^(٤) في كلمة واحدة، وقد قال به الشافعي.

فصل

نزلت هذه الآية في المشركين، حيث سألوا رسول الله - ﷺ - عن وقت قيام الساعة^(٥). و «مَا يَشْعُرُونَ» صفة لأهل السموات والأرض نفى أن يكون لهم علم بالغيب، وذكر في جملة الغيب: متى^(٦) البعث؛ بقوله: «أَيَّانَ يُبْعَثُونَ»، و «أَيَّانَ» بمعنى متى^(٧)، وهي كلمة مركبة من: أي والآن، وهو^(٨) الوقت. وقرئ: «إَيَّانَ» بكسر

= ١٤٤، الأشموني ١٤٧/٢، الخزانة ١٥/١٠، الدرر ١٩٢/١، ٢٠٢/٢، الواو في (وبلدة) واو (رب)، و (بلدة) مجرورة بـ (رب) المحذوفة. والبلدة: القطعة من الأرض، ومطلق الأرض. الأنيس: من يؤنس به من الناس اليعافير: جمع يعفور، وهو ولد الظبية، وولد البقرة الوحشية أيضاً. وقال بعضهم: اليعفور: تيس الظباء.

والعيس: إبل بيض يخالط بياضها شقرة، جمع أعيس، والأنثى عيساء. والشاهد فيه قوله: (إلا اليعافير وإلا العيس) بالرفع بدل من (أنيس) وإن لم يكن من جنسه على لغة بني تميم، وأهل الحجاز يوجبون في هذا النصب.

(١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٢) أخرجه مسلم (جمعة) ٥٩٤/٢، أبو داود (صلاة) ٦٦٠/١، النسائي (نكاح) ٩٠/٦، أحمد ٢٥٦/٤، ٣٧٩.

(٣) الكشف ١٤٩/٣ - ١٥٠.

(٤) الحقيقة لغة: ذات الشيء اللازمة له، وفي الاصطلاح: اللفظ المستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به التخاطب، ولها أقسام بحسب الوضع. والمجاز لغة: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في الاصطلاح الذي به التخاطب لعلاقة ما، وله أقسام. انظر الإيضاح ٢٧٢ - ٢٧٤.

(٥) انظر البغوي ٦/٣٠٠.

(٦) في ب: من. وهو تحريف.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١١.

(٨) في ب: وهي.

الهمزة، قرأ بها السلمي^(١)، وهي لغة قومه بني سليم^(٢)، وهي منصوبة بـ «يُشْعُرُونَ» ومعلقة لـ «يَشْعُرُونَ» فهي مع ما بعدها في محل نصب^(٣) بإسقاط الباء، أي ما يشعرون بكذا.

قوله: «إِذَا رَكَ»^(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «أَذْرَكَ» كأكرم^(٥)، والباقون من السبعة «إِذَا رَكَ» بهمزة وصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها ألف^(٦) - والأصل (تدارك) وبه قرأ أبي^(٧)، فأريد إدغام التاء في الدال، فأبدلت دالاً وسكنت، فتعذر^(٨) الابتداء بها، لسكونها، فاجتلبت^(٩) همزة الوصل، فصار: «إِذَا رَكَ» كما ترى - وتقدم تحقيق هذا في قوله: ﴿فَأَذَرَتْهُمُ فِيهَا﴾^(١٠) [البقرة: ٧٢]. وقراءة ابن كثير، قيل: يحتمل^(١١) أن يكون «أفعل» فيها بمعنى «تفاعل»^(١٢)، فتتحد القراءتان، وقيل: أدرك^(١٣)، بمعنى بلغ وانتهى^(١٤).

وقرأ سليمان وعطاء ابنا^(١٥) يسار: «بَلْ أَدْرَكَ»^(١٦) بفتح لام «بَلْ» وتشديد الدال دون ألف بعدها^(١٧) وتخريجها: أن الأصل: (أَذْتَرَكَ) على وزن افْتَعَلَ، فأبدلت تاء الافتعال دالاً، لوقوعها بعد الدال^(١٨)، قال أبو حيان: فصار فيه قلب الثاني للأول، كقولهم: ائْتَرَدَ، وأصله^(١٩) ائْتَرَدَ^(٢٠) من الترد^(٢١)، انتهى.

قال شهاب الدين: ليس هذا مما قلب فيه الثاني للأول لأجل الإدغام، كأثَرَدَ^(٢٢)

(١) المحتسب ١٤٢/٢. (٢) انظر البحر المحيط ٩٢/٧.

(٣) انظر البحر المحيط ٩١/٧ - ٩٢. (٤) في ب: ادرك.

(٥) في ب: كالرمك. وهو تحريف.

(٦) السبعة (٤٨٥)، الكشف ١٦٤/٢، النشر ٣٣٩/٢، الإتحاف (٣٣٩).

(٧) المختصر (١١٠)، المحتسب ١٤٢/٢. (٨) في ب: وتعذر.

(٩) في ب: فاقبلت. وهو تحريف.

(١٠) وذكر هناك: أن أصل «إِذَا رَكَ» تفاعل من الدرع وهو الدفع فاجتمعت التاء مع الدال، وهما متقاربان في المخرج فأريد الإدغام فقلبت التاء دالاً وسكنت لأجل الإدغام، ولا يمكن الابتداء بساكن فاجتلبت همزة الوصل ليبتدأ بها فبقي إِذَا رَكَ فادغم. انظر اللباب ١٨٠/١.

(١١) في ب: يحمل. (١٢) انظر البحر المحيط ٩٢/٧.

(١٣) في ب: ادراك. وهو تحريف. (١٤) انظر مشكل إعراب القرآن ١٥٤/٢.

(١٥) في ب: ابن وهو تحريف. وهما سليمان بن يسار أبو أيوب الهلالي المدني مولى ميمونة أم المؤمنين، وهو أخو عطاء، وعبد الملك، وعبد الله، تابعي جليل، وردت عنه الرواية في حروف القرآن. مات سنة ١٠٧ هـ. وقيل غير ذلك. طبقات القراء ٣١٨/١، وعطاء بن يسار أبو محمد الهلالي المدني، مولى ميمونة أم المؤمنين وردت عنه الرواية في حروف القرآن. مات سنة ١٠٣ هـ. طبقات القراء ٥١٣/١.

(١٦) في ب: بل ادراك. وهو تحريف. (١٧) المحتسب ١٤٢/٢، البحر المحيط ٩٢/٧.

(١٨) انظر الممتع ٣٥٧/١. (١٩) في ب: والأصل.

(٢٠) في ب: ائترد. (٢١) البحر المحيط ٩٢/٦.

(٢٢) في ب: كما ترد. وهو تحريف.

في ائترد، لأن تاء الافتعال تبدل دالاً بعد أحرف منها الدال، نحو: اَدَّأَ في اَفْتَعَلَ من الدين، فالإبدال لأجل كون الدال فاء لا للإدغام، فليس مثل اَثَرَدَ^(١) في شيء، فتأمله فإنه حسن، فلما أُدغمت الدال في الدال أدخلت همزة الاستفهام، فسقطت همزة الوصل، فصار اللفظ، اَذَرَكَ بهمزة قطع مفتوحة، ثم نقلت حركة هذه الهمزة إلى لام «بَلْ» فصار اللفظ: «بَلْ ذَرَكَ»^(٢). وقرأ أبو رجاء وشيبة والأعمش والأعرج وابن عباس وتروى عن عاصم كذلك إلا أنه بكسر لام «بَلْ» على أصل التقاء الساكنين، فإنهم لم يأتوا بهمزة استفهام^(٣).

وقرأ عبد الله^(٤) بن عباس والحسن وابن محيصن «اَذَرَكَ» بهمزة ثم ألف بعدها^(٥)، وأصلها همزتان أبدلت ثانيهما ألفاً تخفيفاً، وأنكرها أبو عمرو^(٦). وقد تقدم أول البقرة أنه قرئ «أَنْذَرْتَهُمْ»^(٧) بألف^(٨) صريحة - فلهذه بها أسوة^(٩).

وقال أبو حاتم: لا يجوز الاستفهام بعد «بَلْ»، (لأن «بَلْ»^(١٠) إيجاب، والاستفهام في هذا الموضع^(١١) إنكار بمعنى: «لَمْ يَكُنْ» كقوله تعالى: «أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ» [الزخرف: ١٩] أي: لم يشهدوا، فلا يصح وقوعهما معاً للتنافي الذي بين الإيجاب والإنكار^(١٢). قال شهاب الدين: وفي منع هذا نظر، لأن «بَلْ» لإضراب الانتقال، فقد أضرب عن الكلام الأول، وأخذ في استفهام ثانٍ، وكيف ينكر^(١٣) هذا والنحويون يقدرون «أم» المنقطعة ببل والهمزة، وعجبت من الشيخ - يعني أبا حيان - كيف قال هنا: وقد أجاز بعض المتأخرين الاستفهام بعد «بَلْ»، وشبهه بقول القائل: أَخْبِرَا أَكَلْتُ بَلْ أَمَاءَ شَرِبْتُ؟ على ترك الكلام الأول، والأخذ في الثاني^(١٤) انتهى. فتخصيصه ببعض المتأخرين يؤذن بأن المتقدمين وبعض المتأخرين يمنعون، وليس كذلك لما حكيت عنهم في «أم» المنقطعة^(١٥). وقرأ ابن مسعود: «أَذَرَكَ»^(١٦) بتحقيق الهمزتين^(١٧)، وقرأ ورش في رواية: «بَلْ اذَرَكَ» بالنقل^(١٨)، وقرأ ابن عباس أيضاً: «بَلَى اذَرَكَ» بحرف الإيجاب أخت

(١) في ب: مثل أن تتردد. وهو تحريف. (٢) الدر المصون ٢٠٥/٥.

(٣) المختصر (١١٠) المحتسب ١٤٢/٢، البحر المحيط ٩٢/٧.

(٤) عبد الله: سقط من ب.

(٥) المختصر (١١٠) المحتسب ١٤٢/٢، البحر المحيط ٩٢/٧.

(٦) انظر البحر المحيط ٩٢/٧.

(٧) من قوله تعالى: «سواء عليهم أأنذرتهم» [البقرة: ٦]. انظر اللباب ٥٣/١ - ٥٤.

(٨) في ب: بالالف. (٩) في ب: فلهذه استوت. وهو تحريف.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب. (١١) في ب: في هذه المواضع.

(١٢) انظر البحر المحيط ٩٢/٧. (١٣) في ب: أنكر.

(١٤) البحر المحيط ٩٢/٧. (١٥) الدر المصون ٣٠٥/٥.

(١٦) في ب: بل أدرك. (١٧) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٩٢/٧.

(١٨) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٩٢/٧.

نعم^(١)، و «بَلَىٰ أَأَذْرَكَ» بألف بين همزتين^(٢)، وقرأ أبي ومجاهد «أن» بدل «بَلَىٰ»^(٣)،^(٤) وهي مخالفة للسواد.

قوله: «فِي الْآخِرَةِ» فيه وجهان:

أحدهما: أن «فِي» على بابها و «أَذْرَكَ» وإن كان ماضياً لفظاً فهو^(٥) مستقبل معنى، لأنه كائن قطعاً، كقوله: «إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ» [النحل: ١]، وعلى هذا ف «فِي» متعلق ب «أَذْرَكَ»^(٦).

والثاني: أن «فِي» بمعنى الباء، أي: بالآخرة، وعلى هذا فيتعلق بنفس علمهم، كقولك: على يزيد كذا^(٧). وأما قراءة من قرأ «بَلَىٰ»، فقال الزمخشري: لَمَّا جاء بيلي بعد قوله: «وَمَا يَشْعُرُونَ» كان معناه: بلى يشعرون، ثم فسر الشعور بقوله: «أَذْرَكَ علمهم في الآخرة» على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم^(٨)، ثم قال: وأما قراءة: «بَلَىٰ أَأَذْرَكَ»^(٩) على الاستفهام فمعناه: بَلَىٰ^(١٠) يشعرون متى يبعثون، ثم أنكر علمهم^(١١) بكونها، وإذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها، لأن العلم بوقت الكائن^(١٢) تابع للعلم بكون الكائن^(١٣)، ثم قال: فإن قلت ما معنى هذه الإضرابات الثلاثة؟ قلت: ما هي إلا تنزيل لأحوالهم^(١٤)، وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث، ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة، ثم بأنهم يخطئون في شك ومرية^(١٥) انتهى. فإن قيل: (عَمِي) يتعدى بـ (عَنْ) تقول: عَمِي فلان عن كذا، فلم عدي بـ (مِنْ)^(١٦) وقوله «مِنْهَا عَمُونَ»؟ فالجواب: أنه جعل الآخرة مبدأ عَمَاهُمْ ومنشأه^(١٧).

فصل

المعنى على قراءة ابن كثير: «أَذْرَكَ» أي بلغ ولحق، كما تقول: أدركه علمي، إذا لحقه وبلغه يريد: ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الآخرة^(١٨). قال^(١٩) مجاهد: يدرك علمهم في الآخرة ويعلمونها إذا عاينوها، حين لا ينفعهم علمهم^(٢٠).

(٢) المحتسب ١٤٢/٢.

(١) انظر البحر المحيط ٩٢/٧.

(٣) المختصر (١١٠) البحر المحيط ٩٢/٧. (٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) انظر البحر المحيط ٩٢/٧.

(٥) فهو: سقط من ب.

(٧) انظر تفسير ابن عطية ٢٣٥/١١، مشكل إعراب القرآن ١٥٤/٢.

(٩) في ب: بل أدرك.

(٨) الكشف ١٥٠/٣.

(١١) في ب: عليهم.

(١٠) في ب: بل.

(١٣) الكشف ١٥٠/٣.

(١٢) في ب: مؤقت كائن.

(١٥) الكشف ١٥٠/٣.

(١٤) في ب: إلا لأحوالهم.

(١٧) انظر الكشف ١٥٠/٣.

(١٦) في ب: من.

(١٩) في ب: وقال.

(١٨) انظر البغوي ٣٠١/٦.

(٢٠) انظر البغوي ٣٠١/٦.

وقال مقاتل: بل^(١) علموا في الآخرة حين عابوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا، كقوله: «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا»، أي هم اليوم في شك من الساعة^(٢). وعلى قراءة «ادَّارَكْ»: تتابع^(٣) علمهم في الآخرة أنها كائنة «وَهُمْ فِي شَكٍّ» في وقتهم^(٤). وقيل استفهام معناه: هل تدارك وتتابع بذلك في الآخرة يعني لم يتتابع، وضل وغاب علمهم به، فلم يبلغوه ولم يدركوه، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد^(٥). وقال علي بن عيسى: بل ههنا لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة لم يشكوا بل هُم مِنْهَا عَمُونَ جمع عم، وهو الأعمى القلب^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا ابْنًا لَمُخْرَجُونَ﴾ (٦٧) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥) ﴿

قوله: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني مشركي مكة، «إِذَا» تقدم الكلام في الاستفهامين إذا اجتماعاً في سورة الرعد^(٧). والعامل في «إِذَا» محذوف يدل عليه «لَمُخْرَجُونَ» تقديره: نبعث ونخرج، ولا يجوز أن يعمل فيها «مُخْرَجُونَ» لثلاثة موانع: الاستفهام، وأن، ولام الابتداء، وفي لام الابتداء في خبر إن خلاف^(٨)، وذكر الزمخشري هنا عبارة حلوة، فقال: لأن بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقاباً، وهي همزة الاستفهام، وإن، ولام الابتداء، وواحدة منها كافية، فكيف إذا اجتمعن^(٩)؟ وقال أيضاً: فإن قلت: لم قَدَم في هذه الآية «هَذَا» على «نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا» وفي آية أخرى قَدَم «نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا»^(١٠) على «هَذَا»؟ قلت: التقديم دليل على أن المقدم هو المعنى المعتمد بالذكر وأن الكلام إنما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دل على اتخاذ البعث الذي هو يعمد بالكلام، وفي الأخرى

(١) بل: سقط من ب.

(٢) انظر البغوي ٣٠١/٦.

(٣) في ب: يبالغ.

(٤) انظر البغوي ٣٠١/٦.

(٥) المرجع السابق ٣٠٢/٦.

(٦) انظر البغوي ٣٠١/٦ - ٣٠٢.

(٧) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ [٥].

(٨) انظر الهمع ١/١٤٠.

(٩) الكشف ١٥١/٣. وقول الزمخشري: عمل اسم الفاعل. فيه نظر، لأن الذي في الآية اسم مفعول هو «المخرجون».

(١٠) يشير إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣].

على اتخاذ^(١) المبعوث بذلك الصدد^(٢). و «آبَاؤُنَا» عطف على اسم كان^(٣)، وقام الفصل بالخبر مقام الفصل بالتوكيد^(٤).

فصل

«إِنَّا لَمُخْرِجُونَ» من قبورنا أحياء، «لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل محمد، وليس ذلك بشيء، «إِنْ هَذَا» مَا هَذَا، «إِلَّا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها، «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ». فإن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ (كيف كانت)^(٥) عاقبة^(٦) المجرمين؟ فالجواب أن^(٧) تأنيثها غير حقيقي، ولأن المعنى: كيف كان آخر أمرهم؟^(٨) فإن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ عاقبة الكافرين؟ فالجواب: أن هذا^(٩) يحصل في التخويف لكل العصاة^(١٠). ثم إنه تعالى صَبَّرَ رسوله - ﷺ - على ما يناله من الكفار، فقال: «وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» على تكذيبهم إياك، «وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ» نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا أعقاب مكة^(١١)، و «الضَيْقُ»: الحرج، يقال: ضاق الشيء ضيقاً وضيقاً بالفتح والكسر^(١٢). «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ذكروا ذلك على سبيل السخرية فأجاب^(١٣) الله تعالى بقوله: «عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ»^(١٤).

قوله: «رَدِفَ لَكُمْ» فيه أوجه:

أظهرها: أن «رَدِفَ» ضَمَّنَ معنى فعل يتعدى باللام، أي: دَنَا وقرب وأزف^(١٥)، و^(١٦) بهذا فسرَه ابن عباس^(١٧)، و «تَغْفُضُ الَّذِي» فاعِلٌ به^(١٨)، وقد عَذِيَ بـ (من) أيضاً على تضمينه معنى «دَنَا»^(١٩)، قال:

٣٩٧٠ - فَلَمَّا رَدِفْنَا مِنْ عَمِيرٍ وَصَحْبِهِ تَوَلَّوْا سِرَاعاً وَالْمَمْنِيَّةُ تَغْنِقُ^(٢٠)

(٢) الكشف ١٥١/٣.

(٤) انظر التبيان ٢/٣٠١٣.

(٦) في الأصل: عاقب.

(٨) انظر الكشف ١٥١/٣، الفخر الرازي ٢٤/٢١٤.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٤.

(١١) انظر البغوي ٦/٣٠٣، القرطبي ١٣/٢٢٩.

(١٣) في ب: وأجاب.

(١٥) في ب: وادف. وهو تحريف.

(١٧) انظر تفسير ابن عطية ١١/٢٣٧، البحر المحيط ٧/٩٥.

(١٩) انظر الكشف ١٥١/٣.

(١) في الأصل: إيجاب.

(٣) وهو الضمير في «كنا».

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) أن: سقط من ب.

(٩) في ب: بهذا.

(١٢) انظر اللسان (ضيق).

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٤.

(١٦) و: سقط من ب.

(١٨) انظر التبيان ٢/١٠١٣.

(٢٠) البيت من بحر الطويل، لم أهدأ إلى قائله، وهو في الكشف ١٥١/٣، البحر المحيط ٧/٩٥، شرح شواهد الكشف (٨٥). والشاهد فيه تعدي الفعل (ردف) بـ (من) لتضمنه معنى دنا، أي: دنونا من عمير.

أي : دنونا من عمير^(١).

والثاني : أنَّ مفعوله محذوف واللام للعلّة، أي : ردف الخلق لأجلكم ولشؤمكم^(٢).

الثالث : أنَّ اللام مزيدة في المفعول تأكيداً^(٣) كزيادتها في قوله :

٣٩٧١ - أَتَخْنَأُ لِلْكَالِكِلِ فَازْتَمِينَا^(٤)

وكزيادتها في قوله : ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٤] وكزيادة الباء في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة : ١٩٥] وعلى هذه الأوجه الوقف على «تَسْتَغِيلُونَ».

الرابع : أن فاعل «رَدَفَ» ضمير الوعد، أي : ردف الوعد، أي : قرب ودنا مقتضاه و «لَكُمْ» خبر مقدّم، و «بَغْضُ» مبتدأ مؤخر، والوقف على هذا على «رَدَفَ» وهذا فيه تفكيك للكلام^(٥).

والخامس : أنَّ الفعل محمول على مصدره، أي : الردافة لكم، وبعض على تقرير ردافة بعض، يعني : حتى يتطابق الخبر والمخبر عنه، وهذا أضعف مما قبله^(٦).
وقرأ الأعرج : «رَدَفَ» بفتح الدال^(٧)، وهي لغة، والكسر أشهر^(٨). «بَغْضُ الَّذِي تَسْتَغِيلُونَ» من العذاب حل بهم ذلك يوم بدر.

قوله : «إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» قال مقاتل : على أهل مكة، حيث لم يعجل^(٩) عليهم العذاب^(١٠). والفضل : الإفضال ومعناه أنه متفضل، وهذه الآية تبطل قول من قال : إنه لا نعمة لله على الكفار^(١١).

قوله : «لَا يَشْكُرُونَ» يجوز أن يكون مفعوله محذوفاً، أي : لا يشكرون نعمه^(١٢)، ويجوز أن لا يقدر بمعنى : لا يعترفون بنعمة، فعبر عن انتفاء معرفتهم بالنعمة بانتفاء ما يترتب على معرفتها، وهو الشكر^(١٣).

(١) انظر الكشف ١٥١/٣.

(٢) حكاه أبو حيان فإنه قال : (وقيل : اللام في «لكم» داخلة على المفعول من أجله والمفعول به محذوف تقديره : ردف الخلق لأجلكم، وهذا ضعيف) البحر المحيط ٩٥/٧.

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش ٦٥١/٢، معاني القرآن للفراء ٣٠٠/٢، البيان ٢٢٧/٢.

(٤) عجز بيت من بحر الوافر، لم أهتم إلى قائله، وصدره :

فَلَمَّا أَنْ تَوَقَّضْنَا قَلِيلًا

وقد تقدم.

(٥) انظر البحر المحيط ٩٥/٧. (٦) المرجع السابق.

(٧) المحتسب ١٤٣/٢، ولم يعزها ابن خالويه إلى قارئ. المختصر (١١٠).

(٨) انظر الكشف ١٥١/٣. (٩) في ب : يجعل. وهو تحريف.

(١٠) انظر البغوي ٣٠٣/٦. (١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٥.

(١٢) انظر البحر المحيط ٩٥/٧. (١٣) المرجع السابق.

قوله: «وَأَنَّ رَبَّكَ لَيُعَلِّمُ مَا تُكِنُّ» العامة على ضم تاء المضارعة من: أكن، قال تعالى: «أَوْ أَكُنْتُمُ»^(١)، وابن محيصن وابن السميع وحُميد بفتحها وضم الكاف^(٢)، يقال: كُنْتُهْ وَأَكُنْتُهْ، بمعنى: أخفيت وستر^(٣).

قوله: «وَمَا مِنْ غَائِيَةٍ» في هذه التاء قولان:

أحدهما: أنها للمبالغة، كراوية وعلامة، وقولهم: ويل للشاعر من راوية السوء، كأنه تعالى قال: وما من شيء شديد الغيوبة والخفاء إلا وقد علمه الله^(٤).

والثاني: أنها كالتاء الداخلة على المصادر نحو: العافية والعاقية، قال الزمخشري: ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في أنها أسماء غير صفات^(٥). «إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» أي: في اللوح المحفوظ والمبين: الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملائكة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٧٦) وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ إِنَّ ضَلَالَتَهُمُ إِن تَشِيعُ إِلَّا مَنْ يُّؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

قوله^(٦): ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ الآية، لما تَمَّ الكلام في إثبات المبدأ والمعاد، ذكر بعده ما يتعلق بالنبوة، ولما كانت العمدة^(٧) الكبرى في إثبات نبوة^(٨) محمد - ﷺ - هي القرآن لا جرم بين الله تعالى أولاً كونه معجزة من وجوه:

أحدها: أن الأفاصيص المذكورة في القرآن موافقة للمذكور في التوراة والإنجيل، مع العلم بأنه - عليه السلام^(٩) - كان أمياً - ولم يخالط العلماء، ولم يشتغل بالاستفادة والتعلم، فإذن لا يكون ذلك إلا من قبل الله تعالى، وأراد ما اختلفوا فيه وتباينوا، وقيل ما حَرَفَهُ^(١٠) بعضهم، وقيل: إخبار الأنبياء.

وثانيها: قوله «وَأَنَّ رَبَّكَ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ»، وذلك لأننا تأملنا في القرآن فوجدنا فيه من الدلائل العقلية على التوحيد والحشر والنشر والنبوة وشرح صفات الله ما لم نجد

(١) من قوله تعالى: «أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ» [البقرة: ٢٣٥].

(٢) المختصر (١١٠)، المحاسب ١٤٤/٢، الكشف ١٥١/٣، البحر المحيط ٩٥/٧.

(٣) انظر الكشف ١٥١/٣، البحر المحيط ٩٥/٧.

(٤) المرجعان السابقان. (٥) الكشف ١٥٢/٣.

(٦) في ب: قوله تعالى. (٧) في ب: العهدة. وهو تحريف.

(٨) نبوة: سقط من ب. (٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) في النسختين: ما حرم على. والتصويب من الفخر الرازي.

في كتاب من الكتب، ووجدناه مبرءاً من النقص والتهافت، فكان هدى ورحمة من هذه الوجوه، ووجدنا القوى البشرية قاصرة عن جمع كتاب على هذا الوجه، فعلمنا أنه ليس إلا من عند الله تعالى، فكان القرآن معجزاً من هذه الجهة^(١).

وثالثها: «إِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ» لبلوغه في الفصاحة إلى حيث عجزوا عن معارضته وذلك معجزة^(٢).

قوله: «بِحُكْمِهِ» العامة على ضم الحاء وسكون الكاف، وجناح بن حبيش بكسرها وفتح الكاف^(٣)، جمع حكمة، أي: نقضي بين المختلفين^(٤) يوم القيامة بحكمة الحق «وَهُوَ الْعَزِيزُ» والمنيع فلا يرد له أمر، «الْعَلِيمُ» بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء. فإن قيل: القضاء والحكم شيء واحد، فقله: «يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ» كقوله يقضي بقضائه ويحكم بحكمه!! فالجواب: معنى قوله: «بِحُكْمِهِ» أي: بما يحكم به وهو عدله لا يقضي إلا بالعدل؛ أو أراد بحكمه على القراءة بكسر الحاء^(٥).

قوله: «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ» أي البين، «إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى» يعني الكفار، وإنما حسن جعله سبباً للأمر بالتوكل، لأن الإنسان ما دام يطمع في أخذ شيء فإنه لا يقوى قلبه على إظهار مخالفته، فإذا قطع طمعه عنه^(٦) قوي قلبه على إظهار مخالفته، فالله تعالى قطع طمع محمد - عليه السلام^(٧) - بأن يبين أنهم كالموتى وكالصم^(٨) والعمي فلا يسمعون ولا يفهمون ولا يبصرون ولا يلتفتون إلى شيء من الدلائل، وهذا سبب لقوة قلبه - عليه السلام^(٩) - على إظهار الدين كما ينبغي^(١٠).

قوله: «وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ» قرأ ابن كثير: «لَا يَسْمَعُ» بالياء مفتوحة، وفتح الميم «الصُّمُّ» رفع وكذلك في سورة الروم^(١١)، وقرأ الباقون بالتاء وضما وكسر الميم «الصُّمُّ» نصب^(١٢) «إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ»: معرضين. فإن قيل: ما معنى قوله: «وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» وإذا كانوا صمماً لا يسمعون^(١٣) سواء ولوا أو لم يولوا؟ قيل ذكره تأكيداً ومبالغة، وقيل: الأصم إذا كان حاضراً قد يسمع برفع الصوت ويفهم بالإشارة، فإذا ولَّى مُدْبِراً لم يسمع ولم يفهم^(١٤). قال قتادة: الأصم إذا ولَّى مُدْبِراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا

(١) في الأصل: الجملة. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٦.

(٣) المختصر (١١١)، البحر المحيط ٧/٩٦. (٤) في ب: المختلفين في الدين.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٦. (٦) في ب: عند.

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٨) في ب: كالصم.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٦.

(١١) يشير إلى قوله تعالى: «فَأِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» [الروم: ٥٢].

(١٢) السبعة (٤٨٦، ٥٠٨)، الكشف ٢/١٦٥، النشر ٢/٣٣٩، الإتحاف (٣٣٩).

(١٣) في ب: لا يتفتون. (١٤) انظر البغوي ٦/٣٠٤ - ٣٠٥.

يسمع ما يدعى إليه من الإيمان^(١). والمعنى: إنهم لفرط إعراضهم عما يدعون^(٢) إليه كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه والأصم الذي لا يسمع^(٣). قوله: «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى»^(٤) العامة على «بهادي» مضافاً لـ «عمى»، وحمزة «تَهْدِي» فعلاً مضارعاً، و«العمى» نصب على المفعول به^(٥). وكذلك التي في الروم^(٦). ويحيى بن الحارث وأبو حيوة «بهادي» منوناً «العمى» منصوب^(٧) به وهو الأصل. واتفق القراء على أن يقفوا على «هَادِي» في هذه السورة بالياء، لأنها رُسِمَت في المصحف ثابتة، واختلوا في الروم، فوقف الأخوان عليها بالياء أيضاً كهذه، أما حمزة، فإنه يقرأها «تَهْدِي» فعلاً مضارعاً مرفوعاً فيأوه ثابتة^(٨). قال الكسائي: من قرأ «تَهْدِي» لزمه أن يقف بالياء، وإنما لزمه ذلك لأن الفعل لا يدخله تنوين في الوصل تحذف له الياء، فيكون في الوقف كذلك، كما يدخل التنوين على «هَادِي» ونحوه^(٩)، فتذهب الياء في الوصل، فيجري الوقف على ذلك لمن وقف بغير ياء^(١٠) انتهى. ويلزم على ذلك أن يوقف على «يقضي الحق»^(١١) و«وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ» [الإسراء: ١١] بإثبات الياء والواو، ولكن يلزم حمزة مخالفة الرسم دون القياس، وأما الكسائي فإنه يقرأ «بهادي» اسم فاعل كالجماعة، فإثباته للياء بالحمل على «هَادِي» في هذه السورة، وفيه مخالفة الرسم السلفي^(١٢)

قوله: «عَنْ ضَلَالَتِهِمْ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بـ «تَهْدِي» وعدي بـ (عن) لتضمنه معنى تصرفهم.

الثاني: أنه متعلق بالعمى، لأنك تقول: عمى^(١٣) عن كذا ذكره أبو البقاء^(١٤).

فصل

المعنى: ما أنت بمُرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان أن يسمع «إلا من يؤمن بآياتنا» إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله، «فَهُمْ مُسْلِمُونَ» مخلصون لله^(١٥).

- (١) انظر البغوي ٣٠٥/٦. (٢) في ب: يدعونه.
- (٣) انظر البغوي ٣٠٥/٦. (٤) العمى: سقط من ب.
- (٥) السبعة (٤٨٦)، الكشف ١٦٦/٢، النشر ٣٣٩/٢، الإتحاف (٣٣٩).
- (٦) يشير إلى قوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ» [الروم: ٥٣].
- (٧) المختصر (١١١)، البحر المحيط ٩٦/٧.
- (٨) انظر الكشف ١٦٦/٢، إبراز المعاني (٤٢٦).
- (٩) ونحوه: سقط من ب.
- (١٠) انظر الكشف ١٦٦/٢.
- (١١) من قوله تعالى: «وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ» [غافر: ٢٠].
- (١٢) انظر إبراز المعاني ٦٣١ - ٦٣٢. (١٣) عمى: سقط من ب.
- (١٤) قال أبو البقاء: (و «عن» يتعلق بـ «هادي»، وعده بـ «عن»)، لأن معناه تصرف، ويجوز أن تتعلق بالعمى، ويكون المعنى: أن العمى صدر عن ضلالتهم (التيان ١٠١٤/٢).
- (١٥) انظر البغوي ٣٠٥/٦.

«مَنْ» في قوله^(١): «مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» يعني سالماً لله خالصاً لله^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢) وَيَوْمَ نَخَشُّهُمْ مِّنْ كُلِّ آمَةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمًا أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلًا لِّلْكَافِرِينَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

قوله: «وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ» أي: مضمون القول، أو أطلق المصدر على المفعول، أي: المقول^(٣). ومعنى وقع القول عليهم: وجب العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم «أخرجنا لهم دابة من الأرض».

قوله: «تُكَلِّمُهُم» العامة على التشديد، وفيه وجهان:

أظهرهما: أنه من الكلام والحديث، ويؤيده قراءة أبي: «تُتَبِّهُهُمْ»^(٤) وقراءة يحيى بن سلام^(٥): «تحدثهم»^(٦) - وهما تفسيران لها.

الثاني: «تجرّحهم» ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد وأبي زرة والجحدري «تُكَلِّمُهُم» - بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام^(٧) - من الكلّم وهو الجرح^(٨)، وقد قرئ «تجرّحهم»^(٩) وجاء في الحديث: أنها تسم الكافر.

قوله: «أَنَّ النَّاسَ» قرأ الكوفيون^(١٠) بفتح «أَنَّ» والباقون بالكسر^(١١)، فأما الفتح فعلى تقدير الباء، أي: بأن الناس، ويدل عليه التصريح بها في قراءة عبد الله «بِأَنَّ النَّاسَ»^(١٢). ثم هذه الباء يحتمل أن تكون معدية وأن تكون سببية، وعلى التقديرين يجوز أن تكون «تُكَلِّمُهُم» بمعنييه من الحديث والجرح أي: تحدثهم بأن الناس أو بسبب أن الناس أو تجرحهم بأن الناس، أي: تسمهم بهذا اللفظ أو تسمهم بسبب انتفاء الإيمان^(١٣). وأما

(١) في النسختين: في قراءة.

(٢) في ب: يعني: سأل الله إخلاصاً. انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٦ - ٢١٧.

(٣) انظر البحر المحيط ٧/٩٦. (٤) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٧/٩٧.

(٥) هو يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، أبو زكريا البصري، له اختيار في القراءة عن طريق الآثار، وكان ثقة، ذا علم بالكتاب والسنة ومعرفة العربية توفي سنة ٢٠٠ هـ. طبقات القراء ٢/٣٧٣..

(٦) انظر البحر المحيط ٧/٩٧. (٧) المحتسب ٢/١٤٤، البحر المحيط ٧/٩٧.

(٨) انظر اللسان (كلم). (٩) المختصر (١١٠)، البحر المحيط ٧/٩٧.

(١٠) وهم: عاصم، وحزمة، والكسائي.

(١١) السبعة (٤٨٧)، الكشف ٢/١٦٧، الإنحاف (٣٣٩ - ٣٤٠).

(١٢) المختصر (١١٠)، الكشف ٢/١٦٧، البحر المحيط ٧/٩٧.

(١٣) انظر البحر المحيط ٧/٩٧.

الكسر فعلى الاستئناف، ثم هو يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى - وهو الظاهر - وأن يكون من كلام^(١) الدابة، فيعكر عليه «بآيَاتِنَا»، ويجاب عنه إما باختصاصها صح إضافة الآيات إليها، كقولك: اتباع الملوك ودوابنا وخيلنا وهي لملكهم^(٢)، وإما على حذف مضاف أي: بآيات ربنا^(٣)، و «تَكَلَّمُهُمْ» إن كان من الحديث فيجوز أن يكون إما لإجراء «تَكَلَّمُهُمْ» مجرى قول لهم^(٤)، وإما على إضمار القول أي: فتقول كذا، وهذا القول تفسير لتكلمهم^(٥).

فصل

قال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام^(٦). وقيل: تقول للمواحد هذا مؤمن وهذا كافر^(٧). وقيل كلامهم ما قال «أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ» تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث^(٨). قال ابن عمر: وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر^(٩). قال^(١٠) رسول الله - ﷺ - «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالْدَّجَالُ، وَالْدِّخَانُ، وَالْدَّابَّةُ وَخَاصَّةً أَحَدُكُمْ، وَأَمْرُ الْعَامَةِ»^(١١) وقال عليه السلام^(١٢): «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجَ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضَحًى، فَأَيَّتُهُمَا^(١٣) مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا»^(١٤). وقال عليه السلام^(١٥): يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج خروجاً في^(١٦) أقصى اليمن، فيفشو ذكرها بالبادية، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تكمن^(١٧) زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة، فيفشو ذكرها بالبادية، ويدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم بينا الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة، وأكرمها على الله عز وجل يعني المسجد الحرام، ثم لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو» - قال الراوي: ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك - «فأرفض الناس عنها، وثبت لها عصاية عرفوا أنهم لم يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلبت عنهم عن وجوههم، حتى تركتها كأنها الكواكب

(١) كلام: سقط من ب.

(٢) في ب: ملكهم. وانظر الكشف ١٥٣/٣. البحر المحيط ٩٧/٧.

(٣) انظر البحر المحيط ٩٧/٧. (٤) في ب: القول.

(٥) انظر الكشف ١٥٣/٣، البحر المحيط ٩٧/٧.

(٦) انظر البغوي ٣٠٥/٦. (٧) المرجع السابق.

(٨) انظر البغوي ٣٠٥/٦ - ٣٠٦. (٩) انظر البغوي ٣٠٦/٦.

(١٠) في ب: وقال.

(١١) أخرجه مسلم (فتن) ٢٢٦٧/٤، وأحمد ٣٣٧/٢، ٣٧٢، ٤٠٧، ٥١١.

(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٣) فأيتتهما: سقط من ب.

(١٤) أخرجه أبو داود (ملاحم) ١١٤/٤. (١٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٦) في ب: من. (١٧) في ب: تمكت.

الدرية، ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب، حتى إن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه، فتقول: يا فلان الآن تصلي، فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه، فيتجاوز الناس في ديارهم، ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال، يُعرَف الكافر من المؤمن، فيقال للمؤمن يا مؤمن، وللكافر يا كافر^(١). وقال عليه السلام^(٢): «تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتجלו وجه المؤمن بالعصا، وتخطم^(٣) أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان^(٤) ليجتمعون^(٥)، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر^(٦)» وروي عن عليّ قال: ليس بدابة لها ذنَب، ولكن لها لحية، كأنه يشير إلى أنها رجل^(٧)، والأكثر أن على أنها دابة^(٨)، لما روى ابن جريج^(٩) عن أبي الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس الثور، وعينها عين الخنزير، وأن لها أذنًا، قيل: وقرنها قرن أيل^(١٠) وصدرها صدر أسد، ولونها لون النمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثني عشر ذراعًا، معها عصا موسى وخاتم سليمان، وذكر باقي الحديث^(١١). وروى حذيفة بن اليمان^(١٢) قال^(١٣): ذكر رسول الله - ﷺ - الدابة، قلت: يا رسول الله: من أين تخرج؟ قال: «من أعظم حرمة المساجد على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم وينشق الصفا مما يلي المشعر، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وزيش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنًا وكافرًا، أما المؤمن فتترك^(١٤) وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتتكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه: كافر^(١٥)». وروي عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصا - وهو محرم - وقال: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه^(١٦) وروي أبو هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «بش الشعب شعب جيد».

(١) أخرجه الطيالسي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن حذيفة بن أسيد الغفاري. انظر البغوي ٦/٣٠٧-٣٠٨ الدر المنثور ٥/١١٦-١١٧.

(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) أي: تسمه بها، من خطمت البعير إذا كوته خطأ من الأنف إلى أحد خدي، ومعناه أنها تؤثر في أنفه سمة يعرف بها. اللسان (خطم).

(٤) الخوان: المائدة معرب. اللسان (خون).

(٥) في ب: يجتمعون.

(٦) البغوي ٦/٣٠٨، الدر المنثور ٥/١١٦.

(٧) انظر البغوي ٦/٣٠٨.

(٨) المرجع السابق.

(٩) في ب: ابن جرير، والتصويب من البغوي.

(١٠) الأيل: الوعل، والجمع أيايل وأياثل. المعجم الوسيط (أيل).

(١١) انظر البغوي ٦/٣٠٨-٣٠٩.

(١٢) انظر البغوي ٦/٣٠٩، الدر المنثور ٥/١١٦.

(١٣) في ب: فقال.

(١٤) في ب: فتزل.

(١٥) أخرجه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان. انظر البغوي ٦/٣٠٩، الدر المنثور ٥/١١٦.

(١٦) انظر البغوي ٦/٣٠٩.

مرتين أو ثلاثاً، قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: «تخرج منه الدابة، فتصرخ ثلاث صرخات يسمعاها من بين الخافقين»^(١). وقال وهب: وجهها وجه الرجل، وسائر خلقها خلق الطير فتخبر من رآها^(٢) أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون^(٣). قوله: «وَيَوْمَ نُخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا»، أي من كل قرن جماعة. و «مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ» يجوز أن يكون متعلقاً بالحشر، و «مِنْ» لا ابتداء الغاية، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «فَوْجًا» لأنه يجوز أن يكون صفة له في الأصل، والفوج الجماعة كالقوم، وقيدهم الراغب فقال: الجماعة المارة المصرة^(٤). وكان هذا هو الأصل ثم انطلق، ولم يكن مرور ولا إسراع، والجمع: أفواج وفوج، و «مِمَّنْ يُكْذِبُ» صفة له، و «مِنْ» في «مِنْ كُلِّ» تبعيضية، وفي «مِمَّنْ يُكْذِبُ» تبسيئية^(٥).

قوله: «فَهُمْ يُوزَعُونَ» أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى النار، «حَتَّى إِذَا جَاءُوا»^(٦) يوم القيامة، قَالَ لَهُمُ اللَّهُ: «أَكْذَبْتُمْ بَيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا» ولم تعرفوها حتى معرفتها. والواو في «وَلَمْ تُحِيطُوا» يجوز أن تكون العاطفة وأن تكون الحالية^(٧)، و «عِلْمًا» تمييز. قوله: «أَمَّا ذَا» أم هنا منقطعة، وتقدم حكمها، و «مَاذَا» يجوز أن يكون برمته استفهاماً منصوباً بـ «تَعْمَلُونَ» الواقع خبراً عن «كُنْتُمْ»، وأن تكون «ما» استفهامية مبتدأ، و «ذَا» موصول خبره، والصلة: «كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»، وعائده محذوف، أي: أي شيء الذي كنتم تعملونه^(٨)؟ وقرأ أبو حيوة «أما» بتخفيف الميم، جعل همزة الاستفهام داخلية على اسمه تأكيداً^(٩) كقوله:

٣٩٧٢ - أَهْل رَأُونَا بِوَادِي الْغَفِّ ذِي الْأَكَمِّ^(١٠)

- (١) أخرجه ابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة. انظر البغوي ٣٠٩/٦، الدر المنثور ١١٧/٥.
- (٢) في ب: وراها.
- (٣) انظر البغوي ٣٠٩/٦.
- (٤) المفردات في غريب القرآن ٣٨٦.
- (٥) انظر الكشاف ١٥٣/٣.
- (٦) في ب: إذا ما جاءوا.
- (٧) انظر الكشاف ١٥٣/٣.
- (٨) انظر البحر المحيط ٩٨/٧ - ٩٩.
- (٩) انظر البحر المحيط ٩٩/٧.
- (١٠) عجز بيت من بحر الطويل، قاله زيد الخيل، وصدره:

سائل فوارس يربوع بشدتنا

وهو في المقترض ١٨٢/١، ٢٩١/٣، الخصائص ٤٦٣/٢، أمالي ابن السجري ١٠٨/١، ٣٣٤/٢، ابن يعيش ١٥٢/٨، ١٥٣، المغني ٣٥٢/٢، شرح شواهد ٧٧٢/٢، الهمع ٧٧/٢، ١٣٣، الخزائن ٢٦١/١١، عرضاً، الأكَم جمع أكمة وهي التل. والشاهد فيه دخول همزة الاستفهام على «هل» التي للاستفهام لتأكيد معنى الاستفهام.

قوله : «أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» حين لم يتفكروا فيها، كأنه قال : ما لم تشتغلوا بذلك العمل المهم فأى شيء كنتم تعملونه بعد ذلك ثم قال : «وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ»، أي : وجب العذاب الموعود عليهم «بِمَا ظَلَمُوا»، أي بسبب ظلمهم وتكذيبهم بآيات الله^(١)، ويضعف جعل «مَا» بمعنى الذي «فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ»، قال قتادة^(٢) : كيف ينطقون ولا حجة لهم، نظيره قوله تعالى : «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْنَسُ لَهُمْ يَوْمٌ يَمْتَذَرُونَ» [المرسلات : ٣٥ - ٣٦]، وقيل : «لَا يَنْطِقُونَ»^(٣) لأن أفواههم مختومة^(٤). ثم إنه تعالى لما خوفهم بأحوال القيامة ذكر كلاماً يصلح أن يكون دليلاً على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة، مبالغة في الإرشاد إلى الإيمان والمنع من الكفر، فقال : «أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً»^(٥) مضياً بصر فيه . قوله : «لَيْسَكُنَا فِيهِ» قيل : فيه حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، إذ التقدير : جعلنا الليل مظلماً ليسكنوا فيه، والنهار مبصراً ليتصرفوا فيه، فحذف «مظلماً» لدلالة «مبصراً» و «لتتصرفوا» لدلالة «ليسكنوا»^(٦). وقوله : «مُبْصِراً» كقوله : «آيَةُ النَّهَارِ مُبْصِرَةٌ» [الإسراء : ١٢]، وتقدم تحقيقه في الإسراء^(٧)، قال الزمخشري : فإن قلت : ما للتقابل لم يراع في قوله : «لَيْسَكُنَا» و «مُبْصِرَةٌ» حيث كان أحدهما علة^(٨)، والآخر حالاً؟ قلت : هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف^(٩) يريد لم لا قال : والنهار لتتصرفوا فيه، وأجاب^(١٠) غيره^(١١) بأن السكون في الليل هو المقصود (من الليل وأما الإبصار في النهار فليس هو المقصود)^(١٢) لأنه وسيلة إلى جلب المنافع الدينية والدنيوية^(١٣). «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» يصدقون فيعتبرون، وخص المؤمنين بالذكر - وإن كانت الأدلة للكل - لأن المؤمنين هم المنتفعون^(١٤)، كقوله : «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» [البقرة : ٢].

قوله تعالى : «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ» ﴿٨٧﴾

قوله : «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» هذه العلامة الثانية لقيام القيامة، والصور : قرن ينفخ

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٨ - ٢١٩.

(٢) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٦/٣١١.

(٣) لا ينطقون : سقط من ب.

(٤) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٦/٣١١.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٩.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٩.

(٧) عند قوله تعالى : «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» يصدقون فيعتبرون، وخص المؤمنين بالذكر - وإن كانت الأدلة للكل - لأن المؤمنين هم المنتفعون^(١٤)، كقوله : «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» [البقرة : ٢].

(٨) في ب : جملة . وهو تحريف .

(٩) في ب : فاجاب .

(١٠) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي .

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢١٩.

(١٢) المرجع السابق .

فيه إسرافيل، فإذا سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون، وهذا قول الأكثرين^(١). وقال الحسن: الصور هو الصور^(٢)، وأول بعضهم كلامه أن الأرواح تجتمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الأرواح إلى الأجساد، فتحي الأجساد^(٣). قوله^(٤): «فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ» قال: «فَفَزَعَ» بلفظ الماضي ولم يقل^(٥) فيفزع لتحقيقه وثبوته وأنه كائن لا محالة، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، كقوله: «إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ»^(٦) [النحل: ١]. والمعنى: يلقي عليهم الفزع إلى أن يموتوا، قيل: ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين^(٧).

قوله: «إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» فالمراد إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة، قالوا: وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت^(٨)، وجاء في الحديث: أنهم الشهداء متقلدون أسياقهم حول العرش^(٩)، قال سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس هم الشهداء، لأنهم^(١٠) أحياء عند ربهم^(١١). وعن الضحاك: هم رضوان والحدود وخزنة النار وحملة العرش^(١٢). و«كُلُّ أَتَوْه» أي الذين أخذوا بعد الموت. قوله: «أَتَوْه» قرأ حمزة وحفص: «أَتَوْه» فعلاً ماضياً ومفعوله الهاء، والباقون: «أَتَوْه»: اسم فاعل مضافاً للهاء^(١٣)، وهذا حمل على معنى «كُلُّ» وهي مضافة تقديراً، أي: وكلهم. وقرأ قتادة: «أَتَا» ماضياً مسنداً لضمير «كُلِّ» على اللفظ، ثم حمل على معناها، فقرأ «ذَاخِرِينَ»^(١٤)، والحسن^(١٥) والأعرج «ذَاخِرِينَ» بغير ألف^(١٦)، أي: صاغرين.

قوله تعالى: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ لِلَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُمْ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ»

قوله^(١٧): «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً» هذه العلامة الثالثة لقيام القيامة، وهي

- (١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٠.
- (٢) انظر البغوي ٦/٣١١.
- (٣) انظر البغوي ٦/٣١١.
- (٤) قوله: سقط من ب.
- (٥) يقل: سقط من ب.
- (٦) [النحل: ١]. وجه الاستشهاد بالآية أنه أمر متحقق الوقوع في المستقبل فصار كأنه قد كان وانظر البحر المحيط ٧/٩٩.
- (٧) انظر البغوي ٦/٣١٢.
- (٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٠.
- (٩) ذكره البغوي عن أبي هريرة. انظر البغوي ٦/٣١٢.
- (١٠) في ب: إلا أنهم.
- (١١) انظر البغوي ٦/٣١٢.
- (١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٠.
- (١٣) السبعة (٤٨٧)، الكشف ٢/١٦٧، النشر ٢/٣٣٩، الإتحاف (٣٤٠).
- (١٤) المختصر (١١١)، المحتسب ٢/١٤٥، البحر المحيط ٧/١٠٠.
- (١٥) والحسن: سقط من ب.
- (١٦) المختصر (١١١)، البحر المحيط ٧/١٠٠.
- (١٧) في ب: قوله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ إِلَيْكَ﴾ [الكهف: ٤٧] «جَامِدَةً» قائمة واقعة، و «تَحْسَبُهَا جَامِدَةً» هذه الجملة حالية من فاعل «تَرَى» أو من مفعوله^(١)، لأن الرؤية بصرية.

قوله: «وَهِيَ تَمُرُّ» الجملة حالية^(٢) أيضاً، وهكذا الأجرام العظيمة تراها واقفة وهي مارة^(٣) قال النابغة الجعدي^(٤) يصف جيشاً كثيفاً:

٣٩٧٣ - بِأَزْعَنٍ مِثْلِ الطُّودِ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ وَتُؤَوِّفُ لِحَاجِ وَالرَّكَابِ تُهْمَلِجُ^(٥)

و «مَرَّ السَّحَابِ»: مصدر تشبيهي^(٦)، قوله: «صُنِعَ اللَّهُ» مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة عامله مضمّر، أي: صنع الله ذلك صنْعاً، ثم أُضيف بعد حذف عامله^(٧)، وجعله الزمخشري مؤكداً للعامل في «يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ» وقدره: ويوم ينفخ وكان كيت وكيت أثناب الله المحسنين وعاقب المسيئين في كلام طويل جرياً على مذهبه^(٨). وقيل منصوب على الإغراء، أي: انظروا صنع الله وعليكم به^(٩). والإيتقان: الإتيان بالشيء على أكمل حالته، وهو من قولهم: تقن أرضه إذا ساق إليها الماء الخائر بالطين^(١٠) لتصلح للزراعة، وأرض تقنة، والتقن فعل ذلك بها، والتقن أيضاً: ما رمي به في الغدير من ذلك أو الأرض^(١١)، ومعنى «أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» أي: أحكمه. «إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» قرأ

(١) انظر التبيان ١٠١٤/٢.

(٢) قال أبو البقاء: («وهي غُرٌّ» حال من الضمير المنصوب في «تحسبها»، ولا يكون حالاً من الضمير في «جَامِدَةً»، إذ لا يستقيم أن تكون جامدة مارة مَرَّ السحاب والتقدير: مرّاً مثل مر السحاب) التبيان ١٠١٥/٢.

(٣) انظر الكشف ١٥٤/٣.

(٤) هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلى، شاعر من المعمرين، اشتهر في الجاهلية، وسمي النابغة، لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقالة، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام، ووفد على النبي ﷺ. الخزائن ١٦٧/٣ - ١٧٣.

(٥) البيت من بحر الطويل، قاله النابغة الجعدي، وهو في الكشف ١٥٤/٣، والسبع الطوال لابن الأنباري (٤٦١)، تفسير ابن عطية ٢٤٢/١١، القرطبي ٢٤٢/١٣، البحر المحيط ١٠٠/٧، شرح شواهد الكشف (٢١). الأرعن: الجبل العالي. الطود: الجبل العظيم، فاستعار الأرعن للجيش ثم شبهه بالطود ليفيد المبالغة في الكثرة. «لحاج» اسم جمع واحدته حاجة، والزكاب: المطي لا واحد له من لفظه. والهملجة: السير الرهو السهل، والهملاج السريع. يقول: حاربنا العدو بجيش عظيم تظنهم واقفين لحاجة لكثرتهم، والحال أن ركابهم تسرع السير. وهو موطن الشاهد.

(٦) يعني أن المعنى: تمر مرّاً كمر السحاب. فحذف المشبه به وأداة التشبيه، وهذا معنى كلام الزمخشري. انظر الكشف ١٥٤/٣.

(٧) انظر التبيان ١٠١٥/٢، البحر المحيط ١٠٠/٧.

(٨) قال الزمخشري: («صنع الله» من المصادر المؤكدة كقوله «وعد الله» و «صبغة الله» إلا أن مؤكداً محذوف وهو الناصب لـ «يوم ينفخ في الصور»، وكان كيت وكيت، أثناب الله المحسنين وعاقب المجرمين، ثم قال: صنع الله يريد به الإثابة والمعاقبة) الكشف ١٥٤/٣.

(٩) انظر تفسير ابن عطية ٢٥٢/١١. (١٠) المقصود: بالطيني.

(١١) انظر اللسان (تقن).

ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالغيبة جرياً على قوله «وَكُلُّ أَنفُسِهِ»، والباقون بالخطاب جرياً على قوله «وترى»، لأن المراد النبي - ﷺ - وأمه^(١).

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ قوله^(٢): «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» في «خير» وجهان:

أحدهما: أنها للتفصيل باعتبار زعمهم، أو على حذف مضاف، أي: خير من قدرها واستحقاقها «منها» في محل نصب، وألا يكون للتفصيل، فيكون (منها) في موضع رفع صفة لها^(٣). قوله «وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ» قرأ أهل الكوفة^(٤) «مِنْ فَزَعٍ» بالتنوين، «يَوْمَئِذٍ» بفتح الميم، وقرأ الآخرون بالإضافة^(٥)، لأنه أعم^(٦) فإنه يقتضي الأمن من جميع فزع ذلك اليوم وبالتنوين كأنه فزع دون فزع، ويفتح أهل المدينة الميم من «يومئذ» وتقدم في هود فتح «يوم» وجره^(٧) و «إِذْ» مضافة للجمله حذفت وعوض عنها التنوين، والأحسن أن تقدّر يومئذ جاء بالحسنة، وقيل: يومئذ ترى الجبال، وقيل: يومئذ ينفخ في الصور، والأول أولى، لقرب ما قدر منه^(٨).

فصل

لما تكلم في علامات القيامة شرح - بعد ذلك - أحوال المكلفين بعد قيام القيامة، والمكلف إما أن يكون مطيعاً أو عاصياً، أما (المطيع، فهو)^(٩) الذي جاء بالحسنة^(١٠)، وهي كلمة الإخلاص قال أبو معشر^(١١) يحلف ما استثنى: إن الحسنه لا إله إلا الله^(١٢)، وقيل: كل طاعة^(١٣). «فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا»، قال ابن عباس: يعني له من تلك الحسنه خير يوم القيامة، وهو: الأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان، فإنه ليس شيء

(١) السبعة (٤٨٧)، الكشف ٣٣٩/٢ - ٣٤٠، الإتحاف (٣٤٠).

(٢) في ب: قوله تعالى. (٣) انظر التبيان ١٠١٥/٢.

(٤) وهم: عاصم، وحمزة، والكسائي.

(٥) السبعة (٤٨٧)، الكشف ١٦٩/٢، النشر ٣٤٠/٢، الإتحاف (٣٤٠).

(٦) في ب: أتم.

(٧) عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ [هود: ٦٦].

(٨) انظر البحر المحيط ١٠٢/٧. (٩) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢١.

(١١) يوسف بن يزيد أبو معشر البصري العطار، أخذ عن أبي حازم، وأخذ عنه محمد بن أبي بكر المقدمي. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٣.

(١٢) انظر البغوي ٦/٣١٤. وفيه: قال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف ولا يستثنى أن الحسنه لا إله إلا الله.

(١٣) انظر البغوي ٦/٣١٤.

خيراً من قوله لا إله إلا الله^(١)، وقيل: خير منها يعني رضوان الله، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٢) [التوبة: ٧٢]، وقال محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد: خير منها يعني الأضعاف، أعطاه الله بالواحدة عشرأ، فصاعداً، وهذا حسن، لأن للأضعاف خصائص^(٣) وقيل: إن الثواب خير من العمل، لأن الثواب دائم والعمل منقض، ولأن العمل فعل العبد، والثواب فعل^(٤) الله. «وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ» أي: آمنون من كل فرع، فإن قيل: أليس قال - في أول الآية - «فَفَرَعَ مَن فِي السَّمُوتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ؟» فكيف نفى^(٥) الفرع ههنا؟ فالجواب: أن الفرع الأول ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع أو هول يفجأ، وإن كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر إليه، وأما الثاني: فهو الخوف من العذاب^(٦).

وأما من قرأ «مِنْ فَرْعٍ» بالتثنية^(٧)، فهو محتمل معنيين: من فرع واحد، وهو خوف العذاب، وإما ما يلحق الإنسان من الرعب عند مشاهدته، فلا ينفك عنه أحد^(٨). فإن قيل: الحسنة لفظة مفردة معرفة، وقد ثبت أنها لا تفيد العموم، بل يكفي في تحققها حصول فرد من أفرادها، وإذا كان كذلك فلنحملها على أكمل الحسنات شأنًا، وأعلاها درجة وهو الإيمان، ولهذا قال ابن عباس: الحسنة كلمة الشهادة، وهذا يوجب^(٩) القطع بأنه لا يعاقب أهل الإيمان، فالجواب: ذلك الخير هو أن لا يكون عقابه مخلداً^(١٠). و«أمن» يتعدى بالجار وينفسه، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩].

قوله: «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ» يعني الإشراك «فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ»، يجوز أن يكون ذكر الوجه^(١١) إيذاناً بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكبين^(١٢)، يقال: كببت الرجل إذا ألقىته على وجهه فأكب^(١٣) وانكب^(١٤).

قوله: «هَلْ تُخْزَوْنَ» على إضمار قول، وهذا القول حال مما قبله، أي كُبَّتْ وجوههم مقولاً لهم ذلك القول^(١٥).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبِّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَمْ كُلْ شَيْءٌ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ

(١) انظر البغوي ٣١٤/٦.

(٢) انظر البغوي ٣١٤/٦.

(٣) انظر البغوي ٣١٤/٦.

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٢١/٢٤.

(٥) نفى: سقط من ب.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢١/٢٤.

(٧) وهي قراءة أهل الكوفة كما سبق.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢١/٢٤.

(٩) في ب: موجب.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٢١/٢٤.

(١١) في النسختين: الوحدة.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٢١/٢٤.

(١٣) في ب: فأكبه.

(١٤) انظر اللسان (كب).

(١٥) انظر التبيان ١٠١٥/٢.

صَلَّ فَقَدْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

قوله: «إِنَّمَا أُمِرْتُ» أي: قل يا محمد إنما أُمِرْتُ (أي: أُمِرْتُ) ^(١) أن أخص الله وحده بالعبادة، ثم إنه تعالى وصف نفسه بأمرين:

أحدهما: أنه رب هذه البلدة، والمراد مكة، وإنما خصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه، وأشار إليها إشارة تعظيم لها ذالاً على أنها وطن نبيه ومهبط وحيه ^(٢).

قوله: «الَّذِي حَرَّمَهَا» هذه قراءة الجمهور صفة للرب، وابن مسعود وابن عباس «الَّتِي» صفة للبلدة ^(٣)، والسياق إنما هو للرب لا للبلدة، فلذلك ^(٤) كانت قراءة ^(٥) العامة واضحة. والمعنى: جعلها الله حراماً آمناً لا يسفك فيها دم ^(٦)، ولا يظلم فيها أحد ^(٧)، ولا يصطاد صيدها ولا يختلأ خلاؤها، وله كل شيء خلقاً وملكاً، وإنما ذكر ذلك لأن العرب كانوا معترفين ^(٨) بكون مكة محرمة، وعلموا أن تلك الفضيلة ليست من الأصنام بل من الله فكانه قال: لما علمت وعلمتهم أنه سبحانه هو المتولي ^(٩) لهذه النعم وجب علي أن أخصه بالعبادات، و «أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» ^(١٠) لله.

قوله: «وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ» العامة على إثبات الواو بعد اللام، وفيها تأويلان: أظهرهما: أنه من التلاوة وهي القراءة، وما بعده يلائمه.

والثاني: من التلو وهو الاتباع ^(١١) كقوله: ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ١٠٩].

وقرأ عبد الله: «وَأَنْ أَتْلُ» أمراً له ^(١٢) عليه السلام ^(١٣)، ف «أَنْ» يجوز أن تكون المفسرة وأن تكون المصدرية، وصلت بالأمر ^(١٤)، وتقدم ما فيه.

فصل

المعنى: وأمرت أن أتلو القرآن، ولقد قام بذلك صلوات الله عليه وسلامه أتم قيام «فَمَنْ أَهْتَدَى» فيما تقدم من المسائل، وهي التوحيد والحشر والنبوة، «فَإِنَّمَا يَهْتَدِي

(١) ما بين القوسين سقط من ب. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٢.

(٣) انظر المختصر (١١١)، التبيان ٢/١٠١٥، البحر المحيط ٧/١٠٢.

(٤) في ب: فلهذا. (٥) قراءة: سقط من الأصل.

(٦) في ب: دمأ. (٧) في ب: أحداً.

(٨) في ب: بمعترفين. (٩) في ب: الولي.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٢. (١١) انظر الكشف ٣/١٥٥، البحر المحيط ٧/١٠٢.

(١٢) المختصر (١١١)، البحر المحيط ٧/١٠٢، وفي ب: أمر.

(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٤) انظر البحر المحيط ٧/١٠٢.

لِنَفْسِهِ»، أي منفعة اهتدائه راجعة إليه، «وَمَنْ ضَلَّ» عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى، «فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ» المخوفين فليس عليّ إلا البلاغ، نسختها آية القتال^(١).

قوله: «وَمَنْ ضَلَّ» يجوز أن يكون الجواب قوله: «فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا»^(٢)، ولا بد من حذف عائذ على اسم الشرط أي: مِنَ الْمُنْذِرِينَ له^(٣)، لما تقدم في البقرة وأن يكون الجواب محذوفاً أي: قَوْلًا ضَلَّاهُ عليه^(٤).

قوله: «وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» على ما أعطاني من نعمة العلم والحكمة والنبوة، أو^(٥) على ما وفقني من القيام بأداء الرسالة والإنذار، «سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ» القاهرة، «فَتَعْرِفُونَهَا»^(٦) يعني يوم بدر من القتل والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأديارهم، نظيره قوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعِجَلُونِ﴾^(٧) [الأنبياء: ٣٧]. وقال مجاهد: «سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَفِي أَنْفُسِكُمْ»، كما قال: ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٨) [فصلت: ٥٣] «فتعرفونها» أي تعرفون الآيات والدلالات، «وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» قرء بالثاء والياء^(٩)، وهذا وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

روى أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من قرأ طس النمل كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان، وكذب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم عليهم السلام»^(١٠)، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله»^(١١).

(١) انظر البغوي ٣١٥/٦ - ٣١٦.

(٢) أنا: سقط من ب.

(٣) إذ أداة الشرط اسم وليس ظرفاً فلا بد في جملة الجواب من ذكر يعود عليه ملفوظ أو مقدر. انظر البحر المحيط ١٠٢/٧ - ١٠٣.

(٤) وحذف جواب «من ضل» لدلالة جواب ما قبله عليه. انظر البحر المحيط ١٠٢/٧.

(٥) في ب: و.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٣.

(٧) انظر البغوي ٣١٦/٦.

(٨) انظر البغوي ٣١٦/٦.

(٩) فقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالثاء، والباقون وأبو بكر عن عاصم بالياء. السبعة (٣٤٠)، (٤٨٨)، الكشف ٥٣٨/١، الإتحاف (٣٤٠).

(١٠) في ب: عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

(١١) أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشف (١٢٦).

سورة القصص

سورة القصص مكية إلا قوله عز وجل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله: ﴿لَا يَنْبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾^(١) [القصص: ٥٥]، وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله^(٢): ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾^(٣) [القصص: ٨٥] وهي ثمان وثمانون آية، وألف وأربعمائة وإحدى وأربعون كلمة، وخمسة آلاف وثمانمائة حرف^(٤).

ولقائل أن يقول: لم لا سميت سورة موسى، لاشتغالها على قصة موسى فقط من حين وُلِدَ إلى أن أهلك الله فرعون وخَسَفَ بقارون، كما سميت سورة نوح، وسورة يوسف، لاشتغالها على قصتهما، ولا يقال: سميت (بذلك لذكر)^(٥) القصص فيها في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ [القصص: ٢٥]، لأنَّ سورة^(٦) يوسف فيها ذكر القصص مرتين، الأولى ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، والثانية قوله: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ»^(٧) فكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم، وأيضاً فكانت^(٨) سورة هود أولى بهذا الاسم، يعني: بسورة القصص؛ لأنه ذكر فيها قصص (سبعة أنبياء)^(٩) وهذه ليس فيها إلا قصة واحدة، فكان ينبغي العكس، أن^(١٠) تسمى سورة هود سورة^(١١) القصص، وهذه سورة موسى.

قوله تعالى: ﴿طَسَمَ (١) تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّيعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَرِيدُ

(١) وهو قول مقاتل. انظر تفسير ابن عطية ٢٥٧/١١، القرطبي ٢٤٧/١٣، البحر المحيط ١٠٤/٧.

(٢) وهي قوله: سقط من الأصل.

(٣) انظر البغوي ٣١٦/٦. وهو قول ابن سلام. انظر تفسير ابن عطية ٢٥٧/١١، القرطبي ٢٤٧/١٣. وقال الحسن وعطاء وعكرمة السورة مكية كلها. انظر القرطبي ٢٤٧/١٣، البحر المحيط ١٠٤/٧.

(٤) في الأصل: حرفاً. (٥) ما بين القوسين في ب: بذكر.

(٦) سورة: سقط من ب. (٧) في ب: «لقد كان في قصصهم عبرة» [يوسف: ١١١].

(٨) في ب: كانت. (٩) ما بين القوسين في ب: متعددة.

(١٠) في الأصل: وإنما. وفي ب: وأن. (١١) في ب: وسورة.

أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَتَكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرِثَةً فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَخُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى^(١): «تَثَلَّوْا عَلَيْكَ» يجوز أن يكون مفعول «تَثَلَّوْا» محذوفاً ذَلَّتْ عليه صفته وهي: «مِنْ نَبَأِ مُوسَى» (تقديره: تَثَلَّوْا عَلَيْكَ شَيْئاً مِنْ نَبَأِ مُوسَى)^(٢)، ويجوز أن تكون «مِنْ» مزيدة على رأي الأخفش أي: تَثَلَّوْا عَلَيْكَ نَبَأَ مُوسَى^(٣).

قوله: «بِالْحَقِّ» يجوز أن يكون حالاً من فاعل «تَثَلَّوْا»، أو^(٤) من مفعوله، أي تَثَلَّوْا عَلَيْكَ بَعْضَ خَبَرِهَا مُتَلَبِّسِينَ أو مُتَلَبِّساً بِالْحَقِّ^(٥) أو متعلقاً^(٦) بنفس «تَثَلَّوْا» بمعنى: تَثَلَّوْهُ بسبب الحق و^(٧) «لِقَوْمٍ» متعلق بفعل التلاوة أي: لأجل هؤلاء. و «يُؤْمِنُونَ» يصدقون، وَخَصَّهْمُ بِالذِّكْرِ لَأَنَّهُمْ قَبِلُوا وَاتَّقَعُوا^(٨).

قوله: «إِنَّ فِرْعَوْنَ» هذا هو المتلَوُّ جيء به في جملة مستأنفة^(٩) مؤكدة^(١٠).

وقرىء «فِرْعَوْنَ» بضم الفاء وكسرهما، والكسر أحسن^(١١) وهو الفسطاط^(١٢)، «عَلَا فِي الْأَرْضِ» استكبر وتجبر «وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعاً» فرقاً وأصنافاً في الخدمة والتسخير، يتبعونه على ما يريد ويطيعونه^(١٣).

قوله: يَسْتَضَعِفُ^(١٤) يجوز فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه مستأنف بيان لحال الأهل الذين جعلهم فرقاً وأصنافاً.

الثاني: أنه حال من فاعل «جَعَلَ» أي: جعلهم كذا حال كونه^(١٥) مستضعفاً طائفة منهم.

الثالث: أنه صفة لـ «طَائِفَةٍ»^(١٦).

قوله: «يُذَبِّحُ» يجوز فيه الثلاثة الأوجه: الاستئناف تفسيراً لـ «يَسْتَضَعِفُ»^(١٧). أو

(٢) انظر التبيان ١٠٢٦/٢.

(٤) في ب: و.

(٦) في النسختين: «متعلق» والصواب ما أثبت.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٢٥/٢٤.

(١٠) انظر الكشاف ١٥٦/٣.

(١٢) في ب: الفسطاط.

(١٤) في ب: ويستضعف.

(١) تعالى: سقط من ب.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) انظر التبيان ١٠١٦/٢، البحر المحيط ١٠٤/٧.

(٧) و: سقط من ب.

(٩) في ب: مبتدأ.

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٢٥/٢٤.

(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٢٥/٢٤.

(١٥) في ب: كون.

(١٦) الصواب أنه صفة لـ «شيعاً». انظر الأوجه الثلاثة في الكشاف ١٥٧/٣. التبيان ١٠١٦/٢، البحر

المحيط ١٠٤/٧.

(١٧) قال الزمخشري: (و «يذبح» بدل من «يستضعف») الكشاف ١٥٧/٣.

الحال من فاعله أو صفة ثانية لـ «طَائِفَةٌ»^(١). والعامّة على التشديد في «يُذَبِّحُ» للتكثير. وأبو حيوة وابن محيصن «يُذَبِّحُ» مفتوح الياء والباء مضارع «ذَبَحَ» مخففاً^(٢).

فصل

المراد بالطائفة بنو إسرائيل، ثم فسّر الاستضعاف فقال: «يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ»، سمّي هذا استضعافاً؛ لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم^(٣)، «إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» ذكروا في سبب ذبح الأبناء وجوهاً:

قيل: إِنَّ كَاهِنًا قَالَ لَهُ يُولَدُ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي لَيْلَةِ كَذَا (يذهب ملكك)^(٤) على يده، فولد تلك الليلة اثنا عشر غلاماً، فقتلهم وبقي هذا العذاب في بني إسرائيل سنين كثيرة. قال وهب: قتل القبط^(٥) في طلب موسى تسعين ألفاً^(٦) من بني إسرائيل. وقال السدي: إِنَّ فِرْعَوْنَ رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّ نَارًا أَقْبَلَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى مِصْرَ فَأَحْرَقَتْ الْقَبْطَ دُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فسأل عن رؤياه فقيل له: يخرج من هذا البلد من بني إسرائيل رجل يكون هلاك مصر على يده، فأمر بقتل الذكور، وقيل: إن الأنبياء الذين كانوا قبل موسى عليه السلام^(٧) بشروا بمجيئه فسمع فرعون بذلك فأمر بذبح أبناء بني إسرائيل^(٨) قوله: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه عطف على قوله: «إِنَّ فِرْعَوْنَ» عطف فعلية على اسمية، لأن كليهما تفسير للنبا^(٩).

الثاني: أنه حال من فاعل «يَسْتَضْعِفُ» وفيه^(١٠) ضعف من حيث الصناعة ومن حيث المعنى، أما الصناعة فلكونه (مضارعاً)^(١١) مثبتاً فحقه أن يتجرد من الواو وإضمار مبتدأ قبله، أي: ونحن نريك، كقوله:

٣٩٧٤ - نَجُوزُ وَأَزْهَنُهُمْ مَالِكًا^(١٢)

(١) انظر الأوجه في التبيان ١٠١٦/٢، البحر المحيط ١٠٥/٧.

(٢) انظر تفسير ابن عطية ٢٦٠/١١، البحر المحيط ١٠٤/٧، الإتحاف (٣٤١).

(٣) انظر البغوي ٣١٧/٦ - ٣١٨.

(٤) ما بين القوسين في الأصل: يذبح هب ملكه. وهو تحريف.

(٥) في النسختين: من القبط. والتصويب من الفخر الرازي.

(٦) في ب: سبعين ألفاً. (٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٨) قال ابن الخطيب: (وهذا الوجه هو الأولى بالقبول) انظر الفخر الرازي ٢٢٥/٢٤.

(٩) انظر الكشف ١٥٧/٣، البحر المحيط ١٠٤/٧.

(١٠) انظر الكشف ١٥٧/٣. (١١) مضارعاً: تكلمة ليست من المخطوط.

(١٢) عجز بيت من بحر المتقارب، قاله عبد الله بن همام، وصدّره:

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْفَارَهُمْ

تقدم تخريجه والشاهد فيه.

وهذا تكلف لا حاجة إليه . وأما المعنى فكيف يجتمع استضعاف فرعون ، وإرادة المنة من الله^(١) ، لأنه متى من الله عليهم تعذر استضعاف فرعون إياهم .

وقد أجب عن ذلك بأنه^(٢) لما كانت المنة بخلاصهم من فرعون سريعة الوقوع جعل إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم^(٣) .

قوله : « وَنَجَّلَهُمْ أَيْمَةً » قال مجاهد : دعاة إلى الخير ، وقال قتادة : ولاية وملوكاً كقوله تعالى : « وَجَعَلَكُمْ مَلُوكاً »^(٤) ، وقيل : يهتدى بهم في الخير^(٥) ، « وَنَجَّلَهُمُ الْوَارِثِينَ » يعني لملك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم^(٦) .

قوله : « وَتَمَكَّنَ » العامة على ذلك من غير لام علة ، والأعمش : وَلِئَمْكَنَ بلام العلة^(٧) ومتعلقها محذوف ، أي : ولئمكن فعلنا ذلك^(٨) ، والمعنى : نوطى لهم في أرض^(٩) مصر والشام ، ونجعلها^(١٠) لهم مكاناً يستقرون فيه^(١١) ، وننفذ^(١٢) أمرهم ونطلق أيديهم ، يقال : مكن له إذا جعل له مكاناً يقعد عليه وأوطأه ومهده^(١٣) .

قوله : « وَنُرِيْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا » قرأ الأخوان^(١٤) : « وَنُرِيْ » بفتح الباء والراء^(١٥) مضارع (رأى) مسنداً إلى « فِرْعَوْنَ » وما عطف عليه فلذلك رفعوا ، والباقيون بضم النون وكسر الراء مضارع (أَرَى) ، فلذلك نصب « فِرْعَوْنَ » وما عطف عليه^(١٦) مفعولاً أول ، « وَمَا كَانُوا » هو الثاني^(١٧) . و « مِنْهُمْ » متعلق بفعل الرؤية أو الإرادة^(١٨) ، لا بـ « يَخْذَرُونَ » لأن ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله^(١٩) ، ولا ضرورة بنا إلى أن نقول اتسع فيه ، والحذر هو التوقي من الضرر^(٢٠) ، والمعنى : وما كانوا خائفين منه .

قوله : « أَنَّ أَرْضِيَّه » يجوز أن تكون المفسرة والمصدرية^(٢١) ، وقرأ عمر بن عبد

(١) في ب : من الله تعالى . (٢) في ب : لأنه .

(٣) انظر الكشاف ١٥٧/٣ ، البحر المحيط ١٠٤/٧ .

(٤) من قوله تعالى : « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً » [المائدة : ٢٠] .

(٥) انظر : البغوي ٣١٨/٦ . (٦) المرجع السابق .

(٧) في ب : علة . وانظر البحر المحيط ١٠٥/٧ .

(٨) انظر البحر المحيط ١٠٥/٧ . (٩) في ب : الأرض .

(١٠) في ب : ونجعل . (١١) انظر البغوي ٣١٨/٦ .

(١٢) في ب : ونبعد . (١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٢٦ .

(١٤) حمزة والكسائي . (١٥) والراء : سقط من ب .

(١٦) السبعة (٤٩٢) ، الكشف ١٧٢/٢ ، النشر ٣٤١/٢ ، الإنحاف (٣٤١) .

(١٧) انظر البيان ٢/٢٢٩ . (١٨) في ب : الإرادة .

(١٩) انظر التبيان ٢/١٠١٦ . (٢٠) انظر البغوي ٣١٨/٦ .

(٢١) انظر التبيان ٢/١٠١٦ ، البحر المحيط ١٠٥/٧ .

العزیز وعمر بن عبد الواحد^(١) بكسر النون على التقاء الساكنین، وكأنه حذف همزة القطع على غیر قیاس فالتقی ساکنان، فكسر^(٢) أولهما^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَاَلْقَيْهِ عَلَى الْعِلْجِ فَرَءَتْ لِهُمْ عَذُوبًا وَحِزْنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمُّنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَئِكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله: «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمْرَ مُوسَىٰ» وحي إلهام لا وحي نبوة، قال قتادة: قذفنا في قلبها، واسمها يوحنا^(٤)، وقيل أبادخا، وقيل أيارخت قاله ابن كثير، بنت لاوي بن يعقوب، «أَنْ أَرْضِعِيهِ» قيل^(٥): أرضعته ثمانية أشهر، وقيل أربعة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر، كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك. «فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ» يعني من الذبح، «فَأَلْقِيهِ فِي اليمِّ»، واليم البحر وأراد هنا النيل، «وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي» قيل: ولا تخافي عليه من الغرق وقيل: من الضيعة، «وَلَا تَحْزَنِي» على فراقه، ف «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ»^(٦) لتكوني أنت المرضعة «وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» إلى أهل مصر والشام. قال المفسرون: إنها لما خافت عليه من الذبح، وضعت في تابوت، وألقته في النيل ليلاً^(٧)، قال ابن كثير: وقيل إنها ربطت التابوت في جبل^(٨) وكانت دارها^(٩) على حافة النيل، فكانت^(١٠) ترضعه، فإذا خشيت من أحد وضعت في ذلك التابوت، وأرسلته في البحر، وأمسكت طرف الجبل عندها، فإذا ذهبوا استرجعته إليها، وكان^(١١) لفرعون قوابل معهم رجال يطوفون على الحوامل، فمن وضعت ذكراً ذبحوه، فأرسلت أم موسى التابوت يوماً. وذهل عن ربطه فذهب مع النيل^(١٢). قال ابن عباس وغيره: وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان بها برص شديد، فقال له

(١) هو عمر بن عبد الواحد بن قيس أبو حفص الدمشقي، عرض على يحيى بن الحارث الذماري، وزوى عنه اختباره الذي خالف فيه عبد الله بن عامر، وروى عنه هشام بن عمار، مات سنة ٢٠٠ هـ. طبقات القراء ١/ ٥٩٤.

(٢) في ب: فكسروا. (٣) انظر المحتسب ١٤٧/٢، البحر المحيط ١٠٥/٧.

(٤) انظر البغوي ٣١٨/٦ - ٣١٩. (٥) من هنا نقله ابن عادل عن البغوي ٣١٩/٦.

(٦) آخر ما نقله هنا عن البغوي ٣١٩/٦. (٧) انظر البغوي ٣٢٠/٦.

(٨) في الأصل: قاله. (٩) في ب: وأرسلته في جبل.

(١٠) في ب: وكان ذراعاً. وهو تحريف. (١١) في ب: وكانت.

(١٢) في ب: فكان. (١٣) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٠.

الاطباء: أيها الملك إنها لا تبرأ إلا من قبل البحر يؤخذ منه^(١) شبه الإنس، فيؤخذ^(٢) من ريقه فيلطح به برصها، فتبرأ من ذلك، وذلك يوم كذا وساعة كذا من^(٣) شهر كذا حين تشرق الشمس، فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون من مجلس له كان على شفير^(٤) النيل، ومعه آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي^(٥) كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق، وهي امرأة فرعون.

وقيل: كانت من بني إسرائيل من سبط موسى، وقيل: كانت عمته؛ حكاه السهيلي. وأقبلت بنت فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل، إذ أقبل النيل بتابوت تضر به الأمواج، فتعلق بشجرة، فقال فرعون: ائتوني به، فابتدروا بالسفن من كل جانب فوضعه^(٦) بين يديه، فعالجوا^(٧) فتحه، فلم يقدروا عليه، فنظرت آسية فرأت نوراً في جوف التابوت لم يره غيرها، فعالجته ففتحته، فإذا هو بصبي صغير في مهد، و^(٨) إذا نور بين عينيه، فألقى الله محبته في قلوب القوم، وعمدت ابنة فرعون إلى ريقه، فلطخت به برصها، فبرأت، فقالت الغواة من قوم فرعون: إنا^(٩) نظن أن هذا هو الذي نحذر منه، رُمي في البحر فرقاً منك فاقتله، فهَمَّ فرعون بقتله، فاستوهبته امرأة فرعون فترك قتله^(١٠).

وقوله: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ» أي: جواريه.

قوله: «لِيَكُونَ» في اللام الوجهان المشهوران: العلية المجازية بمعنى أن ذلك لما كان نتيجة فعلهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله^(١١)، أو^(١٢) الصيرورة^(١٣).

وقوله: «وَحَزَنًا» قرأ^(١٤) العامة^(١٥) بفتح الحاء والزاي، وهي لغة قريش^(١٦)، والأخوان بضم وسكون^(١٧) وهما لغتان بمعنى واحد كالْعَدَمِ وَالْعُدْمِ^(١٨). «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ» العامة على الهمز، مأخوذة من الخطأ ضد الصواب،

(١) في ب: يومئذ. وهو تحريف. (٢) في الأصل: ويؤخذ.

(٣) في ب: و. (٤) شفير الوادي: حدّ حرفه.

(٥) في ب: و. (٦) في ب: ووضعه.

(٧) في ب: فعالجوه. (٨) و: سقط من ب.

(٩) في ب: إنا.

(١٠) انظر البغوي ٦/٣٢٠ - ٣٢١، الفخر الرازي ٢٤/٢٢٧ - ٢٢٨.

(١١) انظر الكشاف ٣/١٥٧ - ١٥٨. (١٢) في ب: و.

(١٣) الصيرورة: اصطلاح الكوفيين، ويسمى البصريون لام العاقبة. انظر البيان ٢/٢٢٩، التبيان ٢/١٠١٦.

(١٤) في ب: وقرأ. (١٥) غير حمزة والكسائي.

(١٦) انظر البحر المحيط ٧/١٠٥، اللسان (حزن).

(١٧) السبعة (٤٩٢)، الكشف ٢/١٧٢، النشر ٢/٣٤١، الإتحاف (٣٤١).

(١٨) الكشف ٢/١٧٢، الكشاف ٣/١٥٨، التبيان ٢/١٠١٦.

وقرىء بياء دون هَمْزٍ، فاحتمل أن يكون كالأول، ولكن خُفِّفَ، وأن يكون من خَطَا يَخْطُو أي: تَجَاوَز الصَّوَابَ^(١).

قوله: «قُرْءُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه خبر مبتدأ مضمرة، أي: هُوَ قُرْءُ عَيْنٍ.

الثاني - وهو بعيد جداً - أن يكون مبتدأ والخبر «لَا تَقْتُلُوهُ»^(٢). وكان هذا^(٣) القائل حقه أن لا^(٤) يَذْكُرَ، فيقول: «لَا تَقْتُلُوها»، إلا أنه لما كان المراد مذكراً ساغ ذلك، والعامّة من القراء والمفسرين وأهل العلم يقفون على «وَلَكَ»^(٥). ونقل ابن الأنباري بسنده إلى ابن عباس عنه أنه وقف على «لَا» أي: هو «قُرْءُ عَيْنٍ لِي» فقط، «وَلَكَ لَا»، أي: ليس هو لك قرة عين، ثم يبتدئ بقوله «تَقْتُلُوهُ»، وهذا لا ينبغي أن يصح عنه، وكيف يبقى «تَقْتُلُوهُ» من غير نون رفع، ولا مُقْتَضَى لحذفها؟ ولذلك^(٦) قال القراء: هو لحن^(٧).

قوله: «عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا». كانت لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون، فوهبه لها^(٨)، وقال^(٩) فرعون: «أَمَا أَنَا فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِ»^(١٠)، قال رسول الله ﷺ: «لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك، لهداه الله كما هداها»^(١١) وقال^(١٢) لأسية سميّه، قالت^(١٣): سميتّه موسى لأنّنا وجدناه في الماء والشجر، (فَمَوْ هو الماء، و (شا) هو البحر، فذلك قوله: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ». والالتقاط: هو وجود الشيء^{(١٤)(١٥)}.

قوله: «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» جملة حالية^(١٦)، وهل هي من كلام الباري تعالى^(١٧)

(١) انظر البحر المحيط ١٠٥/٧.

(٢) فيكون قد عرف أنه قرة عين. انظر معاني القرآن وإعرايه للزجاج ١٣٣/٤، الكشاف ١٥٨/٣، البحر المحيط ١٠٦/٧، وذكر الوجهين ابن الأنباري، انظر البيان ٢٢٩/٢ - ٢٣٠.

(٣) في ب: هو.

(٤) لا: تكملة ليست في المخطوط.

(٥) في ب: ذلك.

(٦) في ب: وكذلك. وهو تحريف.

(٧) قال القراء: (وفي قراءة عبد الله «لا تقتلوه قرة عين لي ولك» وإنما ذكرت هذا لأنني سمعت الذي يقال له ابن مروان السدي يذكر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: إنها قالت: «قرة عين لي ولك لا» وهو لحن، ويقويك على رده قراءة عبد الله) معاني القرآن ٣٠٢/٢، وانظر المختصر (١١١ - ١١٢) وابن الأنباري في كتابه إيضاح الوقف والابتداء (٨٢٢) نقل عبارة القراء معزوة إليه ولم يزد عليها شيئاً.

(٨) انظر القرطبي ٢٥٤/١٣.

(٩) في ب: قال. وهو تحريف.

(١٠) في ب: فيه.

(١١) انظر الكافي الشاف في تخریج أحاديث الكشاف (١٢٦).

(١٢) في ب: فقال.

(١٣) في ب: قال. وهو تحريف.

(١٤) انظر البغوي ٣٢١/٦.

(١٥) ما بين القوسين في ب: من غير طلب.

(١٦) وصاحب الحال: «آل فرعون» وتقدير الكلام: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبيينه. الكشاف ١٥٨/٣.

(١٧) أي: لا يشعرون أن هلاكهم بسببه وعلى يده. وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل. وقال ابن =

وهو الظاهر، أو من كلام امرأة فرعون؟ كأنها لما رأت ملاء أشاروا بقتله، قالت له كذا؛ أي: افعل أنت ما أقول لك وقومك لا يشعرون أنا التقطناه - قاله الكلبي^(١)، وجعل الزمخشري الجملة من قوله: «وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ» معطوفة على «فَالْتَفَتَهُ» والجملة من قوله: «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ» إلى «خَاطِبَيْنِ» مُعْتَرِضَةٌ^(٢) بين المتعاطفين، وجعل متعلق الشعور من جنس الجملة المعتضة أي: لا يشعرون أنهم على خطأ في التقاطه، أو أن هلاكهم على يديه^(٣)، قال أبو حيان: ومتى أمكن حَمْلُ الكلام على ظاهره من غير فصل كان أحسن^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ قَبَضَتْ بِهِ عَنْ جُبِّ وَهْمٍ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١﴾

قوله: «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا» (قال الحسن: فارغاً)^(٥) من كل هم إلا هم موسى^(٦). وقال أبو مسلم^(٧): فراغ^(٨) الفؤاد هو الخوف والإشغاف، كقوله: ﴿وَأَقْبَدَتْهُمُ هَوَاهُ﴾^(٩) [إبراهيم: ٤٣].

وقال الزمخشري: فارغاً صفرأ من العقل، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف^(١٠). وقال الحسن ومحمد بن إسحاق: فارغاً من الوحي الذي أوحينا إليها أن ﴿كَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ إِنَّا رَأَوُوهَ إِلَٰهًا﴾ [القصص: ٧] فجاءها الشيطان وقال لها: كرهت أن يقتل فرعون ولذلك فيكون لك أجراً وثواباً، وتوليت أنت قتله، فألقيته في البحر، وأغرقتيه^(١١)، ولما^(١٢) أتاها خبر موسى أنه وقع في يد فرعون فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله إليها^(١٣). وقال أبو عبيدة: فارغاً من الحزن لعلمها^(١٤) بأنه لا يقتل، اعتماداً على تكفل الله بمصلحته^(١٥). قال ابن قتبية: وهذا من العجائب، كيف يكون فؤادها فارغاً من الحزن، والله تعالى يقول: «لَوْلَا

= عباس: يريد لا يشعرون إلى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام. الفخر الرازي ٢٢٩/٢٤، البحر المحيط ١٠٦/٧.

(١) انظر الفخر الرازي ٢٢٩/٢٤، البحر المحيط ١٠٦/٧.

(٢) في النسختين: معترضاً. والصواب ما أثبتته. (٣) انظر الكشف ١٥٨/٣.

(٤) البحر المحيط ١٠٦/٧. (٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٢٩/٢٤. (٧) في ب: أبو موسى. وهو تحريف.

(٨) في الأصل: فراق. (٩) انظر الفخر الرازي ٢٢٩/٢٤.

(١٠) الكشف ١٥٨/٣. (١١) في ب: أغرقته.

(١٢) في ب: فلما. (١٣) انظر الفخر الرازي ٢٢٩/٢٤.

(١٤) في ب: يعلمها. (١٥) انظر مجاز القرآن ٩٨/٢.

أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا؟ وهل يُرَبِّطُ إلا على قلب الجازع المحزون^(١)؟ ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يمتنع أنها لشدة ثقها بوعده الله جاز عندها إظهار عدم الحزن، وأيقنت أنها - وإن أظهرت ذلك - فإنه يسلم لأجل ذلك الوعد. إلا أنه كان في المعلوم أن الإظهار (يضر فربط)^(٢) الله على قلبها^(٣). قال المعربون: «فارغاً» خبر أصبح أي: فارغاً من العقل^(٤)، أو من الصبر^(٥)، أو من الحزن^(٦)، وهو أبعدا، ويردّه قراءات تُخالفه. فقرأ فضالة^(٧) والحسن «فَرَعاً» بالزاي من الفرع^(٨)، وابن عباس «قَرَعاً» بالقاف وكسر الراء وسكونها^(٩)، من قَرَعَ رأسه إذا انحسر شعره، (والمعنى: خلا من كل شيء، وانحسر عنه كل شيء إلا ذكر موسى^(١٠)، وقيل: الساكن الراء مصدر قَرَعَ يَقْرَعُ^(١١)، أي: أصيب، وقرىء «فَرَعاً» بكسر الفاء وسكون الراء، والغين معجمة أي: هدرأ^(١٢)، كقوله^(١٣):

٣٩٧٥ - فَإِنْ يَكُ قَتْلَى قَدْ أَصِيبَتْ نَفْسُهُمْ فَلَنْ يَذْهَبُوا فَرَعًا بِقَتْلِ حَبَالٍ^(١٤)
فَرَعًا حال من «يَقْتُلُ»^(١٥)، وقرأ الخليل «فُرَعًا» بضم الفاء وإعجام الغين^(١٦) من هذا المعنى، ومنه قولهم دماهم بينهم فرغ أي: هدر^(١٧).

قوله: «إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي» «إِنْ» إما مخففة، وإما نافية، واللام إما فارقة وإما بمعنى إلا^(١٨) والباء^(١٩) في «بِهِ» (مزيدة في المفعول، أي: لتُظْهِرُهُ، وقيل: ليست زائدة بل سببية، والمفعول محذوف، أي: لتُبْدِي الْقَوْلَ بسبب موسى أو بسبب الوحي. فالفاء يجوز أن تكون^(٢٠) راجعة إلى موسى^(٢١)، أي: إن كادت لتبدي به أنه^(٢٢) ابنها من شدة

(١) انظر تفسير غريب القرآن (٣٢٨ - ٣٢٩).

(٢) ما بين القوسين في الأصل: يعتبر بربط. وفي ب: يعتبر بربط.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٢٩/٢٤. (٤) انظر الكشف ١٥٨/٣.

(٥) انظر البحر المحيط ١٠٦/٧. (٦) انظر: مجاز القرآن ٩٨/٢.

(٧) هو فضالة بن عبد الله الليثي، وقيل: ابن بجرة بن بجيرة، ويعرف بالزهري. الإصابة ٣٠٣/٣.

(٨) انظر المختصر (١١)، المحتسب ١٤٧/٢ - ١٤٨، البحر المحيط ١٠٧/٧.

(٩) انظر المختصر (١١١)، المحتسب ١٤٨/٢، البحر المحيط ١٠٧/٧.

(١٠) انظر البحر المحيط ١٠٧/٧. (١١) المرجع السابق.

(١٢) حكاها قطرب عن بعض أصحاب النبي - ﷺ - المحتسب ١٤٨/٢، تفسير ابن عطية ٢٦٧/١١ - ٢٦٨.

(١٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٤) البيت من بحر الطويل، قاله طلحة بن خويلد الأسدي. وقد تقدّم.

(١٥) في ب: يقتلى.

(١٦) انظر تفسير ابن عطية ٢٨٦/١١، البحر المحيط ١٠٧/٧.

(١٧) انظر الكشف ١٥٨/٣. (١٨) وهو قول الكوفيين. انظر البحر المحيط ١٠٧/٧.

(١٩) في النسختين: والهاء. والصواب ما أثبت.

(٢٠) ما بين القوسين سقط من ب. (٢١) انظر القرطبي ٢٥٦/١٣، البحر المحيط ١٠٧/٧.

(٢٢) في ب: أن. وهو تحريف.

وجدها. وقال عكرمة عن ابن عباس: كادت تقول: وابناه حين رأت الموج يرفع التابوت ويضعه.

وقال الكلبي: كادت تظهر أنه ابنها حين سمعت الناس يقولون: إنه ابن فرعون.

وقال السدي: لما أخذ من الماء كادت تقول: هو ابني، فعصمها الله^(١).

وقال بعضهم: الهاء^(٢) عائدة إلى الوحي، أي كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أنه يرده عليها^(٣).

قوله: «لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا» جوابها محذوف، أي لأبدت^(٤)، كقوله: «وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَمَّا بُرْهَنَ رَبُّهُ» [يوسف: ٢٤] والمعنى: لولا أن ربطنا على قلبها بالعصمة والصبر والتثبت. «وَلِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» متعلق بـ «رَبَطْنَا»^(٥)، والمعنى: لتكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله، وهو قوله: «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ» [القصص: ٧].

قوله: «وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ» أي: قُصِّي أثر موسى، تتبَّعي أمره حتى تعلمي خبره: وكانت أخته لأبيه وأمه واسمها مريم^(٦). قال «فَبَصَّرَتْ بِهِ» أي: أبصرته، وقرأ قتادة «بَصَّرَتْ» بفتح الصاد وعيسى بكسرهما^(٧). قال المبرد: أبصرته وبصرت به بمعنى^(٨)، وتقدم معناه في طه^(٩). و «عَنْ جُنُبٍ» في موضع الحال إمَّا من الفاعل أي: بصرت به مُسْتَخْفِيَةً كائنةً عن جُنُبٍ، وإمَّا من المجرور أي: بعيداً منها^(١٠).

وقرأ العامة «جُنُبٍ» بضميتين وهو صفة لمحذوف، أي: عن مكان بعيد^(١١)، وقال أبو عمرو بن العلاء: أي: عن شوقٍ، وهي لغة جُذَامٍ، يقولون: جَنَّبْتُ إِلَيْكَ أي: اشتقت^(١٢).

(و)قرأ قتادة والحسن والأعرج وزيد بن علي بفتح الجيم وسكون النون^(١٣)^(١٤)، وعن قتادة أيضاً بفتحهما^(١٥)، وعن الحسن «جُنُبٍ» بالضم والسكون^(١٦)، وعن

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٠. (٢) في ب: أنها. وهو تحريف.

(٣) انظر القرطبي ١٣/٢٥٦. (٤) انظر التبيان ٢/١٠١٧، البحر المحيط ٧/١٠٧.

(٥) انظر التبيان ٢/١٠١٧. (٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٠.

(٧) المختصر (١١٢). (٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٠.

(٩) عند قوله تعالى: «قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ» [طه: ٩٦].

(١٠) انظر التبيان ٢/١٠١٧.

(١١) حكاه أبو حيان عن الكرماني. البحر المحيط ٧/١٠٧.

(١٢) انظر القرطبي ١٣/٢٥٧، البحر المحيط ٧/١٠٧.

(١٣) انظر المختصر (١١٢)، المحتسب ٢/١٤٩، البحر المحيط ٧/١٠٧.

(١٤) ما بين القوسين سقط من ب. (١٥) انظر البحر المحيط ٧/١٠٧.

(١٦) المرجع السابق.

النعمان بن سالم^(١) «عَنْ جَانِبٍ» وكلها بمعنى واحد. ومثله الْجَنَابَ وَالْجَنَابَةُ^(٢).
 «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» جملة حالية، ومتعلق الشعور^(٣) محذوف أي: أنها تَقْصُهُ، أو^(٤)
 أنه سَيَكُونُ لهم عدواً وحزناً، أو أنها أخته، أو أنها تَرْقِيهِ^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُورٌ﴾ (١٢) ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣)

قوله: «وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ»^(٦) قيل: يجوز أن يكون جمع مُرَضِع وهي المرأة، وقيل: جمع مَرَضِع بفتح الميم والضاد، ثم جَوَّزُوا فيه أن يكون مكاناً أي: مكان الإرضاع وهو الثدي وأن يكون مصدراً أي: الإرضاعات، أن: أنواعها^(٧)، و «مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل قصصها أثره^(٨)، أو من قبل مجيء أخته، ومن قبل ولادته في حكمنا وقضائنا^(٩). والمراد من التحريم المنع، لأن التحريم بالنهي تعبد وذلك لا يصح، فلا بُدَّ من فعل سواه، فيحتمل أن - تعالى - غير طبعه عن لبن سائر النساء، فلذلك لم يرتضع أو أحدث في لبنهن طعماً ينفر عنه طبعه، أو وضع في لبن أمه لذة تعود بها، فكان يكره لبن غيرها^(١٠).

فصل

قال ابن عباس: إن امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد له مرضعة، فكل ما أتوه بمرضعة لم يأخذ ثديها؛ فذلك قوله عز وجل «وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ»^(١١)، فلما رأت أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلبه ذلك «قَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ» أي: يرضعونكم لكم^(١٢) ويضمنونه، وهي امرأة قد قُتِلَ ولدها فأحب شيء إليها أن تجد صغيراً ترضعه^(١٣).

قوله: «وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» الظاهر أنه ضمير موسى، وقيل لفرعون^(١٤). قال ابن

(١) في النسختين: عن سالم. والتصويب من المحتسب ١٤٩/٢، تفسير ابن عطية ٢٧٠/١١، البحر المحيط ١٠٧/٧. وهو النعمان بن سالم الطائفي، روى عن أوس بن أوس، وعبد الله بن عمر، وروى عنه سماك، وداود بن هند، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٠٢٠.

(٢) جناب: مصدر جانبه مجانية وجناباً صار إلى جنبه، وجنابة مصدر جنب، انظر اللسان (جنب)، والبحر المحيط ١٠٧/٧.

(٣) أي: معمول الفعل.

(٤) انظر البغوي ٣٢٣/٦.

(٥) انظر الكشف ١٥٩/٣، البحر المحيط ١٠٧/٧ - ١٠٨.

(٦) المرجعان السابقان.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٠.

(٨) انظر البغوي ٦/٣٢٣.

(٩) انظر البغوي ٦/٣٢٤.

(١٠) انظر البحر المحيط ١٠٨/٧.

جُريج والسُّدي: لما قالت أخت موسى «وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» استنكروا خالها وتفرسوا أنها قرابته، فقالت: إِنَّمَا أَرَدْتُ وَهْمَ لِلْمَلِكِ نَاصِحُونَ، فَتَخَلَّصْتُ مِنْهُمْ^(١)، وهذا يُسمى عند أهل البيان الكلام الموجّه^(٢) ومثله: لما سُئِلَ بعضهم وكان بين أقوام بعضهم يحب علياً دون غيره، وبعضهم أبا بكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان، ف قيل له: أيهم أحب إلى رسول الله؟ فقال^(٣): من كانت ابنته تحته. وقيل لما تفرسوا أنه قرابته قالت: إِنَّمَا قُلْتُ هَذَا رَغْبَةً فِي سُرُورِ الْمَلِكِ، وَاتِّصَالَنَا بِهِ^(٤). وقيل: إنها لما قالت: «هَلْ أَذْلكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ»، قالوا لها: مَنْ؟ قالت: أُمِّي. قالوا: ولأُمِّك ابن؟ قالت: نعم، هارون، وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها. قالوا: صدقت، فائتينا بها، فانطلقت إلى أمه فأخبرتها بحال ابنها، وجاءت بها إليهم، فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها وجعل يمصّه حتى امتلأ جنباه رِيّاً^(٥).

والنصح: إخلاص العمل من سائر الفساد^(٦).

قوله: «فَرَدَّ ذَنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا» بردّ موسى إليها، «وَلَا تَحْزَنَ» عطف على «تَقَرَّ»^(٧)، ودمعة الفرح قارّة، ودمعة الترح حارّة. قال أبو تمام^(٨):

٣٩٧٦ - فَأَمَّا عُيُونُ الْعَاشِقِينَ فَأَسْخَنَتْ وَأَمَّا عُيُونُ الشَّامِتِينَ فَفَرَّتْ^(٩)

وتقدم تحقيق هذا في مريم^(١٠).

- (١) انظر البغوي ٣٤٤/٦، القرطبي ٢٥٧/١٣، البحر المحيط ١٠٨/٧.
 - (٢) المعروف في علم البديع أن مثل هذا يسمى التوجيه، وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين كقول من قال لأعور يسمى عمراً:
- خاط لي عمسرو قباءة لبست عينييه سواء
- وقيل: عبارة عن وجه ينافي كلام الخصم، ومنه المثال الذي أتى به ابن عادل، أما الموجّه فهو أن يمدح بشيء يقتضي المدح لشيء آخر. انظر الإيضاح (٣٨٧ - ٣٨٨).
- (٣) في ب: فقالت.
 - (٤) انظر البغوي ٣٢٤/٦.
 - (٥) المرجع السابق.
 - (٦) انظر الكشف ١٥٩/٣.
 - (٧) انظر التبيان ١٠١٨/٢.
 - (٨) تقدم.
 - (٩) البيت من بحر الطويل، قاله أبو تمام وهو في ديوانه ٣٠٠/١، البحر المحيط ١٠٨/٧ والشاهد فيه أن قوله: (فأسخنت) دال على أن دمعة الحزن حارة ساخنة، وقوله: (قرّت) من القرّ أو القرّة: البرد، والعين قارّة إذا كان دمعها بارداً من فرح وسرور.
 - (١٠) عند قوله: «فَكَلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا» [مريم: ٢٦].

وذكر ابن عادل هناك: والعامّة على فتح القاف من قرّي أمر من قرّت عينه تقر بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع، وقرّي بكسر القاف، وهي لغة نجد، يقولون قرّت عينه تقر بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع، وفي وصف العين بذلك تأويلان أحدهما: أنه مأخوذ من القر، وهو البرد، وذلك أن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها قاراً، أي: بارداً، وإذا حزن كان دمعها حاراً ولذلك قالوا في الدعاء عليه: أسخن الله عينه.

والثاني: أنه مأخوذ من الاستقرار والمعنى أعطاه الله ما يسكن عينه فلا تطمح إلى غيره. انظر اللباب ٤١٢/٥.

«وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» برده إليها وكانت^(١) عالمة بذلك ولكن ليس المخبر كالمعاین فتحققت بوجود الموعد^(٢)، «وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» أن الله وعدها رده إليها. قال الضحاك: لما قبل ثديها قال هاما: إنك لأمه، قالت: لا، قال: فما بالك قبل ثديك من بين النسوة؟^(٣) قالت: أيها الملك، إني امرأة طيبة الريح، حلوة اللبن، فما شم ريحي صبي إلا أقبل^(٤) على ثديي. قالوا: صدقت. فلم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وأتحفها بالذهب والجواهر^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْمُتَوَكِّلُ الرَّجِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنَّمَتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ١٧﴾

قوله: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ» تقدم الكلام عليه^(٦)، «وَاسْتَوَىٰ» أي: بلغ أربعين سنة - (قاله ابن عباس -)^(٧) وقيل: استوى: انتهى شبابه^(٨)، «ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» أي: الفقه والعقل والعلم في الدين، فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبيا^(٩)، «وَكُذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»، وهذا يدل على أنه ليس المراد بالحكم النبوة، لأنه جعل إيتاء الحكم والعلم مجازاة على إحسانه، والنبوة لا تكون جزاء على العمل^(١٠).

قوله: «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ» أي: ودخل موسى المدينة. قال السدي: مدينة منف من أرض مصر^(١١)، وقال مقاتل: قرية تدعى حانين على (رأس)^(١٢) فرسخين من مصر^(١٣)، وقيل: عين شمس^(١٤)، قوله: «عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ» في موضع الحال إما من الفاعل أي: كائنا على حين غفلة، أي: مستخفيا، وإما من المفعول^(١٥)، وقرأ أبو

(١) في ب: وقد كانت.

(٢) في ب: النساء.

(٣) في ب: قبل.

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣١.

(٥) عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢].

(٦) انظر البغوي ٦/٣٢٥، القرطبي ١٣/٢٥٨.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) انظر البغوي ٦/٣٢٥.

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٣.

(١٠) المرجع السابق.

(١١) انظر البغوي ٦/٣٢٥.

(١٢) رأس: سقط من ب.

(١٣) انظر البغوي ٦/٣٢٥، الفخر الرازي ٢٤/٢٣٣.

(١٤) وهو قول الضحاك. انظر البغوي ٦/٣٢٥، الفخر الرازي ٢٤/٢٣٣.

(١٥) انظر التبيان ٢/١٠١٨.

طالب القاريء^(١) «عَلَى حِينٍ» بفتح النون، وتكَلَّفَ أبو حيان تخريجها على أنه حمل المصدر على الفعل في أنه إذا أضيف الظرف إليه جاز بناؤه على الفتح^(٢)، كقوله:

٣٩٧٧ - عَلَى حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا^(٣)

و «مِنْ أَهْلِهَا» صفة لـ «غَفَلَةٍ»، أي: صادرة من أهلها.

فصل

اختلفوا في السبب الذي لأجله دخل موسى المدينة على حين غفلة من أهلها، فقال السُّدِّي: إن موسى كان يسمى ابن فرعون، فكان يركب في مراكب فرعون، ويلبس مثل ملابسه، فركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في أثره، فأدركه المقيبل بأرض منف، فدخلها نصف النهار وليس في طرقها أحد، فذلك «عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا»^(٤). وقال ابن إسحاق: كان لموسى شيعية من بني إسرائيل يسمعون منه ويقتدون به، فلما عرف ما هو عليه من الحق فارق فرعون وقومه وخالفهم في دينهم حتى ذكر ذلك منه، وأخافوه وخافهم، فكان لا يدخل قرية إلا خائفاً مستخفياً^(٥).

وقال ابن زيد: إن موسى ضرب رأس فرعون ومنتف لحيته، فأراد فرعون قتله، فقالت امرأته: هو صغير، جئ بجمرة فأخذها^(٦) فطرحها في فيه، فيها عقد لسانه، فقال فرعون: لا أقتله، ولكن أخرجوه عن الدار والبلد، فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر، فدخل «عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ»^(٧).

قوله «يَقْتَتَلَانِ» صفة لـ «رُجُلَيْنِ»^(٨)، وقال ابن عطية: حالٌ منهما^(٩)، وسيبويه - وإن كان جوّزها من النكرة مطلقاً^(١٠) - إلا أنَّ الأكثر يشترطون فيها ما يُسَوِّغُ الابتداء بها^(١١).

(١) في النسختين: أبو طالب الفارسي، والتصويب من المختصر (١١٢)، البحر المحيط ١٠٩/٧. ولم أقف له على ترجمة.

(٢) قال أبو حيان: (ووجهه أنه أجرى المصدر مجرى الفعل كأنه قال: على حين غفل أهلها فبناه كما بناء حين أضيف إلى الجملة المصدرة بفعل ماض كقوله:

على حين عاتبت المشيب على الصبا

وهذا توجیه شذوذ البحر المحيط ١٠٩/٧.

(٣) صدر بيت من بحر الطويل، قاله النابغة الذبياني، وعجزه:

وقلت المأ أصح والشَّيب وازع

وقد تقدم.

(٤) انظر البغوي ٣٢٥/٦ - ٣٦٦، الفخر الرازي ٢٤/٢٣٣.

(٥) انظر البغوي ٣٢٦/٦. (٦) فأخذها: مكرر في ب.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٣. (٨) انظر البحر المحيط ١٠٩/٧.

(٩) قال ابن عطية: (وقوله تعالى: «يَقْتَتَلَانِ» في موضع الحال، أي: مقتتلين) تفسير ابن عطية ١١/٢٧٤.

(١٠) فإنه قال: (ومثل ذلك مرت بـرجل قائماً، وإذا جعلت المرور به في حال قيام) الكتاب ١١٢/٢.

(١١) انظر الهمع ١/٢٤٠، الأشموني ٢/١٧٤ - ١٧٦.

وقرأ نعيم بن ميسرة^(١) «يقتلان» بالإدغام^(٢)، نقل فتحة التاء الأولى إلى القاف وأدغم. قوله «هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ» مبتدأ وخبر في موضع الصفة لـ «رَجُلَيْنِ»^(٣)، أو الحال من الضمير في «يَقْتُلَانِ» وهو بعيد لعدم انتقالها.

وقوله: «هَذَا»^(٤) و «هَذَا» على حكاية الحال الماضية، فكأنهما حاضرا^(٥)، أي: إذا نظر الناظر إليهما، قال: هذا من شيعته وهذا من عدوه^(٦). وقال المبرد: العرب تشير بهذا إلى الغائب، وأنشد لجرير:

٣٩٧٨ - هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَأَقْكُم إِلَيَّ قَطِيبًا^(٧)

(فصل)^(٨)

«هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ» من بني إسرائيل، «وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ» من القبط. قال مقاتل: كانا كافرين إلا أن أحدهما من القبط والآخر من بني إسرائيل، لقول موسى عليه السلام^(٩) له: «إِنَّكَ لَكَوْنٌ مُبِينٌ»^(١٠). [القصص: ١٨]. والمشهور أن الإسرائيلي كان مسلماً، قيل: إنه السامري، والقبطي مطباخ فرعون^(١١). قال سعيد^(١٢) بن جبير عن ابن عباس: لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع. وكان بنو^(١٣) إسرائيل قد عزوا بمكان موسى، لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم^(١٤).

قوله «فَاسْتَعَاثَهُ» هذه قراءة العامة من الغوث أي طلب غوثه ونصره، وقرأ سيبويه وابن مقسم والزعفراني بالعين المهملة والنون من الإعانة^(١٥). قال ابن عطية: هي^(١٦) تصحيف^(١٧) وقال ابن جبارة صاحب الكامل: الاختيار قراءة ابن مقسم، لأن الإعانة أولى

(١) هو نعيم بن ميسرة أبو عمرو الكوفي النحوي، روى عن أبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود، وروى عنه علي بن حمزة الكسائي. مات سنة ١٧٤ هـ. طبقات القراء ٢/ ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) المختصر (١١٢).

(٣) انظر التبيان ٢/ ١٠١٨.

(٤) هذا: سقط من ب.

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٣٦.

(٦) لم أجد ما قاله المبرد في المقتضب والكامل، وهو في البحر المحيط ٧/ ١٠٩.

والبيت من بحر الكامل، وهو في ديوانه ١/ ٣٨٨، والكامل ٣/ ١٠٧٤، ١٠٧٥، أمالي ابن الشجري ٢/ ٢٧٦، البحر المحيط ٧/ ١٠٩، القطين: الخدم والمماليك والشاهد فيه استعمال (هذا) في الإشارة إلى غائب غير حاضر.

(٨) ما بين القوسين بياض في الأصل.

(٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٣.

(١١) في ب: عبيد. وهو تحريف.

(١٢) في ب: بني.

(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٣.

(١٤) انظر المختصر (١١٢)، البحر المحيط ٧/ ١٠٩.

(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٣٣.

(١٦) في الأصل: هو.

(١٧) تفسير ابن عطية ١١/ ١٠٩.

في هذا الباب^(١) قال شهاب الدين: نسبة التصحيف إلى هؤلاء غير محمودة (كما أن تغالي)^(٢) الهذلي في اختيار الشاذة غير محمود^(٣).

قوله: «فَوَكَّرَهُ» أي: دفعه بجميع كَفِّهِ^(٤)، والفرق بين الْوَكَّرِ وَاللَّكَّرِ: أَنَّ الأول بجميع الكف والثاني: بأطراف الأصابع، وقيل بالعكس، وقيل: اللكز في الصدر، والوكز في الظهر^(٥)، والتَّكَّرُ كَاللَّكَّرِ قال:

٣٩٧٩ - يَا أَيُّهَا الْجَاهِلُ ذُو التَّنْزِي لَا تُؤْعِدْنِي حَبَّةً بِالنَّكْرِ^(٦)
وقرأ ابن مسعود «فَلَكَّرَهُ»^(٧) و «فَنَكَّرَهُ»^(٨) باللام والنون.

قوله: «فَقَضَى» أي: موسى، أو الله تعالى، أو ضمير الفعل أي^(٩): الْوَكَّرِ^(١٠) «فَقَضَى عَلَيْهِ» أي: أماته، وقتله، وفرغ من أمره، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه، فندم موسى ولم يكن قصده القتل، فدفعه في الرمل^(١١)، و «قال: هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ» فقولوه: «هَذَا» إشارة إلى القتل الصادر منه، و «مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» أي: من وسوسته وتسويله.

فصل

احتج بهذه الآية من طعن في عصمة الأنبياء من وجوه:

أحدها: أن ذلك القبطي إما أن يكون مستحق القتل أو لم يكن كذلك، فإن استحق القتل فلم قال: «هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»؟ ولم قال: «ظَلَمْتُ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لِي، فَعَفَّرَ لَهُ»؟ وقال في سورة أخرى «فَعَلْنَاهَا إِذَا وَاتْنَا مِنَ الصَّالِينَ» [الشعراء: ٢٠]. وإن لم يستحق القتل كان قتله معصيةً وذنباً.

وثانيها: أن قوله: «هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ» يدل على أنه كان كافراً حربياً، فكان دمه مباحاً،

(١) انظر البحر المحيط ١٠٩/٧. (٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) اللبور المصنوع ٢١٣/٥. (٤) انظر اللسان (وكز).

(٥) انظر الكشف ١٦٠/٣، القرطبي ٢٦٠/١٣، البحر المحيط ١٠٣/٧.

(٦) رجز قاله رؤبة، وهو في ديوانه (٦٣)، الكتاب ١٩٢/٢، المقتضب ٢١٨/٤، أمالي ابن الشجري ٢/١٢١، ابن يعيش ١٣٨/٦، اللسان (نكر)، المقاصد النحوية ٢١٩/٤.

التنزي: خفة الجهل، وأصل التنزي: التوثب. النكر: الضرب والدفع، وهو موضع الشاهد هنا. واستشهد به النحاة على أن (ذو التنزي) نعت الجاهل مرفوع مع أنه مضاف، لأن الجاهل غير منادى فليس في موضع نصب حتى تنصب صفته على المحل.

(٧) انظر المختصر (١١٢)، الكشف ١٦٠/٣، تفسير ابن عطية ٢٧٥/١١، البحر المحيط ١٠٩/٧.

(٨) انظر تفسير ابن عطية ٢٧٥/١١، البحر المحيط ١٠٩/٧.

(٩) في ب: إلى. وهو تحريف. (١٠) انظر البحر المحيط ١٠٩/٧.

(١١) انظر البغوي ٣٢٧/٦.

فَلِمَ استغفر عنه؟ والاستغفار من الفعل المباح غير جائز لأنه يوهم في المباح كونه حراماً. وثالثها: أَنَّ الوكز لا يحصل عنه القتل ظاهراً. فكان ذلك قتل خطأ، فَلِمَ استغفر منه؟

والجواب عن الأول: لم لا يجوز أن يقال إنه لكفره مباح الدم؟ وأما قوله «هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» ففيه وجوه:

الأول: أَنَّ الله تعالى وإن أباح قتل^(١) الكفار، إلا أنه كان الأولى تأخير قتلهم^(٢) إلى زمان آخر، فلما قتل ترك ذلك المندوب؛ وهو قوله: «هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ».

الثاني: أَنَّ قوله: «هَذَا» إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه.

(الثالث: أَنَّ قوله: «هَذَا» إشارة إلى المقتول)^(٣). (يعني أنه من حزب الشيطان)^(٤) وجنده، يقال: فلان من عمل الشيطان أي من أحزابه^(٥). وأما قوله «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي» (فعلى نهج^(٦) قول آدم عليه السلام)^(٧) «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا» [الأعراف: ٢٣] والمراد أحد وجهين: إما على سبيل الانقطاع إلى الله، والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وإن لم يكن هناك ذنب قط أو من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب.

وأما قوله «فَاغْفِرْ لِي» أي: فاغفر لي ترك هذا المندوب. وفيه وجه آخر، وهو أن يكون المراد «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» حيث قتلت هذا الملعون، فإن فرعون لو عرف ذلك لقتلني به، «فَاغْفِرْ لِي»، فاستره علي ولا توصل خبره إلى فرعون، «فَعَفَّرَ لَهُ» أي: ستره عن الوصول إلى فرعون، ويدل على هذا قوله «رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ» فلو^(٨) كانت إعانة المؤمن هنا سبباً للمعصية لما قال ذلك، وأما قوله^(٩) «فَعَلْنَاهَا إِذَا وَتَا مِنَّا مِنَ الْخَالَيْنِ» [الشعراء: ٢٠] فلم يقل إني صرت بذلك ضالاً، بل اعترف أنه كان ضالاً أي: متحيراً لا يدري ما يجب عليه.

وأما قوله: إن كان كافراً حربياً فَلِمَ استغفر من قتله؟ قلنا: كون الكافر مباح الدم أمر يختلف باختلاف الشرائع، فلعل قتلهم كان حراماً في ذلك الوقت، أو^(١٠) كان مباحاً لكن الأولى تركه على ما قررناه.

وأما قوله: كان قتل خطأ، قلنا: لا نسلم، فلعل الرجل إن كان ضعيفاً، وموسى عليه السلام^(١١) كان في نهاية الشدة فوكزه^(١٢) كان قاتلاً قطعاً، ثم إن سلمنا

(١) في ب: عن قتل. (٧) ما بين القوسين في ب: فقيل قول موسى - ﷺ -.

(٢) في ب: قتله. (٨) في ب: فلما.

(٣) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي. (٩) فعلناها: سقط من ب.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب. (١٠) في ب: و.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٣٤/٢٤. (١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٦) نهج: تكملة من الفخر الرازي. (١٢) في ب: فوكزه موسى.

ذلك^(١) ولكنه - عليه السلام^(٢) - كان يمكنه أن يخلص الإسرائيلي من يده بدون الوركز الذي كان الأولى تركه، فلهذا أقدم على الاستغفار. على أننا وإن سلمنا دلالة هذه الآية على صدور المعصية، لكننا بيئنا أنه لا دلالة البتة فيه، لأنه لم يكن رسولاً في ذلك الوقت فيكون ذلك قبل النبوة لا نزاع فيه^(٣).

فصل

قالت المعتزلة: الآية تدل على بطلان قول من نسب المعاصي إلى الله، لأنه - عليه السلام^(٤) - قال: «هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»، فلو كانت بخلق الله لكانت من الله لا من الشيطان، وهو كقول يوسف - عليه السلام^(٥) - «مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي» [يوسف: ١٠٠]، وقول فتى موسى «وَمَا أَسْئَلُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ» [الكهف: ٦٣]، وقوله تعالى: «لَا يَفْنَىٰ عَنْكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ»^(٦) [الأعراف: ٢٧]، وتقدم الكلام على ذلك.

قوله: «بِمَا أَنْعَمْتَ» يجوز في الباء أن تكون (قسماً) و^(٧) الجواب مقدراً: لأتوبن، وتفسيره: فَلَئِنْ أَكُونُ^(٨)، قال الففال: كأنه أقسم بما أنعم الله عليه أن لا يظهر مجرماً، أي: بنعمتك علي^(٩)، وأن تكون متعلقة بمحذوف ومعناها السببية، أي: اعصمني بسبب ما أنعمت به^(١٠) علي^(١١)، ويترتب عليه قوله: «فَلَئِنْ أَكُونُ ظَهيراً»، و «مَا» مصدرية أو بمعنى الذي، والعائد محذوف، وقوله: «فَلَئِنْ» نفْيٌ على حقيقته^(١٢)، وهذا يدل على أنه قال: لِمَ^(١٣) أنعمت عليّ بهذا الإنعام فإنني لا أكون معاوناً لأحد من المجرمين بل أكون معاوناً للمسلمين، وهذا يدل على أن ما أقدم عليه من إعانة الإسرائيلي على القبطي كان طاعة لا معصية، إذ لو كان معصية لنزل الكلام منزلة قوله: «إِنَّكَ لَمَّا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِقَبُولِ^(١٤) تَوْبَتِي مِنْ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ^(١٥)».

وقال الكسائي^(١٥) والفراء^(١٦): إنه خير ومعناه الدعاء، وإن «لَنْ» واقعة موقع «لا»،

(١) ذلك: تكملة من الفخر الرازي. (٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٣٤/٢٤ - ٢٣٥. (٤) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٣٥/٢٤. (٦) ما بين القوسين في الأصل: فيها.

(٧) انظر الكشف ١٦٠/٣، التبيان ١٠١٨/٢، البحر المحيط ١٠٩/٧.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٣٥/٢٤. (٩) به: سقط من ب.

(١٠) انظر الكشف ١٦٠/٣، التبيان ١٠١٨/٢، البحر المحيط ١٠٩/٧ - ١١٠.

(١١) قال الأخفش: (وقال: «فلن أكون ظهيراً» كما تقول: لن يكون فلان في الدار مقيماً، أي: لا يكون مقيماً) معاني القرآن ٦٥٢/٢.

(١٢) في ب: لما. (١٣) بقبول: تكملة من الفخر الرازي.

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٣٥/٢٤. (١٥) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢٣٢/٣.

(١٦) معاني القرآن ٣٠٤/٢.

كانه قال: ولا تجعلني ظهيراً، قال الفراء: في حرف عبد الله «وَلَا تَجْعَلْنِي ظَهِيرًا»^(١) قال الشاعر:

٣٩٨٠ - لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكُمْ ثُمَّ لَا زَلَّ سَتَ لَهُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجَبَالِ^(٢)

قال شهاب الدين: وليس في الآية والبيت دلالة على وقوع «لن» موقع «لا»، لظهور النفي فيهما من غير تقدير دعاء^(٣).

فصل

قال ابن عباس: «يَمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ» بالمغفرة، «فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا» عوناً «لِلْمُجْرِمِينَ»، أي: للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً، وهو قول مقاتل، وقال قتادة: لن أعين بعدها على خطيئة.

قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني^(٤)، (وهذا ضعيف، لأنه في اليوم الثاني ترك الإعانة، وإنما خاف منه ذلك العدو، فقال: «إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا» [القصص: ١٩] إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ)^(٥) (٦).

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُوا بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١٨) ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أَرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (١٩) ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى ابْنَ الْاِمْلَأَ يَأْتَمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنْ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢٠) ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢١)

قوله: «فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ» التي قتل فيها القبطي «خَائِفًا» الظاهر أنه خبر «أصبح»، و«في المدينة» مفعول به، ويجوز أن يكون حالا، والخبر «في المدينة»^(٧)، ويضعف تمام «أصبح» أي: دخل في الصباح.

(١) المرجع السابق.

(٢) البيت من بحر الخفيف قاله الأعشى وهو في ديوانه ١٦٩، البحر المحيط ١١٠/٧، المغني ٢٨٤/١، شرح التصريح ٢٣٠/٢، الهمع ١١١/١، ٤١٢، شرح شواهد المغني ٦٨٤/٢، الأشموني ٢٧٨/٣، الدرر ٨٠/١. والشاهد فيه أن (لن) أتت للدعاء كما أن (لا) كذلك والدليل عطف الدعاء عليه، وهو قوله: (ثم لا زلت...) وفاقاً لجماعة منهم ابن السراج وابن عصفور، والأكثر أن (لن) تفيد النفي فقط، فالكلام معها على الإخبار.

(٤) انظر البغوي ٢٢٧/٦.

(٣) الدر المصون ٣١٤/٥.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٣٥/٢٤.

(٧) انظر البيان ٢٣٠/٢.

قوله: «يَتَرَقَّبُ» يجوز أن يكون خبراً ثانياً، وأن يكون حالاً ثانية، وأن يكون بدلاً من الحال (الأولى)^(١)، أو الخبر الأول، أو حالاً من الضمير في «خَائِفاً»^(٢) فتكون متداخلة، ومفعول «يَتَرَقَّبُ» محذوف، أي: يترقب المكروه، أو الفرج، أو الخبر: هل وصل لفرعون أم لا؟^(٣) قوله: «فَإِذَا الَّذِي» «إِذَا» فجائية، و «الَّذِي» مبتدأ وخبره إمّا «إِذَا» ف «يَسْتَضْرِحُهُ» حال، وإمّا «يَسْتَضْرِحُهُ» ف «إِذَا» فضلة على بابها^(٤)، و «بِالْأَمْسِ» معرب، لأنه متى دخلت عليه «ال» أو^(٥) أضيف أعرب، ومتى عرّب منها فحاله معروف، الحجاز^(٦) يبنونه، والتميمون يمنعونَه الصرف^(٧)، كقوله:

٣٩٨١ - لَقَدْ^(٨) رَأَيْتُ عَجَباً مِذْ أَمْسَا^(٩)

على أنه قد بُنِيَ مع «ال» ندوراً، كقوله:

٣٩٨٢ - وَإِنِّي حُبِسْتُ الْيَوْمَ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ إِلَى الشَّمْسِ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ تَغْرُبُ^(١٠)
يروى بكسر السين.

قوله: «قَالَ لَهُ مُوسَى» الضمير قبل للإسرائيلي، لأنه كان سبباً في الفتنة الأولى، وقيل للقبطي^(١١)، وذلك أنَّ موسى لما أصبح خائفاً من قتل القبطي «يَتَرَقَّبُ» ينتظر سوءاً، والترقب انتظار المكروه. قال الكلبي: ينتظر متى يؤخذ به، «فَإِذَا الَّذِي اسْتَضَرَّه بِالْأَمْسِ يَسْتَضْرِحُهُ» يستغيثه ويصيح به من بعد^(١٢)، قال ابن عباس: أتى فرعون فقيل له: إن بني

(١) انظر التبيان ١٠١٨/٢. (٢) ما بين القوسين في ب: الأول.

(٣) انظر التبيان ١٠١٨/٢. (٤) انظر البحر المحيط ١٠١/٧.

(٥) انظر البيان ٢٣٠/٢ - ٢٣١، التبيان ١٠١٨/٢.

(٦) في ب: و. (٧) في ب: أهل الحجاز.

(٨) انظر الكتاب ٣٨٣/٣ - ٢٨٥، ابن يعيش ١٠٦/٤ - ١٠٧، شرح النصريح ٢٢٥/٢ - ٢٢٦، الهمع ٢٠٨/١ - ٢٠٩.

(٩) لقد: سقط من الأصل.

(١٠) رجز ينسب للعجاج وهو في الكتاب ٢٨٥/٣، أمالي ابن الشجري ٢٦٠/٢، ابن يعيش ١٠٦/٤، شذور الذهب ٩٩، المقاصد النحوية ٣٥٧/٤، شرح النصريح ٢٢٦/٢، الهمع ٢٠٩/١ الخزائن ٧/١٦٧، الدرر ١/١٧٥. والشاهد فيه أعراب (أمس) مع منعها من الصرف للعلمية والعدل عن (الأمس) عند بني تميم.

(١١) البيت من بحر الطويل، قاله نصيب بن رباح، شاعر إسلامي، وهو في الخصائص ٥٧/٣، المحتسب ١٩٠/٢، الإنصاف ٣٢٠/١، اللسان (أمس)، شذور الذهب ١٠١، الهمع ٢٠٩/١ الدرر ١/١٧٥. والشاهد فيه قوله: (الأمس) بكسر السين، فهو مبني، والأصل فيه الإعراب لأنه اقترن بـ (أل) فكان الواجب فيه النصب إعراباً.

وروي بفتح السين على الأصل، لأنه معطوف على (اليوم) وهو منصوب، والمعطوف على المنصوب منصوب.

(١٢) انظر البحر المحيط ١١٠/٧. (١٣) انظر البغوي ٣٢٧/٦.

إسرائيل قتلوا مِثْلًا رجلاً فخذ لنا بحقنا، فقال ابغوا^(١) لي قاتله ومن يشهد عليه (فلا تنسبوني أن أفضي)^(٢) بغير بينة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مرَّ موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً، فاستغاثه على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، فقال موسى للإسرائيلي: «إِنَّكَ لَمَغْوِي مُبِينٌ» (أي: ظاهر الغواية)^{(٣)(٤)}. قال أهل اللغة: «لَعَوِيٌّ» يجوز أن يكون فَعِيلاً بمعنى مفعول، أي: إِنَّكَ لَمَغْوِي، فَإِنِّي وَقَعْتُ بِالْأَمْسِ فيما وقعت فيه بسببك، ويجوز أن يكون بمعنى الغاوي^(٥): قاتلت رجلاً بالأمس فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر، وتستغيثني عليه، وقيل: إنما قال موسى للفرعوني: «إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ» بظلمك، والأكثر أن يكون على الأول^(٦). قوله: «فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ» الظاهر أَنَّ الضميرين^(٧) لموسى، وقيل للإسرائيلي^(٨)، والعدو: هو القبطي، والضمير في «قَالَ يَا مُوسَى» للإسرائيلي، كأنه توهم من موسى مخاشنة، فَمِنْ ثَمَّ قَالَ ذَلِكَ، وبهذا فشا خبره وكان مشكوكاً في قاتله^(٩). و«أَنْ» تطرد زيادتها في موضعين:

أحدهما: بعد لَمَّا كهذه.

والثاني: قبل «لَوْ» مسبوقه بقسم كقوله:

٣٩٨٣ - أَمَّا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ^(١٠) كُنْتُ خُوراً^(١١)

٣٩٨٣ م - فَأَقْسِمُ أَنْ لَوْ التَّقِينَا وَأَنْتُمْ لَكَانَ لَكُمْ يَوْمَ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمٌ^(١٢)
والعامة على «يَبْطِشُ» بالكسر، وضمها أبو جعفر^(١٣)، وقيل: إن القائل «يَا مُوسَى» هو القبطي، وكان قد عرف القصة من^(١٤) الإسرائيلي. قال ابن الخطيب: وهذا هو الظاهر، لقوله: «فَلَمَّا^(١٥) أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى»، فهذا

(١) يريد: اطلبوا إلى.

(٢) انظر البغوي ٦/٣٢٧.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٦.

(٤) انظر البغوي ٦/٣٢٧ - ٣٢٨.

(٥) في ب: الضمير. وهو تحريف.

(٦) انظر القرطبي ١٣/٢٦٥.

(٧) في ب: لو أن. وهو تحريف.

(٨) صدر بيت من بحر الوافر لم أهتد إلى قائله، وعجزه:

وما بالحر أنت ولا العتيق

وهو في الإنصاف ١/٢٠٠، المقرب ٢٢٥، المغني ١/٣٣، شرح شواذه ١/١١١، شرح التصريح ٢/٢٣٣، الخزائن ٤/١٤١، ١٤٣، الحر: يطلق على ضد الرقيق وعلى الكريم، وكذلك العتيق.

والشاهد فيه زيادة (أن) بعد القسم، وبعدها (لو).

(١٢) البيت من بحر الطويل، قاله المسيب بن علس. والشاهد فيه زيادة (أن) بعد القسم وبعدها (لو) وقد تقدم.

(١٣) انظر البحر المحيط ٧/١١٠، الإتحاف ٣٤٢.

(١٤) من: سقط من ب.

(١٥) فلما: سقط من ب.

القول منه لا من غيره، وأيضاً قوله: «إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ» لا يليق إلا بقول الكافر^(١)، والجبار: هو الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم، ولا ينظر في العواقب، وقيل: المتعظم^(٢)، «وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُضْلِحِينَ»، قال المفسرون: فلما سمع القبطي قول الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني، فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك، وأمر^(٣) فرعون بقتل موسى. قال ابن عباس: أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى فأخذوا الطريق الأعظم^(٤). قوله: «وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى»، أي: من آخر المدينة اسمه: حزقيل مؤمن آل فرعون، وقيل اسمه^(٥) شمعون، وقيل: (شمعان)^{(٦)(٧)}: «يَسْعَى» قال الزمخشري: «يَسْعَى» يجوز ارتفاعه وصفاً لـ «رَجُلٍ» وانتصابه حالاً عنه، لأنه قد تخصص بالوصف بقوله: «مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ»، فإن جعلت «مِنْ أَقْصَى» متعلقاً بـ «جَاءَ» فـ «يَسْعَى» صفة ليس إلا^(٨). وهذا بناء منه على مذهب الجمهور، وقد تقدّم أن سيويه يجيز ذلك من غير شرط^(٩).

وفي آية يس^(١٠) قَدَمَ «مِنْ أَقْصَى» على «رَجُلٍ»، لأنه لم يكن من أقصاها وما جاء منها^(١١) وهنا وصفه بأنه من أقصاها، وهما رجلان مختلفان وقصيتان متباينتان.

(قوله)^(١٢) «يَأْتِمُرُونَ» أي: يتآمرون بمعنى يتشاورون، كقول النمر بن تولب:

٣٩٨٤ - أَرَى النَّاسَ قَدْ أَخَذْتُوا شَبَهَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ مُؤْتَمِرٌ^(١٣)

وعن ابن قتبية: يأمر بعضهم بعضاً^(١٤). أخذه من قوله تعالى ﴿وَأْتِمُرُوا بَيْنَكُمْ بِعُرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦]. (قوله)^(١٥) «فَأَخْرُجْ» أي: من المدينة، «إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» في الأمر بالخروج، فقوله «لَكَ»، يجوز أن يتعلق بما يدلُّ «الناصحين» عليه، أي: ناصح لك من الناصحين، أو بنفس «الناصحين» للاتساع في الظرف، أو على جهة البيان أي: أعني

(١) الفخر الرازي ٢٤/٢٣٧. (٢) المرجع السابق.

(٣) في ب: فأمر. (٤) انظر البغوي ٦/٣٢٨.

(٥) اسمه: سقط من ب. (٦) انظر البغوي ٦/٣٢٨.

(٧) ما بين القوسين في ب: يسمعون. وهو تحريف.

(٨) الكشاف ٣/١٦١، وفيه: وإذا جعل صلة لـ «جاء» لم يجز في (يسعى) إلا الوصف.

(٩) تقدم قريباً.

(١٠) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]. وفي ب: ليس. وهو تحريف.

(١١) في النسختين: منه. (١٢) ما بين القوسين بياض في الأصل.

(١٣) البيت من بحر المتقارب قاله النمر بن تولب، شاعر مخضرم، وهو في مجاز القرآن ٢/١٠٠، تفسير ابن عطية ١١/٢٨٠، القرطبي ١٣/٢٦٦، البحر المحيط ٧/١١١.

(١٤) تفسير غريب القرآن (٣٣٠ - ٣٣١). (١٥) ما بين القوسين بياض في الأصل.

(١٦) في الأصل: لمن. وهو تحريف.

لك^(١). «فَخَرَجَ مِنْهَا» موسى «خَائِفاً يَتَرَقَّبُ» هِدَايَتُهُ وَعَوْنُ اللَّهِ إِيَّاهُ، «قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أي؛ الكافرين وهذا يدل على أن قتله لذلك القبطي لم يكن ذنباً وإلا لكان هو الظالم لهم، وما كانوا ظالمين له بسبب طلبهم له ليقتلوه قصاصاً^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَى لَا تَسْقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ٢٣ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ آبَى يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٥ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبَاطَيْتُ اسْتَشْجَرْتُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ اسْتَشْجَرْتُ الْقَوَى الْأَمِينُ ٢٦ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ حَلِيكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ٢٨﴾

قوله: «وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ» أي: قصد نحوها ماضياً إليها، يقال: داره تلقاء دار فلان، إذا كانت محاذيتها وأصله من اللقاء. قال الزجاج: أي: سلك الطريق الذي تلقاء مدين فيها^(٣). قال ابن عباس: خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه إلى الله ومشى من غير معرفة فأسلمه الله إلى مدين^(٤)، وقيل: وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة؛ لأنهم من ولد مدين بن إبراهيم وكان من بني إسرائيل، سميت البلدة باسمه فخرج ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على الله^(٥)، وقيل: جاءه^(٦) جبريل عليه السلام، وعلمه الطريق^(٧).

قال ابن إسحاق: خرج من مصر إلى مدين خائفاً^(٨) بلا زاد ولا ظهر وبينهما مسيرة ثمانية أيام ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر^(٩). «قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ»، أي: قصد الطريق إلى مدين.

قوله: «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ» وهو الماء الذي يستقون منه وهو بئر، ووروده: مجيئه، والوصول إليه، «وَجَدَ عَلَيْهِ» أي: على شفيره («أُمَّةً» جماعة كثيفة العدد «مِنْ

(١) انظر البحر المحيط ١١١/٧.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٣٧/٢٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٣٨/٤.

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٣٨/٢٤.

(٥) المرجع السابق.

(٦) في ب: جاءهم.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٣٨/٢٤.

(٨) في الأصل: خافياً.

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٣٨/٢٤.

النَّاسِ» مختلفين «يَسْقُونَ» منها مواشيهم^(١)، «وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ» أي: سوى الجماعة، وقيل: في مكان أسفل من مكانهم^(٢).

قوله: «أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ» ف «تذودان» صفة لـ «أَمْرَاتَيْنِ» لا مفعول ثان، لأنَّ «وَجَدَ» بمعنى: لقي، والدُّودُ: الطرد^(٣) والدفع^(٤)، قال:

٣٩٨٥ - فَقَامَ يَذُودُ النَّاسَ عَنْهَا بِسَيْفِهِ^(٥)

وقيل: حبس^(٦)، ومفعوله محذوف، أي: يَذُودَانِ النَّاسَ عَنْ غَنَمِهِمَا^(٧)، أو عن مزاحمة الناس^(٨)، وقال^(٩) الرمخشري: لم ترك المفعول غير مذكور في «يَسْقُونَ» و «تَذُودَانِ» و «لَا تَسْقِي»، قُلْتُ: لأنَّ الغرض هو الفعل لا المفعول، وكذلك قَوْلُهُمَا: «لَا تَسْقِي حَتَّى يُضِيرَ الرِّعَاءُ» المقصود منه السقي لا المَسْقِي^(١٠).

(فصل)

واختلفوا في السبب المقتضي لذلك الحبس، فقال الزجاج: لثلاث تخطط أغنامهما بأغنامهم^(١١)، وقيل: لثلاث يختلطن بالرجال، وقيل: كانتا تذودان عن وجوههما نظر الرجال لتسترهما^(١٢)، وقيل: تذودان الناس عن غنمهما^(١٣)، وقال الفراء: يحبسانهما لثلاث تتفرق وتتسرب^(١٤)، وقيل: تذودان أي: معهما قطع من الغنم، والقطيع من الغنم يسمى: ذوداً، وكذلك قطع البقر وقطيع الإبل. قال عليه السلام: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسٍ ذُودٌ صَدَقَّةٌ»^(١٥) وقال الشاعر:

٣٩٨٦ - ثَلَاثَةٌ أَنْفُسٌ، وَثَلَاثُ ذُودٍ لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِبَالِي^(١٦) (١٧)

(١) ما بين القوسين سقط من ب. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٩.

(٣) في ب: الطرف. وهو تحريف. (٤) انظر الكشاف ٣/١٦١.

(٥) صدر بيت من بحر الطويل، لم أهد إلى قائله، وعجزه:

وقال ألا لا من سبيل إلى هند

وقد تقدم.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٥. (٧) وهو قول قتادة. انظر القرطبي ١٣/٢٦٨.

(٨) وهو قول ابن عباس. المرجع السابق. (٩) في الأصل: قال.

(١٠) الكشاف ٣/١٦٢.

(١١) لم أجد ما قاله الزجاج في معاني القرآن وإعراجه وهو في الفخر الرازي غير منسوب.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٣٩. (١٣) وهو قول قتادة. القرطبي ١٣/٢٦٨.

(١٤) معاني القرآن ٢/٣٠٥.

(١٥) أخرجه البخاري (زكاة) ١/٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٩، ومسلم (زكاة) ٢/٦٧٤ - ٦٧٥.

(١٦) البيت من بحر الوافر، قاله الحطيثة، وتقدم تخريجه.

(١٧) ما بين القوسين سقط من ب.

قوله: «مَا خَطْبُكُمْ؟» تقدم في طه^(١)، وقال الزمخشري: هنا حقيقته: مَا مَخْطُوبُكُمْ؟ أي: ما مطلوبُكُمْ من الذايد؟ فسمي المخطوب خطباً كما سمي المنشئون شأنًا في قولك: ما شأنك؟ يقال: شَأْنُ شَأْنَةٍ، أي: قَصْدَتْ قَصْدَهُ^(٢). وقال ابن عطية: السؤال بالخطب^(٣) إنما هو في مُصَابٍ أو مُضْطَهَدٍ أو مَنْ يُشْفَقُ عَلَيْهِ أو يَأْتِي بِمَنْكَرٍ مِنَ الْأَمْرِ^(٤). وقرأ شَمِرٌ^(٥) «خَطْبُكُمْ» بالكسر أي: ما زوجكم؟ أي: لِمَ تَسْقِيَانِ وَلَمْ يَسْقِ زَوْجُكُمْ؟ وهي شاذة جداً^(٦).

قوله: «حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ» قرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر بفتح الياء وضم الدال من صَدَرَ يُصْدِرُ وهو قاصر، أي: حتى يرجع الرعاء: أي^(٧): يرجعون بمواشيهم، والباقون^(٨) بضم الياء وكسر الدال مضارع أُصْدِرَ^(٩) مُعْدَى بالهمزة، والمفعول محذوف، أي: يُصْدِرُونَ مواشيهم^(١٠)، والعامية على كسر الراء^(١١) من «الرِّعَاءُ»، وهو جمع تكسير غير مقيس لأنَّ فاعلاً الوصف المعتل اللام كقاضي قياسه (فَعَلَةٌ) نحو قُضَاةٍ وَرُمَاةٍ^(١٢). وقال الزمخشري^(١٣): وأما الرِّعَاءُ بالكسر فقياس كَصِيَامٍ وَقِيَامٍ^(١٤). وليس كما ذكر (لَمَّا ذَكَرْنَاهُ)^(١٥). وقرأ أبو عمرو - في رواية^(١٦) - بفتح الراء. قال أبو الفضل: هو مصدر

(١) يريد قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ [طه: ٩٥]. ولم يذكر هناك معنى الخطب وإنما ذكره عند قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ أَوْدَعْتَ يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٥١] وذكر هناك: والخطب الأمر والشأن الذي فيه خطر، وهو في الأصل مصدر خطب يخطب وإنما يخطب في الأمور العظام. انظر اللياب ٤٢/٥.

(٢) الكشف ١٦١/٣. (٣) في الأصل: بالخطاب.

(٤) تفسير ابن عطية ٢٨٥/١١.

(٥) هو شمر بن حمدويه الهروي، أبو عمرو اللغوي، الأديب، أخذ عن الفراء والأصمعي وأبي حاتم وغيرهم، ألف كتاباً كبيراً في اللغة لم ينسخ في حياته فقد بعد موته إلا يسيراً. بغية الوعاة ٤/٢ - ٥.

(٦) انظر البحر المحيط ١١٣/٧. (٧) في ب: أو.

(٨) في ب: والثاني. وهو تحريف.

(٩) السبعة (٤٩٢)، الكشف ١٧٢/٢ - ١٧٣، النشر ٣٤١/٢، الإتحاف (٣٤٢).

(١٠) انظر البيان ٢٣١/٢. (١١) الراء: سقط من ب.

(١٢) انظر الأشموني ١٣٢/٤. (١٣) الزمخشري: سقط من ب.

(١٤) أي: جمع صائم وقائم. الكشف ١٦١/٣. ورد أبو حيان على الزمخشري في هذه المسألة، قال: (وليس بقياس لأنه جمع راع، وقياس (فاعل) الصفة التي للعاقل أن تكسر على (فعل) كقاضي وقضاة، وما سوى جمعه هذا فليس بقياس) البحر المحيط ١١٣/٧، وقد جاء في اللسان ما يوافق قول الزمخشري، قال ابن منظور: (وراعي الماشية حافظها. صفة غالبية غلبة الاسم والجمع رعاة، مثل قاضٍ وقضاة، ورعاء مثل جائع وجياع، ورعيان مثل شاب وشبان كسروهم تكسير الأسماء كحاجر وحجران، لأنها صفة غالبية، وليس في الكلام اسم على فاعل يعتور عليه فعلة وفعل إلا هذا، وقولهم: آس وأساة وإساءة) اللسان (رعى).

(١٥) ما بين القوسين في ب: كما ذكرنا.

(١٦) في رواية عياش. حكاه أبو حيان عن أبي الفضل الرازي. انظر البحر المحيط ١١٣/٧.

أقيم مقام الصفة فلذلك استوى فيه الواحد والجمع أو على حذف مضاف^(١)، وقرئ بضمها^(٢)، وهو اسم جمع كرخال^(٣) وثناء^(٤). وقرأ ابن مصرف «لا تُسقي» بضم النون^(٥) من أسقى، وتقدم الفرق بين سقى وأسقى في النحل^(٦)، والمعنى لا نسقي حتى يرجع الرعاء عن الماء، والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار^(٧)، أي: نحن امرأتان لا نطبق أن نزاحم الرجال فإذا صدروا سقيناً مواشيناً ما أفضلت مواشيتهم في الحوض، و«أبونا شيخ كبير» لا يقدر أن يسقي مواشيه ولذلك احتجنا نحن إلى سقي الغنم^(٨).

فصل

قال مجاهد والضحاك والسدي والحسن: أبوهما^(٩) هو شعيب النبي ﷺ^(١٠). وإنه عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام، وتزوج بابنته^(١١). وقال وهب وسعيد بن جبير: هو يثرون ابن أخي شعيب (وكان شعيب)^(١٢) قد مات بعد^(١٣) ذلك بعدما كف بصره فدفن بين المقام وزمزم^(١٤). وقيل: رجل ممن آمن بشعيب^(١٥). قالوا: فلما سمع^(١٦) قولهما رحمهما فاقطلع صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس^(١٧)، وقال ابن إسحاق: إن موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين^(١٨). وروي أن القوم لما رجعوا بأغنامهم غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشر^(١٩) نفر، فجاء موسى فرفع الحجر وحده، وسقى غنمهما^(٢٠)، ويقال: إنه نزع ذنوباً واحداً ودعا فيه بالبركة فروي منه جميع الغنم^(٢١).

قوله: «فَسَقَى لَهُمَا» مفعوله محذوف أي: غنمهما لأجلهما^(٢٢)، «ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ» أي: إلى ظل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع. قال الضحاك: لبث سبعة أيام لم يذق طعاماً إلا بقل الأرض^(٢٣).

(١) أنظر البحر المحيط ١١٣/٧. (٢) انظر المختصر (١١٢)، الكشف ١٦١/٣.

(٣) الرّخال: جمع رخل، الأثنى من أولاد الضأن. اللسان (رخل).

(٤) ثناء: جمع ثنية، وهي الناقة التي ولدت بطنين. اللسان (ثنى).

(٥) انظر المختصر (١١٢).

(٦) عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بطونه﴾ من الآية (٦٦).

(٧) انظر القرطبي ٢٦٩/١٣. وفي ب: وتجار أي تجار.

(٨) انظر البغوي ٣٣٠/٦. (٩) في ب: وأبوهما.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب. (١١) انظر البغوي ٣٣٠/٦.

(١٢) في ب: قبل. (١٣) انظر البغوي ٣٣٠/٦.

(١٤) المرجع السابق. (١٥) في ب: أسمع.

(١٦) المرجع السابق. (١٧) المرجع السابق.

(١٨) انظر البغوي ٣٣٠/٦. (١٩) في ب: عشرة.

(٢٠) انظر البغوي ٣٣٠/٦. (٢١) المرجع السابق.

(٢٢) انظر الفخر الرازي ٢٤٠/٢٤.

فصل

«لَمَّا أُنزِلَتْ» متعلق بـ «فَقِير» قال الزمخشري: عُذِّي فقير^(١) باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل إني فقير من الدنيا لأجل ما أُنزلت إلي من خير^(٢) الدين، وهو النجاة من الظالمين^(٣). يعني أن افتقر يتعدى بـ «مِنْ»، فإمّا أن نجعله من باب التضمين، وإمّا أنَّ^(٤) متعلقه محذوف و «أُنزِلَتْ» قيل ماض على أصله، ويعني بالخير ما تقدم من خير الدين، وقيل: بمعنى المستقبل^(٥). قال أهل اللغة: اللام بمعنى إلى، يقال: فقير له، وفقير إليه، فإن قيل: كيف ساغ بنبي الله شعيب أن يرضى لابنته^(٦) السعي بالماشية فالجواب: أن الناس اختلفوا فيه: هل هو شعيب أو غيره كما تقدم، وإن سلمنا أنه شعيب^(٧) لكن لا مفسدة فيه، لأن الدين لا يأباه، وأحوال أهل^(٨) البادية غير أحوال أهل الحضرة^(٩) سيما إذا كانت الحالة حالة^(١٠) ضرورة^(١١).

فصل

قال ابن عباس: سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه^(١٢). قال الباقر^(١٣): لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شق ثمرة^(١٤)، وقال سعيد بن جبير: قال^(١٥) ابن عباس: لقد قال^(١٦) «رَبِّ إِنِّي لَمَّا أُنزِلْتُ إِلَيْ مِنْ خَيْرٍ فَقِير» وهو أكرم خلقه عليه، ولقد افتقر إلى شق ثمرة^(١٧)، وقيل: إنما قال ذلك في نفسه مع ربه، وهو اللائق بموسى عليه السلام^(١٨). فلما رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامهما حُفِلَ بَطَان^(١٩) قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحيماً فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحدهما: اذهب فادعِيه لي^(٢٠)، قوله «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا» قرأ ابن محيصن: «فَجَاءَتْهُ خِدَاهُمَا» بحذف الهمزة تخفيفاً^(٢١) على غير قياس، كقولهم: يا با فلان، وقوله:

(١) في ب: فقيراً.

(٢) الكشاف ١٦٢/٣.

(٣) انظر القرطبي ١٣/٢٧٠.

(٤) في ب: لا شعيب. وهو تحريف.

(٥) في ب: و. وهو تحريف.

(٦) في ب: أهلي. وهو تحريف.

(٧) في ب: حال.

(٨) انظر الكشاف ١٦٢/٣، الفخر الرازي ٢٤/٢٤٠.

(٩) انظر البغوي ٦/٣٣٠-٣٣١.

(١٠) هو محمد بن علي زين العابدين الباقر الإمام الخامس للشيعة ولد وتوفي بالمدينة. مات سنة ١١٤ هـ.

(١١) المنجد ١٠٦-١٠٧.

(١٢) انظر البغوي ٦/٣٣١.

(١٣) في ب: لقد قال موسى.

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) انظر الكشاف ١٦٢/٣.

(١٦) في ب: عن.

(١٧) انظر البغوي ٦/٣٣١.

(١٨) أي: ممثلة البطن.

(١٩) انظر المحاسب ٢/١٥٠، البحر المحيط ٧/١١٤.

٣٩٨٧ - يَا بَا الْمُغِيرَةِ رَبِّ أَمْرِ مُفْضِلٍ فَرَّجْتَهُ بِالشُّكْرِ عَنِّي وَالذَّهَاءِ^(١)
وَوَيْلٌ لَّهُ أَيُّ: وَيْلٌ لِّأُمِّهِ. قَالَ:

٣٩٨٨ - وَيْلُهَا حَالَهُ^(٢) لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ^(٣)

و «تَمْشِي» حال، و «اسْتَحْيَاء» حال أخرى، إما من «جَاءَتْ» وإما من «تَمْشِي»^(٤).

فصل

قال عمر بن الخطاب: ليست بسلفع^(٥) من النساء خراجة ولاجة، ولكن جاءت مستترة وضعت كم درعها على وجهها استحياء^(٦). «قَالَتْ»^(٧) إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا» صرحت^(٨) بهذا لئلا يوهم كلامها ريبة، وهذا من تمام حياها وصيانتها، وقيل: ماشية على بُعد، ماثلة عن الرجال^(٩). وقال عبد العزيز بن أبي حازم^(١٠): على إجلال له^(١١)، ومنهم من يقف على قوله «تَمْشِي»، ثم يبتدىء «على استحياء» قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ»^(١٢) أَي: إنها على استحياء قالت هذا القول، لأن الكريم إذا دعا^(١٣) غيره إلى الضيافة يستحي لا سيما المرأة^(١٤). قال ابن إسحاق: اسم الكبرى صفورا والصفري لبناء، وقيل ليا^(١٥)، وقال غيره: صفورا وصفيرا^(١٦). وقال الضحاك: صافورا^(١٧)، قال

(١) البيت من بحر الكامل، ونسبه في التصريف الملوكي (٣٨) إلى أبي الأسود الدؤلي، وليس في ديوانه. والشاهد فيه حذف الهمزة في قوله (يا با)، وهذا الحذف للتخفيف وليس بقباس. وفيه أيضاً قصر (الدهاء) والأصل فيه المد.

(٢) في ب: حال.

(٣) لم أعر على تنمة لهذا البيت، ولا قائله، والشاهد فيه قوله (ويل لأمها) الأصل: ويل لأمها فحذفت الهمزة من الأم تخفيفاً، ثم تبعها لام الجر المعدية للمصدر حتى لا تلتقي مع اللام قبلها.

(٤) انظر البيان ٢/٢٣١. (٥) السلفع من النساء: الجريئة على الرجال.

(٦) انظر البغوي ٦/٣٣١، الفخر الرازي ٢٤/٢٤٠.

(٧) في ب: وقالت.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٠.

(٩) هو عبد العزيز بن أبي حازم، يكنى أبا تمام. مات بالمدينة فجأة سنة ١٨٤هـ. المعارف لابن قتيبة ٤٧٩.

(١٠) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٠.

(١٢) لعله جعل قوله «على استحياء» حالاً مقدمة من «قالت»، أي: قالت مستحبة، لأنها كانت تريد أن تدعوه إلى ضيافتها، وما تدري أيجيبها أم لا، وهو وقف جيد، والأجود وصله. انظر منار الهدى في الوقف والابتداء (٢٩٠).

(١٣) في الأصل: دعاه.

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٠.

(١٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٠.

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) المرجع السابق.

الأكثرون: التي جاءت إلى موسى الكبرى^(١). وقال الكلبي: هي الصغرى^(٢). قال ابن الخطيب: وفي الآية إشكالات.

أحدها: كيف ساغ لموسى عليه السلام^(٣) أن يعمل بقول امرأة، (وَأَنْ يَمْشِيَ مَعَهَا)^(٤) وهي أجنبية، فإن ذلك يورث التهمة العظيمة؟ وقال^(٥) عليه السلام: «اتَّقُوا مَوَاضِعَ التَّهْمِ». وثانيها^(٦): أنه سقى أغنامها تقرباً إلى الله تعالى^(٧)، فكيف يليق به أخذ الأجرة عليه، وذلك غير جائز في الشريعة؟.

وثالثها: أنه عرف فقرهن، وفقر أبيهن، وأنه عليه السلام^(٨) كان في نهاية القوة بحيث يمكنه الكسب بأقل سعي، فكيف يليق بمروءة مثله طلب الأجرة على ذلك القدر من الشيخ الفقير والمرأة الفقيرة؟

ورابعها: كيف يليق بالنبي شعيب عليه السلام^(٩) أن يبعث ابنته الشابة إلى رجل شاب قبل العلم بكون الرجل عفيفاً أو فاسقاً؟

والجواب عن الأول: أما^(٩) العمل بقول امرأة فإن الخبر يعمل فيه بقول الواحد حرراً كان أو عبداً ذكراً كان أو أنثى، وهي ما كانت إلا مخبرة عن أبيها. وأما المشي مع المرأة فلا بأس به مع الاحتياط والتورع.

وعن الثاني: أن المرأة لما قالت ذلك، فموسى عليه السلام^(١٠) ما ذهب إليهم طالباً للأجرة، بل للتبرك بذلك الشيخ، لما روي أنه لما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء تهيئاً، فقال: اجلس يا شاب فتعش، فقال موسى: أعود بالله، فقال شعيب: ولم ذلك؟ ألسنت بجائع؟ فقال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا، وفي رواية: لا نبيع ديننا بالدنيا، ولا نأخذ بالمعروف ثمناً. فقال شعيب: لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي تقري الضيف، ونطعم الطعام، فجلس موسى^(١١)، فأكل. وأيضاً فليس بمنكر أن الجوع قد بلغ به إلى حيث ما كان يطبق تحمله، فقبل ذلك اضطراراً^(١٢)، وهو الجواب عن الثالث، فإن الضرورات تبيح المحظورات.

وعن الرابع: لعله عليه السلام^(١٣) كان قد علم بالوحي طهارتها وبراءتها، فكان يعتمد عليها^(١٤).

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤٠/٢٤ - ٢٤١.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤١/٢٤.

(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) في ب: قال.

(٦) في ب: وثالثها. وهو تحريف.

(٧) تعالى: سقط من ب.

(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٩) أما: سقط من ب.

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١١) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.

(١٢) في ب: يقبل ذلك أضرار.

(١٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٤) الفخر الرازي ٢٤١/٢٤.

فصل

قال عمر بن الخطاب: فقام يمشي^(١) والجارية أمامه، فعبثت الريح، فوصفت^(٢) ردفها، فكره موسى أن يرى ذلك منها، فقال موسى عليه السلام^(٣): إني من عنصر إبراهيم، فكوني خلفي حتى لا ترفع الريح ثيابك، فأرى ما لا يحل^(٤)، وفي رواية: كوني خلفي ودليني على الطريق برمي الحصى، لأن صوت المرأة عورة.

فإن قيل: لم خشي موسى - عليه السلام^(٥) - أن يكون ذلك أجرة له عن عمله، ولم يكره مع الخضر ذلك حين قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَنَحَذَّ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]؟

فالجواب: أن أخذ الأجرة على الصدقة لا يجوز، وأما الاستئجار ابتداء (ف)^(٦) غير مكروه^(٧). قوله: «فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ»^(٨) مصدر كالعلل سمي به المقصوص، قال الضحاك: قال له: مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ قال له: أنا موسى بن عمران بن يصر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب، وذكر له جميع أمره من لدن^(٩) ولادته وأمر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي، وأنهم يطلبوه فيقتلوه، فقال شعيب عليه السلام^(١٠): «لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أي: لا سلطان له بأرضنا^(١١)، فإن قيل إن المفسرين قالوا: إن فرعون يوم ركب خلف موسى، ركب في ألف ألف وستمائه^(١٢)، والملك الذي هذا شأنه كيف يعقل ألا يكون في ملكه قرية على بُعد ثمانية أيام من دار مملكته؟ فالجواب: هذا وإن كان نادراً إلا أنه ليس بمحال^(١٣).

قوله: «قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ» اتخذهُ أجيراً ليرعى أغنامنا، «إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» أي: خير من استعملت مَنْ قَوِيَّ عَلَى الْعَمَلِ، وأداء الأمانة، وإنما جعل «خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ» اسماً و «الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» خبراً مع أن العكس أولى، لأن العناية سبب^(١٤) للتقديم^(١٥). فإن قيل: القوة والأمانة لا يكفيان في حصول المقصود ما لم ينضم إليهما العطية والكتابة، فلم أهمل أمر الكتابة؟ فالجواب^(١٦) أنهما داخِلان في الأمانة.

(١) في ب: موسى.

(٢) في ب: وصفت.

(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤١.

(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٦) ف: تكلمة ليست في المخطوط.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤١.

(٨) القصص: سقط من الأصل.

(٩) في ب: من ولد.

(١٠) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٢.

(١٢) في ب: وثمانمائة.

(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٢.

(١٤) في ب: بسبب.

(١٥) انظر الكشاف ٣/١٦٣، الفخر الرازي ٢٤/٢٤٢.

٢٤٢.

(١٦) في ب: والجواب.

قال ابن مسعود: أفرسُ الناس ثلاثة: بنتُ شعيب، (وصاحب يوسف)^(١)، وأبو بكر في^(٢) عمر^(٣).

فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته، فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة، وقيل: إلا أربعون، وأما أمانته، فإنه قال لي: امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك^(٤). قال شعيب عند ذلك: «إني أريد أن أُنكِحَكَ إحدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ». قال أكثر المفسرين: إنه زوجه الصغيرة منهما، وهي التي ذهبت لطلب موسى واسمها صفورة^(٥). قوله: «أن أُنكِحَكَ إحدَى»^(٦) روي عن أبي عمرو «أُنكِحَكَ إحدَى» بحذف همزة «إحدَى»^(٧)، وهذه تشبه قراءة ابن محيصن «فَجَاءَتْهُ خَدَاهُمَا»، وتقدم التشديد في نون «هَاتَيْنِ» في سورة النساء^(٨).

قوله «عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي» في محل نصب على الحال، إما من الفاعل أو من المفعول، أي: مشروطاً على أو عليك ذلك^(٩). و «تَأْجُرَنِي» مضارع أَجَرْتَهُ، كنتُ له أجيراً، ومفعوله^(١٠) الثاني محذوف، أي: وتأْجُرَنِي نَفْسَكَ^(١١)، و «ثَمَانِي حَجَجٍ» ظرف له^(١٢). ونقل أبو حيان عن الزمخشري أنها هي المفعول الثاني^(١٣). قال شهاب الدين: الزمخشري لم يجعلها مفعولاً ثانياً على هذا الوجه، وإنما جعلها مفعولاً ثانياً على وجه آخر، وأما^(١٤) على هذا الوجه فلم^(١٥) يجعلها غير ظرف، وهذا نصه ليتبين لك، قال: «تَأْجُرَنِي» من أجرتَه إذا كنتَ له أجيراً، كقولك^(١٦): أبوتَه إذا كنتَ له أباً، و «ثَمَانِي حَجَجٍ» ظرف^(١٧)، أو مِنْ أَجْرَتِهِ^(١٨) إذا أثبتَه، ومنه تعزية رسول الله ﷺ: «أَجْرُكُمْ اللَّهُ وَرَجْمُكُمْ»^(١٩)، و «ثماني حجج» مفعول به، ومعناه رعية ثماني حجج^(٢٠). فنقل الشيخ^(٢١) عنه الوجه الأول من المعنيين المذكورين في «تَأْجُرَنِي» فقط، وحكى عنه أنه أعرب «ثَمَانِي حَجَجٍ» مفعولاً به، وكيف يستقيم ذلك أو يتجه؟ وانظر إلى الزمخشري

- (١) ما بين القوسين سقط من ب. (٢) في النسختين: و. والنصوب من الفخر الرازي.
(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٢. (٤) انظر البغوي ٦/٣٣٣.
(٥) المرجع السابق. (٦) في ب: إحدَى ابنتي.
(٧) انظر المختصر (١١٢)، البحر المحيط ٧/١١٥.
(٨) عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهِمَا مِنْكُم فَاذْنُوهُمَا﴾ من الآية (١٦).
(٩) انظر التبيان ٢/١٠١٩. (١٠) في ب: ومفعول. وهو تحريف.
(١١) انظر البحر المحيط ٧/١١٥. (١٢) انظر البيان ٢/٢٣١، التبيان ٢/١٠١٩.
(١٣) البحر المحيط ٧/١١٥. (١٤) في الأصل: أما.
(١٥) في ب: فلا. (١٦) في ب: كقوله.
(١٧) في الكشف: ظرفه. (١٨) في الكشف: أو من أجرتَه كذا.
(١٩) انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشف (١٢٦).
(٢٠) الكشف ٣/١٧٣. (٢١) في ب: النسخ. وهو تحريف.

كيف قدر مضافاً ليصح^(١) المعنى به، أي: رَغِيْ ثَمَانِي حَجَجَ، لأن العمل هو الذي تقع به الإثابة لا نفس الزمان، فكيف يوجه الإجارة على الزمان^(٢)؟
(قوله)^(٣) «فَمِنْ عِنْدِكَ» يجوز أن يكون في محل رفع خيراً لمبتدأ محذوف تقديره: فهي من عندك، أو نصب أي: فقد زدتها أو تفضلت بها من عندك^(٤).

فصل

معنى الآية: أريدُ أن أنكِحَكَ إحدى هاتين على أن تكون أجيراً لي ثمان سنين قال الفراء^(٥): أي تجعل ثوابي من تزويجها أن ترعى غنمي ثمانى حجج^(٦)، تقول العرب: أجزَكَ الله بأجرِكَ، أي: أثابك والحجج: السُّنُون، واحداً حَجَّةً.
«فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا» أي: عشر سنين «فَمِنْ عِنْدِكَ» أي: ذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب^(٧) عليك^(٨). واعلم أن هذا اللفظ - وإن كان على التردد - فلا شبهة أنه عند التزويج عين، ولا شبهة في أن العقد وقع على أقل الأجلين، والزيادة كالتبرع^(٩). ودلت الآية على أن العمل قد يكون مهراً كالمال، وعلى أن إلحاق الزيادة بالثمن والمثمن جائز، ولكنه^(١٠) شرع من قبلنا^(١١)، ودلت أيضاً على أنه يجوز أن يشرط الولي، وعلى أن عقد النكاح لا تفسده الشروط التي لا يوجبها العقد^(١٢). (واستدل بعض الحنفية بهذه الآية على صحة بيع أحد هذين العبدین، أو الثوبين، وفيه نظر، لأنها مرأضة لا معاقدة. ودلت الآية أيضاً على صحة الإجارة بالطعمة والكسوة، كما جرت به العادة، ويؤيده قوله عليه السلام: «إِنَّ مُوسَى أَجَّرَ نَفْسَهُ ثَمَانِي سِنِينَ أَوْ عَشْرَةَ عَلَى عِفَّةٍ فَرَجَهُ وَطَعَامٍ بَطْنَهُ». وهو مذهب الحنابلة قاله ابن كثير^(١٣).

فصل

قال النووي: الإجارة بكسر الهمزة هو المشهور، وحكى الرافعي^(١٤) أن الجيانى^(١٥) حكى في الشامل أيضاً ضم الهمزة، قال أهل اللغة: وأصل الأجر الثواب،

(١) في الأصل: يصح.

(٢) ما بين القوسين بياض في الأصل.

(٣) قال الفراء: سقط من الأصل.

(٤) في ب: بواحد. وهو تحريف.

(٥) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٢.

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٢.

(٧) انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٨٥.

(١٤) هو عبد الكريم بن محمد الرافعي، فقيه شافعي قزويني، تضرع في المذهب والعلوم الإسلامية وله مشاركة في التاريخ واللغة، من كتبه: فتح العزيز في شرح الوجيز للغزالي، والتدوين في أخبار قزوين. مات سنة ٦٢٣هـ. المنجد في الأعلام (٢٦٠).

(١٥) في النسختين: الحار. والتصويب من تهذيب الأسماء واللغات للنووي ص ٤.

يقال: أجزت فلاناً عن عمله كذا أي: أثبته، والله يأجر العبد أي؛ يشبهه، والمستأجر يثيب المأجور عوضاً عن بذل المنافع. قال الواحدي: يقال أجزت داري ومملوكي غير ممدود، وأجزت ممدود قال المبرد: والأول أكثر^(١) (٢).

قوله: «وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ» أي؛ ألزمتك تمام العشر. وَأَنْ أَشُقَّ، مفعول «أريد» وحقيقة قولهم^(٣): شَقَّ عليه أي: شَقَّ ظَنَّهُ نصفين فتارة يقول أطيق، وتارة لا أطيق، وهو من أحسن مجاز^(٤).

قوله «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» قال عمر: أي في حسن^(٥) الصحة والوفاء ولين الجانب^(٦). وقيل: أراد الصلاح على العموم، وإنما قال «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» للاتكال على توفيقه ومعونته^(٧)، فإن قيل: كيف ينعقد العقد بهذا الشرط، ولو قلت: أَنْتَ طَالِقٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لا تَطْلُقُ؟ فالجواب: هذا مما يختلف بالشرائع^(٨).

قوله: «ذَلِكَ» مبتدأ، والإشارة به إلى ما تعاقد^(٩) عليه، والظرف خبره^(١٠)، وأضيفت «بَيْنَ» لمفرد لتكررها عطفًا بالواو، فإن قلت: المالُ بَيْنَ زيد فعمرو لم يجز، وأما قوله:

٣٩٨٩ - بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلٍ^(١١)

فكان^(١٢) الأصمعي يابها، ويروي «وحومل» بالواو، والصحيح بالفاء، وأول البيت على أن الدُّخُولَ وَحَوْمَلَ مكانان كل منهما مشتمل على أماكن، نحو قولك: داري بين مصر، لأنه يريد به المكان الجامع^(١٣)، والأصل ذلك بيننا ففرق بالعطف.

قوله: «أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ» أي شرطية وجوابها «فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ»^(١٤). وفي «مَا» هذه قولان:

أشهرهما: أنها زائدة^(١٥)، كزيادتها في أخواتها من أدوات الشرط.

- (١) انظر تهذيب الأسماء واللغات (٤).
- (٢) ما بين القوسين سقط من ب.
- (٣) في ب: قوله.
- (٤) انظر الكشاف ٣/١٦٤.
- (٥) في الأصل: جنس.
- (٦) انظر البغوي ٦/٣٣٤.
- (٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٤٢.
- (٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٣٤٣.
- (٩) في الأصل: تعاقد.
- (١٠) انظر الكشاف ٣/١٠١٩، البحر المحيط ٧/١١٥.
- (١١) جزء بيت من بحر الطويل قاله امرؤ القيس، وهو مطلع معلقته، وتماخه:
- قفًا نيبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وقد تقدم.

(١٣) يريد على التأويل: داري بين قرى مصر.

(١٢) في الأصل: كان.

(١٤) انظر البيان ٢/٢٣١، البيان ٢/٢٣١.

(١٥) انظر مشكل إعراب القرآن ٢/١٥٩، البيان ٢/٢٣١.

والثاني: أنها نكرة، و «الأَجَلَيْنِ» بدل منها^(١).

وقرأ الحسن وأبو عمرو في رواية «أَيَّما» بتخفيف الياء^(٢) كقوله:

٣٩٩٠ - تَنْظَرْتُ نَسْراً وَالسَّمَاكِينَ أَنَّهُمَا عَلَيَّ مِنَ الْغَيْثِ اسْتَهْلَتْ مَوَاطِرَهُ^(٣)

وقرأ عبد الله «أَيَّ الأَجَلَيْنِ مَا قَضَيْتُ» بإقحام «مَا» بين «الأَجَلَيْنِ» و «قَضَيْتُ»^(٤).

قال الزمخشري^(٥): فإن قلت: ما الفرق بين موقع زيادة «مَا»^(٦) في القراءتين^(٧)؟

قلت: وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام، «أَيَّ» زيادة في شياعها، وفي الشاذة تأكيداً للقضاء كأنه قال: أي الأجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له^(٨).

وقرأ أبو حيوة وابن قُطَيْب «عِدْوَانٌ»^(٩). قال الزمخشري: فإن قلت: تصوّر العدوان

إنما هو في أحد^(١٠) الأجلين الذي هو أقصرهما، وهو المطالبة بتتمة العشر^(١١)، فما

معنى تعلق العدوان بهما جميعاً؟ قلت: معناه: كما أني إن طولبت بالزيادة على العَشر

(كان عدواناً)^(١٢) لا شك فيه، فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثماني^(١٣)، أراد بذلك

تقرير أمر الخيار، وأنه^(١٤) ثابت مستقر، وأن الأجلين على سواء إما هذا وإما هذا،

ويكون اختيار الأقل والزائد موكولاً^(١٥) إلى رأيه من غير أن يكون لأحدهما عليه إيجاب.

ثم قال: وقيل: معناه فلا أكون متعدياً، وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك: لا إثم علي ولا تبعة^(١٦).

قال أبو حيان: وجوابه الأول فيه تكثير^(١٧). قال شهاب الدين: كأنه أعجبه

الثاني^(١٨). والثاني^(١٩) لم يرتضه الزمخشري، لأنه ليس جواباً في الحقيقة، فإن السؤال

(١) ونسب لابن كيسان. انظر إعراب القرآن ٢/١٥٩، القرطبي ١٣/٢٧٩.

(٢) انظر المختصر (١١٢)، المحتسب ٢/١٥٠، البحر المحيط ٧/١١٥، الإتحاف (٣٤٢).

(٣) البيت من بحر الطويل قاله الفرزدق، وهو في ديوانه ١/٢٨١، المحتسب ١/٤١، ٢/١٥٢ الكشف

٣/١٦٤، شرح الكافية الشافية ١/٣٢٨، المغني ١/٧٧، البحر المحيط ٧/١١٥، شرح شواهد

المغني ١/٣٢٦.

(٤) انظر معاني القرآن للقرطبي ٢/٣٠٥، المختصر (١١٢)، الكشف ٣/١٦٤، البحر المحيط ٧/١١٥.

(٥) قال الزمخشري: مكرر في ب.

(٦) في الكشف: ما الفرق بين موقعي (ما) المزیدة.

(٧) في ب: الموضعين. (٨) الكشف ٣/١٦٤.

(٩) بكسر العين. المختصر (١١٢)، البحر المحيط ٧/١١٥.

(١٠) في ب: إحدى. (١١) في ب: وهو للطالب تمة للعشر.

(١٢) ما بين القوسين تكملة من الكشف. (١٣) في ب: الثمان.

(١٤) في ب: أمر الخيار أنه. (١٥) في ب: مأكولاً.

(١٦) الكشف ٣/١٦٤. بتصرف يسير. (١٧) البحر المحيط ٧/١١٦.

(١٨) في ب: الباقي. وهو تحريف.

(١٩) يشير بقوله: (الثاني) إلى قول الزمخشري: وقيل: معناه فلا أكون متعدياً...

باق أيضاً، ولذلك نقله عن غيره^(١)، وقال المبرد: وقد علم أنه لا عدوان عليه في أيهما، ولكن جمعهما ليجعل الأول كالآثم في الوفاء^(٢).

فصل

قال المفسرون: المعنى «أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ» أتممت وفرغت منه الثماني أو العشر، «فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ» لا ظلم عليّ بأن أطالب بأكثر «وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ» قال مقاتل^(٣): شهيد فيما بيني وبينك، وقيل: حفيظ^(٤)، ولما استعمل الوكيل بمعنى الشاهد عُذِّي بـ (عَلَيَّ)^(٥) قال سعيد بن جبير: سألتني يهودي من أهل الحيرة: أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على خبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قَضَى أَكْثَرُهُمَا وَأَطْيَبُهُمَا، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل^(٦). وروي عن أبي ذر مرفوعاً «إِذَا سُئِلْتَ أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ فَقُلْ خَيْرُهُمَا وَأَبْرَهُمَا، وَإِذَا سُئِلْتَ أَيُّ الْمَرَاتَيْنِ تَزَوَّجَ مُوسَى؟ فَقُلْ الصَّغْرَى مِنْهُمَا»^(٧)، وهي التي جاءت فقالت: «يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْ» فتزوج صغرها، وقضى أوفاهما^(٨). وقال^(٩): وهب: أَنْكَحَهُ الْكُبْرَى^(١٠). وَلَمَّا تَعَاقَدَا الْعَقْدَ بَيْنَهُمَا أَمَرَ شَعِيبُ ابْنَتَهُ أَنْ تَعْطِيَ مُوسَى عَصَا يَدْفَعُ^(١١) بِهَا السَّبَاعَ عَنْ غَنَمِهِ، وَاخْتَلَفَا فِي تِلْكَ الْعَصَا.

فقال عكرمة: عرج بها آدم من الجنة، فأخذها جبريل بعد موت آدم، فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً، فدفعها إليه، وقيل: كانت من آس الجنة حملها آدم من الجنة، فتوراثتها الأنبياء، وكان لا يأخذها غير نبي، فصارت من آدم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب، فكانت عصا الأنبياء عنده فأعطاه موسى^(١٢)، وقال السُّدِّي: كانت تلك العصا استودعها إياه ملك في صورة رجل فأمر ابنته أن تأتبه بعصا، فدخلت، فأخذت العصا فأتته بها، فلما رآها شعيب قال لها: رُذِي هذه العصا، وأتبه بغيرها، فدخلت وألقته، وأرادت أن تأخذ غيرها، فلا تقع^(١٣) في يدها إلا هي، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فأعطاه موسى، وأخرجها موسى معه^(١٤)، ثم إن الشيخ ندم وقال: كانت وديعة فذهب في أثره فطلب أن يرد العصا، فأبى موسى أن يعطيه وقال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾

(١) الدر المصون ٣١٧/٥. (٢) انظر البحر المحيط ١١٥/٧.

(٣) في ب: قال ابن عباس ومقاتل. (٤) انظر البغوي ٣٣٤/٦.

(٥) انظر الكشف ١٦٤/٣.

(٦) أخرجه البخاري (شهادات) ١٠٩/٢، وانظر البغوي ٣٣٤/٦ - ٣٣٥.

(٧) في ب: فقيل. (٨) في ب: فقيل أصغرهما.

(٩) انظر البغوي ٣٣٥/٦، تفسير ابن كثير ٣٨٦/٣.

(١٠) وقال: سقط من ب. (١١) انظر البغوي ٣٣٥/٦.

(١٢) في ب: فدفع. وهو تحريف. (١٣) انظر البغوي ٣٣٥/٦ - ٣٣٦.

(١٤) في ب: تمنع. وهو تحريف. (١٥) في ب: معها. وهو تحريف.

[طه: ١٨]، فرضي أن يجعل بينهما أول رجل يلقيهما، فلقيهما ملك في صورة رجل، فحكم أن تطرح العصا فمن حملها فهي له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ ليأخذها، فلم يطقها، فأخذها موسى بيده، فرفعها فتركها له الشيخ^(١) ثم إن موسى لما أتم الأجل وسلم شعيب ابنته إليه^(٢)، قال مجاهد: لما قضى موسى الأجل مكث بعد ذلك (عند صهره عشراً)^(٣) أخرى فأقام^(٤) عنده عشرين سنة، ثم استأذنه في العود إلى مصر، فأذن له فخرج بأهله إلى جانب الطور^(٥).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطِي الْأَوْدِ الْأَيْتَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْشِيَ إِفْتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَن آتِيَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْشِيَ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسَلَتْكَ يَدُكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمْتَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلِكَ بُرْهَانُكَ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

«آنَسَ» أي: أبصر «مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا» وكان في^(٦) البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق، فقال «لَأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ» عن الطريق لأنه كان قد أخطأ الطريق^(٧).

قوله «أَوْ جَذْوَةٍ» قرأ حمزة^(٨) بضم الجيم، وعاصم بالفتح، والباقون بالكسر^(٩) وهي لغات في العود الذي في رأسه نار^(١٠)، هذا هو المشهور، قال السلمي^(١١):

٣٩٩١ - حَمَا حُبُّ هَذَا النَّارِ حُبُّ خَلِيلَتِي وَحُبُّ الْغَوَانِي فَهُوَ دُونُ الْحَبَابِ
وَيَذَلْتُ بَعْدَ الْمَسْكِ وَالْبَانِ شِفْوَةً دُخَانَ الْجَذَا فِي رَأْسِ أَشْمَطِ شَاغِبٍ^(١٢)

(١) انظر البغوي ٦/٣٣٦ - (٢) انظر البغوي ٦/٣٣٦ - ٣٣٧.

(٣) ما بين القوسين في ب: عنده عشر. (٤) في الأصل: وأقام.

(٥) انظر البغوي ٦/٣٣٨. (٦) في: سقط من ب.

(٧) انظر البغوي ٦/٣٣٨. (٨) حمزة: سقط من ب.

(٩) السبعة (٤٩٣)، الكشف ٢/١٧٣، النشر ٢/٣٤١، الإتحاف (٣٤٢).

(١٠) قال الزمخشري: (الجذوة باللغات الثلاث، وقرئ: بهن جميعاً العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن) الكشف ٣/١٦٥، وانظر التبيان ٢/١٠١٩.

(١١) هو أشجع بن عمرو السلمي، ويكنى أبا الوليد، من ولد الشريف بن مطرود السلمي. الخزانة ١/٢٩٦ - ٢٩٩.

(١٢) البيتان من بحر الطويل، قالهما أشجع بن عمرو السلمي، وهما في تفسير ابن عطية ١١/٢٩٥، البحر المحيط ٧/١٠٣.

وقيده بعضهم فقال: في رأسه نار من غير^(١) لهب^(٢). قال ابن مقبل^(٣):
 ٣٩٩٢ - بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جِرَالُ الْجَدَا غَيْرَ حَوَارٍ وَلَا دَعِيرٍ^(٤)
 الحَوَارِ الذي يتقصف، والدَّعِيرُ الذي فيه لهب. وقد ورد ما يقتضي وجود اللهب فيه، قال الشاعر:
 ٣٩٩٣ - وَالْقَى عَلَى قَبَسٍ مِنَ النَّارِ جُدْوَةً شَدِيداً عَلَيْهَا حَرُّهَا وَالنَّهَابُهَا^(٥)
 وقيل: الجدوة: العود الغليظ سواء كان في رأسه نار أو لم يكن^(٦)، وليس المراد هنا إلا ما يكون^(٧) في رأسه ناراً.

قوله «مِنَ النَّارِ» صفة لـ «جُدْوَةٍ» ولا يجوز تعلقها بـ «آتِيكُمْ»، كما تعلق بها «منها»، لأن هذه النار ليست النار المذكورة، والعرب إذا تقدّمت نكرة وأردت^(٨) إعادتها أعادتها مضمرة أو معرفة بأل العهدية، وقد جُمِعَ الأمران هنا. «لَعَلَّكُمْ تَضْطَلُّونَ» تستدفنون.
 قوله «مِنَ شَاطِئِ» «مِنَ» لابتداء الغاية^(٩)، و «الْأَيْمَنُ» صفة للشاطيء أو للوادي، والأَيْمَنُ مِنَ الْيَمَنِ، وهو البركة، أو مِنَ الْيَمِينِ المعادل لليسار من العضوين، ومعناه على هذا بالنسبة إلى موسى، أي: الذي على يمينك دون يسارك^(١٠)، والشاطيء ضفة الوادي^(١١) والنهر أي: حافته وطره، وكذلك الشُّطُّ والسيف والساحل كلها بمعنى، وجمع الشاطيء «أَشْطَاءُ» قاله الراغب^(١٢)، وشاطأت فلاناً: ماشيته على الشاطيء^(١٣).

(١) غير: سقط من ب.

(٢) وهو أبو عبيدة فإنه قال: «أو جدوة من النار» أي: قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب مجاز القرآن ١٠٢/٣.

(٣) هو تميم بن أبي بن مقبل، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان يبكي أهل الجاهلية وبلغ مائة وعشرين سنة. الخزانة ٢٣١/١ - ٢٣٣.

(٤) البيت من بحر البسيط قاله ابن مقبل، وهو في ديوانه (٩١) ونسبه الزمخشري في الكشف إلى كثير، انظر الكشف ١٦٥/٣ وهو في مجاز القرآن ١٠٣/٢، الكامل ٦٨٣/٢، تفسير ابن عطية ٢٩٤/١١، القرطبي ٢٨١/١٣، اللسان (جدأ) البحر المحيط ١٠٣/٧، شرح شواهد الكشف (٥٣) الحواطب: جمع حاطبة، وهي صفة نابت عن موصوفها، والأصل: أمة حاطبة أي: تجمع الحطب الجزل: ما عظم من الحطب ويس.

الجدأ: جمع جدوة، والعود الذي في طرفة نار بدون لهب. وهو موطن الشاهد.

الخوار: الذي يتقصف. الدعر: الذي فيه لهب.

(٥) البيت من بحر الطويل، لم أهدأ إلى قائله، وهو في الكشف ١٦٥/٣، القرطبي ٢٨١/١٣، البحر المحيط ١٠٣/٧، شرح شواهد الكشف (١٣٦).

(٦) انظر الكشف ١٦٥/٣. (٧) يكون: سقط من ب.

(٨) في ب: وأعادت. وهو تحريف. (٩) انظر الكشف ١٦٥/٣.

(١٠) انظر البحر المحيط ١١٦/٧. (١١) في ب: للوادي.

(١٢) المفردات في غريب القرآن (٢٦١).

(١٣) في اللسان (شطأ): وشاطأت الرجل إذا مشيت على شاطيء ومشى هو على الشاطيء الآخر.

قوله: «فِي الْبُقْعَةِ» متعلق (بـ «نُودِيَّ» أي^(١)) بمحذوف على أنه حال من الشاطيء^(٢)، وقرأ العامة بضم الباء، وهي اللغة الغالبة، وقرأ مسلمة^(٣) والأشهب العقيلي بفتحها^(٤) وهي لغة حكاها أبو زيد قال: سمعتهم يقولون: هذه بقعة طيبة^(٥)، (ووصف البقعة بكونها مباركة لأنه حصل فيها ابتداء الرسالة، وتكليم الله تعالى إياه)^{(٦)(٧)}.

قوله: «مِنَ الشَّجَرَةِ» هذا^(٨) بدل من «شَاطِئِ» بإعادة العامل، وهو بدل اشتمال، لأن الشجرة كانت ثابتة على الشاطيء كقوله^(٩): «لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِصَّةٍ»^(١٠) [الزخرف: ٣٣].

قوله «أَنْ يَا مُوسَى» هي المفسرة^(١١)، وجوز فيها أن تكون هي المخففة^(١٢)، واسمها ضمير الشأن، وجملة النداء مفسرة له، وفيه بُعد^(١٣).

قوله «إِنِّي أَنَا اللَّهُ» العامة على الكسر على إضمار القول، أو على تضمين النداء معناه، وقرئ بالفتح^(١٤)، وفيه إشكال، لأنه إن جعلت «أَنْ» تفسيرية، وجب كسر «إِنِّي»^(١٥) للاستئناف المفسر للنداء بماذا كان، وإن جعلتها مخففة لزم تقدير «أَنِّي» بمصدر، والمصدر مفرد، وضمير الشأن لا يفسر بمفرد، والذي ينبغي أن تخرج عليه هذه القراءة أن تكون «أَنْ» تفسيرية و «أَنِّي»^(١٦) معمولة لفعل مضمّر تقديره أَنْ يَا مُوسَى اعلم أَنِّي أَنَا اللَّهُ^(١٧)، واعلم أنه تعالى قال في سورة النمل ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨] وقال ها هنا: نُودِيَ أَنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وقال في سورة طه ﴿نُودِيَ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١١ - ١٢]، ولا منافاة بين هذه الأشياء، فهو تعالى ذكر الكل إلا أنه تعالى حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه بعض ذلك النداء^(١٨).

قوله: «وَأَنْ أَلْقَ عَصَاكَ» تقدم الكلام على ذلك^(١٩).

- (١) ما بين القوسين سقط من الأصل. (٢) انظر البحر المحيط ١١٦/٧.
- (٣) في ب: مسلم.
- (٤) المختصر (١١٢)، البحر المحيط ١١٦/٧.
- (٥) لم أجد ما قاله أبو زيد في النوار، وهو في البحر المحيط ١١٦/٧.
- (٦) انظر الفخر الرازي ٢٤٤/٢٤.
- (٧) ما بين القوسين سقط من ب.
- (٨) في ب: وهذا.
- (٩) في ب: لقوله.
- (١٠) انظر الكشف ١٦٥/٣.
- (١١) انظر التبيان ٢/١٠٢٠، البحر المحيط ١١٦/٧.
- (١٢) انظر البيان ٢/٢٣٢، التبيان ٢/١٠٢٠، البحر المحيط ١١٦/٧.
- (١٣) من حيث أن ضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة خبرية فلا يفسر بالإنشائية كالنداء ولا الطليعية ولا بد أن يصرح بجزئيتها، فلا يجوز حذف جزء منها، فإنه جيء به لتأكيدا وتفعيخ مدلولها، والحذف مناف لذلك. الهمع ٦٧/١.
- (١٤) انظر تفسير ابن عطية ٢٩٦/١١، البحر المحيط ١١٧/٧.
- (١٥) في ب: أن.
- (١٦) في الأصل: وأنا.
- (١٧) انظر البحر المحيط ١٧/٧.
- (١٨) انظر الفخر الرازي ٢٤٥/٢٤، البحر المحيط ١١٧/٧.
- (١٩) عند قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف: ١١٧].

وقوله: «اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» فقد عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات: إحداها هذه، وثانيها «واضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ»^(١)، وثالثها «وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ» [النمل: ١٢] قوله «مِنَ الرَّهْبِ» متعلق بأحد أربعة أشياء، إما بـ «وَلَّى»^(٢)، وإما بـ «مُذْبِرًا»^(٣)، وإما بـ «اضمم»^(٤)، ويظهر هذا الثالث إذا فسرنا الرهب بالكُم، وإما^(٥) بمحذوف أي: تسكن من الرهب^(٥) وقرأ حفص بفتح الراء وإسكان الهاء والأخوان وابن عامر وأبو بكر بالضم والإسكان، والياقون بفتححتين^(٦)، والحسن^(٧) وعيسى والجحدري وقتادة بضمحتين^(٨) وكلها لغات^(٩) بمعنى الخوف وقيل^(١٠) هو بفتححتين الكُم بلغة حمير وحنيفة^(١١)، قال الزمخشري «هو من بدع التفاسير» قال: وليت شعري كيف صحته في اللغة، وهل سُمِعَ من الثقات الأثبات التي تُرتضى عربيتهم، أم ليت شعري كيف موقعه في الآية، وكيف تطبيقه المفضل^(١٢) كسائر كلمات التنزيل، على أن موسى صلوات الله عليه ليلة المناجاة ما كان عليه إلا زُرْمَانِقَةً^(١٣) من صُوفٍ لا كُم لها^(١٤).

الزُرْمَانِقَةُ: المدرعة. قال أبو حيان: هذا مروى عن الأصمعي، وهو ثقة، سمعته يقولون أعطني ما في رهبك أي كُمك، وأما قوله: كيف موقعه؟ فقالوا: معناه: أخرج يدك من كُمك^(١٥).

قال شهاب الدين: كيف يستقيم هذا التفسير، يُقَسِّرُونَ «اضْمُمْ» بمعنى أخرج^(١٦).

وقال الزمخشري: فَإِنْ قُلْتَ: قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموماً، وفي الآخر مضموماً إليه، وذلك قوله: «واضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ» وقوله «واضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ» [طه: ٢٢] فما التوفيق بينهما؟ قلت: المراد بالجناح المضموم: هو اليد اليمنى، وبالجناح المضموم إليه هو اليد اليسرى، وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح^(١٧).

(١) في النسختين: واسلك.

(٣) في الآية السابقة.

(٥) انظر التبيان ٢/ ١٠٢٠.

(٦) السبعة (٤٩٣)، الكشف ١٧٢/٢، النشر ٣٤١/٢، الإتحاف (٣٤٢).

(٧) في الأصل: وحسن.

(٨) المختصر (١١٢).

(٩) انظر الكشف ١٧٣/٢، التبيان ٢/ ١٠٢٠.

(١٠) قيل: سقط من ب.

(١١) انظر القرطبي ٢٨٤/١٣، البحر المحيط ١١٧/٧.

(١٢) في ب: الفصل.

(١٣) الزُرْمَانِقَةُ: جبة من صوف وهي عجمية معربة. اللسان (زرمق).

(١٤) الكشف ١٦٦/٣.

(١٦) الدر المصون ٥/ ٢١٩.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/ ٢٤٧.

(٤) في الأصل: أو.

فصل

قال الزمخشري^(١) : في «وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ» معنيان :

أحدهما : أن موسى عليه السلام^(٢) لما قلب الله له العصا حيَّةً فزع واضطرب واتقاها^(٣) بيده كما يفعل الخائف من الشيء ، ف قيل له : إنَّ اتقاءك بيدك فيه^(٤) غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها وقد انقلبت^(٥) حية فأدخل يدك^(٦) مكان اتقائك بها ، ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران : اجتناب ما منه^(٧) غضاضة عليك ، وإظهار معجزة أخرى ، والمراد بالجنح اليد ، لأن يد الإنسان بمنزلة جناح الطائر ، وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد^(٨) اليسرى ، فقد ضم جناحه إليه^(٩) .

(الثاني : أن يراد بضم جناحه^(١٠) تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حيَّة حتى لا يضطرب)^(١١) ولا يرهب ، استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نَشَرَ جناحيه^(١٢) وأرخأهما ، وإلا فجنحاه منضممان إليه مستمران ومعنى قوله «مِنَ الرَّهْبِ» أي : من أجل الرهب إذا^(١٣) أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك (ومعنى «وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ»^(١٤)) وقوله «اسْلُكْ يَدَكَ» على أحد التفسيرين واحد ، وإنما^(١٥) حُولِفَ بين العبارتين وكَرَّرَ المعنى^(١٦) لاختلاف الغرضين ، وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء ، وفي الثاني إخفاء الرهب^(١٧) . قال البغوي : المعنى^(١٨) إذا هَالَكَ أمر يدك وما ترى من شعاعها ، فأدخلها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى ، والجناح اليد كلها وقيل : العضد . وقال عطاء ابن عباس : أمره الله (أَنْ يَضُمَّ) ^(١٩) يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية . وقال : ما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه .

وقال مجاهد : كل من فزع فضم جناحه إليه ذهب عنه الفزع ، وقيل : المراد من ضم الجناح السكون ، أي : سَكَنَ رَوْعَكَ واحفظ عليك جأشك^(٢٠) ، لأن من شأن الخائف أن يضطرب عليه قلبه وترتعد يده^(٢١) ، ومثله قوله : ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾

(١) في ب : قال الزمخشري في قوله .

(٢) في ب : عليه الصلاة والسلام .

(٣) في ب : والواها .

(٤) فيه : سقط من الأصل .

(٥) في الكشف : فكما تنقلب .

(٦) في الكشف : يدك تحت عضدك .

(٧) في الكشف : ما هو .

(٨) في الكشف : عضد يده .

(٩) في ب : إليها .

(١٠) في الكشف : جناحه إليه .

(١١) ما بين القوسين سقط من الأصل .

(١٢) في الأصل : يديه .

(١٣) في الأصل : يديه .

(١٤) في الأصل : يديه .

(١٥) في الأصل : يديه .

(١٦) في الأصل : يديه .

(١٧) في الأصل : يديه .

(١٨) في الأصل : يديه .

(١٩) في الأصل : يديه .

(٢٠) في الأصل : يديه .

(٢١) في الأصل : يديه .

[الإسراء: ٢٤] يريد: المرفق، وقوله: ﴿وَأَخْفَضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] أي: أرفق بهم وألن جانبك لهم، وقال الفراء: أراد بالجناح العصا^(١)، معناه: واضم إليك عصاك^(٢).

قوله: «فَذَانِكَ» تقدم قراءة^(٣) التخفيف والتثقيب في النساء^(٤)، وقرأ ابن مسعود وعيسى وشبل وأبو نوفل^(٥) بياء بعد نون مكسورة، وهي لغة هذيل^(٦)، وقيل تميم^(٧)، وروى شبل عن كثير بياء بعد نون مفتوحة^(٨)، وهذا على لغة من يفتح نون التثنية، كقوله:

٣٩٩٤ - عَلَى أَخَوَذِيَيْنِ اسْتَقَلَّتْ عَشِيرَةٌ فَمَا هِيَ إِلَّا لَمْحَةٌ وَتَغِيبُ^(٩)
والياء بدل من إحدى النونين (كَتَطَّيْتُ)^{(١٠)(١١)}.

وقرأ عبد الله بتشديد النون وياء بعدها، ونسبت لهذيل^(١٢). قال المهدوي: بل لغتهم تخفيفها^(١٣)، وكان الكسرة هنا إشباع كقراءة هشام «أَفْئِدَةٌ مِنَ النَّاسِ»^(١٤) [إبراهيم: ٣٧]. و «ذَانِكَ» إشارة إلى العصا واليد، وهما مؤنثتان، وإنما ذكر ما أشير به^(١٥) إليهما لتذكير خبرهما وهو «بُرْهَانَانِ»، كما أنه قد يؤنث لتأنيث خبره كقراءة «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا» [الأنعام: ٢٣] فيمن أنث ونصب «فَتَنْتَهُمْ»^(١٦) وكذا قوله:

(١) معاني القرآن ٣٠٦/٢. (٢) انظر البغوي ٣٣٩/٦ - ٣٤٠.

(٣) قراءة: سقط من الأصل.

(٤) عند قوله تعالى: «وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهِمَا مِنْكُم فَأَذْوَهُمَا» من الآية (١٦) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو «فَذَانِكَ» مشددة النون، والباقون بالتخفيف. انظر السبعة (٢٢٩) الكشف ٣٨١/١. وانظر اللباب ٣٧/٣.

(٥) هو أبو نوفل بن أبي عقرب العرنجي اسم مسلم، أو عمرو بن مسلم، أخذ عن عائشة، وابن عمر، وأخذ عنه عبد الملك بن عمير وابن جعدان.

(٦) انظر البحر المحيط ١١٨/٧. (٧) المرجع السابق.

(٨) المختصر (١١٣)، البحر المحيط ١١٨/٧.

(٩) البيت من بحر الطويل قاله حميد بن ثور، وهو في ديوانه (٥٥) ابن يعيش ١٤١/٤ المقرب (٤٠٠)، البحر المحيط ١١٨/٧، المقاصد النجوية ١٧٧/١، شرح التصريح ٧٨/١، الهمع ٤٩/١، الأسموني ٩٠/١، الدرر ٢١/١.

الأحوذِي: الخفيف في المشي، وأراد بهما ههنا جناحي قطة يصفهما لختفهما، استقلت: ارتفعت في الهواء. فما هي: فما مشاهدتها، ثم حذف المضاف فانفصل الضمير وارتفع. والشاهد فيه فتح نون المشى في قوله: (أَحُوذِيَيْنِ) وهي لغة أسد حكاهما الكسائي والفراء.

(١٠) انظر البيان ٢٣٣/٢، التبيان ١٠٢٠/٢. (١١) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٢) انظر البحر المحيط ١١٨/٧. (١٣) المرجع السابق.

(١٤) انظر البحر المحيط ٤٣٢/٥. (١٥) في ب: بهما.

(١٦) وهي قراءة نافع، وأبي عمرو، وأبي بكر عن عاصم وخلف وغيره عن عبيد عن شبل عن ابن كثير. السبعة (٢٥٥)، الكشف ٤٢٦/١، البحر المحيط ١١٨/٧.

٣٩٩٥ - وَقَدْ خَابَ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ الْغَدْرُ^(١)

وتقدم إيضاح هذا في الأنعام^(٢). والبرهان تقدم اشتقاقه^(٣)، وهو الحجة، وقال الزمخشري هنا: فَإِنَّ قُلْتَ: لم سميت الحجة برهاناً؟ قلت: لبياضها وإنارتها من قولهم (للمرأة البيضاء)^(٤) برهرة، بتكرير العين واللام، والدليل على زيادة النون قولهم أبْرَه^(٥) الرجل إذا جاء بالبرهان، ونظيره تسميتهم إياها سلطاناً من السُّلَيْط وهو الزيت لإنارتها^(٦). قوله «إِلَى فِرْعَوْنَ» متعلق بمحذوف، فقدرة أبو البقاء مرسلأ إلى فرعون^(٧)، وغيره: اذْهَبْ^(٨) إلى فرعون، وهذا المقدر ينبغي أن يكون حالاً من «بُرْهَانَانِ» أي: مرسلأ بهما إلى فرعون، والعامل في هذه الحال ما في اسم الإشارة.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(٣٣) وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ^(٣٤) قَالَ سَنَسُدُّ عَصَدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّدِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ^(٣٥) فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ^(٣٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ^(٣٧)

قوله: «قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» اعلم أنه تعالى لما قال: «فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ»^(٩) تضمن ذلك أن يذهب موسى بهذين البرهانين إلى فرعون وقومه، فعند ذلك طلب من يقوِّي قلبه فقال: «رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا»، لأنه كان في لسانه حجة إما^(١٠) في أصل الخلقة وإما لأنه وضع الجمرة في فيه عندما (نتف لحية)^(١١) فرعون^(١٢).

(١) عجز بيت من بحر الطويل قاله أعشى تغلب، وصدره:

ألم يك غدرأ ما فعلتم بشمعل

وقد تقدم.

(٢) عند قوله تعالى: «ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا» من الآية (٢٣).

(٣) عند قوله تعالى: «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» [البقرة: ١١١].

(٤) ما بين القوسين سقط من ب. (٥) في ب: ابن. وهو تحريف.

(٦) في النسختين: لإنارته، والتصويب من الكشاف. انظر الكشاف ١٦٦/٣.

(٧) التبيان ١٠٢٠/٢، وسبقه إلى هذا التقدير ابن الأنباري. البيان ٢٣٣/٢.

(٨) في ب: ذهب. وهو تحريف. (٩) من الآية السابقة.

(١٠) إما: سقط من ب. (١١) ما بين القوسين في النسختين: تيقظ. والتصويب من الفخر الرازي.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤٩/٢٤.

قوله «هُوَ أَفْصَحُ» الفصاحة لغةً الخلو، ومنه: فَصَحَ وَأَفْصَحَ فهو مَفْصِيحٌ وفَصِيحٌ^(١)، أي: خُلِّصَ من الرُّغوة، ومنه قولهم:

٣٩٩٦ - وَتَخَتِ الرُّغْوَةُ اللَّبَنُ الْفَصِيحُ^(٢)

ومنه: فَصَحَ الرَّجُلُ جادت لغته، وأفصح: تكلم بالعربية، وقيل: بالعكس^(٣)، وقيل: الفصيح: الذي ينطق، والأعجم: الذي لا ينطق، ومن هذا استعير أَفْصَحَ الضَّبُّعُ، أي: بَدَأَ ضَوْؤُهُ، وأفصح النضراني: دنا فصحه بكسر الفاء، وهو عيد لهم^(٤)، وأما في اصطلاح أهل البيان، فهو خُلُوص الكلمة من تنافر الحروف^(٥)، كقوله: تَرَعَى الْهَمْعُ^(٦)، ومن^(٧) الغرابة^(٨) كقوله:

٣٩٩٧ - وَمَرْسِنًا مُسَرَّجًا^(٩)

ومن مخالفة القياس اللغوي كقوله:

(١) في ب: فصيح ومفصح.

(٢) عجز بيت من بحر المقتضب، قاله نضلة السلمي، وصدده:

فَلَمْ يَخْشَوْا مِصَالَتَهُ عَلَيْهِمُ

وهو في الحماسة البصرية ٢٢٧/١، اللسان (فصح) والشاهد فيه قوله: (الفصيح) فإنه هنا بمعنى الخالص، ويروى: الصريح.

(٣) أي: الذي يتكلم بغير العربية، ويفهم عنه سامعه.

(٤) انظر اللسان (فصح).

(٥) التنافر منه تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان، وعسر النطق بها، كما روي: أن أعرابياً سئل عن ناقته، فقال: تركتها ترعى الهعخع ومنه ما دون ذلك كلفظ مستشزر في قول امرئ القيس:

غَدَائِرُهُ مَسْتَشْزَرَاتٌ إِلَى الْعَلَا

انظر الإيضاح (٥ - ٦).

(٦) الهعخع: اسم نبات. وهذه الكلمة تنافرت حروفها فهي ثقيلة على اللسان. الإيضاح (٥).

(٧) في ب: وأما.

(٨) الغرابة: أن تكون الكلمة وحشية، لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفته إلى أن يتقر عنها في كتب اللغة المبسوطة، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن خمار، فاجتمع عليه الناس فقال: (ما لكم تكأكنم عليّ تكأكنم عليّ ذي جثة؟ افرنقوا عني) أي: اجتمعتم تنحوا أو يخرج لها وجه بعيد، كالبيت الذي استشهد به المؤلف. انظر الإيضاح (٦).

(٩) جزء رجز قال العجاج في وصف شعر محبوبته، وتماه:

وَفَاحِمًا وَمَرْسِنًا مُسَرَّجًا

وهو في الإيضاح للقزويني (٦)، معاهد التنصيص ٦/١، الفاحم: الأسود، و (فاحمًا) أي: شعراً فاحمًا، فحذف الموصوف اكتفاء بالصفة. المرسن: بكسر السين وفتحها: الأنف، وجمعه المراسين، وأصله في ذوات الحوافر ثم استعمل للإنسان. وقوله: (مسرجًا) اختلف في تخريجه: فقيل: نسبة إلى السيوف السرجية، فيكون قد وُصفه بالاستقامة والاستواء، وإما من سرجه تسرجاً، أي: حسنه، فيكون موصوفاً بالحسن، ولهذا كان استعماله غريباً بدون قرينة. وهو موطن الشاهد.

٣٩٩٨ - السَّعَلِيُّ الْأَجَلُّ^(١)

وخلوص الكلام من ضعف التأليف كقوله:

٣٩٩٩ - جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيٌّ بَنَ حَاتِمٍ^(٢)

ومن تنافر الكلمات^(٣) كقوله:

٤٠٠٠ - وَقَبْرُ حَزْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَزْبٍ قَبْرٌ^(٤)

ومن التعقيد وهو إما إخلال نظم الكلام فلا يذرى كيف يتوصل إلى معناه، كقوله:

٤٠٠١ - وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبَوْهُ يُقَارِبُهُ^(٥)

وإما عدم انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد

به ظاهراً كقوله:

٤٠٠٢ - سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا^(٦)

(١) جزء رجز قاله أبو النجم، وتماه: الحمد لله العليّ الأجلل. وهو في الخصائص ٨٧/٣، ٩٣، المنصف ٣٣٩/١، اللسان (جلل) الإيضاح للقزويني (٦) المقاصد النحوية ٥٩٥/٤، شرح التصريح ٤٠٣/٢، الهمع ١٥٧/٢، الأشموني ٣٤٩/٤، معاهد التنصيص ٧/١. والشاهد فيه قوله: (الأجلل) بدون إدغام، فهو مخالف للقياس، فإن القياس (الأجل) بالإدغام.

(٢) صدر بيت من بحر الكامل، ينسب لأبي الأسود، أو النابغة، أو عبد الله بن همارق، وعجزه:

جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وهو في الخصائص ٢٩٤/١، أمالي ابن الشجري ١٠٢/١، ابن يعيش ٧٦/١، المقاصد النحوية ٢/٤٨٧، الإيضاح للقزويني (٧)، التصريح ٢٨٣/١، الهمع ٦٦/١، الأشموني ٥٩/٢، الخزانة ١/٢٧٧، الدرر ١/٤٤. والشاهد فيه عود الضمير في «رَبُّهُ» على متأخر لفظاً ورتبة وهو (عدي) والأخفش وابن جني أجزاه خلافاً للجمهور، وفي البيت تخريج آخر: وهو أن الضمير يعود على المصدر المفهوم، أي: الجزء.

(٣) التنافر منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها متتابعة كما في البيت الذي أنشده المؤلف، ومنه ما دون ذلك كما في قول أبي تمام:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي

انظر الإيضاح (٧ - ٨).

(٤) البيت من بحر الرجز، لم أهد إلى قائله. وهو في الإيضاح (٥)، معاهد التنصيص ٣٤/١ والشاهد فيه عدم فصاحة الكلام لثقلها على اللسان وعسر النطق بها متتابعة.

(٥) البيت من بحر الطويل، قال الفرزدق، وهو في الخصائص ١٤٦/١، ٣٢٩، ٣٩٣/٢، الإيضاح (٨) معاهد التنصيص ١٦/١.

والشاهد فيه التعقيد في النظم، وهو عدم فهم المراد من الكلام على الوضع، وذلك لخلل في نظم الكلام، فكان حقه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملوكاً أبو أمه أبوه، ففصل بين (أبو أمه) وهو مبتدأ، و(أبوه) وهو خبره بـ (حي) وهو أجني، وكذلك فصل بين (حي) و (يقاربه) وهو نعت (حي) بـ (أبوه) وهو أجني، وقدم المستثنى على المستثنى منه، فهو كما تراه في غاية التعقيد.

(٦) البيت من بحر الطويل قاله العباس بن الأحنف، وليس في ديوانه، وهو في الإيضاح (٩)، معاهد

وخلوص (المتكلم من)^(١) النطق بجميع ذلك، فصارت الفصاحة يوصف بها ثلاثة أشياء: الكلمة والكلام والمتكلم، بخلاف البلاغة فإنه لا يوصف بها إلا الأخيران، وهذا ليس (موضع) إيضاحه وإنما ذكرناه تنبيهاً على أصله^(٢)، ولساناً: تمييز.

قوله «رِءَاءُ» (منصوب)^(٣) على الحال^(٤)، والرِءَاءُ: العَوْنُ^(٥) وهو فعل بمعنى مفعول كالذَّفء بمعنى المدفوء به^(٦)، وَرَدَّائُهُ على عدوه أي^(٧): أَعْنَتُهُ عليه^(٨)، وَرَدَّائُ الحائِطِ: دَعَمَتُهُ بخشبةٍ لئلاَّ يسقط^(٩)، وقال النحاس: يقال: رَدَّائُهُ وَأَزْدَائُهُ^(١٠)، وقال سلامة بن جندل^(١١):

٤٠٠٣ - وَرِذْيِي كُلَّ أَبْيَضٍ مَشْرِفِي شَحِيدَ الْحَدِّ أَبْيَضٌ ذِي فُلُولٍ^(١٢)
وقال آخر:

٤٠٠٤ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ أَضْرَمَ كَانَ رِذْيِي وَخَيْرُ النَّاسِ فِي قُلٍّ وَمَالٍ^(١٣)
وقرأ نافع بغير همزة «رِءَاءُ» بالنقل، وأبو جعفر كذلك إلا أنه لم ينوئه، كأنه أجرى الوصل مجرى الوقف^(١٤)، ونافع ليس من قاعدته النقل^(١٥) في كلمة إلا هُنا، وقيل: ليس نُقْلٌ وإنما هو من أَرْدَى على كذا، أي: رَادَّ^(١٦)، قال:

= التنقيص ١٩/١. والشاهد فيه أنه أراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر، وليس الأمر كذلك، لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها، فلا يكون كناية عن المسرة، وإنما يكون كناية عن البخل.

- (١) ما بين القوسين سقط من ب.
- (٢) انظر هذه المباحث في الإيضاح للقرويني (٥ - ١١).
- (٣) منصوب: سقط من ب.
- (٤) انظر التبيان ١٠٢٠/٢.
- (٥) في ب: القرن.
- (٦) انظر الكشف ١٦٦/٣، البحر المحيط ١٠٣/٧.
- (٧) أي: سقط من ب.
- (٨) انظر مجاز القرآن ١٠٤/٢.
- (٩) انظر اللسان (رداً).
- (١٠) قال النحاس: (مشتق من أردأته، أي: أَعْنَتُهُ، وقد حكى رَدَّائُهُ ردةً) إعراب القرآن ٢٣٨/٣.
- (١١) هو سلامة بن جندل، شاعر جاهلي من الفرسان اشتهر بوصف الخيل. المنجد ٣٠٤.
- (١٢) البيت من بحر الوافر وهو في الكشف ١١٦/٣، البحر المحيط ١٠٣/٧، شرح شواهد الكشف (١٠٠). مشرفي: نسبة إلى مشارف اليمن، قرى منها، وقيل: من الشام. شحيد الحد: من شحذ شحذاً: أخذ سنانه، الفلول: جمع قل - بالفتح - وهو كسر في حد السيف، أي: به فلول من قراع الكنايب.

(١٣) البيت من بحر الوافر لم أهدأ إلى قائله، وهو في القرطبي ٢٨٦/١٣. أصرم: يقال: رجل أصرم إذا افتقر وبقي متماسكاً.

- (١٤) السبعة (٤٩٤) الحجة لابن خالويه (٢٧٨)، البحر المحيط ١١٨/٧، الإتحاف (٣٤٢).
- (١٥) في ب: الفعل. وهو تحريف.
- (١٦) ونسب هذا القول إلى مسلم بن جندب. انظر القرطبي ٢٨٦/١٣.

٤٠٠٥ - وَأَسْمَرَ خَطِيئًا كَأَن كُفُوبَهُ نَوَى الْقَسْبَ قَدْ أَزْدَى ذِرَاعاً عَلَى الْعَشْرِ^(١)
 أي: زاد، وأنشده الجوهري (قد أزيى) ^(٢)، وهو بمعناه.

قوله: «يُصَدِّقُنِي» قرأ حمزة وعاصم بالرفع على الاستئناف أو الصفة لـ «رِذَاءً» أو ^(٣) الحال من (هَاء) «أَزْسِلُهُ»، أو من الضمير في «رِذَاءً»، أي: مصدقاً، والباقون بالجزم جواباً للأمر ^(٤)، وزيد بن علي وأبيي «يُصَدِّقُونِي»، أي: فرعون وملأه، قال ابن خالويه: هذا شاهد لمن جزم، لأنه لو كان رفعا، لقال: «يُصَدِّقُونِي» ^(٥). يعني بنونين، وهذا سهو من ابن خالويه، لأنه متى اجتمعت نون الرفع مع نون الوقاية جازت أوجه: أحدها: الحذف، فهذا يجوز أن يكون مرفوعاً، وحذفت نونه ^(٦)، فمن رفع القاف فالتقدير رداء يصدقني، ومن جزم كان على معنى الجزاء، يعني: إن أرسلته صدقتني، ونظيره: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَبِئَاتِي بِرِثْتِي» [مريم: ٥ - ٦]، وروى السُّدِّيُّ عن بعض شيوخه: «رداء كَيْمَا» ^(٧) يُصَدِّقُنِي» ^(٨).

والتصديق لهارون في قول الجميع، وقال مقاتل: لكي يصدقني فرعون «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» يعني فرعون وقومه ^(٩)، وقال ^(١٠) ابن الخطيب: ليس الغرض بتصديق هارون أن يقول له صدقت أو يقول الناس: صَدَقَ مُوسَى، وإنما هو أن يخلص بلسانه الفصح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل به الكفار فهذا هو التصديق المفيد ألا ترى إلى قوله «وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ»، وفائدة الفصاحة إنما تظهر فيما ذكرناه لا مجرد قوله: «صَدَقْتُ» ^(١١).

فصل

قال السُّدِّيُّ: إِنَّ ^(١٢) نَبِيَّيْنِ وَآيَتَيْنِ أَقْوَى مِنْ نَبِيٍّ وَاحِدٍ وَآيَةٍ وَاحِدَةٍ قَالَ الْقَاضِي:

(١) البيت من بحر الطويل عزي في اللسان (ردى) إلى أوس، وفي اللسان (قَسْب): (قال ابن بري: هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي ولم أجده في شعره) ونسبه البغدادي في الخزائن إلى عتبة بن مرداس. وقد تقدم.

(٢) انظر الصحاح (ربى) ٢٣٦٢/٦. (٣) في ب: إذ. وهو تحريف.

(٤) السبعة ٤٩٤، الكشف ١٧٣/٢، البيان ٢٣٣/٢، التبيان ١٠٢٠/٢، البحر المحيط ١١٨/٧، النشر ٢/٣٤١، الإتحاف (٣٤٣).

(٥) المختصر (١١٤)، وانظر أيضاً البحر المحيط ١١٨/٧.

(٦) على خلاف بين النحاة في المحذوف النون الأولى أو الثانية، فمذهب سيبويه أنها نون الرفع ورجحه ابن مالك، وذهب أكثر المتأخرين إلى أن المحذوف نون الوقاية، وعليه الأخفش الأوسط والصغير والمبرد، وأبو علي وابن جني. والوجه الثاني: الفلك. والثالث: الإدغام. انظر الهمع ٥١/١ - ٥٢.

(٧) في ب: فيما. (٨) انظر الفخر الرازي ٢٤٩/٢٤.

(٩) المرجع السابق. (١٠) في ب: قال.

(١١) الفخر الرازي ٢٤٩/٢٤. (١٢) إن: تكملة من الفخر الرازي.

والذي قاله من جهة العادة أقوى، فأما من حيث الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين^(١).
 قوله «عُضِدْكَ» العامة على فتح العين وضم الضاد، والحسن وزيد بن علي
 (بضمهما)^(٢)^(٣) وعن الحسن بضمه وسكون^(٤)، وعيسى بفتحهما^(٥)، وبعضهم بفتح
 العين وكسر الضاد^(٦)، وفيه لغة سادسة فتح^(٧) العين وسكون الضاد^(٨)، وهذا كناية عن
 التقوية له^(٩) بأخيه وكان هارون يومئذ بمصر.

قوله: «وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا» أي: حُجَّةً وبرهاناً «فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا». فإن قيل:
 بين تعالى أن السلطان هو بالآيات فكيف لا يصلون إليهما لأجل الآيات، أو ليس فرعون
 قد وصل إلى صلب السحرة؟ فإن كانت هذه الآيات ظاهرة فالجواب: أن الآية التي هي
 قلب العصا حيَّة كما أنها معجزة فهي أيضاً تمنع من وصول ضرر فرعون إلى موسى
 وهارون، لأنهم علموا أنه^(١٠) متى ألقاها صارت حية عظيمة، وإن أراد إرسالها عليهم
 أهلكتهم زجرهم ذلك عن الإقدام عليها، فصارت مانعة من الوصول إليهما بالقتل وغيره
 وصارت آية ومعجزة وجمعت بين الأمرين، وأما صلب السحرة^(١١) ففيه خلاف، فقيل:
 إنهم ما صلبوا، وليس في القرآن ما يدل على ذلك، وإن سلم فوصول الضرر لغيرهما لا
 يقدر في عدم الوصول إليهما^(١٢).

قوله: «بِآيَاتِنَا» يجوز فيه أوجه أن يتعلق بـ «نَجْعَلُ» أو بـ «يَصِلُونَ» أو بمحذوف،
 أي: اذهب، أو على البيان فيتعلق بمحذوف أيضاً، أو بـ «الغَالِبُونَ» على أن (أل)^(١٣)
 ليست موصولة أو موصولة، واتسع فيه ما لا يتسع في غيره، أو قسم وجوايه متقدم، وهو
 «فَلَا يَصِلُونَ»، أو من لغو القسم، قالهما الزمخشري^(١٤)، ورد عليه أبو حيان بأن جواب

(١) انظر الفخر الرازي ٢٤٩/٢٤. (٢) المحتسب ١٥٢/٢، البحر المحيط ١١٨/٧.

(٣) ما بين القوسين في ب: بضمها. وهو تحريف.

(٤) انظر البحر المحيط ١١٨/٧. (٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق. (٧) في ب: بفتح.

(٨) قال أبو حيان: (ولا أعلم أحداً قرأ به) البحر المحيط ١١٨/٧، وقال ابن جني معقباً على قراءة الحسن
 بضميتين: (فيها خمس لغات: عُضِدَ، وَعُضِدَ، وَعُضِدَ، وَعُضِدَ، وَأَفْصَحُهَا وَأَعْلَاهَا عُضِدَ بوزن
 رجل) المحتسب ١٥٢/٢، وفي اللسان (عَضِدَ): العَضِدُ والعَضِدُ والعَضِدُ من الإنسان وغيره
 الساعد وهو ما بين المرفق إلى الكتف، والكلام الأكثر العَضِدُ، وحكى ثعلب: العَضِدُ بفتح العين والضاد.

(٩) له: سقط من ب. (١٠) أنه: سقط من ب.

(١١) في ب: الشجرة. وهو تحريف. (١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤٠/٢٤.

(١٣) أل: سقط من ب.

(١٤) قال الزمخشري: «(بِآيَاتِنَا) متعلق بنحو ما تعلق له «في تسع آيات» أي: اذهب بآياتنا، أو بـ «نَجْعَلُ لَكُمَا
 سُلْطَانًا» أي: أو بـ «لا يصلون» أي: تمتعون منهم بآياتنا، أو هو بيان للغالبين لا صلة لامتناع تقديم
 الصلة على الموصول، ولو تأخر لم يكن إلا صلة له، ويجوز أن يكون قسماً جوابه «لا يصلون» مقدماً
 عليه، أو من لغو القسم) الكشف ١٦٧/٣.

القسم لا تدخله الفاء عند الجمهور^(١). ويريد: بلغوا القسم أن جوابه محذوف أي: وحقَّ آيَاتِنَا^(٢) تَغْلِيظٌ^(٣)، ثم قال: «أَنْتُمْ وَمَنْ أَتَبَعَكُمْ الْعَالِيُونَ» أي: لكما ولأتباعكما الغلبة.

قوله: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ» و«وَاضْحَات» وقد تقدم كيفية إطلاق لفظ الآيات - وهو جمع - على العصا واليد في سورة طه. «قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى» مختلق، ثم ضموا إليه ما يدل على جهلهم، وهو قولهم «مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ» أي: ما حَدَّثَنَا بهذا الذي تدعوننا إليه.

قوله: «وَقَالَ مُوسَى» هذه قراءة العامة بإثبات واو العطف، وابن كثير حذفها^(٤). وكل وافق مصحفه، فإنها ثابتة في المصاحف غير مصحف مكة؛ وإثباتها وحذفها واضحان، وهو الذي يسميه أهل البيان: الوَضْلُ والفَضْل^(٥). قوله^(٦) «رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ» بالمحق من المبطل.

قوله: «وَمَنْ تَكُونُ» قرأ العامة «تكون» بالتأنيث، و«لَهُ» خبرها، و«عَاقِبَةُ» اسمها، ويجوز أن يكون اسمها ضمير القصة، والتأنيث لأجل ذلك.

و«لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» جملة^(٧) في موضع الخبر، وقرئ^(٨) بالياء من تحت^(٩) على أن تكون «عَاقِبَةُ» اسمها، والتذكير^(١٠) للفصل، ولأنه تأنيث مجازي، ويجوز أن يكون اسمها ضمير الشأن^(١١)، والجملة خبر كما تقدم^(١٢)، ويجوز أن تكون تامة وفيها ضمير يرجع إلى «مَنْ» والجملة في موضع الحال، ويجوز أن تكون ناقصة واسمها ضمير «مَنْ» والجملة خبرها^(١٣)، والمعنى: «مَنْ يَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» أي: العاقبة^(١٤) المحموده في الدار الآخرة لقوله^(١٥) تعالى ﴿أُولَئِكَ هُمْ عَقَى الدَّارِ حَتَّىٰ عَذَابِ﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٣]، والمراد من الدار: الدنيا. وعاقبتها^(١٦) وعقبها أن يُخْتَمَ للعبد بالرحمة والرضوان^(١٧)، «إِنَّهُ»^(١٨) لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ، أي: الكافرون.

(١) البحر المحيط ١١٨/٧. (٢) في ب: وحقَّ أنا كائنا. وهو تحريف.

(٣) انظر البحر المحيط ١١٩/٧.

(٤) السبعة (٤٩٩)، الحجة لابن خالويه (٢٧٨) الكشف ١٧٤/٢، النشر ٣٤١/٢، الإنحاف (٣٤٣).

(٥) الوصل: عطف بعض الجمل على بعض، والفصل: تركه. انظر الإيضاح (١٥١).

(٦) قوله: سقط من الأصل. (٧) في ب: وجملة. وهو تحريف.

(٨) في الأصل: وهي.

(٩) قرأ بها حزة والكسائي وخلف. السبعة (٤٩٤)، الكشف ٤٥٣/١، النشر ٣٤١/٢، الإنحاف (٣٤٣).

(١٠) في ب: والتذكير. وهو تحريف. (١١) في ب: البيان. وهو تحريف.

(١٢) في ب: كما تقدم والجملة خبر. (١٣) انظر التبيان ١٠٢١/٢.

(١٤) في ب: العقبى. (١٥) في ب: كقوله.

(١٦) وعاقبتها: سقط من ب. (١٧) انظر الفخر الرازي ٢٥١/٢٤.

(١٨) إنه: سقط من ب.

قوله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطْلُعُ إِلَيْنِ إِلَهُ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَذِبِينَ ۝٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَهَانَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۝٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۝٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٣﴾

قوله (١) : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ فتضمن كلامه نفي إلهية غيره وإثبات إلهية نفسه (٢) ، «فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ» فاطبخ لي الآجر (٣) ، قيل : إنه أول من اتخذ الآجر وبنى به (٤) ، «فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا» أي (٥) : قصرًا عاليًا . وقيل : منارة ، واختلفوا في ذلك فقيل : إنه بناه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق ، وإنه صعدَ وَرَمَى بِسَهْمٍ وَأَن السَّهْمَ عَادَ إِلَيْهِ مَلْطَخًا بِدَمٍ ، وبعث الله جبريل عليه السلام فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع (٦) ، وقيل : إنه لم يبنِ الصرح لأنه يبعد في العقل أنهم يصعدون الصرح يقربون من السماء مع علمهم (٧) بأنَّ مَنْ عَلَا أَعْلَى الْجِبَالِ الشَّاهِقَةِ يَرَى السَّمَاءَ كَمَا كَانَ يَرَاهَا وَهُوَ فِي قَرَارِ الْأَرْضِ ، ومن شك في ذلك خرج عن حد العقل ، وهذا القول في أنه رمى السهم إلى السماء وأن من حاول ذلك كان من الخائبيين ، ولا يليق بالعقل ، وإنما قال ذلك على سبيل التهكم (٨) .

قوله : «لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى» أنظر إليه . والظُّلُوعُ وَالْإِطْلَاعُ (٩) واحد ، يقال : طَلَعَ الْجَبَلُ وَأَطْلَعَ وَاحِدٌ (١٠) ، «وَأِنِّي لَأَظُنُّهُ» يعني موسى «من الكاذبين» في زعمه أن للأرض والخلق إلهًا غيري وأنه رسوله . «وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» واعلم أن الاستكبار بالحق إنما هو لله تعالى ، وهو المتكبر في الحقيقة ، قال عليه السلام (١١) فيما حكاه عن ربه : «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا

(١) في ب : قوله تعالى . (٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٥٢ .

(٣) الآجر : طينج الطين ، والواحدة بالهاء آجرة . اللسان (أجر) .

(٤) انظر البغوي ٦/٢٤٣ . (٥) أي : سقط من الأصل .

(٦) انظر البغوي ٦/٤٣٤ . (٧) في ب : لعلمهم .

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٥٣ . (٩) الصعود .

(١٠) انظر الكشاف ٣/١٦٩ . (١١) في ب : عليه الصلاة والسلام .

الْقِيَتِهِ فِي النَّارِ»^(١) وكل^(٢) مستكبر سواء فاستكباره بغير الحق^(٣).

قوله: «بَغْيَرِ الْحَقِّ» حال، أي: استكبروا متلبسين بغير الحق، «وَوَظُّوْا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ» قرأ نافع والأخوان^(٤) ويعقوب «يَرْجِعُونَ» مبنياً للفاعل، والباقون للمفعول^(٥).

قوله: «فَأَخَذْنَاهُ وَخُذُوهُ فَسَبَّحْنَاهُ فِي آيَاتِنَا» وهذا من الكلام المفحم الذي يدل على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه، شبههم - استحقاراً لهم واستقلالاً لعددتهم - وإن كانوا الجرم الغفير - كحصىات^(٦) أخذهن أخذ^(٧) في كفه وطرحهن في البحر، ونحو ذلك قوله «وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسَ شَٰخِصَاتٍ» [المرسلات: ٢٧] «وَجَلَّتِ الْأَرْضُ لِحَبَالِ ذِكِّهِ وَجَدَّةً» [الحاقة: ١٤] «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» [الزمر: ٦٧]. وليس الغرض منها إلا تصوير أن كل مقدور وإن عظم^(٨) فهو حقير بالنسبة إلى قدرته^(٩) «فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ». قوله^(١٠): «وَجَعَلْنَاهُمْ» أي: صيّرناهم وقال الزمخشري: دعوناهم^(١١)، كأنه فر من نسبة ذلك إلى الله تعالى، أعني^(١٢): التصيير لأنه لا يوافق مذهبه^(١٣)، ويدعون صفة لـ «أئمة» وقال الجبائي: وجعلناهم: أي بينا ذلك من حالهم وسميناهم به، ومنه قوله: «وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ»^(١٤) [الزخرف: ١٩]. وقال أبو مسلم: معنى الإمامة التقدم، فلما عجل الله^(١٥) لهم العذاب صاروا متقدمين لمن وراءهم من^(١٦) الكافرين^(١٧). ومعنى دعوتهم إلى النار: دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي، فإن أحداً لا يدعو إلى النار ألبته، وإنما جعلهم الله أئمة في هذا الباب، لأنهم بلغوا في هذا الباب إلى أقصى النهايات ومن كان كذلك استحق أن يكون إماماً يقتدى به في ذلك الباب^(١٨).

قوله: «وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُصْرُونَ» لا يمنعون من العذاب، كما تنصر الأئمة الدعاة إلى الجنة، «وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً» خزيًا وعذاباً.
قوله: «وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ»^(١٩) فيه أوجه:

- (١) أخرجه أبو داود (لباس) ٥٩/٤، أحمد ٢/٢٤٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢.
- (٢) في ب: كل.
- (٣) انظر الكشف ٣/١٦٩، الفخر الرازي ٢٤/٢٥٣.
- (٤) حمزة والكسائي.
- (٥) السبعة (٤٩٤)، الكشف ٢/١٧٤، الإتحاف (٣٤٣).
- (٦) في ب: لحصىات. وهو تحريف.
- (٧) في ب: أخذهن من أحد.
- (٨) في ب: أن كل مقدورات عظم.
- (٩) انظر الكشف ٣/٦٩ - ١٧٠، الفخر الرازي ٢٤/٢٥٤.
- (١٠) في ب: قوله تعالى.
- (١١) الكشف ٣/١٧٠.
- (١٢) في ب: عن.
- (١٣) لأن (جعل) إذا كانت بمعنى (صير) فيكون الله قد خلق ذلك لهم، والمعتزلة لا يجوزون ذلك.
- (١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٥٤.
- (١٥) لفظ الجلالة سقط من ب.
- (١٦) في ب: من الكفار.
- (١٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٥٤.
- (١٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٥٤.
- (١٩) في ب: «يوم القيامة هم».

أحدها: أن تتعلق^(١) بـ «المَقْبُوحِينَ»^(٢) على أن (أل) ليست موصولة^(٣) أو موصولة واتسع فيه، وأن تتعلق بمحذوف يفسره «المَقْبُوحِينَ»^(٤)، كأنه قيل^(٥): وقُبِّحُوا يوم القيامة، نحو: ﴿لَعَلَّكُمْ مِنَ الْفَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]، أو يعطف على موضع «في الدنيا»، أي: وأتبعناهم لعنة يوم القيامة^(٦). أو معطوفة على «لَعْنَةً» على حذف مضاف، أي^(٧): ولعنة يوم القيامة^(٨).

والوجه الثاني أظهرهما، والمَقْبُوحُ: المطرود قبحه الله: طرده^(٩)، قال:

٤٠٠٦ - أَلَا قَبِّحَ اللَّهُ الْبَرَاجِمَ كُلَّهَا وَجَدَّعَ يَرْزُوعاً وَعَفَّرَ دَارِمًا^(١٠)

وسُمِّيَ ضد الحسن قبحاً لأن العين^(١١) تنبو عنه، فكأنها تطرده^(١٢)، يقال: قبح قباحةً، وقيل: «مِنَ الْمَقْبُوحِينَ»: من الموسومين بعلامة منكرا، كزرقة العيون وسواد الوجوه، قاله ابن عباس^(١٣)، يقال: قَبَّحَهُ اللهُ وَقَبَّحَهُ، إذا جعله قبيحاً، قال الليث: قَبَّحَهُ اللهُ أي: نحاه من كل خير^(١٤)، والقبيح أيضاً: عظم الساعد مما يلي النصف منه إلى المرفق^(١٥)، وقال أبو عبيدة: «مِنَ الْمَقْبُوحِينَ» من المهلكين^(١٦).

قوله^(١٧): ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم والمراد بالكتاب: التوراة، بين تعالى أن الذي يجب التمسك به ما جاء به موسى^(١٨)، ووصفه بأنه بصائر للناس من حيث يستبصر به في باب الدين^(١٩).

قوله: «بَصَائِر» يجوز أن يكون مفعولاً له^(٢٠)، وأن يكون حالا^(٢١) إما على حذف

(١) يريد بالتعلق هنا أن يكون معمولاً له.

(٢) في ب: أن يتعلق بـ «المقبوحين» كأنه وقبِّحوا يوم القيامة نحو «إني لعملكم من الفالين».

(٣) انظر التبيان ١٠٢١/٢.

(٤) انظر البيان ٢٣٤/٢، التبيان ١٠٢١/٢.

(٥) في ب: كأنه قال.

(٦) أي: سقط من ب.

(٨) انظر مشكل إعراب القرآن ١٦٢/٢، البيان ٢٣٣/٢، التبيان ١٠٢١/٢.

(٩) انظر الكشف ١٧٠/٣، اللسان (قبح).

(١٠) البيت من بحر الطويل، قاله امرؤ القيس، وهو في ديوانه (١٣٠)، المفضليات (٤٣٧)، القرطبي ١٣/٢٩٠.

البحر المحيط ١٠٣/٧. البراجم: مفاصل الأصابع، والمقصود بالبراجم هنا: أحياء من بني تميم، وذلك أن أباهم قبض أصابعه، وقال لهم: كونوا كبراجم يدي هذه ويربوع ودارم: حيان منهم.

جدع: قطع، يدعو عليهم بالقبح والذلة. والشاهد فيه قوله: «قَبِّحَ» أي: جعلهم مقبوحين مطرودين.

(١١) في ب: المعنى.

(١٢) في ب: تطردهم.

(١٣) انظر البغوي ٣٤٤/٦.

(١٤) انظر الفخر الرازي ٢٥٥/٢٤.

(١٥) انظر اللسان (قبح).

(١٦) مجاز القرآن ١٦٠/٢.

(١٧) في ب: قوله تعالى.

(١٨) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.

(١٩) انظر الفخر الرازي ٢٥٥/٢٤.

(٢٠) انظر التبيان ١٠٢١/٢.

(٢١) انظر الكشف ١٧٠/٣، البيان ٢٣٤/٢، التبيان ١٠٢١/٢.

مضاف أي: ذا بصائر، أو على المبالغة، و «هَدَى» من حيث يستدل به^(١)، ومن حيث أن المتمسك به يفوز بطلبته من الثواب، ووصفه بأنه «رَحْمَةً»، لأنه من نعم الله على من تعبد به^(٢).

روى أبو سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - أنه قال: ما أهلك الله قرناً من القرون بعذاب من السماء ولا من الأرض منذ أنزل التوراة غير أهل القرية التي مسحها الله قردة^(٣). وقوله: «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» بما فيه من المواعظ والبصائر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٤٤) وَلَكِنَّا أَشْنَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ (قال قتادة والسدي: وما كنت بجانب الجبل الغربي^(٤))^(٥) فيكون من حذف الموصوف، وإقامة صفته قيامه^(٦) أو أن يكون من إضافة الموصوف لصفته، وهو مذهب الكوفيين، ومثله: بَقْلَةُ الْحَمَقَاءِ^(٧)، وَمَسْجِدُ الْجَامِعِ^(٨).

قوله: «إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ» أي: عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه، والمعنى: وما كنت الحاضر المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات^(٩). فإن قيل: لَمَّا قَالَ: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ» ثبت أنه لم يكن شاهداً،

(١) به: سقط من ب. (٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٥٥.

(٣) أخرجه البزار وابن المنذر، والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. انظر الدر المنثور ٥/١٢٩.

(٤) انظر البغوي ٦/٣٤٥. (٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) انظر التبيان ٢/١٠٢٢، البحر المحيط ٧/١٢٢.

(٧) البقلة الحمقاء: الرجل، وهي بقلة حولية عشبية لحمية لها بزور رقاق يؤكل ورقها مطبوخاً ونيئاً، وسميت حمقاء، لأنها تنبت على طرق الناس فتداس. اللسان (بقل، رجل)، المعجم الوسيط (رجل).

(٨) اشترط الكوفيون لجواز إضافة الموصوف لصفته اختلاف لفظ المضاف والمضاف إليه، ومنع البصريون ذلك، لأن الصفة عين الموصوف، ولأن المضاف إليه كالشيء الواحد، ولا يضاف الشيء إلى نفسه، وتأولوا هذه الأشياء على حذف مضاف تقديره: بقلة الحبة الحمقاء، ومسجد المكان الجامع. انظر الهمع ٢/٤٨ - ٤٩، الأشموني ٢/٢٤٩ - ٢٥٠.

(٩) انظر الكشف ٣/١٧١، الفخر الرازي ٢٤/٢٥٦.

لأن الشاهد لا بد وأن يكون حاضراً فما^(١) الفائدة في إعادة قوله : «وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاهِدِينَ» .

فالجواب : قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شاهدت تلك الوقائع^(٢) ، فإنه يجوز أن يكون هناك ، ولا يشهد ولا يرى^(٣) .

قوله : «وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا» وجه الاستدراك أن المعنى : وَمَا كُنْتُ شَاهِدًا لِمُوسَى وَمَا جَرَى عَلَيْهِ وَلَكِنَّا أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ ، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على^(٤) المسبب على عادة^(٥) الله في اختصاراته ، فإن هذا الاستدراك هو شبيه^(٦) بالاستدراكين بعده ، قاله الزمخشري^(٧) ، وهذا تنبيه على المعجز^(٨) ، كأنه^(٩) قال : إن في إخبارك بهذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من أهله دلالة ظاهرة على نبوتك كقوله : «أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى»^(١٠) [طه : ١٣٣] .

قوله : «وَمَا كُنْتُ ثَاوِيًا» أي : مقيماً ، يقال : ثَوَى يَثْوِي ثَوَاءً وَثَوِيًّا ، فهو^(١١) ثَاوٍ وَثَوِيٌّ ، قال ذو الرمة :

٤٠٠٧ - لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلِ ثَوَاءٍ ثَوِيثُهُ تَقْضِي لَبَانَاتٍ وَيَسَامُ سَائِمُ^(١٢)
وقال :

٤٠٠٨ - طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رَسُولِ الْمَنْزِلِ^(١٣)

وقال العجاج :

٤٠٠٩ - وَبَاتَ حَبِثٌ يَدْخُلُ الثَّوِيَّ^(١٤)

يعني الضيف المقيم .

قوله : «تَثَلَّوْا» يجوز أن يكون حالاً من الضمير في «ثَاوِيًا» ، وأن يكون خبراً

(١) في ب : و . (٢) في ب : المواضع والوقائع .

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٥٧/٢٤ . (٤) في الأصل : على أن .

(٥) في ب : إعادة . (٦) في ب : يشبه .

(٧) الكشف ١٧١/٣ . (٨) في ب : المعجز . وهو تحريف .

(٩) في ب : فإنه . وهو تحريف . (١٠) انظر الفخر الرازي ٢٥٧/٢٤ .

(١١) فهو : سقط من ب .

(١٢) البيت من بحر الطويل ، وهو للأعشى ، لا كما نسبته ابن عادل إلى ذي الرمة . وقد تقدم .

(١٣) صدر بيت من بحر الكامل ، قاله عترة بن شداد العبسي في هجاء قيس بن زيد ، وعجزه :

بين الكميك وبين ذات الحوامل

وهو في ديوانه (٥٦) . والشاهد فيه قوله : (الثواء) فإنه مصدر بمعنى الإقامة من الفعل ثوى .

(١٤) من الرجز قاله العجاج ، وهو في ديوانه (٣٢٥) ، مجاز القرآن ١٠٧/٢ ، القرطبي ٢٩١/١٣ البحر المحيط ١٠٣/٧ . الثوى : بيت في جوف بيت يقيم فيه الضيف فهو مكان إقامة . وهو موطن الشاهد .

ثانياً^(١)، وأن يكون هو الخبر، و «ثاوياً» حال^(٢) وجعله الفراء منقطعاً مما قبله^(٣). أي: مستأنفاً^(٤) كأنه قيل: وها أنت تتلو على أمتك، وفيه بعد.

فصل

المعنى: «وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا» خلقنا أمماً من بعد موسى «فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ»، أي: طالت عليهم المهلة، فسوا عهد الله وتركوا أمره، وذلك أن الله عهد إلى موسى وقومه عهداً في محمد - ﷺ - والإيمان به، فلما طال عليهم العمر وخلقت القرون من بعد القرون نسوا^(٥) تلك العهود وتركوا الوفاء بها، «وَمَا كُنْتُ» مقيماً «فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» كمقام موسى وشعيب فيهم «تَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِنَا» تذكروهم بالوعد والوعيد^(٦).

قال^(٧) مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على^(٨) أهل مكة خبرهم^(٩) «وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ» في كل زمان رسولاً^(١٠) يعني: أرسلناك رسولاً، وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها، ولم تخبرهم بها^(١١)، «وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ» بناحية الجبل الذي كلم^(١٢) الله عليه موسى «إِذْ نَادَيْنَا» أي: نادينا موسى: خذ الكتاب بقوة. وقال ابن عباس: إذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم: (يا أمة محمد أجبتكم)^(١٣) قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، قال: وإنما قال ذلك حين اختار موسى سبعين رجلاً لميقات ربه^(١٤). وقال وهب: لما ذكر الله لموسى فضل أمة محمد^(١٥) قال موسى: يا رب أرني محمداً، قال: إنك لن تصل إلى ذلك، وإن شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم، قال: بلى يا رب، قال الله تعالى: يا أمة محمد، فأجابوه من أصلاب آبائهم^(١٦).

قوله: «وَلَكِن رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» أي: أَرْسَلْنَاكَ رَحْمَةً، أو أعلمناك^(١٧) بذلك رحمة^(١٨)، أو لكن رحمتنا رحمة بإرسالك وبالوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك^(١٩).

(١) ذكر هذين الوجهين أبو البقاء. انظر التبيان ١٠٢٢/٢.

(٢) حكاه أبو حيان. البحر المحيط ١٢/٧. (٣) مما قبله: سقط من ب.

(٤) قال الفراء: (أي: إنك تتلو على أهل مكة قصص مدين وموسى، ولم تكن هناك ثاوياً مقيماً فترة وتسمعه) معاني القرآن ٣١٣/٢.

(٥) في ب: ونسوا. (٦) انظر البغوي ٣٤٦/٦.

(٧) في ب: وقال.

(٨) في ب: علماً. (٩) انظر البغوي ٣٤٦/٦، الفخر الرازي ٢٥٧/٢٤. (١٠) رسولاً: سقط من ب.

(١١) في ب: يكلم. (١٢) انظر البغوي ٣٤٦/٦.

(١٣) في ب: جنتكم. وهو تحريف. (١٤) انظر الفخر الرازي ٢٥٧/٢٤.

(١٥) في ب: محمد ﷺ. (١٦) انظر البغوي ٣٤٦/٦، الفخر الرازي ٢٥٧/٢٤.

(١٧) في الأصل: أو علمناك. (١٨) انظر التبيان ١٠٢٢/٢.

(١٩) انتصب «رحمة» على المصدر عند الأخفش، فإنه قال: (فنصب «رحمة» على: ولكن رحمتك ربك =

وقرأ عيسى بن عمر وأبو حيوة: «رَحْمَةً» بالرفع^(١)، أي: أنت رحمة^(٢).

قوله: «مَا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ» في موضع الصفة لـ «قَوْمًا»، والمعنى: لتندّر أقواماً ما آتاهم من نذير من قبلك، يعني أهل مكة، «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

قوله^(٣): «وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ» هي الامتناعية، و (أَنْ) وما في حيزها في موضع رفع بالابتداء^(٤)، أي: ولولا أصابتهم مصيبة^(٥)، وجوابها محذوف، فقدره الزجاج: ما أرسلنا إليهم رسلاً^(٦). يعني أن الحامل على إرسال الرسل إزاحة عنهم بهذا القول، فهو كقوله: «لَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ»^(٧) [النساء: ١٦٥]، وقدره ابن عطية: لعاجلناهم^(٨)، ولا معنى لهذا. «فَيَقُولُوا» عطف على «تصيبهم» و «لَوْلَا» الثانية تحضيض^(٩)، و «فتتبع» جوابه^(١٠)، فلذلك نصب بإضمار «أَنْ».

قال الزمخشري: فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب، لا القول لدخول حرف الامتناع عليه دونه؟ قلت: القول هو المقصود بأن^(١١) يكون سبباً للإرسال؛ ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب للإرسال بواسطة القول، فأدخلت عليها (لولا)^(١٢)، وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السبب، ويؤول معناه^(١٣) إلى قولك: ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا، ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي أنهم لو لم^(١٤) يعاقبوا مثلاً على كفرهم عاينوا ما الجثوا به إلى العلم اليقيني ببطلان^(١٥) دينهم لم

= (رحمة) معاني القرآن ٦٥٣/٢: ومفعول لأجله عند الزجاج فإنه قال: (والنصب على معنى: فعلنا ذلك للرحمة، كما تقول: فعلت ذلك ابتغاء الخير، أي: فعلته لابتغاء الخير، فهو مفعول له) معاني القرآن وإعرابه ١٤٧/٤. وقال الكسائي: هي خير (كان) مضرة بمعنى: ولكن كان ذلك رحمة من ربك. انظر مشكل إعراب القرآن ١٦٤/٢، البيان ٢٣٤/٢.

- (١) المختصر (١١٣) البحر المحيط ١٢٣/٧. (٢) انظر الكشف ١٧١/٣، البحر المحيط ١٢٣/٧.
- (٣) في ب: قوله تعالى.
- (٤) في ب: الابتداء.
- (٥) في ب: المصيبة.
- (٦) قال الزجاج: (أي: لولا ذلك لم يحتج إلى إرسال الرسل، ومواترة الاحتجاج) معاني القرآن وإعرابه ١٤٧/٤. وابن عادل تابع لأبي حيان في هذا النقل. انظر البحر المحيط ١٢٣/٧.
- (٧) انظر البحر المحيط ١٢٣/٧.
- (٨) قال ابن عطية (جواب لولا محذوف تقديره: لما أرسلنا الرسل) تفسير ابن عطية ٣٠٧/١١ وابن عادل تابع لأبي حيان في هذا النقل. انظر البحر المحيط ١٢٣/٧.
- (٩) قال أبو عبيدة: «(لولا أرسلت إلينا رسولاً) مجازة: (هلاً) مجاز القرآن ١٠٧/٢.
- (١٠) انظر الكشف ١٧١/٣، البحر المحيط ١٢٣/٧.
- (١١) في الأصل: لأن.
- (١٢) في ب: الواو. وهو تحريف.
- (١٣) في ب: معناها.
- (١٤) في ب: لولا.
- (١٥) في ب: سلطان.

عن محمد وشأنه، فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته، فلما رجع الرُّهط وأخبروهم^(١) بقول اليهود، و^(٢) قالوا: إنه كان ساحراً كما أن محمداً ساحر، فقال تعالى في حقهم: «أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ».

وقال الحسن: كان للعرب أصل في أيام موسى - عليه السلام^(٣) - فمعناه على هذا: أو لم يكفر آبائهم، وقالوا: موسى وهارون ساحران، وقال قتادة: أو لم يكفر اليهود في عصر محمد بما أُوتِيَ موسى من قبل من البشارة بعيسى ومحمد فقالوا ساحران، وقيل^(٤): إن كفار قريش كانوا منكبين لجميع النبوات ثم إنهم لما طلبوا من الرسول معجزات موسى - عليه السلام^(٥) - قال تعالى: «أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ»، بل بما^(٦) أُوتِيَ جميع الأنبياء من قبل، أي: لا غرض لهم من هذا الاقتراح إلا التعت، ثم حكى كيفية كفرهم بما أُوتِيَ موسى^(٧)، وهو قولهم: «سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا»^(٨). قوله: «مِنْ قَبْلُ» إما أن يتعلق بـ «يَكْفُرُوا»، أو بـ «أُوتِيَ» أي^(٩) من قبل ظهورك^(١٠).

قوله: «سَاحِرَانِ» قرأ الكوفيون^(١١) «سِخْرَانِ» أي هما، أي: القرآن والتوراة، أو موسى وهارون، وذلك على المبالغة، جعلوهما^(١٢) نفس السحر، أو على حذف مضاف، أي: ذوا سحرين، ولو صحَّ هذا لكان ينبغي أن يفرد سحر، ولكئنه ثني تنبيهاً على التثنية، وقيل المراد: موسى ومحمد - عليهما السلام^(١٣) - أو^(١٤) التوراة والإنجيل، والباقون: «سَاحِرَانِ» أي: موسى وهارون أو موسى ومحمد^(١٥) كما تقدم.

قوله: «تَظَاهَرَا» العامة على تخفيف الظاء فعلاً ماضياً صفة لـ «سِخْرَانِ» أو «سَاحِرَانِ» أي: تعاونا^(١٦). وقرأ الحسن ويحيى بن الحارث الدُمَاري وأبو حيوة واليزيدي بتشديدها^(١٧)، وقد لحنهم الناس، قال ابن خالويه تشديده^(١٨) لحن، لأنه فعل ماضٍ، وإنما يُشَدَّدُ في المضارع^(١٩)، وقال الهذلي: لا معنى له^(٢٠)، وقال أبو الفضل: لا أعرف

(١) في ب: وأخبروه.

(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٤) في ب: بل إنما.

(٥) في ب: موسى من قبل.

(٦) أي: سقط من الأصل.

(٧) وهم: عاصم وحزمة والكسائي. السبعة (٤٩٥).

(٨) في ب: جعلوها.

(٩) في ب: في ب: و.

(١٠) السبعة (٤٩٥)، الكشف ١٧٤/٢ - ١٧٥، النشر ٣٤١/٢، ٣٤٢، الإنحاف (٣٤٣).

(١١) انظر مجاز القرآن ١٠٧/٢، تفسير غريب القرآن (٣٣٣).

(١٢) المختصر (١١٣)، البحر المحيط ١٢٤/٧.

(١٣) في الأصل: بتشديده.

(١٤) انظر البحر المحيط ١٢٤/٧.

(١٥) المختصر (١١٣).

وجهه^(١). وهذا عجيب من هؤلاء، وقد حذفت نون الرفع في مواضع حتى في الفصيح كقوله عليه السلام^(٢): «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا»^(٣) ولا فرق بين كونها بعد واو، أو ألف، أو ياء، فهذا^(٤) أصله تتظاهران فأدغم وحذفت نونه تخفيفاً^(٥)، وقرأ الأعمش وطلحة وكذا في مصحف عبد الله «اظَّاهِرًا» بهمزة وصل وشذ الظاء^(٦) وأصلها تظاهرا كقراءة العامة، فلما أريد الإدغام سُكِّنَ الأول فاجتلبت^(٧) همزة الوصل^(٨)، واختار أبو عبيدة القراءة بالألف^(٩)، لأن المظاهر^(١٠) بالناس وأفعالهم أشبه منها بأن المراد الكتابين^(١١)، لكن لما كان كل واحد من الكتابين يقوي الآخر لم يبعد أن يقال على سبيل المجاز تعاوننا، كما يقال: تظاهرت الأخبار^(١٢).

قوله: «وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ» أي بما أنزل على محمد وموسى وسائر الأنبياء، وهذا الكلام لا يليق إلا بالمشركون إلا باليهود^(١٣)، ثم قال: قل لهم يا محمد: «فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا» يعني من التوراة والقرآن، وهو مؤيد لقراءة «سِحْرَانِ» أو^(١٤) من كتابيهما على حذف مضاف، وهو مؤيد لقراءة «سَاحِرَانِ»، «أَتْبَعُهُ»، وهذا تنبيه على عجزهم عن الإتيان بمثله.

قوله: «أَتْبَعُهُ» جواب للأمر وهو: «فَأَتُوا»، وقرأ زيد بن علي «أَتْبَعُهُ»^(١٥) بالرفع استثناءً، أي: فانا أتبعه^(١٦).

قوله: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ» استجاب^(١٧) بمعنى أجاب، قال ابن عباس: يريد فإن لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج^(١٨)، وقال مقاتل: فإن لم يمكنهم أن يأتوا بكتاب أفضل منهما، وهذا أشبه بالآية^(١٩)، قال الزمخشري: فإن قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله:

(١) المرجع السابق. (٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) وهو قول ابن مالك، انظر شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (١٧٢ - ١٧٣)، شرح الكافية الشافية ٢٠٩/١ - ٢١٠. والحديث أخرجه مسلم (إيمان) ٧٤/١، الترمذي (استئذان) ٤/١٥٦، أحمد ١/١٦٧، ٢/٣٩١، ٤٤٢، ٤٧٧، ٤٩٥.

(٤) في ب: وهذا. (٥) انظر البحر المحيط ٧/١٢٤.

(٦) المختصر ١١٣، البحر المحيط ٧/١٢٤. (٧) في ب: فاختلف. وهو تحريف.

(٨) المختصر (١١٣)، البحر المحيط ٧/١٢٤. (٩) أي: «ساحران».

(١٠) في الأصل: الظاهر. (١١) في ب: بالكتابين.

(١٢) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٦١. (١٣) المرجع السابق.

(١٤) في ب: و. (١٥) في ب: تبعه.

(١٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٧، البحر المحيط ٧/١٢٤.

(١٧) في ب: فاستجاب. (١٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٦١.

(١٩) المرجع السابق.

٤٠١٠ - فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ^(١)

حيث عدِّي بغير لام^(٢)؟ قلت: هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام، ويحذف الدعاء إذا عدِّي إلى الداعي في الغالب، فيقال: استجاب الله دعاءه أو: استجاب له، ولا يكاد يقال: استجاب له دعاءه، وأما البيت فمعناه: فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف^(٣). وقد تقدم تقرير هذا في البقرة^(٤)، وأن استجاب بمعنى أجاب، والبيت الذي أشار إليه هو:

٤٠١١ - وَذَاعَ دَعَايَا مَنْ يَحِيبُ إِلَى الثُّدَا فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ^(٥)

والناس ينشدونه على تعدّيه بنفسه، فإن قيل: الاستجابة تقتضي دعاء، فأين الدعاء هنا؟ قيل: «فَأَتُوا بِكِتَابٍ» أمر، والأمر دعاء إلى الفعل^(٦)، وقال: «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتِيعُونَ أَهْوَاءَهُمْ» أي صاروا ملتزمين طريقه، ولم يبق شيء^(٧) إلا اتباع الهوى، ثم زيف طريقهم بقوله: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى» وهذا من أعظم الدلائل على فساد التقليد، وأنه لا بد من الحجة والاستدلال^(٨) «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

قوله^(٩): «وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ» العامة على تشديد «وَصَّلْنَا» إما من الوصل ضد القطع أي: تابعنا بعضه ببعض^(١٠). قال الفراء: أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضاً^(١١)، وأصله من وصل الجبل، قال:

٤٠١٢ - فَقُلْ لِبَنِي مَرْوَانَ مَا بَالَ ذِمَّتِي بِحَبْلِ ضَعِيفٍ لَا يَزَالُ يُوَصَّلُ^(١٢)

(١) سيأتي تخريجه بعد.

(٢) الكشاف ١٧٣/٣.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي...﴾ [البقرة: ١٨٦]. انظر الباب ١/٣٧٤.

(٥) البيت من بحر الطويل قاله كعب بن سعد الغنوي، وهو في مجاز القرآن ١/٦٧، ٢/١٠٧، الأصمعيات ٩٦، الاقتضاب ٣/٣٩٩، المسائل العسكرية للفارسي (١٥٥)، أمالي ابن الشجري ١/٦٢، اللسان (جوب). البحر المحيط ٧/١٢٤، شرح شواهد الكشاف (١٠)، والشاهد فيه قوله: (فلم يستجبه) فإنه بمعنى (لم يجبه) وهو متعد بدون حرف الجر.

(٦) انظر الكشاف ٣/١٧٣، الفخر الرازي ٢٤/٢٦١.

(٧) في ب: نبي. وهو تحريف.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٦١.

(٩) في ب: قوله تعالى.

(١٠) انظر مجاز القرآن ٢/١٠٨، تفسير غريب القرآن (٣٣٣).

(١١) معاني القرآن ٢/٣٠٧.

(١٢) البيت من بحر الطويل، قاله الأخطل، وهو في ديوانه (٢٧١)، مجاز القرآن ٢/١٠٨، القرطبي ١٣/٢٩٥، البحر المحيط ٧/١٢٥. والشاهد فيه قوله: (يوصّل)، أي: أن العلاقة بيني وبينكم غير قوية.

وإما^(١): جعلناه أوصالاً أي: أنواعاً من المعاني - قاله مجاهد^(٢) - وقرأ الحسن بتخفيف الصاد^(٣) وهو قريب مما تقدم، قال ابن عباس ومقاتل: وَصَلْنَا: بَيْنًا لِكِفَارِ مَكَّةَ - بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية - كيف عذبوا بتكذيبهم^(٤)، وقال ابن زيد: وصلنا لهم القول: خبر الدنيا بخبر الآخرة، حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا^(٥) «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»، ثم لما أقام الدلالة^(٦) على النبوة أكد ذلك بقوله: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ»^(٧).

قوله: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ» مبتدأ و «هُمْ» مبتدأ ثان و «يُؤْمِنُونَ» خبره، والجملة خبر الأول^(٨)، و «بِهِ» متعلق بـ «يُؤْمِنُونَ»، وقد يُعَكَّرُ^(٩) على الزمخشري وغيره من أهل البيان، حيث قالوا: التقديم يفيد الاختصاص وهنا لا يتأتى ذلك، لأنهم لو خصّوا إيمانهم بهذا الكتاب فقط لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد وقد أبدى أهل البيان هذا في قوله: ﴿إِنَّمَا يَوْمَ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩] فقالوا: لو قدّم «به» لأوهم الاختصاص بالإيمان بالله وحده دون ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذا بعينه جارٍ هنا، والجواب: أن الإيمان بغيره معلوم فانصبَّ الغرض إلى الإيمان بهذا.

فصل

قوله: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ» أي من قبل محمد - ﷺ - وقيل: من قبل القرآن «هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ»، قال قتادة: نزلت في (أناس من) أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه^(١١). وقال مقاتل: هم أصحاب السفينة الذين قدموا من الحبشة أربعين رجلاً من أهل الإنجيل وآمنوا بمحمد - ﷺ -^(١٢).

قال سعيد بن جبیر: قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي ﷺ^(١٣) فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا: يا نبي الله إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا انصرفنا فجعنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها، فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل فيهم «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» إلى قوله: «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^(١٤)، وعن ابن عباس قال: نزلت^(١٥) في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنتان وثلاثون من الحبشة وثمانية

(٩) في ب: تفكر. وهو تحريف.

(١٠) في النسختين: موسى. والتصويب من الفخر الرازي.

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٦٢.

(١٢) انظر البغوي ٦/٣٥٠.

(١٣) في ب: ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم.

(١٤) انظر البغوي ٦/٣٥٠.

(١٥) في ب: أنها نزلت.

(١) في ب: وإما من.

(٢) انظر البحر المحيط ٧/١٢٥.

(٣) المختصر (١١٣).

(٤) انظر البغوي ٦/٣٤٩ - ٣٥٠.

(٥) انظر البغوي ٦/٣٥٠.

(٦) في ب: الدلائل.

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٦٢.

(٨) انظر التبيان ٢/١٠٢٢.

من الشام^(١)، وقال رفاعه^(٢): نزلت في عشرة أنا أحدهم، وصفهم الله فقال: «إِذَا يُنْزَلُ عَلَيْهِمْ» يعني: القرآن، قالوا: «أَمَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ»، وذلك أن النبي - ﷺ - كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، أي كنا من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله التوحيد مؤمنين بمحمد - ﷺ - أنه نبي حق^(٣).

قوله: «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ» منصوب على المصدر^(٤)، و «بِمَا صَبَرُوا» ما مصدرية^(٥) والباء متعلق بـ^(٦) يُؤْتَوْنَ^(٧) (أو بنفس الأجر. ومعنى «مَرَّتَيْنِ» أي: بإيمانهم بمحمد قيل بعثته^(٨)، وقيل: يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ^(٩) مرتين لإيمانهم بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر^(١٠)، وقيل: لإيمانهم بالأنبياء الذين كانوا قبل محمد - عليه السلام^(١١) - ومرتة بإيمانهم بمحمد - ﷺ^(١٢) - وقال مقاتل: لما آمنوا بمحمد - ﷺ - شتمهم المشركون، فصفحوا عنهم فلهم^(١٣) أجران، أجر على الصفح وأجر على الإيمان^(١٤)، وقوله «بِمَا صَبَرُوا» أي على دينهم، قال مجاهد: نزلت في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأودوا^(١٥).

قوله: «وَيَذَرُوهُنَّ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ» أي بالطاعة المعصية المتقدمة، قال ابن عباس: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك^(١٦)، وقال مقاتل^(١٧): يدفعون ما سمعوا من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو^(١٨)، وَمِمَّا زَرَفْنَاهُمْ يُفْقَهُونَ، في الطاعة. قوله: وإذا سمعوا اللغو وهو القبيح من القول أعرضوا عنه، وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني^(١٩) أهل الكتاب، ويقولون تباً لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم^(٢٠)، «وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ»، لنا ديننا ولكم دينكم، «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ»، ليس المراد سلام التحية ولكنه سلام المتارك، ومعناه: سَلِمْتُمْ مِنَّا لا نعارضكم بالشتم والقبح، ونظيره «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» [الفرقان: ٦٣]. ثم أكد ذلك تعالى بقوله حاكياً عنهم «لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ»، أي: دين الجاهلين، أي: لا نحب دينكم الذي

(١) انظر البغوي: ٣٥٠/٦.

(٢) هو رفاعه بن خديج، صحب النبي - ﷺ - وعمه ظهير بن رافع وابنه أسيد بن ظهير قد روي عن النبي - ﷺ - المعارف لابن قتيبة (٣١٧).

(٣) انظر البغوي ٣٥١/٦. (٤) انظر التبيان ١٠٢٣/٢.

(٥) ما: سقط من ب. (٦) في ب: بنفس.

(٧) في ب: يؤتون أجرهم مرتين. (٨) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٦٢.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب. (١٠) انظر البغوي ٣٥١/٦.

(١١) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٢) في ب: عليه الصلاة والسلام، وانظر الفخر الرازي ٢٤/٢٦٢.

(١٣) في ب: فلم. (١٤) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٦٢.

(١٥) انظر البغوي ٣٥١/٦. (١٦) المرجع السابق.

(١٧) في ب: وقال تعالى. وهو تحريف. (١٨) انظر البغوي ٣٥١/٦.

(١٩) في ب: يسمعون موسى. (٢٠) انظر البغوي ٣٥٢/٦.

أنتم عليه^(١)، وقيل: لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه^(٢)، قيل: نسخ ذلك بالأمر بالقتال، وهو بعيد، لأن ترك المسافهة مندوب، وإن كان القتال واجباً^(٣)^(٤). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نُخَطِّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا مَأْمُونًا يُجِئُوهُ إِلَيْهِ يَمَتِّرُوهُ كُلَّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطَرَتْ مَعِيشَتُهُمْ فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ يَنْصُرُوا مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي: أحببت هدايته، وقيل: أحببته لقربته، قال المفسرون: نزلت في أبي طالب قال له النبي - ﷺ - قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش، تقول: إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله هذه الآية^(٥).

فصل

قال في هذه الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وقال في آية أخرى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ولا تنافي فإن الذي أثبتته وأضافه إليه الدعوة، والذي نفاه عنه هداية التوفيق وشرح الصدور، وهو نور يقذف في القلب فيجيء به القلب كما قال^(٦) سبحانه ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (٧) [الأنعام: ١٢٢].

فصل

احتج أهل السنة بهذه الآية في مسألة الهدى والضلال، فقالوا: قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يقتضي أن تكون الهداية في الموضعين بمعنى واحد لأنه لو كان المراد من الهداية في قوله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾ شيئاً، وفي قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ شيئاً آخر لاختل النظم، ثم إما أن يكون المراد من الهداية بيان الأدلة

(٢) المرجع السابق.

(١) انظر البغوي ٦/٣٥٢.

(٤) ما بين القوسين في ب: واجب. وهو تحريف.

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٤/٢٦٢.

(٥) أخرجه البخاري (جناز) ١/٢٣٥، مسلم (إيمان) ١/٥٥، أحمد ٣/٤٣٤، ٥٤٤١ وانظر أسباب

النزول للواحدي (٢٥١ - ٢٥٢).

(٧) انظر الفخر الرازي ٢٥/٣.

(٦) في ب: قاله.

والدعوة إلى الجنة، أو تعريف طريق الجنة أو خلق المعرفة على سبيل الإلجاء، (أو خلق المعرفة في القلوب لا على سبيل الإلجاء)^(١) لا جائز أن يكون المراد (بيان الأدلة، لأنه عليه السلام هدى الكل بهذا المعنى فهي غير)^(٢) الهداية التي نفى الله عمومها وكذا القول في الهداية بمعنى الدعوة إلى الجنة، وأما الهداية بمعنى تعريف الجنة فهي أيضاً غير مرادة، لأنه تعالى علّق هذه الهداية على المشيئة. فمن وجب عليه أداء عشرة دنائير لا يقول أعطي عشرة دنائير إن شئت، وأما الهداية بمعنى الإلجاء والقسر فغير جائز. لأن ذلك عندهم قبيح من الله تعالى في حق المكلف، وفعل القبيح مستلزم^(٣) للجهل أو الحاجة وهما محالان، ومستلزم^(٤) المحال محال، فذلك محال من الله والمحال لا يجوز تعليقه على المشيئة، ولما بطلت الأقسام لم يبق إلا أن المراد أنه تعالى يخص البعض بخلق الهداية والمعرفة ويمتنع البعض منها ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٣] وإذا أورد الكلام^(٥) على هذا الوجه سقط ما أورده^(٦) القاضي عذراً عن ذلك^(٧).

قوله: «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» أي أنه المختص بعلم الغيب فيعلم من^(٨) يهتدي ومن لا يهتدي، ثم إنه تعالى حكى عنهم شبهة أخرى متعلقة بأحوال الدنيا وهي قولهم: إن تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَخْطُفُ مِنْ أَرْضِنَا^(٩)، قال المبرد: الخطف الانتزاع بسرعة^(١٠) نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي - ﷺ - إنا لنعلم أن الذي تقوله حق ولكننا إن اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرضنا مكة، فأجاب الله^(١١) عنه من وجوه الأول: قوله: «أَوْ لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا»، أي أعطاكم مسكناً لا خوف لكم فيه، إما لأن العرب يحترمون الحرم ولم يتعرضوا لسكانه، فإنه يروى أن العرب خارج الحرم كانوا لا يتعرضون لسكان الحرم^(١٢).

قوله: «تَخْطُفُ» العامة على الجزم جواباً للشرط، والمنقري بالرفع^(١٣)، على حذف الفاء، كقوله:

٤٠١٣ - مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهَا^(١٤)

- (١) ما بين القوسين سقط من ب. (٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.
(٣) في الأصل: ملترزم. (٤) في الأصل: وملترزم.
(٥) في ب: هذا الكلام. (٦) في ب: ما أورد.
(٧) انظر الفخر الرازي ٣/٢٥ - ٤. (٨) في ب: بمن.
(٩) انظر الفخر الرازي ٤/٢٥. (١٠) المرجع السابق.
(١١) في ب: الله تعالى.
(١٢) انظر الفخر الرازي ٤/٢٥، وأسباب النزول للواحدي ٢٥٢.
(١٣) انظر البحر المحيط ١٢٦/٧.
(١٤) صدر بيت من بحر البسيط، قاله حسان بن ثابت، أو عبد الرحمن بن حسان، وعجزه:
والنشر بالشعر عند الله مثلاًن

وكقراءة «يُذَرِكُكُمْ»^(١) بالرفع^(٢)، أو على التقديم وهو مذهب سيبويه^(٣).

قوله: «أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا» قال أبو البقاء عداه بنفسه لأنه بمعنى «جَعَلَ» وقد صرح به في قوله «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا»^(٤) [العنكبوت: ٦٧] و«مَكَّنْ» متعد بنفسه من غير أن يضمَّن معنى «جَعَلَ» كقوله «مَكَّنَّاهُمْ»^(٥)، وتقدم تحقيقه في الأنعام وآمنًا قيل بمعنى مؤمن أي: يؤمن من دخله^(٦)، وقيل: هو على حذف مضاف، أي: آمنًا أهله، وقيل فاعل بمعنى النسب أي، ذا أمن^(٧).

قوله: «يُجَبِّي» قرأ نافع بتاء التانيث مراعاة للفظ ثمرات، والباقون بالياء^(٨) للفصل ولأن تأنيثه مجازي والجملة صفة لـ «حَرَمًا» أيضاً^(٩)، وقرأ العامة: «ثَمَرَاتٌ» بفتحيتين^(١٠) وأبان بضميتين^(١١) جمع ثمر بضميتين، وبعضهم بفتح وسكون^(١٢).

قوله: «رِزْقًا» إن جعلته مصدرًا جاز انتصابه على المصدر المؤكد، لأن معنى «يُجَبِّي» إليه» يرزقهم وأن ينتصب على المفعول له^(١٣)، والعامل محذوف، أي يسوقه^(١٤) إليه رزقًا، وأن يكون في موضع الحال من «ثَمَرَاتٍ» لتخصصها بالإضافة، (كما ينتصب عن النكرة المخصصة)^(١٥)، وإن جعلته اسمًا للمرزوق^(١٦) انتصب على الحال من

= وتقدم تخريجه. والشاهد فيه هنا قوله: (الله يشكرها) حيث حذفت الفاء من جواب الشرط للضرورة، والأصل: فالله يشكرها.

(١) في النسختين: يدرِّكُم. من قوله تعالى: «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ» [النساء: ٧٨].

(٢) وهي قراءة طلحة بن حسان. المختصر (٢٧).

(٣) قال سيبويه: (وسأله عن قوله: «إِن تَأْتِي أَنَا كَرِيمٌ»، فقال: لا يكون هذا إلا أن يضطر شاعر، من قبل أنا كريم يكون كلاماً مبتدأ، والفاء وإذا لا يكونان إلا متعلقين بما قبلهما فكرهوا أن يكون هذا جواباً حيث لم يشبه الفاء) الكتاب ٦٤/٣، وقال: (...) فإن قلت: إن تأتني زيد يقل ذلك، جاز على قول من قال: زيداً ضربته، وهذا موضع ابتداء، ألا ترى أنك لو جئت بالفاء فقلت: إن تأتني فأنا خير لك، كان حسناً، وإن لم يحمله على ذلك رفع وجاز في الشعر كقوله: الله يشكرها) الكتاب ١١٤/٣.

(٤) [العنكبوت: ٦٧]. وانظر التبيان ١٠٢٤/٢.

(٥) من قوله تعالى: «أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ» [الأنعام: ٦].

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٣٠٨/٢، التبيان ١٠٢٤/٢.

(٧) انظر التبيان ١٠٢٤/٢، القرطبي ٣٠/١٣.

(٨) السبعة (٤٩٥)، الكشف ١٧٥/٢، النشر ٣٤٢/٢، الإتحاف ٣٤٣.

(٩) أيضاً: سقط من ب. (١٠) في الأصل: بالفتحتين.

(١١) المختصر (١١٣)، المحتسب ١٥٣/٢، البحر المحيط ١٢٦/٧.

(١٢) «ثَمَرَاتٍ» المختصر (١١٣)، البحر المحيط ١٢٦/٧، ولم تزل إلى قارىء معين.

(١٣) له: سقط من ب. (١٤) في ب: يسوق.

(١٥) ما بين القوسين سقط من ب. (١٦) في: للمرزق.

«ثَمَرَاتٍ»^(١) ومعنى «يُجْبَى»، أي يجلب ويجمع، يقال: جبيت الماء في الحوض أي: جمعته^(٢) قال مقاتل: يحمل إلى الحرم «ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» أن ما نقوله حق.

قوله: «وَكُنْمُ أَهْلِكُنَا مِنْ قَرْيَةٍ» أي: من أهل قرية «بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا»، قال الزمخشري: البطر سوء احتمال الغنى، وهو أن لا يحفظ حق الله تعالى^(٣)، وانتصب «مَعِيشَتَهَا» إما بحذف الجار واتصال الفعل^(٤) كقوله: «وَأَخْبَارَ مَوْسَى قَوْمَهُ» [الأعراف: ١٥٥]، أو بتقدير حذف ظرف الزمان، أصله: بطرت أيام مَعِيشَتَهَا^(٥)، وإما بتضمين «بَطَرَتْ» معنى كفرت أو خسرت^(٦) أو على التمييز^(٧) أو على التشبيه بالمفعول به^(٨)، وهو قريب من «سَفِهَ نَفْسَهُ»^(٩). قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله، وعبدوا غيره^(١٠).

قوله: «فَبِئْسَ مَسَاكِينُكُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا» قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافرون، وماز الطريق يوماً أو ساعة^(١١). معناه: لم تسكن من بعدهم إلا سكوناً يسيراً قليلاً، وقيل: لم يعمّر منها إلا أقلها وأكثرها خراب^(١٢)، فقوله: «لَمْ تَسْكُنْ» جملة حالية، والعامل فيها معنى تلك^(١٣)، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً^(١٤)، و «إِلَّا قَلِيلًا» أي: إلا سكنى قليلاً^(١٥)، أو^(١٦) إلا زماناً قليلاً^(١٧)، أو إلا مكاناً قليلاً^(١٨). «وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» كقوله: «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا» [مريم: ٤٠].

قوله: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ» يعني القرى الكافرة أهلها حتى نبعث في أمّها رسولاً، أي في أكثرها وأعظمها رسولاً يندّرهم وخصّ الأعظم ببعثة الرسول فيها لأن الرسول يبعث إلى الأشراف، والأشراف يسكنون المدائن والمواضع التي هي أم ما

(١) انظر الكشاف ١٧٤/٣، البحر المحيط ١٢٦/٧.

(٢) انظر الفخر الرازي ٤/٢٥. (٣) انظر الكشاف ١٧٤/٣.

(٤) المرجع السابق.

(٥) انظر الكشاف ١٧٤/٣، وعزاه أبو حيان إلى الزجاج. انظر البحر المحيط ١٢٦/٧.

(٦) أي: خسرت معيشتها. وعزاه أبو حيان إلى أكثر البصريين. انظر البحر المحيط ١٢٦/٧.

(٧) على مذهب الكوفيين، انظر معاني القرآن للفراء ٣٠٨/٢، البحر المحيط ١٢٦/٧.

(٨) وعزاه أبو حيان إلى بعض الكوفيين. انظر البحر المحيط ١٢٦/٧.

(٩) من قوله تعالى: «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» [البقرة: ١٣٠].

(١٠) انظر البغوي ٣٥٥/٦. (١١) انظر الكشاف ١٧٥/٣، الفخر الرازي ٦/٢٥.

(١٢) انظر البغوي ٣٥٥/٦. (١٣) في ب: تلك معنى تلك.

(١٤) انظر التبيان ١٠٢٣/٢. (١٥) انظر الكشاف ١٧٥/٣.

(١٦) في ب: و. (١٧) انظر التبيان ١٠٢٣/٢.

(١٨) فيكون الاستثناء من المساكن. البحر المحيط ١٢٦/٧.

حولها^(١)، وهذا بيان لقطع عذرهم، لأن عدم البعثة يجري مجرى العذر للقوم، فوجب ألا يجوز إهلاكهم إلا بعد البعثة.

وقوله: «يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» أي: يؤدي ويبلغ، قال مقاتل: يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا^(٢)، «وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون»: مشركون أي: أهلكهم بظلمهم، وأهل مكة ليسوا كذلك، فإن بعضهم قد آمن وبعضهم قد علم الله منهم أنهم وإن لم يؤمنوا لكنه يخرج من نسلهم من يؤمن^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرْسِلُ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠) «أَفَن وَعَدْتُهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيْلٌ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ﴾ (١١) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿١٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾ فَعِمَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١٦)

قوله^(٤): «وَمَا أُرْسِلُ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا»، أي فهو متاع، وقرئ فمتاعاً الحياة بنصب «متاعاً»^(٥) على المصدر، أي: يتمتعون^(٦) متاعاً، «والحياة» نصب على الظرف^(٨)، والمعنى: يتمتعون بها أيام حياتهم ثم هي إلى فناء وانقضاء^(٩) «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى»، هذا^(١٠) جواب عن شبهتهم فإنهم إن قالوا تركنا^(١١) الدين لثلاث تفوتنا الدنيا، فبيّن تعالى أن ذلك خطأ عظيم، لأن ما عند الله خير وأبقى (أما أنه خير)^(١٢) فلوجهين^(١٣): الأول: أن المنافع هناك أعظم، والثاني: أنها خالصة عن الشوائب ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار، بل المضار فيها أكثر، وأما أنها^(١٤) أبقى، فلأنها^(١٥) دائمة غير منقطعة ومتى قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عدماً فظهر بذلك أن منافع الدنيا لا نسبة لها إلى منافع الآخرة، فلا جرم نبه على ذلك فقال: «أَفْلا تَعْقِلُونَ» أن الباقي خير من

(٢) المرجع السابق.

(١) انظر البغوي ٦/٣٥٥.

(٤) في ب: قوله تعالى.

(٣) انظر الفخر الرازي ٦/٢٥.

(٥) في الأصل: فما.

(٦) المختصر (١١٣)، البحر المحيط ٧/١٢٧، غير معزوة إلى قارئ.

(٨) انظر البحر المحيط ٧/١٢٧.

(٧) في ب: يتمتعوا.

(١٠) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٧/٢٥.

(٩) انظر البغوي ٦/٣٥٦.

(١٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

(١١) في ب: إن تركنا.

(١٣) في النسختين من وجهين والتصويب من الفخر الرازي.

(١٥) في ب: فإنها. وهو تحريف.

(١٤) في ب: لأنها. وهو تحريف.

الفاني يعني أن من لا يرجح منافع الآخرة على منافع الدنيا كأنه يكون خازجاً عن حد العقل، ورحم الله الشافعي حيث قال: من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف ذلك الثلث إلى المشتغلين بطاعة الله - تعالى - لأن أعقل الناس من أعطي القليل وأخذ الكثير وما هم إلا المشتغلين بالطاعة، فكأنه رحمه الله إنما أخذه من هذه الآية^(١). وقرأ أبو عمرو «أَفَلَا يَعْلَمُونَ» بالياء من تحت التفاتاً، والباقون بالخطاب^(٢) جرياً^(٣) علي ما تقدم.

قوله^(٤): «أَقْمَنَ وَعَدْنَاهُ» قرأ طلحة «أَمِنَ وَعَدْنَاهُ» بغير فاء^(٥) «وَعَدْنَا حَسَنًا» يعني الجنة «فَهُوَ لِأَقْيَمِهِ» مصيبه ومدركه وصائر إليه «كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وتزول عن قريب «ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ» النار^(٦)، وقرأ الكسائي وقالون: «ثُمَّ هُوَ» بسكون الهاء إجراء لها مجرى الواو والفاء، والباقون بالضم على الأصل^(٧)، وتخصيص لفظ «الْمُخْضَرِّينَ» بالذين أحضروا للعذاب أمر عرف من القرآن، قال تعالى «لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ» [الصفافات: ٥٧] «يَأْتِيهِمْ لُخْضَرُونَ» [الصفافات: ١٢٧] وفي اللفظ إشعار به، لأن الإحضار يشعر بالتكليف والإلزام، وذلك لا يليق بمجالس اللذة، وإنما يليق بمجالس الضرر والمكاره^(٨). قوله^(٩): «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» في الدنيا أنهم شركائي وتزعمون أنها تشفع فتخلصكم من هذا الذي نزل بكم، وتزعمون مفعولاه محذوفان^(١٠) أي: (تزعمونهم شركاءه^(١١))^(١٢)، «قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» أي: وجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة وقيل: الشياطين^(١٣).

قوله: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا» فيه وجهان:

أحدهما: أن هؤلاء مبتدأ، والَّذِينَ أَغْوَيْنَا صفة والعائد محذوف، أي أغويناهم، والخبر «أَغْوَيْنَاهُمْ»^(١٤)، و «كَمَا غَوَيْنَا» نعت لمصدر محذوف، ذلك المصدر مطاوع لهذا الفعل أي فغوا غيًّا كما غوينا، قاله^(١٥) الزمخشري^(١٦)، وهذا الوجه منعه أبو علي،

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٧/٢٥.

(٢) السبعة (٤٩٥) الكشف ١٧٥/٢، النشر ٣٤٢/٢، الإتحاف ٣٤٣.

(٣) في الأصل: جواباً.

(٤) في ب: قوله تعالى.

(٥) انظر البحر المحيط ١٢٧/٧.

(٦) السبعة (١٥١) الكشف ٢٣٤/١ - ٢٣٥، الكشف ١٧٥/٣ - ١٧٦، التبيان ١٠٢٤/٢.

(٧) انظر الفخر الرازي ٧/٢٥.

(٨) في ب: مفعولاً محذوفاً. وهو تحريف.

(٩) انظر الكشف ١٧٦/٣، البيان ٢٣٥/٢، البحر المحيط ١٢٨/٧.

(١٠) ما بين القوسين في ب: تزعمونه شركاء.

(١١) انظر الكشف ١٧٦/٣، الفخر الرازي ٨/٢٥.

(١٢) في ب: أغوينا.

(١٣) في النسختين: قال. والصواب ما أثبتته.

(١٤) انظر الكشف ١٧٦/٣.

قال: لأنه ليس في الخبر زيادة فائدة على ما في صفته، قال: فإن قلت: قد أوصل بقوله كما غوينا وفيه زيادة، قلت: الزيادة في الظرف^(١) لا يصيرُه أصلاً في الجملة لأنَّ الظروف^(٢) صلات^(٣)، ثم أعرب هو «هؤلاء» مبتدأ و «الَّذِينَ أَغْوَيْنَا» خبره، و «أَغْوَيْنَاهُمْ» مستأنف، وأجاب أبو البقاء وغيره عن الأول بأن الظرف قد يلزم كقولك زيدٌ عمرو في داره^(٤).

فصل

المعنى: هؤلاء الذين دعوناهم إلى الغي وهم الأتباع «أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا» أضللناهم كما ضللنا «تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ» منهم.
قوله: «مَا كَانُوا إِلَّا نَا يَعْبُدُونَ» إيانا مفعول «يَعْبُدُونَ» قُدِّمَ لأجل الفاصلة^(٥) وفي «ما» وجهان:

أحدهما: هي نافية (أي تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا)^(٦).
والثاني^(٧): مصدرية ولا بد من تقدير^(٨) حرف جر أي: تبرأنا مما كانوا أي من عبادتهم إيانا، وفيه بعد^(٩).

قوله: «وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ» أي: وقيل للكافرين ادعوا شركاءكم، أي: الأصنام لتخلصكم من العذاب «فَدَعَوْهُمْ» (فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا)^(١٠) لَهُمْ لم يجيبوهم، والأقرب أن هذا على سبيل التقرير، لأنهم يعلمون أنه لا فائدة في دعائهم لهم^(١١).

قوله: «لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا» جوابها محذوف أي: لما رأوا العذاب، أو لدفعوه، قال الضحاك^(١٢) ومقاتل: يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما أبصروا في الآخرة، وقيل: لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا لعلموا أنَّ العذاب حق، وقيل: لو كانوا^(١٣) يهتدون لوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب. وقيل قد آن لهم أن

(١) في ب: الظرف. وهو تصحيف. (٢) في الأصل: الظرف.

(٣) انظر التبيان ١٠٢٤/٢، البحر المحيط ١٢٨/٧.

(٤) قال أبو البقاء: (وقال غيره، وهو الوجه الثاني: لا يمتنع أن يكون «هؤلاء» مبتدأ و «الذين» صفة، و «أَغْوَيْنَاهُمْ» الخبر من أجل ما اتصل به، وإن كان ظرفاً، لأن الفضلات في بعض المواضع تلزم كقولك: زيد «عمرو» في داره). التبيان ١٠٢٤/٢.

(٥) في ب: المفاصلة. (٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) في النسختين: والثانية. (٨) في ب: تقدم. وهو تحريف.

(٩) ذكر الوجهين ابن الأنباري في البيان، وعقب بقوله: (والوجه الأول أوجه الوجهين)، البيان ٢٣٥/٢، وانظر التبيان ١٠٢٤/٢.

(١٠) ما بين القوسين في ب: فليستجيبوا. (١١) انظر الفخر الرازي ٩/٢٥.

(١٢) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٩/٢٥.

(١٣) في ب: لو أنهم.

يهتدوا لو أنهم كانوا يهتدون إذا رأوا العذاب ويؤكد ذلك قوله «لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ»^(١) قال ابن الخطيب: وعندي أن الجواب غير محذوف وفي تقديره وجوه:

أحدها: أن الله تعالى لما خاطبهم بقوله ﴿أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ فهاهنا يشتد الخوف عليهم ويصيرون بحيث لا يرون شيئاً، فقال تعالى: ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ شيئاً ولما صاروا من شدة الخوف لا يبصرون شيئاً لا جرم ما رأوا العذاب.

وثانيها: أن الله تعالى لما ذكر عن الشركاء وهم الأصنام الذين لا يجيبون الذين دعوهم، قال في حقهم: «وَرَأَوْا^(٢) الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ» مشاهدين العذاب، وكانوا من الأحياء لاهتدوا، ولكنها ليست كذلك، فلا جرم ما رأوا العذاب فإن قيل: قوله: «وَرَأَوْا الْعَذَابَ» ضمير^(٣) لا يليق إلا بالعقلاء، وكيف يصح^(٤) عوده للأصنام، قلنا: هذا كقوله: فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ، وإنما أورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذا هاهنا.

وثالثها: أن يكون المراد من الرؤية رؤية القلب^(٥)، أي: والكفار علموا حقيقة هذا^(٦) العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون، قال: وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه المبنية على أن جواب «لو» محذوف، فإن ذلك يقتضي تفكيك نظم^(٧) الآية^(٨).

قوله: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ» أي: يسأل الله الكفار «مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ»، فعميت، العامة على تخفيفها، وقرأ الأعمش وجناح بن حبيش بضم العين وتشديد الميم^(٩)، وتقدمت القراءتان للسبعة في هود^(١٠)، والمعنى: خفيت واشتبهت «عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ» وهي الأخبار والأعداء، وقال مجاهد: الحجج يومئذ فلا يكون لهم عذر ولا حجة^(١١)، فهم لا يتساءلون لا يجيبون وقال قتادة: لا يحتجون^(١٢)، وقيل: يسكتون^(١٣) لا يسأل بعضهم بعضاً^(١٤) وقرأ طلحة «لا يتساءلون» بتشديد السين على إدغام التاء في السين^(١٥)، كقراءة ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(١٦) [النساء: ١].

(١) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٩/٢٥. (٢) في ب: رأوا.

(٣) ضمير: تكلمة من الفخر الرازي. (٤) في الأصل: يليق.

(٥) في الأصل: العذاب. (٦) هذا سقط من ب.

(٧) في ب: النظم. (٨) الفخر الرازي ٩/٢٥.

(٩) المختصر (١١٣)، تفسير ابن عطية ٣٢١/١١ - ٣٢٢، البحر المحيط ١٢٩/٧.

(١٠) عند قوله تعالى: «فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون» [هود: ٢٨].

(١١) انظر البغوي ٣٥٨/٦. (١٢) المرجع السابق.

(١٣) في ب: لا يسكتون. (١٤) انظر البغوي ٣٥٨/٦.

(١٥) المختصر (١١٣)، البحر المحيط ١٢٩/٧.

(١٦) قرأ بها ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو في رواية، وذلك لإدغام التاء الثانية في السين. السبعة

(٢٢٦)، الكشف ٢٧٥/١.

فصل (١)

قال القاضي: هذه الآية تدل على بطلان قول الجبرية، لأن فعلهم لو كان خلقاً من الله ويوجب وقوعه بالقدرة والإرادة لما عميت عليهم الأنبياء ولقالوا إننا كذبنا الرسل من جهة خلقك فينا بتكذيبهم والقدرة الموجبة لذلك فكانت حجتهم على الله تعالى ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم، لأن الشيطان كان له أن يقول إنما أغويت بخلقك^(٢) في الغواية، والجواب: أن علم الله بعدم الإيمان مع وجود الإيمان متنافيان لذاتهما، فمع العلم بعدم الإيمان إذا أمرنا بإدخال الإيمان في الوجود فقد أمرنا بالجمع بين الضدين، واعلم أن القاضي لا يترك آية من الآيات المشتملة على المدح والذم والعقاب إلا يعيد استدلاله بها، كما أن وجه^(٣) استدلاله في الكل هذا الحرف، فكذا وجه جوابنا حرف واحد، وهو كما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٧٠﴾

قوله: «فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ» لما بين حال المعذبين أتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيباً في التوبة^(٤)، وزجراً عن الثبات على^(٥) الكفر، وفي «عسى» وجوه:

أحدها: أنه من الكرام حقيق، والله أكرم الأكرمين.

وثانيها: أنها للترجي للتائب وطمعه^(٦)، كأنه قال: فليطمع في الفلاح.

وثالثها: عسى أن يكونوا كذلك إذا داموا على التوبة والإيمان، لجواز أن لا يدوموا^(٧).

قوله: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ» نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِثِيِّينَ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، يعني الوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود الثقفي، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم^(٨).

(١) هذا الفصل نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ١٠/٢٥.

(٢) في ب: خلقك. (٣) وجه: سقط من ب.

(٤) في ب: في بالتوبة. وهو تحريف. (٥) في ب: في.

(٦) في ب: وطمعه. وهو تحريف. (٧) انظر الفخر الرازي ١٠/٢٥.

(٨) انظر الفخر الرازي ١٠/٢٥، أسباب النزول للواحدي (٢٥٢).

قوله: «مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ» فيه وجوه:

أحدها: أَنَّ ما نافية، فالوقف على «يَخْتَارُ»^(١).

والثاني: ما مصدرية أي يختار اختيارهم، والمصدر^(٢) واقع موقع المفعول، أي مختارهم^(٣).

الثالث: أن يكون بمعنى «الذي» والعائد محذوف، أي ما كان لهم الخيرة فيه^(٤) كقوله: «وَلَمْ يَصِرْ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» [الشورى: ٤٣] أي منه^(٥)، وجوز ابن عطية أن تكون كان تامة، ولهم الخيرة جملة مستأنفة، قال: ويتجه عندي أن يكون ما مفعول إذا قدرنا كان^(٦) التامة، أي: إن الله يختار كل كائن، ولهم الخيرة مستأنف معناه: تعديد النعم عليهم في اختيار الله لهم لو قبلوا^(٧). وجعل بعضهم^(٨) في كان ضمير الشأن، وأنشد:

٤٠١٤ - أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعِ الْعَيْنِ تَذْرِيفُ لَوْ كَانَ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ^(٩)

ولو كان ذا اسمها لقال معروفاً، وابن عطية منع ذلك في الآية، قال: لأن تفسير الأمر والشأن لا يكون بجملة فيها محذوف^(١٠)، كأنه يريد أن الجار متعلق بمحذوف وضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة مصرح بجزئيتها^(١١) إلا أن في هذا نظراً^(١٢) إن أراد، لأن هذا الجار قائم مقام الخبر ولا أظن أحداً يمنع: هو السلطان في البلد، وهي الدار، والخيرة: من التخير كالطيرة من التطير فيستعملان استعمال المصدر^(١٣)، وقال الزمخشري «مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ» بيان لقوله «وَيَخْتَارُ»، لأن معناه: ويختار ما يشاء ولهذا

(١) ورجحه مكّي قال: (لأن كونها للنفي يوجب عموم جميع الأشياء في الخير والشر، أنها حدثت بقدر الله واختياره، وليس لمخلوق فيها اختيار غير اكتسابه بقدر من الله له) مشكل إعراب القرآن ١٦٤/٢، والوقف على «يختار» تام. انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٥١/٤ - ١٥٢، إعراب القرآن للنحاس ٢٤١/٣، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء (٢٩٣).

(٢) في ب: والمصدر فيه. (٣) حكاه أبو البقاء. التبيان ١٠٢٤/٢.

(٤) قاله الطبري. انظر جامع البيان ٦٣/٢٠ (٥). انظر الكشف ١٧٧/٣.

(٦) في ب: كانت. (٧) تفسير ابن عطية ٣٢٥/١١.

(٨) نقله الطبري عن الفراء، وليس في معاني القرآن للفراء، انظر جامع البيان ٦٣/٢٠ - ٦٤.

(٩) البيت من بحر البسيط، وهو مطلع قصيدة لعنترة يقولها في امرأة أبيه، وهو في الديوان (٥٣)، جامع البيان ٦٤/٢٠، تفسير ابن عطية ١ - ٣٢٤، والسبع الطوال لابن الأنباري (٣٥٣)، البحر المحيط ١٢٩/٧، وفي الديوان (سهيبة) بدل (سمية) وهو اسمها. تذريف: من ذرفت عليه عينه تذرِف تذرِفاً، وهو الدمع الذي يكاد يتصل في نزوله. والشاهد فيه أن في (كان) على هذه الرواية - وهي من إنشاء القاسم بن معن - ضمير شأن اسمها، و(ذا) خبرها، و (معروف) مبتدأ مؤخر، وما قبله خبر، تنزيلاً لـ (كان) منزلة (إن). ورواية الديوان: (لو أنَّ ذَا مِنْكَ)، وعليها فلا شاهد في البيت.

(١٠) تفسير ابن عطية ٣٢٥/١١. (١١) يجرئها: سقط من ب.

(١٢) في ب: نظر. (١٣) انظر الكشف ١٧٦/٣.

لم يدخل العاطف، والمعنى أن الخيرة لله في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة^(١) فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه^(٢).

قال شهاب الدين: لم يزل الناس يقولون: إن الوقف على «يُخْتَارُ» والابتداء بما^(٣) على أنها نافية هو مذهب أهل السنة^(٤)، ونقل ذلك عن جماعة كأبي وغيره^(٥)، وأن كونها موصولة متصلة «يُخْتَارُ» غير موقوف عليه هو مذهب المعتزلة، وهذا الزمخشري قد قرر كونها نافية وحصل غرضه في كلامه وهو موافق لكلام أهل السنة ظاهراً وإن كان لا يريده، وهذا الطبري من كبار أهل السنة منع أن تكون نافية، قال: لثلاث يكون المعنى: أنه إن لم يكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لهم فيما يستقبل، وأيضاً فلم يتقدم نفي^(٦)، وهذا الذي قاله ابن جرير^(٧) مروي عن ابن عباس^(٨)، وقال بعضهم: ويختار لهم ما يشاءه من الرسل ف «ما» على هذا واقعة على العقلاء^(٩).

فصل

إن قيل: «ما» للإثبات فمعناه: ويختار الله ما كان لهم الخيرة، أي: يختار ما هو الأصلح والخير، وإن قيل: ما للنفي أي: ليس إليهم الاختيار، أو ليس لهم أن يختاروا على الله كقوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١٠) [الأحزاب: ٣٦] ثم قال منزهاً نفسه سبحانه وتعالى «عَمَّا يُشْرِكُونَ» أي: إن الخلق والاختيار والإعزاز والإذلال مفوض إليه ليس لأحد فيه شركة ومنازعة ثم أكد ذلك بأنه «يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ» من عداوة رسول الله ﷺ «وَمَا يُغْلَبُونَ» من مطاعنهم فيه، وقولهم: هلا اختير غيره في النبوة^(١١). ولما بين علمه بما هم^(١٢) عليه من الغل والحسد والسفاهة قال: «وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ»، وهذا تنبيه على كونه قادراً على كل الممكنات عالماً بكل المعلومات منزهاً عن النقائص والآفات^(١٣) «لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ» وهذا ظاهر على مذهب أهل السنة لأن الثواب غير واجب عليه بل يعطيه فضلاً وإحساناً، و «لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ» ويؤكد قول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾ [الزمر:

(١) في ب: الجملة. وهو تحريف. (٢) الكشف ١٧٦/٣ - ١٧٧.

(٣) في ب: بما كان. (٤) انظر القرطبي ١٣/٣٠٥.

(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/٢٤١. (٦) انظر جامع البيان ٢٠/٦٣ - ٦٤.

(٧) في ب: ابن جرير. (٨) انظر القرطبي ١٣/٣٠٦، البحر المحيط ٧/١٢٩.

(٩) الدر المصون ٥/٢٢٦، وانظر أيضاً القرطبي ١٣/٣٠٦.

(١٠) [الأحزاب: ٣٦]. وانظر البغوي ٦/٣٥٨ - ٣٥٩.

(١١) انظر الفخر الرازي ٢٥/١١. (١٢) في ب: كونهم. وهو تحريف.

(١٣) انظر الفخر الرازي ٢٥/١١.

[٧٤] ﴿وَأَجِرْ دَعْوَتَهُمْ أَنْ لَقِمَهُ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) [يونس: ١٠] «وَلَهُ الْحُكْمُ» وفصل القضاء بين الخلق، قال ابن عباس: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل المعصية بالشقاء^(٢) «وَالِيهِ تُرْجَعُونَ» أي: إلى حكمه وقضائه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢) ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٣) ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٧٤) ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٧٥)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ الآية، لما بين^(٣) بقوله: «وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فصل عقيب ذلك ببعض^(٤) ما يجب أن يحمد عليه بما^(٥) لا يقدر عليه سواه، فقال: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا»، نَبَّ بذلك على كون الليل والنهار نعمتان متعاقبتان على الزمان، ووجهه أن المرء في الدنيا مضطرب إلى أن يتعب لتحصيل ما يحتاج إليه ولا يتم ذلك إلا براحة وسكون بالليل ولا بد منها والحالة هذه، فأما في الجنة فلا نصب ولا تعب^(٦) ولا حاجة بهم إلى الليل، ولذلك يدوم لهم الضياء واللذات، فبين بذلك أن القادر على ذلك ليس إلا الله^(٧) فقال: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ» أخبروني يا أهل مكة «إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا» دائماً «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» لا نهار معه «مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ» بنهار تطلبون فيه المعيشة «أَفَلَا تَسْمَعُونَ» سماع فهم وقبول؟

قوله^(٩): «أَرَأَيْتُمْ»، وجعل تنازعا في «اللَّيْلَ» وأعمل الثاني ومفعول «أَرَأَيْتُمْ» هي جملة الاستفهام بعده والعائد منها على الليل محذوف تقديره: بضياء بعده^(١٠)، وجواب الشرط محذوف، وتقدم تحرير هذا في الأنعام^(١١)، وسرمداً مفعول ثانٍ إن كان

(١) انظر الفخر الرازي ١١/٢٥. (٢) انظر البغوي ٣٥٩/٦.

(٣) في الفخر الرازي: لما بين من قبل استحقاقه للحمد على وجه الإجمال.

(٤) في ب: بعض. (٥) في ب: ما.

(٦) في ب: فلا تعب ولا نصب. (٧) انظر الفخر الرازي ١٢/٢٥.

(٨) في ب: هل. وهو تحريف. (٩) في ب: فصل قوله.

(١٠) انظر البحر المحيط ١٣٠/٧.

(١١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ...﴾ [الأنعام: ٤٦]. انظر الباب

الجعل^(١) تصبيراً، أو حال إن كان خلقاً وإنشاء^(٢)، والسرمد: الدائم الذي لا ينقطع^(٣) قال طرفة^(٤):

٤٠١٥ - لَعَمْرُكَ مَا أَمَرِي عَلَيَّ بِغُمَةٍ نَهَارِي وَلَا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدٍ^(٥)

والظاهر أن ميمه أصلية، ووزنه فعلل كجعفر^(٦)، وقيل: هي زائدة واشتقاقه من السرمد، وهو تتابع الشيء على الشيء^(٧)، إلا أن زيادة الميم وسطاً وآخر لا تنقاس نحو: دَلَامِصٌ^(٨)، وَزُرْقَمٌ^(٩)، من الدلاص والزُرْقَة.

قوله: «إِلَى يَوْمٍ» متعلق بـ «يَجْعَلُ» أو بـ «سَرْمَدًا» أو بمحذوف على أنه صفة لـ «سَرْمَدًا»^(١٠) وإنما قال: «أَفَلَا تَسْمَعُونَ»، «أَفَلَا تُبْصِرُونَ»، لأن الغرض من ذلك الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر، فلما لم ينتفعوا أنزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر^(١١)، قال المفسرون: «أَفَلَا تَسْمَعُونَ» سماع فهم «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» ما أنتم عليه من الخطأ والضلال^(١٢).

وقال الزمخشري: فإن قيل^(١٣) هلاً قيل بنهار يتصرفون فيه كما قيل ليل تسكنون فيه، قلنا^(١٤): ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي تتعلق بها متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده^(١٥) والظلام ليس بتلك المنزلة، وإنما قرن بالضياء «أَفَلَا تَسْمَعُونَ» لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من درك منافعه ووصف فوائده، وقرن بالليل «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» لأن غيرك يدرك من منفعة الظلام ما تبصره^(١٦) أنت من السكون ونحوه^(١٧).

(١) في ب: جعل.

(٢) انظر التبيان ١٠٢٥/٢.

(٣) لأنه من السرد، وهو المتابعة. انظر الكشف ١٧٧/٣، اللسان (سرد).

(٤) تقدم.

(٥) البيت من بحر الطويل، وقد تقدم.

(٦) هذا معنى كلام أبي حيان فإنه قال: «سرمد» قيل: من السرمد، فميمه زائدة ووزنه فعمل، ولا يزداد وسطاً ولا آخر بقياس، وإنما هي ألفاظ تحفظ البحر المحيط ١٣٠/٧.

(٧) انظر الكشف ١٧٧/٣.

(٨) الدلامص: الدرع البراقة اللينة، بمعنى الدليص والدلاص وقد دلصت الدرع، أي: لانت. اللسان (دلص - دلص).

(٩) الزرقم: الأزرق الشديد الزرق، والمرأة زرقم أيضاً، والذكر والأنثى في ذلك سواء، وقال اللحياني:

رجل أزرق وزرقم، وامرأة زرقاء بينة الزرق، وزرقمة. اللسان زرق.

(١٠) انظر التبيان ١٠٢٥/٢.

(١١) انظر الفخر الرازي ١٢/٢٥ - ١٣.

(١٢) انظر البغوي: ٣٦٠/٦. (١٣) في الكشف: فإن قلت: . . . قلت.

(١٤) في ب: فيه.

(١٥) في ب: ما تبصرون.

(١٦) الكشف ١٧٧/٣.

قوله : «لَتَسْكُنُوا فِيهِ» أي في الليل «وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أي : في النهار وهذا من باب اللف والنشر^(١) ومنه :

٤٠١٦ - كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَاسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعِثَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(٢)

قوله : «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أي : نعم الله ، وقيل : أراد الشكر على المنفعتين معاً ، واعلم أنه وإن كان السكون في النهار ممكناً (وابتغاء فضل الله بالليل ممكناً)^(٣) إلا أن الأليق بكل واحد منهما ما ذكره الله تعالى ، فلهذا خصه به^(٤) ، وقوله : «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ» كرّر ذلك النداء للمشرّكين لزيادة التقرّيع والتوبيخ .

قوله : «وَنَزَعْنَا» أخرجنا^(٥) «مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً» يعني رسولهم الذي أرسل إليهم ، كما قال : «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ»^(٦) [النساء : ٤١] أي : يشهد عليهم بأنهم بلغوا القوم الدلائل ، وأوضحوها لهم ليعلم أن التقصير منهم ، فيزيد ذلك في غمهم ، وقيل المراد الشهداء الذين يشهدون على الناس ، ويدخل في جملتهم الأنبياء «فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» حجتكم بأن معي شريكاً «فَعَلِمُوا» حينئذ «أَنَّ الْحَقَّ» التوحيد «لِلَّهِ» ، «وَضَلَّ عَنْهُمْ» غاب عنهم «مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» من الباطل والكذب .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآيَسْتَهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاحِمَهُ لَنُفَوٍّ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أُولَٰئِكَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨)

قوله تعالى : ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ الآية ، قال المفسرون كان ابن عمه ،

(١) اللف والنشر هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه . الإيضاح (٣٦٦) .

(٢) البيت من بحر الطويل ، قاله امرؤ القيس ، والشاهد فيه أنه شبه شيئاً واحداً في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين ، فالعِثَاب وهو نوع من الثمار رائق المنظر راجع إلى القلوب الرطبة ، والحشف وهو أردأ الثمر راجع إلى القلوب اليابسة وهو ما يسميه علماء البيان باللف والنشر .

وفيه شاهد آخر وهو أن (رطباً ويأساً) حالان العامل فيهما حرف التشبيه ، وهو (كان) فلذا وجب تأخيرهما . البالي : العتيق . وقد تقدم .

(٤) انظر الفخر الرازي ١٣/٢٥ .

(٣) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي .

(٦) [النساء : ٤١] . وانظر البغوي ٦/٣٦٠ .

(٥) في ب : وأخرجنا .

لأنه قارون بن يصر^(١) بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وموسى ابن عمران بن قاهث^(٢) وقال ابن إسحاق: كان قارون عم موسى كان أخا عمران وهما ابنا يصر ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون، ولكنه نافق كما نافق السامري^(٣) وكان يسمى المنور^(٤) لحسن صورته^(٥).

وقال^(٦) ابن عباس: إنه كان ابن خالته^(٧)، فبغى عليهم، وقيل: كان عاملاً^(٨) لفرعون على بني إسرائيل، وكان يبغى عليهم ويظلمهم^(٩)، وقال قتادة: «بَغَى عَلَيْهِمْ» بكثرة المال^(١٠) (ولم يرع لهم حق الإيمان بل استخف بالفقراء)^(١١).

وقال الضحاك: بغى عليهم بالشرك^(١٢)، وقال القفال: طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده^(١٣)، وقال ابن عباس: تكبر عليهم وتجبر^(١٤)، وقال الكلبي: حسد هارون على الحبورة^(١٥)، وروي أن موسى عليه السلام^(١٦) لما قطع الله له البحر، وأغرق فرعون جعل الحبورة لهارون فحصلت له النبوة والحبورة وكان له القربان والمذبح وكان لموسى الرسالة، فوجد قارون لذلك في نفسه، وقال يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة، ولست في شيء، لا أصبر أنا على هذا، فقال موسى: والله ما صنعت ذلك لهارون بل جعله الله فقال قارون له: فوالله لا أصدقك أبداً حتى تأتيني بآية^(١٧) يعرف بها أن جعل ذلك لهارون، قال: فأمر موسى رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل رجل منهم بعصاه فجاءوا بها، فألقاها موسى عليه السلام^(١٨) في قبة له وكان ذلك بأمر الله ودعا موسى ربه أن يريهم بيان ذلك، فباتوا يحرسون عصيهم، فأصبحت عصا هارون تهتز لها ورق أخضر^(١٩) وكانت من شجر اللوز، فقال موسى لقارون: ألا ترى ما صنع الله لهارون، فقال: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، فاعتزل قارون ومعه ناس كثير وولي هارون الحبورة والمذبح والقربان، وكانت بنو إسرائيل يأتون بهدياً يأتون إلى هارون^(٢٠) فيضعها في المذبح وتنزل نار من السماء فتأكلها، واعتزل قارون بأتباعه وكان كثير المال والتبع من بني إسرائيل، فما كان يأتي موسى ولا يجالسه.

(١) في ب: بصرم.

(٢) انظر البغوي ٦/٣٦٠ - ٣٦١، الفخر الرازي ١٤/٢٥.

(٣) انظر البغوي ٦/٣٦١. (٤) في النسختين: النور.

(٥) انظر الفخر الرازي ١٤/٢٥. (٦) في ب: وعن.

(٧) انظر الفخر الرازي ١٤/٢٥. (٨) في ب: غلاماً.

(٩) وهو قول يحيى بن سلام وابن المسيب. انظر القرطبي ١٣/٣١٠.

(١٠) انظر البغوي ٦/٣٦١. (١١) ما بين القوسين سقط من الأصل.

(١٢) انظر البغوي ٦/٣٦١. (١٣) انظر الفخر الرازي ١٥/٢٥.

(١٤) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٥) في ب: بحجة.

(١٦) في ب: عليه الصلاة والسلام. (١٧) أخضر: تكلمة من الفخر الرازي.

(١٨) في ب: قارون.

وروي عن النبي - ﷺ - «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنَ السَّبْعِينَ الْمُخْتَارَةِ الَّذِينَ سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ»^(١)

قوله: «وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ» ما موصولة بمعنى الذي صلتها (إِنَّ) وما في حيزها ولهذا كسرت^(٢) ونقل الأخفش الصغير عن الكوفيين منع الوصل بأنَّ وكان يستفتح ذلك عنهم، يعني لوجوده في القرآن^(٣)، والمفاتيح جمع مفتاح بفتح الميم وهو الذي يفتح به الباب قاله قتادة ومجاهد وجماعة^(٤)، وقيل: مفاتيحه خزائنه كقوله ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] أي: خزائنه.

قوله: «لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ» فيها وجهان:

أحدهما: بأن الباء للتعدية، كالهزمة ولا قلب في الكلام، والمعنى: لثني العصبه العصبة الأقوياء كما تقول: أَجَأْتُهُ وَجِثْتُ بِهِ، وَأَذْهَبْتُهُ وَذَهَبْتُ بِهِ^(٥)، ومعنى ناء بكذا: نهض به بثقل، قال:

٤٠١٧ - تَنُوءُ بِأَخْرَاهَا فَلَأَيًّا قِيَامُهَا وَتَمَشِي الْهُوَيْنَا^(٦) عَنْ قَرِيبٍ فَتَبْهَرُ^(٧)
وقال أبو زيد: نُؤْتُ بِالْعَمَلِ أَي: نهضت به^(٨)، قال:

٤٠١٨ - إِذَا وَجَدْنَا خَلْفًا بِشْسِ الْخَلْفِ عَبْدًا إِذَا مَا نَاءَ بِالْحِمْلِ وَقَفَ^(٩)
وفسره الزمخشري بالأثقال، قال: يقال: ناء به الحمل حتى أثقله^(١٠)

(١) انظر الفخر الرازي ١٥/٢٥.

(٢) انظر البيان ٢٣٦/٢، التبيان ١٠٢٥/٢.

(٣) قال النحاس: (وسمعت علي بن سليمان يقول: ما أقيح ما يقول الكوفيون في الصلوات إنه لا يجوز أن يكون صلة الذي وإخوته (أَنْ)، وما علمت فيه وفي القرآن «ما إِنَّ مَفَاتِحَهُ» إعراب القرآن ٣/٢٤٢.

(٤) انظر البغوي ٣٦١/٦.

(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢٤٢/٣، التبيان ١٠٢٥/٢، البحر المحيط ١٣٢/٧.

(٦) الهويناء: سقط من النسختين.

(٧) البيت من بحر الطويل قاله ذو الرمة في وصف الناقة وهو في ديوانه ٦٢٤/٢ القرطبي ٣١٢/١٣، اللسان (نوأ)، البحر المحيط ١٣٢/٧، المفضليات (٣٤٢)، تنوء: يقال: ناء بالحمل، إذا نهض به مثقلًا، وناء به الحمل، إذا أثقله. لأياً، يقال: ألأى يلاى لأياً، والتأى يلتأى إذا أبطأ. ومعناه: إن آخرها وهي عجيزتها، تنبها إلى الأرض لضخمها وكثرة لحمها في أردافها.

(٨) لم أعثر عليه في النوادر، وهو في القرطبي ٣١٢/١٣، البحر المحيط ١٣٢/٧.

(٩) بيتان من الرجز لم أهد إلى قائلهما، وهما في الكامل ١٣١١/٣، أساس البلاغة (خضف) والرواية فيهما: أنشدني الرياشي لأعرابي يذم رجلاً اتخذ وليمة:

إِنَّا وَجَدْنَا خَلْفًا بِشْسِ الْخَلْفِ أَغْلِقْ عَيْنًا بِابِهِ ثُمَّ حَلِفْ
لَا يَدْخُلُ الْبُؤَابَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ عَبْدًا إِذَا مَا نَاءَ بِالْحِمْلِ خَضَفْ

والقرطبي ٣١٢/١٣، البحر المحيط ١٣٢/٧. والشاهد فيه قوله: (ناء بالحمل) أي: نهض به.

(١٠) في ب: حين أفعله. وهو تحريف.

وأماله^(١)، وعليه ينطبق المعنى أي: لتثقل^(٢) المفاتيح العصبية.

والثاني: قال أبو عبيدة^(٣) إنَّ في الكلام قلباً، والأصل: لتنوء العصبية بالمفاتيح أي: لتنهض بها^(٤) لقولهم: عرضت الناقة على الحوض^(٥)، وتقدم الكلام في القلب وأن فيه ثلاثة مذاهب، وقرأ بديل بن ميسرة^(٦): لينوء بالياء من تحت والتذكير^(٧)، لأنه راعى المضاف المحذوف، إذ التقدير حملها أو ثقلها^(٨)، وقيل الضمير في «مَفَاتِيحَ» لـ «قَارُونَ» فاكْتَسَب المضاف من المضاف إليه التذكير، كقولهم: ذهبت أهل اليمامة، قاله الزمخشري^(٩)؛ يعني كما اكتسب «أهل» التأنيث اكتسب هذا التذكير، و «العُصْبَةُ»: الجماعة الكثيرة، والعصابة مثلها، قال مجاهد: ما بين العشرة إلى الأربعين^(١٠)؛ لقول إخوة يوسف «وَنَحْنُ عُصْبَةٌ» [يوسف: ٨] وكانوا عشرة لأن يوسف وأخاه لم يكونا معهم وقيل: أربعون رجلاً^(١١) وقيل سبعون^(١٢) روي عن ابن عباس: كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال^(١٣)، وروي جرير^(١٤) عن منصور^(١٥) عن خيثمة^(١٦) قال: وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلاً ما يزيد مفتاح منها على إصبع لكل مفتاح منها كنز^(١٧)، وطعن بعضهم في هذا القول من وجهين الأول: أنَّ مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو أنا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب والجواهر لكان لها أعداد قليل من المفاتيح، فأى حاجة إلى تكثير هذه المفاتيح؟ الثاني: أن المكنوز هي الأموال^(١٨) المدخرة في الأرض فلا يجوز أن يكون لها مفاتيح.

(١) والعبارة في الكشف: (ويقال: ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله) الكشف ١٧٨/٣.

(٢) في ب: اشتغل. وهو تحريف. (٣) قال أبو عبيدة: سقط من الأصل.

(٤) وعبارة أبي عبيدة: (ما إنَّ العصبية ذوي القوة لتنوء بمفاتيح نعمه...) مجاز القرآن ١١١/٢.

(٥) انظر مجاز القرآن ١١١/٢. (٦) لم أقف له على ترجمة.

(٧) المحتسب ١٥٣/٢، الكشف ١٧٨/٣، البحر المحيط ١٣٢/٧.

(٨) انظر البحر المحيط ١٣٢/٧. (٩) انظر الكشف ١٧٨/٣. بتصرف.

(١٠) وهو قول قتادة. انظر البغوي ٣٦١/٦. (١١) انظر البغوي ٣٦١/٦.

(١٢) المرجع السابق. (١٣) المرجع السابق.

(١٤) هو جرير بن حازم الأزدي، أبو النصر البصري، أحد الأعلام، أخذ عن الحسن، وابن سيرين، وطاووس، وغيرهم، وأخذ عنه أيوب، وابن عون، وابنه وهب بن جرير، وغيرهم، مات سنة ١٧٠هـ. تهذيب التهذيب ٦٩/٢ - ٧٢.

(١٥) هو منصور بن زاذان الثقفي مولاهم أبو المغيرة الواسطي، أخذ عن أنس وأبي العالية، وجماعة، وأخذ عنه جرير بن حازم، وخلف بن خليفة وطائفة، مات سنة ١٣١هـ. تهذيب التهذيب ٣٠٦/١٠.

(١٦) هو خيثمة بن أبي خيثمة البصري، أبو نصر، أخذ عن أنس، والحسن البصري، وأخذ عنه الأعمش، ومنصور، وجابر الجعفي. تهذيب التهذيب ١٧٨/٣.

(١٧) أخرجه سعيد بن منصور وابن منذر عن خيثمة - رضي الله عنه - انظر الدر المنثور ١٣٦/٥.

(١٨) في ب: هذه الأمور. وهو تحريف.

وأجيب عن الأول أن المال إذا كان من جنس (العروض لا من جنس النقد)^(١) جاز أن يبلغ في الكثرة إلى هذا الحد، وأيضاً أن قولهم تلك المفاتيح بلغت ستين حملاً ليس مذكوراً في القرآن، فلا تقبل هذه الرواية، وعن الثاني أن الكنز وإن كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المنجموع في المواضع التي عليها أغلاق^(٢) وحمل ابن عباس والحسن المفاتيح على نفس^(٣) المال وهذا أبين، قال ابن عباس كانت خزائنه يحملها أربعون رجلاً أقوياء^(٤)، وقال أبو مسلم المراد من المفاتيح العلم والإحاطة، كقوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] والمراد: آتيانه من الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها ما يتعب الفائزين أن يحفظوها^(٥).

قوله: «إِذْ قَالَ» فيه أوجه: أن يكون معمولاً لـ «تَنَوُّ» قاله^(٦) الزمخشري^(٧)، أو لـ «بَغَى» قاله ابن عطية^(٨)، ورده أبو حيان بأن المعنى ليس على التقييد بهذا الوقت^(٩) أو لـ «آتَيْنَاهُ» قاله أبو البقاء^(١٠) ورده أبو حيان بأن الإيتاء لم يكن ذلك الوقت^(١١). أو لمحذوف، فقدّرهُ^(١٢) أبو البقاء: بغى عليهم^(١٣) وهذا ينبغي أن يرَدَّ بما رَدَّ به قول ابن عطية. وقدّرهُ الطبري: اذكر^(١٤) وقدّرهُ أبو حيان أظهر الفرح^(١٥) وهو مناسب، واعلم أنه كان في قومه من وعظه بأمر:

أحدها: قوله: لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وقرى الفارحين - حكاه عيسى الحجازي^(١٦) - والمراد لا يلحقه من البطر والتمسك بالدنيا ما يليه عن أمر الآخرة، قال

(١) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي. (٢) انظر الفخر الرازي ١٦/٢٥ - ١٧.

(٣) في ب: تفسير. وهو تحريف. (٤) انظر الفخر الرازي ١٧/٢٥.

(٥) انظر الفخر الرازي ١٧/٢٥. (٦) في ب: قال.

(٧) قال الزمخشري: (ومحل «إِذْ» منصوب بـ «تَنَوُّ» الكشاف ١٧٨/٣).

(٨) قال ابن عطية: (وقوله تعالى: «إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ» متعلق بقوله: «بَغَى») تفسير ابن عطية ٣٣٥/١١.

(٩) يعني وقت قوله له: «لا تفرح»، فإنه قال ردّاً على الزمخشري: (وهذا ضعيف جداً، لأن أفعال المفاتيح ليس مقيداً بوقت قول قومه له: لا تفرح)، وقال ردّاً على ابن عطية: (وهو ضعيف أيضاً، لأن بغى عليهم لم يكن مقيداً بذلك). البحر المحيط ١٣٢/٧.

(١٠) قال أبو البقاء: (و: «إِذْ قَالَ لَهُ» ظرف لـ «آتَيْنَاهُ» التبيان ١٠٢٥/٢).

(١١) البحر المحيط ١٣٢/٧. (١٢) في ب: أو بمحذوف قدره.

(١٣) وعبارته: (ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل محذوف دل عليه الكلام، أي: بغى إذ قال له قومه) التبيان ١٠٢٥.

(١٤) لم يذكر الطبري هذا، وإنما هو قول الحوفي نقله عنه أبو حيان. البحر المحيط ١٣٢/٧.

(١٥) قال أبو حيان: (ويظهر أن يكون تقديره: فأظهر التفاخر والفرح بما أوتي من الكنوز إذ قال له قومه لا تفرح) البحر المحيط ١٣٢/٧.

(١٦) المختصر (١١٤)، البحر المحيط ١٣٣/٧.

بعضهم: إنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن إليها، وأمّا من يعلم أنّه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح. وما أحسن قول المتنبي:

٤٠١٩ - أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ إِنَّهُ قَالَا^(١)
(وأحسن وأوجز منه ما قال تعالى)^(٢) ﴿لَيْكِلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] قال ابن عباس: كان فرحه ذلك شركاً، لأنه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى^(٣).

وثانيها: قوله: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ». يجوز أن يتعلق «فِيمَا آتَاكَ» بـ «ابْتَغِ»، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال، أي: متقلّباً «فِيمَا آتَاكَ». و «مَا» مصدرية أو بمعنى الذي^(٤). والمراد^(٥) أن يصرف المال إلى ما يؤديه إلى الجنة، والظاهر أنه كان مقرراً بالآخرة^(٦).

وثالثها: قوله: «وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا» قال مجاهد وابن زيد لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة^(٧) وقال السُّدِّي: بالصدقة وصلة الرحم^(٨) وقال علي الأتتسى صحتك وقوة شبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة، قال عليه السلام^(٩) لرجل وهو يعظه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسِ شَبَابِكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَقِرَاعَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(١٠).

قوله: «وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ»: أي: إحساناً^(١١) كإحسانه إليك، أي: أحسن بطاعة الله كما أحسن إليك بنعمته^(١٢)، وقيل: أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك^(١٣)، وقيل^(١٤) إنه لما أمره بالإحسان بالمال أمره بالإحسان مطلقاً، ويدخل فيه الإعانة بالمال والجاء وطلاقة الوجه وحسن اللقاء^(١٥).

(١) البيت من بحر الوافر، قاله المتنبي، وهو في ديوانه ٢٢٤/٣، الكشف ١٧٨/٣، الفخر الرازي ٢٥/٢٦، البحر المحيط ١٣٢/٧، شرح شواهد الكشف (١٠٠). يقول: أشد الغم عندي وقف السرور الذي يثقن صاحبه الانتقال عنه وهكذا سرور الدنيا كله.

(٢) كذا في الفخر الرازي، وفي النسختين: وقال. (٣) انظر الفخر الرازي ١٦/٢٥.

(٤) قاله أبو البقاء. التبيان ١٠٢٦/٢. (٥) في الأصل: والمعنى.

(٦) انظر الفخر الرازي ١٦/٢٥. (٧) انظر البيهقي ٣٦٢/٦.

(٨) المرجع السابق. (٩) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(١٠) أخرجه البيهقي بسنده عن عمرو بن ميمون الأزدي. انظر البيهقي ٣٦٢/٦.

(١١) إحساناً: سقط من ب.

(١٢) انظر البيهقي ٣٦٢/٦. فتكون الكاف للتنشبيه، وهو أن يكون في بعض الأوصاف، لأن مماثلة إحسان العبد لإحسان الله من جميع الصفات يمتنع أن تكون، فالتشبيه وقع في مطلق الإحسان. البحر المحيط

١٣٣/٧.

(١٣) انظر البيهقي ٣٦٢/٦. فتكون الكاف للتعليل. البحر المحيط ١٣٣/٧.

(١٤) في ب: واعلم. (١٥) انظر الفخر الرازي ١٦/٢٥ - ١٧.

قوله: «وَلَا تَبْتَغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ» ولا تطلب الفساد في الأرض^(١)، وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض^(٢)، وقيل المراد ما كان عليه من الظلم والبغي^(٣)، و«في الأرض» يجوز أن يتعلق بـ «تَبْتَغِ» أو بـ «الْفَسَادِ» أو بمحذوف على أنه حال وهو بعيد. ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»، قيل: إن هذا القائل هو موسى^(٤) عليه السلام^(٥)؛ وقيل: بل مؤمنو قومه^(٦).

وقوله: «عِنْدِي» إما ظرف لـ «أُوتِيْتَهُ»، وإما صفة^(٧) للعلم^(٨).

فصل

قال قارون: «إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي» أي: على فضل وخير علمه الله عندي فرأني^(٩) أهلاً لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره^(١٠)، وقال سعيد بن المسيب والضحاك: كان موسى عليه السلام^(١١) يعلم علم الكيمياء (أنزل الله عليه علمه من السماء)^(١٢) فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه^(١٣). وكان ذلك سبب أمواله.

وقيل: «عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي» بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب^(١٤) ثم أجاب الله عن كلامه بقوله: «أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ» الكافرة «مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا» للأموال أو أكثر جماعة وعدداً. فقوله «أَوْ لَمْ يَعْلَمْ» يجوز أن يكون هذا إثباتاً^(١٥) لعلمه بأن الله قد أهلك قبله من القرون من هو أقوى منه وأغنى، لأنه قرأه في التوراة وأخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ؛ كأنه قيل: أو لم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته. ويجوز أن يكون نفياً لعلمه بذلك لأنه لما قال: «أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي» فتصلف^(١٦) بالعلم وتعظم به قيل مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع^(١٧) حتى بقي به نفسه. والمعنى أنه تعالى إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك ولا ما^(١٨) يزيد عليه أضعافاً^(١٩).

(١) في الأرض: سقط من ب. (٢) انظر البغوي ٦/٣٦٢.

(٣) انظر الفخر الرازي ١٧/٢٥. (٤) انظر الكشف ١٧٨/٣، الفخر الرازي ١٧/٢٥.

(٥) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٦) انظر الفخر الرازي ١٧/٢٥.

(٧) صفة: سقط من ب. (٨) انظر التبيان ٢/١٠٢٦.

(٩) في ب: وإني. (١٠) انظر البغوي ٦/٣٦٣.

(١١) ما بين القوسين سقط من ب. (١٢) انظر الكشف ١٧٨/٣، الفخر الرازي ١٧/٢٥.

(١٣) انظر الكشف ١٧٨/٣، الفخر الرازي ١٧/٢٥. (١٤) المرجعان السابقان.

(١٥) في ب: استئنافاً.

(١٦) الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبراً. اللسان (صلف).

(١٧) في ب: الباقي. (١٨) ما: سقط من ب.

(١٩) انظر الكشف ١٧٨/٣ - ١٧٩، الفخر الرازي ١٧/٢٥.

قوله: «مَنْ هُوَ أَشَدُّ» من موصولة أو نكرة موصوفة وهو في موضع المفعول بـ «أهلك»، و «مِنْ قَبْلِهِ» متعلق به، و «مِنَ الْقُرُونِ» يجوز فيه ذلك ويجوز أن يكون حالاً من «مَنْ هُوَ أَشَدُّ»^(١).

قوله: «وَلَا يُسْأَلُ» هذه قراءة العامة على البناء للمفعول وبالياء من تحت، ورفع الفعل، وقرأ أبو جعفر «وَلَا تُسْأَلُ» بالتاء من فوق والجزم^(٢) وابن سيرين وأبو العالية كذلك إلا أنه مبني للفاعل وهو المخاطب، قال ابن أبي إسحاق: لا يجوز ذلك حتى ينصب «المُجْرِمِينَ»^(٣)، قال صاحب اللوامح: هذا هو الظاهر إلا أنه لم يبلغني فيه شيء، فإن تركاه مرفوعاً فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون «المُجْرِمُونَ» خبر مبتدأ محذوف أي هم المجرمون.

الثاني: أن يكون بدلاً من أصل الهاء والميم في «ذُنُوبِهِمْ» لأنهما مرفوعا المحل، يعني أن «ذُنُوباً» مصدر مضاف لفاعله، قال فحمل المجرمون^(٤) على الأصل كما تقدم في قراءة «مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٍ» بجر بعوضة، وكان قد خرجها على أن الأصل: يضرب مثل بعوضة، وهذا تعسف كثير فلا ينبغي أن يقرأ ابن سيرين وأبو العالية إلا «المُجْرِمِينَ» بالياء فقط وإنما ترك نقلها^(٥) لظهوره^(٦).

قوله: «وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» قال قتادة: يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال^(٧)، وقال مجاهد يعني لا تسأل الملائكة عنهم، لأنهم يعرفونهم بسيماهم^(٨)، وقال الحسن: لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تقرير وتوبيخ^(٩)، وقيل: إن المراد أن الله تعالى^(١٠) إذا عاقب المجرمين فلا حاجة به إلى أن يسألهم^(١١) عن كيفية ذنوبهم وكنيتهم^(١٢)، لأن الله تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة إلى السؤال^(١٣)، فإن قيل: كيف الجمع بينه وبين قوله: «فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِفَّهُنَّ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا

(١) انظر التبيان ١٠٢٦/٢.

(٢) قال أبو حيان: (وقرأ أبو جعفر في روايته «ولا تسأل» بالتاء والجزم، «المجرمين» نصب) البحر المحيط ١٣٤/٧.

(٣) قال أبو حيان: (وقرأ ابن سيرين وأبو العالية كذلك في «ولا تسأل» على النهي للمخاطب، وكان ابن أبي إسحاق لا يجوز ذلك إلا أن يكون «المجرمين» بالياء في محل النصب بوقوع الفعل عليه) البحر المحيط ١٣٤/٧.

(٤) في ب: المجرمين. (٥) نقلها: سقط من ب.

(٦) انظر البحر المحيط ١٣٤/٧. بتصرف. (٧) انظر البغوي ٣٦٤/٦.

(٨) المرجع السابق. (٩) المرجع السابق.

(١٠) تعالى: سقط من ب. (١١) في ب: يسأل.

(١٢) في ب: ويكنيتها. (١٣) انظر الفخر الرازي ١٧/٢٥.

يَعْمَلُونَ ﴿الحجر: ٩٢، ٩٣﴾ فالجواب: يحمل ذلك على وقتين كما قررناه^(١).

وقال أبو مسلم: السؤال قد يكون للمحاسبة، وقد يكون للتقريع والتوبيخ، وقد يكون للاستعتاب، وأليق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله ﴿ثُمَّ لَا يُوَدِّثُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤] ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَظْقُونُ وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

قوله: «فِي زِينَتِهِ» إما متعلق بـ «خَرَجَ»، وإما بمحذوف على أنه حال من فاعل خرج^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَوْمَكُمُ إِنَّهُمْ لَدُوٌّ حَظٌّ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ أَلْسِنَةٍ حَسْبٍ ﴿٨١﴾﴾

دلت الآية على أنه خرج بأظهر زينة وأكملها، وليس في القرآن إلا هذ القدر والناس ذكروا وجوهاً مختلفة، والأولى ترك هذه التقديرات لأنها متعارضة، ثم إن الناس لما رأوه على تلك الزينة قال من كان منهم^(٣) يرغب في الدنيا: «يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظٌّ عَظِيمٌ» من الحال، وهؤلاء الراغبون يحتمل أن يكونوا من الكفار، وأن يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا، فأما الذين أوتوا العلم - وهم أهل الدين - قال ابن عباس: يعني الأخبار من بني إسرائيل^(٤)، وقال مقاتل: أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة^(٥). فقالوا للذين تمنوا: «وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ» من هذه النعم، أي: ما عند الله من الجزاء والثواب «خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ» وصدق بتوحيد الله وعمل صالحاً، لأن للثواب منافع عظيمة خالصة عن شوائب المضار دائمة، وهذه النعم على الضد في هذه الصفات^(٦).

قوله^(٧): «وَيَلَكُمْ» منصوب بمحذوف، أي: «أَلْزَمَكُمْ اللَّهُ وَيَلَكُمْ»^(٨)، قال الزمخشري: ويلك أصله الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما يضر^(٩).

قوله: «وَلَا يُلْقَاهَا» أي: هذه الخصلة وهي الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله. وقيل: الضمير يعود إلى ما دل عليه قوله: «ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا» يعني هذه الأعمال لا يؤتاها إلا الصابرون^(١٠) (وقال الزجاج: ولا يُلْقَى هذه الكلمة وهي قولهم: «ثَوَابُ اللَّهِ

(٦) انظر الفخر الرازي ١٨/٢٥.

(٧) في الأصل: فصل.

(٨) انظر التبيان ١٠٢٦/٢.

(٩) في الكشاف: على ترك ما لا يرضى. الكشاف ١٧٩/٣.

(١٠) انظر الفخر الرازي ١٨/٢٥.

(١) انظر الفخر الرازي ١٧/٢٥.

(٢) انظر التبيان ١٠٢٦/٢.

(٣) في ب: قال منهم من كان.

(٤) انظر البغوي ٣٦٤/٦.

(٥) المرجع السابق.

خَيْرٌ إِلَّا الصَّابِرُونَ^(١) على أداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات، وعلى الرضا بقضاء الله في^(٢) كل ما قسم من المنافع والمضار^(٣).

قوله: «فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ» المشهور كسر هاء الكناية في به وبِدَارِهِ لأجل كسر ما قبلها. وقرئ بضمها^(٤) وقد تقدم أنها الأصل، وهي لغة الحجاز.

فصل

قيل: لما أشر^(٥) وبطر وعتا خسف الله به وبداره الأرض جزاءً على عتوه وبطره، والفاء تدل على ذلك، لأن الفاء تشعر بالعلية. وقيل: إن قارون كان يؤذي نبي الله موسى عليه السلام^(٦) كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما، حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، فحسبه^(٧) فاستكثره^(٨) فشحت به نفسه، فجمع بني إسرائيل وقال إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال: ائتوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون طشتاً من ذهب مملوءاً ذهباً^(٩)، وقال لها: إني أمولك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى فقال إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنههم، فخرج إليهم^(١٠) موسى وهم في براح^(١١) من الأرض، فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة، ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة، (ومن زنى وله)^(١٢) امرأة رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، قال: ادعوها فإن قالت فهو كما قالت، فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وناشدها بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت في نفسها: أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله، فقالت: لا، كذبوا بل جعل^(١٣) لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فخر موسى ساجداً يبكي، وقال: يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى الله^(١٤) إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك، قال: يا بني

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٥٦/٤.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) في ب: و.

(٤) انظر الفخر الرازي ١٨/٢٥.

(٥) انظر الحجة لأبي علي ١٣٢/١.

(٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ١٩/٢٥. (١٣) ما بين القوسين في ب: أوله.

(٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٨) فحسبه: سقط من ب.

(٩) في ب: فاستكثر.

(١٠) في ب: من ذهب.

(١١) في الأصل: إليه.

(١٢) في ب: وهي في مراح.

(١٣) ما بين القوسين في ب: أوله.

(١٤) في ب: جعلاً.

(١٥) لفظ الجلالة: سقط من ب.

إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون. فمن كان معه^(١) فليلزم مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا جميعاً ولم يبق مع قارون إلا رجلاً، ثم^(٢) قال: يا أرض خذهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال: خذهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وهو لا يلتفت إليهم لشدة غضبه، ثم قال خذهم فانطبقت عليهم فأوحى الله إلى موسى^(٣): ما أظنك استغاثوا بك مراراً فلم ترحمهم، أما وعزتي لو دعوني مرة واحدة لوجدوني قريباً^(٤) مجيباً، فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم: إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف الله بداره وأمواله الأرض، ثم إن قارون يخسف به كل يوم^(٥) قامة.

قال القاضي: إذا هلك بالخسف فسواء نزل عن ظاهر الأرض إلى الأرض السابعة أو دون ذلك، وإن كان لا يمتنع على وجه المبالغة في الزجر، وأما قولهم^(٦): إنه - تعالى - قال^(٧): لو استغاثوا بي لأغثتهم، فإن صح حمل على استغاثة^(٨) مقرونة بالتوبة، فأما وهو ثابت على ما هو عليه مع أنه تعالى هو الذي حكم بذلك الخسف، لأن^(٩) موسى ما فعله إلا عن إذن فبيد، وقولهم إنهم يتجلجلون في الأرض فبيد، لأنه لا بد له من نهاية، وكذا القول فيما ذكر من عدو القامات^(١٠) والذي عنده في أمثال^(١١) هذه الحكايات أنها قليلة الفائدة، لأنها من باب أخبار الآحاد فلا تفيد اليقين وليست المسألة عملية حتى يكفي فيها الظن ثم إنها في أكثر الأمر متعارضة مضطربة فالأولى طرحها والاكتفاء بما دل عليه نص القرآن وتفويض سائر التفاصيل إلى عالم الغيب^(١٢).

قوله: «مِنْ فِئَةٍ» يجوز أن يكون اسم كان إن كانت ناقصة، و «له» الخير أو «يَنْصُرُونَهُ» وأن تكون فاعلة إن كانت تامة و «يَنْصُرُونَهُ» صفة لـ «فِئَةٍ» فيحكم على موضعها بالجر لفظاً وبالرفع معنى، لأن «مِنْ» مزيده فيها، ثم قال «وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ» أي الممتنعين مما نزل من الخسف، يقال: نصره من عدوه فانتصر أي: منعه فامتنع^(١٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَابُ لَا يَفْلَحُ

(١) معه: سقط من ب.

(٢) ثم: سقط من ب.

(٣) في ب: موسى عليه الصلاة والسلام.

(٤) مجيباً: سقط من ب.

(٥) في الفخر الرازي: مائة قامة.

(٦) في ب: قوله.

(٧) قال: سقط من ب.

(٨) في الأصل: الاستغاثة.

(٩) في ب: أن.

(١٠) في ب: الغايات.

(١١) في ب: في إنفاذ.

(١٢) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ١٩/٢٥.

(١٣) المرجعان السابقان.

الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُنْقِصِينَ ﴿٨٣﴾

قوله: «وَأَصْحَابُ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ» أي: صار^(١) أولئك الذين تمنوا^(٢) ما
رُزِقَ من^(٣) المال والزينة يتندمون على ذلك التمني^(٤)، والعرب تعبر عن^(٥) الصيرورة
بأصبح وأمسى وأضحى، تقول: أصبح فلان عالماً، وأضحى معدماً، وأمسى حزيناً،
والمعنى صار ذلك زاجراً لهم عن حب الدنيا ومخالفة موسى وداعياً إلى الرضا بقضاء الله
وقسمته^(٦).

قوله: «وَيَكُنَّ اللَّهُ... وَيَكُنَّ» فيه مذهب منها: أن وئي كلمة برأسها وهي اسم
فعل معناها أعجب^(٧) أي أنا والكاف للتعليل، و «أن» وما في حيزها مجرورة بها، أي:
أعجب لأنه لا يفلح الكافرون، وسمع كما أنه لا يعلم غفر الله له^(٨)، وقياس هذا القول
أن يوقف على «وَيَ» وحدها، وقد فعل ذلك الكسائي، إلا أنه ينقل عنه أنه يعتقد في
الكلمة أن أصلها «وَيَلَّكَ» كما سيأتي، وهذا ينافي وقفه، وأنشد سيبويه^(٩):

٤٠٢٠ - وَيَ كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يَخُ - جَبَّ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشَ عَيْشَ ضَرٍّ^(١٠)

الثاني: قال بعضهم «كَأَنَّ» هنا للتشبيه إلا أنه ذهب منها معناه، وصارت للخبر
والتيقن^(١١)، وأنشد:

(١) في ب: صاروا. (٢) في ب: الَّذِينَ تَمَنَّوْا مكانه بالأمس.

(٣) في ب: ب. (٤) في ب: الغنى. وهو تحريف.

(٥) في ب: عن ذلك. (٦) انظر الفخر الرازي ٢٥/٢٠.

(٧) في ب: معناه وأعجب. وهو تحريف.

(٨) هذا قول الخليل، قاله سيبويه: (وسألت الخليل - رحمه الله تعالى - عن قوله: «وَيَكُنَّ» لا يفلح» وعن
قوله تعالى جده: «وَيَكُنَّ اللَّهُ» فزعم أنها «وي» مفصولة من «كَأَنَّ»، والمعنى: وقع على أن القوم
انتهوا فتكلموا على قدر علمهم أو نبهوا فقليل لهم: أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا. والله تعالى
أعلم) الكتاب ٢/١٥٤. وانظر الكشف ٣/١٨٠، البيان ٢/٢٣٧، التبيان ٢/١٠٢٧، البحر المحيط
١٣٥/٧.

(٩) الكتاب ٢/١٥٥.

(١٠) البيت من بحر الخفيف قاله زيد بن عمرو بن نفيل، أو نبيه بن الحجاج، وهو في الكتاب ٢/١٥٥،
معاني القرآن للفراء ٢/٣١٢، مجالس ثعلب ١/٣٢٢، معاني القرآن وإعراجه للزجاج ٤/١٥٧،
المحتسب ٢/١٥٥، الخصائص ٢/٤١، ١٦٩، الكشف ٣/١٨٠. تفسير ابن عطية ١١/٣٤٤، البيان
٢/٢٣٧، ابن يعيش ٤/٧٦، اللسان (ويا)، البحر المحيط ٧/١٣٥، المغني ٢/٣٦٩، شرح شواهد
٢/٧٨٦، الهمع ٢/١١٦، الأشموني ٣/١٩٩، الخزانة ٦/٤٠٥. النشأ: المال. والشاهد فيه
(ويكأن) فهي عند الخليل وسيبويه مركبة من (وي) للتنبيه، و (كان) للتشبيه.

(١١) قال ابن جني: (وهو أن (وي) على قياس مذهبهما (الخليل وسيبويه) اسم سمي به الفعل في الخبر،
فكانه اسم أعجب، ثم ابتدأ فقال: «كَأَنَّ» لا يفلح الكافرون» و «وي كأن الله ييسر الرزق لمن يشاء من»

٤٠٢١ - كَاتِنِي حِينَ أَمْسِي لَا يُكَلِّمُنِي مُتَيْمٌ يَشْتَهِي مَا لَيْسَ مَوْجُوداً^(١)
وهذه أيضاً يناسبه الوقف على «وَيَ».

الثالث: أن «وَيْكَ» كلمة برأسها والكاف حرف خطاب، وأن معموله لمحذوف، أي: اعلم أنه لا يفلح، قاله الأخفش^(٢)، وعليه قوله:

٤٠٢٢ - أَلَا وَنِكَ الْمَسْرَةِ لَا تَدُومُ وَلَا يَبْقَى عَلَى الْبُؤْسِ الشَّعِيمُ^(٣)
وقوله عترة^(٤):

٤٠٢٣ - وَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سَفَمَهَا قِيلَ الْفَوَارِسِ وَنِكَ عَشْرَ أَقْدِمِ^(٥)
وحقه أن تقف على «وَيْكَ» وقد فعله أبو عمرو بن العلاء^(٦).

الرابع: أن أصلها «وَيْلَكَ» فَحِذِفْ^(٧)، وإليه ذهب الكسائي ويونس وأبو حاتم^(٨)،

= عباده»، فـ (كَأَنَّ) إخبار عار من معنى التشبيه، ومعناه إن الله ييسط الرزق لمن يشاء المحتسب ٢/ ١٥٥. ورد هذا بأن (وي) للتشبيه، وليست بمعنى: أعجب، وأما قوله: (إن كَأَنَّ عارية من معنى التشبيه)، فقول سيبويه: (أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا) انظر الخزانة ٦/ ٤٠٤ - ٤٠٨.

(١) البيت من بحر البسيط قاله عمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه (٥٣)، الخصائص ٣/ ٧٠، المحتسب ٢/ ١٥٥، البيان ٢/ ٢٣٧، ابن يعيش ٤/ ٧٧، اللسان (عود) ونسب فيه إلى يزيد بن الحكم يمدح سليمان بن عبد الملك، المغني ٢/ ٣٦٩، شرح شواهد ٢/ ٧٨٨. والشاهد فيه أن (كَأَنَّ) هنا ليست للتشبيه فكأنها زائدة قال ابن جني في المحتسب: (ومما جاءت فيه (كَأَنَّ) عارية من معنى التشبيه ما أنشدناه أبو علي: ... البيت: أي: أنا حين أَمْسِي (مُتَيْمٌ) من حالي كذا وكذا) المحتسب ٢/ ١٥٥.

(٢) كذا نقل عنه ابن جني في الخصائص ٣/ ٤٠ - ٤١، ١٧٠، وابن الأنباري في البيان ٢/ ٢٣٧، وكلام الأخفش في المعاني لا يفهم منه ذلك، فإنه قال في معرض حديثه عن هذه الآية: (المفسرون يفسرونها: ألم تر أنم الله، وقال: (ويكأنه لا يفلح الكافرون) وفي الشعر:

سالتاني الطلاق أن رأنا ما لي قليلاً قد جئتماني بنكر
ويكأن من يكن له نسب بحر
المعاني ٢/ ٦٥٤ - ٦٥٥.

(٣) البيت من بحر الزافر، لم أهد إلى قائله، وهو في البحر المحيط ٧/ ١٣٥. والشاهد فيه قوله: (ويك) فإن الكاف فيه حرف خطاب لا محل له من الإعراب، ومعناه: اعلم أن المسرة.

(٤) تقدم.

(٥) البيت من بحر الكامل، وهو من معلقته، وهو في المحتسب ١/ ١٦، ٢/ ١٥٦ أمالي ابن الشجري ٢/ ٥، ٦، السبع الطوال لابن الأنباري ٣٥٩، ٣٦٠، ابن يعيش ٤/ ٧٧، المغني ٢/ ٣٦٩، شرح التصريح ٢/ ١٩٧، شرح شواهد المغني ٢/ ٧٨٧، الأشموني ٣/ ١٩٨، الخزانة ٦/ ٤٢١. عترة: منادى مرخم. والشاهد فيه قوله: (ويك) فهي كلمة برأسها غير مركبة من كلمتين، ومعناها هنا التعجب، والكاف حرف خطاب.

(٦) نسب الأشموني هذا القول لأبي عمرو بن العلاء. انظر الأشموني ٣/ ١٩٨ - ١٩٩.

(٧) في ب: محذوف. (٨) انظر البحر المحيط ٧/ ١٣٥.

وَحَقِّهْم^(١) أَنْ يَقِفُوا عَلَى الْكَافِ كَمَا فَعَلَ أَبُو عَمْرٍو، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا اسْتَشْهَدَ بِالْبَيْتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ فِيهِمَا «وَيْلَكَ» فَحُذِفَ وَلَمْ يَرْسَمْ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا «وَيْكَانَ» وَ«يُكَانَهُ»^(٢) مُتَّصِلَةً فِي الْمَوْضِعَيْنِ^(٣). فَعَامَّةُ الْقُرَّاءِ اتَّبَعُوا الرَّسْمَ، وَالْكَسَائِيُّ وَقَفَ عَلَى «وَيْ» وَأَبُو عَمْرٍو عَلَى «وَيْكَ»^(٤) وَهَذَا كُلُّهُ فِي وَقْفِ الْإِخْتِيَارِ دُونَ الْإِخْتِيَارِ كُنْظَائِرِ تَقَدَّمَ^(٥).

الخامس: أَنَّ وَيْكَانَ كُلُّهَا كَلِمَةٌ مُسْتَقْلَةٌ بَسِيطَةٌ وَمَعْنَاهَا «أَلَمْ تَرَ»^(٦) وَرَبَّمَا نَقَلَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٧)، وَنَقَلَ الْكَسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ أَنَّهَا بِمَعْنَى: أَمَا تَرَى إِلَى صَنْعِ اللَّهِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: هِيَ كَلِمَةٌ تَقْرِيرٌ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ^(٨) مَنْ سَمِعَ أَعْرَابِيَّةً تَقُولُ لِرُؤُوسِهَا: أَيْنَ ابْنُكَ؟ قَالَ: وَيْ كَأَنَّهُ وَرَاءَ الْبَيْتِ، يَعْنِي: أَمَا تَرِيْنَهُ وَرَاءَ الْبَيْتِ^(٩)، وَحَكَى ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّهَا بِمَعْنَى: رَحْمَةٌ لَكَ فِي لُغَةِ حَمِيرٍ^(١٠).

قوله: «لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ» قَرَأَ الْأَعْمَشُ «لَوْلَا مَنْ» بِحُذْفِ «أَنْ» وَهِيَ مُرَادَةٌ، لِأَنَّ لَوْلَا هَذِهِ لَا يَلِيهَا إِلَّا الْمَبْتَدَأُ^(١١)، وَعَنْهُ «مَنْ» بَرَفَعَ النُّونَ وَجَرَّ الْجَلَالَةَ، وَهِيَ وَاضِحَةٌ^(١٢).

قوله: «لَخَسَفَ» قَرَأَ حَفْصٌ: «لَخَسَفَ» مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ أَيْ اللَّهُ تَعَالَى، وَالباقونَ بِنَائِهِ لِلْمَفْعُولِ^(١٣)، وَ «بِنَا» هُوَ الْقَائِمُ مَقَامَ الْفَاعِلِ، وَعَبَدَ اللَّهُ وَطَلَحَهُ لَانْخُسِفَ بِنَا^(١٤) أَيْ: الْمَكَانَ، وَقِيلَ: «بِنَا» هُوَ الْقَائِمُ مَقَامَ الْفَاعِلِ كَقَوْلِكَ: انْقَطَعَ بِنَا^(١٥)، وَهِيَ عِبَارَةٌ رَدِيئَةٌ وَقِيلَ: الْفَاعِلُ^(١٦) ضَمِيرُ الْمَصْدَرِ أَيْ: لَانْخُسِفَ الْإِنْخُسَافُ^(١٧) وَهِيَ عَنْهُ أَيْضًا، وَعَنْ

(١) فِي ب: فَحُذِفَ اللَّامُ، وَإِنَّمَا جَازَ هَذَا الْحُذْفُ لِكَثْرَتِهَا فِي الْكَلَامِ، وَجَعَلَ (أَنْ) مُفْتُوحَةً بِفَعْلِ مُضَارِعٍ مُضْمَرٍ كَأَنَّهُ قَالَ: وَيْلَكَ أَعْلَمُ، وَحَقِّهْم.

(٢) فِي ب: إِلَّا وَيْكَانَ مَكَانَهُ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٣) انْظُرْ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ ٣١٢/٢. (٤) انْظُرْ تَفْسِيرَ ابْنِ عَطِيَّةٍ ٣٤٥/١١.

(٥) فِي ب: وَهَذَا كُلُّهُ فِي وَقْفِ الْإِخْتِيَارِ كُنْظَائِرُهُ وَتَقَدَّمَ.

(٦) عَزَاهُ ابْنُ خَالَوَيْهِ إِلَى أَبِي زَيْدٍ فَإِنَّهُ قَالَ: (وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: «وَيْكَانَ» حَرْفٌ وَاحِدٌ الْمَخْتَصَرُ (١١٤)).

(٧) انْظُرْ الْبَحْرَ الْمَحِيطَ ١٣٥/٧. (٨) فِي ب: أَخْبَرُ.

(٩) مَعَانِيَ الْقُرْآنِ ٣١٢/٢. (١٠) انْظُرْ تَأْوِيلَ مُشْكَلِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ (٥٢٧).

(١١) فِي ب: بِالْمَبْتَدَأِ.

(١٢) الْمَخْتَصَرُ (١١٤)، تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ ٣٤٤/١١، الْبَحْرُ الْمَحِيطَ ١٣٥/٧.

(١٣) السَّبْعَةُ (٤٩٥)، الْكَشْفُ ١٧٥/٢ - ١٧٦، النُّشْرُ ٣٤٢/٢، الْإِتْحَافُ ٣٤٤.

(١٤) الْمَخْتَصَرُ (١١٤)، تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ ٣٤٥/١١، الْبَحْرُ الْمَحِيطَ ١٣٥/٧.

(١٥) قَالَ أَبُو حَيَّانَ: (وَإِنْ مَسْعُودٌ، وَطَلَحَهُ، وَالْأَعْمَشُ: «لَانْخُسِفَ بِنَا» كَقَوْلِكَ: انْقَطَعَ بِنَا، كَأَنَّهُ فَعَلَ مَطَاوَعٌ، وَالْمَقَامُ مَقَامَ الْفَاعِلِ هُوَ «بِنَا» الْبَحْرُ الْمَحِيطَ ١٣٥/٧).

(١٦) الْفَاعِلُ: سَقَطَ مِنْ ب.

(١٧) قَالَ أَبُو حَيَّانَ: (وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَصْدَرُ، أَيْ: لَانْخُسِفَ الْإِنْخُسَافُ، وَمَطَاوَعُ فَعْلٌ لَا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ بِهِ، فَلِذَلِكَ بَنِيَ إِمَّا لـ «بِنَا»، وَإِمَّا لِلْمَصْدَرِ) الْبَحْرُ الْمَحِيطَ ١٣٥/٧ - ١٣٦.

عبد الله «لَتُخْصَفَ» بناء من فوق وتشديد السين مبنياً للمفعول، وبناء قائم مقامه^(١).

قوله: «وَنُكَانَ» كلمة مستعملة عند التنبيه للخطاب وإظهار التندم^(٢)، فلما قالوا: «يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوفِيَ قَدْرُونُ» [القصص: ٧٩] ثم شاهدوا الخسف تنبهوا لخطئهم، ثم قالوا: «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه، ويضيق على من يشاء لا لهوان من يضيق عليه، بل لحكمته وقضائه ابتلاء وفتنة^(٣)، قال سيبويه: سألت الخليل عن هذا الحرف، فقال: «وَيَ» مفصولة^(٤) من «كَانَ» وأن القوم تنبهوا وقالوا متندمين على ما سلف منهم^(٥).

قوله تعالى^(٦): «تِلْكَ الدَّارُ» مبتدأ وصفته، و «نَجْعَلُهَا» هو الخبر، ويجوز أن يكون «الدَّارُ» هو الخبر «ونَجْعَلُهَا» خبراً آخر، وحال^(٧) والأولى أحسن، وهذا تعظيم^(٨) لها وتفخيم لشأنها، يعني: تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها^(٩) «لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا» كرر «لَا» ليفيد أن كلا منهما مستقل في بابه لا مجموعهما، «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

قوله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٨٤) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨٥) وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦) وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)

قوله: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا»، لما بين أن الدار الآخرة ليست إلا للمتقين بين^(١٠) بعد ذلك ما يحصل لهم فقال: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا»، والمعنى: أنهم يزدون على ثوابهم، وقوله: «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» وظهره أنهم لا يزدون على ما يستحقون^(١١).

فقوله: «فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ» من إقامة الظاهر مقام المضمر تشبيهاً عليهم، وقوله: «إِلَّا مَا كَانُوا» أي: إلا مثل ما كانوا، قال الزمخشري: إنما كرر ذكر السيئات، لأن في

(١) المختصر (١١٤)، البحر المحيط ١٣٦/٧.

(٢) انظر البيان ٢/٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) في ب: عظيم.

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٥/٢٠.

(٥) انظر الكشاف ٣/١٨٠، الفخر الرازي ٢٥/٢٠.

(٦) في ب: مفعول. وهو تحريف.

(٧) في ب: وبين.

(٨) انظر الكتاب ٢/١٥٤.

(٩) انظر الفخر الرازي ٢٥/٢١.

(١٠) تعالى: سقط من ب.

إسناد عمل السيئة إليهم مكرراً فضل تهجين لحالهم، وزيادة تبغيض للسيئة إلى السامعين، وهذا من فضله العظيم أنه لا يجزي بالسيئة إلا مثلها، ويجزي بالحسنة بعشر^(١) أمثالها^(٢).

فإن قيل: قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧] كرر ذكر الإحسان واكتفى في ذكر الإساءة بمرة واحدة، (وفي هذه الآية كرر الإساءة واكتفى في ذكر الإحسان بمرة واحدة)^(٣) فما السبب؟

والجواب^(٤): أن هذا المقام مقام الترغيب في الدار الآخرة فكانت المبالغة في النهي^(٥) عن المعصية مبالغة في الدعوة إلى الآخرة، وأما الآية الأخرى فهي في شرح حالهم فكانت المبالغة في ذكر محاسنهم أولى^(٦). فإن قيل: كيف لا تجزى السيئة إلا بمثلها مع أن المتكلم بكلمة الكفر إذا مات في الحال عذب أبداً الآباد؟ فالجواب: لأنه كان على عزم أنه لو عاش أبداً لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه^(٧).

قوله^(٨): «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» قال أبو علي^(٩): فرض عليك أحكامه وفرائضه «لِرَأْدِكَ» بعد الموت «إِلَى مَعَادٍ» وتنكير المعاد لتعظيمه، كأنه قال: مَعَادٍ وأي معاد، أي ليس لغيرك من البشر مثله، وقيل: المراد به مكة وترداده إليها يوم الفتح، ووجه تنكيره إياها كانت في ذلك اليوم معاداً لها شأن عظيم لاستيلاء رسول الله - ﷺ - عليها، وقهره لأهلها وإظهار^(١٠) عز الإسلام وإذلال^(١١) حزب الكفرة، والسورة مكية، فكان الله تعالى وعده وهو بمكة حين أودى وهو في غلبة من أهلها أنه يهاجر منها، ويعيده إليها ظاهراً ظافراً، وقال مقاتل: إِنَّهُ ﷺ خرج من الغار وسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع إلى الطريق نزل بالجحفة^(١٢) بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة واشتاق إليها وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل جبريل فقال: أنشأت إلى بلدك ومولدك؟ فقال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ» فقال جبريل إِنَّ اللَّهَ^(١٣) يقول: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ»^(١٤). يعني مكة ظاهراً عليهم قال المحققون: وهذا حد ما يدل على نبوته، لأنه أخبر عن الغيب ووقع ما أخبر به فيكون معجزاً^(١٥).

(١) في ب: عشر. (٢) انظر الكشاف ٣/ ١٨١. بتصرف.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب. (٤) في ب: فالجواب.

(٥) في ب: المنهي. (٦) انظر الفخر الرازي ٢٥/ ٢٢.

(٧) المرجع السابق. (٨) في ب: قوله تعالى.

(٩) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٥/ ٢٢.

(١٠) في ب: فإظهار. (١١) في ب: إذلال.

(١٢) الجحفة: موضع بين مكة والمدينة. المعجم الوسيط (جحف).

(١٣) في ب: الله تعالى. (١٤) انظر الدر المنثور ٥/ ١٣٩.

(١٥) آخر ما نقله هنا عن الفخر الرازي ٢٥/ ٢٢.

قوله: «مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى» منصوب بمضمر، أي: يَعْلَمُ^(١) أو «أَعْلَمَ» إن جعلناها بمعنى عالم وأعملناها إعماله^(٢)، ووجه تعلقه بما قبله أن الله تعالى لما وعد رسوله - ﷺ - الرد إلى معاد قال: قل للمشركين «رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى» يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في المعاد والإعزاز بالإعادة إلى مكة «وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» يعنيهم وما يستحقونه من العذاب في معادهم^(٣).

قوله^(٤): «وَمَا كُنْتُ تَزْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ» أي: يوحى إليك القرآن «إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» قال الفراء هذا استثناء منقطع^(٥)، أي: لكن رحمة من ربك فأعطاك القرآن وقيل: متصل. قال الزمخشري: هذا كلام محمول على المعنى، كأنه قيل: وما ألقى إليك^(٦) الكتاب إلا رحمة^(٧). فيكون استثناء من الأحوال ومن المفعول له^(٨)، «فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ» أي: معيناً لهم على دينهم، قال مقاتل: وذلك حين دعي إلى دين آبائه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه^(٩).

قوله: «وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ» قرأ العامة بفتح الياء وضم الصاد، من: صَدَّه يَصُدُّه، وقرىء بضم الياء وكسر الصاد، من: أَصَدَّه بمعنى صَدَّه، حكاه أبو زيد عن كلب^(١٠). قال الشاعر:

٤٠٢٣ - أَتَأْسُ أَصْدُوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَنْهُمْ صُدُّوا السَّوَاقِي عَنْ أَتُوفِ الْحَوَائِمِ^(١١)

- (١) قال ابن الأنباري: (وجه التقدير لامتناع الإضافة، ولأن «أعلم» لا يعمل في المفعول لأنه من المعاني، والمعاني لا تنصب المفعول) البيان ٢/٢٣٩، وانظر البحر المحيط ٧/١٣٦.
- (٢) قال أبو حيان: (ومن أجاز أن يأتي أفعل بمعنى فاعل، وجاز مع ذلك أن ينصب به جاز أن ينتصب به إذ يؤوله بمعنى عالم ويعطيه حكمه) البحر المحيط ٧/١٣٦.
- (٣) انظر الكشف ٣/١٨١، الفخر الرازي ٢٥/٢٢.
- (٤) في ب: قوله تعالى.
- (٥) معاني القرآن ٢/٣١٣، وقال الأخفش: (استثناء خارج من أول الكلام في معنى لكن) المعاني ٢/٦٥٥.

(٦) في الكشف: عليك. (٧) الكشف ٣/١٨١.

(٨) انظر البحر المحيط ٧/١٣٧. (٩) انظر البغوي ٦/٣٧٢.

(١٠) لم أشعر على ذلك في النوادر، وفي المختصر: قال ابن خالويه: («ولا يصدُّك» حكاه أبو زيد عن رجل من كلب، وقال: هي لغة قومه) ١١٤، وانظر البحر المحيط ٧/١٣٧.

(١١) البيت من بحر الطويل، قاله ذو الرُّمة، وهو في ديوانه ٢/٧٧١، الكشف ٣/١٨١. القرطبي ١٣/٣٢٢، اللسان (صدد) البحر المحيط ٧/١٣٧، وروي:

صُدُّوا السَّوَاقِي عَنْ رُؤُوسِ الْمَخَارِمِ

السواقي: مجاري الماء. المخرم: منقطع أنف العجل، يقول: صدوا الناس عنهم بالسيف كما صَدَّتْ هذه الأنهار عن المخارم، فلم تستطع أن ترتفع إليها. الحوائم: الجمال العطاش، لأنها تحوم حول الماء جمع خاتم. والشاهد فيه قوله: (أصدوا) فإنه بمعنى صدوا.

وأصل «يَصُدُّنَكَ» «يَصُدُّوَنَّتَكَ»، ففعل فيه ما فعل في «يَقُولُونَ مَا يَحْسِبُونَ»^(١) [هود: ٨]، والمعنى لا تلتفت إلى هؤلاء ولا تركز إلى قولهم فيصدوك عن اتباع آيات الله^(٢) يعني القرآن. «بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ»^(٣) إِلَيْكَ، وَأَذْعُ إِلَى رَبِّكَ» أي: إلى دين ربك وإلى معرفته وتوحيده «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» قال ابن عباس: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد به: أهل دينه^(٤)، أي: لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم ومثله: «وَلَا تَذْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» وهذا وإن كان واجباً على الكل إلا أنه تعالى خاطبه به خصوصاً لأجل (التعليم)^(٥)،^(٦) فإن قيل: الرسول كان معلوماً منه أنه لا يفعل شيئاً من ذلك ألبتة، فما فائدة ذلك النهي؟ فالجواب: أن الخطاب وإن كان معه لكن المراد غيره، ويجوز أن يكون المعنى: لا تعتمد على غير الله ولا تتخذ غيره وكيلاً في أمورك، فإن وثق بغير الله فكأنه لم يكمل طريقه في التوحيد^(٧)، ثم بين أنه لا إله إلا هو أي: لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع إلا هو كقوله: «رَبِّ الْشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا» [المزمل: ٩] فلا يجوز اتخاذ إله سواه^(٨).

قوله: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» من جعل شيئاً يطلق^(٩) على الباري تعالى - وهو الصحيح - قال: هذا استثناء متصل، والمراد بالوجه الذات، وإثما جرى على عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة^(١٠)، ومن لم يطلق عليه جعله متصلاً أيضاً، وجعل الوجه ما عمل لأجله أو الجاه الذي بين الناس، أو يجعله منقطعاً أي: لكن هو تعالى لم يهلك^(١١).

فصل

استدللت المعتزلة على أن الجنة والنار غير مخلوقتين بأن هذه الآية تقتضي فناء الكل، فلو كانتا مخلوقتين لكان هذا يناقض قوله تعالى في صفة الجنة «أَكُلْنَهَا دَائِمًا» [الرعد: ٣٥]، والجواب: هذا معارض بقوله تعالى (في صفة الجنة)^(١٢) «أُعِدَّتْ

(١) يعني بذلك أن الفعل هنا وفي سورة «هود» معرب لأن النون مفصولة تقديرًا، إذ الأصل: يصدونك، ليقولون، النون الأولى للرفع وبعدها نون مشددة فاستقل توالي الأمثال، فحذفت نون الرفع، لأنها لا تدل من المعنى على ما تدل عليه نون التوكيد، فالتقى ساكنان، فحذفت الواو التي هي ضمير الفعل، لالتقاء ساكنة مع النون. انظر الباب ٤/٣٣١.

(٢) انظر الفخر الرازي ٢٣/٢٥. (٣) في ب: أنزل. وهو تحريف.

(٤) انظر البغوي ٦/٣٧٢ - ٣٧٣. (٥) انظر الفخر الرازي ٢٣/٢٥.

(٦) في الفخر الرازي: التعظيم. (٧) انظر الفخر الرازي ٢٣/٢٥.

(٨) انظر الفخر الرازي ٢٣/٢٥. (٩) في ب: ينطلق.

(١٠) ويسمى هذا مجازاً مرسلًا علاقته الجزئية حيث أطلق الجزء وأراد الكل.

(١١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/١٥٨، تفسير ابن عطية ١١/٣٥٠، البيان ٢/٢٣٩ - ٢٤٠، التبيان ٢/١٠٢٨.

(١٢) ما بين القوسين تكملة من الفخر الرازي.

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٢٣﴾ [آل عمران: ١٣٣] وفي صفة النار: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] ثم إما أن يحمل قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ على الأكثر كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٤] أو يحمل على الفناء القليل كقوله: ﴿أَكُلُهَا دَائِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] على أن فناءها لما كان قليلاً بالنسبة إلى زمان بقائها لا جرم أطلق لفظ الدوام عليها^(١).

قوله: ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ﴾ أي^(٢): في الآخرة، والعامّة على بنائه للمفعول، وعيسى على بنائه للفاعل^(٣)، روى الثعالبي في تفسيره عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ قَرَأَ طَسَمَ القصص لم يبق في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان مصدقاً أن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون»^(٤).

(١) انظر الفخر الرازي ٢٥/٢٥ - ٢٦.

(٢) أي: سقط من الأصل.

(٣) أي: يرجعون. انظر تفسير ابن عطية ٣٥١/١١، البحر المحيط ١٣٧/٧، الإتحاف (٣٤٤).

(٤) انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٢٧).

سورة العنكبوت

مكية^(١) إلا عشر آيات من أولها إلى قوله: «وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ». قال الشَّعْبِيُّ^(٢): فإنها مدنية. وهي تسع وستون آية، وألف وتسعمائة وإحدى وثمانون كلمة، وأربعة آلاف ومائة وخمسة وتسعون (حرفاً)^(٣).

قوله تعالى: ﴿الْم ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝﴾.

اعلم أن منكري الحشر يقولون لا فائدة في التكليف، فإنها مشاق في الحال، ولا فائدة لها في المآل؛ إذ لا مال ولا مرجع بعد الهلاك والزوال، فلما بين الله تعالى أنهم إليه يرجعون في آخر السورة قبلها^(٤) بين أن الأمر ليس على ما حسبه، بل (حسن التكليف)^(٥)، لأنه يهذب الشكور ويعذب الكفور، فقال: «أحسب الناس أن يتركوا» غير مكلفين من غير عمل يرجعون به إلى ربهم.

فصل في حكمة افتتاح هذه السور^(٦) بحروف التَّهْجِي

ولندكر كلاماً كلياً في افتتاح السور بالحروف. اعلم أن الحكيم إذا خاطب من يكون محل الغفلة، أو من يكون مشغول البال بشغل يشغله يقدم على الكلام المقصود سبباً غيره ليلتفت المخاطب (إليه)^(٧) بسببه، ويقبل بقلبه عليه، ثم يشرع في المقصود. واعلم أن ذلك المتقدم على الكلام (المقصود)^(٨) قد يكون كلاماً له معنى مفهوماً، كقول القائل: «زَيْدٌ، وَيَا زَيْدٌ» و«أَلَا زَيْدٌ».

(١) أحد ثلاثة أقوال في كونها مكية أو مدنية، فمن قائل: إنها مكية كلها، ومن قائل: إنها مدنية كلها ومن قائل: هذا القول الأعلى ومنهم الشعبي، وينظر: فتح القدير للشوكاني ١٩١/٤ دار إحياء التراث العربي ببيروت، والقرطبي ٣٢٣/١٣ الهيئة العامة للكتاب ٨٧، والبحر المحيط لأبي حيان دار الفكر الطبعة الثانية ١٩٨٣ (١٣٨/٧، ١٣٩).

(٢) سقط من ب.

(٣) تقدم.

(٤) [القصص: ٨٨] «لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ». (٥) سقط من «ب» وينظر: في تفسير الرازي ٢٥/٢٥.

(٦) سقط من «ب».

(٧) في «ب» السورة بالإنفراد.

(٨) سقط من «ب» بسبب انتقال النظر.

وقد يكون المقدم صوتاً غير مفهوم، كمن يُصَفِّرُ خلف إنسان ليلتفت. وقد يكون الصوت بغير الفم، كتصفيق الإنسان بيده، ليقبل السامع عليه.

ثم إن توقع^(١) الغفلة (كلما كان أتم، والكلام المقصود كان أهم)^(٢)، كان المقدم على الكلام المقصود أكثر ولهذا ينادى القريب «بالهمزة» فيقال: «أَزِيدُ»، والبعيد بـ «يَا»، فيقال: «يَا زِيدُ»، والغافل بينه أولاً، فيقال: «أَلَا يَا زِيدُ».

إذا تقرر هذا فنقول: النبي - ﷺ - وإن كان يَقْطُنَ الْجَنَانِ^(٣) لكنه إنسان يشغله شأن عن شأن، فحسن من الحكيم أن يقدم على الكلام المقصود حروفاً هي كالمُنْبَهَات.

وتلك الحروف إذا لم يفهم معناها تكون أتم في إفادة المقصود الذي هو التنبيه من تقديم الحروف المفهومة، لأن الحروف إذا كانت مفهومة المعنى، وذكرت لإقبال السامع على المتكلم لكي يسمع ما بعد ذلك فربما يظن السامع أنه كل المقصود و «لا»^(٤) كلام بعد ذلك فيقطع الالتفات عنه أما إذا سمع صوتاً بلا معنى فإنه يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه ما لم يسمع غيره، لجزمه بأن ما سمعه ليس هو المقصود.

فاذن تقديم الحروف التي لا يفهم معناها على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة^(٥).

فإن قيل: فما الحكمة في اختصاص بعض السور بهذه الحروف؟

فالجواب: قال ابن الخطيب: عقل^(٦) البشر يعجز عن إدراك الأشياء الكُلِّيَّة على تفصيلها، لكن نذكر ما يوفقنا الله له فنقول: كل سورة في أوائلها (حروف التهجّي) فإن في أوائلها^(٧) ذكر الكتاب أو التنزيل، أو القرآن كقوله تعالى: ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ١ - ٢]، ﴿الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ زَكَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ﴾ [آل عمران: ١ - ٣]، ﴿الْمَ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي سُدْرِكَ﴾ [الأعراف: ١ - ٢]، ﴿يَسْ وَالْقُرْآنُ﴾ [يس: ١ - ٢]، ﴿الْمَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [السجدة: ١ - ٢]، ﴿حَمَّ تَنْزِيلُ﴾ [غافر: ١ - ٢]، ﴿وَقَدْ

(١) في الرازي موقع.

(٢) ساقط من «ب» فهو بياض فيها ولا كذلك في الرازي ونسخة «أ».

(٣) الجنان - بالفتح - القلب، لاستتاره في الصدر، وقيل: لوعيه الأشياء وجمعه لها، وقيل: هو روع القلب، وذلك أذهب في الخفاء، وينظر: اللسان «ج ن ن» ٧٠٢.

(٤) لا: ساقط من «أ».

(٥) ينظر: تفسير الرازي ٢٥/٢٦.

(٦) كذا هي في الرازي كما في «أ» هنا وفي «ب» إتيان البشر.

وابن الخطيب هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسين بن علي، الإمام فخر الدين الرازي، القرشي، البكري، من ذرية أبي بكر الصديق، الشافعي، المفسر، المتكلم، فريد عصره، ونسج وحده، له من الكتب التفسير الكبير وغير ذلك، مات سنة ٦٢٢ هـ، وينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ١١٥/١١٦.

(٧) ما بين القوسين ساقط من «ب». وهو في الرازي كما في «أ».

وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ ﴿ق: ١ - ٢﴾. ﴿ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿ص: ١ - ٢﴾ (إلا ثلاث سور)^(١)
﴿كَهيعص ﴿مريم: ١﴾ ﴿آلَ أَحِبِّ النَّاسِ﴾ [العنكبوت: ١ - ٢] ﴿آلَ عَلِيَّتِ الرُّومِ ﴿
[الرؤم: ١ - ٢].

والحكمة في افتتاح السور التي فيها الكتاب والتنزيل والكتاب بالحروف (و)^(٢) هي
أن القرآن عظيم، والإنزال له أثقل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَلَفْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا نَفِيلًا ﴿[المزمل:
٥]، فكذلك قدم عليها تنبيه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه.

لا يُقَالُ: كل سورة قرآن، واستماعها استماع للقرآن، سواء كان فيها ذكر الكتاب أو
التنزيل أو القرآن أو لم يكن فيجب أن يكون في أول كل سورة (منبه)^(٣)، وأيضاً فقد
وردت سور فيها ذكر الإنزال، والكتاب، وليس فيها حروف، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ﴿[الكهف: ١] ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴿[النور: ١]
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿[الفرقان: ١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ
الْقَدْرِ ﴿[القدر: ١] لأننا نقول جواباً عن الأول: (لا ريب)^(٤) في أن كل سورة من
القرآن، لكن السورة التي فيها ذكر القرآن والكتاب - مع أنهما من القرآن - فيها تنبيه على
كل القرآن، فإن قوله تعالى: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿[طه: ١ - ٢] مع أنها
بعض القرآن فيها ذكر جميع القرآن، فيصير مثاله كتاب يرد من ملك على مملوكه فيه
شغل ما، وكتاب آخر يرد منه عليه فيه: ﴿إِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكَ كِتَابًا فِيهِ ﴿[أمرنا فامثله] فلا شك
أن هذا الكتاب الآخر أكثر ثقلًا من الأول.

وعن الثاني: أن قوله: «الحمد لله، وتبارك الذي» تسبيحات مقصودة، وتسبيح الله
لا يغفل عنه العبد، فلا يحتاج إلى منبه، بخلاف الأوامر والنواهي، وأما ذكر الكتاب فيها
فلبيان وصف عظمة من له التسبيح، و «سورة أنزلناها» قد بينا أنها بعض من القرآن فيها
ذكر إنزالها، وفي السورة التي ذكرناها ذكر جميع القرآن فهو أعظم وأثقل^(٥).

وأما قوله تعالى: «إنا أنزلناه» فهذا ليس وروداً^(٦) على مشغول القلب بشيء غيره،
بدليل أنه ذكر الكتابة فيها وهي ترجع إلى مذكور سابق أو معلوم عند النبي - ﷺ - فكان
منبهاً له فلم يُنبّه.

واعلم أن التنبيه قد حصل في القرآن بغير الحروف التي لا يفهم معناها، كقوله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّكَ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿[الحج: ١]، وقوله:
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴿[الأحزاب: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴿[التحریم: ١] لأنها أشياء هائلة

(١) ما بين القوسين سقط من «ب» . (٢) زيادة من «ب» .

(٣) ساقط من «ب» . (٤) ساقط من «ب» .

(٥) في الرازي: أنا كتبنا إليك كتاباً فيها أوامرنا فامثلها.

(٦) في الرازي: أعظم في النفس وأثقل . (٧) في النسختين «ورود» بالرفع، وفي الرازي و«أعلى» . الخ .

عظيمة، فإن تقوى الله حق تقاته أمر عظيم فقدم عليها النداء الذي يكون للبعيد الغافل عنها. وأما هذه السور افتتحت بالحروف وليس فيها الابتداء بالكتاب والقرآن، وذلك لأن ثِقَلَ القرآن هو ما فيه من التكاليف والمعاد، وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف حيث قال: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً» يعني لا يتركون بمجرد ذلك، بل لا بد وأن يؤمنوا بأنواع التكاليف، ففيها المعنى الذي في السورة التي ذكر فيها القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي.

فإن قيل: فهذا المعنى ورد في سورة التوبة وهو قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١٦] ولم يقدم عليه حروف التهجي!

فالجواب: أن هذا ابتداء كلام، ولهذا وقع الاستفهام بالهمزة، فقال: «أحسب»، وذلك وسط كلام بدليل وقوع الاستفهام تاماً، والتنبيه (يكون)^(١) في أول الكلام، لا في أثنائه.

وأما «آلم غلبت الروم» فسيجيء في موضعه إن شاء الله تعالى^(٢).

قوله تعالى: «أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا».

قوله: «أَنْ يَتْرَكُوا» سد مسد مفعولي «حسب» عند الجمهور^(٣)، ومسد أحدهما عند الأخفش^(٤).

قوله: «أَنْ يَقُولُوا» فيه أوجه:

أحدها: أنه بدل من «أَنْ يَتْرَكُوا»^(٥)، أبدل مصدراً مؤولاً من مثله.

الثاني: أنها على إسقاط الخافض^(٦)، وهو الباء واللام، أي: بأن يقولوا، أو لأن يقولوا.

(١) سقط من «ب».

(٢) وانظر كل هذا في تفسير الإمام الفخر الرازي ٢٥/٢٧، و٢٦ بالمعنى.

(٣) قال ابن الأنباري في البيان: «أن وصلتها في موضع نصب «بحسب»، وقد سدت بصلتها مسد مفعولي حسب. البيان ٢/٢٤١، الهيئة العامة للكتاب تحقيق د/ طه عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، وانظر أيضاً التبيان لأبي البقاء العكبري تحقيق على محمد البحراوي دار إحياء الكتب العربية، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٢٤٧ تحقيق د/ زهير غازي زاهد عالم الكتب ط ثانية - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/١٥٩ ط أولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م عالم الكتب بيروت تحقيق عبد الجليل شلبي.

(٤) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، من مشهوري نحويي البصرة، وله كتب كثيرة في النحو والعروض مات سنة ٢١٨ هـ؛ انظر أخبار النحويين البصريين ٣٩ ط أولى ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م تحقيق طه الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، ونزهة الألباء ١٦٨ جمعية إحياء آثار علماء العرب بدون تاريخ. وانظر رأيه في الدر المصون ٤/٢٩١ رسالة دكتوراه إعداد / مصطفى خليل خاطر، إشراف د/ إبراهيم حسن ١٩٨٥ م، وآخر مخطوط بمكتبة البلدية بالإسكندرية.

(٥) وقد أنكره الفارسي فيما نقله ابن الأنباري في البيان ٢/٢٤١.

(٦) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/١٦٦، دار المأمون للتراث، تحقيق / ياسين محمد السواس ط الثانية.

قال ابن عطية^(١) وأبو البقاء : إذا قدرت الباء كان حالاً .

قال ابن عطية : والمعنى في الباء واللام مختلف ، وذلك أنه في الباء ، كما تقول : تركت زيداً بحاله وهي في اللام بمعنى من أجل ، أي : أحسبوا أن إيمانهم علة للترك انتهى .

وهذا تفسير معنى ، ولو فسر الإعراب لقال : أحسبانهم الترك لأجل تلفظهم بالإيمان .

وقال الزمخشري^(٢) : فإن قلت : فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان^(٣) (في الآية)^(٤) ؟

قلت : هو في قوله : «أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» ، وذلك أن تقديره : أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم : آمنا ، فالترك أولى مفعولي «حسب» ، وقولهم آمنا هو الخبر ، وأما غير مفتونين فتتمة الترك ، لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير ، كقوله :
 ٢٠٢٤ - فَتَرَكُّهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْفُسُهُ^(٥)

ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول : (تركهم)^(٦) غير مفتونين لقولهم آمنا ، على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام .

فإن قلت : أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ ؟

قلت : كما تقول : خُروجُه لمخافة الشر ، وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك : خرجت (مخافة)^(٧) الشر وضربته تأديباً تعليلين . وتقول أيضاً : حسبت خروجه لِمَخَافَةِ الشَّرِّ ، وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبراً^(٨) .

قال أبو حيان : وهذا كلام فيه اضطراب ، ذكر أولاً أن تقديره غير مفتونين تتمة يعني أنه

(٢) تقدم .

(١) تقدم .

(٤) زيادة من الكشاف .

(٣) كذا في «أ» والكشاف وفي «ب» الحساب .

(٥) صدر بيت من الكامل لعنترة ، عجزه :

ما بين قلة رأسه والمعصم

ويروى غادرته ، والجزر جمع جزرة ، وهي الشاة التي تذبح وتنحر ، وينشئه : يتناوله بالأكل ، والشاهد : أن ترك بمعنى صير ومعناه صيرته بقتلي إياه جزرة للسباع .

وانظر : ديوان عترة ٢٦ تعليق كرم البستاني ، دار صادر ، شرح الكافية للرضي ، دار الكتب بيروت ٢ / ٢٨٧ ، والحامسة البصرية ، السبع الطوال لابن الأنباري ٣٤٧ ، ٣٤٩ تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، والبحر المحيط ١٣٩ / ٧ ، والكشاف ١٩٥ / ٣ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من النسختين وزيادة من الكشاف .

(٧) كذا في الكشاف وفي النسخ : خرجت للشر .

(٨) كذا في الكشاف للزمخشري ١٩٥ / ٣ ، دار الفكر بحاشية السيد الشريف وكتاب الإنصاف لابن المنير المالكي .

حال، لأنه سَبَكَ ذلك من قوله: «وهم لا يفتنون» وهي^(١) جملة حالية، ثم ذكر «أن يتركوا» هنا من الترك الذي هو تصيير^(٢)، وهذا لا يصح، لأن مفعول «صير» الثاني لا يستقيم أن يكون لقولهم، إذ يصير التقدير: أن يصيروا لقولهم وهم لا يفتنون وهذا كلام لا يصح.

وأما ما مثله به من البيت فإنه يصح أن يكون «جزر السباع» مفعولاً ثانياً لترك - بمعنى صير - بخلاف ما قدر في الآية.

وأما تقديره: تركهم غير مفتونين لقولهم آمناً على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فلا يصح؛ إذ كان تركهم بمعنى تصييرهم كان غير مفتونين حالاً، إذ لا ينعقد من تركهم بمعنى تصييرهم ولقولهم^(٣) مبتدأ وخبر لا احتياج تركهم بمعنى تصييرهم إلى مفعول ثان، لأن غير مفتونين عنده حال، لا مفعول ثان.

وأما قوله: فإن قلت: أن يقولوا إلى آخره فيحتاج إلى فضلة^(٤) (فهم)^(٥)، وذلك أن قوله: أن يقولوا هو علة تركهم، فليس كذلك، لأنه لو كان علة لكان به متعلقاً كما يتعلق بالفعل، ولكنه علة الخبر المحذوف الذي هو مستقر أو كائن، والخبر غير المبتدأ، ولو كان «لقولهم» علة للترك لكان من تمامه فكان يحتاج إلى خبر.

وأما قوله: كما تقول: خروجه لمخافة الشر، فلمخافة ليس علة للخروج، بل للخبر المحذوف الذي هو مستقر أو كائن^(٦) انتهى.

قال شهاب الدين^(٧): «ويجاب الشيخ بأن الزمخشري إنما نظر إلى جانب المعنى، وكلامه عليه صحيح.

وأما قوله: ليس علة للخروج ونحو ذلك، يعني في اللفظ، فأما في المعنى فهو علة قطعاً، ولولا خوف الخروج فات المقصود^(٨).

فصل

معنى الآية: أحسب الناس أن يتركوا بغير اختبار ولا ابتلاء أن يقولوا آمناً «وهم لا يفتنون» وهم لا يَبْتَلُونَ في أموالهم وأنفسهم، كلا لنختبرنهم، ليتبين المخلص من المنافق، والصادق من الكاذب^(٩).

(١) في البحر وهذه.

(٢) وفيه: من التصيير.

(٣) في البحر: تقولهم.

(٤) في النسختين فصل وما هو مذكور موافق لما في البحر.

(٥) ساقط من النسختين وهو تكملة من البحر.

(٦) انظر: البحر المحيط ١٤٠/٧.

(٧) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي، شهاب الدين المقرئ، نزيل القاهرة المعروف بالسمين، تعاني النحو فمهر فيه، ولازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، له تفسير القرآن وغير ذلك مات سنة ٧٥٦هـ، انظر: بغية الوعاة ٤٠٢/١.

(٨) انظر: فتح القدير للشوكاني ١٩٢/٤.

(٩) الدر المصون ٢٩٢/٤.

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية، قال الشعبي: نزلت في ناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب النبي - ﷺ - لا يقبل منكم إقرار باللسان حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فاتبعهم المشركون فقاتلوه، فقتل بعضهم ونجا بعضهم، فأنزل الله هاتين الآيتين^(١).

وقال ابن عباس^(٢): نزلت في الذين آمنوا بمكة، وكانوا يعذبون سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر^(٤) وغيرهم.

وقال مقاتل^(٥): نزلت في مهجع بن عبد الله، مولى عمر بن الخطاب، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبي - ﷺ -: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ مُهَجَّجٌ، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة»^(٦)، فجزع أبواه وامراته، فأنزل الله فيه هذه الآية، وقيل: وهم لا يفتنون بالأوامر والنواهي، وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان، ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعض فأنزل الله هذه الآية.

ثم عزاهم فقال: «ولقد فتنا الذين من قبلهم» يعني الأنبياء والمؤمنين، فمنهم من نُشِرَ بِمِشَارٍ، ومنهم من قتل، وابتلي بنو إسرائيل بفرعون، فكان يسومُهُمْ سوء العذاب.

قوله: «فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» العامة على فتح الياء مضارع «عَلِمَ» المتعدية لواحد كذا قالوا وفيه إشكال تقدم وهو أنها إذا تعدت لمفعول كانت بمعنى عرف، وهذا المعنى لا يجوز إسناده إلى البارئ تعالى، لأنه يستدعي سبق حصل ولأنه يتعلق بالذات فقط، دون ما عليه من الأحوال^(٧).

وقرأ عليٌّ وَجَفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ^(٨) بضم الياء^(٩) مضارع «أعلم»، (ويحتمل^(١٠)) أن

(١) أخرجه السيوطي في أسباب النزول عن الشعبي عن ابن أبي حاتم ص ١٣٣، التحرير القاهرة ١٣٨٢هـ، وانظر القرطبي ٣٢٣/١٣.

(٢) تقدم.

(٣) سلمة بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، أسلم قديماً، وكان من خيار الصحابة وهاجر إلى الحبشة ومات مقتولاً، انظر: أمد الغاية ٣/ ٣٤٠ دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٤) ابن عامر بن مالك حليف بني مخزوم، وأمه سمية، روى عن النبي - ﷺ - عدة أحاديث، انظر الإصابة في معرفة أخبار الصحابة ٤/ ٥٧٥ دار نهضة مصر الفجالة القاهرة.

(٥) مقاتل بن سليمان بن كثير الأزد المفسر، روى عن مجاهد وعطاء وعنه عبد الرزاق وغيره، انظر: طبقات الداودي ٢/ ٣٢٩ و ٣٣٠ دار الكتب العلمية ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٦) الكشف ٣/ ١٩٦ وانظر هذه الأقوال في الرازي ٢٥/ ٢٨، والبحر المحيط ٧/ ١٣٩.

(٧) البحر المحيط السابق والدر المصون ٤/ ٢٩٣.

(٨) تقدم.

(٩) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٥٩، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٨٩هـ.

وابن خالويه في مختصر الشواذ ط المتنبى ١١٤، وانظر كذلك القرطبي ١٣/ ٣٢٦ بدون نسبة.

(١٠) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

يكون من علم بمعنى عرف^(١)، فلما جيء بهمزة النقل أكتسبتها مفعولاً آخر، فحذف.
ثم هذا المفعول) يحتمل أن يكون هو الأول، أي ليعلمن الله الناس الصادقين
وليعلمهم الكاذبين أي بشهرة^(٢) يعرف لها هؤلاء من هؤلاء، وأن يكون الثاني، أي
ليعلمن هؤلاء منازلهم، وهؤلاء منازلهم في الآخرة، ويحتمل أن يكون من العلامة، وهي
السِّمَّا، فلا يتعدى إلا لواحد أي ليجعلن لهم علامة يعرفون بها^(٣).
وقرأ الزُّهْرِيُّ^(٤) الأولى كالمشهور والثانية كالشاذة^(٥).

فصل

المعنى: فليعلمن الله الذين صدقوا في قولهم: آمناً، وليعلمن الكاذبين.
قال المفسرون: ظاهر الآية يدل على تجدد العلم، والله تعالى عالم بهم قبل
الاختبار. ومعنى الآية: فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوحد معلومه.
وقال مقاتل: فليُرىن الله. وقيل: ليميز الله، كقوله: «لِيُمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ».
وقال ابن الخطيب: الآية محمولة على ظاهرها، وذلك أن علم الله صفة يظهر فيها
كل ما هو واقع كما هو واقع، فقبل التكليف كان الله تعالى يعلم أن زيداً مثلاً سيُطِيعُ
وعمرأ سيعصي ثم وقت التكليف بالإتيان يعلم أنه أطاع، والآخر عصى، ولا يتغير علمه
في شيء من الأحوال، وإنما المتغير المعلوم.
ومثال ذلك في الحِسِّيَّاتِ أن المرأة الصانفة الصقيلة إذا علقَتْ في موضع، وقوبل
بوجهها جهة (ولم تحرك) ثم عبر عليها زيد لابساً ثوباً أبيض يظهر فيها زيد في ثوب
أبيض، وإذا عبر عليها «عمر» في ثوب أصفر يظهر فيها كذلك. فهل يقع في ذهن أحد
أن المرأة في كونها حديثاً تغيرت، أو يقع له أنها في تدويرها تبدلت أو أنها في صقاتها
اختلفت، أو يخطر بباله أنها عن مكانها انتقلت؟ لا يقع لأحد شيء من هذه الأشياء
ويقطع بأن المتغير إنما هو الخارجات.

فعلم الله من هذا المثال بل أعلى من هذا المثال، فإن المرأة ممكنة التغيير، وعلم
الله غير ممكن التغيير، فقوله: «فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ» من هذا المثال يعني يعلم من علم الله أنه
يأتي بالطاعة فيعلم أنه مطيع بذلك العلم. وليعلمن الكاذبين، يعني من قال: أنا مؤمن،

(١) الدر المصون ٢٩٣/٤. (٢) في «ب» بشهوة.

(٣) باللفظ من الدر المصون السابق وبالمعنى من البحر المحيط ١٤٠/٧.

(٤) الزهري أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني أحد الأعلام، وعالم
الحجاز والشام روى عن ابن عمر، وسهل بن سعد وغيرهم، وعنه أبان بن صالح وإبراهيم وغيرهما
مات سنة ١٢٤ هـ. انظر خلاصة الكمال ٣٥٩.

(٥) المحتسب والمختصر السابقين.

وكان كذاباً بفرض العبادات عليه يظهر منه ذلك ويعلم.

وفي قوله: «الَّذِينَ صَدَقُوا» بصيغة الفعل، وفي قوله: «الكَاذِبِينَ» فائدة مع أن الاختلاف في اللفظ أدل على الفصاحة وهي أن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يدل عليه، كما يقال: فلان شرب الخمر، وفلان شارب الخمر، وفلان نفذ أمره، وفلان نافذ أمره، لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ، ويفهم من اسم الفاعل ذلك إذا ثبت هذا فنقول: وقت نزول الآية كانت الحكاية في قوم قرياء العهد بالإسلام في أوائل إيجاب التكليف، وعن قوم قديمين في الكفر، مستمرين فيه. فقال في حق المؤمنين: «الذين صدقوا» بصيغة الفعل أي وجد منهم الصدق وقال في حق الذين كفروا: «الكَاذِبِينَ» بالصيغة المفهمة للثبات والدوام، فلماذا قال: ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] بلفظ اسم الفاعل، لأن في اليوم المذكور يكون الصدق قد رسخ في المؤمن وهو اليوم الآخر^(١).

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٤) مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ لَاقٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بُولَدِيهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩)

قوله تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» «أم» هذه منقطعة^(٢)، فتقدر ببل والهمزة عند الجمهور^(٣)، والإضراب انتقال لا إبطال.

قال ابن عطية: أم معادلة^(٤) للألف في قوله: «أحسب» وكأنه عز وجل قرر الفريقين، قرر المؤمنين أنهم لا يفتنون، وقرر الكافرين أنهم يسبقون نقمات الله^(٥).

(١) وانظر في هذا كله تفسير الإمام الرازي ٢٩/٢٥.

(٢) معنى أم المنقطعة التي لا يفرقها الإضراب ثم تارة تكون له مجرداً، وتارة تتضمن مع ذلك استفهاماً إنكارياً أو استفهاماً طلبياً. والآية التي معنا من العنكبوت من النوع الثاني أي التي تتضمن استفهاماً إنكارياً، وهي شبيهة بقوله تعالى: ﴿الْهَم أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥].

(٣) هذا هو رأي البصريين أنها أبداً بمعنى بل والهمزة، وقد خالفهم الكوفيون في ذلك.

(٤) مقصوده أن أم هنا متصلة، فالمعادلة هي التي تعادل الهمزة في إفادة التسوية أو الاستفهام، أو يقال: هي التي لا يستغني ما بعدها عما قبلها.

(٥) البحر المحيط ٧/١٤٠، والدر المصون ٤/٢٩٣.

قال أبو حيان: «ليست معادلة»؛ إذ لو كانت كذلك لكانت متصلة، ولا جائز أن تكون متصلة لفقد شرطين:

أحدهما: أن ما بعدها ليس مفرداً، ولا ما في قوته.

والثاني: أنه لم يكن هنا ما يجاب به من أحد شيئين أو أشياء^(١).

وجوز الزمخشري في «حسب» هذه أن تتعدى لاثنتين، وجعل «أن» وما في خبرها سادةً مسددهما، كقوله: «**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ**» [البقرة: ٢١٤]، وأن تتعدى لواحد على أنها مضمنة معنى «قدر»^(٢)، إلا أن التضمن لا ينقاس^(٣).

قوله: «ساء ما يحكمون» يجوز أن تكون «ساء» بمعنى بثس فتكون «ما» إما موصولة بمعنى الذي، و «يحكمون» صلتها، وهي فاعل ساء، والمخصوص بالذم محذوف أي حكمهم^(٤).

ويجوز أن تكون «ما» تمييزاً، و «يحكمون» صفتها، والفاعل مضمّر يفسره «ما» والمخصوص أيضاً محذوف^(٥).

ويجوز أن تكون ساء بمعنى قُبْح، فيجوز في «ما» أن تكون مصدرية، وبمعنى الذي، ونكرة موصوفة^(٦)، وحيء بـ «يحكمون» دون «حكموا» إما للتنبيه على أن هذا ديدنهم وإما لوقوعه موقع الماضي لأجل الفاصلة.

ويجوز أن تكون ما مصدرية وهو قول ابن كيسان^(٧) فعلى هذا يكون التمييز محذوفاً، والمصدر المؤول مخصوص بالذم أي ساء حكماً حكّمهم^(٨).

(١) بالمعنى من البحر له ١٤٠/٧ وباللفظ من الدر المصون ٢٩٣/٤.

(٢) وعلى هذا فأم منقطعة قال في الكشف ١٩٦/٣: فإن قلت: أين مفعولاً حسب؟ قلت: اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد مفعولين، كقوله تعالى: «**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ**» ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة.

(٣) قاله السمين في الدر ٢٩٣/٤.

(٤) نقله في التبيان ١٠٢٩/٢ وإعراب القرآن للنحاس ٢٤٨/٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٦٠/٤.

(٥) الدر المصون ٢٩٣/٤.

(٦) المرجع السابق ومشكل إعراب القرآن ١٦٦/٢.

(٧) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، كان أحد المشهورين بالعلم، والمعروفين بالفهم أخذ عن المبرد، وثعلب، وكان قيمياً بمذهب البصريين والكوفيين، له المذهب في النحو، وشرح السبع الطوال إلى غير ذلك، مات سنة ٢٩٩هـ، انظر: النزهة ١٦٢، ١٦١.

(٨) إعراب النحاس ٢٤٨/٢، والمشكل المرجع السابق، والبحر المحيط ١٤١/٧، والقرطبي ٣٢٧/١٣.

وقد نقل القرطبي قولاً عن ابن كيسان: قال أبو الحسن بن كيسان: وأنا أختار أن أجعل لـ «ما» موضعاً في كل ما أقدر عليه نحو قوله عز وجل فيما رحمة من الله لنت لهم، وكذا: فيما نقضهم ميثاقهم، وكذا «أيما الأجلين قضيت» القرطبي ٣٢٧/١٣.

وقد تقدم حكم «ما» إذا اتصلت ببش مشعباً في البقرة^(١).

فصل

لما بين حسن التكليف بقوله: «أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا» بين أن من كلف بشيء ولم يأت به يعذب، وإن لم يعذب في الحال فسيُعذب في الاستقبال، ولا يفوت الله شيء في الحال ولا في المآل.

فقوله: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» يعني الشرك «أَنْ يَسْبِقُونَا» أي يعجزونا ويفوتونا، فلا نقدر على الانتقام منهم «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» بش ما حكموا حين ظنوا ذلك. قوله: «مَنْ كَانَ يَرْجُوا» يجوز أن تكون من شرطية، وأن تكون موصولة ودخلت الفاء لشبهها بالشرطية.

فإن قيل: المعلق بالشرط عُدِمَ عند عَدَمِ الشرط، فمن لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتياً له، وهذا باطل، لأن أجل الله آت لا محالة من غير تقييد بشرط؟ فالجواب: أن قوله: «فإن أجل الله لآت» ليس بجواب، بل الجواب محذوف، أي فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً كما قد صرح به.

وقال ابن الخطيب: المراد من ذكر إتيان الأجل وعد المطيع بما يعده من الثواب أي من كان يرجو لقاء الله فإن أجره لآت بثواب الله، أي يثاب على طاعته، ومن لا يرجو لقاء الله آتياً له على وجه الثواب.

فصل

قال ابن عباس ومقاتل: من كان يخشى البعث والحساب^(٢). والرجاء بمعنى الخوف. وقال سعيد بن جبير^(٣): من كان يطمع في ثواب الله فإن أجل الله يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب.

(١) يشير إلى الآية ٩٠ من البقرة وهي قوله: «يَسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» وقد بين هناك أن «ما» إما أن تكون في موضع رفع فاعل بش، وعليه فيجوز أن تكون اسماً تائماً معرفة ويكون الفعل وصفاً لموصوف محذوف هو المخصوص أو تكون موصولة، والفعل بعدها صلة لها، والمخصوص محذوف، أو يكتفى بها عن المخصوص وأن تكون مصدرية أو نكرة موصوفة والمخصوص محذوف. والوجه الثاني: أن تكون «ما» كافة كما في طال، وكثر وغير ذلك. والوجه الثالث: أن تكون تمييزاً فموضعها نصب وعليه فهي إما أن تكون نكرة موصوفة بالفعل بعدها أو نكرة ثابتة، وانظر: اللباب بتصرف ٣٠١ ب.

(٢) في «ب» والعقاب.

(٣) مولى بني والبة بن الحارث من بني أسد، كان فقيهاً ورعاً، قرأ القرآن على ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمرو، والمنهال بن عمرو، مات سنة ١٧٥ هـ مقتولاً، وانظر: طبقات المفسرين للدودي دار الكتب العلمية ط ١/ ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

وقال مقاتل: يعني أن يوم القيامة لكائن^(١) والمعنى: أن من يخشى الله ويأمله فليستعد له، وليعمل لذلك^(٢) اليوم، كقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا﴾ [الكهف: ١١٠] الآية كما تقدم.

«وهو السميع العليم» ولم يذكر صفة غيرهما، لأنه سبق القول في قوله: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا» وسبق القول بقوله: «وهم لا يفتنون» وقوله: «فليعلمن الله الذين صدقوا» وقوله: «أم حسب الذين يعملون السيئات» ولا شك أن القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر، ومنه ما لا يدرك به، والعلم يشملهما، فقال: «وهو السميع العليم» أي يسمع ما قالوه، ويعلم من صدق فيما قال، ومن كذب أو عليم بما يعمل فيثيب ويعاقب.

قوله: «وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ» أي له ثوابه، والجهاد هو الصبر على الشدة، ويكون ذلك في الحرب، وقد يكون على مخالفة النفس.

فإن قيل: هذه الآية تدل على أن الجزاء على العمل واجب، فإن قوله: «فإنما يجاهد لنفسه» يفهم منه أن من جاهد ربح بجهاده ما لولاه لما ربح.

فالجواب: هو كذلك ولكن بحكم الوعد لا بالاستحقاق.

فإن قيل: قوله: «فإنما» يقتضي الحصر، فيكون جهاد المرء لنفسه فقط ولا ينتفع به غيره وليس كذلك، فإن من جاهد ينتفع به هو، ومن يريد نفعه حتى إن الوالد والولد ببركة المجاهد وجهاده ينتفعون به.

فالجواب: أن ذلك نفع له، فإن انتفاع الولد انتفاع للأب، والحصر هنا معناه أن جهاده لا يصل إلى الله منه نفع، ويدل عليه قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»^(٣) أي عن أعمالهم وعبادتهم.

قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء والخبر جملة القسم المحذوفة وجوابها أي: والله لنكفرن. ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمر على الاشتغال، أي: وليخلص الذين آمنوا من سيئاتهم^(٤).

والتكفير: إذهاب السيئة بالخشنة، والمعنى: لنذهب سيئاتهم حتى يصير بمنزلة من لم يعمل.

فإن قيل: قوله: فلنكفرن (عنهم سيئاتهم يستدعي وجود السيئات حتى تكفر، «والذين آمنوا وعملوا الصالحات» بأسرها من أين يكون) لهم سيئة؟

فالجواب: ما من مكلف إلا وله سيئة، أما غير الأنبياء فظاهر، وأما الأنبياء فلا

(١) انظر: فتح القدير ١٩٢/٤. (٢) قاله الرازي في التفسير الكبير ٣٢/٢٥.

(٣) الرازي ٣٢/٢٥.

(٤) قاله العكبري في التبيان ١٠٣٠ والسمين في الدر المصون ٢٩٤/٤.

ترك الأفضل منهم كالسيئة من غيرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿عَمَّا آَلَهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

قوله: «أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا»، قيل: على حذف مضاف، أي: ثواب الذي فالمراد بأحسن هنا مجرد الوصف^(١)

قيل: لئلا يلزم أن يكون جزاؤهم مسكوتاً عنه^(٢)، وهذا ليس بشيء^(٣)، لأنه من باب الأولى إذا جازاهم بالأحسن جازاهم بما دونه فهو من التنبيه على الأدنى بالأعلى. قال المفسرون: يجزيهم بأحسن أعمالهم وهو الطاعة^(٤).

وقيل: يعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن، كما قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

قوله: «حُسْنًا» فيه أوجه:

أحدها: أنه نعت مصدر محذوف أي (إِيصَاءً)^(٥) حسناً، إما على المبالغة جعل نفس الحسن، وإما على حذف مضاف (أي: ذا حُسْنٍ)^(٦).

الثاني: أنه مفعول به^(٧)، قال ابن عطية: «وفي ذلك تجوز»، والأصل ووصينا الإنسان بالحسن في فعله مع والديه^(٨)، ونظير ذلك قول الشاعر:

٤٠٢٥ - عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءٍ إِذْ تَشْكُونَا وَمِنْ أَبِي دَهْمَاءٍ إِذْ يُوصِينَا
خَيْراً بِهَا كَأَنَّمَا خَافُونَا^(٩)

ومنه قول الحطيفة:

٤٠٢٦ - (وَصِيتَ^(١٠) مِنْ بَرَّةٍ قَلْباً حَرّاً بِالْكَلْبِ خَيْراً وَبِالْحِمَاةِ شَرّاً)^(١١)

(١) في ب: الوقف وهو خطأ وتحريف.

(٢) بالمعنى من البحر المحيط ١٤١/٧، ١٤٢ وبالفظة من الدر المصون ٢٩٥/٤.

(٣) المرجع السابق. وفي ب: مشكوراً وليس مسكوتاً وهو تحريف.

(٤) نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٢٥٦ المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق ط ٣، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

(٥) سقط من ب. (٦) سقط من ب كذلك.

(٧) وانظر هذا في مشكل إعراب القرآن ٢/١٦٦ والبحر المحيط ١٤٢/٧، والدر المصون ٢٩٥/٤.

(٨) البحر المحيط ١٤١/٧.

(٩) أرجاز مجهولة القائل والشاهد: يوصينا خيراً بها» حيث تعدى الفعل إلى المفعول الثاني بالباء وهو الأصل في تعدية هذا الفعل وأشباهه حيث لا يقال: وصيته خيراً، وانظر: القرطبي ٣٢٩/١٣، والبحر المحيط ١٤٢/٧ ومعاني الفراء، تحقيق محمد علي النجار - الهيئة العامة للكتاب ٢/١٢٠، وفتح القدير ٤/١٩٣، والدر المصون ٤/٢٩٥.

(١٠) البيت كله سقط من ب.

(١١) الرواية المشهورة في الشطر الثاني: «والحماة شراً» بدون الباء. وقد نسب إلى الحطيفة خطأً، وإنما هو لأبي النجم العجلي وبعده:

وعلى هذا فيكون الأصل : وصيناه بحسن في بر والديه، ثم جر «الوالدين» بالهاء فانتصب حسناً وكذلك البيتان . والباء في الآية والبيتين في هذه الحالة للظرفية^(١).

الثالث : أن «بوالديه» هو المفعول الثاني، فنصب «حسناً» بإضمار فعل، أي يخسُن حسناً، فيكون مصدراً مؤكداً كذا قيل^(٢).

وفيه نظر، لأنَّ عامل المؤكد لا يحذف^(٣).

الرابع : أنه مفعول به على التضمين أي من الزمناه حسناً^(٤).

الخامس : أنه على إسقاط الخافض أي «بخسُن»^(٥).

وعبر صاحب التحرير^(٦) عن ذلك بالقطع^(٧).

السادس : أن (بعض)^(٨) الكوفيين قدره ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه حسناً^(٩).

وفيه حذف «أن» وصلتها، وإبقاء معمولها، ولا يجوز عند البصريين^(١٠).

السابع : أن التقدير : وصيناه بإيتاء والديه حسناً^(١١). وفيه حذف المصدر وإبقاء معموله ولا يجوز^(١٢).

الثامن : أنه منصوب انتصاب «زيداً» في قولك لمن رأيت متهيناً للضرب «زيداً» أي

اضرب زيداً، والتقدير هنا : أولهما حسناً، أو افعل بهما حسناً. قالهما الزمخشري^(١٣).

= لا تسامي نهكاً لها وضراً والحي عَمِيهِمْ بِشَرِّ طَرَا

وشاهده : «وصيت من برة» حيث عدى الفعل «وصى» إلى المفعول الثاني بالباء . ويروى : «أوصيت»

وهو فرق لفظي لا معنوي . وانظر : الكامل للمبرد ٩٤/٢ ، ٩٥ تحقيق محمد أبو الفضل نهضة مصر

١٩٨١م والمسائل العسكرية للفراسي ١٦٣ تحقيق د/محمد الشاطر ط المدني ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م،

ومعاهد التنقيص للعباسي البهية ١٣١٦ هـ (٩/١) والدر المصون (٤/٢٩٥).

(١) قاله أبو حيان في البحر بالمعنى والسمين في الدر باللفظ ٢٩٥/٤.

(٢) وهو رأي ابن عطية فيما نقله أبو حيان في البحر المرجع السابق.

(٣) قاله السمين في الدر ٢٩٥/٤.

(٤) قيل في المرجع السابق وقاله أيضاً أبو البقاء في التبيان ١٠٢٩.

(٥) نقله أبو حيان في بحره ولم يعينه أي لم يعين من قال به . وانظر كذلك الدر المصون ٢٩٥/٤.

(٦) لعله التحرير والتخيير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير للشيخ العلامة جمال الدين

أبي عبد الله محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب المقدسي الحنفي المتوفى سنة ٦٩٨هـ وهو كبير

في نيف وخمسين مجلداً، انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة ٣٠٨/١ دار العلوم الحديثة بيروت.

(٧) القرطبي ٣٢٧/١٣ ، ٣٢٨ وانظر : البحر المحيط أيضاً المرجع السابق.

(٨) سقط من ب. (٩) المرجعين السابقين.

(١٠) في الكتاب ٣٠٧/١. تحقيق هارون، الخانجي أن حذف أن دون صلتها يجوز في الشعر للاضطراب،

يقول : «فحملوه على أن، لأن الشعراء قد يستعملون أن ههنا مضطرين».

(١١) الكشف ١٩٧/٣. (١٢) قاله أبو حيان في البحر ١٤٢/٧.

(١٣) الكشف ١٩٧/٣ ، ١٩٨.

وقرأ عيسى^(١) والجهندي^(٢) : «حَسَنًا»^(٣) وهما لغتان، كالبُخل والبخل. وقد تقدم ذلك في أوائل البقرة^(٤).
 وقرئ : إحساناً^(٥)، من قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِحْسَنُا﴾ [الإسراء : ٢٣].

فصل

معنى حسناً أي براً بهما، وعطفاً عليهما، والمعنى : ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن^(٦). نزلت هذه الآية، والتي في سورة لقمان^(٧) والأحقاف^(٨) في سعد بن أبي وقاص^(٩)، وهو سعد بن مالك أبو إسحاق الزهري وأمه حُمْنَةُ بنت أبي سفيان بن أمية من عبد شمس، لما أسلم، وكان من السابقين الأولين وكان باراً بأمه، قالت أمه : ما هذا الدين الذي أخذت؟ والله لا أكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أجد الدهر، ويقال : يا قاتل أمي. ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب (ولم تستظل) فأصبحت قد جهدت، ثم مكثت يوماً آخر لم تأكل ولم تشرب^(١٠) فجاء «سعد» إليها، وقال يا أمّاه : لو كانت مائة نفس (فخرجت نفساً)^(١١) نفساً ما تركت ديني فكلّي، وإن شئت فلا تأكلي فلما أيسست منه أكلست وشربت فأنزل الله هذه الآية^(١٢)، وأمره الله بالبر بوالديه والإحسان إليهما.

واعلم أنه إنما أمر بالإحسان للوالدين لأنهما سبب وجود الولد بالولادة وسبب بقائه بالتربية المعتادة، والله تعالى بسبب^(١٣) له في الحقيقة بالإرادة، وسبب بقائه بالإعادة للسعادة، فهو أولى بأن يحسن العبد حاله (معه)^(١٤).

(١) المراد به عند الإطلاق عيسى بن عمر الثقفي، أخذ عن عبد الله بن أبي إسحاق، وغيره، وأخذ عنه الخليل له كتابات في النحو وكان مشهوراً في القراءات، ثقة، عالماً بالعربية، وكان يتقعر في العربية مات سنة ١٤٩هـ، انظر : أخبار النحويين البصريين ٢٥ ونزهة الألباء جمعية إحياء مآثر علماء العرب، د. ت ١٣، ١٤، ١٥.

(٢) تقدم.

(٣) البحر المحيط ١٤٢/٧، والكشاف ١٩٨/٣، ومختصر ابن خالويه ١١٤ وهي شاذة.

(٤) يشير إلى قوله تعالى : ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ [البقرة : ٨٤]، وانظر : اللباب ٧٠/١.

(٥) نقلها الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ١٦١/٤.

(٦) السابق.

(٧) وهي قوله : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن﴾ [لقمان : ١٤].

(٨) وهي : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً﴾ [الأحقاف : ١٥].

(٩) انظر تفسير الإمام ابن كثير ٤٤٥/٣. (١٠) ما بين القوسين سقط من ب.

(١١) سقط كذلك من ب.

(١٢) وانظر أيضاً أسباب النزول للسيوطي ١٣٣، وتفسير فتح القدير ١٩٥/٤.

(١٣) كذا في النسختين وفي الرازي : سبب.

(١٤) ساقط من «أ» والأصل.

قوله: «وإن جَاهِدَكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا».

قال عليه (الصلاة) (١) والسلام: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ» (٢) ثم أوعد بالمصير إليه، فقال: «إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أخبركم بصلاح أعمالكم وسيئها فأجازيكم عليها كأنه تعالى يقول: لا تظنوا أنني غائب عنكم وأباؤكم حاضرون فتوافقون الحاضرين في الحال اعتماداً على غيبيتي، وعدم علمي بمخالفتكم فإني حاضر معكم أعلم ما تفعلون، ولا أنسى فأنبئكم بجميعه (٣).

قوله: «والذين آمنوا» يجوز فيه الرفع على الابتداء، والنصب على الاشتغال.

وقوله: «لندخلنهم في الصالحين» أي نجعلهم منهم، وندخلهم في أعدادهم، كما يقال: الفقيه داخل في العلماء. والمعنى: نجعلهم من (٤) جملة الصالحين وهم الأنبياء والأولياء. وقيل: في مدخل الصالحين وهو الجنة.

فإن قيل: ما الفائدة في إعادة «الذين آمنوا وعملوا الصالحات»؟

فالجواب: أنه ذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولاً، لبيان حال المهتدي وثانياً، لبيان حال الهادي لأنه قال أولاً: «لنكفرن عنهم سيئاتهم».

وقال ثانياً: «لندخلنهم في الصالحين» والصالحين هم الهداة، لأنها مرتبة الأنبياء، ولهذا قال إبراهيم - عليه (الصلاة و) السلام: «وألحقني بالصالحين» (٥).

قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾».

قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ» المكلفون ثلاثة أقسام: مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده، وكافر مجاهر بكفره وعناده، ومذبذب بينهما ويظهر الإيمان بلسانه ويضمّر الكفر، فالله تعالى لما بين القسمين الأولين بقوله: «أَم حَسْبُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» إلى قوله: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات» بين القسم الثالث وهو المنافق فقال: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ» أصابه بلاء من الناس افتتن، «وَجَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ» أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة أي جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه، قال

(١) زيادة من «ب».

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه في الجهاد بلفظ «لا طاعة لمن عصى الله» وانظر: ابن ماجة ٩٥٦/٢.

(٣) قاله الرازي في التفسير الكبير ٣٦/٢٥: (٤) ذكره الشوكاني في فتح القدير ١٩٣/٤.

(٥) [الشعراء: ٨٣]. وانظر: الرازي في التفسير الكبير المرجع السابق.

السدي^(١)، وابن زيد^(٢) هذا (في)^(٣) المناقق إذا أُوذِيَ في الله رَجَعَ عن الدين وكفر.

واعلم أنه قال: «فتنة الناس» ولم يقل: «عذاب الناس»؛ لأن فعل العبد ابتلاه من الله، والفتنة تسليط بعض الناس على من أظهر كلمة الإيمان ليؤذيه فيبين منزلته، كما جعل التكليف ابتلاءً وامتحاناً، وهذا إشارة (إلى)^(٤) أن الصبر على البلية الصادرة (من) الإنسان^(٥) كالصبر (على العبادات)^(٦) فإن قيل: هذا يقتضي منع المؤمن من إظهار كلمة الكفر بالإكراه لأن من أظهر كلمة الكفر بالإكراه - اختِرازاً عن التعذيب العاجل - يكون قد جعل فتنة الناس كعذاب الله.

فالجواب: ليس كذلك لأن من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله لأن عذاب الله يوجب ترك ما يعذب عليه ظاهراً وباطناً بل في باطنه الإيمان. قوله: «وَلْتُنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ» أي فتح ودولة للمؤمنين «لَيَقُولُنَّ» يعني هؤلاء المناققين للمؤمنين «إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» على عدوكم، وقال: «وَلْتُنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ» ولم يقل: «ولئن جاءكم» «ولئن جاءك» والنصر لو جاءهم ما كانوا يقولون إنا معكم، وهذا يقتضي أن يكونوا قائلين: «إنا معكم» إذا جاء النصر لكن النصر لا يجيء إلا للمؤمنين كما قال تعالى: «وَكَاَنَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»، ولأن غلبة الكافر على المسلم ليس بنصر، لأن النصر ما يكون عاقبته سليمة، بدليل أن أحد الجيشين إذا انهزم في الحال ثم ذكر المهزوم كرة أخرى وهزموا الغالبين لا يطلق اسم النصر إلا على من كان له العاقبة فكذاك المسلم وإن كسر^(٧) في الحال فالعاقبة للمتقين، والنصر لهم في الحقيقة. فإن قيل: «ولئن جاء نصر من ربك» ولم يقل: «من الله» مع أن ما تقدم كله يذكر الله كقوله: «أُوذِيَ فِي اللَّهِ»، وقوله: «كعذاب الله» فما الحكمة في ذلك؟

فالجواب: لأن - «الرب» - اسم مدلوله الخاص به الشفقة والرحمة، و «الله» اسم مدلوله الهيبة والعظمة، فعند النصر ذكر الاسم الدال على الرحمة والشفقة، وعند العذاب ذكر اللفظ الدال^(٨) على العظمة. قوله: «لَيَقُولُنَّ» العامة^(٩) على ضم اللام، أسند الفعل

(١) السدي: محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل السدي كوفي، متهم بالكذب من الطبقة الثامنة، وهو صاحب «التفسير» وروى عن يحيى بن عبيد الله، والكلبي وعن هشام بن عبيد الله، انظر: طبقات الداودي ٢/ ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، روى عن أبيه، وابن المنكدر، وعنه أصبغ، وقتيبة، له «التفسير» والناسخ والمنسوخ، مات سنة ١٨٢ هـ، طبقات الداودي ١/ ٢٧١.

(٣) ساقط من ب. (٤) في ب على.

(٥) ساقط من ب. (٦) ساقط من ب.

(٧) في «ب» أكره وما في «أ» موافق لما في تفسير الفخر الرازي.

(٨) انظر: الفخر الرازي ٣٩/ ٢٥.

(٩) نقلها في البحر المحيط ٧/ ١٤٣ بنسبة، وفي الكشاف ٣/ ١٩٩ بدون نسبة وكذلك في مختصر ابن =

لضمير جماعة، حملاً على معنى «مَنْ»^(١) بعد أن حمل على لفظها، ونقل أبو معاذ^(٢) النحوي أنه قرئ: ليقولن بالفتح^(٣)، جرياً على مراعاة لفظها أيضاً، وقراءة العامة أحسن لقوله: «إِنَّا كُنَّا»^(٤).

فصل

المعنى: إن المنافقين لما قالوا إنا كنا معكم، أي على عدوكم وكنا مسلمين، وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم (الله)^(٥) وقال: «أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ» من الإيمان والتفاهت ولما بين أنه علم بما في قلوب العالمين بين أنه يعلم المؤمن المحق^(٦) وإن لم يتكلم، والمنافق وإن لم يتكلم فقال: «وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» صدقوا فثبتوا على الإسلام عند البلاء، «وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ» بترك الإسلام عند البلاء، وتقدم الكلام على (نظير)^(٧) ذلك. (قال عكرمة)^(٨) عن ابن عباس إنها نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم إلى «بدر»، وهم الذين نزلت فيهم: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ»^(٩)، وقال مجاهد^(١٠): نزلت في أناس كانوا يؤمنون بالسننهم فإذا أصابهم بلاء من الناس، أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا^(١١)، وقال قتادة: نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة^(١٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ

= خالويه فقال: «ليقولن» بفتح اللام، ذكره أبو معاذ النحوي، انظر: مختصر ابن خالويه ١١٤، وانظر الدر المصون للسمين الحلبي ٢٩٦/٤.

(١) فإن معناها الجمع ولفظها الأفراد فهي من الموصولات المشتركة، وانظر المرجع السابق.
(٢) أبو معاذ النحوي: الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي، مولى باهلة، روى عن: عبد الله بن المبارك، وداود بن أبي هند، وعنه محمد بن شقيق، والأزهري، صنف كتاباً في القرآن، مات سنة ٢١١هـ، انظر: طبقات الداودي ٣٢/٢.

(٣) الدر المصون ٢٩٦/٤، والبحر المحيط ١٤٣/٧.

(٤) المرجعان السابقان. (٥) ساقط من ب.

(٦) في «ب» الحق. (٧) ساقط من ب.

(٨) ساقطة من ب. وعكرمة هو عكرمة البربري مولى ابن عباس أبو عبد الله أحد الأئمة الأعلام، أحدث عن مولاة وعن عائشة، وأبي هريرة، وعنه: الشعبي، والنخعي مات سنة ١٠٥هـ، انظر: خلاصة الكمال ٢٧٠.

(٩) [النساء: ٩٧] وانظر زاد المسير ٢٥٨/١٦.

(١٠) مجاهد هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي المقرئ المفسر، الإمام، روى عنه الأعمش، روى عن ابن عباس كما روى عن عائشة وحدث عنه عكرمة وعطاء مات سنة ١٠٣هـ، انظر: طبقات المفسرين للداودي ٣٠٨/٢.

(١١) نقله في زاد المسير ٢٥٩/٦. (١٢) نقله في القرطبي ٣٣٠/١٣ والبحر ١٤٣/٧.

وَمَا هُمْ بِحَكِيمِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مَنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا» قال مجاهد: هذا قول كفار مكة لمن آمن منهم وذلك أن الكافر يقول للمؤمن تصبر في الذل، وعلى الإيذاء^(١) لأي شيء ولم لا تدفع عن نفسك الذل والعذاب بموافقتنا فيجيبه المؤمن بأن يقول خوفاً من عذاب الله على خطيئة مذهبكم فقالوا: لا خطيئة فيه وإن كان فيه خطيئة فعلينا^(٢). قوله: «وَلَنُحْمِلَ» أمر في معنى^(٣) الجنس، قال الزمخشري: وهو في معنى^(٤) من يريد اجتماع أمرين في الوجهين فيقول: ليكن منك العطاء، ومني الدعاء.

فقوله: «ولنحمل» أي ليكن منا الحمل، وليس هو في الحقيقة أمر طلب وإيجاب وقرأ الحسن^(٥) وعيسى بكسر لام الأمر^(٦)، وهو لغة الحجاز قال الزمخشري: «وهذا قول صناديد^(٧) قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن، ولا أنتم، فإن عسى كان ذلك فإننا نتحمل (عنكم الإثم)^(٨)». قال أبو حيان: «هذا تركيب^(٩) عجمي من جهة إدخال حرف الشرط وهي جامدة واستعمالها من غير اسم، ولا خبر، وإيلائها كان». وقرأ العامة «خطاياكم»^(١٠)، وداد بن هند^(١١): «من خطيئاتهم»^(١٢) جمع سلامة، وعنه أيضاً: «خطيئتهم» بالتوحيد^(١٣) والمراد الجنس، وهذا شبيه بقراءة: «وَأَخَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ»^(١٤) و «خطيئاته» وعنه أيضاً: «خطئهم»^(١٥) - بفتح الطاء وكسر الياء، يعني بكسر الهمزة القريبة من الياء لأجل تمهيدها بين بين، و «من شيء» وهو مفعول بحاملين و «من خطاياهم» لما تقدم عليه انتصب حالاً.

فصل

معنى الآية اتبعوا سبيلنا أي ديننا وملة آبائنا، ونحن الكفلاء بكل تبعية من الله

(١) في ب: الأذى بالقصر. (٢) بالمعنى من البحر المحيط ١٤٣/٧.

(٣) انظر: الإيضاح في معاني القرآن وإعرابه ١٦١/٤.

(٤) انظر: الكشف ١٩٩/٣ بالمعنى.

(٥) الحسن: الحسن البصري بن أبي الحسن أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، روى عن عمران بن حصين، وأبي موسى، وابن عباس وعنه ابن عوف، وأمم، كان رأساً في العلم مات سنة ١١٠، انظر طبقات الداودي ١٥٠/١، ١٥١.

(٦) الإتحاف ٣٤٤، والبحر المحيط ١٤٣/٧، ومختصر ابن خالويه ١١٤، وانظر أيضاً الدر المصون ٢٩٧/٤.

(٧) انظر: الكشف ١٩٩/٣. (٨) زيادة يقتضيها السياق من الكشف المرجع السابق.

(٩) انظر: البحر المحيط ١٤٣/٧. (١٠) البحر المحيط ١٤٣/٧ والدر المصون ٢٩٧/٤.

(١١) لم أقف عليه. (١٢) مختصر ابن خالويه ١١٤، والبحر ١٤٤/٧.

(١٣) البحر ١٤٤/٧. (١٤) البقرة: ٨١.

(١٥) انظر: المراجع السابقة.

تصبيكم وهو قوله: «ولنحمل خطاياكم»، نظير هذه الصيغة: «فَلْيَلْقِهِ الِیَمُّ بِالسَّاحِلِ»^(١) ثم^(٢) أكذبهم الله تعالى فقال: «وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فيما قالوا.

فإن قيل: قال: «وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ» وقال بعده: «وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ» فنفي الحمل أولاً، وأثبت^(٣) الحمل ثانياً فكيف الجمع بينهما؟ فالجواب: أن قول القائل في «حمل فلان وعن فلان» يريد: أن حمل فلان خف، فإذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل عنه شيئاً، فقوله: «وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ» يعني (لا يرحمون)^(٤) ولا يرفعون عنهم خطيئة، بل يحملون أوزار أنفسهم، وأوزاراً بسبب إضلالهم (لهم)^(٥)، كقوله (عليه الصلاة)^(٦) والسلام: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزَرُهَا وَوزُرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ وَزْرِ شَيْءٍ»^(٧)، والمعنى: وليحملن أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم، «أثقالاً مع أثقالهم» أي أوزاراً مثل أوزار من أضلوا مع أوزارهم، كقوله: «وليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم»^(٨).

قوله: «وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون» سؤال توبيخ وتقريع، وذلك الافتراء يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: قولهم: «ولنحمل خطاياكم» كان لاعتقادهم أن لا خطيئة في الكفر، ثم يوم القيامة يظهر لهم خلاف ذلك، فيسألون عن ذلك الافتراء.
وثانيها: أن قولهم «ولنحمل خطاياكم» كان لاعتقادهم أن لا حشر، فإذا جاء يوم القيامة ظهر خلاف ذلك، فيسألون ويقول لهم: أما قلتم: أن لا حشر.
وثالثها: أنهم لما قالوا: لنحمل خطاياكم يوم القيامة، يقال لهم: فاحملوا خطاياهم، فلا يحملون ويسألون فيقال لهم: فَلِمَ افترتُم؟

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه...» لما بين التكليف، وذكر أقسام المكلفين ووعد المؤمن الصادق بالثواب العظيم، وأوعد الكافر والمنافق بالعذاب الأليم

(١) طه: ٣٩. (٢) في ب: فأكذبهم.

(٣) في ب: «ثبت» ثلاثياً. (٤) زيادة من «ب».

(٥) زيادة من أ. (٦) زيادة من ب.

(٧) هذا جزء من حديث طويل مزوي عن رسول الله - ﷺ - عن جرير بن عبد الله، وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه ٦١/٨ «باب العلم».

(٨) [التحل: ٢٥].

فكانه قال: هذا التكليف ليس مختصاً بالنبي وأصحابه وأمه حتى صعب عليهم بل قبله كان كذلك كما قال تعالى: «ولقد فتنا الذين من قبلهم»، فذكر من الذين كلفوا^(١) قبله نوح عليه (الصلاة و) السلام وقومه، وإبراهيم عليه (الصلاة و)^(٢) السلام وغيرهما.

قوله: «أَلْفَ سَنَةٍ» منصوب على الظرف «إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا» منصوب على الاستثناء. وفي وقوع الاستثناء من أسماء العدد خلاف. وللمانعين عنه^(٣) جواب عن هذه الآية، وقد روعيت هنا نكتة لطيفة، وهو أن غَايَرَ بين تَمْيِيزِي العَدَدِ فقال في الأول «سنة»، وفي «الثاني» عاماً، لثلا يتقل اللفظ^(٤)، ثم إنه خص لفظ العام بالخمسين إيداناً بأن نبي الله - ﷺ - لما استراح^(٥) منهم بقي في زمن حسن، فالعرب تعبر عن الخَصْبِ بالعام، وعن الجَدْبِ بالسنة^(٦).

فصل

قال بعضهم: إن الاستثناء في العدد تكلم بالباقي^(٧)، فإذا قال القائل: لفلان عَلَيَّ عشرة إلا ثلاثة فكانه قال: عليّ سبعة، إذا علم هذا فقلوه: «ألف سنة إلا خمسين عاماً» كقوله: تسعمائة وخمسين سنة فما الفائدة في العدول عن هذه العبارة إلى غيرها؟ فقال الزمخشري فيه فائدتان^(٨)، إحداهما: أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب، فإن من قال: عاش فلان ألف سنة (يمكن أن يتوهم أن يقول ألف سنة)^(٩) تقريباً لا تخفيفاً، فإذا قال إلا شهراً أو إلا سنة يزول ذلك التوهم، وقد يفهم منه التحقيق. الفائدة الثانية: هي أن ذكر لَبِثِ نوح عليه (الصلاة و) السلام في قومه كان لبيان أنه صبر كثيراً فالتبني عليه (الصلاة و) السلام أولى بالصبر مع قَصَرِ مُدَّةٍ (دُعَائِهِ).

قوله: «فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ» ففرقوا «وَهُمْ ظَالِمُونَ» قال ابن عباس: مشركون. وفيه إشارة إلى أن الله لا يعذب على مجرد وجود الظلم ولا يعذب من ظلم وتاب بأن الظلم وجد منه وإنما يعذب على الإصرار على الظلم، فقلوه: «وهم ظالمون» يعني أهلكهم وهم ملتبسون بالظلم. قوله: «فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ» يعني من الغرق، «وجعلناها» يعني السفينة آية للعالمين» أي عبرة، وفي كونها آية وجوه:

- (١) في «ب» فذكر الذين كلفوا قبل نوح. (٢) زيادة من ب.
- (٣) أثبتت في كلتا النسختين وفي نسخ كثيرة بهذا اللفظ «عنه»، وقد أوردها السمين في الدر المصون ٤/ ٢٩٧ بلفظ «منه» وهو الصواب.
- (٤) انظر: البحر ٧/ ١٤٥ والكشاف ٣/ ٢٠٠ قال: «فإن قلت: لم جاء المميز أولاً بالسنة، وثانياً بالعام؟ قلت: لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة».
- (٥) في «ب» أراح وهو تحريف. (٦) تفسير الدر المصون للسمين ٤/ ٢٩٨.
- (٧) انظر: تفسير الفخر الرازي ٤١/ ٢٥.
- (٨) نقله الفخر الرازي عن الزمخشري ولم أجده في الكشاف بلفظه المنقول. انظر: الكشاف ٣/ ٢٠٠.
- (٩) ما بين المعقوفين ساقط من «ب».

أحدها: كانت باقية على الجودي مدة مديدة.

وثانيها: أن نوحاً أمر بأخذ قومه معه، ورفع قدر من الزاد والبحر العظيم لا يتوقع أحد (نُضوبه). ثم إن الماء غيض قبل فساد الزاد، ولولا ذلك لما حصل النجاة فهو بفضل الله لا بمجرد السفينة.

وثالثها: أن الله سلم السفينة من الرياح المزعجة والحيوانات المؤذية، ولولا ذلك لما حصل النجاة^(١)، وقيل: «الهاء» في «جَعَلْنَاهَا» راجعة إلى الواقعة أو النجاة أو العقوبة بالغرق.

فصل

قال ابن عباس بُعث نوح لأربعين سنة، وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وقشوا، وكان عمره ألفاً وخمسين سنة^(٢)، وروي عن ابن عباس أنه بعث وهو ابن أربعمئة وثمانين سنة، وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة^(٣)، فإذا كان هذا محفوظاً عن ابن عباس فيضاف إلى لبيته في قومه وهو تسعمائة وخمسين سنة فيكون قد عاش ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة، وأما قبره عليه (الصلاة و) ^(٤) السلام فروى ابن جرير^(٥)، والأزرقي^(٦) حديثاً مرسلأ أن قبر نوح عليه (الصلاة و) ^(٧) السلام بالمسجد الحرام^(٨). وقيل: ببليدة بالبقيع تعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بني بسبب ذلك^(٩)، والاول أقوى وأثبت.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ هَبْنَا دُفُوفَ الْأَنْفُسِ إِلَى دُفُوفِ الْأَعْيُنِ فَأَنظَرْنَاهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ أَذْهَبَ الْأَعْيُنُ عَنْ دُفُوفِهَا فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَكَبَّرُوا وَقَالُوا إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ ۝ إِنَّا جَاءْنَاكَ أَكْثَرَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَعُدَّ كَذِبُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝﴾

قوله تعالى: «وَإِذْ هَبْنَا دُفُوفَ الْأَنْفُسِ إِلَى دُفُوفِ الْأَعْيُنِ»^(١٠)، والعامية على نصبه^(١١) عطفأ

(١) انظر: الفخر الرازي ٤١/٢٥.

(٢) رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس، انظر: زاد المسير ٢٦١/٦.

(٣) لم أعر على هذه الرواية في الكتب المعتمدة، وقد قال ابن كثير: «وقول ابن عباس أقرب والله أعلم»، انظر: تفسير ابن كثير ٤٠٧/٣.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) ابن جرير هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي الطبري أبو جعفر، الإمام، صاحب التصانيف المشهورة له تفسير القرآن وكتابات تهذيب الآثار، مات سنة ٣١٠ هـ، انظر: طبقات المفسرين للداودي ١١٠/٢، ١١٧.

(٦) الأزرقي: لم أعر عليه.

(٧) زيادة من «ب».

(٨) معالم التنزيل للبغوي.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) ذكره الزجاج في إعرابه ١٦٤/٤ وإعراب النحاس ٢٥٢ ج ٣ وانظر: البيان لابن الأنباري ٢٤١/٢.

والمشكل ١٦٨/٢، والبيان للعسكري ١٠٣٠/٢.

(١١) أي نصب إبراهيم، انظر: المراجع السابقة.

على «نوحاً»^(١)، أو بإضمار «اذكر»^(٢)، أو عطفًا على «هاء»^(٣) «أنجيئناه»، والنخعي^(٤)، وأبو جعفر^(٥)، وأبو حنيفة^(٦): «وإبراهيم» رفعاً على الابتداء، والخبر مقدر أي ومن المرسلين إبراهيم^(٧)، وقوله: «إِذْ قَالَ» بدل من «إِبْرَاهِيمَ» بدل اشتمال^(٨)، فإن قلنا: هو ظرف «أَرْسَلْنَا» أي أرسلنا إبراهيم إذ قال لقومه، ففيه إشكال، لأن قوله لقومه «اعبدوا الله» دعوة، والإرسال يكون قبل الدعوة، فكيف يفهم من قوله: «أَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ حِينَ قَالَ لقومه مع أنه يكون مرسلًا قبل ذلك؟

فالجواب: هذا كقول القائل: «وَقَفْتُ لِلْأَمِيرِ إِذْ خَرَجَ مِنَ الدَّارِ»، وقد يكون الوقوف قبل الخروج لكن لما كان الوقوف يمتد إلى ذلك الوقت صح ذلك.

فصل

معنى «اعبدوا الله واتقوه» أطيعوا الله وخافوه، وقيل: «اعبدوا الله» إشارة إلى الإتيان بالواجبات «واتقوه» إشارة إلى الامتناع عن المحرمات، «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أي عباد الله وتقواه خير، لأن خلاف عبادة الله تعطيل^(٩)، وخلاف تقواه شرك، وكلاهما شر، «إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا» أصنامًا، فلا تستحق العبادة لكونها أصنامًا منحوتة لا شرف لها.

قوله: «وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا» العامة على فتح التاء، وسكون الخاء، ورفع اللام مضارع «خلق» و «إِفْكًا» بكسر الهمزة وسكون الفاء، أي وتختلقون كذبًا، أو تنتحون أصنامًا، وعلي بن أبي طالب^(١٠)، وزيد بن علي^(١١) والسلمي^(١٢)، وقتادة بفتح الحاء واللام مشددة^(١٣)، وهو مضارع «تَخْلَقُ» والأصل: «تَتَخْلَقُونَ» بناءً على حذف إحدى الحاهما «كَتَنَزَلْ»،

(١) المراجع السابقة.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

(٥) تقدم.

(٦) انظر: البحر المحيط ١٤٥/٧، ومختصر ابن خالويه ١١٥، والكشاف ٢٠١/٣، وهي من الشواذ رواية ولكنها قوية في العربية.

(٧) المراجع السابقة، وانظر: الدر المصون ٢٩٨/٤ وقد قال في الكشاف ٣٠١/٣ «لأن الأحيان تشتمل على ما فيها».

(٨) في «ب» تعليل وهو خطأ وتحريف (١٠) تقدم.

(١١) زيد بن علي بن أحمد أبو القاسم العجلي شيخ العراق، إمام حاذق، وعادل ثقة، قرأ على أحمد بن فرج وغيره وقرأ عليه ابن مهران، مات سنة ٣٥٨، الغاية ٢٩٨ و٢٩٩/١.

(١٢) السلمي: عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي الضريير، مقرئ الكوفة، إليه انتهت القراءة تجويداً، وضبطاً، أخذ عن عثمان، وعلي، وعنه عاصم، وابن السائب كان كبير القدر، مات سنة ٤٧٤هـ، انظر: غاية النهاية ٤١٣/١، ٤١٤.

(١٣) نقلها في المحتسب ٦٠/٢ والشواذ لابن خالويه ١١٥، ١١٤ ومعاني القرآن للفراء ٣١٥/٢، والبحر المحيط ١٤٥/٧ وهي من القراءات غير المتواترة، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٦٥/٤.

ونحوه، روي عن «زيد بن علي» أيضاً تُخْلَقُونَ بضم التاء وتشديد اللام مكسورة^(١) مضارع «خلق» مضعفاً، وقرأ ابن الزبير^(٢)، وفضيل بن^(٣) رَزَقَانِ إِفْكَاً^(٤) - بفتح الهمزة وكسرهما - وهو مصدر كالكذب معنى ووزناً، وجوز الزمخشري^(٥) في الإِفْكِ - بالكسر والسكون - وجهين:

أحدهما: أن يكون مخففاً من الأَفْكِ بالفتح والكسر كالكَذِبِ واللَّعِبِ، وأصلها: (الكَذِبُ^(٦) واللَّعِبُ) وأن يكون صفة على «فَعْلٍ» أي خَلَقاً إِفْكَاً أي «ذَا إِفْكِ».

قال شهاب الدين: وتقديره^(٧) مضافاً قبل «إفك» مع جعله له صفة غير مُحتاج إليه (وإنما كان^(٨) يُحْتَاجُ إليه) لو جعله مصدراً.

قوله: «إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً» لا يقدرُونَ أن يرزقوكم، وهذا إشارة إلى عدم المنفعة في الحال والمآل. قوله: «رِزْقاً» يجوز أن يكون منصوباً على المصدر، وناصبه «لا يملكون»؛ لأنه في معناه، وعلى أصول الكوفيين يجوز أن يكون الأصل: لا يملكون أن يَرْزُقُوكم رِزْقاً، فإن «يرزقوكم» هو مفعول «يملكون»، ويجوز أن يكون بمعنى «المرزوق»^(٩) فينتصب مفعولاً به، «فابْتَغُوا» فاطلبوا «عند الله الرزق» (و) هذا إشارة إلى استحقاق عبوديته^(١٠) لذاته. فإن قيل: قال: «لا يملكون لكم رِزْقاً» نكر الرزق وقال: «فابْتَغُوا عند الله الرِزْقَ» فعرفه، فما الفائدة؟ قال الزمخشري نكره في معرض النفي أي لا رزق عندهم أصلاً، وعرفه عند الإثبات عند الله تعالى أي كل الرزق عنده فاطلبوه منه^(١١). وفيه وجه آخر^(١٢) وهو أن الرزق من الله معروف بقوله: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا»^(١٣) والرزق من الأوثان غير معلوم، فقال «لا يملكون رِزْقاً» لعدم حصول العلم به، وقال: «فابْتَغُوا عند الله الرزق» أي الموعود به، ثم قال: «واعبدوه واشكروا له» اعبدوه لكونه مستحقاً للعبادة لذاته، فاشكروا له لكونه

(١) نقلها أيضاً في معاني الزجاج ١٦٥/٤ والبحر المحيط ١٤٥/٧ والدر المصون ٢٩٨/٤.

(٢) ابن الزبير.

(٣) هكذا في كل ما توصلت إليه من مراجع «رزقان» وما في المحاسب «فضيل بن مرزوق» والقراءة نفسها منسوبة لهذه التسمية هذه وهو فضيل بن مرزوق الكوفي، روى عن أبي حازم وعدي بن ثابت، وعنه: يحيى بن آدم، وبزید بن هارون، انظر: هامش المحاسب لابن جني ١٦٠/٢ والقراءة في المحاسب ١٦٠/٢.

(٤) (٥) الكشف ٢٠١/٣.

(٦) ساقط من ب وهي في الكشف. (٧) الدر المصون ٢٩٩/٤.

(٨) ساقط من ب وموجودة بالمرجع السابق، انظر: الدر المصون ٢٩٩/٤.

(٩) في ب: الرزق. (١٠) في ب: العبودية بالتعريف.

(١١) قال الزمخشري في الكشف ٢٠١/٣: «فإن قلت: لم نكر الرزق ثم عرفه؟ قلت: لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئاً من الرزق فابْتَغُوا عند الله الرزق كله، فإن الله هو الرازق وحده لا يرزق غيره».

(١٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ٤٤/٢٥. (١٣) هود: ٦.

سائق النعم إلى الخلق «وإليه ترجعون» أي عبدوه لكونه مرجعاً منه يتوقع الخير لا من غيره. قوله: «وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم» في المخاطب بهذه الآية وجهان:

الأول: أنه قوم إبراهيم؛ لأن القصة لإبراهيم، فكان إبراهيم قال لقومه: إن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وأنا أتيت بما علي من التبليغ، فإن الرسول ليس عليه إلا البلاغ والبيان. فإن قيل: إن إبراهيم لم يسبقه إلا قوم نوح، وهم أمة واحدة.

فالجواب: أن قبل نوح أيضاً كان أقوام كقوم «إذريس»، وقوم «شيث»، وآدم، وأيضاً فإن نوحاً عاش أكثر من ألف سنة، وكان القرن يموت، ويحيا أولاده، والآباء يوصون الأبناء بالامتثال عن الاتباع، فكفى بقوم نوح أمماً.

الثاني: أن الآية خطاب مع قوم محمد - ﷺ -؛ لأن هذه القصص أكثرها المقصود معه تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا عن التكذيب، ويرتدعوا خوفاً من التعذيب، فقال في أثناء حكاياتهم: يا قوم إن تكذبوا فقد كذب قبلكم أقوام هلكوا، فإن كذبتم فإني أخاف عليكم أن يقع بكم ما وقع بغيركم^(١).

وهذه الآية تدل على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة لأن الرسول إذا بلغ شيئاً ولم يبينه فلم يأت بالبلاغ المبين.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بُدِئَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١٩) ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠)

قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ» قرأ الأخوان^(٢) وأبو بكر^(٣) بالخطاب^(٤)، على خطاب «إبراهيم» لقومه بذلك، والباقون بالغيبة، رداً على الأمم المكذبة. قوله: «كَيْفَ بُدِئَ» العامة على ضم الباء من «أبدأ» والزبير^(٥)، وعيسى، وأبو

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي ٤٤/٢٥.

(٢) الأخوان حمزة، والكسائي، فحمزة هو حمزة بن حبيب بن إسماعيل الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي الزيات، أخذ القراءة عن سليمان الأعمش وأبي إسحاق السبيعي، مات سنة ١٥٦ هـ وقيل غير ذلك انظر: طبقات القراء ٢٦١/١ - ٢٦٣.

والكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي أبو الحسن الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء في الكوفة بعد حمزة الزيات، أخذ عن حمزة، مات سنة ١٨٩ هـ، انظر: طبقات القراء ١/٥٣٥ - ٥٤٠.

(٣) تقدم.

(٤) انظر: الاتحاف ٣٤٤، وحجة ابن خالويه ٢٧٩، وقد قال ابن خالويه في الحجة: «فالحجة لمن قرأه بآثاره أنه أراد معنى المواجهة بالخطاب لما أنكروا البعث والنشور».

وانظر: السبعة ٤٩٨، وإبراز المعاني ٦٣٦، ومعاني القرآن وإعراجه للزجاج ٤/١٦٥.

(٥) في البحر المحيط «الزبير» وإذا كان هذا فهو الزبير بن العوام، وفي الدر المصون الزبير كما تشير إليه =

عمرو بخلاف عنه يَبْدَأُ مضارع بَدَأَ. وقد صرح بماضيه هنا^(١) حيث قال: «كَيْفَ يَدَأُ الْخَلْقُ»^(٢)، وقرأ الزهري: «كيف يبدأ» بألف (صريحة)^(٣) وهو تخفيف على غير قياس، وقياسه بين بين وهو في الشذوذ كقوله:

٤٠٢٧ - فَأَرَعِي فَرَارَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ^(٤)

فصل

المعنى: أو لم يروا كيف يخلقهم الله ابتداء نطفة ثم علقه، ثم مضغة. فإن قيل: متى رأى الإنسان بَدْءَ الخلق، حتى يقال: «أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق»؟

فالجواب: أن المراد بالرؤية العلم الواضح الذي كالرؤية، والعاقل يعلم أن البدء من الله لأن الخلق الأول لا يكون من مخلوق، وإلا لما كان الخلق الأول خلقاً أول، فهو من الله، هذا إن قلنا: إن المراد إتيان نفس الخلق وإن قلنا: إن المراد بالمبدأ خلق آدمي أولاً، وبالإعادة خلقه ثانياً، فنقول: العاقل لا يخفى عليه أن خالق نفسه ليس إلا قادر حكيم يصور الأولاد في الأرحام، والخلفة من نطفة في غاية الانتقان والإحكام فذاك الذي خلق أولاً معلوم ظاهر، فأطلق على ذلك العلم لفظ الرؤية، وقال: «أو لم يروا» أي أو لم يعلموا علماً ظاهراً واضحاً كيف يبدأ الله الخلق وهو من غذاء هو من ماء وتراب يجمعه فكذاك يجمع أجزاءه من التراب وينفخ فيه روحه بل هو أسهل بالنسبة إليكم فإن من نحت حجارة حتى صارت أصناماً ثم كسرها وفرقها فإن وضعه شيئاً بجنب شيء^(٥) في هذه النوبة أسهل، لأن الحجارة منحوتة معلومة.

فإن قيل: علق الرؤية بالكيفية^(٦) لا بالخلق، ولم يقل: أو لم يروا أن الله خلق أو بدأ الخلق والكيفية غير معلومة.

فالجواب: هذا القدر من الكيفية معلوم وهو أنه خلقه ولم يك شيئاً مذكوراً، وأنه خلقه من نطفة من غذاء هو من ماء وتراب، وهذا القدر كاف في حصول العلم بإمكان الإعادة.

= النسخة الأصل هذه، وفي ب: الزهري وما في مختصر ابن خالويه «كيف بدأ الله الخلق ثم يعيده» بالفتح فيهما، يعني الياء والدال ونسبهما للزهري، انظر: المختصر ١١٤، والحجة له أيضاً بدون نسبة ٢٧٩، والبحر المحيط ١٤٦/٧.

(١) أي في [العنكبوت: ٢٠].

(٢) انظر: المحتسب ١٦١/٢ وهي من القراءات غير المتواترة واحتمال بعد هذا أن يكون «الزبيري» الذي ذكر احتمال أن يكون تصحيفاً للكلمة «الزهري» على أساس أنه قرأ بتحقيق الهمز وتسهيله فالله أعلم.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من ب. (٤) من الكامل للفرزدق وقد تقدم.

(٥) في ب: تحت. (٦) في ب: في الكيفية لا بالخلق أو لم يقل.

فإن^(١) قيل: قال: «ثم يعيده» «إن ذلك على الله يسير» أبرز اسمه مرة أخرى ولم يقل: إن ذلك عَليهِ يسير كما قال: «ثم يعيده» من غير إبراز.

فالجواب: أنه مع إقامة البرهان على أنه يسير أكدته بإظهار اسمه، فإنه يوجب المعرفة أيضاً بكون ذلك يسيراً فإن الإنسان إذا سمع لفظ «الله» وفهم معناه أنه الحيُّ القادر بقُدرةٍ كاملة لا يعجزه شيء محيط بذرات كل^(٢) جسم نافذ الإرادة يقطع بجواز الإعادة^(٣).

قوله: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ» أي انظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ بخلقهم.

فإن قيل: أبرز^(٤) اسم «الله» في الآية الأولى عند البدء، فقال: «كيف يبدى الله» وأضمره عند الإعادة، وهاهنا أضمره عند البدء^(٥)، وأبرزه عند الإعادة، فقال: «ثم اللّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ».

فالجواب: أنه في الآية الأولى: لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يسند إليه البدء فقال: «كيف يبدى الله الخلق ثم يعيده»، كقولك: ضرب زيد عمراً ثم ضرب بكرأ، ولا يحتاج إلى إظهار اسم «زيد» اكتفاء بالأول.

وفي الثانية: كان ذكر البدء مسنداً إلى الله فاكتفى به، ولم يبرزه، وأما إظهاره عند الإنشاء ثانياً، فقال: «ثم الله يُنشِئُ» مع أنه كان يكفي أن يقول: «ثم ينشئ» «النشأة الآخرة لحكمة بالغة وهي أن مع إقامة البرهان على إمكان الإعادة أظهر اسمه، حتى يفهم المسمى^(٦) به صفات كماله، ونعوت جلاله، فيقطع بجواز الإعادة فقال: «ثم الله» مظهراً لينفع في ذهن الإنسان جلّ اسمه كمال قدرته، وشمول علمه، ونفوذ إرادته، فيعترف بوقوع بدئه، وجواز إعادته، فإن قيل: فلم لم يقل: «ثم اللّهُ يعيده» بعين ما ذكرت من الحكمة فنقول: لوجهين.

أحدهما: أن الله كان مظهراً مبرزاً بقرب منه وهو في قوله: «يبدى الله الخلق»، ولم يكن بينهما إلا لفظ الخلق، وأما هنا فلم يذكر غير البدء فأظهره.

وثانيهما: أن الدليل هنا تم على جواز الإعادة لأن الدليل منحصر في الآفاق وفي الأنفس، كما قال تعالى: ﴿سُرِّيْهِمْ ءَايَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] ففي الآية الأولى أشار^(٧) إلى الدليل الحاصل للإنسان من نفسه، وفي الثانية أشار^(٨) إلى الدليل

(١) في ب: بدلاً من فإن قيل: فصل «فإن قيل»: فالجواب.

(٢) ساقط من ب: لفظ «كل». (٣) انظر: تفسير الفخر الرازي ٤٦/٢٥.

(٤) في ب: فصل ذكر اسم الله في الآية الأولى ظاهراً عند البدء.

(٥) في ب: البدء. (٦) في ب: المنشئ. وهو تحريف.

(٧) في ب: إشارة بالاسمية. (٨) في ب: كذلك.

الحاصل من الآفاق، لقوله: «سيروا في الأرض» وعندها تم الدليلان فأكد به بإظهار نفسه، وأما الدليل الأول فأكد بالدليل الثاني فلم يقل: «ثم الله يعيده» فإن قيل: قال في الأولى: «أو لم يروا كيف يبدى الله الخلق» بلفظ المستقبل وهاهنا قال: «فانظروا كيف بدأ» بلفظ الماضي، فما الحكمة؟

فالجواب: أن الدليل الأول هو الدليل النفسي الموجب للعلم، وهو يوجب العلم ببدء الخلق (وأما^(١) الدليل الثاني فمعناه إن كان ليس لكم علم بأن الله يبدأ الخلق فانظروا إلى الأشياء المخلوقة^(٢)، فيحصل لكم العلم بأن الله بدأ خلقاً، وتحصل من هذا القدر بأنه «ينشئ» فإن قيل: قال في هذه الآية: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، وقال في الأولى: «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» (فما فائدته)^(٣).

فالجواب: فيه فائدتان:

إحدهما: أن الدليل الأول هو الدليل النفسي وهو وإن كان موجباً للعلم التام، ولكن عند انضمام الدليل الآفاقي إليه يحصل العلم التام لأنه بالنظر في نفسه علم حاجته إلى غيره ووجوده (منه)^(٤) فتم علمه (ب)^(٥) أن الله على كل شيء قدير، أن كل شيء من الله، فقال عند تمام الدليل: إن الله على كل شيء قدير، وقال عند الدليل الواحد إن ذلك على الله يسير وهو الإعادة.

الفائدة الثانية: أن العلم الأول أتم، وإن (كان)^(٦) الثاني أعم، وكون^(٧) الأعم يسيراً على الفاعل أتم من كونه مقدوراً به، بدليل قولك لمن يحمل مائة من أنه قادر عليه، ولا يقول: إنه سهل عليه فإذا سئلت عن حملة عشرة (أمنات)^(٨) يقول ذلك سهل يسير^(٩)، فنقول كان التقدير إن لم يحصل^(١٠) لكم العلم التام بأن هذه الأمور عند الله سهل يسير فسيروا في الأرض ليعلموا أنه مقدور، ونفس كونه مقدوراً كاف في إمكان الإعادة.

قوله: «ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ»، قرأ ابن كثير^(١١) وأبو عمرو النشأة، بالمد^(١٢) هنا،

(١) ما بين المعقوفين ساقط من «ب».

(٢) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٤٧/٢٥، ٤٨.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «أ» وتكملة من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) ساقط من «ب».

(٦) ساقط من «ب».

(٧) في ب: وإن كان الأعم يسيراً.

(٨) تصحيح من النسختين يقتضيه السياق من الفخر الرازي.

(٩) في ب: تميز. وهو تحريف.

(١٠) في ب: يجعل.

(١١) تقدم.

(١٢) انظر: السبعة ٤٩٨، والإتحاف ٣٤٥ ومعاني القرآن للفراء ٣١٥/٢، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٦٥/٤، والدر المصون ٣٠٠/٤، والبحر المحيط ١٤٦/٧، والنشر ٣٤٢/٢ وتقريبه ١٥٨، وانظر حجة ابن خالوية بدون نسبة ٢٧٩.

والنجم^(١)، والواقعة^(٢) والباقون بالقصر، وهما لغتان كالرأفة^(٣)، والرأفة، وانتصابهما على المصدر^(٤) المحذوف الزوائد والأصل: الإنشاء، أو على حذف^(٥) العامل، أي ينشأ فتنشئون النشأة، وهي مرسومة^(٦) بالالف وهو يقوي قراءة^(٧) المد والمعنى ثم الله الذي خلقها ينشئها^(٨) نشأة ثانية بعد الموت، فكما لم يتعذر عليه إحداثها مبتدئاً لا يتعذر عليه إنشاؤها معيداً.

وقوله: «ثُمَّ يُعِيدُهُ»، «ثُمَّ اللَّهُ يَنْشِئُهُ» مستأنفات من إخبار الله تعالى، فليس الأول داخلاً في حيز^(٩) الرؤية، ولا الثاني في حيز^(١٠) النظر، «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ (٢١) وَمَا أَنشَأَ بِمُعْجِزَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢)

قوله تعالى: «يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ»، قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع أن رحمته سابقة كما قال عليه (الصلاة و) السلام عنه تعالى^(١١): «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»^(١٢)؛ لأن السابق ذكر الكفار فذكر العذاب يسبق ذكر مستحقه بحكم الإيعاد، وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعاً لئلا يكون العذاب مذكوراً وحده، وهذا يحقق قوله عليه (الصلاة و) السلام عنه^(١٣): «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»، وذلك أن الله تعالى حيث كان المقصود ذكر العذاب، لم يخصه بالذكر، بل ذكر الرحمة معه، فإن قيل: إن كان ذكر هذه الآية لتخويف العاصي، وتفريح المؤمن، فلو قال: يعذب الكافر ويرحم المؤمن لكان أدخل في تحصيل المقصود.

وقوله: «يعذب من يشاء» لا يرهب الكافر، لجواز أن يقول: لعلي لا أكون ممن يشاء الله عذابي.

فالجواب: هذا أبلغ في التخويف لأن الله أثبت بهذا إنفاذ مشيئته، وأنه إذا أراد

(١) يقصد قوله تعالى: «وَأَنَّ عَلَيْهِ النِّشَاءَ الْآخِرَى» [النجم: ٤٧].

(٢) يقصد قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ» [الطور: ٦٢].

(٣) انظر: الدر للمسمين الحلبي ٣٠٠/٤، والنبيان ١٠٣٠ والكشف ١٧٨/٢، وقد قال الفراء في معانيه: «الفراء مجتمعون على قصر الشين وجزمها» إلا الحسن البصري فإنه مدها في كل القرآن فقال (النشأة) ومثلها مما تقوله العرب الرأفة، والرأفة انظر: المعاني ٣١٥/٢.

(٤) انظر: البحر المحيط ١٤٦/٧ والدر المصون ٢٠٠/٤.

(٥) المرجعان السابقان. (٦) في ب: موسومة للآلف.

(٧) في ب: وهو نقيراً. (٨) انظر: فتح القدير للشوكاني ١٩٧/٤.

(٩) في ب: في جزء الرواية. (١٠) في ب: خبر.

(١١) في أ: السلام فقط وما بين القوسين تكملة من «ب».

(١٢) في ب: عن ربه تعالى. (١٣) ذكره الرازي دون إسناد في تفسيره ٤٩/٢٥.

(١٤) زيادة وتكملة من ب.

تعذيب شخص فلا يمنعه منه مانع ثم كان من المعلوم للعباد بحكم الوعد والإيعاد أنه إذا شاء تعذيب الكافر فلزم منه الخوف العام بخلاف ما لو قال: يعذب العاصي، فإنه لا يدل على كمال مشيئته لأنه لا يبعد^(١) أنه لو شاء عذاب المؤمن لعذبه، وإذا لم يبعد^(٢) هذا فنقول الكافر إذا لم يحصل مراده في تلك الصورة يمكن أن (لا)^(٣) يحصل في صورة أخرى^(٤).

ومثاله إذا قيل: إن الملك يقدر على ضرب المخالفين، ولا يقدر على ضرب المطيع فإذا قال: من خالفني أضربه يقع في وهم المخاطب أنه لا يقدر على ضرب المطيع، فلا يقدر^(٥) أيضاً عليّ (لكوني مثله)^(٦)، وفيه فائدة أخرى وهو الخوف العام والرجاء العام لأن الأمن الكلي من الله يوجب الجراءة فيفضي إلى صيرورة المطيع عاصياً.

قوله: «وَالْيَهُ تَقْلِبُونَ» أي تُرَدُّونَ^(٧)، «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ» والخطاب مع الآدميين وهم ليسوا في السماء، قال الفراء^(٨) معناه: ولا من في السماء بمعجز (إِنْ عَصَى)^(٩) كقول حَسَّانَ:

٤٠٢٨ - فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحْهُ وَيَنْصُرْهُ سَوَاءٌ^(١٠)

أراد: ومن يمدحه وينصره، فأضمر «مَنْ» يريد لا يعجز أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء يعني (على)^(١١) أن «من في السموات» عطف على «أنتم» بتقدير: أن يعصي، قال الفراء: وهو من غوامض العربية^(١٢). قال شهاب الدين: وهذا على أصله، حيث يجوز حذف الموصول الاسمي، ويبقى صفته^(١٣).

(١) في كتاب الفخر الرازي يفيد وهو الأصح والصواب.

(٢) في كتاب الفخر الرازي يفيد وهو الأصح والصواب.

(٣) سقط النفي هذا من تفسير الفخر الرازي.

(٤) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٤٩/٢٥.

(٥) في ب: ولا يقدر - بالواو.

(٦) ساقط من ب. والعبارة في تفسير الفخر الرازي، انظره ٤٩/٢٥.

(٧) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٤/٢ «ترجعون».

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء ٣١٥/٢.

(٩) ما بين القوسين ساقط من كتاب الفراء نفسه ومثبت في كلتا النسختين وفي البحر والدر المصون، انظر البحر المحيط ١٤٧/٧، والدر المصون ٣٠٠/٤.

(١٠) البيت لحسان بن ثابت - رضي الله عنه - يرد به على الزبيري وغيره من شعراء قريش، وهو من تمام الوافر وشاهده في قوله: «ويمدحه» حيث حذف الموصول الاسمي من «يمدحه» وأبقى صلته على رأي الفراء والكوفيين. وبرواية «أمن» وقد تقدم.

(١١) زيادة من ب.

(١٢) انظر: معاني الفراء ٣١٥/٢.

(١٣) انظر الدر المصون ٣٠٠/٤.

قال قطرب^(١): ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم^(٢) فيها، كقول القائل: (لا) يفوتني فلان هاهنا ولا في البصرة أي ولا بالبصرة لو كان بها كقوله تعالى: «إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٣)، أي على تقدير أن يكونوا فيها، وأبعد من ذلك من قدره موصولين^(٤) محذوفين؛ أي^(٥) وما أنتم بمعجزين من في الأرض من الجن والإنس، ولا من في السماء من الملائكة فكيف تعجزون خالقها (و) على قول الجمهور يكون المفعول محذوفاً أي وما أنتم بمعجزين أي فائتين ما يريد^(٦) الله بكم.

فصل

اعلم أن إعجاز المعذب عن التعذيب إما بالهرب منه، أو بالثبات ومدافعة فذكر الله تعالى القسمين فقال: «وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء»، يعني بالهرب لو صعدتم إلى السماء، أو هربتم إلى تخوم الأرض (لم)^(٧) تخرجوا من قبضة قدرة الله - عز وجل -، فلا مطعم في الإعجاز بالهرب، وأما بالثبات فكذلك لأن الإعجاز بالثبات إما أن يكون بالاستناد^(٨) إلى ركن شديد يشفع، ولا يمكن المعذب مخالفته فيفوته المعذب، ويعجز عنه أو بالانتصار بقوي يدافعه، وكلاهما محال فلهذا قال: «وما لكم من دون الله من ولي» يشفع «ولا نصير» يدفع. فإن قيل: ما الحكمة في قوله: «وما أنتم بمعجزين» ولم يقل: «ولا تعجزون» بصيغة الفعل؟

فالجواب: لأن نفي الفعل لا يدل على نفي الصلاحية فإن من قال: إن فلاناً لا يخطط لا يدل على ما يدل عليه أنه ليس بخائط، وقدم «الأرض» على «السماء»، و «الولي» على «النصير»؛ لأن هربهم الممكن في الأرض، فإن كان يقع منهم هرب فإنه يكون في الأرض، ثم إن فرضنا لهم قدرة غير ذلك فيصعدون في السماء وأما الدفع فإن العاقل متى أمكنه الدفع فأجمل الطرق فيه الشفاعة^(٩)، لأن ما من أحد في الشاهد إلا ويكون له شفيع يتكلم في حقه عند ملك، وليس لكل أحد ناصر يعادي الملك فلذلك^(١٠) قدم الأرض على السماء، والولي على النصير^(١١).

(١) قطرب: محمد بن علي بن المستنير، أبو علي النحوي المعروف، لازم سيويه، وكان يدلج الليل أخذ عن عيسى بن عمر، له من التصانيف المثلث، النوادر، الصفات، مات سنة ٢٠٦ هـ، انظر: بغية الوعاة ٢٤٢/١.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٣٣٧/١٣. (٣) [الرحمن سبحانه وتعالى: ٣٣].

(٤) انظر: البحر المحيط ٤٧/٧، والدر المصون ٣٠١/٤.

(٥) زيادة يقتضيها السياق من ب. (٦) في ب: مما يريد الله بكم.

(٧) زيادة يقتضيها السياق من ب. (٨) في ب: بالإسناد.

(٩) في ب: فإن حمل الطرق فيه بالشفاعة. (١٠) في ب: فكذلك.

(١١) انظر: تفسير الفخر الرازي ٤٩/٢٥.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٢٤ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِثْلَهُ اللَّهُ أَوْثَنًا مَوْدَّةَ بَنِيكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لِيَعْلَمَ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ تَصَرُّعٍ ٢٥﴾

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ» أي بالقرآن^(١) وبالبعث «أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي» (جثتي)^(٢) «وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» يوم القيامة فإن قيل: هلا اكتفي بقوله: «أُولَئِكَ» مرة واحدة؟

فالجواب: أن ذلك لفائدة وهو أنه لو قال أولئك يئسوا وهم في عذاب أليم ذهب (ذاهب)^(٣) إلى أن هذا المجموع منحصر فيهم، فلا يوجد المجموع إلا فيهم. (و)^(٤) أضاف الرحمة إلى نفسه في قوله تعالى: «يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي» وأضاف اليأس إليهم بقوله: «يَئِسُوا» إعلالاً لعباده بعموم رحمته.

قوله تعالى: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ» العامة على نصبه والحسن وسالم الأفطس برفعه وتقدم تحقيق هذا. هذه الآيات في تذكير أهل إبراهيم وتحذيرهم وهي معترضة في قصة «إبراهيم» صلوات الله عليه، ثم عاد إلى قصة «إبراهيم» فقال تعالى: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ». لما أقام إبراهيم صلوات^(٥) الله عليه البرهان على الأصول الثلاثة لم يجيبوه إلا بقولهم «اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ» فإن قيل: كيف سمي قولهم: اقتلوه جواباً مع أنه ليس بجواب؟

فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنه خرج مَخْرَجَ كلام^(٦) متكبر، كما يقول المَلِكُ لرسول خَضَمِهِ: جوابكُم السيف، مع أن السيف ليس بجوابه وإنما معناه لا أقابل بالجواب وإنما أقابل بالسيف.

وثانيهما: أن الله تعالى أراد بيان (ضلالتهم)^(٧) وأنهم ذكروا ما ليس بجواب في

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني ١٩٨/٤. (٢) ناقص من ب.

(٣) زيادة من ب. (٤) زيادة من ب.

(٥) سالم الأفطس: سالم بن عجلان مولى محمد بن مروان بن الحكم أبو محمد الكوفي الأفطس، عن سعيد بن جبير، وعنه الثوري، له نحو ستين حديثاً، وثقه أحمد، وقال أبو حاتم: صدوق، مات مقتولاً سنة ١٣٢ هـ. انظر: خلاصة الكمال ١٣٢.

(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٧) في ب: مخرج التكبر.

(٨) في ب: وما أقابل إلا بالسيف. (٩) ساقط من ب.

معرض الجواب فبين أنهم لم يكن لهم جواب أصلاً، وذلك أن من لا يجيب غيره ويسكت لا يعلم (أنه لا يقدر^(١) أم لا) لجواز^(٢) أن يكون سكوته لعدم الالتفات، وأما إذا أجاب بجواب فاسد علم أنه قصد الجواب وما قدر عليه.

فصل^(٣)

«أو» تذكر لأمرين الثاني منهما لا ينفك عن الأول، كما يقال: «زَوْجٌ أَوْ فَرْدٌ»، ويقال: هذا إنسان أو حيوان، يعني إن لم يكن إنساناً فهو حيوان، ولا يصح أن يقال: «هذا حيوان أو إنسان» إذ يفهم منه أن يقول: هذا حيوان، فإن لم يكن حيواناً فهو إنسان، وهذا فاسد، وإذا كان كذلك فالتحريق مشتمل^(٤) على القتل، فقلوه: «اقتلوه أو حرقوه» كقولك: هذا إنسان أو حيوان.

فالجواب عن^(٥) هذا من وجهين:

أحدهما: أن الاستعمال على خلاف ما ذكر شائع كقولك: أعطه ديناراً أو دينارين. قال تعالى: ﴿فَرُّ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا يَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل: ٢ - ٤] فكذا^(٦) هاهنا قال: اقتلوه أو زيدوا على القتل لأن التحريق قتل وزيادة.

الثاني: سلمنا ما ذكرتم، والأمر هنا كذلك لأن التحريق فعل مفض^(٧) إلى القتل، وقد يتخلف عنه القتل فإن من ألقى في النار حتى احترق جلده بأسره وأخرج منها حياً يصح^(٨) أن يقال: احترق فلان، وأحرق وما مات. فكذلك هاهنا قال: اقتلوه ولا تعجلوا قتله وعذبوه بالنار، فإن ترك مقالته فخلوا سبيله وإن أصر فتركوه في النار.

قوله تعالى: «فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ»، قيل: بردت النار وقيل: خلق في إبراهيم صلوات الله (وسلامه)^(٩) عليه كيفية استبردت النار. وقيل: ترك إبراهيم (على)^(١٠) ما كان عليه (والنار على)^(١١) ما كانت عليه (ومنع أذى النار عنه، والكل ممكن والله قادر عليه.

قوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» فإن قيل: ما الحكمة في قوله هناك «آية للعالمين» في إنجاء نوح صلوات الله (وسلامه)^(١٢) عليه وأصحاب السفينة جعلناها آية وقال هاهنا آيات بالجمع، فما الحكمة؟

(١) في ب: أنه قد يقدر على الجواب أم لا وفي تفسير الفخر: «لا يعلم أنه لا يقدر على الجواب».

(٢) في ب: ويجوز أن يكون. (٣) سقط لفظ «فصل» من ب.

(٤) في ب: يشتمل بالفعلية. (٥) في ب: على هذا.

(٦) في ب: وهكذا. (٧) في ب: يفضي.

(٨) في ب: فصيح. (٩) ما بين القوسين زيادة من ب.

(١٠) زيادة يقتضيها السياق من الفخر الرازي. (١١) ساقط من ب.

(١٢) زيادة من ب.

فالجواب: أن إنجاء السفينة شيء يتسع له^(١) العقول، فلم يكن فيه من الآية إلا إعلام الله تعالى إياه بالإنجاء وقت الحاجة بسبب أن الله تعالى صان^(٢) السفينة عن المهلكات كالرياح، وأما الإنجاء من النار فعجيب فقال فيه آيات فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى هناك: «آيَةٌ لِلْعَالَمِينَ» وقال هنا «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» فخص الآيات بالمؤمنين؟

فالجواب: أن السفينة بقيت أعواماً حتى مَرَّ عليها الناس ورأوها فحصل العلم بها لكل أحد، وأما تبريد النار فلم يبق فلم يظهر (لمن بعده) إلا بطريق الإيمان والتصديق، وفيه لطيفة (وهو)^(٣) أن الله تعالى لما بَرَّد النار على إبراهيم بسبب اهتدائه في نفسه وهدايته لأبناء جنسه، وقد قال الله تعالى للمؤمنين بأن لهم أسوة في إبراهيم، فحصل للمؤمنين بشارة بأن الله تبارك وتعالى يبرد عنه النار يوم القيامة، فقال: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»، فإن قيل: لم قال هناك: «جَعَلْنَاهَا»، (وقال هنا جَعَلْنَاهُ)^(٤)؟

فالجواب: لأن السفينة ما صارت آية في نفسها، ولولا خلق الله الطوفان ل بقي فعل نوح (سفها)^(٥) فالله تعالى جعل السفينة بعد وجودها آية، وأما تبريد النار فهو في نفسه (آية)^(٦) إذا وجدت لا تحتاج إلى شيء آخر كخلق الطوفان حتى يصير آية.

قوله: «إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ» في «ما» هذه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موصولة^(٧) بمعنى الذي، والعائد محذوف وهو المفعول الأول، و «أَوْثَانًا» مفعول ثان، والخبر «مَوَدَّةٌ» في قراءة^(٨) من رفع كما سيأتي، والتقدير: إن الذي اتَّخَذْتُمُوهُ أَوْثَانًا مَوَدَّةٌ أي ذو مودة أو جعل نفس المودة محذوف على قراءة من نصب^(٩) «مَوَدَّةٌ» أي الذي اتخذتموه أَوْثَانًا لأجل المودة لا تنفعكم، أو يكون «عليكم» لدلالة قوله: «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمُ بَعْضًا».

والثاني: أن تجعل «ما» كافة^(١٠)، و «أَوْثَانًا» مفعول به، والاتخاذ هنا يتعدى لواحد

(١) في ب: تسعة. (٢) في ب: أصاب. وهو تحريف.

(٣) ساقط من ب.

(٤) ساقط من ب.

(٥) ساقط من ب.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣/٢٥٤، والدر المصون ٤/٣٠١، والبيان لابن الأنباري ٢/٢٤٢، وإعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٤/١٦٧، ومعاني القرآن للفراء ٢/٣١٦، والبيان لأبي البقاء ٢/١٠٣١، ومشكل إعراب القرآن ٢/١٦٨، ١٦٩.

(٨) الكشف ٢/١٢٨. وهي قراءة أبي عمرو، وابن كثير، والكسائي «غير منون» وخفص «بينكم» مودة بينكم أي على الإضافة. وانظر: التبيان ٢/١٠٣١، والنشر ٣/٣٤٣، وتقريب النشر ١٥٨، وانظر: السبعة لابن مجاهد ٤٩٨، والإتحاف ٣٤٥، والحجة لابن خالويه ٢٧٩، بدون نسبة كما في التبيان.

(٩) وهي قراءة نافع وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر منوناً بالنصب، وقرأ حفص وحمة وعاصم في رواية حفص «مودة بينكم» بتضبط مودة مع الإضافة، السبعة ٤٩٩، وانظر: النشر ٢/٢٤٣، وتقريب النشر ١٥٨، والإتحاف ٣٤٥، وحجة ابن خالويه ٢٧٩.

(١٠) التبيان ١٠٣٠، والدر المصون ٤/٣٠١، والبيان ٢/٢٤٢، والبحر المحيط ٧/١٤٨، ٤٩.

أو لاثنتين والثاني هو «مِنْ دُونَ اللَّهِ» فمن رفع «مودة» كانت خبر مبتدأ مضمرة أي هي مودة أي ذات مودة، أو جعلت نفس المودة مبالغة والجملة حينئذ صفة «لأوثاناً»^(١)، أو مستأنفة^(٢)، ومن نصب كانت مفعولاً به^(٣)، أو بإضمار «أعني».

الثالث: أن تجعل «ما» مصدرية، وحينئذ يجوز أن تقدر مضافاً من الأول أي أن سبب اتخاذكم أوثاناً من دون الله (مودة)^(٤) فيمن رفع مودة، ويجوز أن لا يقدر بل يجعل نفس الاتحاد^(٥) هو المودة مبالغة^(٦) (و)^(٧) في قراءة من نصب يكون الخبر محذوفاً على ما مرَّ في الوجه الأول.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي برفع «مَوْدَّة» غير منونة، وجر «بَيْنِكُمْ»^(٨)، ونافع^(٩) وابن^(١٠) عامر وأبو بكر^(١١) بنصب «مَوْدَّة» (منونة)^(١٢) ونصب «بَيْنِكُمْ» وحمزة وحفص^(١٣) بنصب «مودة» غير منونة وجر بَيْنِكُمْ، فالرفع قد تقدم، والنصب أيضاً تقدم فيه وجهان. ويجوز وجه ثالث وهو أن يجعل مفعولاً ثانياً على المبالغة والإضافة للاتساع في الظرف^(١٤) كقولهم: «يا سارق الليلة أهل الدار» من نصبه فعلى أصله^(١٥)، ونقل عن عاصم^(١٦) أنه رفع «مودة» غير منونة، ونصب بينكم وخرجت إضافة «مودة» للظرف،

(١) التبيان ١٠٣٠/٢، والدر المصون ٣٠١/٤.

(٢) انظر: البحر المحيط ١٤٨/٧، ومعاني القرآن ٣١٦/٢، والدر المصون ٣٠١/٤.

(٣) التبيان ١٠٣٠/٢، والكشف ١٧٨/٢ والمشكل ١٦٨/٢.

(٤) التبيان ١٠٣٠/٢. (٥) ما بين المعقوفين ساقط من ب.

(٦) انظر: البحر المحيط ١٤٨/٧. (٧) ساقط من أ.

(٨) انظر: المراجع السابقة.

(٩) نافع: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو عبد الرحمن الليثي مولاهم أحد القراء السبعة والأعلام، ثقة، صالح، أخذ عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وأبي جعفر القاري وغيرهما، مات سنة ١٦٩، انظر: غاية النهاية ٣٣٠/٢.

(١٠) ابن عامر: عبد الله بن عامر بن يزيد بن عمران اليحصبي، إمام أهل الشام في القراءة، وإليه انتهت مشيخة الإقراء بها مات سنة ١١٨ هـ، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ٤٢٤/١.

(١١) أبو بكر بن سالم الأسدي الكوفي الإمام أحد الأعلام مولى واصل الأحذب، وكان ضابطاً، اختلف في اسمه، قرأ على عاصم، وروى عن إسماعيل السدي، وأبي حصين، مات سنة ١٩٣ هـ. انظر: غاية النهاية ٣٢٥/١، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١٣٤/١ و١٣٨، وخلاصة الكمال للخزرجي ٤٤٥.

(١٢) ما بين المعقوفين ساقط من النسخة ب.

(١٣) حفص: هو حفص بن سليمان أبو عمرو البزاز، أخذ عن عاصم مرتفعاً إلى علي بن أبي طالب من رواية أبي عبد الرحمن السلمي، مات حفص قبل الطاعون سنة ١٣١ هـ. انظر: الفهرست لابن النديم ٤٣.

(١٤) انظر: حجة ابن خالويه ٢٨٠.

(١٥) لأنه ظرف والأصل فيه النصب، على أن مكى أجاز نصبه على أنه صفة لمودة، الكشف ٢٧٨/٢.

(١٦) عاصم بن بهدلة بن أبي النجود أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء =

وإنما بني لإضافته إلى غير متمكن كقراءة: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ»^(١) بالفتح إذا جعلنا (بَيْنَكُمْ) فاعلاً، وأما «في الحياة» ففيه أوجه:

أحدها: أنه هو وبينكم متعلقان «بمودة» إذا نونت جاز تعلقها بعامل واحد لاختلافهما^(٢).

الثاني: أن يتعلقا بمحذوف على أنهما صفتان^(٣) لـ «المودة».

الثالث: أن يتعلق «بَيْنَكُمْ» «بمودة» و «في الحياة» صفة لمودة، ولا يجوز العكس لئلا يلزم إعمال المصدر الموصوف^(٤)، والفرق بينه وبين الأول أن الأول عمل فيه المصدر قبل أن يوصف، وهذا عمل فيه بعد أن وصف، على أن ابن عطية جوز ذلك هو وغيره^(٥)، وكأنهم اتسعوا في الظرف، فهذا وجه رابع.

الخامس: أن يتعلق «في الحياة» بنفس «بَيْنَكُمْ» لأنه بمعنى الفعل، (إذ)^(٦) التقدير: اجتماعكم ووصلكم^(٧).

السادس: أن يكون حالاً من نفس «دينكم»^(٨).

السابع: أن يكون «بَيْنَكُمْ» صفة المودة^(٩) و «في الحياة»، حال من الضمير المستكن فيه.

الثامن: أن يتعلق «في الحياة» «باتخذتم»^(١٠) على أن يكون «ما» كافة و «مودة» منصوبة، قال أبو البقاء: لئلا يؤدي إلى الفصل بين الموصول وما في الصلة (بالخير)^(١١).

قوله^(١٢): «وقال» يعني إبراهيم «إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم»، فعلى قراءة رفع «مودة» وخفض «بينكم» بالإضافة يكون المعنى: اتخذتم من دون الله أوثاناً وهي مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة، ومن خفض «مودة» من غير تنوين على الإضافة لوقوع الاتخاذ عليها، ومن نصب «مودة» ونونها ونصب «بينكم»

= السبعة أخذ القراءة عرضاً عن زر بن حبیش، والسلمي وروى عنه أبان بن تغلب، وحفص، مات سنة ١٢٠ هـ. انظر: خلاصة الكمال ٣٤٧ و ٣٤٩، وغاية النهاية ٣٤٧/١.

(١) [الأنعام: ٩٤]، وانظر: السبعة ٢٦٣. (٢) انظر: البيان ٢/٢٤٢ و ٢٤٣.

(٣) قال أبو حيان في البحر: «يجوز أن يتعلقا بمحذوفين فيكونان في موضع الصفة» البحر ٧/١٤٨.

(٤) البيان ٢/٢٤٣.

(٥) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ١/٤٥، والبحر ٧/١٤٩.

(٦) ساقط من ب. (٧) انظر: التبيان ٢/١٠٣٢، والدر المصون ٤/٣٠٣.

(٨) المرجع السابق. (٩) انظر: البيان ٢/٢٤٣.

(١٠) انظر: التبيان ٢/١٠٣٢، والدر المصون ٤/٣٠٣ وانظر في كل ما سبق المشكل ٢/٦٨، ١٧٢.

(١١) ساقط من ب. (١٢) في ب: فصل بدل قوله.

فالمعنى: إنكم إنما اتخذتم هذه الأوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا تتأودون على عبادتها، وتتواصلون عليها في الدنيا «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعَنُ بَعْضُكُم» تتبرأ الأوثان من عبادة عابديها وتتبرأ السادة من الأتباع، ويلعن الأتباع القادة. ومأواكم النار جميعاً، العابدون والمعبودون «وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ».

فإن قيل: (قال قبل هذا)^(١) ومأواكم النار، وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير على لفظ الواحد.

وقال هنا: «وما لكم من ناصرين» على لفظ الجمع فما الحكمة فيه؟

فالجواب: أنهم لما أرادوا إحراق إبراهيم عليه (الصلاة و)^(٢) السلام، قالوا: نحن ننصر آلهتنا، كما قال تعالى (عنهم)^(٣): حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ، فقال: أنتم ادْعَيْتُمْ أَنْ لَهُؤُلَاءِ نَاصِرِينَ فما لكم كلكم أي الأوثان وعبدتهما من ناصرين، وأما هناك فلم يسبق منهم دعوى النصر فنفى الجنس بقوله: «ولا نصير».

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: «فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ» أي صدقه، وهو أول من صدق إبراهيم، وكان ابن أخيه وقال إبراهيم: «إني مهاجر إلى ربي» إلى حيث أمرني ربي بالتوجه إليه من «كوثا» وهو من سواد الكوفة إلى «حاران» ثم إلى الشام ومعه «لوط» وامراته «سارة» وهو أول من هاجر. وقال مقاتل: هاجر إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)^(٤) وهو ابن خنيس وسبعين^(٥) سنة. ثم قال: «إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»، عزيز يمنع أعدائي عن إيذائي بعونه، و «حكيم» لا يأمرني إلا بما يوافق الحكمة.

(فإن قيل)^(٦): قوله «فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ» أي بعد ما رأى منه العجز القاهر، ودرجة لوط كانت عالية فبقاؤه إلى هذه الوقت مما ينقص من الدرجة، ألا ترى إلى^(٧) أبي بكر - رضي الله عنه - لما قبل دين محمد - ﷺ - كان قبله قبل الكل من غير سماع تكلم الحصى، ولا رؤية انشقاق القمر.

فالجواب: أن لوطاً لما رأى معجزته آمن برسالته، وأما بالوحدانية فأمن من حيث سمع مقالته، ولهذا قال: «فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ»، ولم يقل: «فَأَمَّنْ لُوطٌ».

(١) ساقط من ب.

(٥) انظر: تفسير القرطبي ١٣/٣٣٩.

(٢) ساقط من ب.

(٦) ساقط من ب.

(٣) ساقط من ب.

(٧) في ب: ألا ترى أن أبا بكر.

(٤) زيادة من ب.

فإن^(١) قيل: ما وجه تعلق قوله: «وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي» بما^(٢) تقدم؟ فنقول: لما بالغ إبراهيم في الإرشاد، ولم يهتد قومه وحصل اليأس الكلي، ورأى القوم الآية الكبرى ولم يؤمنوا وجبت^(٣) المهاجرة، لأن الهادي إذا هدى قومه ولم ينتفعوا ببقاؤه فيهم مفسد، لأنه إذا دام على الإرشاد كان اشتغالاً بما لا ينتفع في علمه، فيصير كمن يقول للحجر صدق، وهو عبث والسكوت دليل الرضا فيقال: إنه صار منا، ورضي بأفعالنا، وإذا لم يبق للإقامة وجه وجبت المهاجرة.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله: «إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي» ولم يقل: «مهاجر إلى حيث أمرني ربي» مع أن المهاجرة إلى الرب توهم الجهة.

فالجواب: أن قوله «إلى حيث أمرني ربي» ليس في الإخلاص، كقوله: «إلى ربي» لأن الملك إذا صدر منه أمر يرواح الأجناد إلى موضع ثم إن واحداً منهم عاد إلى ذلك الموضع لغرض (في)^(٤) نفسه يصيبه، فقد هاجر إلى حيث أمره الملك ولكن لا مخلصاً لوجهه، وقال: «مهاجر إلى ربي» يعني: توجهي إلى الجهة المأمور بالهجرة إليها ليس طلباً للجهة، إنما طلب لله^(٥).

قوله: «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ»، قيل: إن الله لم يبعث نبياً بعد إبراهيم إلا من نسله، «وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا» وهو الثناء الحسن، وكل الأديان يقولون به، وقال السدي: هو الولد الصالح، وقيل: إنه رأى^(٦) مكانه في الجنة «وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» أي في زمرة الصالحين قال ابن عباس: «مثل آدم، ونوح» وفي هذه الآية لطيفة وهي أن الله تعالى بذل جميع أحوال إبراهيم في الدنيا بأضدادها لما عذبه قومه بالنار كان وحيداً فريداً، فبدل الله وحدته بالكثرة حتى ملأ الدنيا من ذريته، ولما كانت أقاربه القريبة ضالين مضلين من جملتهم «آزر» بدل الله أقاربه بأقارب مهتدين هادين، وهم ذريته الذين جعل فيهم النبوة والكتاب، وكان أولاً لا جاء له، ولا مال، وهم غاية اللذة في الدنيا آتاه الله أجره في المال والجاه وكثر ماله حتى كان له من المواشي ما علم الله عدده حتى قيل: إنه كان له اثنا عشر ألف كلب حارس بأطواق ذهب وأما الجاه فصار (بحيث تقرن)^(٧) الصلاة عليه بالصلاة على سائر الأنبياء إلى يوم القيامة، وصار معروفاً وشيخ المرسلين بعد أن كان خاملاً حتى قال قائلهم: «سَمِعْنَا قَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ»^(٨)، وهذا الكلام لا يقال إلا في مخمول من الناس.

فإن قيل: إن إسماعيل كان من أولاده الصالحين (وكان قد)^(٩) سلم لأمر الله بالذبح، وانقاد لحكم الله ولم يذكر.

(١) في ب: فصل بدلاً من «فإن قيل».

(٢) في ب: مما تقدم.

(٣) في ب: وجب بالتذكير..

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) انظر: الفخر الرازي ٥٥/٢٥.

(٦) الكشف ٣/٢٠٣، والبحر المحيط ١٤٨/٧.

(٧) ساقط من ب.

(٨) الأنبياء: ٦٠.

(٩) ساقط من أ.

فالجواب: هو مذكور في قوله: «وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ» (و)^(١) لكن لم يصرح باسمه؛ لأنه كان بين فضله معه بهبته الأولاد والأحفاد، فذكر من الأولاد واحداً وهو الأكبر، ومن الأحفاد واحداً كما يقول القائل: إن السلطان في خدمته الملوك والأمراء، والملك الفلاني، والأمير الفلاني، ولا يعدد الكل لأنه ذكر ذلك الواحد لبيان الجنس لا لخصوصه، ولولا ذكر غيره لفهم منه التعدد، واستيعاب الكل فيُظَنُّ أنه ليس معه غير المذكور.

فإن قيل: إن الله تعالى لما جعل في ذريته النبوة أجابه لدعائه، والوالد يجب أن يسوي بين ولده فكيف صارت النبوة في ولد «إسحاق» أكثر من النبوة في أولاد إسماعيل؟
فالجواب: أن الله تعالى قسم الزمان من وقت إبراهيم إلى (يوم)^(٢) القيامة قسمين والناس أجمعين، فالقسم الأول من الزمان بعث الله تعالى (فيه)^(٣) أنبياء فيهم فضائل جمّة، وجاءوا تترى واحداً بعد واحد، ومجتمعين في عصر واحد كلهم من ورثة إسحاق عليه السلام^(٤)، (ثم في القسم الثاني من الزمان أخرج من ذرية ولده إسماعيل واحداً اجتمع فيه ما كان فيهم وأرسله إلى كافة الخلق وهو محمد عليه السلام)^(٥) وجعله خاتم النبيين، وقد دام الخلق على دين إسماعيل أكثر من أربعة آلاف سنة، ولا^(٦) يَبْعُدُ أن يبقى الخلق على دين ذرية إسماعيل مثل ذلك المقدار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمَلَكَيْنِ﴾ (٢٨) ﴿أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٩) ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٣٠)

قوله تعالى: «وَلَوْطًا» إعرابه كإعراب إبراهيم^(٦) «إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَيُّكُمْ» قرأ أبو عمرو، وحمزة والكسائي وأبو بكر «أَيُّكُمْ» بالاستفهام^(٧)، وقرأ الباقون^(٨) بلا استفهام، واتفقوا على استفهام الثانية «لَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ» وهو إتيان الرجال، «مَا سَبَقَكُمْ بِهَا» يجوز

(١) ساقط من ب. (٢) ساقط من ب.

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٥٥/٢٥، ٥٦.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من ب. (٥) في ب: ولم يبعد «بلم الجازمة».

(٦) تقدم أن إعراب «إبراهيم» النصب عطفًا على «نوحًا» أو بإضمار «أذكر» أو عطفًا على «هأ» أنجيته أو الرفع على الابتداء وتقدير الخبر أي «ومن المرسلين إبراهيم» وعلى ذلك فكلمة «لوط» يجوز أن تعرب بالنصب، أو الرفع، بالنصب عطفًا على «إبراهيم»، أو بإضمار أذكر، والرفع على الابتداء وتقدير الخبر.

(٧) انظر: السبعة لابن مجاهد ٥٠٠، والحجة لابن خالويه ٢٨٠، والنشر ٢/٣٤٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٥٥/٤.

(٨) وهم ابن كثير، ونافع، وابن عامر وحفص عن عاصم وكان ابن كثير يستفهم بغير مد، وحفص عن =

أن تكون^(١) استثنائية جواباً لمن سأل عن ذلك وأن تكون حالية أي مبتدعين لها^(٢).

فإن قيل : قال إبراهيم لقومه : «اعبدوا الله» ، وقال لوط لقومه هاهنا : «أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الفاحشة» ولم يأمرهم بالتوحيد ، فما الحكمة ؟

فالجواب : أنه لما ذكر الله لوطاً عند ذكر إبراهيم كان لوط في زمن إبراهيم فلم يذكر عن لوط أنه أمر قومه بالتوحيد مع أن الرسول لا بد أن يقول ذلك فحكاية لوط وغيرها هاهنا ذكرها الله على سبيل الاختصار فاقصر على ما اختص به لوط وهو المنع من الفاحشة ، ولم يذكر عنه الأمر بالتوحيد ، وإن كان قاله في موضع آخر حيث قال : «اعبدوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»^(٣) ؛ لأن ذلك قد أتى به إبراهيم ، وسبقه فصار كالمختص به ، وأما المنع من عمل قوم «لوط» فكان مختصاً «بلوط» فذكر كل واحد بما اختص به ، وسبق به غيره .

فصل

دلت الآية على وجوب الحد في اللواط ، لأنه سماها فاحشة ، وقد ثبت أن إتيان الفاحشة يوجب الحد ، وأيضاً أن الله تعالى جعل عذاب من أتاها إمطاراً الحجارة عليه عاجلاً وهو الرجم . وتقدم الكلام على قوله : «مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ»^(٤).

قوله : «أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ» ، قيل : كانوا يفعلون^(٥) الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم ، وقيل : يقطعون سبيل النسل بإتيان الرجال^(٦) ، كقوله : «أَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ»^(٧) ، «وَأَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ» قال أبو العباس المقرئ^(٨) : ورد لفظ النادي في القرآن بإزاء معينين .

الأول : النادي مجلس القوم المحدد^(٩) فيه لهذه الآية .

والثاني : بمعنى الناصر ، كقوله تعالى : ﴿فَلْيَنْعُ نَادِيكُمْ﴾ [العلق : ١٧] ، أي ناصره يعني أبا جهل .

= عاصم يهمز همزتين ، ويروى عن نافع المد واتفقوا جميعهم على الاستفهام في «أَنْتُمْ» الثانية ، انظر : السبعة لابن مجاهد ٤٩٩ ، والإتحاف ٣٤٥ .

(١) انظر : الكشف ٣/ ٢٠٤ فقد جعلها مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة .

(٢) ذكره في البحر المحيط ١٤٩/ ٧ . (٣) هود : ٦١ .

(٤) الأعراف : ٨٠ . (٥) حكاه ابن شجرة ، انظر : القرطبي ١٣/ ٣٤١ .

(٦) قاله وهب بن منه ، وانظر : المرجع السابق .

(٧) [الأعراف : ٨١] ، و [النمل : ٥٥] ، وتصحيحها «إنكم لتأتون» و «أَنْتُمْ لتأتون» .

(٨) أبو العباس المقرئ : أحمد بن عبد الله بن عيسى بن موسى الهاشمي أبو العباس المقرئ ، قرأ على محمد بن أبي عمر الدوري ، وعليه محمد بن محمد بن فيروز . انظر : غاية النهاية ١/ ٧٤ .

(٩) في ب : المتحدث فيه وهو الصواب .

واعلم أن النادي (والنُدَي) ^(١) والمُنْتَدَى مجلس القوم ومُتَحَدِّثُهُمْ، روى أبو صالح ^(٢) مولى أم هانئ بنت ^(٣) أبي طالب قالت: سألت رسول الله - ﷺ - عن قوله: «وتأتون في ناديكم المنكر» قلت: ما المنكر الذي كانوا يأتون؟ قال: كانوا يخذفون أهل الطرق، ويسخرون منهم ^(٤).

وروي أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى، فإذا مر بهم عابر ^(٥) سبيل حذفوه فأبهم أصحابه كان أولى به. وقيل: إنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاضي بذلك، وقال القاسم بن محمد ^(٦): كانوا يتضارطون في مجالسهم ^(٧).

وقال مجاهد: كان يجامع بعضهم بعضاً في مجالسهم ^(٨). وعن عبد الله بن سلام: يَنْزِقُ بعضهم على بعض ^(٩). وعن مكحول ^(١٠) قال: من أخلاق قوم لوط مضغ العلك ^(١١)، وتطريق الأصابع بالحِجَاء، وحل الإزار، والصَّفير، والخذف ^(١٢)، واللوطية.

(قوله) ^(١٣): «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ»، لما أنكر عليهم «لوط» ما يأتون به من القبائح

(١) ساقط من ب.

(٢) أبو صالح: هو باذام، ويقال: باذان، وكان لا يحسن أن يقرأ القرآن، كان الشعبي يراه فيقعده ويقول له: تفسر القرآن ولا تحسن أن تقرأه نظراً. انظر: المعارف لابن قتيبة ٤٧٩.

(٣) اختلف في اسمها فمن قائل إنها فاضة، ومن قائل إنها هند لها ستة وأربعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على حديث وعنها ابن ابنها جعدة، ومولاها أبو مرة، وكريز، أسلمت يوم الفتح. انظر: خلاصة الكمال ٥٠٠.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٤١١/٣ و ٤١٢. وقد أخرج هذا الحديث أبو داود الطيالسي في مسنده. وانظر: تفسير القرطبي ٣٤٢/١٣.

(٥) ذكر الثعلبي هذه الرواية نقلاً عن رسول الله - ﷺ - انظر: القرطبي ٣٤٢/١٣.

(٦) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي أبو محمد المدني، أحد الفقهاء السبعة، وأحد الأعلام كان ثقة عالماً كبيراً، مات سنة ١٠٦ هـ. انظر: خلاصة الكمال ٣١٣.

(٧) انظر: القرطبي ٣٤٢/١٣. (٨) المرجع السابق.

(٩) انظر: القرطبي ٣٤٢/١٣. وعبد الله بن سلام بن الحرث الإسرائيلي اليوسفي أبو يوسف أسلم وشهد فتح بيت المقدس، حدث عنه أبو هريرة، وأنس، مات سنة ٤٣ بالمدينة. انظر: خلاصة الكمال ٢٠٠.

(١٠) مكحول الدمشقي عن كثير من الصحابة مرسلأ. عن وثالة، وأنس، وعنه أيوب بن موسى، وزيد بن واقد والأوزاعي، كان عالماً كبيراً، مات سنة ١١٣ هـ. انظر: خلاصة الكمال ٣٨٧.

(١١) قال ابن منظور في اللسان «والعلك ضرب من صمغ الشجر كاللُبَان، يَمْضَغ فلا ينمّاع، والجمع علوك، وأعلاك». ثم قال: «والعلك والعلاك: شجر ينبت بالحجاز» وانظر: اللسان دار المعارف ٣٠٧٧ «علك».

(١٢) الخذف: هو الرمي بالحصى أو نواة تؤخذ بين السَّبَّابَتَيْنِ، انظر: اللسان دار المعارف ١١٧٨ «خذف» وانظر: رأي مكحول هذا في القرطبي ٣٤٢/١٣.

(١٣) ساقط من أ.

إِلَّا أَنْ قَالُوا لَهُ اسْتَهِزَاءً «إِثْنَانَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ» أَنْ الْعَذَابَ نَازِلٌ بِنَا فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لُوطُ: «رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ» بِتَحْقِيقِ قَوْلِي فِي الْعَذَابِ.

فَإِنْ قِيلَ: قَالَ قَوْمُ «إِبْرَاهِيمَ» اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ، وَقَالَ قَوْمُ لُوطٍ «إِثْنَانَا بِعَذَابِ اللَّهِ» وَمَا هَدَّوْهُ (مَع) ^(١) أَنْ «إِبْرَاهِيمَ» كَانَ أَكْثَرُ مِنَ «لُوطٍ» فَإِنْ لُوطاً كَانَ مِنْ قَوْمِهِ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَقْدَحُ فِي دِينِهِمْ وَيَشْتُمُ آلَهُتِهِمْ وَيَعِدُّ صِفَاتِ نَقْصِهِمْ بِقَوْلِهِ: «لَا تُبْصِرُ، وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُغْنِي» وَالْقَدْحُ فِي الدِّينِ صَعْبٌ، فَجَعَلُوا جَزَاءَهُ الْقَتْلَ وَالتَّحْرِيقَ ^(٢)، وَلُوطُ كَانَ يَنْكُرُ عَلَيْهِمْ فَعَلِمَهُمْ، وَبَيْنَهُمْ إِلَى ارْتِكَابِ التَّحْرِيمِ وَهُمْ مَا كَانُوا يَقُولُونَ إِنْ هَذَا وَاجِبٌ مِنَ الدِّينِ فَلَمْ يَصْعَبْ عَلَيْهِمْ مِثْلُ مَا صَعِبَ عَلَى قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ كَلَامُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالُوا ^(٣): إِنَّكَ تَقُولُ: إِنْ هَذَا حَرَامٌ وَاللَّهُ يَعَذِّبُ عَلَيْهِ وَنَحْنُ نَقُولُ: لَا نَعَذِّبُ ^(٤) فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَاتِّبَا بِالْعَذَابِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنْ اللَّهُ ^(٥) قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ» ^(٦).

وَقَالَ هُنَا: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِثْنَانَا» فَكَيْفَ الْجَمْعُ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ لُوطاً كَانَ ثَابِتاً ^(٧) عَلَى الْإِرْشَادِ مَكْرَراً عَلَى النَّهْيِ وَالْوَعِيدِ فَقَالُوا (أَوَّلاً) ^(٨) إِثْنَانَا (ثُمَّ) ^(٩) لَمَّا كَثُرَ مِنْهُ وَلَمْ يَسْكُتْ عَنْهُمْ قَالُوا: «أَخْرِجُوا». ثُمَّ إِنَّ لُوطاً لَمَّا يَكُنْ مِنْهُمْ طَلِبَ النَّصْرَةَ مِنَ اللَّهِ وَذَكَرَهُمْ بِمَا لَا يَحِبُّ اللَّهُ فَقَالَ «رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ» (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) ^(١٠) حَتَّى يُنْجِزَ النَّصْرَ ^(١١).

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا طَلَبَ ^(١٢) هَلَكَ قَوْمُهُ إِلَّا إِذَا عَلِمَ أَنَّ عَدَمَهُمْ خَيْرٌ مِنْ وَجُودِهِمْ، كَمَا قَالَ نُوحٌ «إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا» ^(١٣)، يَعْنِي: أَنَّ الْمَصْلَحَةَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِيهِمْ حَالاً، أَوْ بِسَبَبِهَا مَالاً وَلَا مَصْلَحَةَ فِيهِمَا، فَإِنَّهُمْ ضَالِّزِينَ فِي الْحَالِ وَفِي الْمَالِ فَإِنَّهُمْ يُوَصُّونَ أَوْلَادَهُمْ مِنْ صَغَرِهِمْ بِالْإِمْتِنَاعِ عَنِ الْإِتْبَاعِ وَكَذَلِكَ لُوطُ لَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ يَفْسِدُونَ فِي الْحَالِ، وَاسْتَغْلَوْا بِمَا لَا يُرْجَى مِنْهُمْ وَلَدَ صَالِحٌ يَعْبُدُ اللَّهَ فَطَلَبَ الْمَصْلَحَةَ حَالاً وَمَالاً، فَعَدَمَهُمْ صَارَ خَيْراً، وَطَلَبَ الْعَذَابَ.

(١) ساقط من ب.

(٢) في ب: بالتحريق.

(٣) في ب: فقالوا.

(٤) في ب: يعذب عليه.

(٥) في ب: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى».

(٦) النمل: ٥٦.

(٧) في ب: تاماً.

(٨) ساقط من ب وفيها «فَقَالَ إِثْنَانَا».

(٩) ساقط من ب.

(١٠) تكملة يقتضيها السياق من الفخر الرازي.

(١١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٥٩/٢٥.

(١٢) في ب: يطلب بالمضارعة.

(١٣) نوح: ٢٧.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِ (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِعَةً بِهِمْ وُضِفَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا نَخَفُ وَلَا نَحْزَنُ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنْ الْغَايِبِ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ رَزَقْنَاهَا آيَةً يَنْتَهِ لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)﴾

قوله (تعالى) (١): «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى» من الله بإسحاق ويعقوب «قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ» يعني قوم لوط «إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ». «قَالَ» إبراهيم «إِنَّ فِيهَا لُوطًا»، قالت الملائكة: «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا» ويأتي بقية الكلام على ذلك.

قوله: «وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ» تقدم (٢) نظيرها إلا أن هنا زيدت «أَنْ» وهو مطرد (٣) تأكيداً. اعلم أنه لما دعا لوط على قومه بقوله: «رب انصرنى» استجاب الله دعاءه، وأمره ملائكته بإهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين فجاءوا إبراهيم وبشروه بذرية طيبة وقالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية يعني أهل سدوم.

وفي الآية لطيفتان:

«إحداهما»: أن الله جعلهم مبشرين ومنذرين لكن البشارة إثر الرحمة والإنذار بالهلاك إثر الغضب، ورحمته سبقت غضبه فقدم البشارة على الإنذار، وقال: «جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى» ثم قال (٤): «إِنَّا مُهْلِكُوا»، «الثانية»: حين ذكروا البشرى ما هلكوا (٥) وقالوا: إنا نبشرك بأنك رسول، أو لأنك مؤمن أو لأنك عادل، وحين ذكروا الإهلاك هلكوا، وقالوا: إن أهلها كانوا ظالمين لأن ذا الفضل لا يكون فضله بعوض، والعادل لا يكون عذابه إلا على جُرم.

فإن قيل: قال في قوم نوح: «فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ» (وقيل: إن ذلك إشارة إلى أنهم كانوا على ظلمهم حين أخذهم ولم يقل: وهم ظالمون) (٦).

فالجواب: لا فرق في الموضعين في كونهما مُهْلِكَيْنِ وهم مصرّون على الظلم لكن هناك الإخبار من الله عن الماضي حيث قال: «فَأَخَذَهُم» وهم عند الوقوع في العذاب

(١) تكملة من ب.

(٢) يقصد [هود: ٧٧] وهي «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ».

(٣) انظر البحر المحيط ١٥٠/٧، والكشاف ٢٠٥/٣، والمنعي ٣٤/١، ٣٥.

(٤) في ب: قالوا بالجمع.

(٥) في كلتا النسختين «هلكوا» والصواب الذي يقتضيه السياق والمعنى: عللوا.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من ب.

ظالمون وهامنا الإخبار من الملائكة عن المستقبل حيث قالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية، والملائكة ذكروا ما يحتاجون^(١) إليه في (إبانة) حسن الأمر من الله بالإهلاك فقالوا: «إنا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ»؛ لأن الله أمرنا، وحال (ما)^(٢) أمرنا كانوا ظالمين فحسن أمر الله عند كل أحد وأما نحن فلا تخبر بما لا حاجة لنا إليه فإن الكلام في^(٣) الملك بغير إذنه سوء أدب فنحن ما احتجنا إلا إلى هذه القدر وهو أنهم كانوا ظالمين في وقتنا هذا، وكونهم يَبْقَوْنَ كذلك فلا حاجة لنا إليه، ثم إن إبراهيم لما سمع كلامهم قال لهم: «إِنَّ فِيهَا لُوطًا» إشفاقاً عليه ليُعلم حاله^(٤)، قالت الملائكة: «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ» قرأ حمزة والكسائي ويعقوب^(٥) «لَنُنَجِّيَنَّهُ» - بالتخفيف^(٦)، وقرأ الآخرون بالتشديد «وأهلُهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ» أي الباقيين في العذاب. وفي استعمال الغابر في المهلك وجهان؛ لأن الغابر لفظ مشترك^(٧) في الماضي، وفي الباقي يقال: فيما غَبَرَ من الزَّمان أي فيما مضى وقال عليه (الصلاة و)^(٨) السلام لما سئل عن الماء من السباع فقال: «ولنا ماء غير^(٩) طهور» أي بقي فعلى الأول إن ذكر الظالمين سبق في قولهم: إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين، ثم جرى (ذكر)^(١٠) لوط. وقول الملائكة: إنها من الغابرين أي الماضين ذكرهم لا من الذين نحنُ منهم، أو نقول المهلك يفنى بمضي^(١١) زمانه، والناجي هو الباقي، (فد)^(١٢) قالوا «إنها من الغابرين» أي من الرائحين الماضين، لا من الباقيين المستمرين وأما على الثاني لما قضى الله على القوم بالهلاك كان الكل في الهلاك إلا من ينجي منه^(١٣)، فقالوا: إنا نُنَجِّي لوطاً وأهلَهُ، وأما امْرَأَتُهُ فهي من الباقيين في الهلاك.

قوله: «وَلَمَّا (أَنَّ)^(١٤) جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا» أي إنهم من عند إبراهيم جاءوا إلى لوط على صورة البشر فظنهم بشراً فخاف عليهم من قومه لأنهم كانوا في أحسن صورة والقوم كما عرف حالهم «سَيِّئٌ بِهِمْ» أي جاءه ما ساءه وخاف، ثم عجز عن تدبيرهم^(١٥) فحزن «وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا» كناية عن العجز في تدبيرهم قال الزمخشري: يقال: طال ذَرْعُهُ وذراعه للقدار، وضاق للعاجز، وذلك لأن من طال ذراعه يصل إلى ما لا يصل إليه قصير الذراع والاستعمال يحتمل وجهاً آخر معقولاً وهو أن الخوف والحزن يوجبان انقباض الروح،

- (١) انظر الرازي ٥٩/٢٥، ٦٠.
- (٢) ساقط من ب.
- (٣) في ب: عن الملك.
- (٤) في ب: ليُعلموا حاله.
- (٥) تقدم.
- (٦) انظر: حجة ابن خالويه ٢٨٠ والسبعة ٥٠٠.
- (٧) يشترك في ب.
- (٨) ساقط من ب.
- (٩) أخرجه ابن ماجه في الطهارة وسنتها (١٧٣/١) عن أبي سعيد الخدري.
- (١٠) في ب: جرى قوم لوط.
- (١١) في ب: يبقى ويمضي.
- (١٢) ساقط من ب.
- (١٣) في ب: منهم.
- (١٤) ساقط من ب.
- (١٥) في ب: تذكيرهم.

ويتبعه اشتغال القلب عليه فينقبض هو أيضاً والقلب^(١) هو المعبر من الإنسان فكأن الإنسان انقبض وانجمع وما يكون كذلك يقل^(٢) ذرعه ومساحته فيضيق، ويُقال في^(٣) الحزين ضاق ذُرْعُهُ والغضب والفرح يوجبان^(٤) انبساط الروح فيسط^(٥) مكانه وهو القلب، ويتسع فيقال: طال ذرعه، ثم إن الملائكة لما رأوا أول الأمر، وحزنه بسبب تدبيرهم في ثاني الأمر قالوا: لا تخف من قومك علينا ولا تحزن بإهلاكنا إياهم «إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ»، وإنا منزلون عليهم العذاب حتى يتبين له أنهم ملائكة فيطول ذرعه بطول رَوْعِهِ.

قوله: «إِنَّا مُنْجُوكَ» في الكاف وما أشبهها مذهبان، مذهب سيويه: أنها في محل جر، ومذهب الأخفش وهشام أنها في محل نصب. وحذف النون والتنوين لشدة اتصال الضمير. وقد تقدمت قراءة التخفيف والتثقيب في «لننجيه» مُنْجُوكَ «في الجحر».

قوله: «إِنَّا مُنْزِلُونَ»، قرأ ابن عامر بالتشديد، والآخرون بالتخفيف، وقرأ ابن مُحَيِّصٍ «رُجْزاً» بضم الراء، والأعمش وأبو حيوه «يُفْسِقُونَ» بالكسر. (فإن قيل)^(٦): قال هنا: «إِنَّا مُنْجُوكَ» وقال لإبراهيم: «لنُنْجِيَنَّ» - بصيغة الفعل فما الحكمة؟

فالجواب: ما من حرف ولا حركة في القرآن إلا وفيه فائدة، ثم إن العقول البشرية تدرك بعضها، ولا تصل إلى أكثرها، وما أوتي البشر من العلم إلا القليل^(٧)، والذي يظهر (هاهنا)^(٨) أن هناك لما قال لهم إبراهيم: «إِنَّ فِيهَا لُوطاً» وعدوه بالتنجية ووعد الكريم حتم، وهاهنا لما قالوا للوط وكان ذلك بعد سبق الوعد مرة (قالوا)^(٩) إِنَّا مُنْجُوكَ أي ذلك واقع منا كقوله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ»^(١٠) لضرورة وقوعه.

فإن قيل: ما مناسبة^(١١) قوله: «إنا منجوك» لقوله: «لا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ» فإن^(١٢) خوفه ما كان على نفسه.

فالجواب: أن لوطاً لما خاف عليهم وحزن لأجلهم قالوا: لا تخف علينا ولا تحزن لأجلنا فإننا ملائكة. ثم قالوا له يا لوط^(١٣) خفت علينا وحزنت لأجلنا ففي مقابلة خوفك وقت الخوف نزول خوفك وننجيك وفي مقابل حزنك نزول حزنك^(١٤)، ولا يتركك تفجع في أهلك، فقالوا: «إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ».

(١) في ب: والقبض هو المعبر.

(٢) في ب: في آخرين.

(٣) في ب: ب: يسط.

(٤) في ب: ب: يسط.

(٥) في ب: ب: يسط.

(٦) في ب: ب: يسط.

(٧) في ب: ب: يسط.

(٨) في ب: ب: يسط.

(٩) في ب: ب: يسط.

(١٠) في ب: ب: يسط.

(١١) في ب: ب: يسط.

(١٢) في ب: ب: يسط.

(١٣) في ب: ب: يسط.

(١٤) في ب: ب: يسط.

(١٥) في ب: ب: يسط.

فإن قيل: القوم عذبوا بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامراته لم يصدر منها ذلك. فكيف كانت من الغابرين معهم؟

فالجواب: أن الدال على الشر كفاعل الشر كما أن الدال على الخير كفاعله^(١)، وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم فبالدلالة^(٢) صارت كأحدهم، ثم إنهم بعد بشارة «لوط» بالتنجية ذكروا أنهم مُنْزَلُونَ على أهل هذه القرية العذاب^(٣).

واختلفوا في ذلك، فقيل: حجارة، وقيل: نار، وقيل: حَسَف، وعلى هذا يكون قولهم: «رَجَزَآ مِنْ السَّمَاءِ» بمعنى أن الأمر من السماء بالخسف والقضاء به من السماء، واعلم أن كلام الملائكة مع لوط جرى على (نمط)^(٤) كلامهم مع إبراهيم، فقدموا البشارة على إنزال العذاب، فقالوا: «إنا منجوك» ثم قالوا: «إنا مُنْزَلُونَ» ولم يعملوا التنجية، فلم يقولوا: إنا منجوك لأنك نبي أو عابد، وعللوا الإهلاك، فقالوا: «بما كانوا يفسقون» كقولهم هناك: «إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ».

قوله: «وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً» فيها وجهان:

أحدهما: أن بعضها «باق» وهو آية باقية إلى اليوم، والمعنى تركنا من قريات (قوم)^(٥) لوط آية بينة عبزة ظاهرة.

الثاني: أن «من» مزيدة، وإليه نحا الفراء^(٦) أي تركناها آية كقوله:

٤٠٢٩ - أَمَهَرْتُ مِنْهَا جُبَّةً وَتَيْسًا^(٧)

أي أمهرتها، وهذا يجيء على رأي الأخفش، أي ولقد تركنا القرية. والقرية معلومة، وفيها الماء الأسود وهي بين القدس والكرك.

فإن قيل: كيف جعل الآية في «نوح» و «إبراهيم» بالنجاة^(٨) فقال: «فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ». وقال: «فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ)»، وجعل ههنا الهلاك آية؟

(١) في ب: فالجواب أن الدال على الخير كفاعله والدال على الشر كفاعله.

(٢) في ب: فاللدلالة. وهو تحريف. (٣) في ب: بدل العذاب «رجزاً من السماء».

(٤) ساقط من ب. (٥) زائد فيهما وهو خطأ.

(٦) لم يذكر الفراء شيئاً عن هذه اللفظة «من» في سورة العنكبوت عند تعرضه لتلك السورة وتفسير معانيها. انظر المعاني ٣١٤/٢، ٣١٧.

(٧) رجز مجهول قائله، والنجية: نوح من الثياب معروف، والتيس: ذكر الماعز والظباء، ومعناه: أنه ساق مهرها هذين الشيئين. والشاهد فيه قوله: «فأمهرت منها» لأن المعنى: فأمهرتها وهذا على قياس رأي الأخفش لأنه ارتأى أن تراد «من» في المثبت أو الموجب، وانظر: شرح الجمل ٤٨٦/١، والدر المصون ٣٠٤/٤.

(٨) في ب: النجاة.

فالجواب: أن الآية في إبراهيم كانت في النجاة لأن في ذلك الوقت لم يكن إهلاكاً^(١)، وأما في نوح فلأن الإنجاء من الطوفان الذي على أعلى^(٢) الجبال بأسرها أمر عجيب إلهي وما به النجاة وهو السفينة كان باقياً، والغرق لم يبق لمن بعده أثره^(٣)، فجعل الباقي آية، وأما ههنا فنجاة «لوط» لم يكن بأمر يبقى أثره للحس والهلاك أثره محسوس في البلاد، فجعل الآية ههنا البلاد، وهناك السفينة، وههنا لطيفة وهي أن الله تعالى آية قدره^(٤) موجودة في الإنجاء والإهلاك، فذكر من كل باب آية، وقدم آيات الإنجاء لأنها أثر الرحمة، وأخر آيات الإهلاك لأنها أثر الغضب، ورحمته سابقة.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله في السفينة «جعلناها آية»، ولم يقل بينة وقال ههنا آية بينة؟

فالجواب: أن الإنجاء بالسفينة أمر يسع له كل العقل^(٥) وقد يقع في ذهن جاهل أن الإنجاء لا يفتقر إلى أمر آخر، وأما الآية ههنا الخسف، وجعل ديارهم المعمورة عاليها سافلها، وهو ليس بمعتاد وإنما ذلك بإرادة قادر مخصصة^(٦) بمكان دون مكان وفي زمان دون زمان فهي بينة لا يمكن لجاهل^(٧) أن يقول هذا أمر يكون كذلك، وكان^(٨) له أن يقول في السفينة أمرها يكون كذلك، فيقال له: فلو دام الماء حتى ينفذ زادهم كيف كان حصل^(٩) لهم النجاة؟ ولو سلط الله عليهم الريح العاصفة، وكيف تكون أحوالهم^(١٠)؟

فإن قيل: ما الحكمة في قوله هناك: «لِلْعَالَمِينَ»، وفي قوله ههنا: «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»؟

فالجواب: أن السفينة (موجودة)^(١١) معلومة في جميع أقطار العالم فعند كل قوم مثال السفينة يتذكرون^(١٢) بها حالة نوح، وإذا ركبوها يطلبون من الله النجاة، فلا^(١٣) يثق أحد بمجرد السفينة، بل يكون دائماً مرتجف القلب متضرعاً إلى الله تعالى طالباً النجاة^(١٤)، وأما أثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع مخصوص لا يطلع عليها إلا من مر بها^(١٥)، ويصل إليها^(١٦) ويكون له عقل يعلم أن ذلك من الله لإرادته^(١٧) بسبب اختصاصه بمكان دون مكان ووجوده في زمان دون زمان، قال ابن عباس: الآية البينة: آثار منازلهم الخربة^(١٨). وقال قتادة: هي الحجارة^(١٩) التي أهلكوا بها أبقاها الله (تعالى)^(٢٠) حتى

(١١) ساقط من ب.

(١) في ب: هلاك.

(١٢) في ب: يتكلمون.

(٢) في ب: من علا.

(١٣) في ب: ولا.

(٣) في ب: له بعده أثر.

(١٤) في ب: طالب النجاة.

(٤) في ب: قدرته.

(١٥) في ب: يمر به.

(٥) في ب: عقل بدون أل.

(١٦) في ب: إليه.

(٦) في ب: يخصصه.

(١٧) في ب: وإرادته بالواو.

(٧) في ب: الجاهل.

(١٨) انظر: القرطبي ٣٤٣/١٣.

(٨) في ب: كان بدون واو.

(١٩) وهذا رأي أبي العالية أيضاً، انظر: القرطبي ٣٤٣/١٣.

(٩) في ب: يحصل.

(٢٠) ساقط من ب.

(١٠) في ب: احتمالهم.

أدركها أوائل هذه الأمة. وقال مجاهد: هي ظهور الماء الأسود على وجه^(١) الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَلْقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ
الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: «وَالِى مَدْيَنَ» أي وأرسلنا، أو بعثنا إلى مدين أخاهم «شعيباً» بدل، أو
بيان، أو بإضمار: أعني^(٢)، قيل: مدين: اسم رجل في الأصل وجهل وله ذرية فاشتهر
في القبيلة، كتميم، وقيس وغيرهما، وقيل: اسم ما نسب القوم^(٣) إليه فاشتهر في القوم،
والأول أظهر، لأن الله تعالى أضافه^(٤) إلى مدين بقوله: «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ» ولو كان
اسم الماء لكانت الإضافة غير صحيحة أو غير حقيقية فالأصل في الإضافة التغيرات
حقيقة^(٥) وقوله: «أخاهم»، قيل: لأن شعيباً كان منهم نسباً.

فإن قيل: قال الله (تعالى)^(٦) في «نوح»: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ» فقدّم^(٧)
نوحاً في الذكر وعرف القوم بالإضافة إليه وكذلك في إبراهيم، ولوط، وههنا ذكر القوم
أولاً، وأضاف إليهم أخاهم «شعيباً» فما الحكمة؟

فالجواب: أن الأصل في الجميع أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم^(٨) لأن الرسل لا
تبعث إلا^(٩) غير معينين، وإنما تبعث الرسل إلى قوم محتاجين إلى الرسل فيرسل إليهم
من يختاره^(١٠)، غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط لم يكن لهم^(١١) اسم خاص، ولا نسبة
مخصوصة يعرفون بها، فعرفوا بالنبي، فقيل: قوم نوح، وقوم لوط، وأما قوم «شعيب»
و «هود» و «صالح» فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على
أصله، وقال^(١٢) الله: «وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا»، «وإلى عاد أخاهم هوداً» فإن قيل: لم
يذكر عن «لوط» أنه أمر قومه بالعبادة والتوحيد، وذكر عن شعيب ذلك.

فالجواب قد تقدم وهو أن «لوطاً» كان من قوم «إبراهيم»، وفي زمانه، وكان

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: البيان ٢/٢٤٤، والدر المصون للمسمين ٤/٣٠٤، وقد أغرب أبو البقاء «شعيباً» معطوفاً على
«نوحاً»، انظر: التبيان ٢/٢٠٣.

(٣) في ب: الماء.

(٤) في ب: أضاف بدون ضمير.

(٥) فهي لغة مطلق الإسناد، واصطلاحاً: إسناد اسم آخر على تنزيل الاسم الثاني من الأول منزلة تنوينه،
أو ما يقوم مقام التنوين في تمام الكلمة، أو هي نسبة تقييدية بين اسمين تقتضي أن يكون ثانيهما
مجروراً فالنسبة هي الإسناد والحكم، ومعنى هذا كله أن هناك تغييراً ورفقاً بين كلمتين.

(٦) ساقط من أ.

(٧) في ب: قدم.

(٨) في ب: إلى غير معينين.

(٩) في ب: رسولاً لهم.

(١٠) في ب: اختاره.

(١١) في ب: ولم يكن.

(١٢) في ب: فقال.

إِبْرَاهِيمُ سبقه بذلك، واجتهد فيه حتى اشتهر الأمر بالتوحيد عند^(١) الخلق عن «إبراهيم» فلم يحتج^(٢) «لوط» إلى ذكره، وإنما ذكر ما اختص به من المنع من الفاحشة وغيرها، وإن كان هو بدأ يأمر بالتوحيد، (إذ ما من رسول إلا ويكون أكثر كلاماً في التوحيد، وأما «شعيب» فكان بعد انقراض ذلك الزمان، وذلك القوم، فكان هو أصلاً في التوحيد)^(٣) فبدأ به وقال^(٤) «اعبدوا الله».

قوله: «وارجوا اليوم الآخر»، قال الزمخشري^(٥): معناه افعلوا فعل من يَرْجُو اليوم الآخر؛ إذ يقول القائل لغيره: كن عاقلاً ويكون معناه افعل فعل من يكون عاقلاً، فقوله: «وارجوا اليوم الآخر» بعد قوله: «واغْبُدُوا اللَّهَ» يدل على التفضل لا على الوجوب.

قوله: «وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ»، تقدم الكلام عليه^(٦)، ونصب «مفسدين» على المصدر، كقول القائل: اجلس قعوداً.

قوله: «فكذبوه فأخذتهم الرجفة».

فإن قيل: (ما الحكمة)^(٧) فيما حكاها الله عن شعيب من أمر ونهي، فالأمر لا يكذب، ولا يصدق، فإن قال لغيره اعبد الله لا يقال له: كذبت؟

فالجواب: كان شعيب يقول: الله واحد فاعبدوه، والحشر كائن فارجوه، والفساد محرم فلا تقربوه، وهذه فيها إخبارات، فكذبوه بما أخبر به.

(فإن قيل^(٨) هنا) قال في الأعراف: «فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ» وقال في هود: «فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ» والحكاية واحدة.

(فالجواب)^(٩): لا تعارض بينهما، فإن الصيحة كانت سبباً للرجفة، قيل: إن جبريل صاح فتزلزلت الأرض من صيحته، فرجفت قلوبهم، والإضافة إلى السبب لا تنافي الإضافة إلى سبب السبب.

فإن قيل: ما الحكمة في أنه حيث قال: «فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ» قال: «فِي دِيَارِهِمْ» وحيث قال: «فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ» قال في «دَارِهِمْ»؟

(١) في ب: فإن قيل: إنه. (٢) في ب: قد يحتج إلى لوط إلى ذكره.

(٣) ساقط من ب: (٤) في «ب» فقال.

(٥) انظر: الكشف ٢٠٥/٣.

(٦) يقصد أن هذه الآية مكررة في البقرة، والأعراف، وهود، والشعراء بأرقام ٦٠ و ٧٤ و ٨٥ و ١٨٣ وقد فهم من هذه الآيات عند التعرض لها أن هؤلاء القوم كانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك، ويقال: عثا في الأرض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والإغارة وإهلاك الزروع. انظر: اللباب البقرة ميكروفيلم.

(٧) زائد من «ب» فأما ما في «أ» فهو فإن قيل ما حكاها الله الخ...

(٨) في «ب» فصل: قال ههنا. (٩) ساقط من «ب».

فالجواب : أنَّ المراد من الدارِ هو الديار، والإضافة إلى الجمع يجوز أن تكون بلفظ الجمع، وأن تكون بلفظ الواحد إذا أمِنَ (مِنْ) ^(١) الألبتاس، وإنما اختلف اللفظ للطفة وهي أن اللطفة ^(٢) هائلة في نفسها، فلم يحتج إلى تهول بها، وأما الصيحة فغير هائلة في نفسها ولكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى أحدثت الزلزلة في الأرض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى يعلم هيئتها، والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل أحد فلم يُحتج إلى معظَم ^(٣) لأمرها، وقيل : إن الصيحة كانت أعظم حيث عمت الأرض والجو والزلزلة لم تكن إلا في الأرض فذكر الديار هنا ^(٤)، وهذا ضعيف لأن الدار والديار موضع الجنوم لا موضع الصيحة والرجفة فهم ما أصبحوا جاثمين إلا في ديارهم أو دارهم ^(٥).

قوله تعالى : ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْتٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فصدَّهم عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَمَانٌ ۖ وَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَمِيعِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى : «وَعَادًا وَثَمُودًا» نصب «بأهلكنا» مقدراً ^(٦)، أو عطف على مفعول «فَأَخَذْنَاهُمْ» ^(٧) أو على منصوب ^(٨) «ولقد فتنا» أول السورة، وهو قول الكسائي. وفيه بعد كثير وتقدم تنوين «ثمود»، وعدمه ^(٩) في هود، وقرأ ابن ^(١٠) وثاب : «وَعَادٌ وَثَمُودٌ» بالخفض عطفاً على ^(١١) «مَدِينٍ» عطف لمجرد الدلالة، وإلا ^(١٢) يلزم أن يكون شعيت مرسلًا إليهما، وليس كذلك.

قوله : «وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ» أي ما حلَّ بهم وقرأ الأعمش : «مَسَاكِينُهُمْ»

(١) زيادة من «ب».

(٢) في «ب» الرجفة وهو الأقرب والصواب.

(٣) في «ب» تعظيم.

(٤) في «ب» هناك.

(٥) انظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ٦٦/٢٥.

(٦) انظر : البيان لابن الأنباري ٢٤٤/٢، والبحر المحيط ١٥٢/٧، والدر المصون ٣٠٥/٤.

(٧) المراجع السابقة.

(٨) المراجع السابقة.

(٩) المراجع السابقة.

(١٠) ابن وثاب : يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي القاري العابد أحد الأعلام، مولى بني أسد، روى عن ابن عباس، وابن عمر وعن مسروق وقرأ عليه الأعمش، وطلحة بن مصرف، مات سنة ١٠٣ هـ.

انظر : معرفة القراء الكبار للذهبي ٦٢/١ : تهذيب الكمال ٢٤٩، تذكرة الحفاظ ١٠٦/١.

(١١) انظر : البحر المحيط ١٥٢/٧.

(١٢) في «ب» ولا يلزم.

بالرفع على الفاعلية^(١) بحذف «من». ثم (بين)^(٢) سبب (ما)^(٣) جرى عليهم فقال: «وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» أي عن سبيل الحق، وهو عبادة الله «وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» قال مقاتل والكلبي^(٤) وقتادة كانوا معجبين^(٥) في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى، وكانوا على الباطل، والمعنى أنهم كانوا^(٦) عند أنفسهم مستبصرين وقال الفراء^(٧): كانوا عقلاء ذوي بصائر. وقيل: كانوا مستبصرين^(٨) بواسطة الرسل، يعني لم يكن لهم في ذلك عذر لأن الرسل أوضحوا السبل.

قوله: «وَقَارُوءٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَامَانَ» عطف على «عَادًا وَثَمُودًا»^(٩) أو على مفعول: «فصدهم»، أو بإضمار^(١٠): اذكروا، «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ» بالدلالات كما قال في عاد وثمود «وكانوا مستبصرين» أي بالرسل. «فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ» أي عن عبادة الله، فقوله: «فِي الْأَرْضِ» إشارة إلى قلة عقلهم في استكبارهم، لأن من في الأرض أضعف^(١١) أقسام المكلفين، ومن في السماء أقواهم، ثم إن «من في السماء» لا يستكبرون على الله بالعبادة فكيف «من في الأرض»، «وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ» أي فائتين من عقابنا.

قوله: «فَكُلًّا» منصوب «بأخذنا»^(١٢) و «بَذَنِيهِ» أي بسببه أو مصاحباً لذنبه، «فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا» وهم قوم لوط والحاصب: الريح التي تحمل الحصباء وهي الحصى الصغار وقيل: كانت حجارة مَحْمِيَّة^(١٣) تقع على واحد منهم وتَنفُذُ مِنْ^(١٤) الجانب الآخر، «وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ» يعني ثمود^(١٥) «وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ» وهم «قارون» وأصحابه، «وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا» يعني قوم نوح وفرعون وقومه.

وقوله: «مَنْ أَعْرَفْنَا» عائدة محذوف لأجل سنة الفاصلة، ثم قال: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ» يعني لم يظلمهم بالهلاك وإنما ظلموا أنفسهم بالإشراك.

قوله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْسَ وَإِنَّ أَوَّهَكَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: المرجع السابق ١٥٢/٧.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «ب».

(٤) انظر: فتح القدير ٢٠٢/٤.

(٥) تقدم.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء ٣١٧/٢.

(٧) المرجع السابق.

(٨) البيان ٢٤٥/٢ والبيان ١٠٣٣.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) في «ب» أضعاف.

(١١) المراجع السابقة.

(١٢) التبيان لأبي البقاء ١٠٣٣، والدر المصون للسمين ٣٠٥/٤.

(١٣) انظر: القرطبي ٣٤٣/١٣ وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨.

(١٤) انظر: القرطبي ٣٤٤/١٣ وفي «ب» يعني وهو الأصح.

(١٥) ساقط من «ب».

مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَذَلِكَ الْأَمْثَلُ نَصْرُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

قوله (تعالى) ^(١): «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ (أَوْلِيَاءَ)» يعني الأصنام يرجون نصرها ونفعها «كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ لِنَفْسِهَا «بَيْتًا» تَأْوِي إِلَيْهِ، وَإِنْ بَيْتُهَا فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالْوَهِي ^(٢) لَا يَدْفَعُ عَنْهَا حَرًّا وَلَا بَرْدًا كَذَلِكَ الْأَوْثَانُ لَا تَمْلِكُ لِعَابِدِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ^(٣)» وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ (لَوْ كَانُوا) ^(٤) يَعْلَمُونَ». واعلم أنه تعالى مثل اتخاذهم الأوثان أولياء باتخاذ العنكبوت) نسجه بيتاً ولم يمثل «نسجه» لأن «نسجه» له ^(٥) فائدة لولاه لما ^(٦) حصل، وهو اصطيادها الذباب من غير أن يفوته ما (هو) ^(٧) أعظم منه واتخاذهم الأوثان يفيدهم ما هو أقل من الذباب من متاع الدنيا ولكن يفوتهم ما هو أعظم منها وهو الدار الآخرة (التي) ^(٨) هي خير وأبقى، فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت. وقوله: «وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» إشارة إلى ما بينا أن كل بيت ففيه إما فائدة الاستظلال أو غير ذلك، وبيته يضعف عن إفادة ذلك لأنه يَخْرُبُ بِأَدْنَى شَيْءٍ، وَلَا يَبْقَى مِنْهُ عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ، فَكَذَلِكَ عَمَلُهُمْ، «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ». (و) ^(٩) العنكبوت معروف، ونونه أصلية. والواو والتاء مزيدتان بدليل جمعه على «عناكب» وتصغيره عنكب ويذكر ويؤنث، فمن التأنيث قوله: «اتَّخَذَتْ بَيْتًا» ومن التذكير قوله:

٤٠٣ - عَلَى مَطَالِهِمْ مِنْهُمْ بُيُوتٌ كَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ هُوَ ابْنَتَاهَا ^(١٠)

وهذا مطرد في أسماء الأجناس يذكر ويؤنث.

قوله: «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» جوابه محذوف أي لما اتخذوا من يضرب له ^(١١) بهذه الأمثال لِحَقَارَتِهِ ومتعلق يعلمون لا يجوز أن يكون من جنس قوله: «وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ»

(١) ساقط من (ب).

(٢) في (ب) والوهن.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٤) في (ب) ما حصل.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) في (ب) ما حصل.

(٧) ساقط من (ب).

(٨) ساقط من (ب).

(٩) ساقط من (ب).

(١٠) البيت من تمام الروايف ولم أعرف قائله، والهطال: اسم جبل، والمعنى أنهم في متناول يد أعدائهم لضعف بيوتهم وذلك كناية عن قلة المدافعين عنها فأشبهت بيت العنكبوت في ضعفها وهونها. وجيء بالبيت استشهاداً على أن العنكبوت مذكر، وهو مذهب لناس من العرب وكأنه ذهب إلى الجنس.

(انظر معاني الفراء ٣١٧/٢، واللسان «عنكب» ٣١٣٨ و «هطل» ٤٧٦٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٢٥٧ والمذكر والمؤنث للفراء ١٠٢، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٤٢٦/١، ومعجم البلدان ٥/٤٠٨، ومعجم البيان ٤٤٦/٧، والبحر المحيط ١٥٢/٧، والقرطبي ٣٤٥/١٣، والسراج المنير ٣/١٤٣ والخزانة ٣٢٢/٢ والمخصص والتاج «هطل».

(١٢) في (ب) به.

لأن كل أحد يعلم ذلك، وإنما متعلِّقهُ مقدر من جنس ما يدل عليه السياق أي لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ»، قرأ أبو عمرو وعاصم «يَدْعُونَ»^(١) بياء الغيبة، والباقون بالخطاب. و «ما» يجوز أن تكون موصولة منصوبة^(٢) بـ «يَعْلَمُ» أي يعلم الذين يدعونهم^(٣) ويعلم أحوالهم، و «من شيء» مصدر، وأن تكون استفهامية^(٤)، وحينئذ يجوز فيها وجهان أن تكون هي وما عملت فيها معترضاً بين قوله: «يَعْلَمُ» وبين قوله: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» كأنه قيل: أي شيء تدعون من دون الله^(٥):

والثاني: أن تكون متعلقة «لِيَعْلَمَ» فتكون في موضع نصب بها، وإليه ذهب الفارسي^(٦) وأن تكون نافية و «مِنْ» في «مِنْ شَيْءٍ» مزيدة في المفعول به كأنه قيل: ما تدعون من^(٧) دون الله ما يستحق أن يطلق عليه شيء.

قال الزمخشري: هذا زيادة تأكيد على التمثيل حيث إنهم لا يدعون من دونه^(٨) من شيء يعني ما يدعون ليس بشيء، وهو عزيز حكيم، فكيف يجوز للعاقل أن يترك القادر الحكيم ويشغل بعبادة ما ليس بشيء أصلاً وهذا يفهم منه أنه^(٩) جعل «ما» نافية، والوجه فيها حينئذ أن تكون الجملة معترضة كالأول من وجهي الاستفهامية، وأن تكون مصدرية، قال أبو البقاء^(١٠): و «شيء» مصدر، وفي هذا نظر، إذ يصير التقدير يعلم دعاءكم في شيء من الدعاء.

قوله: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ» يجوز أن يكون^(١١) «نضربها» خبر «تلك الأمثال» و «الأمثال» نعت أو بدل، أو عطف بيان، وأن يكون «الأمثال» خبراً، و «نضربها» حال، وأن يكون خبراً ثانياً^(١٢).

(١) الإتحاف ٣٤٦ والسبعة ٥٠١ وهو المفضل قال في الكشف: لأن في الكلام معنى التهديد والوعيد والتوبيخ لهم، فإذا جرى الكلام على لفظ الخطاب كان أبلغ في الوعظ والزجر لهم، وهو الاختيار لأن الأكثر عليه، انظر: الكشف ١٧٩/٢.

(٢) نقله في البيان ٢/٢٤٥. (٣) في (ب) يدعونه وهو خطأ.

(٤) البيان ٢/٢٤٥ والدر ٤/٣٠٦. (٥) المرجعان السابقان.

(٦) الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي أخذ عن أبي بكر بن السراج وأبي إسحاق الزجاج كان من أكابر أئمة النحويين، مات سنة ٣٧٧هـ، انظر: نزهة الألباء ٢٠٩ و ٢١٠.

(٧) البحر المحيط ٧/١٥٢، وقد قال الفارسي «ما استفهام موضع نصب بتدعون، ولا يجوز أن تكون نصباً بـ «يعلم» ولكن صار الجملة التي هي فيها في موضع نصب بـ «يعلم» والتقدير: أن الله يعلم أوثاناً تدعون من دونه» الحجة ٦/١٠٨ بلدية.

(٨) انظر: الكشف ٣/٢٠٦. (٩) في «ب» يجعل.

(١٠) أبو البقاء سبق التعريف به. (١١) انظر: التبيان ١٠٣٣ والبيان ٢/٢٤٥.

(١٢) التبيان ١٠٣٣ والدر المصون ٤/٣٠٧.

فصل

وتلك الأمثال : الأشباه . والمثل : كلام سائح^(١) يتضمن تشبيه الآخر بالأول ، يريد أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار^(٢) هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة «نضربها» تشبيهاً للناس ، قال مقاتل^(٣) : لكفار مكة «وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ» أي ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله . روى جابر^(٤) أن النبي - ﷺ - تلا هذه الآية «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» قال : «العالم»^(٥) من عقل عن الله فعمل بطاعته ، واجتنب سخطه .

فصل

روي أن الكفار قالوا : كيف يضرب خالق الأرض والسموات الأمثال بالهوام والحشرات كالبعوض والذباب والعنكبوت ، فقيل : الأمثال نضربها للناس إذ لم يكونوا كالأنعام يحصل لكم منه إدراك ما يوجب نفرتكم مما أنتم فيه لأن التشبيه يؤثر في النفس تأثيراً مثل تأثير الدليل^(٦) ، فإذا قال الحكيم لمن يغتاب (بالغيبة)^(٧) كأنك تأكل لحم ميت لأنك^(٨) وقعت في هذا الرجل الغائب وهو غائب لا يفهم ما تقول ولا يسمع حتى يجيبك كمن يقع في ميت يأكل كما ينفر^(٩) إذا قال له : إنك توجب العقاب ويورث العتاب .

قوله تعالى : ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤٤) أَتَى مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ^(٤٥)

قوله تعالى : «خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» بالحق^(١٠) وإظهار الحق «إِنَّ فِي ذَلِكَ» إن في خلقها «لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ» على قدرته وتوحيده ، فإن قال قائل كيف خص

(١) في «ب» كلام سائر . (٢) في «ب» كفار بدون «أل» وهو الصواب .

(٣) انظر : القرطبي ٣٤٦/١٣ .

(٤) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي أبو عبد الرحمن ، أو أبو عبد الله ، أو أبو محمد المدني صحابي ، مشهور ، له ألف وخمسمائة حديث وأربعون حديثاً . عنه بنوه وطاوس والشعبي وعطاء وخلف مات سنة ٧٨ ، انظر : خلاصة الكمال ٥٩ .

(٥) انظر : تفسير الزمخشري ٢٠٧/٣ ، والقرطبي ٣٤٦/١٣ .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٦٩/٢٥ . (٧) ساقط من «ب» .

(٨) في «ب» فإنك .

(٩) العبارة في تفسير الفخر الرازي . . . ولا يسمع حتى يجيب كمن يقع في ميت يأكل منه وهو يعلم ما يفعله ولا يقدر على دفعه إن كان يعلمه فينفر طبعه منه كما ينفر إذ قال له إنه يوجب العذاب ، ويورث العقاب .

(١٠) في «ب» للحق .

الآية^(١) في خلق السماوات والأرض بالمؤمنين مع أن في خَلْقِهَا^(٢) آية لكل عاقل كما قال تعالى: «وَلَكِنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ»^(٣) وقال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»^(٤).

فالجواب: خلق السموات والأرض آية لكل عاقل، وخلقهما بالحق آية للمؤمنين فحسب ويدل عليه النقل والنقل، أما النقل فقوله تعالى: «مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٥) أخرج أكثر الناس عن العلم بكونه خلقهما بالحق مع أنه أثبت لكل بأنه خلقهما بقوله: «ولكن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله» وأما العقل فَـ (هُوَ أَنَّ)^(٦) العاقل أول ما ينظر إلى خلق السماوات والأرض يعلم أن لها خالقاً وهو الله، ثم (من)^(٧) يهديه الله لا يقطع النظر عنهما عند مجرد ذلك بل يقول: إنه خلقهما متقناً محكماً وهو المراد من قوله: «بالحق» لأن ما لا يكون محكماً يفسد ويبطل فيكون باطلاً، وإذا علم أن خالقهما متقناً يقول: إنه قادرٌ كاملٌ، حيث خلق، فأحكم، وعالم علمه شامل حيث أتقن فيقول: «لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ» ولا يعزب عن علمه أجزاء الموجودات في الأرض ولا في السماوات، ولا يعجز عن جمعها كما جمع أجزاء الكائنات والمبدعات فيجوز بعث من في القبور، وبعثة الرسل، وهما بالخلق موجودان فيحصل له الإيمان بتمامه من خلق ما خلقه الله على أحسن نظامه.

قوله تعالى: «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ» يعني القرآن لتعلم أن «نوحاً» و «لوطاً» وغيرهما كانوا على^(٨) ما أنت عليه بلغوا الرسالة، وبالغوا في إقامة الدلالة، ولم ينقدوا قومهم من الضلالة، وهذا تسلية للنبي - ﷺ - (وشرف وكرم)^(٩).

قوله: «وَأْتِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» الفحشاء: ما قُبِحَ من الأعمال، والمنكر ما لا يُعْرِفُ في الشرع. قال ابن مسعود^(١٠)، وابن عباس: في الصلاة منتهى ومزجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله إلا بُعداً^(١١)، وقال الحسن وقتادة^(١٢): من لم تنهه صلاته عن الفحشاء

(١) في «ب» ختم الآية.

(٢) في «ب» خلفهما.

(٣) الزمر: ٣٨.

(٤) البقرة: ١٦٤.

(٥) الدخان: ٣٩.

(٦) ساقط من «ب».

(٧) ساقط من «ب».

(٨) في «ب» مما أنت فيه.

(٩) زيادة في «ب» وانظر: تفسير الفخر الرازي ٦٩/٢٥ و ٧٠.

(١٠) ابن مسعود: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن الكوفي أحد السابقين الأولين روى ثمانمائة حديث وثمانية وأربعين، روى عنه خلق من الصحابة ومن التابعين علقمة، ومسروق،

والأسود مات سنة ٣٢ هـ، انظر خلاصة الكمال ٢١٤.

(١١) القرطبي ٣٨٤/١٣.

(١٢) لم أجده في القرطبي ٣٤٨/١٣، ولا في فتح القدير ٢٠٥/٤ ولا في ابن كثير ٤١٤/٣ وقد اعتبر ابن =

والمنكر فصلاته وبآل عليه، وروى عن أنس بن مالك^(١) قال: كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله - ﷺ - ثم (لا)^(٢) يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبهُ فوصف لرسول الله - ﷺ - حاله فقال: «إنَّ صلاته تنهأ يوماً» فلم يلبث أن تاب^(٣) وحسَّن حاله، وقال ابن عون^(٤): معنى الآية: إن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام^(٥) فيها، وقيل: المراد بالصلاة القرآن كما قال: «ولا تجهز بصلاتك ولا تخافت بها»^(٦)، أي بقراءتك، وأزاد أنه يقرأ القرآن في الصلاة، فالقرآن ينهأ عن الفحشاء والمنكر.

قوله: «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» أي ذكر الله أفضل الصناعات، قال عليه (الصلاة و)^(٧) السلام: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ» قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: ذكّر الله^(٨) وسئل رسول الله - ﷺ - أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذّاكِرُونَ الله كثيراً، قالوا يا رسول الله: ومن الغاзи^(٩) في سبيل الله، فقال: لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر أو يختضب^(١٠) دماً لكان الذّاكِرُونَ الله كثيراً أفضل منه^(١١). وروى أبو هريرة قال: كان رسول الله - ﷺ - يسير في طرق مكة فمرَّ على جبل يقال له: حَمْدَان، فقال: سيروا هذا حَمْدَان^(١٢). سبق المُفْرَدُونَ، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذّاكِرُونَ الله كثيراً والذّاكِرَات.

قيل: معنى قوله: «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» أي ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه

= كثير كثيراً من هذه الأشياء المروية موقوفة قال: «والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقتادة، والأعمش وغيرهم والله أعلم»، انظر: تفسير ابن كثير ٤١٤/٣.

(١) تقدم.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٣٤٨/١٣ فتح القدير ٢٠٥/٤.

(٣) ابن عون هو عبد الله بن عون أبو عون الخراز البصري رأى أنس بن مالك مات سنة ١٥١ هـ تهذيب ٣٤٦/٥.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) الحديث أخرجه ابن جرير، وابن أبي شعبة عن أبي الدرداء. انظر: روح المعاني للالوسي ٢٠/٦٥ وجامع الأحاديث للسيوطي ٣/٣١٣، وفي «ب» ما ذاك.

(٧) في «ب» ذكر الله.

(٨) في «ب» والتخضب.

(٩) أخرجه أحمد في الزهد وابن المنذر عن معاذ بن جبل. انظر: روح المعاني للالوسي ١٦٥/٢٠.

(١٠) أخرجه الترمذي وحسنه، وابن مردويه عن أبي هريرة وأبي الدرداء «سيروا سبق المفردون قبل يارسول الله ومن المفردون؟ قال: الذين يهتزون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً». انظر: تفسير الدر المنثور ٤٥٥/٦.

رَوَى^(١) ذلك عن عبد الله^(٢)، وهو قول مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير^(٣)، ويروى مرفوعاً عن موسى بن^(٤) عُقْبَةَ عن نافع عن ابن عمر^(٥) عن رسول الله - ﷺ - وقال عطاء^(٦) في قوله: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» من أَنْ يَبْقَى معه معصية «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ» قال عطاء: لا يخفى^(٧) عليه شيء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٦) وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَلِلَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابُ يُوْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنْتَ تَقُولُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابُ الْقَاطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنِي فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩)

قوله تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أي لا تخاصموهم^(٨) إلا بالتي هي أحسن أي بالدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه، وأراد من قبل الجزية منهم لما بين طريقة إرشاد المشركين بين طريقة إرشاد أهل الكتاب.

قوله: «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا» استثناء متصل، وفيه معنيان:

أحدهما: إلا الظلمة فلا تجادلوهم ألبتة بل جاهدوهم بالسيف حتى يسلموا أو يُعْطُوا الجزية^(٩).

ومجاز الآية: إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم بالكفر.

والثاني: جادلوهم بغير التي هي أحسن أي أغلظوا لهم كما أغلظوا عليكم، قال سعيد بن جبير: أهل الحرب، ومن لا عهد له^(١٠)، وقال قتادة ومقاتل: نُسِخَتْ بقوله:

(١) في «ب» ويروى. (٢) هو ابن مسعود وسبق التعريف به.

(٣) القرطبي ٣٤٩/١٣.

(٤) موسى بن عقبة الأسدي مولا هم المدني عن أم خالد، وعلقمة بن وقاص، وعنه يحيى الأنصاري وابن جريج مات سنة ١٤١هـ. انظر: خلاصة الكمال ٢٩٢.

(٥) ابن عمر: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن المكي، هاجر مع أبيه، له ألف وستمائة حديث وثلاثون حديثاً عنه بنون: سالم وحزمة، وغيرهما، مات سنة ٧٤هـ، انظر: خلاصة الكمال ٢٠٧.

(٦) عطاء؛ هو عطاء بن أبي رباح القرشي مولا هم أبو محمد الجندي البمازي نزيل مكة، وأحد الفقهاء والأئمة عن عثمان، وعتاب بن أسيد وعنه أيوب وحبيب وثابت مات سنة ١١٤هـ خلاصة الكمال ٢٦٦.

(٧) البحر ١٥٣/٧. (٨) في «ب» تخاصموا.

(٩) في «ب» بالسيف إن أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف الخ.

(١٠) القرطبي ٣٥١/١٣.

«قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»^(١)، وقرأ ابن عباس^(٢) «أَلَا» حرف تنبيه أي فجادلوهم .
 قوله: «وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ» وهذا تبين لمجادلتهم^(٣) بالتي هي
 أحسن يريد إذا أخبركم واحد منهم ممن قبل الجزية بشيء مما في كتبهم^(٤) فلا تجادلوه
 عليه ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم «وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا إِلَهُكُمْ
 وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»، روى أبو هريرة قال: «كان أهل الكتاب يقرأون التوراة
 بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله - ﷺ -: لا تصدقوهم ولا
 تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا... الآية»^(٥) وروى معمر^(٦) عن الزهري أن أبا
 نملة الأنصاري^(٧) أخبره أنه بينما^(٨) هو جالس عند رسول الله - ﷺ - جاءه رجل من
 اليهود ومَرَّ بجنزة فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنزة فقال رسول الله - ﷺ - (الله)^(٩)
 أعلم فقال اليهودي: إنها تتكلم فقال رسول الله - ﷺ -: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا
 تُصَدِّقُوهُمْ ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلاً لم تصدقوه وإن كان
 حقاً لم تكذبوه»^(١٠).

قوله: «وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَا» أي كما أنزلنا إليهم الكتاب أنزلنا إليك الكتاب «فَالَّذِينَ
 آمَنَّا هُمْ الْكِتَابُ يُؤْمِنُونَ بِهِ» يعني (مؤمني)^(١١) أهل الكتاب عبد الله بن سلام،
 (وأصحابه)^(١٢) «وَمِنْ هَؤُلَاءِ» يعني أهل مكة «مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ» وهم مؤمنو أهل مكة «وَمَا
 يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ» وذلك أن اليهود عرفوا أن محمداً نبي، والقرآن حق،
 فجحدوا، وقال قتادة: الجحود إنما يكون بعد المعرفة وهذا تنفير^(١٣) لهم عما هم عليه
 يعني إنكم آمنتم بكل شيء وأمتزتم عن المشركين بكل فضيلة إلا هذه المسألة الواحدة،
 وبإنكارها تلتحقون بهم، وتبطلون مزاياكم، فإن الجاحد بآية يكون كافراً.
 قوله: «وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ» أي من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب.

قوله: «مِنْ كِتَابٍ مَفْعُولٌ «تتلو» و «من» زائدة و «من قبله» حال من «كتاب» أو

(١) [التوبة: ٢٩]، وانظر في الاستثناء المفضل الذي في هذه الآية، التبيان ١٠٣٤ والدر المنثور ٤/٣٠٧.

(٢) انظر: البحر المحيط ٧/١٥٥. (٣) في «ب» لمجادلتهم.

(٤) في «ب» ما في كتبهم.

(٥) الحديث في القرطبي ١٣/٣٥١، رفع القدير ٤/٢٠٦، والدر المنثور ٦/٤٦٩.

(٦) معمر بن راشد الأزدي مولاهم عبد السلام بن عبد القدوس أبو عروة البصري أحد الأعلام عن

الزهري وقاتدة وعنه أيوب والثوري وابن المبارك، مات سنة ١٥٣هـ، انظر: خلاصة الكمال ٣٨٤.

(٧) أبو نملة الأنصاري: عمار بن معاذ بن زرارة بن عمرو بن الأوس الأنصاري شاهد أحداً مع النبي -

ﷺ - والمشاهد كلها وقتل له ابنان يوم الحرة، انظر: أسد الغابة ٥/٣١٣ و٣١٤.

(٨) في «ب» بينا.

(٩) ساقط من «ب».

(١٠) الدر المنثور ٦/٤٦٩.

(١١) ساقط من «ب».

(١٢) ساقط من «ب».

(١٣) في «ب» تغيير.

متعلق بنفس «تتلو»^(١) و «تخطه بيمينك» أي ولا تكتبه أي لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي قوله: «إِذَا لَارْتَابَ» جواب وجزاء، أي لو تلوت كتاباً قبل القرآن أو كنت ممن يكتب لارتاب المبطلون ولشك (المشركون من)^(٢) أهل مكة، وقالوا: إنه يقرأه من كتب الأولين وينسخه منها، وقال قتادة ومقاتل: المبطلون هم اليهود^(٣) والمعنى: لشكوا فيك واتهموك، وقالوا: إن الذي نجد نعته في التوراة أُمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت^(٤).

قَوْلُهُ: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ» قرأ قتادة «آيَةً» بالتوحيد^(٥)، قال الحسن: يعني القرآن^(٦) («آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ»^(٧) في صدور الذين أوتوا العلم»^(٨))، يعني: «المؤمنين»^(٩) الذين حملوا القرآن، وقال ابن عباس وقاتل: «بل هو»^(١٠) يعني: محمداً - ﷺ - ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم «وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ».

فإن قيل: ما الحكمة في قوله ههنا: «الظالمون» ومن قبل قال: الكافرون؟ فالجواب: أنهم قبل بيان المعجزة قيل لهم: إن لكم المزايا فلا تُبطلوها بإنكار محمد فتكونوا كافرين فلفظ الكافر هناك أبلغ فمنعهم عن ذلك لاستكفافهم عن الكفر، ثم بعد بيان المعجزة قال لهم إن جحدتم هذه الآيات لزمكم إنكار إرسال الرسل فتلحقوا في أول الأمر بالمشركين حكماً، وتلتحقون عند جحد هذه الآيات بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين أي مشركين، كما قال: «إِنَّ الشُّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»^(١٢) فهذا اللفظ هنا أبلغ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: «وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ»^(١٣) كما أنزل على الأنبياء من قبل.

(١) الدر المصون ٣٠٧/٤.

(٨) في «ب» الكتاب.

(٢) ساقط من «ب».

(٩) زائد في «ب».

(٣) القرطبي ٣٥٤/١٣.

(١٠) زائد في «أ».

(٤) السابق.

(١١) القرطبي ٣٥٤/١٣.

(٥) البحر المحيط ١٥٥/٧.

(١٢) لقمان: ١٣.

(٦) القرطبي ٣٥٤/١٣.

(١٣) في «ب» آية بالافراد وهو خطأ.

(٧) ساقط من «ب».

وقرأ الأخوان وابن كثير، وأبو بكر بالإفراد^(١)؛ لأن غالب ما جاء في القرآن كذلك والباقيون «آيات» بالجمع لأن بعده «قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ» بالجمع إجماعاً، والرسم يَحْتَمِلُهُ^(٢).

فصل

اعلم أنهم قالوا: إنك تقول: إنك أنزل إليك الكتاب كما أنزل إلى موسى وعيسى، وليس كذلك؛ لأن موسى أُوتِيَ تسع آيات بينات علم بها كون الكتاب من عند الله، وأنت ما أُوتيت شيئاً منها ثم إنه تعالى أرشد نبيه إلى أجوبة هذه الشبهة منها.

قوله: «أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ» هذا جواب لقولهم: «وَلَوْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ» قل: «أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ»، ففاعل «يكفهم» هو قوله: «أنا أنزلنا» والمعنى: إن كان إنزال الآيات شرطاً في الرسالة فلا يشترط إلا إنزال «آية» وقد أنزل القرآن، وهو آية معجزة ظاهرة كافية. وقوله: «أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ» عبارة تنبئ عن كون القرآن آية فوق الكفاية^(٣) وبيانه أن القرآن أتم من كل معجزة لَوْجُوهِ:

أحدها: أن تلك المعجزات وجدت وما دامت، فإن قلب العصا ثعباناً، وإحياء الميت لم يبق لنا منه^(٤) أثر، فلو أنكره واحد لم يمكن إثباتها معه بدون الكتاب، وأما القرآن فهو باقٍ لو أنكره واحد فيقال له: فأتِ بآيةٍ من مثله.

الثاني: أن قلب العصا ثعباناً كان في آن واحد ولم يره من لم يكن في ذلك المكان، وأما القرآن فقد وصل إلى المشرق والمغرب وسمعه كل واحد، وهنا لطيفة وهي أن آيات النبي - ﷺ - كانت أشياء لا تختص بمكان دون مكان، لأن من جملتها انشقاق القمر وهو يعم الأرض لأن الخوف إذا وقع عم، وذلك لأن نبوته كانت عامة لا تختص بقطر دون قطر. وغاص بحر^(٥) «ساوة» في قطر، وسقط إيوان كسرى في قطر (وانهتدَّتْ)^(٦) الكنيسة بالروم في قطر آخر إعلاماً بأنه يكون أمراً عاماً.

الثالث: أن غير هذه المعجزة يقول الكافر المعاند هذا سحر (وعمل بدواء)^(٧) والقرآن لا يمكن هذا القول فيه^(٨). ثم قال تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً» أي في إنزال القرآن «لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» أي تذكير وعظة لمن آمن وعمل به.

قَوْلُهُ (تعالى)^(٩): «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً» أني رسوله، وهذا القرآن

(١) انظر: الإتحاف ٣٤٦، والسبعة ٥٠١ والكشف ١٨٠/٢، وقد قال مكِّي في الكشف: «لو كان بالتوحيد لكان بالهاء فقويت القراءة بالجمع وهو الاختيار».

(٢) في «ب» محتمل له. (٣) في «ب» الكتابة وهو تحريف.

(٤) في «ب» لنا به. (٥) في «ب» بحيرة بالتصغير.

(٦) ساقط من «ب». (٧) ساقط من «ب».

(٨) انظر: التفسير للإمام الفخر الرازي ٧٩/٢٥. (٩) زائد من «ب».

كتابه، وهذا كما يقول الصادق إذا كذب، وأتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدقه المعاند: «الله يعلم صدقي وتكذيبك أيها المعاند وهو على ما أقول شهيد يحكم بيني وبينك»، كل ذلك إنذار وتهديد ثم بين كونه كافياً، بكونه عالماً بجميع الأشياء، فقال: «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ».

فإن قيل: ما الحكمة في أنه أخر شهادة أهل الكتاب في آخر الوعد في قوله: «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُّرْسَلًا، قل: كفى بالله بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»^(١) وهنا قدم شهادة أهل الكتاب، فقال: «فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به (ومن هؤلاء من يؤمن^(٢) به)» أي من أهل الكتاب؟

فالجواب: أن الكلام هناك^(٣) مع المشركين فاستدل عليهم بشهادة غيرهم (ثم)^(٤) إن شهادة الله أقوى (في^(٥) إلزامهم) من شهادة غير الله، وهاتنا الكلام مع أهل الكتاب فشهادة^(٦) الله على نفسه هو إقراره وهو أقوى الحجج عليه فقدم ما هو ألزم عليهم، ثم (إنه)^(٧) تعالى لما بين الطريقتين في إرشاد الفريقين المشركين وأهل الكتاب عاد الكلام الشامل لهما والإنكار العام فقال: «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ»، قال ابن عباس: بغير الله «وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

فإن قيل: قوله «أولئك هم الخاسرون» يقتضي الحصر، أي من أتى بالإيمان (بالباطل)^(٨) والكفر (بالله)^(٩) فهو الخاسر فمن يأتي بأحدهما دون الآخر ينبغي أن لا يكون خاسراً.

فالجواب: أنه يستحيل أن يكون الآتي بأحدهما لا يكون آتياً بالآخر لأن المؤمن بما سوى الله مشرك، لأنه جعل غير الله مثله، وغير الله عاجز ممكن باطل فيكون الله كذلك، ومن كفر بالله وأنكره فيكون قائلاً بأن العالم ليس له إله موجود فوجود العالم من نفسه فيكون قائلاً: بأن العالم واجب الوجود، والواجب إله (فَيَكُونُ^(١٠) قائلاً) بأن غير الله إله فيكون إثباتاً لغير الله وإيماناً به^(١١).

فإن قيل: إذا كان الإيمان بما سواه كفراً (به)^(١٢) فيكون كل من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة (غير التأكيد)^(١٣) الذي في قول القائل (قم ولا تقعد و «واقترَبْ مِنِّي وَلَا تَبْعُدْ»؟

(١) الرعد: ٤٣. (٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب» هنا. (٤) ساقط من «ب».

(٥) ساقط من «ب». (٦) في «ب» شهادة المرء على نفسه هو أقوى إقراره.

(٧) ساقط من «ب». (٨) ساقط من «ب».

(٩) ساقط من «ب». (١٠) ساقط من «ب».

(١١) انظر: تفسير الفخر الرازي ٨٠ / ٢٥. (١٢) زيادة من «ب».

(١٣) ساقط من «ب».

فالجواب: فيه فائدة) غيرها وهو أنه ذكر الثاني لبيان قبح الأول كقول القائل: أتقولُ بالباطل وتترك الحلق لشأن أن القول بالباطل قبيح.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٥٥﴾

قوله: «وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ» نزلت في النضر بن الحارث^(١) حين قال: «فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ»^(٢) «وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى» قال ابن عباس: ما وعدتك أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة كما قال: «بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ»^(٣) وقيل: يوم بدر. ولولا ذلك الأجل المسمى الذي اقتضته حكمته «لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً» يعني العذاب. وقيل: الأجل بغتة «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» يأتيانه، وقوله: «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» يحتمل وجهين:

أحدهما: معنى تأكيد^(٤) قوله: «بَغْتَةً»، كما يقول القائل: أتيتته على غفلة منه بحيث لم يدر.

فقوله: «بحيث لم يدر» أكد معنى الغفلة.

والثاني: أنه يفيد فائدة مستقلة وهي أن العذاب يأتيهم بغتة «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» هذا الأمر، ويظنون أن العذاب لا يأتيهم أصلاً.

قوله: «وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» ذكر هذا للتعجب^(٥)، لأن من توعد^(٦) بأمر فيه ضرر يسير كلطمة أو لكمة فيرى في نفسه الجلد ويقول: بسم الله هات، وأما من توعد بإغراق أو إحراق ويقطع بأن المتوعد قادر لا يخلف الميعاد لا يخطر ببال العاقل أن يقول له: هات ما توعدني^(٧) به فقال هاهنا «يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ» والعذاب بنار جهنم المحيطة بهم^(٨) فقوله «يَسْتَعْجِلُونَكَ^(٩) بِالْعَذَابِ» أولاً: إخباراً عنهم، وثانياً: تعجباً منهم.

وقيل: أعاده تأكيداً، ثم ذكر كيفية إحاطة جهنم فقال: «يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ».

فإن قيل: لم يخص^(١٠) الجانبيين ولم يذكر اليمين والشمال وخلف وقُدَّام؟

(١) القرطبي ٣٥٦/١٣.

(٢) الأنفال: ٣٢.

(٣) القمر: ٤٦.

(٤) الأصح: تأكيد معنى قوله «بَغْتَةً».

(٥) في «ب» التعجب.

(٦) في «ب» أوعد.

(٧) في «ب» توعدت به.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(١٠) في «ب» اختص الجانبيين.

فالجواب: أن المقصود ذكر ما تتميز به نار جهنم عن نار الدنيا، (ونار)^(١) الدنيا تحيط بالجوانب الأربعة فإن من دخلها تكون الشعلة قدامه وخلفه ويمينه ويساره^(٢)، فأما النار من فوق لا تنزل وإنما تصعد من أسفل في العادة وتحت الأقدام، ولا تبقى الشعلة بل تنطفئ الشعلة التي تحت القدم، ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفئ بالدوس موضع القدم^(٣).

فإن قيل: ما الحكمة في قوله: «من فوقهم ومن تحت أرجلهم» ولم يقل: من فوق رؤوسهم ولا قال من فوقهم (ولا من)^(٤) تحتهم بل ذكر المضاف إليه عند ذكر «تحت» ولم يذكره عند ذكر «فوق»؟

فالجواب: أن نزول النار من «فوق» سواء كان من (سمت)^(٥) الرأس أو موضع آخر عجيب^(٦) فلهذا لم يخصه بالرؤوس وأما بقاء النار تحت القدم فهو عجيب، وإلا فمن جوانب القدم في الدنيا تكون الشعلة فذكر العجيب وهو ما تحت الأرجل حيث لم ينطق بالدوس. وأما «فوق» فعلى الإطلاق.

قوله: «وَيَقُولُ دُوقُوا» قرأ نافع وأهل الكوفة «ويقول» بياء الغيبة أي الله تعالى، أو الملك الموكل بعذابهم، وباقي السبعة بالنون أي جماعة الملائكة، أو نون العظمة لله تعالى^(٧)، وأبو البرهشم^(٨) بالتاء من فوق أي جهنم كقوله: ﴿وَقُولْ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] وعبد الله^(٩) وابن أبي^(١٠) عُبَلَة: «وَيُقَالُ» مبنياً للمفعول^(١١)، وقوله: «مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أي جزاء ما كنتم تعملون لما بين عذاب أجسامهم بين عذاب أرواحهم وهو أن يقال لهم على سبيل التنكيل والإهانة «دُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» جعل ذلك عين ما كانوا يعملون مبالغة بطريق إطلاق اسم المُسَبَّب على السَّبَب، فإن عملهم كان سبباً لعذابهم وهذا كثير في الاستعمال.

قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا رُجَعُونَ ۝٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا

(١) ساقط من «ب» في «ب» وشماله.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي ٨١/١٥ و ٨٢.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) هكذا في عبارة «أ» والفخر الرازي وفي «ب» لأن طبع النار الصعود إلى فوق فلهذا لم يخصه الخ.

(٦) الإتحاف ٣٤/٦، والسبعة ٥٠١، والكشف ١٨٠/٢.

(٨) أبو البرهشم: عمران بن عثمان أبو البرهشم الزبيدي الشامي، صاحب القراءة الشاذة، روى الحروف عن يزيد بن قطيب السكوني وروى الحروف عنه شريح بن يزيد. انظر: غاية النهاية ١/٦٠٤ و ٦٠٥.

(٩) هو ابن مسعود ونقلته «ب» خطأ فهو فيها «عبد الله».

(١٠) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان ١٥٦/٧.

(١١) تقدم.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَنِّ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

قوله (تعالى) (١): «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ» لما ذكر حال المشركين على حدة، وحال أهل الكتاب على حدة وجمعهما في الإنذار، وجعلهما من أهل النار اشتد عنادهم، وزاد فسادهم، وسعوا في إيذاء المؤمنين، ومنعهم من العبادة، قال مقاتل والكلبي: (نزلت في ضعفاء) (٢) مسلمي مكة يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى (٣) أرض واسعة، آمنة، قال مجاهد (٤): «إن أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها، وقال سعيد بن جبير: إذا عمل (٥) في أرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة، وقال عطاء: إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا (فإن) (٦) أرضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث تهيأ له العبادة، وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة، فأنزل الله (٧) هذه الآية ولم يغذرهم بترك الخروج، وقال مطرف بن عبد الله (٨): أرضي واسعة: رزقي لكم واسع فاخرجوا.

فصل

قوله: «يا عبادي» لا يدخل فيه الكافر لوجوه:
أحدها: «إِنَّ عِبَادِيَ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» (٩) والكافر يحب (١٠) سلطنة الشيطان فلا يدخل في قوله: «يا عبادي».
وثانيها: قوله تعالى: «يَعْبُدُوا الَّذِينَ أَنْشَرُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ» [الزمر: ٥٣].

وثالثها: أن العباد مأخوذ من العبادة والكافر لا يعبد الله فلا يدخل في قوله: «عبادي» وإنما يختص بالمؤمنين الذين يعبدونه.
ورابعها: الإضافة بين الله والعبد بقول العبد إلهي، وقول (١١) الله عبيدي.

(١) زائد من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) انظر: القرطبي ١٣/ ٣٥٦ و ٣٥٧.

(٤) السابق.

(٥) السابق وقد قاله مالك.

(٦) السابق وفي «ب» إن بدون فاء.

(٧) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٥٧.

(٨) انظر: القرطبي السابق والبحر المحيط ٧/ ١٥٧ وفي «ب» عبد الله بن مطرف وهو تخريف. وهو مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري أبو عبد الله البصري أحد سادة التابعين عن أبيه وعثمان وعلي

وعنه أخوه أبو العلاء وخلق وكان ثقة له فضل وورع مات سنة ٩٥هـ، انظر: خلاصة الكمال ٣٧٩.

(٩) [الحجر: ٤٢].

(١٠) في «ب» تحت.

(١١) في «ب» يقول الله.

فإن قيل: إذا كانت^(١) «عبادة» لا تتناول إلا المؤمنين فما الفائدة في قوله: «الذين آمنوا» مع أن الوصف إنما يذكر لتمييز الموصوف كما يقال: يا أيها المكلفون المؤمنون، يا أيها الرجلاء العقلاء تمييزاً بين الكافر والجاهل؟

فالجواب: أن الوصف يذكر لا لتمييز بل لمجرد بيان أن فيه الوصف كما يقال: الأنبياء المكرمون^(٢) والملائكة المطهرون، مع أن كل نبي مكرم، وكل ملك مطهر، فإنما يقال^(٣) لبيان أن فيهم الإكرام والطهارة، ومثله قولنا: الله الله العظيم فهنا^(٤) ذكر لبيان أنهم مؤمنون.

فإن قيل: قوله: «يا عبادي» يفهم منه^(٥) كونهم عابدين فما الفائدة بالأمر بالعبادة بقوله: «فَاعْبُدُونِ»؟

فالجواب: فيه فائدتان:

إحدهما: المداومة أي يا من عبادتوني^(٦) في الماضي فاعبدوني^(٧) في المستقبل.

والثانية: الإخلاص أي يا من يعبدني أخلص العمل ولا تقبل غيري.

فإن قيل: الفاء^(٨) في قوله: «فَإِيَّايَ» يدل على أنه جواب لشرط فما ذاك؟

فالجواب: قوله: «إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ» إشارة إلى عدم المانع من عبادته فكأنه قال: إذا كان لا مانع من عبادتي فإيأي فاعبدون فهو لترتيب المقتضى على المقتضى كما يقال: هذا عالم فأكرموا. فكذلك هاهنا لما أعلم نفسه بقوله: «فَإِيَّايَ» وهو لنفسه مستحق العبادة، فقال: «فَاعْبُدُونِ». قال الزمخشري: «هذا جواب شرط مقدر، وجعل تقديم المفعول عوضاً من حذفه^(٩) مع إفادته للاختصاص». وقد تقدم متازعة أبي حيان^(١٠) له في نظيره.

قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» قرأه بالغيبة^(١١) أبو بكر، وكذا في الروم^(١٢) في قوله: «ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» وافقه أبو عمرو في الروم فقط

(١) في «ب» وكان. (٢) في «ب» الأكرمون.

(٣) في «ب» وإنما قالوا. (٤) في «ب» هاهنا.

(٥) في «ب» من.. (٦) في «ب» عبدوني.

(٧) في «ب» أعيدوني. (٨) في «ب» الثاني وهو تحريف قطعاً.

(٩) انظر: الكشف ٢١٠/٣.

(١٠) يقصد قول الله «فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» [النحل: ٥١] وقد جعل أبو حيان هذه الجملة «فَإِيَّايَ فاعبدون» من باب الاشتغال أي فإيأي أعبدوا فاعبدون. وعقب على كلام الزمخشري بقوله: «ويحتاج هذا الجواب إلى تأمل» انظر: البحر المحيط ١٥٧/٧.

(١١) انظر الإتحاف ٣٤٦، والسبعة ٥٠٢، وإبراز المعاني ٣٧.

(١٢) الروم: ١١.

قوله: «غُرَفًا» على القراءة الأولى إما مفعول به على تضمين «أَثْوَى» أنزل فيتعدى لاثنتين؛ لأن «ثوى» قاصر، وأكسبته الهمزة التعدي لواحد، وإما (على)^(١) تشبيه الظرف المختص بالمبهم^(٢) كقوله: «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» وإما على إسقاط الخافض اتساعاً أي في غُرَفٍ^(٣). وأما في القراءة الثانية فمفعول ثانٍ؛ لأن «بوا» يتعدى لاثنتين^(٤) قال تعالى: «تَبَوَّءُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ»^(٥)، ويتعدى باللام، قال تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ»^(٦). وقرىء «لِثَوِيَّتِهِمْ»^(٧) بالتشديد مع الثاء المثناة، غُدِّي بالتصغير كما غُدِّي بالهمزة^(٨)، و «تجري» صفة «لِغُرَفًا» «خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» وهذا في مقابلة قوله للكفار: «ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ».

قوله: «الَّذِينَ صَبَرُوا» يجوز فيه الجبر والنصب والرفع^(٩) كنظائر له تقدمت، والمعنى: الذين صبروا على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» يعتمدون. قوله: «وَكَايُنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا» جوز أبو البقاء في «كأين»^(١٠) وجهين:

أحدهما: أنها مبتدأ و «لا تحمل» صفتها و «الله يرزقها» خبره و «من دابة» تبيين.

والثاني: أن تكون في موع نصب بإضمار فعل يفسره «يرزقها» ويقدر بعد «كأين» يعني لأن لها صدر الكلام، وفي الثاني نظر؛ لأن من شرط المفسر العمل، وهذا المفسر لا يعمل لأنه لو^(١١) عمل لحل محل المفعول لكن لا يحل محله، لأن الخبر (متى)^(١٢)

(١) ساقط من «ب».

(٢) الظرف المختص: قسمان معدود وهو ما له مقدار من الزمان معلوم كسنة وشهر ويومين، وغير معدود وهو أسماء الأيام كالسبت وغيره وما يخصص بالإضافة كيوم الجمل، أو بال كالיום، والليلة، أو بالصفة: كقعدت عندك يوماً قعد عندك فيه زيد، وما أضافت إليه العرب لفظ شهر من أعلام الشهور وهو رمضان، وربيع الأول، وربيع الآخر خاصة، أما الظرف المبهم فهو ما وقع على قدر من الزمان غير معين، كوقت، وحين وزمان، وينصب على جهة التأكيد المعنوي لأنه لا يزيد على دلالة الفعل ومنه «أسرى بعبده ليلاً» انظر: الهمع ١/١٩٥ و ١٩٦.

(٣) البحر المحيط ٧/١٥٧. (٤) السابق.

(٥) آل عمران: ١٢١.

(٦) [الحج: ٢٦]. ويرى ابن الأنباري أن اللام في هذه الآية زائدة، والفعل تعدى إلى مفعولين.

(٧) انظر: البيان ٢/٢٤٦. لم ينسبها في البحر ٧/١٥٧ إلى معيّن.

(٨) انظر: السابق والدر المصون ٤/٣٠٩. (٩) الدر المصون ٤/٣٠٩.

(١٠) التبيان ١٠٣٤.

(١١) فلا يقال: «قام زيد» على أن «زيداً» مبتدأ مؤخر، و «قام» جملة فعلية خبر مقدم، وذلك لثلاث يلتبس المبتدأ بالفاعل فيجب حينئذ التزام الأصل هذا من جهة اللفظ، وأما من جهة المعنى فالمبتدأ محكوم عليه فيجب أن يتقدم ما لم يمنع من ذلك مانع كأن يكون الخبر اسم استفهام له صدر الكلام.

(١٢) ساقط من «ب».

كان) فعلاً رافعاً لضمير مفرد امتنع تقديمه على المبتدأ. وإذا أردت معرفة هذه القاعدة فعليك بسورة^(١) «هود» عند قوله: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨].

فصل

لما ذكر الله «الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون» ذكر ما يعين على التوكل وهو بيان حال الدواب التي لا تدخر شيئاً لغد، وبآتيها رزقها كل يوم.
واعلم أن (في)^(٢) كآين (أربع لغات)^(٣) غير هذه كائن على^(٤) وزن راع، وكأى على وزن رعى^(٥) «وكيء»^(٦) على وزن «ريع» و «كا»^(٧) على وزن «رع» ولم يُقرأ إلا كائن و «كا» قراءة ابن كثير^(٨).

فصل

«كآين» كلمة مركبة من «كاف التشبيه» و «أن» التي تستعمل استعمال «من» و «ما» ركبنا، وجعل المركب بمعنى «كم» ثم لم يكتب إلا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لأن «كأي» مستعمل غير مركب كما يقول القائل: «رأيت رجلاً لا كأى رجل يكون» (فقد حذف)^(٩) المضاف إليه، ويقال: رأيت رجلاً لا كأى رجل) وحينئذ لا يكون «كأي» مركباً. فإذا كان «كأي» ههنا مركباً كتبت بالنون للتمييز، (كما تكتب مَعِد يَكْرِبُ^(١٠) وَيَغْلِبُكَ) موصولاً للفرق وكما تكتب ثَمَّةً بالهاء تمييزاً بينها وبين (ثَمَّتْ)^(١١).

فصل

روي أن النبي - ﷺ - قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة^(١٢) وآذاهم المشركون هاجروا إلى المدينة. فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال؟ فمن يطعمنا بها

(١) في «ب» سورة. (٢) سقط من «ب».

(٣) ما بين المعقوفين كله سقط من «ب».

(٤) فتكون اسم فاعل من «كان» ساكنة النون وبذلك قرأ ابن كثير كما سيأتي الآن.

(٥) قال في الهمع ٦٧/٢: وبذلك قرأ ابن محيصن.

(٦) يكون ذلك بتقديم الياء على الهمزة. (٧) يكون ذلك بالقصر.

(٨) لم أجد هذه القراءة في كتب القراءات المعتمدة لا في المتواتر، ولا في الشاذ إلا في كتاب الهمع للسيوطي ٧٦/٢، وتفسير الفخر الرازي ٨٦/٢٥.

(٩) زيادة يقتضيها المعنى والسياق، انظر: الفخر الرازي ٨٦/٢٥.

(١٠) زيادة يقتضيها السياق من المرجع السابق أيضاً.

(١١) تصحيح من النسختين اللتين نقلت «ثمة». هذا وقد قال أبو حيان: هذه اللغات التي وردت في «كآين» نقلها النحويون ولم ينشدوا فيها شعراً كما علمت، وهي في الآية هنا تفيد خبراً فغالباً ما تفيد الخبر بمعنى الكثرة، وقلما تفيد الاستفهام، انظر: مع الهوامع ٧٦/٢.

(١٢) انظر: القرطبي ٣٦٠/١٣ وقد رواه ابن عباس.

ويسقينا؟ فأنزل الله تعالى: «وَكَايُنْ مِنْ دَابَّةٍ» أي وكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء و «لا تحمل رزقها» لضعفها، كالقمل والبزغوث والدود «اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ» حيث ما كنتم «وهو السميع» لأقوالكم: ما نجد ما تنفق بالمدينة، «العليم بما في قلوبكم». قال سفيان^(١): ليس شيء مما خلق الله نجباً إلا الإنسان والفأرة والثملة روى ابن عمر قال: دخلت مع رسول الله - ﷺ - حائطاً من حوائط الأنصار فجعل رسول الله - ﷺ - يلقط الرطب بيده ويأكل، فقال: كُلْ يا ابن عمر، (قلت: لا أشتهيها)^(٢) يا رسول الله قال: لكنني أشتهيه، وهذه صبح رابعة لم أطعم طعاماً ولم أجده) فقلت: إنا لله الله المستعان قال يا ابن عمر: لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقصر أضعافاً مضاعفة ولكني أجوع يوماً وأشبع يوماً فكيف بك يا ابن عمر إذا عمّرت وبقيت في أمر الناس يخبثون رزق سنة ويضعف اليقين^(٣) فنزلت: «وكايُنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تحمل رزقها» الآية، وقال عليه (الصلاة و)^(٤) السلام «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً»^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١) اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: «وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ» يعني كفار مكة «مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» أي هم يعتقدون هذا فكيف يصدقون عن عبادة الله مع أن من عليم عظمته وجب خدعته ولا عظم فوق السماوات والأرض، ولا حقارة فوق حقارة الجَمَادِ؛ لأن الجماد دون الحيوان والحيوان دون الإنسان، والإنسان دون سكان السماوات فكيف يتركون عبادة أعظم الموجودات ويشغلون بعبادة أخس الموجودات؟

فصل

لما بين أمر المشرك مخاطباً معه، (ولم ينتفع به، وأعرض^(٦) عنه، وخاطب

(٢) ساقط من «ب».

(١) تقدم.

(٣) الحديث رواه الإمام السيوطي في الدر الثور مع اختلاف طفيف في العبارة بسند ضعيف إلى ابن عمر، انظر: الدر المنثور ٤٧٥/٦ والقرطبي ٣٥٩/١٣.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجة في باب الزهد مروي عن عمر بن الخطاب، انظر ٩٤/٢.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من «ب» كله.

المؤمنين بقوله: «يا عبادي» وأتم الكلام معه ذكر معه) ما يكون إرشاداً للمشارك بحيث يسمعه وهذا طريق في غاية الحسن، فإن السيد إذا كان له عیدان أو الوالد إذا كان ولداً، وأحدهما رشيد، والآخر مفسد ينصح^(١) أولاً المفسد فإن لم يسمع يلتفت إلى الرشيد ويعرض عن المفسد، ويقول: إن هذا لا يستحق الخطاب فاسمع^(٢) أنت ولا يكن منك هذا المفسد فيتضمن^(٣) هذا الكلام نصيحة الرشيد، وزجر المفسد، فإن قوله هذا لا يستحق الخطاب الموجب نكايه في قلبه، ثم إذا ذكر مع المصلح في أثناء الكلام والمفسد يسمعه إن هذا أخاك العجب منه أنه يعلم قبح فعله ويعرف فيه الفساد من الصلاح، وسبيل الرشاد والفلاح ويستغل بضده يكون هذا الكلام أيضاً داعياً إلى الرشاد ومانعاً له من الفساد فكذلك قال الله للمؤمن العجب منهم إن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولون الله ثم لا يؤمنون.

فصل

ذكر في السماوات والأرض الخلق، وفي الشمس والقمر التسخير، لأن مجرد خلق الشمس والقمر ليس حكمة فإن الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد لا تتحرك ما حصل^(٤) الليل ولا النهار، ولا الصيف ولا الشتاء فإذا الحكمة في تحريكهما (وتسخيرهما)^(٥). واعلم أن في لفظ التسخير دون التحريك فائدة وهي أن التحريك يدل على مجرد الحركة، وليست مجرد الحركة كافية؛ لأنها لو كانت تتحرك مثل حركتنا لما كانت تقطع الفلك في ألوف من السنين، فالحكمة في تسخيرها تحريكها في قدر ما ينتقل الإنسان آلافاً من الفراسخ، ثم لم يجعل لها حركة واحدة، بل حركات:

إحداها: حركة من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة مرة، والأخرى: حركتها من المغرب إلى المشرق ويدل عليها أن الهلال يرى في جانب (المغرب)^(٦) على بعد مخصوص من الشمس ثم يبعد منها إلى جانب المشرق حتى يرى القمر في نصف الشهر في مقابلة الشمس، والشمس على أفق المغرب، والقمر على أفق المشرق وأيضاً حركة الأوج، وحركة المائل والتدوير في القمر، ولا الحركة التي من المغرب إلى المشرق لما حصلت الفصول^(٧).

واعلم أن أصحاب الهيئة قالوا: الشمس مركوزة في الفلك، والفلك يديرها بدوران^(٨). وأنكره المفسرون الظاهرئون. واعلم أنه لا بعد في ذلك (إن)^(٩) لم يقولوا

(١) في «ب» «فينصح» بالفاء. (٢) في «ب» «واسمع أنت ولا يكن مثل هذا المفسد.

(٣) في «ب» يتضمن بدون الفاء. (٤) في «ب» ما جعل.

(٥) ساقط من «ب». (٦) ساقط من «ب».

(٧) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٨٨/٢٥ و ٨٩.

(٨) في «ب» بدورانه. (٩) كلمة «إن» ساقطة من «ب».

بالطبيعة؛ فإن الله تعالى فاعل مختار إن أراد أن يحركهما (في الفلك وبالفلك ساكن يجوز، وإن أراد أن يحركهما) بحركة الفلك وهما ساكنان يجوز ولم يرد فيه نص قاطع أو ظاهر. واعلم أنه تعالى ذكر إيجاد الذوات بقوله: «خلق السموات والأرض» وذكر إيجاد الصفات بقوله: «وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» ثم قال: «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» لما ذكر الخلق ذكر الرزق؛ لأن بقاء الخلق ببقائه، وبقاء الإنسان بالرزق، فقال المعبود إما أن يعبد لاستحقاق^(١) العبادة والأصنام ليست كذلك والله مستحقها وإما لكونه عظيم الشأن والله الذي خلق السماوات عظيم الشأن فله العبادة، وإما لكونه يأمر^(٢) الإحسان، والله يَرْزُقُ^(٣) الْخَلْقَ فله الفضل والإحسان، والامتنان فله العبادة «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» يعلم مقادير الحاجات والأرزاق، ولما قال: «يَبْسُطُ الرِّزْقَ» ذكر اعتراقهم بذلك فقال: «وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ» يعني سبب الرزق، وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله.

قوله: «قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» على ما أقروا به، ولزوم الحجة عليهم «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» (ينكرون التوحيد)^(٤) مع إقرارهم بأنه خالق لهذه الأشياء فقل الحمد لله على ظهور تناقضهم وأكثرهم لا يعقلون) هذا التناقض، وقيل: هذا كلام معترض في أثناء كلام، فإنه قال «فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا» «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٥) فذكر في أثناء هذا الكلام الحمد لذكر النعمة كقوله:

٤٠٣١ - إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلَّغْتَهَا - قَدْ أَخَوَجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ^(٦)

قوله (تعالى)^(٧): «وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ» «اللهو» هو: الاستمتاع بلذات الدنيا، و «اللعب» (الْعَبَثُ)^(٨)، سميت بها، لأنها فانية، وقيل: «اللهو» الإعراض عن الحق، و «اللعب» في الإقبال على الباطل.

فإن^(٩) قيل: قال في الأنعام: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» (ولم يقل: «وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ») وقال ههنا: «وما هذه الحياة» فما فائدته؟

(١) في «ب» لاستحقاقه. (٢) في «ب» ولي الإحسان.

(٣) في «ب» وأنه يرزق الخلق. (٤) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٥) الأصح: يعقلون كما في الآية.

(٦) هذا بيت من السريع لعوف بن محلم، وجيء به استشهاداً على الاعتراض فإن جملة «وبُلَّغْتَهَا» قد اعترض بين اسم إن «الثمانين» وخبرها «قد أخوجت سمعي» وانظر: الأمالي للقالبي ٥٠/١ وأمالبي الشجري ٢/٢١٥، والمغني ٣٨٨ و ٣٩٦ وشرح شواهد السيوطي ٨٢١، وشذور الذهب ٦٤، والهمع ٤٨/١ والدرر اللوامع ٢٠٧/١، ومعاهد التنصيص ١٢٤/١، والفخري الرازي ٩٠/٢٥.

(٧) ساقط من «أ». (٨) ساقط من «ب».

(٩) ساقط من «ب» وانظر: [الأنعام: ٣٢]. (١٠) ساقط من «ب».

فالجواب: أن المذكور (من^(١)) قبل ههنا أمر الدنيا، حيث قال: «فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا» فقال: هذه، والمذكور قبلها) هناك الآخرة حيث قال: «يَا حَسْرَتُنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ»^(٢) فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال: «وما الحياة الدنيا».

فإن قيل: ما الحكمة في تقديمه هناك «اللعب» على «اللهو» وههنا آخر «اللعب» عن «اللهو».

فالجواب: لما كان المذكور من قبل هناك الآخرة، وإظهارهم للحسرة ففي ذلك الوقت يبعد الاستغراق في الدنيا، بل نفس الاشتغال بها فأخذ^(٣) الأبعد، وههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس إلى الإقبال عليها والاستغراق فيها، اللهم إلا لمانع يمنع من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق (بها)^(٤)، أو لعاصم يعصمه فلا يشتغل بها أصلاً، فكان: (ههنا)^(٥) الاستغراق أقرب من عدمه فقدم اللهو.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله هناك: «وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ» وقال ههنا «وإنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ؟»

فالجواب: لما كان الحال هناك حال إظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج إلى وازع قوي فقال: الآخرة خَيْرٌ ولما كان الحال هنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج إلى وازع قوي فقال: لا حياة إلا حياة الآخرة^(٦).

قوله: «وإنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ» قدر أبو البقاء وغيره قبل المبتدأ مضافاً أي وإنَّ حَيَاةَ الدَّارِ الْآخِرَةِ^(٧) وإنما قدر ذلك ليتطابق^(٨) المبتدأ والخبر والمبالغة أحسن و «واو» الحيوان (عن^(٩) ياء) عند سيبويه وأتباعه^(١٠)، وإنما أبدلت واواً شذوذاً، وكذلك في «حَيَاة» علماً وقال أبو البقاء لثلاً يلتبس بالثننية^(١١) يعني لو قيل: حَيَّانٍ - قال: ولم

(١) ساقط كله من «ب» وهو ما بين القوسين. (٢) الآية ٣١ من الأنعام.

(٣) في «ب» وأخذ - بالواو. (٤) ساقط من «ب».

(٥) ساقط من «ب». (٦) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٩١/٢٥.

(٧) انظر: التبيان ١٠٣٥. (٨) في «ب» لتطابق.

(٩) ساقط من «ب».

(١٠) كأبي البقاء هذا وابن الأنباري وغيرهما، انظر: البيان ٢/٢٤٦ وقد قال سيبويه في الكتاب ٣٩٧/٤ «والمضاعف من الياء قليل، لأن الياء قد تنقل وحدها لا مآ، فإذا كان قبلها ياء كان أثقل لها» ثم يقول في ٤٠٩/٤ «وأما قولهم «حيوان» فإنهم كرهوا أن تكون الياء الأولى ساكنة ولم يكونوا يلزمونها الحركة ههنا، والأخرى غير معتلة من موضعها، فأبدلوا الواو ليختلف الحرفان كما أبدلوا في «رحوي» حيث كرهوا الياءات، فصارت الأولى على الأصل، كما صارت اللام الأولى في «مئل» ونحوه على الأصل حيث أبدلت الياء من آخره».

(١١) التبيان ١٠٣٥/٢.

تقلب ألفاً لَتَحَرُّكُهَا وانفتاح ما قبلها؛ لثلا يحذف إحدى الألفين وغير سيبويه^(١) حمل ذلك على ظاهره، فالحياة عنده لأمرها «واو». ولا دليل لسيبويه في «حَيٍّ»؛ لأن الواو متى انكسر ما قبلها قلبت ياء نحو: «عُدِّي، ودُعِي، ورَضِي». ومعنى الآية^(٢): «وإن الدار الآخرة لهي الحيوان» أي الحياة الدائمة الباقية، والحيوان بمعنى الحياة أي فيها الحياة الدائمة «لو كانوا يعلمون» أي لو كانوا يعلمون أنها الحيوان لما آثروا عليها الدنيا.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله: في الأنعام ﴿أَفَلَا تَمْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] وقال هنا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؟

فالجواب: أن المُقْبِتَ هناك كون الآخرة خيراً، ولأنه ظاهر لا يتوقف إلا على العقل والمثبت هنا أن لا حياة إلا حياة الآخرة. وهذا دقيق لا يعلم إلا بعلم نافع.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْنَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَنَخْطِفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: «فإذا ركبوا في الفلك» قال الزمخشري: «فإن قلت»^(٣): بم اتصل قوله فإذا ركبوا في الفلك؟

قلت: بمحذوف دل عليه ما وصفهم (به)^(٤) وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والغفلة فإذا ركبوا.

قوله: «دَعَاُ اللَّهَ» معناه: فإذا خافوا (من)^(٥) الغرق دعوا الله مخلصين له الدين، وتركوا الأصنام، وهذا إشارة إلى تحقيق أن المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا؛ لأنهم إذا انقطع رجاؤهم عن^(٦) الدنيا رَجَعُوا إلى الفطرة الشاهدة بالتوحيد وحدوا وأخلصوا، وإذا^(٧) نجاهم وأرجأهم عادوا إلى ما كانوا عليه من حب الدنيا، وأشركوا لقوله: «فَلَمَّا أَتَجَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» وهذا إخبار عنهم بأنهم عند الشدائد يقررون أن القادر على كشفها هو الله - عز وجل - وحده، وإذا زالت عادوا إلى كفرهم، قال عكرمة: كان أهل الجاهلية^(٨) إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت^(٩) عليهم الرياح ألقوها في البحر، وقالوا: يارب يارب.

(١) وهو قول أبي عثمان المازني، انظر: شرح الشافية ١٤٢/٣، واللسان جبي ١٠٨٧.

(٢) انظر: القرطبي ٣٦٢/١٣. (٣) ساقط من «ب».

(٤) الكشف ٢١٢/٣. (٥) ساقط من «ب».

(٦) في «ب» من الدنيا. (٧) في «ب» وإن أنجاهم.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير ٤٢١/٣. (٩) في «ب» اشتدت.

قوله : «لِيَكْفُرُوا» فيه وجهان :

أظهرهما^(١) : أن اللام لام «كي» أي سَيُشْرِكُونَ لِيَكُونَ إِشْرَاكُهُمْ كفرًا بنعمة الإنجاء «وَلِيَتَمَتَّعُوا» بسبب الشرك «فَسَوْفَ يَغْلَبُونَ» وبأل عملهم .

والثاني : أن تكون لام الأمر، ومعناه التهديد والتوعيد^(٢) ، كقوله : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت : ٤٠] أي ليجحدوا نعمة^(٣) الله في إنجائهم فيعلمون فساد ما يعملون .

قوله : «وَلِيَتَمَتَّعُوا» ، قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم وورش^(٤) بكسرهما ، وهي محتملة^(٥) للأمرين المتقدمين ، والباقون^(٦) يسكونها ، (وهي ظاهرة في الأمر ، فإن كانت الأولى للأمر فقد عطف أمراً على مثله ، وإن كانت للعلة فيكون عطف كلاماً على كلام ، فيكون المعنى لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب^(٧) في الآخرة وقرأ عبد الله فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَغْلَبُونَ ، وأبو العالية^(٨) «فَيَمَتَّعُوا» بالياء من تحت مبنياً للمفعول^(٩) .

قوله : «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا» وجه تعلقه بما قبله أن الإنسان يكون في البحر على أخوف^(١٠) ما يكون لا سيما إذا كان بيته في بلد حصين فلما ذكر الله حال المشركين عند الخوف الشديد ورأوا أنفسهم في تلك الحالة راجعة إلى الله ذَكَرَهُمْ حالهم عند الأمن العظيم وهي كونهم في مكة فإنها مدينتهم وبلدهم ، وفيها سَكَنَاهُمْ ومولدهم وهي حصين بحصن الله حيث من^(١١) دخلها يمتنع من حصل فيها ، والحصول فيها يدفع الشرور عن النفوس يعني : إنكم في أخوف ما أنتم دعوتكم الله وفي أتم ما حصلتم^(١٢) عليه كفرتم بالله ، وهذا متناقض ، لأن دعاءكم في ذلك الوقت على سبيل الإخلاص ما كان إلا لِقَطْعِكُمْ بآن النعمة من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي

(١) في «ب» أحدهما . (٢) في «ب» الوعيد .

(٣) في «ب» بنعمة .

(٤) هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو أبو سعيد مولا هم القرشي القبطي المصري الملقب «بورش» شيخ القراء المحققين ، وإمام أهل الأداء المرتلين رحل إلى نافع فعرض عليه القراءات ، مات سنة ١٩٧ هـ . انظر : طبقات القراء ١/ ٥٠٣ .

(٥) الإنحاف ٣٤٦ ، والسبعة ٥٠٢ ، ومعاني القراء ٣١٩/٢ ، والكشاف ٢١٣/٣ ، ٢١٢ ، ومعاني الزجاج .

(٦) المراجع السابقة . (٧) في «ب» تثيت .

(٨) البحر ١٥٩/٧ .

(٩) أبو العالية هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري المقرئ الفقيه ، مولى امرأة من بني رياح قرأ على أبيه وغيره سمع من عمر ، وابن مسعود ، وعلي ، وسمع منه قتادة ، والربيع بن أنس ، مات سنة ٩٣ هـ . انظر : طبقات المفسرين للداودي ١٧٨/١ : ١٧٩ .

(١٠) وهي قراءة شاذة ، انظر : مختصر ابن خالويه ١١٥ .

(١١) في «ب» خوف بالإنفراد . (١٢) في «ب» حيث كل من دخل .

(١٣) في «ب» وفي أمن ما جعلتم عليه .

حصلت^(١)، وقد اعترفتكم بأنها لا تكون إلا من الله فكيف تكفرون بها، والأصنام التي قد (قطعتكم)^(٢) في حال الخوف أن لا أمن منها لها كيف أمثمتكم بها في حال الأمن؟ ثم قال: «أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ» (قرأ العامة)^(٣) يؤمنون ويكفرون ببياء الغيبة، والحسن، والسلمي بثناء الخطاب فيهما^(٤)، والمعنى: أفتبالأصنام والشياطين يؤمنون وبنعمة الله محمد والإسلام يكفرون؟

قوله: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» فزعم أن له شريكاً، والظلم وضع الشيء في غير موضعه فإذا وضعه في موضع لا يمكن ذلك موضعه يكون أظلم، لأن عدم الإمكان أقوى من عدم الحصول.

قوله: «أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ» أي بمحمد، والقرآن لما جاءه «أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ» وهذا استفهام تقرير، كقوله:

٤٠٣٢ - أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَلَدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ^(٥)

والمعنى: أما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم؟

قوله: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا» (يجوز)^(٦) فيه ما جاز في «الذين آمنوا» أول السورة^(٧) وفيه رد على ثعلب^(٨) حيث زعم أن جملة القسم لا تقع خبراً للمبتدأ^(٩)، والمعنى: والذين^(١٠) جاهدوا المشركين لثورة ديننا «لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا» لَنُنَبِّئَهُمْ عَلَى مَا قَاتَلُوا عَلَيْهِ وقيل: لَنَزِيدَنَّهُمْ هُدًى^(١١)، كما قال: ﴿وَنَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] وقيل: لَنَهْدِيَهُمْ^(١٢) لإصابة الطرق المستقيمة، والطرق المستقيمة هي التي توصل إلى

(١) في «ب» جعلت. (٢) تصحيح يقتضيه السياق فالسياق كان «قلتم».

(٣) ساقط من «أ» وانظر: الإنحاف ٣٤٦، والسبعة ٥٠٢، ومعاني الفراء ٣١٩/٢، والكشاف ٢١٢/٣.

(٤) انظر: مختصر ابن خالويه ١١٥، وهذه قراءة شاذة غير متواترة.

(٥) هو من الوافر وهو لجريز بن عطية الخطفي في مدح عبد الملك بن مروان. وقد تقدم.

(٦) ساقط من (ب).

(٧) حيث يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء، والخبر جملة القسم ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمر منصوباً على الاشتغال.

(٨) ثعلب: أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار، سمع إبراهيم بن المنذر ومحمد بن سلام الجمحي وروى عنه محمد بن العباس الزبيدي وعلي بن سليمان وأبو بكر الأنباري وغيرهم له المصون، والفصيح وغير ذلك. انظر: إنباء الرواة ١٣٨/١: ١٥١.

(٩) ووجه الامتناع عنده أحد وجهين الأول: إما كون جملة القسم لا ضمير فيها فلا تكون خبراً، وإما كون الجملة الثانية وهي جملة القسم إنشائية والواقعة خبراً لا بد من احتمالها للصدق والكذب، وكلا الأمرين ملغى، انظر الهمع ٩٦/١، والبحر ١٥٩/٧.

(١٠) القرطبي ٣٦٤/١٣. (١١) مريم: ٧٦.

(١٢) القرطبي ٣٦٤/١٣.

رَضِيَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - قال سفيان بن عيينة^(١): إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور، فإن الله قال: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»^(٢) وقيل: المجاهدة هي الصبر على الطاعات قال الحسن^(٣): أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَخَالَفَةُ الْهَوَى، وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضَ^(٤) «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي إِقَامَةِ السُّنَّةِ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سَبِيلَ الْجَنَّةِ».

قوله: «وإنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» من إقامة الظاهر مقام المضمّر، إظهاراً لشرفهم، والمعنى لمع المحسنين بالنصر والمعونة في دنياهم، وبالثواب والمغفرة في عقباهم.

روى أبو أمامة^(٥) عن أبي بن كعب^(٦) قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين»^(٧).

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولاهم أبو محمد الأعور الكوفي أحد الأئمة عن عمرو بن دينار وعنه شعبة وابن المبارك، مات سنة ١٩٨هـ. انظر: خلاصة الكمال ١٤٥، ١٤٦.

(٢) القرطبي ٣٦٥/١٣.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) الفضيل بن عياض: الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعي، حدث عن منصور، وأبان بن أبي عياش، وروى عنه ابن المبارك ويحيى القطان، مات سنة ١٨٧هـ.

انظر: خلاصة الكمال وتذكرة الحفاظ ١/٢٤٥ و ٢٤٦، وانظر رأيه في القرطبي ٣٦٥/١٣.

(٥) أبو أمامة: صدي بن عجلان الباهلي أبو أمامة صحابي مشهور له مائتا حديث وخمسون حديثاً، روى له خمسة أحاديث البخاري، وثلاثة مسلم، وعنه: شهر بن حوشب وخالد بن معدان، وسالم بن الجعد، ومحمد بن زياد الألهاني. مات سنة ٨١هـ بحمص انظر: خلاصة الكمال ١٧٦.

(٦) أبي بن كعب: قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك الأنصاري الخزرجي أبو المنذر المدني، سيد القراء، كتب الوحي، له مائة وأربعون حديثاً، وعنه ابن عباس وأنس، وسهل وسويد بن علقمة ومسروق وخلق كثير، مات سنة ٣٢هـ. انظر: خلاصة الكمال ٢٤.

(٧) الحديث اعتبره صاحب السراج المنير من الموضوعات، فقال: «وأما ما نقله البيضاوي عن الزمخشري (الحديث) فهو موضوع».

انظر: السراج المنير ٣/١٥٥، ومجمع البيان ٨/٤٢٥، والكشاف ٣/٢١٣، بصيغة «كل المؤمنين والمنافقين»، والبيضاوي ٢/١١٣.

سورة «الروم»

مكية^(١) وهي ستون آية، وثمان مائة وتسع عشرة كلمة، وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاث حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الْمَ ۝ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝﴾ (٢) فِي آدَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ (٤) يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ (٥)

قوله تعالى: ﴿الْمَ ۝ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝﴾ وجه تعلق هذه السورة بما قبلها أن الله تعالى لما قال: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن» وكان يجادل المشركين بنسبتهم إلى عدم العقل كما في قوله: ﴿مَنْ يَكْفُرْ بِكُفْرَانٍ فَعَنْهُ لَنْ يَصُحُّ لَهُ شَيْءٌ ۝﴾ [البقرة: ١٨] وكان أهل الكتاب يوافقون النبي والإله^(٢) كما قال: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالنَّارِ ۝﴾ [العنكبوت: ٤٦] وكانوا يؤمنون بكثير مما يقوله، بل كثير منهم كانوا مؤمنين^(٣) به كما قال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ ۝﴾ [العنكبوت: ٤٧] أبغض المشركون أهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الأمور، وكان بين فارس والروم قتال والمشركون يودون أن تغلب فارس الروم لأن أهل فارس كانوا مجوساً آمنين، والمسلمين يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث «كسرى» جيشاً إلى الروم واستعمل عليهم رجلاً^(٤) يقال له: شهريار وبعث «قيصر» جيشاً واستعمل عليهم رجلاً يدعى يحانس، فالتقيا بأذرعاً، وبُضِرَ، وقال عكرمة: هي أذرعاً وكسكر^(٥)، وقال مجاهد: أرض الجزيرة^(٦)، وقال مقاتل: الأردن^(٧) وفلسطين وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق ذلك عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين: إنكم

(١) كلها من غير خلاف، وانظر: القرطبي ٢/١٤.

(٢) في «ب» والآية.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ما بين المعقوفين كله ساقط من «ب».

(٥) انظر القرطبي ٢/١٤.

(٦) السابق.

(٧) السابق.

أهل الكتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون^(١) وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الآيات^(٢) لبيان أن الغلبة لا تدل على الحق بل الله قد يريد في ثواب المؤمنين من يبتليه، ويسلط عليه الأعداء، وقد يختار تعجيل العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قبل يوم الميعاد^(٣).

فصل

قد تقدم أن كل سورة افتتحت بحروف التهجّي فإن في أولها ذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن، كقوله: «الْم. ذلك الكتاب» «المص. كتاب» «طه ما أنزلنا عليك القرآن» «الْم. تنزيل الكتاب» «حم. تنزيل من الرحمن الرحيم» «يس. والقرآن» «ق. والقرآن» إلا هذه السورة وسورتين^(٤) أخريين ذكرناهما في العنكبوت، وذكرنا الحكمة منهما هناك. وأما ما يتعلق بهذه السورة فنقول: إن السورة التي في أوائلها التنزيل والكتاب والقرآن في أوائلها ذكر ما هو معجزة فقدمت عليها الحروف على ما تقدم بيانه في العنكبوت، وهذه في أوائلها ذكر ما هو معجزة وهو الإخبار عن الغيب، فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها ليتنبه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع لما ترد عليه المعجزة ويفزع للاستماع.

قوله: «في أدنى الأرض» زعم بعضهم أن «أل» عوض من الضمير، وأن الأصل «في أدنى أَرْضِهِمْ» وهو قول كوفي، وهذا على قول إن الهرب كان من جهة بلادهم، وأما من يقول: إنه من جهة بلاد العرب فلا يتأتى ذلك. وقرأ العامة «غَلِبَتْ» مبنياً للمفعول، وعلي بن أبي طالب وأبو سعيد الخدري وابن عمر وأهل الشام يبنّاه للفاعل^(٥).

قوله: «وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ» أي الروم من بعد غلب فارس إيّاهم. والغَلَبُ، والغَلَبَةُ «لُغْتَانِ» فعلى القراءة الشهيرة يكون المصدر مضافاً لمفعوله. ثم هذا المفعول إما أن يكون مرفوع المحل على أن المصدر المضاف إليه مأخوذ من مبني (للمفعول^(٦)) على خلاف في ذلك. وإما منصوب المحل على أن المصدر من مبني للفاعل، والفاعل محذوف تقديره: من بعد أن غلبهم عدوهم وهم فارس^(٧)، وأما على القراءة الثانية فهو مضاف لفاعل.

(١) في «ب» آمنون.

(٢) في «ب» الآية.

(٣) في «ب» القيامة.

(٤) وهما مريم والعنكبوت.

(٥) انظر: مختصر ابن خالويه ١١٦، ومعاني القرآن للفراء ٣١٩/٢. ولم يروها الفراء عن غيره، وانظر: البحر المحيط ١٦١/٧، والقرطبي ٤/١٤. وقد نسب الزجاج هذه القراءة أيضاً إلى أبي عمرو وانظر: معاني الزجاج ١٧٥/٤ بينما اقتصر الزمخشري في الكشف على القراءة المشهورة ٢٤١/٣، وكذلك غير المشهورة بدون ذكر نسبة.

(٦) سقطت من «ب».

(٧) قال أبو إسحاق الزجاج في كتابه إعراب القرآن ومعانيه: «الغلب والطلب مصدران تقول: غلبت غلباً وطلبت طلباً». انظر: معاني الزجاج ١٧٧/٤ وانظر: الكشف ٢١٤/٣، والدر المصون ٣١٢/٤ والبيان ١٠٣٦.

قوله: «سَيَغْلِبُونَ» خبر المبتدأ، و «مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ» متعلق به، والعامّة - بل نقل بعضهم الإجماع^(١) - على سيغلبون مبنياً للفاعل، فعلى الشهيرة واضح أي من بعد أن غلبتهم فارس سيغلبون فارس، وأما على القراءة الثانية فأخير أنهم سيغلبون ثانياً بعد أن غلبوا^(٢) أولاً، وروي عن ابن عمر أنه قرأ ببنائه للمفعول^(٣). وهذا مخالف لما ورد في سبب الآية، وما ورد في الأحاديث، وقد يلائم هذا بعض ملاءمة من قرأ «غَلَبَتْ» مبنياً للفاعل، وقد تقدم أن ابن عمر ممن قرأ (بذلك)^(٤). وقد خرج النحاس^(٥) قراءة عبد الله بن عمر على تخريج حسن، وهو أن المعنى: وفارس من بعد غلبهم للروم سيغلبون إلا أن فيه إضمار ما لم يذكر ولا جرى سبب ذكره^(٦).

قوله: «فِي بَضْعِ سِنِينَ» متعلق بما قبله، وتقدم تفسير البضع واشتقاقه في «يُوسُف»^(٨). وقال الفراء: الأصل^(٩) في غلبهم غلبتهم بقاء التأنيث فحذلت للإضافة كإقام الصلاة، وغلطه النحاس بأن إقام الصلاة قد يقال فيها^(١٠) ذلك لاعتلالها، وأما هنا فلا ضرورة تدعو إليه. وقرأ ابن السَّمِيعِ^(١١) وأبو حيوة غلبهم^(١٢) فيحتمل أن يكون ذلك تخفيفاً شاذاً، وأن يكون لغة في المفتوح كالظَّعْنِ وَالظُّعْنِ.

(١) هو ابن عطية قال: «وأجمع الناس على «سيغلبون» أنه بفتح الياء يراد به الروم» انظر: المحرر الوجيز «ميكرو فيلم».

(٢) في «ب» تغلبوا.

(٣) انظر: مختصر ابن خالويه ١١٦، وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ٤٦١/٢، والدر المصون ٤/٣١٣، والقرطبي ٥/١٤، وإعراب القرآن للنحاس ٢٦١/٣ لكنه قال: «ستغلبون» بالبناء للمجهول من ناحية الخطاب.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) النحاس: هو أبو جعفر أحمد بن محمد المصري، تلقى مبادئ اللغة بمصر ثم ارتحل إلى العراق فتلقى عن الأخفش، والزجاج وابن الأنباري كان قويّ الذاكرة جيد التصنيف، مات مقتولاً سنة ٣٣٧ هـ. انظر: نشأة النحو ١٥٧.

(٦) لم أجد في كتاب أبي جعفر النحاس هذا التأويل والتخريج ولعل هذا راجع إلى اختلاف نسخ الكتاب وقد ذكر هذه القراءة الواردة عن ابن عمر.

(٧) انظر: إعراب القرآن المسمى «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» للسمين ٣١٣/٤.

(٨) يشير إلى قوله «فلبت في السجن بضع سنين» من الآية ٤٢.

(٩) معاني القرآن للفراء ٣٦٩/٢.

(١٠) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٦١/٣، ٢٦٢.

(١١) ابن السميع: محمد بن عبد الرحمن بن السميع أبو عبد الله اليماني له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه، قرأ على أبي حيوة وطاوس. انظر: غاية النهاية ١٦٢/٢.

(١٢) قال ابن خالويه في المختصر: إنها لعلي كرم الله وجهه ونقلها أبو حيان في البحر عن علي، وابن عمر ومعاوية بن قرة ١٦١/٧ وانظر: مختصر ابن خالويه ١١٦.

فصل

قوله: «في أدنى الأرض» أي أرض العرب، لأن الألف واللام للعهد، والمعهود عندهم أرضهم. فإن قيل: أي فائدة في ذكر قوله: «من بعد غلبهم» لأن قوله: «سيغلبون» بعد قوله: «غلبت الروم» لا يكون إلا من بعد الغلبة؟

فالجواب: فائدته إظهار القدرة وبيان أن ذلك بأمر الله لأن من غلب بعد غلبه لا يكون إلا ضعيفاً فلو كان غلبتهم بشوكتهم لكان الواجب أن يغلبوا قبل غلبهم فإذا غلبوا بعد ما غلبوا دل عليه أن ذلك بأمر الله (فقال) (١) من بعد غلبهم ليتفكروا في ضعفهم ويتذكروا أنه ليس بقوتهم وإنما ذلك بأمر هو من الله، وقوله: في أدنى الأرض لبيان شدة ضعفهم أي انتهى ضعفهم إلى أن وصل عدوهم إلى طرف الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم غلبوا حتى وصلوا إلى المدائن وبنوا هناك «الرومية» لبيان أن هذه الغلبة العظيمة بعد ذلك الضعف العظيم بإذن الله تعالى (٢).

فصل

قال: «في بضع سنين» وهو ما بين الثلاثة والعشرة فأبهم الوقت مع أن المعجزة في تعيين الوقت أتم لأن السنة والشهر واليوم والساعة كلها معلومة عند الله وبينها لنبيه، وما أذن له في إظهاره لأن الكفار كانوا معاندين والأمور التي تقع في البلاد النائية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن إنكارها لكن وقتها يمكن الاختلاف فيه فالمعاند كان يتمكن من أن يربح بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلاف في كلامه، ولما نزلت الآية خرج أبو بكر - رضي الله عنه - إلى الكفار فقال: فرحتم بظهور (٣) إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا محمد - ﷺ - فقام إليه أبي بن خلف الجمحي فقال: كذبت فقال: أنت أكذب يا عدو الله (فقال اجعل بيتنا) (٤) أجلاً أنا حيك عليه، والمناجبة المراهنة على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت، وجعلوا الأجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر إلى النبي - ﷺ - فأخبره بذلك، وذلك قبل تحريم القمار، فقال رسول الله - ﷺ -: ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده (٥) في الخطر، وماده (في) (٦) الأجل فجعلها مائة قلووس، إلى تسع سنين، وقيل: إلى سبع سنين قال: قد فعلت وهذا يدل على علم النبي - ﷺ - بوقت الغلبة ثم إن أبي بن خلف خشي أن يخرج أبو بكر من مكة فاتاه ولزمه (٧) وقال (أبي) (٨): أخاف أن تخرج من مكة فأقم

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي ٩٦/٢٥.

(١) ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

(٣) في «ب» لتظهر.

(٦) ساقط من «ب».

(٥) في «ب» فزاده.

(٧) في «ب» فلزمه.

(٨) ساقط من «ب» وفيها «وقال إني أخاف أن يخرج أبو بكر من مكة فأقم لي كفيلاً».

لي كفيلاً فكفل له ابن عبد الله بن أبي بكر، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد رآه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال: والله لا أدعُكَ حتى تُعْطِيَنِي كفيلاً فأعطاه، ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله - ﷺ - حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم. وقيل: كان يوم بدر، قال الشعبي: لم تَمُضْ^(١) تلك المدة التي عقدوا المناحبة بينهم أهل مكة وصاحب قمارهم أبي بن خلف والمسلمون وصاحب قمارهم أبو بكر الصديق، وذلك قبل تحريم القمار حتى غلبت الروم فارس، وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فقمر^(٢) أبو بكر أبيًا، وأخذ مال الخطر من ورثته، وجاء به يحمله إلى النبي - ﷺ - فقال النبي - ﷺ - تصدق به^(٣).

قوله: «مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ» العامة على بنائهما ضمًا لقطعهما على الإضافة وإرادتهما أي من قَبْلِ الْعَلَبِ وَمِنْ بَعْدِهِ أو من قبل كل أمر ومن بعده، وإنما بني على الضم لما قطعت عن الإضافة لأن غير الضمة من الفتح والكسرة تشبيه بما^(٤) يدخل عليهما وهو النصب والجِر، أما النصب ففي قولك: «جِثْتُ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ». وأما الجِر ففي قولك: «من قبله ومن بعده» فبني عليه لعدم دخول مثلها عليه في الإعراب وهو الرفع، وحكى الفراء كسرهما من غير تنوين. وغلطه النحاس وقال: إنما يجوزُ من قبل^(٥) ومن بعد يعني مكسوراً منوناً، قال شهاب الدين: وقد قرئ بذلك^(٦) ووجهه أنه لم ينو إضافتها فَأَعْرَبَهُمَا كقوله:

٤٠٣٣ - فَسَاعَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الشَّرَاحِ^(٧)

وقوله:

٤٠٣٤ - وَنَحْنُ قَتَلْنَا الْأَسَدَ أَسَدَ خَفِيَّةٍ فَمَا شَرِبُوا بَعْدًا عَلَى لَذَّةِ خُمَرَا^(٨)

وحكي من قبل بالتنوين والجِر ومن بعدُ بالبناء على الضم^(٩).

(١) انظر: تفسير القرطبي ٣/١٤.

(٢) انظر هذه القصص في تفسير القرطبي ١/١٤، ٢، ٣، ٤، ٥.

(٤) في «ب» ما يدخل عليهما. انظر: المعاني ٢/٣٢٠.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/٢٦٣: ٢٦٥. (٦) انظر: الدر المصون ٤/٣١٤.

(٧) البيت من الوافر، ويروى: من الماء الفرات، ومن الماء الحميم وهاتان هما المشهورتان وهو في أبيات تروى ليزيد بن الصعق، ورواية الشعر الأخير فيها: أَكَادُ أَغْصُ بِنُقْطَةِ الْمَاءِ الْحَمِيمِ. يقول: إنه بعد أن أخذ يثأره استمساخ له الشراب الذي كان لا يستسيغه قبل ذلك. والشاهد: حذف المضاف إليه لفظاً ومعنى؛ ولهذا نكر فتون منصوباً. وقد تقدم.

(٨) البيت من الطويل وقائله مجهول. وقد تقدم.

(٩) حكاها القرطبي في الجامع ١٤/٧ وأبو حيان في البحر ٧/١٦٢. ومعاني الزجاج ٤/١٧٦ وقد أنكرها هو والنحاس في الإعراب في ٤/٢٦٣.

وقد خرج بعضهم ما حكاه الفراء على أنه قدر أن المضاف إليه موجود فترك الأول بحاله^(١) وأنشد:

٤٠٣٥ - بَيْنَ ذِرَاعَيْنِ وَجَبْهَةِ الْأَسَدِ^(٢)

والفرق لائح، فإن في اللفظ مثل المحذوف على خلاف في تقدير البيت أيضاً.

(فصل)^(٣)

وعلى قراءة عبد الله بن عمر، وأبي سعيد الخدري، والحسين، وعيسى بن عمر غَلَبَتِ الروم بفتح الغين واللام سَيَغْلِبُونَ بضم الياء وفتح اللام. قالوا: نزلت حين أخبر النبي - ﷺ - عن غلبة الروم فارساً في أدنى الأرض (إليكم^(٤)) وهم من بعد غلبهم سيغلبون المسلمين في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم والأول قول أكثر المفسرين وهو الأصح والله الأمر من قبل ومن بعد أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فأَيَ الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره. قوله: «وَيَوْمَئِذٍ أَيِ إِذَا تَغَلَّبَ الروم فارساً، والنصاب «ليوم» (يفرح^(٥)) وقوله: «بنصر الله ينصر» من التجنيس، وقد تقدم آخر الكهف، وقوله: «بنصر الله» الظاهر تعلقه «بيفرح». وجوز أبو البقاء^(٦) أن يتعلق «بَيَنْصُرُ» وهذا فيه تفكيك للنظم.

فصل

المعنى: يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الروم على فارس. قال السدي: فرح النبي

(١) يقول أبو الفتح ابن جني في خصائصه: «وسمع أيضاً: «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ» فحذف ولم يبين». انظر: الخصائص ٣٦٥/٢ وقد سبق إلى هذا المعنى الفراء نفسه فقال: «ولا تنكر أن تضيف قبل، وبعد وأشباههما وإن لم يظهر فقد قال... وقال الآخر، وأنشد البيت» المعاني ٣٢٢/٢.

(٢) البيت من المنسرح وقد نسب إلى الفرزدق وليس بديوانه وقد استشهد فوق بشره الثاني وصدده:

يَا مَنْ رَأَى عَارِضاً أَكْفَكْفُهُ

ويروى: عارضاً أرقّت له، ويروى: أسرّ به، والعارض: السحاب المعترض في الأفق، وذراعا الأسد وجهته من منازل القمر يستدل بها على نزول المطر، والشاهد في البيت: حذف المضاف إليه وبقاء المضاف على حاله وهو قوله: «ذراعي» فلو لم يقصد ذلك لقال «ذراعين» فالتون حذفت للإضافة كما هو معروف لدى المثني والجمع السالم فكان الأصل حينئذ «ذراعي الأسد وجهته الأسد» وهذا على تقدير الفراء والمبرد بينما روى سيبويه غير ذلك حيث يؤدي إلى الفصل بين المضاف والمضاف إليه وهو ممنوع. انظر: الكتاب ١٨٠/١، والمقتضب ٢٢٩/٤، والخصائص ٤٠٧/٢ وابن يعيش ٢١/٣ وتمهيد القواعد ٤٥٤/٢ والتصريح ١٠٥/١ والأشوموني ٢٧٤/٢ ومعاني الفراء ٣٢٢/٢ ومعاني الزجاج ١٧٧/٤ وإعراب النحاس ٢٦٣/٣ والمذكر والمؤنث للفراء ١١٥، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/٤٢٨، واللسان «يا» ومر صناعة الإعراب ٢٩٧/١، وخزانة الأدب ٣٦٩/١، ٢٤٦/٢ بولاق.

(٣) ساقط من «ب». (٤) زيادة من «أ».

(٥) ما بين المعقوفين ساقط كله من «ب». (٦) انظر: التبيان ١٠٣٦.

- ﴿يَعْلَمُونَ﴾ - والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر، فظهور أهل الكتاب على أهل الشرك «ينصر من يشاء وهو العزيز» الغالب «الرحيم» للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِآلْحَقٍّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِئِن آتَيْنَا اللَّهَ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

قوله: «وَعَدَ اللَّهُ» مصدر مؤكد ناصبه (١) مضمر أي وَعَدَهُم اللَّهُ ذلك وعداً بظهور الروم على فارس «لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ» وهذا مقدر لمعنى هذا المصدر ويجوز أن يكون قوله: «لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ» حالاً من المصدر (٢) فيكون كالمصدر الموصوف فهو مبين للنوع (و) (٣) كأنه قيل: وعد الله وعداً غير مخلف «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

قوله: «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» يعني أمر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرّون ومتى يغرسون قال الحسن (٤): إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه، ولا يخطئ، وهو لا يحسن (يصلي) (٥) والمعنى أن علمهم منحصر في الدنيا بل لا يعلمون الدنيا كما هي وإنما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها ولا يعلمون فناها «وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» ساهون جاهلون بها لا يتفكرون فيها، وذكرهم الثانية ليفيد أن الغفلة منهم (٦) وإلا فأسباب التذكر حاصلة.

قوله: «أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ» فقوله في أنفسهم ظرف للتفكير، وليس مفعولاً للتفكير، ((إِلَٰهٌ مَّتَعَلِّقُهُ خَلْقٌ)) (٧) السماوات والأرض، والمعنى أن أسباب التفكير حاصلة وهي أنفسهم لو تفكروا فيها لعلموا وخدائيتة الله، وصدقوا بالحشر أما الوجدانية فلأن الله تعالى خلقهم في أحسن تقويم، ومن يفكر في تشريح بدن الإنسان وحواسه (٨) رأى في ذلك حكماً كل واحدة منها كافية في معرفة كون الله فاعلاً مختاراً قادراً كاملاً عالماً، ومن يكون كذلك يكون واحداً وإلا لكان عاجزاً عن إرادة شريكه ضد ما أَرَادَهُ وأما دلالة

(٥) ساقط من «ب».

(٦) في «ب» فيهم.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) في «ب» وجوارحه.

(١) الدر المصون ٣١٥/٤.

(٢) السابق.

(٣) زيادة من أ.

(٤) القرطبي ٨/١٤.

الإنسان على الحشر فلأنه إذا تفكر في نفسه يرى قُوَى^(١) مصائره إلى الزوال، وأجزاء ماثلة إلى الانحلال وله فناء ضروري فلو لم يكن حياة أخرى لكان خلقه على هذا الوجه عبثاً وإليه الإشارة بقوله ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وهذا ظاهر، لأن من يفعل شيئاً للعبث، فلو بالغ في أحكامه^(٢) لضحك منه فأذن خلقه لذلك للبقاء ولا بقاء دون اللقاء بالآخرة فإذن لا بد من البعث. ثم إنه تعالى ذكر بعد دليل الأنفس دليل الأقطار فقال: «مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى»، فقوله: «إِلَّا بِالْحَقِّ» إشارة إلى وجه دلالتها على الوحدانية وقد بينا ذلك في قوله: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤].

قوله: «ما خلق» «ما» نافية، وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنها مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها.

والثاني: أنها معلقة للتفكر فتكون في محل نصب^(٣) على إسقاط الخافض ويضعف أن تكون استفهامية بمعنى النفي، وفيها الوجهان المذكوران. والباء في «بالحق» إما سببية^(٤)، وإما حالية^(٥) لإقامة قيل الحق، وقوله: «وَأَجَلٍ مُّسَمًّى» تذكير بالأصل الآخر الذي أنكروه أي لوقت معلوم، إذا انتهت إليه فنيته وهو يوم القيامة، «وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ» لا يعلمون أنه لا بد بعد هذه الحياة من لقاء وبقاء.

قوله: «بلقاء» منعلق «بالكافرين»^(٦) واللام لا تمنع من ذلك لكونها في خبر «إن».

فإن قيل: ما الحكمة في تقديمه ههنا دلائل الأنفس على دلائل الآفاق وقدم دليل الآفاق على دلائل^(٧) الأنفس في قوله: ﴿سَرُّهُمْ أَيْنَمَا فِي السَّمَاءِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣].

فالجواب: أن المفيد إذا أفاد فائدة يتذكرها على وجه جيد يختاره فإن مهمة السامع المستفيد فذاك^(٨)، وإلا يذكرها^(٩) على وجه أبين منه وينزل درجة فدرجة وأما المستفيد فإنه يفهم أولاً الأبين ثم يرتقي إلى فهم ذلك الأخفى الذي لم يكن فهمه يفهمه بعد فهم الأبين^(١٠) المذكور آخراً فالمذكور من المفيد آخراً مفهوم عند المستمع أولاً، إذا علم هذا

(١) في «ب» قواه صائرة وهو الأصح. (٢) انظر: تفسير القرطبي ٩٧/٢٥ و ٩٨ و ٩٩.

(٣) انظر: التبيان لأبي البقاء ١٠٣٧، والدر المصون ٣١٥/٤.

(٤) يقول الفراء في معاني القرآن: «إلا بالحق»: للثواب والعقاب والعمل» انظر: المعاني ٣٢٢/٢.

(٥) ذكرها في الكشف ٢١٥/٣، يقول: «الباء في قوله إلا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بتياب السفر».

(٦) الأصح «بالكافرون».

(٧) انظر: تفسير الفخر الرازي ٩٩/٢٥.

(٨) في «ب» فذلك.

(٩) في «ب» فيذكرها.

(١٠) في «ب» الذي ذكر آخراً فالمفيد من الذي ذكر آخراً.

فَنَقُولُ ههنا (الفعل^(١)) كان منسوباً إلى السامع حيث قال: «أو لم يتفكروا في أنفسهم» فقال: «في أنفسهم» يعني فيما فهموه^(٢) أولاً ولم يرتقوا إلى ما فهموه ثانياً، وأما في قوله «سُئِرِيهِمْ» الأمر منسوباً إلى المفيد المسمع فذكر أولاً الآفاق، فإن لم يفهموه فالأنفس^(٣)، لأن دلائل الأنفس لا ذهول للإنسان عنها، وأما دلائل الآفاق فيمكن الذهول عنها، وهذا الترتيب مراعى في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُؤُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] أي يعلمون الله بدلائل الأنفس في سائر الأحوال ويتفكرون في خلق السماوات والأرض بدلائل الآفاق.

فصل^(٤)

وجه دلالة الخلق بالحق^(٥) على الوجدانية ظاهر، وأما وجه دلالته على الحشر فلأن (تخريب^(٦)) السموات وعدمها لا يعلم بالعقل إلا إمكانه، وأما وقوعه فلا يعلم إلا بالسمع لأن الله قادر على إبقاء الحوادث أبداً كما أنه يبقّي الجنة والنار بعد إحداثهما أبداً، والخلق دليل إمكان العدم، لأن المخلوق لم يَجِبْ له الْقِدْمُ فجاز عليه^(٧) العدم، فإذا أخبر الصادق عن أمر ممكن وجب على العاقل التصديق والإذعان؛ لأن العالم لما كان خلقه بالحق ينبغي أن يكون بعد هذه الحياة حياة أخرى باقية لأن هذه الحياة ليست لعباً ولهواً كما تبين بقوله: «وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ» (وخلق السموات^(٨) والأرض للهو واللعب عبث، والعبث ليس بحق) فخلق السماوات والأرض بالحق يدل على أنه لا بد بعد هذه الحياة الدنيا من حياة.

فإن قيل: ما الفائدة في قوله ههنا: «كثييراً من الناس» وقال من قبل: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»؟

فالجواب: (فائدته^(٩)) أنه من قبل لم يذكر دليلاً على الأصلين وههنا قد ذكر الدلائل الراسخة والبراهين اللائحة ولا شك في أن الإيمان بعد الدليل أكثر من الإيمان قبل الدليل فبعد الدليل لا بد (أن يؤمن)^(١٠) من ذلك الأكثر جمع فلا يبقى الأكثر كما هو، فقال بعد إقامة الدليل وإن كثيراً، وقال قبله: «ولكن أكثر الناس» لأنه بعد الدليل الذي لا يمكن الذهول عنه وهو السماوات والأرض لأن من البعيد أن يذهل الإنسان عن السماء التي فوقه، والأرض التي تحته، فلهذا ذكر ما يقع الذهول عنه وهو أمر أمثالهم،

(٦) ساقط من «ب».

(٧) في «ب» فحان عليه.

(٨) ساقط كله من «ب» ما بين القوسين.

(٩) ساقط من «ب».

(١٠) ساقط من «ب».

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب» فيما فهموا.

(٣) في «ب» بالأنفس.

(٤) في «ب» فإن قيل بدلاً من (فصل).

(٥) الخلق على الخالق بدلالة الوجدانية في «ب».

وحكاية أشكالهم فقال: «أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» وقال في الدليلين المتقدمين «أَوْ لَمْ يَرَوْا» «أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا» إذ لا حاجة هناك إلى السير بحضور^(١) النفس والسماء والأرض، وقال ههنا «أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فَيَنْظُرُوا» ذكرهم بحال أمثالهم، ومآل^(٢) أشكالهم ثم ذكر أنهم أولى بالهلاك، لأن من تقدم من «عَادٍ وَثَمُودَ» كانوا^(٣) أشد منهم قوة، ولم ينفعهم قُوَاهُمْ^(٤) وكانوا أكثر مالا وعمارة، ولم يمنعهم من الهلاك أموالهم وَخُصُونُهُمْ.

قوله: «وَأَتَارَوْا الْأَرْضَ» حَرَّثُوهَا وقلبوها للزراعة (ومنه «الْبَقَرَةُ تُثِيرُ الْأَرْضَ»^(٥)) وقيل: منه سمي ثورا، وأنتم لا حراثة لكم، «وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا» أهل مكة، قيل: قال ذلك لأنه لم يكن لأهل مكة حرث، وقوله: «أَكْثَرَ مِمَّا» نعت^(٦) مصدر محذوف أي عمارة أكثر من عمارتهم. وقرئ: «وَأَتَارَوْا»^(٧) بألف بعد الهمزة وهي إشباع لفتح الهمزة.

قوله: «وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» فلم يؤمنوا فأهلكهم الله، «فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» بنقص حقوقهم «وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» يَبْخَسُ حُقُوقَهُمْ.

قوله: «عَاقِبَةُ الَّذِينَ» قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو بالرفع^(٨)، والباقون بالنصب، فالرفع على أنها اسم كان^(٩)، وذكر الفعل لأن التانيث مجازي، وفي الخبر حيثئذ وجهان:

أحدهما: «السوءى» أي الفعلة السوءى والخصلة السوءى.

والثاني: «أَنْ كَذَّبُوا» أي كان آخر أمرهم التكذيب فعلى الأول يكون في «أَنْ كَذَّبُوا» وجهان:

أحدهما: أنه على إسقاط الخافض إما لام العلة أي لأن كذبوا، وإما باء السببية أي

(١) في «ب» لِحُضُور باللام. وما هنا والفخر الرازي بحضور بالياء.

(٢) في «ب» أمثال أشكالهم.

(٣) في «ب» وكانوا أكثر منهم قوة.

(٤) في «ب» قوتهم.

(٥) ما بين القوسين بياض في «ب» وهو ساقط منها. وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٠، والمجاز لأبي عبيدة ١١٩/٢ قال: «استخرجوها».

(٦) انظر: الدر المصون ٣١٥/٤ والتبيان ١٠٣٧.

(٧) انظر: البحر المحيط ١٦٤/٧، وقد نسبها إلى أبي جعفر، وانظر: السبعة لابن مجاهد ٥٠٦ وقد اعترض ابن مجاهد على هذه القراءة وكذلك أبو الفتح الذي قال: إن الإشباع من ضرورة الشعر.

انظر: البحر ١٦٤/٧، والمحتسب ١٦٣/٢.

(٨) انظر: الإتحاف ٣٦٤ والسبعة ٥٠٦، وإبراز المعاني ٦٤٠ وإعراب النحاس ٢٦٦/٤.

(٩) انظر: الكشف لمكي ١٨٢/٢ والبيان لابن الأنباري ٢٤٩/٢.

بأن كذبوا فلما حذف الحرف^(١) جرى القولان المشهوران بين^(٢) الخليل وسيبويه في محل «أن»^(٣).

والثاني: أنه بدل من «السوءى» أي ثم كان عاقبتهم التكذيب، وعلى الثاني يكون «السوءى» مصدراً «لأساءوا» أو يكون نعتاً لمفعول محذوف أي أساء والفعلة «السوءى»، و «السوءى» تأنيث «لِلْأَسْوَءِ»^(٤). وجوز بعضهم^(٥) أن يكون خبر كان محذوفاً للإبهام، و «السوءى» إما مصدر وإما مفعول كما تقدم أي افترقوا الخطيئة «السوءى»؛ أي كان عاقبتهم الدمار. وأما النصب^(٦) فعلى خبر كان، وفي الاسم وجهان:

أحدهما: «السوءى» إن كانت الفعلة السوءى عاقبة المسيئين، و «أَنْ كَذَّبُوا» على ما تقدم.

الثاني: أن الاسم «أَنْ كَذَّبُوا» و «السوءى» على ما تقدم. المعنى: ثم كان عاقبة الذين أساءوا «السوءى» يعني: الخلعة التي تسوؤهم وهي النار (وهي)^(٧) «السوءى» اسم لجحهم كما أن الحسنى اسم للجنة «أَنْ كَذَّبُوا» أي لأن كذبوا، وقيل: تفسير «السوءى» ما بعده، وهو قوله: «أَنْ كَذَّبُوا» يعني: ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حَمَلَهُمْ تلك السيئات على أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شَفَعَتُوا وَكَانُوا بُشْرًا كَاذِبِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦)

قوله: «اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» أي يخلقهم ابتداء^(٨) ثم يعيدهم بعد الموت أحياء

(١) في «ب» حذف الجر، وانظر في الإعراب الدر المصون ٣١٦/٤ والتبيان ١٠٣٧ و ١٠٣٨ والبيان ٢/٢٤٩ ومشكل إعراب القرآن ١٧٧/٢ ومعاني الفراء ٣٢٢/٢ والقرطبي ١٠/١٤.

(٢) الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد البصري الفرهودي سيد أهل زمانه في علمه وزهده كان من تلامذة أبي عمرو، أخذ عنه سيبويه، والنضر بن شميل وهو أول من استخدم علم العروض مات سنة ١٦٠ هـ نزلة الألباء ٢٩، ٣٢.

(٤) انظر: الكشف ٢٢٦/٣.

(٣) في «ب» محله.

(٥) هو الزمخشري حيث قال: «وَأَنْ كَذَّبُوا» عطف بيان لها، وخبر كان محذوف كما يحذف جواب «لما» و «لو» إرادة الإبهام، الكشف ٢٢٦/٣.

(٦) أي نصب عاقبة وانظر: المراجع السابقة والبحر ١٦٤/٧.

(٨) القرطبي ١٠/١٤.

(٧) ساقط من «ب».

ولم يقل: «يُعِيدُهُمْ» رد^(١) على الخلق، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ؛ فيجزئهم بأعمالهم، قرأ أبو بكر، وأبو عمرو «يَرْجَعُونَ» - بالياء -^(٢) والآخران بالتاء^(٣).

قوله: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ» قرأ العامة «يُبْلِسُ» ببناءه للمفاعل وهو المعروف يقال: أْبْلَسَ الرجل أي انقطعت حجته^(٤) فسكت وهو قاصر لا يتعدى، قال العجاج:

٤٠٣٦ - يَا صَاحَ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا قَالَ: نَعَمْ أَغْرِفُهُ وَأَبْلَسًا^(٥)

وقرأ السلمي: «يُبْلِسُ» مبنياً للمفعول^(٦)، وفيه بعد، لأن أْبْلَسَ يتعدى، وقد حُرِّجَتْ هذه القراءة على أن القائم مقام الفاعل مصدر الفعل، ثم حذف (المضاف)^(٧)، وأقيم المضاف إليه مقامه، إذ الأصل يُبْلِسُ إبْلَاسُ المجرمين، و «يبلس» هو الناصب «لَيَوْمَ تَقُومُ» و «يَوْمَئِذٍ» مضاف لجملة تقديرها يَوْمَئِذٍ يقوم وهذا كأنه تأكيد لفظي، إذ يصير التقدير يبلس المجرمون (يوم تقوم الساعة)^(٨).

فصل

قال قتادة والكلبي: المعنى يبلس المشركون من كل خير^(٩)؛ وقال الفراء: ينقطع^(١٠) كلامهم وحججهم. وقال مجاهد: يفتضحون^(١١). ولم يكن لهم شركائهم أصنامهم التي عبدوها ليشفعلوا لهم شفعاء، «وَكُنَّا بَشَرَكَايْهِمْ كَافِرِينَ» يتبرأون^(١٢) منها وتبرأ منهم.

قوله: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ» أي بين أهل الجنة من أهل النار، قال مقاتل: يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً كما قال تعالى: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ». قوله: «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ»

(١) في «ب» رده بالهاء.

(٢) على ما بين في العنكبوت. انظر: القرطبي ١٠/١٤ والبحر المحيط ١٦٤/٧ والكشاف ٢١٦/٣، والإتحاف ٣٤٦، والسبعة ٥٠٦، والنشر ٣٤٤/٢، وتقريب النشر ١٥٩.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) قال في اللسان ٣٤٣ «ب ل س» (والمُبْلِسُ: البائس ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب: قد أْبْلَسَ) وأنشد البيت الذي أعلى.

(٥) البيت للعجاج وقد تقدم.

(٦) مختصر ابن خالويه ١١٦، والكشاف ٢١٦/٣، والقرطبي ٢٠/١٤.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) الدر المصون ٣١٥/٤، والبيان ١٠٣٨، ١٠٣٩، هذا وما بين القوسين ساقط من «ب».

(٩) تفسير ابن كثير ٤٢٨/٣. (١٠) المعاني ٣٢٣/٢.

(١١) تفسير ابن كثير ٤٢٨/٣. (١٢) انظر: ابن جرير الطبري ١٩/٢١.

وهي البستان^(١) الذي في غاية النضارة، وقوله: «يُخْبَرُونَ» قال ابن عباس يكرمون^(٢). وقال قتادة ومجاهد: يُتَعَمَّون^(٣)، وقال مجاهد وأبو عبيدة: يسرون^(٤)، والخبر والحُبور السرور. وقيل الخبر في اللغة كل نعمة حسنة والتخبير التَّخْصِينُ يقال هو حسن الخبر والسَّبر بكسر الحاء والسين وفتحهما^(٥) وفي الحديث: «خَبَرْتُهُ لَكَ تَخْيِيرًا»^(٦)، أي حسنت لك صوتي والقرآن تحسيناً، وجاء في الحديث «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ رَجُلٌ ذَهَبَ خَبْرُهُ وَسَبْرُهُ»^(٧) فالمفتوح^(٨) مصدر والمكسور اسم، والروضة الجنة، قيل: ولا تكون روضة إلا وفيها نبت، وقيل: إلا وفيها ماء، وقيل: ما كانت منخفضة، والمرتفعة يقال لها: ثُرعة، وقيل: لا يقال لها روضة إلا وهي في مكان غليظ مرتفع^(٩). قال الأعشى:

٤٠٣٧ - مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُغْشِيَةٌ خَضْرَاءَ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَاطِلٌ^(١٠)

وأصل رياض رِوَاضٌ، فقلبت الواو^(١١) ياء على حدِّ حَوْضٍ وَجِيَاضٍ ونكر الروضة للتعظيم^(١٢)، وقال ههنا: «يُخْبَرُونَ» بصيغة الفعل ولم يقل «مُخْبَرُونَ» وقال في الأخرى «مُخَضَّرُونَ»^(١٣) بصيغة الاسم ولم يقل «يُخَضَّرُونَ» لأن الفعل يدل على التجديد، والاسم لا يدل عليه، فقوله «يُخْبَرُونَ» يعني كل ساعة يأتيهم ما يسرون به، وقوله

(١) انظر: القرطبي ١١/١٤. (٢) السابق ١٢/١٤.

(٣) السابق ١٢/١٤. (٤) مجاز القرآن ١٢٠/٢.

(٥) اللسان «ح ب ر».

(٦) هو في حديث أبي موسى «لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِقِرَاءَتِي لَخَبَرْتُكَ لَكَ تَخْيِيرًا»، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/٣٢٧.

(٧) انظر: النهاية المرجع السابق ١/٣٢٧، وغريب الحديث لأبي عبيد ١/٨٥، الفائق في غريب الحديث للزمخشري ١/٢٢٩، واللسان «ح ب ر» ٧٤٩.

(٨) في «ب» فالفتح.

(٩) انظر الدر المصون ٤/٣١٧، والقرطبي ١١/١٤ واللسان «ح ب ر» ٧٤٩. وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤١.

(١٠) البيت له من البسيط. وقوله: «مُسْبِلٌ، هَاطِلٌ» صفتان لموصوف محذوف أي سحاب أو غيث و «المُسْبِلُ» المنتشر الكثير، والهَاطِلُ: غزير الماء. ولقد أتى البيت لشاهد لغوي وهو أن الروضة هي لا تسمى هكذا إلا في مكان مرتفع حيث قال: «الحَزْنُ» وهو المكان المرتفع، وانظر: مجاز القرآن ٢/١٢٠، والمفضليات بشرح الأنباري ٢٢٠، وابن جرير ٢١/١٩١ وفتح القدير ٤/١٢٨ ومجمع البيان ٧/٤٦٥، والقرطبي ١١/١٤ وإعراب القرآن للمنحاس ٣/٢٦٨ و ١٦٥ والديوان «١٠٧» د/ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ حُسَيْنٌ.

(١١) حيث وقعت الواو عيناً لِفِعَالٍ معتلّة وقبلها كسرة وبعدها ألف وكانت في المفرد شبيهة بالمعلة وهذا أحد وجوه قلب الواو ياء.

(١٢) من شأنها وهذا بخلاف ما لو قال «الروضة» بالتعريف.

(١٣) ساقط من «ب».

«محضرون» أي الكفار في العذاب يبقون فيه^(١) مُحْضَرُونَ.

قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

قوله: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ» أي سبحوا الله، ومعناه صلوا عليه حين «تمسون» تدخلون في المساء، وهو صلاة المغرب والعشاء «وحين تصبحون» أي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح. «وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» قال ابن عباس: يَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيُصَلُّونَ «وَعَشِيًّا» أي صلوا لله عشيًّا، يعني صلاة العصر «وَحِينَ تُظْهِرُونَ» أي تدخلون في الظهر وهي صلاة الظهر، قال نافع^(٢) الأزرق لابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم وقرأ هاتين الآيتين، وقال: جمعت الآية الصلوات الخمس ومواقيتها. وروى أبو هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ فِي يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». (وقال عليه^(٣) السلام: مَنْ قَالَ حِينَ يُضْهِجُ وَحِينَ يُمَسِي سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ مِائَةً مَرَّةً لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا قَالَ مِثْلُ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ عَلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

قوله: «تُمْسُونَ وَتُصْبِحُونَ» (تَامَات) أي تدخلون في المساء والصباح كقولهم: إذا سَمِعْتَ بُشْرَى الْفَتْنِ فاعلم بأنه (مُضْبِح)^(٤) أي مقيم في الصباح، والعامية على إضافة الظرف إلى الفعل بعده، وقرأ عكرمة^(٥): «حِينَ» بالتثنية، والجملة بعده صفة له، والعائد حينئذ محذوف أي تُمْسُونَ فيه، كقوله ﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ [لقمان: ٣٣]. والناصب لهذا الظرف «سُبْحَانَ»^(٦) لآته نائب عن عامله.

قوله: «وَعَشِيًّا» عطف على «حين» وما بينهما^(٧) اعتراض و «في السَّمَوَاتِ» يجوز أن يتعلق بنفس الحمد (أي أن الحمد^(٨)) يكون في هذين الطرفين.

(١) ساقط من «ب».

(٢) ابن جرير: نافع بن الأزرق وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٢١/٢٠ بروايات مختلفة.

(٣) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٤) وفي اللسان «ق ي ن» ومن أمثالهم: إذا سمعت بُشْرَى الْفَتْنِ فإنه مُضْبِح قال أبو عُيَيْدٍ: يضرب للرجل يعرف بالكذب حتى يَرُدَّ صِدْقُهُ، والقين: الحداد. اللسان «ق ي ن» ٣٧٩٨ و ٣٧٩٩.

(٥) إذا أطلق عكرمة فإنه يراد به عكرمة بن خالد بن العاص المخزومي المكي تابعي، ثقة روى عن أصحاب ابن عباس وقرأ على ابن عمر، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء مات سنة ١٥ هـ، انظر: غاية النهاية ١/٥١٥. وانظر: المختصر لابن خالويه ١١٦، والمحتسب ٢/١٦٣ وهي شاذة غير متواترة.

(٦) الدر المصون ٤/٣١٨.

(٧) السابق.

(٨) ساقط من «ب».

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (١٩)

قوله: «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ». قد تقدم اختلاف القراء في تخفيف الميت^(١) وتثقيله وكذلك قوله «تُخْرَجُونَ» في سورة الأعراف^(٢)، و «كَذَلِكَ» نعت مصدر محذوف أي ومثل ذلك الإخراج العجيب تُخْرَجُونَ^(٣).

واعلم أن وجه تعلق إخراج الحي من الميت والميت من الحي بما قبله هو أن عند الإصباح يخرج الإنسان من سُتَةِ النَّوْمِ^(٤) وهو النوم إلى سنة الوجود وهي اليقظة وعند العشاء يخرج الإنسان من اليقظة إلى النوم. واختلف المفسرون في قوله: «يخرج الحي من الميت» فقال أكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان. وقيل: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ثم قال: «وَيُخْبِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» وفي هذا معنى لطيف وهو أن الإنسان بالموت تبطل حواسه، وأما نفسه الناطقة فتفارقه^(٥)، وتبقى بعده كما قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] لكن الحيوان نام متحرك حساس لكن النائم لا يتحرك، ولا يُحس، والأرض الميتة^(٦) لا يكون فيها نماء، (ثم^(٧)) النائم بالانتباه يتحرك ويحس والأرض الميتة بعد موتها (ينمو^(٨)) نباتها، فكما أن تحريك ذلك الساكن وهذا الواقف سهل على الله، كذلك إحياء الميت سهل على الله، وإلى هذا أشار بقوله «وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ».

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السَّيِّئِينَ وَالْوَبَّاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَتَاعُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ

(١) قول الله تعالى: «وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ» وهي الآية ٢٧ من آل عمران؛ فقد قرأ حفص ونافع وحزمة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف بتشديد الياء المكسورة والباقيون بالتخفيف، انظر الإتحاف ١٧٣ و ٣٤٧، والسبعة ٢٠٣ واللباب ١٣/٢.

(٢) يقصد قول الله «قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ» وهي الآية ٢٥ من الأعراف فَمِنْ القراء من يقرأ بفتح الأول وضمة الراء وهم حمزة والكسائي وخلف أي بالبناء للفاعل وغيرهم بالبناء للمفعول انظر: الإتحاف ٢٢٣ و ٣٤٧ و ٣٤٨ والسبعة ٥٠٦.

(٣) الدر المصون ٣١٨/٤. (٤) في «ب» - وهو الأصح - الموت.

(٥) في «ب» تفارقه. (٦) في «ب» الميت.

(٧) ساقط من «ب». (٨) كذلك ساقط من «ب».

الْهَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقْنَاكُمْ» مبتدأ أو خبر أي ومن جملة علامات توحيدة وأنه يبعثكم خلقكم واختراعكم و «من» لا ابتداء الغاية، وقوله: «من تراب» أي خلق أصلنا وهو آدم من تراب، (أ) ^(١) و أنه خلقنا من نطفة والنطفة من الغذاء والغذاء إنما يتولد من الماء والتراب على ما تقدم شرحه «ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ» في الأرض. والترتيب والمهلة هنا ظاهران فإنهم يصيرون بشراً بعد أطوار كثيرة و «تَنْتَشِرُونَ» حال.

و «إِذَا» هي الفجائية، إلا أن الفجائية أكثر ما تقع ^(٢) بعد الفاء؛ لأنها تقتضي التعقيب ووجه وقوعها (مع) ^(٣) «ثم» بالنسبة إلى ما يليق بالحالة الخاصة أي بعد تلك الأطوار التي قُصَّها علينا في موضع آخر من كوننا نطفة ثم علقة ثم مُضْغَةً ثم عظاماً مجرداً ثم عظماً مكسواً لحماً (فأجاً) ^(٥) البشرية فالانتشار.

قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا» «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» يعني من بني آدم، وقيل خلق «حَوَى» من ضلع آدم «لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا». والصحيح أن المراد من جنسكم كما قال: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» [التوبة: ١٢٨] ويدل عليه قوله: «لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا» يعني أن الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر، أي لا يثبت نفسه معه، ولا يميل قلبه إليه «وجعل بينكم مودة ورحمة» (وقيل: مودة) ^(٦) بالمجامعة، (ورحمة) ^(٧) للولد تَمْسُكاً بِقَوْلِهِ: «ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكِرًا» [مريم: ٢]، وقيل: جعل بين الزوجين المودة (والرحمة) ^(٨) فهما يتَوَادَّانِ، وَيَتَرَاحِمَانِ وما من شيء ^(٩) أحب إلى أحد من الآخر من غير رحم ^(١٠) بينهما. «إِنَّ فِي ذَلِكَ» يحتمل أن يكون المراد منه إن في خلق الأزواج «آيات». ويحتمل أن يقال: «إِنَّ فِي جعل المودة والرحمة بينهم آيات لقوم يتفكرون» في عظمة الله وقدرته.

قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» ثم لما أشار إلى دلائل الأنفس والآفاق (ذكر) ^(١١) ما هو من صفات الأنفس وهو قوله: «وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ» أي لغاتكم من عرب وعجم مع تنوع كل من (الجنسين) ^(١٢) إلى أنواع شتى لا سيما العجم، فإن لغاتهم

(٧) زيادة من «ب».

(١١) زيادة من «ب».

(٨) ساقط من «ب» وانظر: القرطبي ١٧/١٤.

(٢) في «ب» يقع بصيغة التذكير.

(٩) في «ب» أحد بدل شيء.

(٣) ساقط من «ب».

(١٠) في «ب» رحمة.

(٤) ساقط من «ب».

(١١) ساقط من «ب».

(٥) ساقط من «ب».

(١٢) ساقط من «ب».

(٦) ساقط من «ب» وانظر: القرطبي ١٧/١٤.

مختلفة، وليس المراد بالألسنة الجوارح. وقيل: المراد بالألسن اختلاف الأصوات، وأما اختلاف الألوان فالمراد أبيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد، (وامراً واحداً^(١)). وقيل: المراد باختلاف الألوان الذي بين ألوان الإنسان فإن واحداً منهم مع كثرة عددهم، وصغر حجم قدودهم لا يشتبه بغيره، والسموات مع غيرها وقلة عددها مشتبهات في الصورة «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ»، قرأ حفص بكسر اللام، جعله جمع عالم ضد الجاهل ونحوه: «وَمَا يَعْزِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ» والباقون^(٢) بفتحها لأنها آيات لجميع الناس وإن كان بعضهم يغفل عنها وقد تقدم أول الفاتحة^(٣) الكلام في «العَالَمِينَ» (قيل^(٤)): هو جمع أو اسم جمع. قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» لما ذكر الأعراض اللازمة وهي الاختلاف ذكر الأعراض المفارقة ومن جعلتها النوم بالليل والحركة بالنهار طلباً للرزق (و^(٥)) قيل: في الآية تقديم وتأخير ليكون كل واحد مع ما يلائمه، والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغائكم من فضله بالنهار، فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل، وعطفه عليه لأن حرف العطف^(٦) قد يقوم مقام الجار، والأحسن أن يجعل على حاله.

والنوم بالنهار مما كانت العرب تعدّه نعمة من الله، ولا سيما في أوقات القيلولة في البلاد الحارة، وقوله: «وَابْتَغُواكُم مِّنْ فَضْلِهِ» أي منهما^(٧) فإن كثيراً ما^(٨) يكتسب الإنسان بالليل، ويدل على الأول قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الإسراء: ١٢] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ [النبا: ١٠، ١١]، ثم قال: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» سماع تدبير واعتبار وقال ههنا: «لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» ومن قبل: «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» وقال: «لِلْعَالَمِينَ» لأن المنام بالليل، والابتغاء^(٩) يظن الجاهل أو الغافل أنهما مما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل أحد كونهما من نعم الله، فلم يقل آيات للعالمين، ولأن الأمرين الأولين وهو اختلاف الألسن^(١٠) والألوان من اللوازم

(١) انظر: القرطبي ١٨/١٤ وما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٢) انظر: الإنحاف ٣٤٨ والسبعة ٥٠٦ وإبراز المعاني ٦٤٠، و٦٤١ ومعاني الفراء ٣٢٣/٢ الذي قال فيه: يريد العالم من الجن والإنس، ومن قرأها: «للعالمين» بالكسر فهو وجه جيد لأنه قال: «لآيات لقوم يعقلون».

(٣) قيل هناك: إن عالمين اسم جمع لأن واحده من غير لفظه، ولا يجوز أن يكون جمعاً «لِعالَمٍ»؛ لأن الصحيح في «عالم» أنه يطلق على كل موجود، سوى الباري لاشتقاقه من العلامة «و» «عَالَمُونَ» بصيغة الجمع لا يطلق إلا على العقلاء دون غيرهم فاستحال أن يكون «عالمون» جمع عالم لأن الجمع لا يكون أخص من المفرد.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) زائد من «ب».

(٦) انظر: الدر المصون ٣١٨/٤: ٣٢٠، والقرطبي ١٨/١٤، والبحر المحيط ١٦٧/٧.

(٧) في «ب» مما.

(٨) في «ب» فيهما.

(٩) في «ب» في «ب».

(١٠) في «ب» الألسنة.

والمنام والابتغاء من الأمور المفارقة فالنظر إليهما لا يدوم لزوالهما في بعض الأوقات ولا كذلك اختلاف الألسنة والألوان فإنهما يدومان بدوام الإنسان فجعلهما آيات عامة، وأما قوله: «لَقَوْمٌ يَنْفَكُرُونَ» فإن من الأشياء ما يعلم من غير تفكير، ومنها ما يكفي فيه مُجَرَّدُ الفكرة، ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه إلى مثل حسيّة^(١) كالأشكال الهندسية، لأن خلق الأرواح لا تقع لأحد أنه بالطبع إلا إذا كان^(٢) جامد الفكرة، فإذا تفكير علم كون ذلك الخلق آية، وأما المنام والابتغاء فقد يقع لكثير أنهما من أفعال العباد، وقد يحتاج إلى مرشد بغير فكرة فقال: «لَقَوْمٌ يَسْمَعُونَ» ويجعلون بالهم من كلام المرشد.

قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ الْبَازِقَ يُخَافُ وَطَمَعًا» لما ذكر العرضيات اللازمة للأنفس المفارقة ذكر العرضيات التي للآفاق.

قوله: «يُرِيكُمُ الْبَرْقَ» فيه أوجه أظهرها: الموافق لأخواته^(٣) أن يكون جملة اسمية من مبتدأ وخبر إلا أنه حذف الحرف المصدر، ولما حذف بطل عمله والأصل: ومن آياته أن يُرِيكُمُ، كقوله:

٤٠٣٨ - أَلَا أَيْهَذَا الرَّاجِرِ أَخْضَرُ الْوَعَى^(٤)

الثاني: أن «من آياته» متعلق^(٥) «بيريكم» أو بمحذوف على أنه حال من البرق، والتقدير «يريكم البرق من آياته» فيكون قد عطف جملة فعلية على جملة اسمية.

والثالث: أن «يريكم» صفة لموصوف محذوف أي ومن آياته (آية^(٦)) يريكم البرق بها أو فيها البرق فحذف الموصوف والعائد عليه ومثله:

٤٠٣٩ - وَمَا الدُّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا^(٧) أَمُوت^(٨)

(١) في «ب» أمثلة حسنة. (٢) في «ب» إلا إذا يكون جامدة الفكرة.

(٣) في «ب» الموافق إخوانه وانظر في ذلك التفسير الكبير للإمام الفخر ١١٢/٢ و ١١٣.

(٤) هذا صدر بيت من الطويل للشاعر طرفة بن العبد من معلقته المعروفة عجزه:

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ قُلْتُ أَنْتَ مُخْلِطِي

في هذا البيت يزجر من يعيب عليه لهوه، والشاهد: حذف «أن» ونصب الفعل وهذا على قول الكوفيين بمن فيهم الفراء قائلين إن ذلك ضرورة، وفيه شاهد آخر وهو رفع الفعل وهو «أحضر» بحذف الناصب وتعربه منه والمعنى لأن أحضر وهو المراد هنا وانظر: البيان ٢/٢٥٠، ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٢٣ ومعاني القرآن للزجاج ١/١٣٩، والسبع الطوال لابن الأنباري ١٩٢ والمقتضب ٢/١٣٤ والمسائل العسكرية ٢٠٢، والمقتصد ٧٩، والتصريح ٢/٢٤٥ والهمع ٦/١ ومجالس ثعلب ٣١٧ والبيان - أيضاً - لابن الأنباري ١/١٠١ والخزانة ١١٩/١ والديوان ٣٢٢ والحامسة البصرية ١/٢٧٠.

(٥) في «ب» يتعلق. (٦) ساقط من «ب».

(٧) في «ب» مادتان على رواية في البيت.

(٨) تمامه:

أي منهما تارة أموت منها.

الرابع: أن التقدير: ومن آياته سبحانه أو شيء يريكم؛ فيريكم صفة لذلك المقدر، وفاعل «يريكُم» ضمير يعود عليه^(١) بخلاف الوجه قبله، فإن الفاعل ضمير الباري تعالى.

فصل

المعنى يريكم البرق خوفاً للمسافرين من الصواعق، وطمعاً للمقيمين في المطر، وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

فصل

قدم لوازم الأنفس على العوارض المفارقة (حيث^(٢) ذكر أولاً اختلاف الألسنة^(٣) والألوان ثم المنام والابتغاء، وقدم في الآفاق العارضة المفارقة) على اللوازم حيث قال: «يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمُ» وذلك لأن الإنسان متغير الحال^(٤)، فالعوارض فيها أغرب من اللوازم فقدم ما هو عجيب لكونه أدخل في كونه «آية» فإن الإنسان يتغير حاله بالكبر والصغر والصحة والسقم فله صوت يعرف به لا يتغير وله لون يتميز به عن غيره، وهو متغير^(٥) بذلك في الأحوال وذلك لا يتغير وهو آية عجيبة والسماء (والأرض^(٦)) ثابتان لا يتغيران ثم نرى في بعض الأحوال أمطاراً هاطلةً، وبروقاً هائلةً والسماء كما كانت والأرض كما كانت وذلك آية تدل على فاعل مختار يديم أمراً مع تغير المحل ويزيل أمراً مع ثبات المحل.

فصل

كما قدم السماء على الأرض قدم ما هو من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الأرض وهو الإنبات والإحياء وكما أن في إنزال المطر وإنبات الشجر منافع كذلك في تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهي أن البرق إذا لاح فالذي لا يكون تحت كِنٍ^(٧)

= وقد تقدم.

والبيت من الطويل، وقائله تميم من مقبل، وشاهده: حذف الموصوف وإبقاء صفته لدلالة ما قبله عليه والأصل: وتارة أموت فيها وتارة أخرى أكدح فيها انظر: ديوانه (٢٤) والكتاب ٣٤٦/٢ ومعاني الفراء ٣٢٣/٢ والقرطبي ١٨/١٤ والمقتضب ١٣٦/٢ والهمع ١٢٠/٢ والمحتسب ٢١٢/١ والطبري ٢١/٢ والخزانة ٥٥/٥ - ٥٩ والكامل ١٧٩/٣ ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٨/٢ و ١٨٢/٤. وانظر في إعراب هذا الوجه وما قبله الدر المصون ٣٢٠/٤ والبيان ١٠٣٨ و ١٠٣٩ والبيان ٢٠٥٠/٢.

(١) انظر هذا الوجه في الدر المصون ٣٢٠/٤ والبيان ١٠٣٩.

(٢) من هنا ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «ب».

(٤) في تفسير الفخر الرازي: والعوارض له غير بعيدة، وأما اللوازم فيه فقريبة.

(٥) في «ب» يتغير.

(٦) الكِن مفرد الكنون وهو البيت اللسان «ك ن ن» ٩٤٢.

يخاف الابتلال فيستعد له، والذي له صهريج^(١)، أو مصنع يحتاج إلى الماء أو زرع يسوي مجاري الماء، وأيضاً أهل البوادي^(٢) لا يعلمون أن البلاد عشبة إن لم يكونوا قد رأوا البروق اللاتحة من جانب دُون جانب، واعلم أن دلائل البرق وفوائده وإن لم تظهر للمُقيمين في البلاد فهي ظاهرة للبادين فلماذا جعل تقديم البرق على تنزيل الماء من السماء نعمة وآية.

فصل

أما كونه آية فلأن الذي في السحاب ليس إلا ماء وهواء وخروج النار^(٣) منهما بحيث يحرق الجبال في غاية البعد فلا بد له من خالق وهو الله. وقالت الفلاسفة: السحاب فيه كثافة ولطافة بالنسبة إلى الهواء أو الماء فالهوى^(٤) ألطف منه والماء أكثف فإذا هبت الريح قوية تحرك السحاب فيحدث صوت الرعد وتخرج منه النار، كما أن النار تخرج من وَقَع الحَجَر على الحديد فإن قيل: الحديد والحجر جسمان صُلْبَان، والسحاب والريح جسمان (لَيِّنَانِ)^(٥) (فنقول^(٦)) لكن حركة يد الإنسان ضعيفة، وحركة الريح قوية تقلع الأشجار) فنقول لهم الرعد والبرق (أمران^(٧)) حادثان لا بد لهما من سبب، وقد علم بالبرهان كون كل حادث (فهما)^(٨) من الله ثم نقول: (هب^(٩)) أن الأمر كما يقولون فهنوب تلك الريح القوية من الأمور الحادثة العجيبة فلا بد لها من سبب^(١٠) وينتهي إلى واجب الوجود فهو آية للعاقل على قدرة الله كَيْفَمَا قَرَضْتُمْ.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله ههنا: «آيات لقوم يعقلون» وقوله فيما تقدم: «لقوم يتفكرون؟» فالجواب:

لما كان حدوث الولد من الوالد أمراً عادياً مطرداً قليل الاختلاف كان يتطرق إلى الأوهام العامة أن ذلك بالطبيعة لأن المطرد أقرب إلى^(١٢) الطبيعة (من)^(١٣) المختلف، والبرق والمطر ليس أمراً مطرداً (غير مختلف^(١٤)) بل يختلف إذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت، وتارة يكون قوياً^(١٥)، وتارة يكون ضعيفاً فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار، فقال هو آية لمن له عقل وإن لم يتفكر تفكراً تاماً.

(١). واحد الصهاريج وهي كالحياض يجتمع فيها الماء، اللسان «صَ هَرَ جَ» ٢٥١٦.

(٢) في «ب» الوادي.

(٣) في «ب» المياه.

(٤) ساقط من «ب».

(٤) الهواء وهو الأصح في «ب».

(٥) ساقط من «ب».

(٦) ساقط كله أيضاً من «ب».

(٧) زيادة من «ب».

(٨) انظر الفخر الرازي ١١٤/٢٥.

(٩) في «ب» نسب.

(١٠) ساقط من «ب».

(١١) ساقط من «ب».

(١٢) في «ب» من.

(١٣) في «ب» قريباً.

(١٤) ساقط من «ب».

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (٢٥) وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ لَّهُ قَلْبٌ (٢٦)

قوله تعالى^(١): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ قال ابن مسعود: قامت على غير عُمْدٍ بأمره. واعلم أنه ذكر من لوازم السماء والأرض قيامهما^(٢) فإن الأرض لثقلها يتعجب الإنسان من وقوفها وعدم نزولها وكون السماء في علوها معجب^(٣) من علوها وثباتها من غير عمد، وهذا من اللوازم، فإن الأرض لا تخرج عن مكانه الذي فيه. (فإن^(٤) قيل:) بأنها تتحرك في مكانها كالرَّحَاء، ولكن اتفق العقلاء على أنها في مكانها (لا تخرج عنه^(٥)). وهذا آية ظاهرة لأن كونهما في الموضع الذي هما فيه، وعلى الموضع الذي هما عليه) من الأمور الممكنة وكونهما في غير ذلك الموضع جائز فكان يمكن أن يَخْرُجَا منه، فلمَّا لم يخرجَا كان ذلك ترجيحاً للجائز على غيره وذلك لا يكون إلا بفاعل مختار، وقالت الفلاسفة: كون الأرض في الكائن الذي هي فيه طبيعي لها لأنها أثقل الأشياء، والثقل يطلب المركز^(٦) والخفيف يطلب المحيط وكون السماء في مكانها إن كانت ذات مكان فلذاتها، فقيامها فيه لطبيعتها وأجيبوا بأنكم وافقتمونا بأن ما جاز على أحد المثلين جاز على المثل الآخر لكن مقعر الفلك لا يخالف مُخَدَّبُهُ^(٧) في الطبع فيجوز حصول مقعره في موضع مُخَدَّبُهُ^(٨) وذلك بالخروج والزوال فإذا تطرق الزوال إليه عن المكان ممكن لا سيما على السماء الدنيا فإنها ليست محدَّدة للجهات على مذهبكم أيضاً والأرض كانت يجوز عليها الحركة الدورية كما تقولون على السماء فعدمها وسكونها ليس إلا بفاعل مختار.

فصل

ذكر الله تعالى من كل باب أمرين: أما من الأنفس فقوله: «(خلقكم)^(٩) وخلق لكم واستدل بخلق^(١٠) الزوجين ومن الآفاق السماء والأرض (فقال: «خلق السماوات والأرض») ومن لوازم الإنسان اختلاف اللسان واختلاف الألوان ومن عوارض الآفاق البَرَق والأمطار ومن لوازمها قيام السماء والأرض؛ لأن الواحد يكفي للإقرار بالحق، والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين، فإن قول أحدهما يفيد الظن، وقول الآخر يفيد تأكيده، ولهذا قال إبراهيم عليه (الصَّلَاةُ^(١١)) والسلام: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ لِّيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٦٠].

(١) ساقط من «أ».

(٢) في «ب» قيامها.

(٣) في «ب» يتعجب.

(٤) ما بين القوسين بياض وساقط من «ب».

(٥) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٦) في «ب» والثقل يطلب المركب.

(٧) في «ب» تحديده.

(٨) انظر: تفسير الفخر الرازي ١١٤/٢٥.

(٩) ساقط من «ب» وزائد من «أ».

(١٠) في «ب» على خلق.

(١١) ساقط من «ب».

فصل (١)

قوله: بأمره أي بقوله: «قوما» أو بإرادته قيامهما؛ لأن الأمر عند المعتزلة موافق للإرادة وعندنا ليس كذلك ولكن النزاع في أمر التكليف، لا في أمر التكوين فإننا لا ننازعهم في أن قوله: «كُنْ» (٢) «فَيَكُونُ» و «كُونِي» (٣) و «كُونُوا» (٤) موافق للإرادة.

فإن قيل: ما الفائدة في قوله «ههنا»: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ» وقال قبله (٥): «وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ» ولم (٦) يقل: «أَنْ يُرِيَكُمْ» ليصير (كالمصدر) (٧) «بأن؟».

فالجواب: أن القيام لما كان غير متغير أخرج الفعل بأن عن الفعل المستقبل ولم يذكر معه الحروف المصدرية.

فإن قيل: ما الحكمة في أنه ذكر ست دلائل وذكر في أربعة منها: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» ولم يذكر الأولى وهو قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ» ولا في الآخر وهو قوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ»؟

فالجواب: أما الأول فلأن قوله بعده: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ» أيضاً دليل الأنفس فخلق السماء والأرض وخلق الأزواج من باب واحد على ما تقدم من أنه تعالى ذكر من كل باب أمرين للتقرير (٨) والتوكيد. فلما قال في الثانية: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» كان عائداً إليهما، وأما في قيام السماء والأرض فلأنه ذكر في الآيات السماوية (٩) أنها آيات للعالمين ولقوم يعقلون وذلك لظهورها فلما كان في أول الأمر ظاهراً ففي آخر الأمر بعد سزد الدلائل يكون أظهر (فلم يميز أحداً في ذلك عن (١٠) الآخر). ثم إنه تعالى لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو قدرته على الإعادة فقال: «ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» وجه العطف «بثم» و «بم تعلق» فمعناه أنه تعالى إذا بين لكم كمال قدرته بهذه الآيات بعد ذلك يخبركم ويعلمكم أنه إذا قال للعظام الرميمة اخرجوا من الأجداث يخرجون أحياء (١١).

قوله: «مِنْ الْأَرْضِ» فيه أوجه: أظهرها: أنه متعلق بمحذوف يدل عليه «يخرجون» أي خرجتم من الأرض (١٢)، ولا جائز أن يتعلق «بَتَخْرُجُونَ» لأن ما بعد «إذا» لا يعمل فيما قبلها.

(٢) ساقط من «ب».

(١) زيادة من «ب» عن «أ».

(٤) على إرادة المؤنثة.

(٣) على إرادة الواحد.

(٦) في «ب» وقال قبل.

(٥) على إرادة الجماعة.

(٨) ساقط من «ب».

(٧) ساقط من «ب».

(١٠) في «ب» الثلاثة.

(٩) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥/١١٥.

(١١) ساقط من «ب».

(١٢) انظر: الدر المصون ٢٢١/٤ والبيان ٢/٢٥٠ ويجوز أن يتعلق بمحذوف صفة لدعوة.

فصل

قَوْلُ الْقَائِلِ: «دعا فلانٌ فلاناً من الجبل» يحتمل أن يكون الدعاء من الجبل كما يقول القائل: يا فلانُ (اضْعَدْ^(١)) إلى الجبل، (فيقال: دَعَاهُ^(٢)) من الجبل، ويحتمل أن يكون المدعو يُدْعَى من الجبل كما يقول القائل: يا فلانُ انزل من الجبل فيقال دعاه من الجبل)، ولا يخفى على العاقل أن الدعاء لا يكون من الأرض إذا كان الداعي هو الله، والمدعو يدعى من الأرض، يعني أنكم في الأرض فيدعوكم منها فتخرجون، وإذا هي الفجائية، قال أكثر العلماء معنى الآية: ثم إذا دعاكم دعوة إذا أنتم تخرجون من الأرض.

فصل^(٣)

قال ههنا: «إذا أنتم تخرجون» وقال في خلق الإنسان أولاً: «ثم إذا أنتم بشر تنتشرون» لأن هناك يكون خلقٌ وتقديرٌ وتدرّجٌ حتى يصير التراب قابلاً للحياة فينفخ فيه روحه فإذا هو بشر، وأما في الإعادة فلا يكون تدرّجٌ وتراخٍ بل يكون نداءً وخروج، فلم يقل ههنا: «ثم»^(٤).

قوله: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِثُونَ» قال ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والفناء والموت والبعث وإن عَصَوْا في العبادة^(٥). وقال الكلبي: هذا خاص لمن كان منهم مطيعاً^(٦). ولما ذكر الآيات التي تدل على القدرة على الحشر الذي هو الأصل الآخر والرحمانية التي هي الأصل الأول أشار إليهما بقوله: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» ونفس السموات والأرض له وملكه فكلُّ^(٧) له منقادون قانتون، والشريك يكون منازعاً، فلا شريك له أصلاً، ثم ذكر المدلول الآخر فقال «هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده» يخلقهم أولاً، ثم يعيدهم بعد الموت للبعث.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٨)

قوله^(٨): «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» في «أهون» قولان:

أحدهما: أنها للتفضيل على بابها وعلى هذا يقال: كيف يتصور التفضيل، والإعادة والبدء بالنسبة إلى الله تعالى على حد سواء^(٩)؟ في ذلك أجوبة: أحدها: أن ذلك بالنسبة

(١) ساقط من «ب». (٢) ساقط من «ب» كله.

(٣) في «ب» بدل فصل «فإن قيل». (٤) انظر: تفسير الإمام الفخر الرازي ١١٦/٢٥.

(٥) انظر: القرطبي ٢٠/١٤ وفيه أن ابن عباس يقول: مصلون وانظر معاني الزجاج ١٨٣/٤.

(٦) المرجع السابق. (٧) في «ب» الكل يتقادون.

(٨) ساقط من «ب». (٩) في «ب» سوى.

إلى اعتقاد البشر باعتبار المشاهدة من أن إعادة الشيء أهون من اختراعه لاحتياج الابتداء إلى إعمال فكر غالباً، وإن كان هذا (مُتَّفِقاً) ^(١) عن ^(٢) الباري تعالى فخطوبوا بحسب ما أَلْفَوْهُ.

الثاني: أن الضمير في «عليه» ليس عائداً على الله تعالى إنما يعود على الخلق أي والعود أهوَنَ عَلَى الخلق أي أسرع لأن البدء فيها تدريجٌ من طورٍ إلى طورٍ إلى أن صارت إنساناً والإعادة لا تحتاج إلى هذه التدريجات فكأنه قيل: وهو أَقْصَرُ عليه وأيسر وأقل انتقالاً والمعنى يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاً ثم علقاً ثم مُضْغاً إلى أن يَصِيرُوا رجالاً ونساءً - وهي رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ^(٣).

الثالث: أن الضمير في «عليه» يعود على (المخلوق) ^(٤) بمعنى) والإعادة أهوَنَ على المخلوق أي إعادته شيئاً بعد ما أنشأه هذا في عَرِفَ المخلوقين، فكيف ينكرون ذلك في جانب الله تعالى، والثاني: أن «أَهْوَنَ» ليست للتفضيل بل هي صفة بمعنى «هَيِّنَ» كقولهم «اللَّهُ أَكْبَرُ» أي الكبير وهي رواية العوفي عن ^(٥) ابن عباس ^(٦).

وقد يجيء «أفعل» بمعنى الفاعل كقول الفرزدق:

٤٠٤٠ - إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعْزُ وَأَطْوَلُ ^(٧)

أي عزيزة طويلة. والظاهر عود الضمير في «عليه» على الباري تعالى ليوافق الضمير في قوله: (وله) ^(٨) المثل الأعلى. قال الزمخشري: «فإن قلت: لم أخرت الصلة في قوله: «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» وقدمت في قوله: «هُوَ عَلَى هَيِّنٍ» [مریم: ٩] قلت: هنالك قصد الاختصاص وهو (محزة) ^(٩) فليل: هو على هين وإن كان مستصعباً عندك ^(١٠) أن يولد ^(١١) بين هُم وعافر فذلك علي هين لا على غيري، وأما هنا فلا معنى ^(١٢) للاختصاص كيف

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب» على.

(٣) نقله القرطبي ٢٢/١٤.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) العوفي هو: عطية بن سعد بن خبابة العوفي الجدلي أبو الحسن الكوفي عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس وعنه ابنه عمر، والحسن وأخوه مات سنة ١١١ هـ، انظر: خلاصة الكمال ٢٦٧، ٢٦٨.

(٦) القرطبي ٢١/١٤.

(٧) البيت له، وهو مطلع قصيدة له في النقائص رقم ٣٩ وهو من الكامل وموجود بديوانه ٤١٧ الضاوي والقرطبي ٢١/١٤ والطبري ٢٥/٢١ والمجاز لأبي عبيدة ١٢١/٢، وابن يعيش ٩٧/٦، ٩٩ والأشموني ٥١/٣ ومعاهد التنصيص ٣٧/٢. والشاهد فيه: «أعز وأطول» حيث قصد منهما عدم التفضيل وإنما هما بمعنى الفاعلية أي عزيزة وطويلة كما أوضح أعلى وهذا رأى أبي عبيدة ومن نهج نهجه كالفراء.

(٨) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٩) ساقط من «ب» ولكنها في الكشف كما في «أ».

(١٠) في الكشف «عندكم».

(١١) في «ب» أن لم يولد وهو ما عليه الكشف.

(١٢) انظر: الكشف ٢٢٠/٣.

والأمر مبين على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى. قال أبو حيان: ومبنى^(١) كلامه على أن التقديم يفيد الاختصاص وقد تقدم منه. قال شهاب الدين: الصحيح أنه يفيد^(٢). وتقدم جميع ذلك.

قوله: «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» يجوز أن يكون مرتبطاً بما قبله وهو قوله: «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» أي قد ضربه لكم مثلاً فيما يسهل ويصعب. وإليه نحا الزجاج^(٣). أو بما بعده من قوله: «ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ» وقيل المثل: الوصف أي الصفة العليا^(٤). قال ابن عباس: هي أنه «ليس كمثله شيء»^(٥) وقال قتادة: هي أنه لا إله إلا هو^(٦).

قوله: «فِي السَّمَوَاتِ» يجوز أن يتعلق «بِالْأَعْلَى» أي أنه أعلى في هاتين الجهتين، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «الأعلى» أو من «المثل» أو من الضمير في «الأعلى» فإنه يعود على المثل^(٧)، «وَهُوَ الْعَزِيزُ» في ملكه «الْحَكِيمُ» في خلقه.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

قوله: «ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أي بين لكم شياً بحالكم ذلك المثل من أنفسكم، و «من» لا ابتداء^(٨) الغاية في موضع الصفة «لِمَثَلًا»، أي أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم وهو «أنفسكم»^(٩) ثم بين المثل فقال: «هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْتَكُمْ» من المال، والمعنى أن من يكون مملوكاً لا يكون شريكاً له في ماله فكيف يجوز أن يكون عباد الله شركاء له وكيف يجوز أن يكون لهم عظمة الله تعالى حتى يعبدوا؟

قوله: «مِنْ شُرَكَاءَ» مبتدأ و «من» مزيدة^(١٠) فيه لوجود شرطي الزيادة^(١١)، وفي

(١) البحر المحيط ١٧٠/٧. (٢) الدر المصون ٣٢٢/٤.

(٣) انظر: معاني الزجاج ١٨٤/٤ قال: وجعله مثلاً لهم فقال: «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي قوله: «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» قد ضربه لكم مثلاً فيما يسهل ويصعب وانظر أيضاً: البحر المحيط ١٧٠ و ١٧١ والقرطبي ٢٢/١٤ والكشاف ٢٢١/٣.

(٤) وهو قول الخليل، وانظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٧٠/٤.

(٥) انظر: القرطبي ٢٢/١٤. (٦) السابق.

(٧) الدر المصون ٢٢٢/٤. (٨) المرجع السابق والقرطبي ٢٣/١٤.

(٩) المرجعان السابقان والكشاف ٢٢١/٣، والبحر ١٧٠/٧.

(١٠) المراجع السابقة.

(١١) شرطاً الزيادة المجرور نكرة، وكون الاستفهام المضمن معنى النفي سابقاً على المجرور، وقد تزايد في الإيجاب عند الأخفش.

خبره وجهان: أحدهما: الجار الأول وهو «لَكُمْ» و «مِمَّا مَلَكَتْ» يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «شركاء»؛ لأنه في الأصل نعت نكرة قدم عليها، والعامل فيه العامل في هذا الجار الواقع خيراً، أو الخبر مقدر بعد المبتدأ^(١)، و «فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ» متعلق «بشركاء» و «ما» في «مما» بمعنى النوع، تقدير ذلك كله: هل شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع^(٢) الذي مَلَكَتْهُ أَيْمَانُكُمْ مستقرون لكم؟ «فكائنون» هو الوصف المتعلق به «مِمَّا مَلَكَتْ» ولما تقدم صار حالاً و «مستقرون» هو الخبر الذي تعلق به «لَكُمْ».

والثاني: أن الخبر «مِمَّا مَلَكَتْ» و «لَكُمْ» متعلق بما تعلق به الخبر، أو بمحذوف على أنه حال من «شركاء» أو بنفس «شركاء» كقولك: لَكَ في الدنيا محب «فلك» متعلق (بِمُحِبِّ) وفي الدنيا^(٣) هو الخبر. قوله: «وَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» هذه الجملة جواب للاستفهام^(٤) الذي بمعنى النفي «وَفِيهِ» متعلق «بِسَوَاءٍ».

قوله: «تَخَافُونَهُمْ» فيه وجهان:

أحدهما: أنها خبر ثان «لأنتم» تقديره «فأنتم» مُسْتَوُونَ معهم فيما رزقناكم خائفوهم كخوف بعضهم بعضاً أيها السادة، والمراد نفي الأشياء الثلاثة أعني الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم إياهم، وليس المراد ثبوت الشركة، ونفي الاستواء والخوف كما هو أحد الوجهين في قولك: مَا تَأْتِينَا فَتُحَدِّثُنَا بمعنى ما تأتينا محدثاً بل تأتينا ولا تحدثننا بل المراد نفي الجميع كما تقدم. وقال أبو البقاء: «فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» الجملة في موضع نصب على جواب الاستفهام أي هل لكم فتستووا^(٥) أنتم. وفيه نظر كيف^(٦) يجعل جملة اسمية حالة محل جملة فعلية ويحكم على موضع الاسم بالنصب بإضمار ناصب، هذا مما لا يجوز ولو أنه فسر المعنى وقال: إن الفعل لو حل بعد الفاء لكان منصوباً بإضمار «أَنْ» لكان صحيحاً، ولا بد أيضاً أن يبين أن النصب على المعنى الذي قدمته من نفي الأشياء الثلاثة.

والوجه الثاني: أن «تَخَافُونَهُمْ» في محل نصب^(٧) على الحال من ضمير الفاعل في «سَوَاءٌ». أي قَسَاوَرُوا خائفاً بَعْضُكُمْ من بعض مشاركتُهُ له في المال أي إذا لم تَرْضُوا أن يشارككم عبيدكم في المال فكيف تشركون بالله من هو مصنوع له؟ قاله أبو البقاء^(٨).

وقال ابن الخطيب^(٩) معنى حَسَنًا وهو أن بين المِثْلِ والمُمَثَّلِ به مشابهة ومخالفة، فالمشابهة معلومة والمخالفة من وجوه:

(١) الدر المصون ٣٢٢/٤.

(٢) المرجع السابق والبحر المحيط ١٧١/٧.

(٣) انظر: البحر المحيط ١٧١/٧، والدر المصون ٣٢٢/٤.

(٤) التبيان ١٠٤٠ والمراجع السابقة.

(٥) انظر: التبيان ١٠٤٠/٢.

(٦) البحر ١٧١/٧ والدر المصون ٣٢٢/٤.

(٧) التبيان ١٠٤٠ والمراجع السابقة.

(٨) المرجع السابق.

(٩) سبق القول بأن ابن الخطيب هو الإمام الفخر الرازي وقد عَرَّفَتْ به.

أحدها: قوله: «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أي من نَسْلِكُمْ مع حقارة الأنفس ونقصها وعجزها، وقاس نفسه عليكم مع جلالها وعظمتها وقدرتها وكمالها.

وثانيها: قوله: «مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» أي عبيدكم لكم عليهم ملك اليمين والملك لها طَارِ (ىء) قابل للنقل والزوال، أما النقل فالبيع وغيره، وأما الزوال فبالعقْبِ ومملوكه تعالى لا خروج له عن الملك فإذا لم يجوز أن يكون مملوك يمينكم شريكاً لكم مع أنه يجوز أن يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو في الحال مثلكم في الآدمية حالة الرق حتى أنكم ليس لكم تصرف في روحه وآدميته بقطع وقتل وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء الحاجة فكيف يجوز أن يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه وهو مباين له بالكلية شريكاً له؟!

وثالثها: قوله: «مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ» يعني: الذي لكم هو في الحقيقة ليس لكم بل هو لله ومن رزقه حقيقة فإذا لم يجوز أن يكون لكم شريك فيما هو لكم من حيث الاسم فكيف يجوز أن يكون له شريك فيما هو له من حيث الحقيقة.

ورابعها: قوله: «فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» أي هل أنتم ومماليكم في شيء مما تملكون أنتم سواء ليس كذلك فلا يكون لله شريك في شيء؛ لأن كل شيء فهو لله وما تدعون إلهيته لا يملكون شيئاً أصلاً، ولا مثقال ذرة خَزَدَلٍ فلا يُعْبَدُ لعظمته ولا لمنفعة تصل إليكم (منهم^(١)) منه، وأيضاً فأنتم ومماليكم سواء ليس كذلك لأن المملوك ليس له عندكم حُرْمَةُ الأحرار، وإذا لم يكن المملوك مع مساواته إياكم في الحقيقة والصفة عندكم حرمة فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من الوجوه، وإلى هذا إشار بقوله: «تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» انتهى^(٢). وإنما ذكرت هذا المعنى مبسوطاً لأنه مبين لما ذكرته من وجوه الإعراب. «كخيفتكم» أي كخيفةٍ مثل خِيفَتِكُمْ^(٣). والعامة على نصب «أنفسكم»، لأن المصدر مضاف لفاعله^(٤).

وقرأ ابنُ أبي عبلةً بالرفع على إضافة المصدر لمفعوله^(٥). واستَقْبَحَ بعضهم هذا إذا وجد الفاعل. وقال بعضهم: ليس بقيق بل يجوز إضافته إلى كل منهما إذا وجد^(٦) وأنشد:

(١) زيادة عن الفخر الرازي. (٢) انظر: التفسير الكبير للإمام الرازي ١١٨/٢٥ و ١١٩.

(٣) الدر المصون ٣٢٤/٤.

(٤) وأجاز الفراء أن يضاف المصدر إلى المفعول فترفع الأنفس قال: «ولو نويت به أي بالكاف والميم أن يكون في تأويل نصب رفعت ما بعدها» انظر: معاني القرآن للفراء ٣٢٤/٢.

(٥) كما أجاز الفراء كما سبق، وانظر هذه القراءة في: البحر المحيط ١٧١/٧.

(٦) ومن المجيزين له ولم يستقبحوه أبو حيان حيث قال في بحره: «وهما وجهان حسان ولا قبح في إضافة المصدر إلى المفعول مع وجود الفاعل» انظر: البحر المحيط ١٧١/٧، وقال السيوطي في الهمع ٩٤/٢: ويجوز إبقاؤه أي الفاعل مع الإضافة إلى المفعول في الأصح نحو قوله تعالى في قراءة=

٤٠٤١ - أَفَنَى تِلَادِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ نَشَبٍ قَرَعُ الْقَوَارِيرِ أَفَوَاهِ الْأَبَارِيقِ^(١)
بنصب «الأفواه» و «رفعها».

قوله: «كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ» أي مثل ذلك التفصيل البين نفصل. وقرأ أبو عمرو - في رواية يُفَصِّلُ - بياء الغيبة رداً على قوله: «ضَرَبَ لَكُمْ»، والباقون بالتكلم رداً على قوله «رَزَقْنَاكُمْ»^(٢) والمعنى يبين بالآيات والدلائل والبراهين القطعية والأمثلة: «لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم، والأمر لا يخفى بعد ذلك إلا على من لا يكون له عقل.

قوله تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٩) فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَأَتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

قوله: «بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ» أي لا يجوز أن يشرك مالك مملوكه ولكن الذين ظلموا أي أشركوا اتبعوا أهواءهم في الشرك «مَنْ غَيْرِ عِلْمٍ» أي من غير دليل جهلاً بما يجب عليهم، ثم بين أن ذلك بإرادة الله بقوله: «فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ» أي هؤلاء أضلهم الله فلا هادي لهم فلا يحزنك قولهم^(٣) ثم قال: «وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» مانعين يمنعونهم من عذاب الله - عز وجل -.

= يحيى بن الحارث الذماري عن ابن عامر: «ذَكَرَ رَحْمَةُ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكَرِيَّا» وقوله ﷺ: «وَحَجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» وقول الشاعر:

قَرَعُ الْقَوَارِيرِ أَفَوَاهِ الْأَبَارِيقِ

وقيل: لا يجوز إلا في الشعر.

(١) من البسيط، وهو للأشعر الأندلسي، وقوله: «تِلَادِي» التلاد جمع «تليد» وهو المال الموروث، و «النشَب» المال، والقوارير: مفردا: قارورة وهي معروفة، ويروى «القوايز» مفردا: قاقوزة، وهي الكأس الصغيرة، والأباريق كل ما له عروة أو خُزْطُوم من الآنية. وهو يخبرنا أنه مسرف ولم يرثه وارث فقد أفنى ثروته في شرب الخمر والبيت يروى برفع «أفواه»، ونصبها. فمن رفع - وهو شاهدا - فقد أضاف المصدر إلى المفعول مع وجود الفاعل وهو «الأفواه» وعنده لا قبح حيث وجد شاهد دال على ذلك، ومن نصب فقد أضاف المصدر إلى الفاعل وعليه فلا مشكلة.

انظر: البحر المحيط ١٧١/٧، والمقتضب ١٥٩/١، والإنصاف ٢٣٣، والتصريح ٦٤/٢، والمغني ٥٣٦، والأشموني ٢٨٩/٢، والهمع ٩٤/٢، وأوضح المسالك لابن هشام ١٥٥، واللسان: «ق ق ز»، وشذور الذهب ٤٥٨.

(٢) برواية عياش، انظر: السبعة لابن مجاهد ٥٠٧، والدر المصون ٤٢٤/٤، والبحر ١٧١/٧.

(٣) وفي هذا رد على القدرية وانظر: القرطبي ٢٣/١٤.

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ أي أخلص دينك لله قال سعيد بن جبير: وإقامة الوجه إقامة الدين. وقال غيره: سَدَّدَ عَمَلَكَ. والوجه ما يتوجه إليه، وقيل: أقبل بكَوْنِكَ عَلَى^(١) الدين. عبر عن الذات بالوجه كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أي ذاته بصفاته.

قوله: «حَنِيفًا» حال من فاعل «أقم» أو من مفعوله، أو من «الدِّينِ»^(٢) ومعنى حنيفًا مائلاً إليه مستقيماً عليه^(٣)، ومِلَّ عن كل شيء لا يكون في قلبك شيء آخر، وهذا قريب من معنى قوله: «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

قوله: «فِطْرَةَ اللَّهِ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة كقوله: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٨] و ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨].

والثاني: أنه منصوب بإضمار فعل^(٤). قال الزمخشري: وإنما أضمره على خطاب الجماعة لقوله: «مُنِيْبِينَ إِلَيْهِ» وهو حال من الضمير في «الزُّمُو»^(٥).

وقوله: «وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا... وَلَا تَكُونُوا» معطوف على هذا المضمير، ثم قال: «أو عليكم فطرة الله»^(٦) ورد أبو حيان بأن كلمة الإغراء لا تضمر، إذ هي عَوْضٌ عن الفعل فلو حذفها لزم حذف العَوْضِ والمُعَوِّضِ عنه وهو إجحاف^(٧). قال شهاب الدين: هذا رأي البصريين وأما الكسائي وأتباعه فيجيزون ذلك^(٨).

فصل

ومعنى فطرة الله: دين الله وهو التوحيد^(٩) فإن الله فطر الناس عليه حيث أخرجهم من ظهر آدم وسألهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وقال عليه السلام «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا هُوَ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجْسِنَانِهِ»^(١٠)، فقوله:

(١) انظر: الطبري ٢٦/٢١.

(٢) الكشف ٢٢٢/٣، والبحر المحيط ١٧١/٧، والدر المصون ٣٣٢/٤.

(٣) القرطبي ٢٤/١٤.

(٤) أي الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله، وانظر هذين الإعرابين في البحر المحيط ١٧١/٧، والدر المصون ٣٢٢/٤، ومعاني القرآن ١٨٤/٤، والتبيان ١٠٤٠، والكشاف ٢٢٢/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧١/٤.

(٥) انظر: الكشف ٢٢٢/٣ وقد قال الزمخشري عند «فطرة» إن التقدير: الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله.

(٦) هذا بقية كلام الزمخشري. انظر: الكشف ٢٢٢/٣.

(٧) البحر المحيط ١٧٢/٧ مع تصرف طفيف في عبارته.

(٨) الدر المصون ٣٢٥/٤. (٩) معاني الفراء ٢/٣٢٤.

(١٠) الحديث في الكشف ٢٢٢/٣ والقرطبي ٢٤/١٤ برواية أبي هريرة - رضي الله عنه -.

«على الفطرة»، يعني على العهد الذي أخذه عليهم بقوله: «ألست بربكم قالوا بلى» وكل مولود في العالم على ذلك الإقرار وهي الفطرة التي وقع الخلق عليها وإن عبد غيره قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرع المأمور به، وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين^(١). وقيل: الآية مخصوصة بالمؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الإسلام، روي عن عبد الله بن المبارك قال معنى الحديث: إن كل مولود يولد على فطرته أي على خلقته التي جبل عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن أمارات الشقاء أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه لشقائه على اعتقاده دينهما، وقيل: معنى الحديث أن كل مولود في مبدأ الخلقة على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المنهي لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها؛ لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول، وإنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره لآفة من النشوء والتقليد فمن يسلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره، ذكر هذه المعاني أبو سليمان الخطابي في كتابه.

قوله: «لا تبدل لخلق الله» فمن حمل الفطرة على الدين قال معناه: لا تبدل لدين الله، فهو خبر بمعنى النهي، أي لا تبدلوا دين الله، قاله مجاهد^(٢) وإبراهيم^(٣) والمعنى الزموا فطرة الله أي دين الله فاتبعوه، ولا تبدلوا التوحيد بالشرك. وقيل: هذا تسلية للنبي - ﷺ - عن الحزن حيث لم يؤمن قومه فقال: هم خلقوا للشقاوة، ومن كتب شقياً لا يسعد، وقال عكرمة ومجاهد: معناه^(٤) تحريم إخصاء البهائم، ثم قال: «ذلك الدين القيم» المستقيم الذي لا عوج فيه «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» أن ذلك هو الدين المستقيم^(٥).

قوله: «مبين» حال من فاعل «الزموا»^(٦) المضمر كما تقدم، أو من فاعل «أقم» على المعنى لأنه ليس يراد به واحد بعينه، وإنما المراد الجميع، وقيل: حال من

(١) وهو قول ابن زيد أيضاً، انظر: الطبري ٢٦/٢١، والقرطبي ٢٤/١٤ و ٢٦/٢٥.

(٢) انظر: القرطبي ٣١/١٤.

(٣) السابق وإبراهيم هو: إبراهيم بن سويد النخعي الكوفي الأعور عن علقمة والأسود، وعنه سلمة بن كهيل وزيد اليامي. انظر: خلاصة الكمال ١٨.

(٤) انظر: القرطبي أيضاً ٣١/١٤ وهذا عن ابن عباس وعمر بن الخطاب.

(٥) نقله في القرطبي ٣١/١٤.

(٦) نقله في البحر المحیط ١٧٢/٧ والدر المصنوع ٣٢٥/٤ والتبيان ١٠٤٠، وانظر: إعراب النحاس ٣/

٢٧٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج كما سيأتي أيضاً ١٨٥/٤ فضلاً عن الكشاف للزمخشري ٢٢٢/٣.

(٧) البيان ٢٥٩/٢ والمراجع السابقة.

«النَّاسُ»^(١) إِذَا أَرِيدَ بِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَقَالَ الزَّجَاجُ بَعْدَ قَوْلِهِ: «وَجَهَكَ» مَعْطُوفٌ تَقْدِيرُهُ «فَأَقِمَّ وَجْهَكَ وَأَمَّتَكَ» فَالْحَالُ مِنَ الْجَمِيعِ، وَجَارَ حَذْلُ الْمَعْطُوفِ لِدَلَالَةِ «مُتَّبِعِينَ» عَلَيْهِ، كَمَا جَازَ حَذْفُهُ فِي قَوْلِهِ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ» أَيِ وَالنَّاسُ لِدَلَالَةِ: «إِذَا طَلَقْتُمْ» عَلَيْهِ، كَذَا زَعَمَ الزَّجَاجُ^(٢)، فِي «يَأْتِيهَا النَّبِيُّ» [الطَّلَاق: ١] وَقِيلَ: عَلَى خَبَرِ كَانَ، أَيِ كُونُوا مُتَّبِعِينَ، لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: «وَلَا تَكُونُوا»^(٣).

فصل

معنى متبیین إليه أي^(٤) مُتَّبِعِينَ عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ، «وَأَتَّقُوهُ» أَيِ إِذَا أَقْبَلْتُمْ عَلَيْهِ، وَتَرَكْتُمُ الدُّنْيَا، فَلَا تَأْمَنُوا فَتَتْرَكُوا عِبَادَتَهُ بَلْ خَافُوهُ وَدَاوَمُوا عَلَى الْعِبَادَةِ «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(٥)؛ بِإِعَادَةِ الْعَامِلِ. وَتَقَدَّمَ قِرَاءَتَا «فَرَّقُوا» وَفَارَّقُوا» وَتَفْسِيرُ «الشَّيْعِ» أَيْضاً^(٦). قَوْلُهُ: «فَرَّقُوا» الظَّاهِرُ أَنَّهُ خَبَرٌ عَنْ «كُلِّ حِزْبٍ»؛ وَجُوزُ الزَّمْخَشَرِيِّ^(٧) أَنَّهُ يَرْتَفِعُ صِفَةً «لِكُلِّ» قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مِنَ الَّذِينَ» مُنْقَطِعاً مِمَّا قَبْلَهُ وَمَعْنَاهُ مِنَ الْمَفَارِقِينَ دِينَهُمْ كُلِّ حِزْبٍ فَرَحِينَ بِمَا لَدَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُ رَفَعَ «فَرَحِينَ» وَصفاً لِكُلِّ كَقَوْلِهِ: ٤٠٤٢ - وَكُلُّ خَلِيلٍ غَيْرُ هَاضِمٍ نَفْسِهِ^(٨) قَالَ أَبُو حَيَّانٍ: قَدَرُ أَوَّلَا «فَرَحِينَ» مُجْروراً صِفَةً «لِرَجُلٍ» وَهُوَ الْأَكْثَرُ^(٩) كَقَوْلِهِ:

(١) المراجع السابقة.

(٢) قَالَ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ: زَعَمَ جَمِيعُ النُّحَوِيِّينَ أَنَّ هَذَا فَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ لِأَنَّ مَخَاطَبَةَ النَّبِيِّ - ﷺ - يَدْخُلُ مَعَهُ فِيهَا الْأُمَّةُ وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ».

(٣) ذَكَرَ هَذَا أَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ الْمِحْطِ ١٧٣/٧.

(٤) نَقَلَهُ الْفَرُطِيُّ ٣٢/١٤.

(٥) فِي مَعْظَمِ الْمُرَاجِعِ (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا - بَدَلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الْكَشَافُ ٢٢٢/٣ وَالْبَحْرُ الْمَحْطُ ١٧٣/٧ وَالدَّرُ الْمَصُونُ ٣٢٥/٤.

(٦) فِي الْأَنْعَامِ عِنْدَ الْآيَةِ ١٥٩ عِنْدَ قَوْلِهِ «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً» وَقَدْ قِيلَ هُنَاكَ: إِنَّ حِمَزَةَ وَالْكَسَانِي قَرَأَا «فَارَّقُوا» بِالْأَلْفِ وَالْبَاقُونَ بِالتَّشْدِيدِ وَانْظُرْ: الْبَابُ (مِيكَرُو فِيلِم). وَالْإِتِّحَافُ ٤٣٨ وَالسَّيْعَةُ ٢٧٤. وَقِيلَ: إِنَّ الشَّيْعَةَ أَتْبَاعُ الرَّجُلِ وَأَنْصَارُهُ وَجَمْعُهَا: شَيْعٌ، وَالشَّيْعَةُ: الَّذِينَ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَلَيْسَ كُلُّهُمْ مُتَّفِقِينَ.

(٧) انْظُرْ: الْكَشَافُ ٢٢٢/٣.

(٨) مِنَ الطَّوِيلِ وَهُوَ لِلشَّمَاخِ بْنِ ضَرَّارٍ الذَّيْبَانِي، وَعَجَزَهُ:

بِوَضْعٍ خَلِيلٍ صَارِمٍ أَوْ مُعَارِزٍ

وَالْهَضْمُ: الظَّلْمُ، وَالصَّارِمُ: الْقَاطِعُ، وَالْمُعَارِزُ: الْمُنْقَبِضُ. يَقُولُ: كُلُّ خَلِيلٍ لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ لَخَلِيلِهِ فَهُوَ ظَالِمٌ لَهُ قَاطِعٌ وَمُنْقَبِضٌ عَنْهُ. وَالْإِسْتِشْهَادُ بِالْبَيْتِ فِي كَلِمَةِ «غَيْرُ» فَيَجُوزُ رَفْعُهَا مِرَاعَةً «لِكُلِّ» وَيَجُوزُ جَرُّهَا مِرَاعَةً «لِخَلِيلٍ» وَالبَيْتُ اسْتِشْهَادٌ بِهِ الزَّمْخَشَرِيُّ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَجِيزُ لِأَنَّ «كُلَّ» مُضَافٌ إِلَى نَكْرَةٍ. وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(٩) انْظُرْ الْبَحْرَ ١٧٢/٧.

٤٠٤٣ - جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ لُزَّةً فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالَّذِهِمْ^(١)
وجاز الرفع نعتاً «لكل» كقوله :

٤٠٤٤ - وَلَهُتَّ عَلَيْهِ كُلُّ مُعْصِفَةٍ هُوَجَاءٌ لَيْسَ لِبِهَا زَنْرٌ^(٢)
وهو تقدير حسن .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَسْتَهُمْ فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾

قوله : «وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ» فَحُطَّ وَشُدَّةٌ ، «دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ» بالدعاء ، لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل بين أن لهم حالة يعترفون به^(٣) ، وإن كانوا ينكرونه^(٤) في وقت ما وهي حالة الشدة ، «ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً» ، خُصِبَ أو نعمة ، يعني إذا خلصناهم من تلك الشدة «إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» ، وقوله : «مِنْهُ» أي من الضر ، لأن الرحمة غير مطلقة لهم إنما هي على ذلك الضر وحده ، وأما الضر المؤخر فلا يذوقون منه رحمة ويحتمل أن يكون الضمير في «منه» عائد إلى الله تعالى ، والتقدير ثم إذا أذاقهم الله من فضله رحمة خلصهم بها من ذلك الضر .

قوله : «إِذَا فَرِيقٌ» هذه «إِذَا» الْفَجَائِيَّةُ ، وَقَعَتْ جَوَابَ الشَّرْطِ ؛ لأنها كالفاء في أنها للتعقيب ولا يقع أول كلام ، وقد تجامعها الفاء زائدة^(٥) .

(١) هذا بيت من تمام الكامل وهو لعنترة العبسي ، و «جادت عليه» من الجؤد أي المطر . و «لُزَّة» غَنِيَّةٌ بالمطر دائمة ، والعين مطر أيام لا يتقطع خمسة أو ستة أيام . والحدائق : الحيطان التي فيها النخل و «كالذهر» في الاستدارة بالماء . وقد تقدم .

(٢) هذا بيت من تمام الكامل أيضاً لابن أحمز في وصف ربح تَجِيءُ على منازل أَصْحَابِهِ ولا تستقيم في هُوبِهَا على حال واحدة فهي كالناقة الهوجاء ، واللُبُّ : العقل ، والزُّبُرُ : الإحكام ، وَلَهُتَّ : حَفَّتْ والشاهد : في كلمة «هوجاء» رفعها وصفاً «لكل» ، ويجوز فيه - على الأكثر - الجر - بالفتح حيث لا ينصرف - وصفاً لـ «معصفة» . وانظر : الكتاب ٣/ ٢٢٢ واللسان : «ز ب ره ه و ج» وحاشية يس ٢/ ٣٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢/ ١٤٥ ، والبحر المحيط ٧/ ١٧٢ وانظر هذه الآيات السابقة في الدر المنصور ٣٢٦/ ٤ .

(٣) في تفسير الفخر الرازي : حالة يعترفون بها .

(٤) وفيه : ينكرونها .

(٥) قال في الكتاب ٣/ ٦٣ و ٦٤ «واعلم أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء . . . وسألت الخليل عن قوله - عز وجل - : «وَأَنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» فقال : هذا كلام معلق بالكلام الأول كما كانت الفاء معلقة بالكلام الأول وهذا ها هنا في موضع قنطوا وما يجعلها في منزلة أنها لا تجيء مبتدأة . وزعم الخليل أن إدخال الفاء على «إِذَا» قبيح» .

وقال السيوطي في الهمع ٢/ ٦٠ : «وينوب عنها في الأصح إذا الفجائية في جملة اسمية غير طالبة ولا =

فإن قيل^(١): ما الحكمة في قوله ههنا: «إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ»، وقال في موضع: «فَلَمَّا نَبَّأَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» ولم يقل: فَرِيقٌ.

فالجواب: أن المذكور هناك غير معين، وهو ما يكون من هَوَل البحر، والتخلص منه بالنسبة إلى الخلق قليل، والذي لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم فهم في غاية القلة، فلم يجعل المشركين فريقاً لقلة من خرج من الشرك وأما المذكور ههنا الضر مطلقاً فيتناول ضرَّ البحر والأمراض والأهوال، والمتخلص من أنواع الضر خلقٌ كثير بل جميع الناس يكونون قد وقعوا في ضر ما فتخلصوا منه والذي لا يبقى بعد الخلاص مشركاً من جميع الأنواع إذا جمع فهو خلق عظيم وهم جميع المسلمين فإنهم تخلصوا من ضرٍّ ولم يبقوا مشركين، وأما المسلمون فلم يتخلصوا من ضرَّ البحر بأجمعهم فلما كان الناجي من الضر المؤمن جمعاً كثيراً سمي الباقي فريقاً.

قوله: «لِيَكْفُرُوا» يجوز أن تكون لام «كي» وأن تكون لام الأمر ومعناه التهديد^(٢) كقوله: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ»^(٣) ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد فقال: «فَتَمَتَّعُوا».

قرأ العامة بالخطاب فيه، وفي «تَعْلَمُونَ»، وأبو العالية بالياء فيهما، والأول مبني للمفعول. وعنه أيضاً «فَيَتَمَتَّعُوا»^(٤) بياء قبل التاء، وعن عبد الله^(٥) «فَلَيَتَمَتَّعُوا» بلام الأمر^(٦)، والمعنى: فسوف تعلمون حالكم في الآخرة.

قوله: «أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا» أي بُرْهَانًا وَحُجَّةً، فإن جعلناه حقيقة كان يتكلم مجازاً^(٧)، وإن جعلناه على حذف مضاف أي ذا سلطان كان يتكلم حقيقة، وقال أبو البقاء هنا: وقيل: هو جمع سليط كـرغيف ورغفان انتهى^(٨).

= منفية، قال أبو حيان النصوص متضافرة في الكتب على الإطلاق في الربط «بِإِذَا» وإن السماع إنما ورد في إن قال تعالى: «وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون» فيحتاج في إثبات ذلك في غير «إن» من الأدوات إلى سماع.

وللأخفش رأي هنا في هذه الآية يقول في المعاني: «إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» هو الجواب؛ لأنَّ «إِذَا» معلقة بالكلام الأول بمنزلة الفاء. انظر: معاني القرآن للأخفش ٦٥٧/٢.

(١) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ١٢٢/٢٥.

(٢) انظر: البحر المحيط ١٧٣/٧، والدر المصون ٣٢٧/٤.

(٣) من الآية ٤٠ من سورة «فصلت» والاستشهاد أن اللام إذا كانت للأمر فإن المعنى يكون على التهديد والوعيد كما قرره في البحر المرجع السابق.

(٤) انظر: البحر المحيط ١٧٣/٧ والمحتسب لابن جني ١٦٤/٢.

(٥) هو ابن مسعود وقد عرفت به.

(٦) الكشف ٢٢٢/٣، والقرطبي ٣٣/١٤ والبحر المحيط ١٧٣/٧، والدر المصون ٣٢٧/٤.

(٧) الكشف ٢٢٢/٣ و ٢٢٣. (٨) انظر: التبيان ١٠٤٠ و ١٠٤٠.

قال شهاب الدين: وهذا لا يجوز لأنه كان ينبغي أن يقال ^(١) فهم يتكلمون. و «فَهُوَ يَتَكَلَّمُ» جواب الاستفهام الذي تضمنته «أم» المنقطعة ^(٢)، وهذا استفهام بمعنى الإنكار أي ما أنزلنا بما يقولون سلطاناً، قال ابن عباس: حجة وعُذرا ^(٣)، وقال قتادة: كتاباً يتكلم بما كانوا به ^(٤) يشركون «أي ينطق بشركهم».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَتَابَ ذَا الْقُرْآنِ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ ذَلِكَ حَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله: «وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً» أي الخضب وكثرة المطر ^(٥) «فَرِحُوا بِهَا» يعني فرح البطر لما بين حال الشرك الظاهر شرکه، بين حال الشرك الذي دونه وهو من تكون عبادته للدينا، فإذا أعطاه رضي، وإذا منعه سخط وقنط، ولا ينبغي أن يكون كذلك بل ينبغي أن يعبد الله في الشدة والرخاء.

فإن قيل: الفرح بالرحمة مأمور به قال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨] وههنا ذمهم على الفرح بالرحمة.

فالجواب: هناك قال افرحوا برحمة الله من حيث إنها مضافة إلى الله، وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم إذا كان من الله ^(٦).

قوله: «وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ» أي الجذب وقلة المطر ^(٧)، وقيل: الخوف ^(٨) والبلاء «بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» من السيئات «إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» ييأسون من رحمة الله ^(٩)، وهذا خلاف وصف المؤمنين فإنهم يشكرونه عند النعمة، ويرجونّه عند الشدة.

قوله: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» ألم يعلموا أن الكل من الله فالمحق ينبغي أن لا يكون نظره إلى ^(١٠) ما يوجد بل إلى من يوجد وهو الله، فلا يكون له تبدل حال وإنما يكون عنده الفرح الدائم ولذلك قال: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

(١) انظر: الدر المصون ٣٢٧/٤. (٢) المرجع السابق والبحر المحيط ١٧٣/٧.

(٣) انظر: القرطبي ٣٤/١٤. (٤) السابق ٣٣/١٤.

(٥) قاله يحيى بن سلام والنقاش، انظر: القرطبي ٣٤/١٤.

(٦) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٢٣/٢٥. (٧) قاله السدي القرطبي ٣٤/١٤.

(٨) قاله مجاهد المرجع السابق. (٩) المرجع السابق.

(١٠) تفسير الفخر الرازي ١٢٤/٢٥. وفي تفسير الفخر هذا: «المحقق» وليس «المحق».

قوله: «فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» من البرِّ والصلة، و «الْمَسْكِينِ» بَأَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَابْنُ السَّبِيلِ يعني المسافر، وقيل: الضيف^(١). وخص هذه الأصناف الثلاثة بالذكر دون بقية الأصناف الثمانية المذكورة في الصدقات^(٢)، لأنه أراد ههنا^(٣) بيان من يجب الإحسان إليه على كل من له مال، سواء كان زَكَوِيًّا أو لم يكن وسواء كان قبل الْحَوْلِ أم بعده؛ لأن المقصود هنا الشفقة العامة وهؤلاء الثلاثة يجب الإحسان إليهم وإن لم يكن للإنسان مال زائد أما القريب فتجب نفقته عليه إذا كان له مال وإن لم يحلَّ عليه الْحَوْلُ والمسكين كذلك، فإن من لا شيء له إذا وقع في الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على القادر دفع حاجته وإن لم يكن عليه زكاة، والفقير داخل في المسكين لأن من أَوْصَى للمساكين بشيء يُضَرَفُ إلى الفقير أيضاً وإذا نظرت إلى الباقيين من الأصناف رأيتهم لا يجب صرف المال إليهم إلا على الذين وَجِبَتْ الزكاة عليهم وقدم القريب لأن دفع حاجته واجب سواء كان في مَخْمَصَةٍ أو لم يكن فلذلك قُدِّمَ على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكاة إلا إذا كان في شدة، وأما المسكين فحاجته ليست مختصة بموضع، فقدم على من حاجته مختصة بموضع دُونَ مَوْضِعٍ.

قوله: «ذَلِكَ خَيْرٌ» يحتمل أَنْ يُرَادَ: «خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهِ»، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خَيْرٌ فِي نَفْسِهِ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ» أَي يَطْلُبُونَ ثَوَابَ اللَّهِ مِمَّا يَعْمَلُونَ «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». فإن قيل: كيف قال: «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»؟ مع أن للإفلاح شرائط أخرى مذكورة في قوله: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ»؟!

فالجواب: كل وصف مذكور هنا^(٤) يفيد الإفلاح، وكذا الذي أتى المال لوجه الله يفيد الإفلاح اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا وَجَدَ مَانِعٌ مِنْ ارْتِكَابِ مُحْظَرٍ أَوْ تَرْكِ وَاجِبٍ. فإن قيل: لِمَ لَمْ يَذْكُرْ غَيْرَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ كَالصَّلَاةِ وَغَيْرِهِ؟.

فالجواب: الصَّلَاةُ مذكورة من قبل وكذا غيرها في قوله: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا»، وقوله «مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

فإن قيل: قوله في البقرة: «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» إشارة إلى من أقام الصلاة وآتى الزكاة، وآمن بما أنزل على الرسول وبما أنزل من قبل^(٥) وبالأخريين فهو المفلح، وإذا كان المفلح منحصرًا في «أولئك» فهذا خارج عنهم فكيف يكون مفلحاً؟!

فالجواب: هذا هو ذاك لأن قوله: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ» أمر بذلك، فإذا أتى

(١) القرطبي ٣٥/١٤.

(٢) وهي قول الله: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ» وهي الآية ٦٠ من التوبة.

(٣) انظر هذا كله في تفسير الفخر الرازي ١٢٤/٢٥ و ١٢٥.

(٤) الأصح هناك أي في المؤمنون. (٥) في تفسير الفخر: من قبله.

بالصلاة، وآتى المال، وأراد وجه الله ثبت أنه من مُقيمي الصلاة ومؤتي الزكاة ومعترف بالآخرة^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (٣٩) **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** (٤٠)

قوله: «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا»، قرأ ابن كثير أتيتم مقصوراً، وقرأ الآخرون^(٢) بالمد أي أعطيتكم ومن قصر فمعناه جئتم من رباً ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء كما نقول: آتيت خطأ، وآتيت صواباً^(٣) وهو يؤول^(٤) في المعنى إلى قول من مد.

قوله: «لَيْرَبُوا» العامة على الياء^(٥) تحت مفتوحة، أسند الفعل لضمير «الرَّبِّا» أي ليزداد، ونافع ويعقوب بناء من فوق مضمومة خطاباً للجماعة، قالوا وعلى الأول لام الكلمة، وعلى الثاني كلمة، ضمير الغائبين^(٦).

فصل

ذكر هذا تحريضاً يعني أنكم إذا طلب منكم واحد باثنين (تَرَبُّوا)^(٧) غِبُونَ فيه وتؤثرونها، وذلك لا يربو عند الله فاختطاف^(٨) أموال الناس والزكاة تنمو عند الله كما أخبر النبي - ﷺ - «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ فَتَرَبُّو حَتَّى تَصِيرَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(٩) فينبغي أن يكون إقدامكم على الزكاة أكثر واختلفوا في معنى الآية قال سعيد بن جبير، ومجاهد وطاوس^(١٠) وقتادة والضحاك^(١١) وأكثر المفسرين: هو الرجل يعطي عبده

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ١٢٦/٢٥.

(٢) القرطبي ٣٦/١٤ والبحر المحيط ١٧٤/٧ ويدون نسبة في الكشف ٢٢٣/٣.

(٣) القرطبي ٣٦/١٤.

(٤) في «ب» مثول.

(٥) مختصر ابن خالويه ١١٦ والسبعة ٤٠٧ والإتحاف ٣٤٨ وانظر في توجيه ذلك الكشف ١٨٤/٢ و ١٨٥ ومعاني الفراء ٣٢٥/٢ والبحر ١٧٤/٧.

(٦) المراجع السابقة والدر المصون ٣٢٧/٤.

(٧) هذا الجزء من الكلمة ساقط من «ب».

(٨) في «ب» اختطاف.

(٩) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٢٦/٢٥.

(١٠) طاووس: هو ابن كيسان اليماني الجندي عن أبي هريرة، وعائشة وابن عباس، وزيد بن ثابت،

وزيد بن أرقم وغيرهم وعنه: مجاهد، وعمرو بن شعيب، والزهرى مات سنة ١٠٦، انظر: خلاصة

الكمال ١٨١.

(١١) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني المفسر يروى تفسيره عن عبيد بن سليمان،

صدوق، كثير الإرسال من الطبقة الخامسة مات بعد المائة، انظر: طبقات المفسرين للداودي

العطية لِيُثَبِّبَ أَكْثَرَ^(١) مِنْهَا، فهذا جائز حلالاً، ولكن لا يثاب عليه في الفقه^(٢) فهو^(٣) معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَزْبُؤُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وكان هذا حراماً على النبي - ﷺ - خاصة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المائدة: ٩] أي لا تعطي وتطلب أكثر مما أعطيت، وقال النخعي: هو الرجل يعطي صديقه وقريبه ليكثر ماله، ولا يريد به وجه الله^(٤). وقال الشعبي: هو الرجل يَلْتَزِقُ بالرجل^(٥) فيجزيه^(٦) ويسافر معه فيحصل له ربح ماله التماس عونه لا لوجه الله فَلَا يَزْبُؤُ عند الله؛ لأنه لم يُرِدْ به وَجْهَ الله «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ» أعطيت من صدقة تريدون وجه الله.

قوله: «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» أي أصحاب الأضعاف، قال الفراء: نحو مُسْمِنٍ^(٧) ومُعْطِشٍ أي ذي إبل سَمَانٍ وعَطَاشٍ، وتقول العرب: القوم مُهْزَلُونَ ومُسْمِنُونَ، إذا هَزَلَتْ وَسَمِنَتْ^(٨)، فالْمُضْعِفُ ذو الأضعاف من الحسنات وقرأ «أَبِي» بفتح العين^(٩)، وجعله اسم مفعول. وقوله: «(فَأُولَئِكَ^(١٠) هُمُ» قال الزمخشري: «التفات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه) فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم «هم الْمُضْعِفُونَ» والمعنى هم الْمُضْعِفُونَ به لأنه من ضمير يرجع إلى «مَا انْتَهَى^(١١)» يعني أن اسم الشرط مَتَى كان غير ظرف وَجَبَ عَوْدُ ضمير من الجواب عليه. وقد تقدم ذلك في البقرة عند: «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ»^(١٢) ثم قال: «ووجه آخر: وهو أن يكون تقديره فَمُؤْتُوهُ فَأولئك هم المضعفون، والحذف لباقي الكلام من الدليل عليه»، وهذا أسهل مأخذاً، والأول أملاً بالفائدة.

قوله: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ» يجوز في خبر الجلالة وجهان:

أظهرهما: أنه الموصول بعدها^(١٣).

والثاني: أنه الجملة^(١٤) من قوله: «هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ» والموصول

(١) القرطبي ٣٦/١٤.

(٢) في «ب» الغنime.

(٣) في «ب» فهذا معنى.

(٤) المرجع السابق.

(٥) السابق.

(٦) في «ب» فيخدمه.

(٧) انظر: معاني القرآن له ٣٢٥/٢.

(٨) في «ب» يهزلون ويسمنون وعبرة الفراء كما في المعاني ٣٢٥/٢ «كما تقول العرب: أَصْبَحْتُمْ مُسْمِنِينَ مُعْطِشِينَ إذا عطشت إبلهم أو سَمِنَتْ».

(٩) وهي من القراءات الشاذة، وانظر: مختصر ابن خالويه ١١٦.

(١٠) ما بين القوسين كله ساقط من «ب» وموجود بالكشاف و «أ».

(١١) ما بين القوسين ساقط من «ب» وموجود بالكشاف وانظر: الكشاف ٢٢٤/٣.

(١٢) الآية ٩٧ من البقرة فلا يجوز: «مَنْ يَقُمْ فَمَحَمَّدٌ مُكَافِيٌّ».

(١٣) في «ب» بعده.

(١٤) انظر: الكشاف ٢٢٤/٣ والقرطبي ٤٠/١٤ والبحر المحيط ١٧٥/٧ والدر المصون ٣٢٨/٤.

(صفة)^(١) للجلالة. وقدر الزمخشري الرابط المبتدأ، والجملة الرافعة (خبراً) فقال: «من ذلكم» هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ، لأن معناه من أفعاله. قال أبو حيان: والذي ذكره^(٢) النحويون أن اسم الإشارة يكون رابطاً إذا أشير^(٣) به إلى المبتدأ، وأما ذلك^(٤) هنا فليس بإشارة إلى المبتدأ لكنه شبيه بما أجازاه الفراء من الرِّبْط بالمعنى^(٥) وذلك في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤَقِّفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٤] قال: التقدير يَتَرَبَّصْنَ أَزْوَاجَهُمْ، فقدر الرابط^(٦) بمضاف إلى ضمير «الذين» فحصل به الربط كذلك قدر الزمخشري «من ذلكم» من أفعاله بمضاف إلى^(٧) الضمير العائد إلى المبتدأ.

قوله: «الَّذِي خَلَقَكُمْ» أوجدكم «وَرَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ» جمع في هذه الآية بين الحشر والتوحيد، أما الحشر فقوله: «يُحْيِيكُمْ»، وأما الدليل فقدرته على الخلق ابتداءً وأما التوحيد، فقوله: «هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ» ثم قال: «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» أي سبحانه وتعالى ولا تصفوه بالإشراك^(٨). وقوله: «تَعَالَى» أي لا يجوز ذلك عليه.

قوله: «مِنْ شُرَكَائِكُمْ» خبر مقدم و «مِنْ» لِلتَّبْعِيضِ و «مَنْ يَفْعَلُ» هو المبتدأ، و «ذَلِكَ» متعلق بمحذوف، لأنه حال من «شَيْءٍ» بعده فإنه في الأصل صفة له و «مِنْ» الثانية مزيدة في المفعول به؛ لأنه في حَيْزِ النفي المستفاد من الاستفهام والتقدير: ما الذي يفعل شيئاً مِنْ ذَلِكَ مِنْ شُرَكَائِكُمْ؟^(٩).

وقال الزمخشري: «ومن الأولى والثانية كل واحدة مستقلة تأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم»^(١٠).

وقال أبو حيان: ولا^(١١) أدري ما أراد بهذا الكلام؟ وقرأ الأعمش «تشركون» بقاء الخطاب^(١٢).

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ

(١) ساقط من «ب».

(٢) فيه: إذا كان أشير به.

(٣) وفيه: وخالفه الناس وذلك الخ. . . .

(٤) وفيه: فقه: انظر: البحر المحيط ١٧٥/٧.

(٥) وفيه: فقه: انظر: تفسير الإمام الفخر ٢٧/٢٥.

(٦) وفيه: فقه: انظر: البحر المحيط ١٧٥/٧، والدر المصون ٣٢٩/٤.

(٧) وفيه: فقه: انظر: البحر المحيط ١٧٥/٧، والدر المصون ٣٢٩/٤.

(٨) وفيه: فقه: انظر: البحر المحيط ١٧٥/٧، والدر المصون ٣٢٩/٤.

(٩) وفيه: فقه: انظر: البحر المحيط ١٧٥/٧، والدر المصون ٣٢٩/٤.

(١٠) وفيه: فقه: انظر: البحر المحيط ١٧٥/٧، والدر المصون ٣٢٩/٤.

(١١) وفيه: فقه: انظر: البحر المحيط ١٧٥/٧، والدر المصون ٣٢٩/٤.

كَانَ أَكْثَرُهم مُمْتَرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَنِينِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبَاقِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾

قوله : «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» وجه تعلق الآية بما قبلها أن الشرك سبب الفساد كما قال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء : ٢٢] وإذا كان الشرك سببه جعل الله إظهارهم الشرك مورثاً لظهور الفساد ولو فعل (بهم^(١)) ما يقتضيه قولهم لفسدت السموات والأرض، كما قال تعالى : ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِعْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَكَ﴾ [مريم : ٩٠ ، ٩١] ولهذا أشار بقوله : «لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا»، واختلّفوا في قوله : «في البرِّ والبحرِّ»، فقيل : المراد خوف الطوفان في البحر والبر، وقيل : عدم إنبات بعض الأرض وملوحة مياه البحار. وقيل : المراد قحط المطر وقلة النبات، وأراد بالبرِّ البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التي على المياه الجارية.

قال عكرمة : العرب تسمي المضر^(٢) بخرأ تقول : أجذب البر وانقطعت مادة البحر. قوله : «بما كسبت» أي بسبب كسبهم، والباء متعلقة «بظَهَرَ» أو بنفس^(٣) الفساد. وفيه بُعْد (والمعنى بشؤم ذنوبهم) وقال (ابن^(٤)) عَطِيَّة : البر ظهر الأرض الأمصار وغيرها، والبحر هو البحر المعروف، والفساد قلة المطر يؤثر في البر والبحر أما تأثيره في البر فهو القحط وأما تأثيره في البحر فيخلو أجواف الأصداق؛ لأن الصدق إذا جاء المطر يرتفع إلى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع^(٥) فيه من المطر صار^(٦) لؤلؤاً. قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد : الفساد في البرِّ قتل أحد ابني آدم أخاه وفي البحر غَضَبُ الملك الجائر السفينة^(٧). وقال الضحاك : كانت الأرض^(٨) خَضِرَةً مونقة لا يأتي ابن آدم بشجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان ما في البحر عَذْباً وكان لا يقصد الأسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل أَفْشَعَتْ الأرض وشَاكَبَ الأشجار، وصار ماء البحر ملحاً زُعَاقاً وقصد الحيوان بعضه بعضاً. وقال قتادة^(٩) : هذا قبل مَبْعَثِ النبي - ﷺ - امتلأت الأرض ظلماً وضلالة فلما بعث الله محمداً - عليه الصلاة والسلام^(١٠) - رجع الراجعون من الناس «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمُ الْمَلَأَتْ» من المعاصي «يعني كفار مكة».

قوله : «لِيَذِيقَهُمُ» اللام للعلّة متعلق «بظَهَرَ»^(١١)؛ وقيل : بمحذوف^(١٢)، أي عاقبهم

(١) ساقط من «ب».

(٢) انظر هذه الآراء كلها في تفسير القرطبي ١٤ / ٤٠ و ٤١.

(٣) الكشف ٣ / ٢٢٤.

(٤) ساقط من «أ» وهي الأصح فهو العوفي.

(٥) في «ب» : فما وقع فيه.

(٦) في «ب» : فهو لؤلؤ.

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٣٠ / ٤٣٥.

(٨) المرجع السابق.

(٩) في «ب» : ﷺ.

(١٠) القرطبي ١٤ / ٤٠ و ٤١.

(١١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٢٥ والدر المصون ٤ / ٣٣٠ والتبيان ١٠٤١.

(١٢) المراجع السابقة.

بذلك لِيُذِيقَهُمْ وقيل: اللام للصيرورة^(١). وقرأ قُتِبِلَ^(٢): «لِيُذِيقَهُمْ» بنون^(٣) العظمة، والباقون بياء الغيبة والمعنى: لنذيقهم عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» عن الكفر وأعمالهم الخبيثة، قوله: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ» لما بين حالهم بظهور الفساد في أحوالهم بسبب فساد أقوالهم بين لهم ضلال أمثالهم وأشكالهم الذين كانت أفعالهم كأفعالهم فقال: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ» أي قوم نوح وعاد وثمود لِيَرَوْا مَنَازِلَهُمْ ومسكنهم خاوية «كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ» فأهلكوا بكفرهم.

قوله: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ» لما (نهى^(٤)) الكافرين^(٥) عما هم عليه، أمر المؤمنين بما هم عليه وخاطب النبي - عليه الصلاة والسلام^(٦) - ليعلم المؤمن فضيلة ما هو^(٧) مكلف به فإنه أمر بما شرف الأنبياء الذين القيم أي المستقيم وهو دين الإسلام.

قوله: «مِن قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ» المرد مصدر «رَدَّ» و «من الله» يجوز أن يتعلق ب «يَأْتِي» أو بمحذوف يدل عليه المصدر أي لا يرده من الله أحد^(٨)، ولا يجوز أن يعمل فيه «مرد» لأنه كان ينبغي أن يُنَوَّنَ؛ إذ هو من قبيل الْمُطَوَّلَاتِ^(٩)، والمراد يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الله وغيره عاجز عن رده، فلا بد من وقوعه. «يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ» أي يتفرون فريق في الجنة، وفريق في السعير، ثم أشار إلى التفريق بقوله: «مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» أي وبال كفره «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ» أي يُوطَّئُونَ المضاجع ويسوونها في القبور. قوله: «فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» و «فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ» تقديم الجارين يفيد الاختصاص^(١٠) يعني أن ضرر كفر هذا، ومنفعة عمل هذا لا يتعداه، ووحيد الكناية في قوله: «فَعَلَيْهِ» وجمعها في قوله: «فَلَا نَفْسَهُ» إشارة إلى أن الرحمة أعم من الغضب فتشمله وأهله وذريته، وأما الغضب فمسيوق بالرحمة لازم لمن أساء وقال: «فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ»

(١) الكشاف ٢٢٤/٣.

(٢) قبل: محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن سعيد أبو عمر المخزومي مولاهم المكي المقب بقتل شيخ القراء بالحجاز أخذ القراءة عن أحمد بن عوف وروى القراءة عنه البرقي وغيره مات سنة ٢٩١.

انظر غاية النهاية ١٦٥ و ١٦٦/٢.

(٣) انظر: الكشاف ٢٢٤/٣ والبحر المحيط ١٧٦/٧ والإتحاف ٣٤٨ والقرطبي ٤١/١٤ وهي قراءة السلمي ويعقوب وابن عباس أيضاً.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب». (٥) في «ب» الكافر بدلاً من الكافرين.

(٦) في «ب» ﷺ. (٧) نقله الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٢٩/٢٥.

(٨) ذكره الزمخشري في كشافه ٢٢٥/٣ وفيه «حد» بدل أحد.

(٩) يريد أنه شبه بالمتضاف لأنه لما كان غير منون وتعلق به ما بعده وهو قوله: «له» اكتفي به لأن المتضاف لا يضاف إلى شيئين منفصلين في وقت واحد.

(١٠) هذا هو المفهوم من كتاب الكشاف للزمخشري ٢٢٤/٣.

ولم يبين وقال في المؤمن: «فَلَا تَنْفُسُهُمْ يَمْهَدُونَ» تحقيقاً لكمال الرحمة، فإنه عند الخير بين بشارة وعند غيره أشار إليه إشارة^(١).

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٥) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ الْفُلُكَ بِأَمْرِهِ وَلِيَتَنَبَّأُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

قوله: «لِيَجْزِيَ» في مُتَعَلِّقِهِ أوجه:

أحدها: «يمهدون».

والثاني: «يصدعون».

والثالث: محذوف^(٢). (و) قال ابن عطية: تقديره^(٣): «ذلك لِيَجْزِيَ» وتكون الإشارة إلى (ما تقدر من^(٤)) قوله: «من كفر ومن عمل».

هذا قوله وجعل أبو حيان قسيم قوله: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا» محذوفاً لدلالة قوله «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» عليه^(٥) هذا إذا علق اللام بـ «يصدعون» أو بذلك المحذوف، قال: تقديره «ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله والكافرين بعدله»^(٦).

فصل

قال ابن عباس: «ليجزى الذين آمنوا وعملوا ليشيهم الله أكثر من ثواب أعمالهم».

قوله: «ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات» لما ذكر ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر أنه سبب العمل الصالح لأن الكريم لا يذكر لإحسانه عوضاً ويذكر لإضراره سبباً لثلاث توهم (به)^(٧) الظلم فقال: «يُرْسِلُ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ» قيل: بالمطر^(٨) كما قال تعالى: ﴿بَشْرًا بَرْقَ يَدَى رَحْمَتِهِ﴾ [النمل: ٦٣]، أي قبل الفطرة^(٩)، وقيل مبشرات بصلاح الأهوية والأحوال؛ فإن الرياح لو لم تهب لظهر الوباء والفساد^(١٠) وقرأ العامة: «الرياح» جمعاً لأجل «مبشرات»، والأعمش بالافراد، وأراد الجنس لأجل^(١١) «مبشرات».

(١) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ١٢٩/٢٥ و ١٣٠.

(٢) انظر: الكشف ٢٢٥/٣ والبحر المحيط ١٧٧/٧ والدر المصون ٤/٣٣٠.

(٣) نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط ١٧٧/٧.

(٤) ساقط من «ب» ولكنه في البحر و «أ» بالطبع.

(٥) انظر: البحر المحيط ١٧٧/٧.

(٦) المرجع السابق.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) في تفسير الفخر الرازي المطر بدل الفطرة.

(٩) نقله في التفسير الكبير للفخر الرازي ١٣٠/٢٥ و ١٣١. (١١) الإتحاف ٣٤٨ والبحر ١٧٨/٧.

قوله : «وَلِيُذِيقَكُمْ» إما عطف على معنى مبشرات لأن الحال والصفة يُفهمان العلة فكان التقدير : «ليُشِرَ وليُذِيقَكُمْ»^(١) وإما أن يتعلق بمحذوف أي وليُذِيقَكُمْ أَرْسَلَهَا، وإما أن يكون الواو مزيدة على رأي فتتعلق اللام بأن يرسل^(٢).

قوله : «وليُذِيقَكُمْ من رحمته» (نعمته)^(٣) بالمطر أو الخُصْب «وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ» لما أسند الفعل إلى الفلك عقبه بقوله «بِأَمْرِهِ» أي الفعل ظاهر عليه ولكنه بأمر الله، والمعنى في ولتجري الفلك في البحر بهذه الرياح بأمره وكذلك لما قال : «وَلِتَبْتَغُوا» مسنداً إلى العباد ذكر بعده «مِنْ (فَضْلِهِ)»^(٤).

أي لا استقلال لغيره بشيء، والمعنى لتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» هذه النعم.

فصل (٥)

قال تعالى : «ظهر الفساد - ليُذِيقَهُمْ بعض الذي عملوا» (وقال ههنا)^(٦) : «وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» فخطبهم ههنا تشریفاً، ولأن رحمته قريب من المحسنين والمحسنين قريب فيخطب والمسمى مُبْتَدَأ فلم يُخَاطَب وقال هناك : «بَعْضُ الَّذِي عَمِلْتُمْ» فأضاف ما أصابهم إلى أنفسهم، وأضاف ما أصاب المؤمن إلى رحمته فقال : «من رحمته» ؛ لأن الكريم لا يذكر لرحمته وإحسانه عوضاً فلا يقول أعطيتك لأنك فعلت كذا بل يقول هذا لك مني، وأما ما فعلت من الحسنة فجزاؤه بعد عندي، وأيضاً فلو قال : أرسلت بسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة، وأما إذا قال من رحمته كان^(٧) غاية البشارة وأيضاً فلو قال : بما فعلتم لكان ذلك موهماً^(٨) لِنَقْصَانِ ثوابهم في الآخرة، وأما في حق الكفار فإذا قال بما فعلتم إنما عن^(٩) نَقْصَانِ عقابهم وهو كذلك وقال^(١٠) : «لعلهم يَرْجِعُونَ» وقال ههنا : ولعلكم تشكرون، قالوا وإشارة إلى توفيقهم للشكر في النعم فعطف على النعم.

قوله^(١١) : «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَوْهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» لما بين الأصلين) بالبراهين ذكر الأصل الثالث وهو^(١٢) النبوة فقال : «ولقد أرسلنا من قبلك

(١) وهو ما يسمى بالعطف على التوهم البحر ٧٨/٧ والدر ٢٣١/٤.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) في «ب» فإن قيل بدلاً من «فصل».

(٦) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٧) في «ب» توهماً.

(٨) في «ب» فقال.

(٩) في «ب» فقال.

(١٠) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(١١) وانظر في هذا الفخر الرازي ١٣١/٢٥.

رسلاً» أي إرسالهم دليل رسالتك فإنهم لم يكن لهم شغل غير شغلك ولم يظهر عليهم غير ما أظهر^(١) عليك، ومن آمن بهم كان له (الانتصار)^(٢) ومن كذبهم أصابهم البوار، وفي تعلق الآية وجه^(٣) آخر وهو أن الله لما بين بالبراهين ولم ينتفع بها الكفار سلى قلب النبي عليه (الصلاة)^(٤) (و) السلام وقال: حالك كحال من تقدمك كان كذلك وجاءوا بالبينات أيضاً: أي بالدلائل والدلائل الواضحات على صدقهم وكان في قومهم كافر ومؤمن كما في قومك «فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا» عذبنا الذين كذبوهم ونصرنا المؤمنين.

[قوله: (٥) «وَكَانَ حَقًّا» وقف بعضهم على «حقاً» وابتدأ بما بعده فجعل اسم «كان» مضمرّاً فيها و «حقاً» خبرها، أي وكان الانتقام حقاً، قال ابن عطية: وهذا ضعيف^(٦) لأنه لم (يذكر^(٧)) قدر ما عرضه في نظم الآية يعني الوقف^(٨) على «حقاً»؛ وجعل بعضهم «حقاً» منصوباً على المصدر واسم كان ضمير (الأمر^(٩)) والشأن) و «علينا» خبر مقدم، و «نصر» اسم مؤخر، وجعل^(١٠) بعضهم «حقاً» خبرها و «علينا» متعلق «بحقاً»، أو بمحذوف صفة له^(١١)، فعلى الأول يكون بشارة للمؤمنين الذين آمنوا بمحمد - ﷺ - أي علينا نصركم أيها المؤمنون ونصرهم إنجاؤهم من العذاب، وعلى الثاني معناه وكان حقاً علينا؛ أي نصر المؤمنين كان حقاً علينا.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

قوله: «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا» أي تنشره وتبسطه في السماء كيف يشاء سيره يوماً أو يومين وأكثر على ما يشاء و «يَجْعَلُهُ كِسْفًا» قطعاً متفرقة، «فَتَرَى الْوَدْقَ» المطر «يخرج من خلاله» وسطه «فإذا أصاب به» بالودق «من يشاء من عبادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» أي يفرحون بالمطر.

قوله: «وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ» أي وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم.

(١) في «ب» ظهر بثلاثية الفعل. (٢) تصحيح من الفخر الرازي ففي النسختين «الانصار».

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٣٢/٢٥. (٤) زيادة من «ب».

(٥) زيادة من «ب». (٦) انظر: البحر المحيط ١٧٨/٧.

(٧) زيادة من «أ». (٨) التبيان ١٠٤١.

(٩) ساقط من «ب».

(١٠) في البحر ١٧٨/٧ والصحيح أن «نصر» اسمها و «حقاً» خبرها وعلينا متعلقة «بحقاً».

(١١) البحر المحيط ١٧٨/٧، والدر المصون ٣٣١/٤.

وقيل : وما كانوا (إلا^(١)) «مُتْلِسِينَ» أي آيسين^(٢).

قوله : «مِنْ قَبْلِهِ» فيه وجهان :

أحدهما : أنه تكرير «لِمَنْ قَبْلُ» الأولى على سبيل التوكيد^(٣).

والثاني : أن يكون غير مُكْرَّر^(٤) ؛ وذلك (أن يجعل)^(٥) الضمير في «قبله» للسحاب ، وجاز ذلك لأنه اسم جنس يجوز تذكره وتأنثه ، أو للريح^(٦) فتتعلق («مِنْ» الثانية^(٧)) بِيُنْزَلُ . وقيل : يجوز عود الضمير على «كِسْفًا» كذا أطلق أبو البقاء^(٨) ، وأبو حيان^(٩) ، وهذه بقراءة من سَكَنَ السَّيْنِ^(١٠).

وقد تقدمت قراءات «كِسْفًا» في «سُبْحَانَ»^(١١) . وقد أبدى الزمخشري وابن عطية (فائدة التوكيد^(١٢)) المذكور فقال ابن عطية أفاد^(١٣) الإعلام بسرعة تقلب^(١٤) قلوب البشر من الإبلاس إلى الاستينشار ، وذلك أن قوله : «مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ» يحتمل الفُسْحَةَ في الزمان أي من قبل أن ينزل بكثير كالأيام ونحوه ، فجاء قوله : «مِنْ قَبْلِهِ» (بمعنى^(١٥)) أن ذلك متصل بالمطر ، فهذا تأكيد مفيد . وقال الزمخشري^(١٦) : ومعنى التأكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد نَقَدَ^(١٧) فاستحكم بأسهم وتمادى إبلاسهم ، فكان استبشارهم على قدر اغتمامهم^(١٨) بذلك ، وهو كلام حسن ، إلا أن أبا حيان لم يَرْتَضِهِ منهما فقال : ما ذكره من فائدة التأكيد غير ظاهر وإنما هو^(١٩) لمجرد التوكيد ويفيد رفع المجاز انتهى . قال شهاب الدين ولا أدري عَدَمُ الظُّهُورِ لِمَاذَا^(٢٠).

(١) ساقط من «ب».

(٢) انظر : غريب القرآن ٣٤٢ واللسان : «أ ي س» والقرطبي ٤٤ / ١٤.

(٣) نقله الكشف ٢٢٦٥ / ٣ والأخفش في معانيه ٦٥٨ / ٢ والقرطبي ٤٤ / ١٤ والمحكم «قبل».

(٤) البحر المحيط ١٧٨ / ٧ وقد رجح ذلك أبو حيان.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) في «ب» أو الريح.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) التبيان ١٠٤٢.

(٩) البحر المحيط ١٧٨ / ٧.

(١٠) من «كسفا».

(١١) وهي قول الله تعالى : «أَوْ تُنْقِطُ السَّمَاءُ كَمَا زُحُمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا» ، وهي الآية ٩٢ من الإسراء . وقد

قرأ بإسكان السين على الأفراد أبو جعفر ، وابن ذكوان ، وهشام ، وقرأ بفتح السين جمعاً ابن كثير ونافع

وأبو عمرو ، وروى حفص عن عاصم أنه فتح السين في كل القرآن إلا الطور (٤٤).

انظر : اللباب ١١٣ / ٦ بتصرف والإنحاف ٣٤٨ والسبعة ٣٥٨ والبحر المحيط ٧٩ / ٦.

(١٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(١٣) المحرر الوجيز لابن عطية ، والبحر المحيط ١٧٨ / ٧ و ١٧٩.

(١٤) في «ب» تقلب.

(١٥) ساقط من «ب».

(١٦) الكشف ٢٢٦ / ٣.

(١٧) في الكشف بعد.

(١٨) في «ب» اهتمامهم.

(١٩) في «ب» وإنما هو.

(٢٠) انظر : الدر المصون ٣٣٢ / ٤.

قال قُطِرْبُ: وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ التَّنْزِيلِ مِنْ قَبْلِ الْمَطَرِ^(١)، وقيل التقدير^(٢) من قبل إنزالِ الْمَطَرِ من قبل أن يزرعوا، ودل المطر على الزرع لأنه يخرج بسبب المطر ودل على ذلك قوله: «فَرَأَوْهُ مُضْفَرًا» يعني الزرع قال أبو حَيَّانَ: وهذا لا يستقيم^(٣)؛ (لأن^(٤)) «مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ» متعلق «بمبلسين»، (ولا^(٥)) يمكن من قبل الزرع أن يتعلق «بمبلسين»؛ لأن حَرْفِي جَرُّ لا يتعلقان بعامل واحد إلا بوساطة حرف العطف (أ) و البَدَل، وليس هنا عطف والبَدَل لا يجوز إذ إنزال العَيْثُ ليس هو الزرع ولا الزرع بعضه، وقد يتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف إما لاشتمال (الإنزال^(٦)) على الزرع بمعنى أن الزرع يكون ناشئاً عن الإنزال فكان الإنزال مشتملاً عليه، وهذا على مذهب من يقول الأول مشتمل على الثاني. وقال المبرد^(٧) الثاني السَّحَاب؛ لأنهم لما رأوا السَّحَاب كانوا راجين الْمَطَرَ انتهى^(٨) يريد من قبل رؤية السحاب ويحتاج أيضاً إلى حرف عطف ليصح تعلق الحرفين بمبلسين^(٩). (وقال الرُّمَانِيُّ^(١٠) من قبل الإرسال^(١١))، وقال الْكِرْمَانِيُّ^(١٢): من قبل الاستبشار^(١٣)؛ لأنه قرنه بالإبلاس، ولأنه (مَنْ^(١٤)) عليهم بالاستبشار ويحتاج قولهما إلى حرف العطف لما تقدم. وادعاء حرف العطف ليس بالسهل فإن فيه خلافاً بعضهم يَقِيْسُهُ، وبعضهم لا يَقِيْسُهُ، هذا كله في المفردات، أما إذا كان في الجمل فلا خلاف في اقتباسه^(١٥). وفي حرف عبد الله بن مسعود: وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ لُمْبِلِسِينَ^(١٦) غير مكرر.

قوله: «فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ»^(١٧) قرأ ابنُ عامر والأخوان وحفص بالجمع والباقون

(١) انظر: القرطبي ٤٤/١٤، والبحر المحيط ١٧٨/٧، ١٧٩.

(٢) المرجعان السابقان. (٣) البحر المحيط ١٧٩/٧.

(٤) ساقط من ب. (٥) ساقط من ب.

(٦) ساقط من ب.

(٧) المبرد هو أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد الأزدي الثُمالي، أخذ النحو عن الجَزَوِي، والمازني وغيرهما وكان على المازني يعُول. مات سنة ٢٨٥ هـ. انظر: أخبار النحويين البصريين ٧٢.

(٨) نقله في البحر المحيط ١٧٩/٧ وتبعه أبو جعفر النحاس في إغراب القرآن ٢٧٧/٣.

(٩) البحر المحيط ١٧٩/٧.

(١٠) علي بن عيسى أبو الحسن كان إماماً في العربية، علامة في الأدب أخذ عن الرُّجَاج وابن السَّراج، وابن دُرَيْد من مصنفاته التفسير، الحدود الأكبر، الأصغر، مات سنة ٣٨٤ هـ.

انظر: بغية الوعاة ١٨٠/٢ وانظر رأيه في البحر ١٧٩/٧.

(١١) ما بين القوسين ساقط من «ب». (١٢) تقدم.

(١٣) نقله في البحر المحيط ١٧٩/٧ أيضاً. (١٤) ساقط من «ب».

(١٥) كل هذه الكلمات نقلها الشارح من البحر لأبي حيان ١٧٩/٧.

(١٦) لم أعثر على هذه القراءة في الكتب المتواترة أو الشاذة.

(١٧) السبعة ٥٠٨ ومعاني الفراء ٣٢٦/٢ والكشف ١٨٥/٢ والإنحاف ٣٤٨ و ٣٤٩.

بالإفراد، (وَسَلَامٌ) ^(١) بكسر الهمزة، وسكون الثاء وهي لغة فيه. وقرأ العامة «كَيْفَ يُخَيِّ» بياء الغيبة، أي أثر الرحمة فيمن قرأ بالإفراد، ومن قرأ بالجمع فالفعل مسند لله تعالى وهو يحتمل في الإفراد والجندري وأبو حيوة ^(٢) وابن السَّمِيع ^(٣) «تُخَيِّ» بياء ^(٤) التأنيت وفيها تخريجان أظهرهما: أن الفاعل عائد على الرحمة. والثاني: قاله أبو الفضل ^(٥) عائد على «أثر» ^(٦) وأنت «أثر» لاكتسابه بالإضافة التأنيت كنظائر (له) ^(٧) تقدمت، وَرَدَّ عليه بأن شرط ذلك كون المضاف (بمعنى المضاف ^(٨)) إليه أو من سببه لا أجنبياً ^(٩)، وهذا أجنبي و«كَيْفَ يُخَيِّ» معلق «لأنظر» وهو في محل ^(١٠) نصب على إسقاط الخافض. وقال أبو الفتح ^(١١): الجملة من «كَيْفَ يُخَيِّ» في موضع نصب على الحال حملاً على المعنى انتهى ^(١٢). وكيف تقع جملة الطلب ^(١٣) حالاً؟ وأراد برحمة الله هنا المطر أي انظر إلى حسن تأثيره في الأرض كيف يحيي الأرض بعد موتها؟!.

قوله: «إِنَّ ذَلِكَ لَمُخَيِّ الْمَوْتَى» أي إن ذلك الذي يُحْيِي الأرض لَمُخَيِّ الموتى، فَأَتَى باللام المؤكدة لاسم الفاعل.

(١) سقطت من «ب» وهو: سلام بن سليمان الطويل أبو المنذر المزني مولاهم البصري ثقة جليل ومقرئ كبير، أخذ عن عاصم وأبي عمرو، والجندري وعنه الحضرمي، وهارون بن موسى، مات سنة ١٧١ هـ. انظر: طبقات القراء ٣٠٩/١.

(٢) في «ب» أبو حيان وهو تحريف وقد تقدمت ترجمة أبي حيوة.

(٣) ابن السميع: محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله اليماني له اختيار في القراءة ينسب إليه شد في قرأ على أبي حيوة وطاوس عن ابن عباس وهو أحد رجال نافع قرأ عليهم وأخذ عنهم. انظر: غاية النهاية ١٦٢/٢.

(٤) انظر: المحتسب لابن جني ١٦٥/٢. وهي من الشواذ غير المتواترة والبحر ١٧٩/٧ الذي أورد قراءة جديدة إلى زيد بن علي «تُخَيِّ» بنون التعظيم.

(٥) أبو الفضل هو عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بندار أبو الفضل الرازي العجلي الإمام المقرئ شيخ الإسلام الثقة الورع الكامل مؤلف كتاب جامع الوقوف وغيره قرأ على أبي داود الداراني وأبي الحسن الحمادي وغيرهما وروى عنه القراءات محمد بن إبراهيم المزكي ومنصور بن محمد شيخ أبي العلاء مات سنة ٧٣٥ هـ انظر: طبقات القراء ٣٦٣/١.

(٦) البحر ١٧٩/٧. سقطت من «ب».

(٨) ساقط من «ب». (٩) البحر ١٧٩/٧.

(١٠) الدر المصون للسمين ٣٣٤/٤.

(١١) أبو الفتح: عثمان بن جني كان من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بعلم النحو والتصريف صنف في النحو والتصريف كتاباً أبدع فيها كالخصائص والمُصنّف، وسر الصناعة وغيرها مات سنة ٣٩٢ هـ، نزّهه الألباء ٢٢٠ - ٢٢٢.

(١٢) المحتسب له ١٦٥/٢ مع تصرف بسيط في العبارة.

(١٣) أي أن شرط وقوع الخبر والحال جملة أن تكون تلك الجملة خبرية إلا أن الطلب إذا قصد معناه على الخبرية جاز وكلام أبي الفتح على ذلك جائز والمراد: حياً أو محيية فالمراد أنه واقع في الحال، والحال خبر.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٥١) فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقُتَمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَذْبِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَى عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

قوله: «وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا» لما بين أنهم عند توقف الخير يكونون مُبَيِّنِينَ آيِسِينَ، وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين أن تلك الحالة أيضاً لا يدومون عليها بل لو أصاب زرعهم ريحٌ مفسِدٌ لكفروا فهم متقلبون غير تامين نظرهم إلى الحالة^(١) لا إلى المال^(٢).

فصل

سمى النافعة رياحاً، والضارة رياحاً لوجوه:

أحدها: أن النافعة كثيرة الأنواع كبيرة الأفراد، فجمعها لأن في كل يوم وليلة (تَهْبُ^(٣)) نفحات من الرياح النافعة، (و^(٤)) لا تهب الريح^(٥) الضارة في أعوام بل الضارة لا تهب في الدهور.

الثاني: أن النافعة لا تكون إلا رياحاً وأما الضارة فنفحة واحدة تقتل كريح السُّموم.

الثالث: جاء في الحديث أن رياحاً هَبَّتْ فقال عليه (الصلاة و^(٦)) السلام: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيحاً وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحاً»^(٧). إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧] وقوله: ﴿يُرْسِلُ الرِّيْحَ مُبَشِّرًا﴾ [الروم: ٤٦] وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيْحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] وقوله: ﴿رِيحًا صَصْرًا تَرْجُ النَّاسَ﴾ [القمر: ١٩، ٢٠].

فصل

معنى الآية ولئن أرسلنا رياحاً أي مُضِرَّةً أَفْسَدَتِ الزَّرْعَ فرأوه مصفراً بعد الخُضرة لظَلُّوا لصاروا من بعد اصفرار الزرع يكفرون يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخُضْب، ولو أرسلت عذاباً على زرعهم (جحدوا^(٨)) سَالَفَ نعمتي. قوله: «فَرَأَوْهُ» أي فرأوا النبات لدلالة السياق عليه أو على الأثر، لأن الرحمة هي

(١) في «ب» الحال - وهو الأصح. (٢) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ١٣٤/٢٥.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) في «ب» الرياح.

(٦) في «ب» زيادة من «ب».

(٧) الحديث أورده ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٧٢.

(٨) ساقط من «ب».

الغيث وأثرها هو النبات وهذا ظاهر على قراءة الأفراد، وأما على قراءة الجمع فيعود على المعنى. وقيل: الضمير للسحاب. وقيل: للريح^(١). وقرأ (جَنَاحُ)^(٢) بِنُ حَيْش مُضْفَرًا^(٣) بألف و «لظَلُّوا» جواب القسم الموطأ له «يَلْتَنُ» وهو ماض لفظاً مستقبلاً^(٤) معنى، كقوله: ﴿مَا تَعْبُوا قِلَّتَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٥] والضمير في «من بعده» يعود على الاصفرار المدلول عليه بالصفة كقوله:

٤٠٤٥ - إِذَا نُهِيَ السَّفِيهَ جَرَى إِلَيْهِ

أي السَّفَهُ، للدلالة السفيه عليه.

قوله (تَعَالَى^(٦)): «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى» لما علم رسوله وجوه الأدلة ووعد وأوعد ولم يزداهم دعاؤه إلا فراراً وكفراً وإصراراً^(٧)، قال: «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى» وقد تقدم الكلام على نحو «فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ» إلى آخره في الأنبياء، وفي النمل^(٨). واعلم أن إرشاد الميت محال والمحال أبعد من الممكن ثم إرشاد الأصم صعب فإنه لا يسمع الكلام وإنما يفهم بالإشارة والإفهام بالإشارة صعب ثم إرشاد الأعمى أيضاً صعب وإنك إذا قلت له الطريق على يمينك يدور إلى يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يحيد عن قرب، وإرشاد الأصم أصعب ولهذا تكون المعاشرة مع الأعمى أشهل من المعاشرة مع الأصم الذي لا يسمع لأن غايته الإفهام بالكلام وليس كل ما يفهم بالكلام يفهم بالإشارة، فإن المعدوم والغائب لا إشارة إليه فقال: «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى» (ثم قال^(٩): «وَلَا الصُّمَّ وَلَا تَهْدِي الْعُمَى» وقال في الأصم: «إِذَا وَلَّوْا مُذْبِرِينَ»؛ ليكون أدخل في الامتناع لأن الأصم وإن كان يفهم فإنما يفهم بالإشارة، (فَإِذَا وَلَّى^(١٠)) لا يكون نظره إلى المشير فامتنع إفهامه بالإشارة أيضاً) ثم قال: «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» لما نفى

(١) انظر هذه الأقوال في القرطبي ٤٥/١٤.

(٢) ساقط من «ب». (٣) انظر: مختصر ابن خالويه ١١٦ وهي شاذة غير متواترة.

(٤) الدر المصنوع ٣٣٤/٤.

(٥) هذا صدر بيت من الوافر وهو مجهول فأنله عجزه.

وَحَالَفَ السَّفِيهَ إِلَى خِلَافٍ

وقوله: «إِذَا نُهِيَ» متعلقه عام أي عن أي شيء وخالف السفيه ناهيه أو زاجره هذا على تقدير المفعول، وجملة «والسفيه إلى خلاف» تذييل أي أن المخالفة والميل إلى مخالفة الناصح شأن واستشهد بالبيت في كلمة «إليه» حيث عاد الضمير الذي في تلك الكلمة إلى المصدر المفهوم المدلول عليه بالوصف السابق في كلمة «السفيه»، والمصدر المفهوم هو السَّفَهُ، وانظر: معاني القرآن للفرأ ١٠٤/١ ومجالس ثعلب ٦٠ والمحاسب ١٧٠/١، والإنصاف ١٤٠، والهمع ٦٥/١ والخزانة ٢٢٦/٣ و ٢٢٧.

(٦) زيادة من «ب». (٧) في «ب» وإضرار بالضاد.

(٨) يشير إلى قوله تعالى من سورة الأنبياء: ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ الآية ٤٥ والآية «٨٠» من النمل.

(٩) سقط من «ب». (١٠) سقط من «ب».

استماع الميت والأصم وأثبت إسماع المؤمن بآياته لزم أن يكون المؤمن حياً سمياً وهو كذلك لأن المؤمن ينظر في البراهين ويسمع زواجر الوعظ فتظهر منه الأفعال الحسنة ويفعل ما يجب عليه فهم مسلمون مطيعون كما قال تعالى (عنهم)^(١): ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]

قوله: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ» لما أعاد دليل الآفاق بقوله: «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ» أعاد دليلاً من دلائل الأنفس أيضاً وهو خلق الآدمي وذكر أحواله فقال: «خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ» أي (بأذى)^(٢) ضعف) كقوله: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]، وقرئ: «ضَعْفٍ» بضم الضاد، وفتحها^(٣)، فالضم لغة قريش، والفتح لغة تميم، «مِنْ ضَعْفٍ» أي من نطفة. وتقدم الكلام في القراءتين والفرق بينهما في الأنفال^(٤)، «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً» أي^(٥) من بعد ضعف الطفولية شباباً وهو وقت القوة «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا» هَرَمًا «وَشَيْبَةً» والشيبة هي تمام الضعف «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ».

(فإن قيل^(٦): ما الحكمة في قوله ههنا: «وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ») فقدّم العلم على القدرة، وقوله من قبل: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» والعزة إشارة إلى كمال القدرة، والحكمة إشارة إلى كمال العلم، فقدّم القدرة هناك على العلم؟!.

فالجواب أن المذكور هناك الإعادة «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» لأن الإعادة بقوله: «كُنْ فَيَكُونُ» فالقدرة هناك أظهر وههنا المذكور الإبداء وهو أطواراً وأحوالاً والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا أظهر ثم إن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ فيه تبشير وإنذار؛ لأنه إذا كان عالماً بأحوال الخلق يكون عالماً بأحوال المخلوق فإن عملوا خيراً علمه^(٧) ثم إذا كان قادراً فإذا علم الخير أثاب، وإذا علم الشر عاقب، ولما كان العلم بالأحوال قبل الإثابة والعقاب للذين هما بالقدرة (والعلم^(٨)) قدم العلم، وأما الآية الأخرى فالعلم بتلك الأحوال قبل العقاب فقال: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

(١) سقط من «ب».

(٢) سقط من «ب».

(٣) وهي قراءة الجحدري انظر: القرطبي ٤٦/١٤ والبحر المحيط ٧/١٨٠ بنسبة هذه القراءة إلى الجمهور «ضعف» بضم الضاد وبالفتح إلى عاصم وحزمة.

(٤) وهي الآية ٦٦ «أَنْ فَيَكُنْ مِنْكُمْ ضَعْفًا» فعاصم وحزمة وخلف بفتح الضاد وافقهم الأعمش بخلفه، والباقون بضمها وكلاهما مصدر، وقيل: الفتح في العقل والرأي، والضم في البدن، وقرأ أبو جعفر بفتح العين والمد والهمزة مفتوحة بلا تنوين جمعاً على فعلاء كظريف وظرفاء، ولا يصح - كما روى عن الهاشمي - من ضم الهمزة وقد وافق الهاشمي المطوعي والباقون بإسكان العين والتنوين بلا مط ولا همز. انظر: اللباب بتصرف ١٥٧/٤.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) ساقط من «ب» بأكمله.

(٧) في تفسير الفخر «وإن عملوا شراً علمه» انظر: تفسير الفخر ١٣٦/٢٥.

(٨) زيادة على ما في تفسير الفخر الرازي ١٢٦/٢٥.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ظَلَمُهُمْ مَعْدِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ يَقُولُوا زَيْنٌ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا وَلَا يُشْعَبُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ» يحلف المشركون «مَا لَبِثُوا» في الدنيا «غَيْرَ سَاعَةٍ» أي إلا ساعة، لما ذكر الإعادة والإبداء^(١) ذكره بذكر أحوالها ووقتها.

قوله: «مَا لَبِثُوا» جواب قوله «يُقْسِمُ» وهو على المعنى؛ إذ لو حكى قولهم بعينه لقليل: ما لبثنا، والمعنى أنهم استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة^(٢). وقال مقاتل والكلبي: ما لبثوا^(٣) في قبورهم غير ساعة كما قال: ﴿كَانَتْ يَوْمَ يَوْمُنَا﴾ [النازعات: ٤٦] وقوله: ﴿يَوْمَ مَا يُؤْعَدُونَ لَبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قوله: «كَذَلِكَ» أي مثل ذلك الإفك «كَانُوا يُؤْفَكُونَ» أي يصرفون عن الحق في الدنيا^(٤)، وقال الكلبي ومقاتل كذبوا في (قبورهم)^(٥) قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث، والمعنى^(٦) أن الله تعالى أراد أن يَفْضَحَهُمْ^(٧) فحلفوا على شيء (يتبين^(٨)) لأهل الجمع أنهم كاذبون^(٩)، ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم فقال: «وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ» أي فيما كتب الله لكم في سابق^(١٠) علمه في اللبث في القبور. وقيل: في كتاب الله في حُكْمِ الله^(١١) أي فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث فيكون «في كتاب الله» متعلقاً «بَلَبِثْنَا» وقال مقاتل وقاتلة: فيه تقديم وتأخير^(١٢) معناه وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث.

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: القرطبي ٤٧/١٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٣١١/٦.

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٣ والقرطبي ٤٧/١٤ والكشاف أفك قال في الغريب «ويقال: أفك الرجل إذا عدل به عن الصدق وعن الخير، وأرض مأفوك، أي محرومة المطر». انظر: غريب القرآن ٣٤٣.

(٥) زيادة لا معنى لها والأصح: كذبوا في قولهم غير ساعة.

(٦) في «ب» أي أن.

(٧) زاد المسير ٣١١/٦.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) قال القرطبي في ٤٧/١٤ «وقد زعم جماعة من أهل النظر أن القيامة لا يجوز أن يكون فيها كذب لما هم فيه والقرآن يدل على غير ذلك».

(١٠) انظر المراجع السابقة.

(١١) انظر المراجع السابقة.

(١٢) انظر المراجع السابقة.

و «في» تَرَدُّ بمعنى الباء [و] العامة على سكون عين «الْبَعْثِ» والحسن بفتحها^(١)، وقرئ بكسرهما^(٢)، فالمكسور اسم، والمفتوح مصدر.

قوله: «فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ» في الفاء قولان: أظهرهما: أنها عاطفة هذه الجملة على «لَقَدْ لَبِثْتُمْ»^(٣).

وقال الزمخشري هي جواب^(٤) شرط مقدر كقوله:

٤٠٤٦ - فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانًا

كأنه قيل: إن صَحَّ ما قلتم إن «خراسان» أقصى ما يراد بكم وآن لنا أن نخلص وكذلك إن كنتم منكربين فهذا يوم البعث، ويشير إلى البيت المشهور:

٤٠٤٧ - قالوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا قُلْنَا الْقُقُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانًا^(٥)

قوله: «لَا تَعْلَمُونَ» أي البعث أي ما يراد بكم (أو) لا يقدر له مفعول أي لم يكونوا من أولي العلم وهو المَنَعُ^(٦).

فصل

اعلم أن الموعود بوعد^(٧) إذا ضرب له أجل يستقل المدة ويريد تأخيرها، فالمجرم إذا حُشِرَ عَلِمَ أن مصيره (إلى النار يستقل^(٨) مدة اللَّبِثِ ويختار تأخير الحشر والإبقاء في الإبقاء، والمؤمن إذا حُشِرَ عَلِمَ أن مصيره) إلى الجنة فيستكثر المدة ولا يريد تأخيرها فيختلف الفريقان ويقول أحدهما: إن مدة لَبِثْنَا قليلٌ وإليه الإشارة بقوله: «وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ» ونحن صرنا إلى يوم البعث، وهذا يوم البعث «وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» وقوعه في الدنيا يعني أن طلبكم (التأخير^(٩)) لأنكم كنتم لا تعلمون البعث ولا تعترفون به، فصار مصيركم إلى النار فتطلبون التأخير ولا يتفككم العلم به الآن.

قوله: «فَيَوْمَئِذٍ» أي إِذْ يَشْفَعُ ذَلِكَ يقول الذين أُوتُوا الْعِلْمَ تلك المقالة «لا ينفع» هو

(١) المحتسب ١٦٦/٢ وهي من الشواذ.. (٢) نقلها في البحر ولم يعزها إلى معين.

(٣) هذا رأي أبي حيان في البحر، انظر البحر المحيط ١٨٠/٧.

(٤) انظر: الكشاف ٢٢٧/٣.

(٥) البيت من البسيط وهو للعباس بن الأحنف والقول: الرجوع إلى ديار الأهل والمعنى في التألم من فراق الأهل والصحب والأحبة. والشاهد فيه «فقد جئنا خراسانا» فالفاء هنا جواب الشرط مقدر على رأى الزمخشري والتقدير: فلما فقد جئنا وهلا أذنتم لنا بالرجوع تصديقاً لوعدكم إيانا، وفسر الآية بالبيت الكشاف ٢٢٧/٣ والأغاني ٢٤/٨. ودلائل الإعجاز ٢٢٥، وديوانه ١٢.

(٦) في «ب»: «وهو أبلغ» وهو الصواب. (٧) في «ب» بوعيد؛ وهو خطأ وتحريف.

(٨) ما بين القوسين ساقط من «ب». (٩) ما بين القوسين ساقط من «ب».

الناصب ليومئذ قبله، وقرأ الكوفيون^(١) هنا وفي غافر^(٢) بالياء^(٣) من تحت وافقهم نافع على ما في غافر؛ لأن التانيث مجازي ولأنه قد فصل أيضاً والباقون بالتانيث فيهما مراعاة للفظ^(٤).

قوله: «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» قال الزمخشري من قولك: استعْتَبَيْتَنِي فلانٌ فَأَعْتَبْتُهُ أي استَرْضَانِي فَأَرْضَيْتُهُ، وذلك إذا كان^(٥) جانباً (عليه) وحقيقة «أَعْتَبْتُهُ» أزلت عَتْبَهُ ألا ترى إلى قوله:

٤٠٤٨ - غَضِبْتَ تَمِيمَ أَنْ تَقْتُلَ عَامِرَ يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالضَّيْلَمِ^(٦)

كيف جعلهم غضاباً، ثم قال: «فَأَعْتَبُوا» أي أزيلَ غَضِبُهُمْ، والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال (لهم)^(٨) أرضوا ربكم بتوبة وطاعة، ومثله قوله تعالى: «فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ»^(٩). فإن قلت: كيف جعلوا غير مُسْتَعْتَبِينَ في بعض الآيات وغير مُعْتَبِينَ في بعضها وهو قوله: «وَأِنْ يُسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ» قلت: أما كونهم غير مُسْتَعْتَبِينَ فهذا معناه، وأما كونهم^(١٠) غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشَبَّهَتْ جَالَهُمْ بحال قوم جُنِّيَ عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين (منه)^(١١) فإن يستعتبوا الله أي يسألون إزالة ما هم فيه فما هم من المُجَابِينَ^(١٢) انتهى. وقال ابن عطية ويستعتبون^(١٣) بمعنى يعتبون كما تقول يَمْلِكُ، وَيَسْتَمْلِكُ، والباب في «استفعل» طلب الشيء وليس هذا منه؛ لأن المعنى كان يفسد إذ كان المفهوم منه ولا يُطْلَبُ منهم عَتْبِي. قال شهاب الدين^(١٤): «وليس (هذا)^(١٥) فاسداً لما تقدم في قول الزمخشري^(١٦).

(١) هم عاصم وحزمة والكسائي.

(٢) وهو قول الله من الآية ٥٢ منها: «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ».

(٣) انظر: الإتحاف ٣٤٩ والسبعة ٥٠٩ والكشف ١٨٦/٢ والبحر المحيط ١٨١/٧، والقُرطبي ٤٩/١٤ وزاد المسير ٣١٢/٦.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) في الكشف: «كنت جانباً» وانظر الكشف للزمخشري ٢٢٧/٣.

(٦) ساقط من «ب» وموجودة في الكشف أيضاً.

(٧) البيت من تمام الكامل وهو لبشر بن أبي خازم الأسدي و«النسار» ماء لبني عامر و«الضيلم» الداهية المستأصلة ويسمى به السيف والمعنى أن قوم الشاعر أزالوا غضب تميم لمقاتلة عامر بالسيف أي أرضوهم بالقتل وهذا هو الشاهد كما قرره الزمخشري فوق. وقد تقدم.

(٨) ساقط من «ب». (٩) الجانية: ٣٥.

(١٠) في «ب» وإن قلت: غير معتبين. (١١) ساقط من «ب» وهو في الكشف «عنه».

(١٢) في الكشف: من المجابين لإزالته. (١٣) البحر المحيط ١٨١/٧.

(١٤) الدر المصون ٣٣٦/٤. (١٥) ساقط من «ب».

(١٦) في الدر المصون: «أبي القاسم» بدلاً من الزمخشري.

قوله: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» وهذا إشارة إلى إزالة الأغذار والإتيان بما فوق الكفاية من الإنذار وأنه لم يبق من جانب الرسول تقصيرٌ فإن طلبوا شيئاً آخر فذاك عناد مخض لأن من كذب دليلاً لا يَضْعُبُ عليه تكذيب الدلائل بل لا يجوز للمستدل أن يَشْرَعَ في دليل آخر بعد ذكره دليلاً جيداً مستقيماً ظاهراً لا إشكال عليه، وعانده الخصم لأنه إما أن يعترف بوزود سؤال الخصم عليه أو لا يعترف فإن اعترف يكون انقطاعاً وهو يَقْدَحُ في الدليل والمستدل إما أن يكون الدليل فاسداً وإما أن المستدل جاهل^(١) بوجه الدلالة والاستدلال وكلاهما لا يجوز الاعتراف (به)^(٢) من العالم فكيف من النبي عليه الصلاة والسلام^(٣) وإن لم يعترف بكون الشروع في غيره يوهم^(٤) أن الخصم معاند فيحترز عن العناد في الثاني أكثر.

فإن قيل: فالأنبياء عليهم (الصلاة)^(٥) (و) السلام ذكروا أنواعاً من الدلائل، فنقول: سردوها سرداً ثم فردوها فرداً فرداً (كما)^(٦) يَقُولُ: الدليل عليه من وجوه: الأول: كذا، والثاني: كذا، والثالث: كذا. وفي مثل هذا الواجب عدم الالتفات إلى عناد المعاند لأنه يريد تضييع الوقت كي لا يتمكن المُسْتَدِلُّ مِنَ الْإِتْيَانِ بِجَمِيعِ مَا وَعَدَ مِنَ الدَّلِيلِ فَتَنْحَطُّ درجته وإلى هذا أشار بقوله: «وَلَيْتَ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَطِلُونَ» أي ما أنتم إلا على باطل، ووجد في قوله: «جِئْتَهُمْ» وجمع في قوله: «إِنْ أَنْتُمْ» لنكتة وهي أنه تعالى أخبر في موضع آخر فقال: «وَلَيْتَ جِئْتَهُمْ بِكُلِّ آيَةٍ» أي جاءت بها الرسل فقال الكفار ما أنتم أيها المُدْعُونَ الرسالة (كلكم)^(٧) إلا كذا.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۖ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۚ﴾

قوله: «كَذَلِكَ يَطْبَعُ» أي مثل ذلك الطبع يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ توحيد الله.

(فإن قيل: من^(٨) لا يعلم شيئاً أي فائدة في الإخبار عن الطبع على قلبه؟
فالجواب: معناه أن من لا يعلم الآن فقد طبع على قلبه من قبل، ثم إنه تعالى

(١) في «ب» وإما أن يكون المستدل جاهلاً وفي تفسير الفخر وإما بأن المُسْتَدِلَّ جاهل.

(٢) ساقط من «ب» وموجود في تفسير الرازي.

(٣) في «ب» ﷺ.

(٤) في تفسير الرازي: «موهماً أن الخصم ليس معانداً فيكون اجتراؤه على العناد في الثاني».

(٥) زيادة من «ب».

(٦) ساقط من «ب» وفي تفسير الرازي «كمن يقول الدليل...»

(٧) ساقط من «ب».

(٨) ما بين القوسين ساقط من «ب» وموجود بأكمله في الفخر الرازي.

سَلَى نَبِيهِ عَلَيْهِ (الصلاة) ^(١) (و) السلام فقال: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» في نصرتك وإظهارك على عدوك وتبيين صدقك ^(٢).

قوله: «وَلَا يَسْتَخْفُكَ الَّذِينَ الْعَامَةُ مِنَ الاسْتِخْفَافِ» ^(٣) - بخاء مُعْجَمَةٍ وفاء - ويعقوب، وابن أبي إسحاق ^(٤) بخاء مهملة ^(٥) وقاف من الاستخفاف. وابن أبي (عبله) ^(٦) ويعقوب بتخفيف نون التوكيد والنهي من باب: لَا أَرَيْتَكَ هَهُنَا ^(٧).

فصل

المعنى ولا يَسْتَخْفِلُكَ أَي لَا يَجْهَلُكَ ^(٨) «الذين لا يوقنون» على الجهل واتباعهم في البغي ^(٩)، وقيل: لَا يَسْتَخْفِقُونَ رَأْيَكَ وَجَلَمَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَيْتِ وَالْحِسَابِ، وهذا إشارة إلى وجوب مداومة النبي - عليه السلام - على الدعاء إلى الإيمان، فإنه لو سكنت لَقَالَ الْكَافِرُونَ: إنه متقلب قابل الرأي لا ثبات له.

روى أبو أمامة عن أَبِي بِن كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرُّومِ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بَعْدَ كُلِّ مَلَكٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَأَذْرَكَ مَا صَنَعَ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ» ^(١٠). رواه الثعلبي في تفسيره والله أعلم (وأحكم) ^(١١).

(١) زيادة من «ب».

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٣٧/٢٥ و ١٣٨.

(٣) قال ابن منظور في اللسان: «وَأَسْتَخْفَ فَلَانٌ بِحَقِّي إِذَا اسْتَهَانَ بِهِ وَاسْتَخَفَهُ الْفَرْحُ إِذَا ارْتَاحَ لِأَمْرٍ». انظر: اللسان: «خ ف ف» ١٢١٢.

وقال الزجاج في معاني القرآن: «أَي لَا يَسْتَفْزِنُكَ عَنْ دِينِكَ الَّذِينَ لَا يَوْقِنُونَ، أَي هُمْ ضَلَالٌ شَاكُونَ». انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٢/٤.

(٤) ابن أبي إسحاق: هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق زَيْد الْحَضْرَمِيُّ الْبَصْرِيُّ اشْتَهَرَ بِكُنْيَةِ وَالِدِهِ، أَخَذَ عَنْ نَصْرِ بْنِ عَاصِمٍ، وَيَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، وَجَدَ فِي الْعِلْمِ حَتَّى بَلَغَ الْغَايَةَ فِيهِ مَاتَ سَنَةَ ١١٧ هـ. انظر: نشأة النحو ٦١.

(٥) أوردها ابن جني في الْمُحْتَسَبِ فِي الْقُرْآنِ الشَّاذَّةِ ١٦٦/٢ وهي مُعْتَرَضٌ عَلَيْهَا كَمَا قَالَ ابْنُ جَنِّي لِمُخَالَفَتِهَا لَفْظًا وَمَعْنَى الْقِرَاءَةِ الْمَعْتَادَةِ إِذْ يَصِيرُ الْمَعْنَى لَا يَغْلِبُنِكَ فَيَصِيرُوا أَحَقُّ بِكَ مِنْكَ بِتَفْسُكِ.

(٦) ساقط من «ب».

(٧) انظر هذه القراءة في الإنحاف ٣٤٩ والبحر المحيط ١٨١/٧ والكشاف ٢٢٨/٣، ومعنى «لَا أَرَيْتَكَ هَهُنَا» أنه مثال مأخوذ من قولهم في المثل «بَعَيْنٌ مَا أَرَيْتَكَ» ومعناه اعمل كإني انظر إليك ودخل التوكيد لدخول (ما) لأن ما زائدة للتوكيد ولأجلها دخلت النون. ومثله المثال والنهي مقصود به هنا الدوام والثبات على الحال التي هو فيها يقول سيبويه في الكتاب ٥١٧/٣: ومن مواضعها أفعال غير الواجب التي في قولك: بَجَهْدٍ مَا تُلْفَعُ، وأشباهه، وإنما كان ذلك لمكان «ما».

(٨) في «ب» لَا يَخْمِلُكَ وهو الأصح. (٩) في «ب» النَّبِيُّ.

(١٠) انظر: الكشاف ٢٢٨/٣ والبيضاوي ١١٩/٢ ومجمع البيان ٤٥٩/٨ والسراج المنيبر ١٧٩/٣.

(١١) زيادة من «ب».

سورة لقمان

مكية^(١) وهي أربع وثلاثون آية، وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة، وألفان ومائة وعشرة حرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الْعَمَّ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُّسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)﴾

قوله تعالى: ﴿الْعَمَّ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ تلك إشارة إلى غائب^(٢)، والمعنى آيات القرآن (أي^(٣)) آيات الكتاب الحكيم. والحكيم (قيل^(٤)): فاعيل بمعنى مُفْعَل وهذا قليل. قالوا عَقَدْتُ اللَّبَنَ فَهُوَ عَقِيدٌ^(٥)، (أو بمعنى^(٦) فاعل) أو بمعنى ذي الحكمة أو أصله^(٧) الحكيم قَائِلُهُ (ثم^(٨)) حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقَامَهُ وهو الضمير المجرور، فانقلب مرفوعاً فاستتر في الصفة قاله الزمخشري^(٩)، وهو حسن الصنعة.

(١) في قول الأكثرين وروي عن عطاء أنها مكية سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة ومن قائل: إنها مكية إلا ثلاث آيات.

انظر: فتح القدير ٢٣٣/٤، وزاد المسير لابن الجوزي ٣١٤/٦، والقرطبي ٥٠/١٤.

(٢) في «ب» إلى ما غاب. (٣) زيادة من «ب».

(٤) ساقط من «ب». (٥) انظر: البحر المحيط ١٨٢/٧.

(٦) ساقط من «ب» ولكنها في البحر أيضاً فهي توافق «أ».

(٧) الكشف ٢٢٩/٣. (٨) ساقط من «ب».

(٩) المرجع السابق.

قوله: «هُدًى وَرَحْمَةً» العامة على النصب على الحال من «آيات» والعامل ما في اسم الإشارة من معنى الفعل أو المذح^(١). وحمزة بالرفع على خبر^(٢) مبتدأ مضمرة وجوز بعضهم أن يكون «هدى» منصوباً على الحال حال رفع «رحمة». قال: ويكون رفعها على خبر ابتداء مضمرة^(٣)، (وجوز بعضهم^(٤) أن يكون هُدًى) أي وهو رحمة وفيه بُعْدٌ.

فصل (٥)

قال في البقرة: ذَلِكَ الْكِتَابُ، ولم يقل: «الْحَكِيمُ» وههنا قال: «الْحَكِيمُ»؛ لأنه لما زاد ذكر وصف في الكتاب زاد ذكر أمر أحواله فقال هدى ورحمة وقال ههنا: «هدى للمتقين»، فقوله: «هدى» (في مقابلة^(٦)) قوله: «الكتاب» وقوله: «ورحمة» (مقابلة قوله «الحكيم» ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذو الحكمة^(٧)) كقوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦٩] أي ذات رضا وقال هناك: «لِلْمُتَّقِينَ» وقال هنا: «لِلْمُحْسِنِينَ»؛ لأنه لما ذكر أنه هدى ولم يذكر شيئاً آخر قال: «لِلْمُتَّقِينَ» أي يهدي (به^(٨)) من يتقي من الشرك والعناد، وههنا زاد قوله: «وَرَحْمَةً» فقال: «لِلْمُحْسِنِينَ»؛ لأن رحمة الله قريب من المحسنين وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئَةٍ وَزِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦] فناسب زيادة قوله «وَرَحْمَةً»، ولأن المحسن يتقي، (وزيادة^(٩)).

قوله: «الذين يقيمون» صفة أو بدل أو بيان لما قبله، أو منصوب أو مرفوع على^(١٠) القطع وعلى كل تقدير فهو تفسير للإحسان. وسئل الأصمعي عن الألمعي فأنشد:

٤٠٤٩ - الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ مَنْ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا^(١١)

يعني أن الألمعي هو الذي إذا ظن شيئاً كان كمن رآه وسمعه كذلك المحسنون هم

(١) انظر: الكشف ١٨٧/٢، ومعاني القرآن للفراء ٣٢٦/٢، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٢٨٤، ومعاني القرآن وإعراجه للزجاج ١٩٣/٤٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢٨١/٣.

(٢) انظر: معاني الفراء ٣٢٦/٢، والإتحاف ٣٤٩، والسبعة ٥١٢.

(٣) انظر: التبيان لأبي البقاء ١٠٤٣، وتأويل ذلك أيضاً في مشكل إعراب القرآن لمكي ١٨١/٢.

(٤) زيادة لا معنى لها من «أ».

(٥) في «ب» فإن قيل بدل «فصل».

(٦) ساقط من «ب».

(٧) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٣٩/٢٥.

(٨) زيادة من «أ».

(٩) سقط من «ب».

(١٠) نقله القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٥٠/١٤.

(١١) البيت من المنسرح وهو لأوس بن حجر وهو ثالث بيت من قصيدة يمدح فيها فضالة بن كعدة في حياته وراثته بعد مماته والشاهد بالبيت «الذي يظن» فهو يفسر الموصوف وهو الألمعي كما أن «الذين يقيمون الصلاة» مفسر «للمحسنين» الموصوف أي هم المعينون. انظر: ذيل الأمالي والناوادر ٣٤، والخصائص ١١٢/٢، والكامل للمبرد ٣٧/٤ و ٣٨ والبحر المحيط ١٨٣/٧ والكشاف ٢٢٩/٣ وديوان أوس «٣».

الذين يفعلون هذه الطاعات ومثله وسئل بعضهم عن الهلوع فلم يزد أن تلا: «إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً».

فصل

قال في البقرة: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» ولم يقل هنا: الذين يؤمنون بالغيب؛ لأن المتَّيِّ هو التارك للكفر ويلزم^(١) منه أن يكون مؤمناً، والمؤمن^(٢) هو الآتي بحقيقة الإيمان، ويلزمه أن لا يكون كافراً، فلما كان المتقي دالاً على المؤمن بالالتزام مدح بالإيمان هناك، ولما كان المحسن دالاً على الإيمان بالتنصيص لم يصرح بالإيمان^(٣).

وتقدم الكلام على نظير قوله: «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» إلى قوله: «الْمُفْلِحُونَ»^(٤).

قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» لما بين أن القرآن كتابٌ حكيمٌ يشتمل على آياتٍ حكيمة بين حال الكفار أنهم يتركون ذلك ويشغلون بغيره^(٥). قال مقاتل والكلبي: نزلت في النضر بن الحارث كان يتجسس^(٦) فيأتي الحيرة ويشترى أخبار العجم ويحدث^(٧) بها قريشاً ويقول: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث «رستم، واسفنديار»، وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فأنزل الله هذه الآية، وقال مجاهد: يعني شراء القيان^(٨) والمعنيين، ووجه الكلام على هذا التأويل من يشتري ذات أو ذا لهو الحديث، قال عليه (الصلاة و) السلام: «لا يحل (تعليم) المغنيات ولا بيعهن»^(٩) وأثمانهن حرام وفي مثل هذا نزلت الآية «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» وما من رجلٍ يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله

(١) في «ب» ويلزمه. (٢) في «ب» والفخر الرازي والمُحْسِن.

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي «التفسير الكبير» ج ٢٥ / ١٤٠.

(٤) في البقرة والتوبة والنمل والأفقال والمائدة وقال هناك في البقرة إن إقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسُنَنِها وأدائها، من أقام العود إذا قَوْمَهُ، أو الدوام عليها والمحافظة عليها وإيتاء الزكاة إعطاؤها لمستحقيها. ومعنى «هم يوقنون» الإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه انظر: الباب ١ / ٦٧ : ٦٩ ب بتصرف.

(٥) في «ب» ويشغلون بذلك.

(٦) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣١٥ / ٦ وأسباب النزول للواحدي عن الكلبي ومقاتل بدون سند ١٩٧ وأسباب النزول للسيوطي وقد قال السيوطي: إنها نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية.

(٧) في «ب» وتعلم بها قريشاً.

(٨) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣١٥ / ٦ والطبري ٤١ / ١ والدر المنثور للسيوطي ٥٠٤ / ٦.

(٩) الحديث أورده السيوطي في الدر المنثور ٥٠٤ / ٦ عن أبي أمامة أن رسول الله - ﷺ - قال: لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في أثمانهن.

عليه شيطانين أحدهما على هذا المُنَكِبِ والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت قال النحويون قوله: «لَهُوَ الْحَدِيثُ» من باب الإضافة بمعنى «مِنْ»؛ لأن اللهو يكون حديثاً وغيره فهو كباب^(١)، وهذا أبلغ من حذف المضاف^(٢).

قوله: «لِيُضِلَّ» (قرأه ابن^(٣) كثير وأبو عمرو) بفتح حرف المضارعة، والباقون^(٤) بضمه لمن «أَصْلَ غَيْرُهُ» فمفعوله محذوف، وهو مستلزم^(٥) للضلال لأن من «أَصْلَ» فقد «ضَلَّ» من غير عكس، وقد تقدم ذلك في إبراهيم^(٦). قال الزمخشري هنا: فإن^(٧) قلت: القراءة بالرفع بيئة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه، فما معنى القراءة بالفتح؟ قلت: معنيان أحدهما: ليثبت على ضلالة الذي كان عليه ولا يَصْدِفَ^(٨) ويزيد فيه ويمده فإن المخذول كان شديد التمكن في عداوة الدين وصد الناس عنه.

الثاني: أن موضع «ليضل» (موضع)^(٩) من قِبَلِ أَنْ من «أَصْلَ» كان ضالاً لا محالة، فدل بالرديف على المزدوف.

فصل

روي عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا: (لهو)^(١٠) الحديث هو الغناء^(١١)، والآية نزلت فيه، ومعنى قوله: «يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ» أي يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعاذف على القرآن، وقال ابن جريح^(١٢): هو الطبل^(١٣)، وقال الضحاك: هو الشرك^(١٤)، وقال قتادة: حسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق^(١٥).

(١) كان من المفروض (فهو كباب ساج وجبة خبز) وقيل: هو على حذف مضاف أي ذوات لهو حديث. انظر:

الكشاف ٢٢٩/٣ ويكون المراد من هذا بيان الجنس الذي منه المضاف كما بين ذلك الزمخشري.

(٢) أي من تقديرنا: «ذات لهو» أو «ذي لهو».

(٣) هذه الفقرة التي بين القوسين زيادة من «ب».

(٤) انظر: الإتجااف ٢٧٢ و ٣٤٩ والكشاف بدون نسبة ٢٣٠/٣ والنشر ٣٤٦/٢ وتقريبه ص ١٥٩ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٤/٤ وإعراب القرآن للنحاس ٢٨٢/٣.

(٥) في «ب» وهو ملتزم.

(٦) يقصد قوله تعالى: «جَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ» وهي الآية «٣٠» من نفس السورة.

(٧) انظر: الكشاف ٢٣٠/٣. (٨) هكذا هي هنا وفي الكشاف وما في «ب» يصد.

(٩) ساقط من «ب» وهي في الكشاف. (١٠) ساقط من «ب».

(١١) نقله في زاد المسير ٣١٦/٦ والقرطبي ٥١/١٤.

(١٢) نقله في زاد المسير ٣١٦/٦. (١٣) السابق.

(١٤) معاني القرآن للزجاج ١٩٤/٤. (١٥) السابقان.

قوله: «بغير علم» حال أي يشتري بغير علم بأحوال التجارة حيث اشترى ما يخسر قيمة الدارين.

قوله: «وَيَتَّخِذَهَا» قرأ الأخوان وحفص بالنصب أي بنصب^(١) الذال عطفاً على «لِيُضِلَّ» وهو علة^(٢) كالذي قبله. والباقون بالرفع عطفاً على «يَشْتَرِي» فهو صلة، وقيل: الرفع على الاستئناف من غير عطف على الصلة، والضمير المنصوب يعود على الآيات المتقدمة أو السبيل لأنه يُؤَنَّثُ، أو الأحاديث الدال عليها الحديث^(٣) لأنه اسم جنس^(٤).

قوله: «أُولَئِكَ لَهُمْ» حمل أولاً على لفظ «مَنْ» فأفرد (ثم)^(٥) على معناها فجمع ثم على لفظها فأفرد في قوله: «وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ» وله نظائر تقدم التنبيه عليها في المائدة عند قوله: «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ»^(٦). قال أبو حيان: ولا نعلم جاء في القرآن^(٧) ما حمل على اللفظ ثم على المعنى ثم على اللفظ غير هاتين الآيتين^(٨)، قال شهاب الدين: ووجد^(٩) غيرهما كما تقدم التنبيه عليه في المائدة. وقوله: «عَذَابٌ مُهِينٌ» أي دائم.

قوله: «وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَى مُسْتَكْبِرًا» أي يشتري الحديث الباطل، ويأتيه الحق الصُّرَاخَ مَجَانًا فيعرض عليه.

قوله: «كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا» حال من فاعل «وَلَى» أو من ضمير «مُسْتَكْبِرًا»^(١٠) وقوله: «وَكَأَنَّ فِي أَدْنَاهُ وَفَرَا» حال ثالثة أو بدل مما قبلها، أو حال من فاعل «يَسْمَعْهَا» أو تبين لما قبلها^(١١)، وجوز الزمخشري أن تكون جملة التنبيه^(١٢) استئنافيتين.

(١) انظر: السبعة ٥١٢ ومعاني القرآن للفراء ٣٢٧/٢ وحجة ابن خالويه ٢٨٤ والإتحاف ٣٥٠ والنشر ٣٤٦/٢.

(٢) في «ب» علمه وهو تحريف.

(٣) في «ب» الأحاديث وهو خطأ لأن المقصود المفرد.

(٤) نقله مكي في الكشف عن وجوه القراءات ١٧٨/٢ و ١٨٨ وابن الأنباري في البيان في غريب إعراب القرآن، ٢٥٣/٢، ٢٥٤.

(٥) سقط من «ب».

(٦) وهي الآية رقم ٦٠ من المائدة وهي: «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ».

(٧) هكذا هي في تفسير أبي حيان.

(٨) يقصد هذه الآية وآية الطلاق: «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا» وهي الآية ١١ من الطلاق. انظر: البحر ١٨٤/٧.

(٩) الدر المصون ٣٤٠/٤.

(١٠) انظر: التبيان ١٠٤٣ والبحر المحيط ١٨٤/٧.

(١١) المرجعان السابقان.

(١٢) هكذا هي في النسختين ولعله يقصد التشبيه وانظر: الكشف ٢٣٠/٣.

فصل

معنى «كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا» شغل المتكبر الذي لا يلتفت إلى الكلام ويجعل نفسه كأنها غافلة، وقوله: «كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا» أدخل في الإعراض «فَبَشَّرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ» أي مؤلم، ووصفه أولاً بأنه «مُهِينٌ» وهو إشارة إلى الدوام فكانه قال: «مُؤْلِمٌ دَائِمٌ»^(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾

قوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...» الآية لما بين حال الْمُغْرَضِ عن سماع الآيات بين حال من يقبل على تلك الآيات بأن لهم جنات النعيم. ولذلك عذاب مهين ووحده العذاب، وجمع الجنات إشارة إلى أن الرحمة (واسعة)^(٢) أكثر من الغضب، ونكر «العذاب» وعرف «الجنات» إشارة إلى أن الرحمة تبين النعمة وتعرفها ولم يبين النعمة وإنما به عليها تنبيهاً.

قوله: «خَالِدِينَ» حال^(٣)، وخبر «إِنَّ» الجملة من قوله: «لَهُمْ جَنَّاتٌ» والأحسن أن يجعل «لَهُمْ» هو الخبر وحده^(٤)، و «جَنَّاتٌ» فاعل به، وقرأ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ «خَالِدُونَ»^(٥) بالواو فيجوز أن يكون هو الخبر والجملة أو الجار وحده حال، ويجوز أن يكون «خَالِدُونَ» خبراً ثانياً.

قوله: «وَعَدَ اللَّهُ» مصدر مؤكد لنفسه^(٦)؛ لأن قوله: «لَهُمْ جَنَّاتٌ» في معنى وَعَدَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ، و «حَقًّا» مصدر مؤكد لغيره^(٧)، أي لمضمون تلك الجملة الأولى، وعاملها مختلف، فتقدير الأولى وعد الله ذلك وعداً، وتقدير الثاني: أَحَقُّ ذَلِكَ حَقًّا. واعلم أنه لم يؤكد «العَذَابَ الْمُهِينَ»، وأكد نعيم الجنات بقوله: «وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «العزیز» في اقتداره «الحكيم» في أفعاله.

قوله: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ» وهذا تبين لقوته وحكمته، وقد تقدم الكلام

(١) انظر: تفسير الرازي ١٤١/٢٥.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) نقله في البحر ١٨٥/٧ والتبيان ١٠٤٣.

(٤) قاله ابن الأنباري في البيان ٢٠٥٤/٢.

(٥) نقلها عنه أبو حيان في البحر ١٨٥/٧ و ١٨٤.

(٦) البحر ١٨٥/٧ و ١٨٤ والتبيان ١٠٣٦ و ١٠٤٣ وقد ذكرت أيضاً في السورة السابقة في قوله: «وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ» وانظر - أيضاً - الكشف ٢٣٠/٣.

(٧) المرجع السابق.

على نظيرها في الوعد^(١). واعلم أن أكثر المفسرين قال: إن السموات مبسوطة كصُحفٍ مستوية^(٢) لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقال بعضهم: إنها مستديرة وهو قول (جميع^(٣)) المهندسين والغزالي^(٤) - رحمه الله^(٥) - قال ونحن نوافقهم على ذلك فإن لهم عليها دليلاً من المحسوسات ومخالفة الحسن لا يجوز وإن كان في الباب خبر نؤوله بما يحتمله فضلاً من (أن^(٦)) ليس في القرآن والخبر مما يدل على ذلك صريحاً بل ما يدل عليه الاستدارة^(٧) كقوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] «والفلك» اسم لشيء مستدير بل الواجب أن يقال: إن السماء سواء كانت مستديرة أو صفحة مستقيمة هو مخلوق بقدرة الله لا بإيجاب وطبع (وتقدم^(٨)) الكلام على نظير الآية إلى قوله: «كريم»^(٩). والكريم الحسن، أو ذي كرم لأنه يأتي كثيراً من غير حساب أو مُكْرِم^(١٠) مثل تَقْيِصٍ لِلْمُنْقِصِ.

قوله: «هَذَا خَلَقَ اللَّهُ» يعني هذا الذي ذكرت مما يُعَايِنُونَ خلق الله «فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» من آلهتكم التي تعبدونها وتقدم «ماذا» الاستفهام في البقرة^(١١). «بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» أي بين، أو مبين للعاقل أنه ضلال، والمراد بالظالمين المشركين الواضعين العبادة في غير موضعها.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢) وَلِذَلِكَ قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يُعْظِمُ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَبْنَى إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَبْنَى

(١) يقصد قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...» الآية وهي الآية رقم «٢».

(٢) في «ب» لصُحفٍ مبسوطة. (٣) سقطت من «ب».

(٤) ساقط من «ب». (٥) تقدم.

(٦) نقله الفخر الرازي ١٤٣/٢٥ وما بين القوسين سقط من «ب».

(٧) في «ب» ما يدل على الاستدارة. (٨) سقطت من «ب».

(٩) يشير إلى الآية «٧» من الشعراء وهي قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ».

(١٠) في «ب» يكرم.

(١١) يقصد قول الله عز وجل «مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» من الآية ٣٦ من نفس السورة.

أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ وَعَظِّضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ لقمان قيل: أعجمي وهو الظاهر فمنعه للتعريف والعجمة الشخصية^(١)، وقيل: عربي مشتق من اللقم وهو حينئذ مرَّجَلٌ لأنه لم يسبق له وضعٌ في النكرات^(٢) ومنعه حينئذ للتعريف وزيادة الألف والنون^(٣)، والعامل في «إذ» مضمَر.

قال ابن إسحاق^(٤) لقمان هو ناعور^(٥) بن ناحور بن تارخ، وهو آزر، وقال وهب^(٦) كان ابن أخت أيوب وقال مقاتل: ذكر أنه كان ابن خالة أيوب، وقال الواقدي^(٧): كان قاضياً في بني إسرائيل^(٨) واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة فإنه قال كان^(٩) نبياً وانفرد بهذا القول وقال بعضهم خَيْرُ لُقْمَانَ بَيْنَ النَّبَوَّةِ وَالْحِكْمَةِ فاختار الحكمة، وروي أنه كان نائماً نصف النهار^(١٠) فتوَدَّى يا لقمان: هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض فتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت وقال: إن خَيْرَني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم علي فسمعاً وطاعة فإني أعلم إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم^(١١) لِمَ يا لقمان؟ قال: لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يتشاه الظلم من كل مكان أن يعن فبالحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً خيراً من أن يكون شريفاً، ومن يختار الدنيا على الآخرة تُغْنِي الدنيا ولا يصيب الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطوقه فقام من نومه فأعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما

(١) القرطبي ٥٩/١٤ وإعراب القرآن للنحاس ٢٨٣/٣.

(٢) السابقان.

(٤) ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار المطلي مولى قيس بن مخزومة أبو عبد الله المدني أحد الأئمة الأعلام لا سيما في المغازي والسير عن أبيه وعطاء والزهرى وعنه يحيى الأنصاري وعبد الله بن عون، مات سنة ١٥١. انظر: خلاصة الكمال ٣٢٧ وانظر رأيه في القرطبي ٥٩/١٤.

(٥) في القرطبي «ناعوراء».

(٦) وهب بن منبه بن كامل الأنباري الصنعاني أبو عبد الله الإخباري عن ابن عباس وجابر وأبي سعيد، وعنه همام بن نافع وخلق، قتل سنة ١١٠ هـ. انظر: خلاصة الكمال ٤١٩. وانظر رأيه في القرطبي ٥٩/١٤.

(٧) الواقدي محمد بن عثمان بن واقد الأسلمي مولا هم الواقدي أبو عبد الله المدني أحد الأعلام وقاضي العراق عن ابن عجلان وابن جريج ومالك وعنه أحمد بن منصور الرمادي وابن سعد مات سنة ٢٠٧، انظر: خلاصة الكمال ٣٥٣.

(٨) زاد المسير ٣١٧/٦ والقرطبي ٥٩/١٤.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) في «ب» وسط النهار.

(١١) في «ب» لا يراهم.

اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة، كُلَّ ذَلِكَ بَعَفُو الله عَنْهُ وَكَانَ لَقْمَانُ تَوَازَرَهُ الْحِكْمَةُ، قَالَ خَالِدُ الرَّبْعِيِّ^(١): كَانَ لَقْمَانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَارًا، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ^(٢): كَانَ خِيَاطًا، وَقِيلَ: كَانَ رَاعِي غَنَمٍ^(٣)، فَرَوَى أَنَّهُ لَقِيَهِ رَجُلٌ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ فَقَالَ: أَلَسْتُ فَلَانًا الرَّاعِي فِيمَ بَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ؟ قَالَ: بِصَدَقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَتَرَكْتُ مَا لَا يَغْنِيْنِي، وَقَالَ مُجَاهِدٌ^(٤): كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ عَظِيمِ الشَّقَتَيْنِ مُشَقَّقُ الْقَدَمَيْنِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: اعْتَزَلَ لَقْمَانُ النَّاسَ فَزَلَّ مَا بَيْنَ الرِّقَّةِ (وَبَيْتِ)^(٥) الْمَقْدَسِ لَا يَخَالِطُهُمْ، وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ^(٦): كَانَ لَقْمَانُ الْحَبَشِيُّ عَبْدًا لِرَجُلٍ فَجَاءَ بِهِ إِلَى السُّوقِ لِيَبِيعَهُ^(٧) فَكَانَ كَلِمًا جَاءَ إِنْسَانٌ يَشْتَرِيهِ قَالَ لَهُ لَقْمَانُ: مَا تَصْنَعُ بِي (فَاعِلٌ)^(٨) فَيَقُولُ: أَصْنَعُ بِكَ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ: حَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ لَا تُشْتَرِيَنِي حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: مَا تَصْنَعُ بِي قَالَ أَصَيِّرُكَ بَوَابًا عَلَى بَابِي فَقَالَ: أَنْتَ اشْتَرَيْ^(٩) فَاشْتَرَاهُ وَجَاءَ بِهِ إِلَى جَارِهِ قَالَ: وَكَانَ لِمَوْلَاهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ يَبْغِينَ فِي الْقَرْيَةِ، وَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى ضَيْعَةٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَذْخَلْتُ إِلَيْهِنَّ طَعَامَهُنَّ وَمَا يَخْتَجْنَ إِلَيْهِ فَإِذَا خَرَجْتَ فَأَغْلِقِ الْبَابَ وَاقْعِدْ مِنْ وَرَائِهِ وَلَا تَفْتَحْهُ حَتَّى أَحْضُرَ قَالَ: فَفَعَلَ فَخَرَجْنَ إِلَيْهِ كَمَا كُنَّ يَخْرُجْنَ فَقُلْنَ (لَهُ)^(١٠): افْتَحِ الْبَابَ فَأَبَى (عَلَيْهِنَّ)^(١١) فَسَجَّجَتْهُ^(١٢) فَغَسَلَ الدَّمَ وَجَلَسَ، فَلَمَّا قَدِمَ^(١٣) مَوْلَاهُ لَمْ يَخْبِرْهُ (ثُمَّ عَادَ)^(١٤) مَوْلَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَذْخَلْتُ إِلَيْهِنَّ مَا يَحْتَجْنَ إِلَيْهِ فَلَا تَفْتَحِ الْبَابَ فَأَغْلِقِ الْبَابَ فَجِئْنَ إِلَيْهِ فَقُلْنَ لَهُ: افْتَحِ الْبَابَ فَأَبَى فَسَجَّجَتْهُ وَرَجَعْنَ فَغَسَلَ الدَّمَ وَجَلَسَ فَلَمَّا جَاءَ مَوْلَاهُ لَمْ يَخْبِرْهُ قَالَ: فَقَالَتِ الْكُبْرَى: مَا بَالُ هَذَا الْعَبْدِ الْحَبَشِيِّ أَوْلَى بِطَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنِّي وَاللَّهُ لَا تُؤْبِنُ فِتَابَتُ، (وَقَالَتِ الصَّغْرَى: مَا بَالُ هَذَا الْعَبْدِ الْحَبَشِيِّ وَهَذِهِ الْكُبْرَى أَوْلَى بِطَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنِّي وَاللَّهُ لَا تُؤْبِنُ فِتَابَتُ فَقَالَتِ الْوَسْطَى: مَا بَالُ هَاتَيْنِ وَهَذَا الْعَبْدِ الْحَبَشِيِّ أَوْلَى بِطَاعَةِ اللَّهِ مِنِّي وَاللَّهُ لَا تُؤْبِنُ فِتَابَتُ فِتَابَتُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَكُنَّ عَوَابِدُ^(١٦) الْقَرْيَةِ فَقَالَ غَوَاةُ الْقَرْيَةِ مَا بَالُ هَذَا الْعَبْدِ الْحَبَشِيِّ وَبَنَاتُ فُلَانٍ أَوْلَى بِطَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنَّا فَتَابُوا، وَعَنْ مَكْحُولٍ: أَنَّ لَقْمَانَ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) السابق والقرطبي ٥٩/١٤.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) هو ابن جرير الطبري وقد سبقت ترجمته.

(٥) سقط من «ب».

(٦) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٧) في «ب» يبيعه بدون لام.

(٨) في «ب» اشتري وهو الأصح.

(٩) ساقط من «ب».

(١٠) ساقط من «ب».

(١١) الأصح فشججته أي الباب - كما في الكلمة الثانية التي ذكرها وكما في «ب».

(١٢) في «ب» جاء.

(١٣) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(١٤) في «ب» عابدات.

(١٥) ساقط أيضاً من «ب».

(١٦) في «ب» عابدات.

وكان مولاه يلعب بالترد^(١) ويخاطر عليه، وكان على بابه نهر جارٍ فلعب يوماً بالترد على أن من قهر^(٢) صاحبه شرب^(٣) الماء الذي في البحر كله أو افتدى منه فقمر سيد لقمان فقال له القاهر: اشرب ما في النهر كله وإلا فافتديه فقال سَلْنِي القداء فقال: عينيك أَفْقَاهُما أو جميع ما تملك فقال: أُمَهِّلْنِي يوماً قال لك ذلك. فأَمَسَى كَثِيباً حَزِيناً فكلّمه لقمان فأعرض عنه فأعاد عليه القول فأعرض عنه فقال أخبرني فلعل لك عندي فرجاً فأخبره فقال: إذا قال لك الرجل اشرب ما في النهر فقل له أشرب ما بين حفتي النهر أو المد (فإنه^(٤)) يقول لك ما بين حفتي النهر فقل له احبس عني المد حتى أشرب ما بين الحفتين فإنه لا يستطيع وتكون قد خرجت مما^(٥) ضمنت له فعرف الرجل أنه قد صدق فطابت نفسه، فلما أصبح الرجل جاء فقال أَوْفِ لي شرطي فقال له نعم أشرب ما بين الضفتين أو المد فقال ما بين الضفتين^(٦) قال فاحبس عني المد قال كيف أستطيع فخصمه قال فأعتقه مولاه فأكرمه الله تعالى وكان يختلف إلى داود - عليه السلام - يقتبس منه فاختلف إليه سنة وداود يتخذ درعاً يسأله ما هذا ولم يخبره داود حتى فرغ منها وَلَيْسَها^(٧) على نفسه فقال عند ذاك: الصمت حكمة.

فصل

لما بين الله تعالى فساد اعتقاد المشركين في عبادة من لا يَخْلُقُ شَيْئاً بقوله: «هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» بين أن المشرك ظالم ضالّ ذكر ما يدل على أن ضلالهم وظلمهم نقيض الحكمة إن لم يكن هناك نبوة وذكر حكاية لقمان فقال: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ». (والحكمة^(٨)) عبارة عن توفيق العمل بالعلم، فإن أريد تَحْدِيدُها بما يدخل فيه حكمة الله فنقول: حصول العلم على وفق المعلوم^(٩).

قوله: «أَنْ اشْكُرْ» هذه «أَنْ» المفسرة، فسر الله إيتاء الحكمة بقوله: «أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ» ثم بين أن الشكر لا يشفع^(١٠) إلا الشاكر بقوله: «وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» وبين أن من كفر لا يتضرر غير الكافر، فقال: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» أي غير محتاج إلى شكره، وقدم الشكر على الكفران ههنا وقال في الروم: «وَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلْ

(١) قال في اللسان «والترد معروف شيء يلعب به فارسي معرب وليس بعربي وهو التردشير» اللسان: «ن ر د» ٤٣٩٢.

(٢) في «ب» قمر. (٣) في «ب» يشرب.

(٤) ساقط من «ب». (٥) في «ب» عما.

(٦) في «ب» الحفتين بدل من الضفتين. (٧) في «ب» وَلَيْسَ بتذكيره.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) قال بذلك فخر الدين الرازي في كتابه: «التفسير الكبير» ١٤٥/٢٥.

(١٠) المرجع السابق وفيه ثم بين أن بالشكر لا يتفجع وما في «ب» ثم بين أن الشكر لا يتفجع.

صَالِحًا فَلَا تُنْفُسُهُمْ يَمْهَدُونَ»^(١) لأن الذكر في الروم كان للترهيب ولذلك قال: «يَأْتِي يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ» فقدم التخويف، وههنا الذكر للترغيب؛ لأن وعظ الأب للابن يكون بطريق اللطف والوعد^(٢).

قوله: «وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ» هذا عطف على ما تقدم والتقدير آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكراً في نفسه، وحين جعلناه واعظاً لغيره.

قوله: «يَا بُنَيَّ» قرأ ابن^(٣) كثير بإسكان الياء وفتحها حفص والباقون^(٤) بالكسر «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ» بدأ في الوعظ بالأهم وهو المنع من الإشراك وقال: «إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»، أما أنه ظلم فلأنه وضع النفس الشريفة المكرومة في عبادة الخسيس، فوضع العبادة في غير موضعها.

قوله: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ» لما منعه من العبادة لغير الله والخدمة قريب منها في الصورة بين أنها غير ممتنعة بل هي واجبة لغير الله (في بعض^(٥) الصور) كخدمة الأبوين ثم بين السبب فقال: «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ» يعني الله على العبد نعمة الابتداء بالخلق ونعمة الإبقاء بالرزق أي صارت بقدرة الله سبب وجوده فإنها حملته وبرضاعه حصل التربية والبقاء.

قوله: «وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ» يجوز أن ينتصب^(٦) على الحال من (أُمُّهُ^(٧)) أي ضَعُفًا على ضعف. وقال ابن عباس: شدة عل شدة^(٨)، وقال مجاهد: مشقة بعد مشقة^(٩) وقال الزجاج: المرأة إِذَا حَمَلَتْ^(١٠) تَوَالَّى عليها الضعف والمشقة، وقيل: الحمل ضعف والوضع ضعف، وقيل: منصوب على إسقاط^(١١) الخافض أي في وهن. قال أبو البقاء^(١٢): «وعلى وهن» صفة له «لَوْهْنًا». وقرأ الثَّقَفِيُّ^(١٣) وأبو عمرو - في رواية - وَهْنًا

(١) الآية ٤٤ من السورة السابقة. (٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: السبعة ٥١٢.

(٤) وهم أبو بكر عن عاصم ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحزمة والكسائي.

انظر: المرجع السابق والنشر ٣٤٦/٢، وحجة ابن خالويه ٢٨٤، والقرطبي ٦٣/١٤، والبحر المحیط ١٧٦/٧.

(٥) ساقط من «ب». (٦) في «ب» ينصب.

(٧) ذكره القرطبي عن الإمام القشيري رضي الله عنه. انظر: القرطبي ٦٤/١٤.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير ٤٤٥/٣. (٩) السابق.

(١٠) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٦/٤.

(١١) ذكره أبو جعفر النحاس في كتابه «إعراب القرآن» انظره: ٢٨٥/٣ قال: «فما علمت أن أحداً من النحويين ذكره فيكون مفعولاً ثانياً على حذف الجر أي حملته بضعف على ضعف».

(١٢) نقله في التبيان أيضاً ١٠٤٤.

(١٣) المراد به عيسى بن عمر الثقفي وقد مر الترجمة له.

على وَهْنٍ - بفتح الهاء فيهما^(١) - فاحتمل أن تكونا لغتين كالشَّعْر والشَّعْر، واحتمل أن يكون المفتوح مصدر «وَهْنٌ» بالكسر يَوْهَنُ وَهْنًا.

قوله: «وفصّاله» قرأ الجَحْدَرِيُّ وقتادة وأبو رَجَاء^(٢) والحسن «وفضله» دون ألف^(٣) - أي وفطامته في عامين.

فإن قيل: وصى الله بالوالدين، وذكر السبب في حق الأم مع أن الأب وجد منه الحشر من الأم لأنه حملته في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو أبلغ.

فالجواب: أن المشقة الحاصلة للأم أعظم فإن^(٤) الأب حملته خلفه لكونه من جملة جَسَدِهِ، والأم حملته ثقلاً آدمياً مودع فيها وبعد وضعه وتربيته ليلاً ونهاراً وبينهما ما لا يخفى من المشقة.

قوله: «أَنْ أَشْكُرَ» في «أَنْ» وجهان:

أحدهما: أنها مفسرة^(٥).

والثاني: أنها مصدرية في محل نصب بـ «وَضِينَا» قاله الزجاج^(٦)، لما كان الوالدان سبب وجود الولد والموجد في الحقيقة للولد والوالدين هو الله أمر بأن يشكر قبلهما. ثم بين الفرق فقال «إِلَيَّ الْمَصِيرُ» أي المرجع، قال سفيان بن عيينة^(٧) في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أذبار الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فقد شكر الوالدين.

قوله: «وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» يعني أن خدمتهما واجبة، وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله فإن أفضى إليه فلا تُطِعْهُمَا، وتقدم تفسير الآية في العنكبوت. وقوله: «مَعْرُوفًا» صفة لمصدر محذوف^(٨) أي صحاباً معروفاً وقيل: الأصل: بمعروف^(٩).

قوله: «واتبع سبيل من أناب إليّ» أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي - ﷺ -

(١) هذه قراءة شاذة ذكرها ابن خالويه في المختصر ١١٧ و ١١٦ والمحتسب ١٦٧/٢ وانظر أيضاً القرطبي ٦٤/١٤ وزاد المسير ٣١٩/٦ والبحر ١٨٧/٧ والكشاف ٢٣٢/٣.

(٢) أبو رجاء عمران بن تميم العطاردي البصري التابعي الكبير كان مخضرمًا، أسلم في حياة النبي - ﷺ - وعرض القرآن على ابن عباس وتلقن من أبي موسى روى عنه أبو الأشهب العطاردي مات سنة ١٠٥ هـ انظر: طبقات القراء ٦٠٤/١.

(٣) الإتحاف ٣٥٩ والكشاف ٢٣٢/٣ والبحر ١٨٧/٧ ومختصر ابن خالويه ١١٧ والمحتسب ١٦٧/٢.

(٤) في «ب» «لأنَّ».

(٥) وقد تقدم أنها قول كثير من العلماء كالنحاس والفخر الرازي.

(٦) ذكره في معاني القرآن وإعرابه ١٩٦/٤.

(٧) انظر القرطبي ٦٥/١٤.

(٨) التبيان ١٠٤٤.

(٩) السابق.

قال عطاء عن ابن عباس: يريد: أبا بكر^(١)، وذلك أنه حين أسلم أياه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له: (لقد صدقت هذا الرجل وآمنت^(٢)) به قال نعم هو صادق فأمنوا ثم حملهم^(٣) إلى النبي - ﷺ - حتى أسلموا وهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر قال الله (تعالى^(٤)): «وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ» يعني أبا بكر.

قوله: «إِلَيَّ» متعلق «بأناب» ثم «إِلَيَّ» متعلق بمحذوف لأنه خبر «مرجعكم» فَأَتَيْتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. قيل: نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص^(٥) وأمه، وقيل: الآية عامة^(٦).

قوله: «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا» هذا الضمير يرجع إلى الخطيئة، وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها (الله^(٧))؟ فقال: «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ». قوله: «إِنْ تَكُ» الضمير ضمير القصة، والجمللة الشرطية مفسرة (للضمير^(٨))، وتقدم أن نافعاً يقرأ مِثْقَالُ^(٩) بالرفع على أن كَانَ تامة^(١٠) وهو فاعلها وعلى هذا فيقال: لم ألحقت فعله تاء التانيث؟ قيل: لإضافته إلى مؤنث؛ ولأنه بمعنى «زِنَةُ حَبَّةٍ»^(١١)، وجوز الزمخشري في ضمير «إِنَّهَا» أن تكون للحبة من^(١٢) السيئات والإحسان في قراءة من نصب «مِثْقَالُ». وقيل: الضمير يعود على ما يفهم من^(١٣) سياق الكلام أي إِنْ التي سألت عنها (إِنْ تَكُ^(١٤))، قال المفسرون: إنه سأل أباه أَرَأَيْتَ الْحَبَّةَ تَقَعُ فِي^(١٥) مغاص البحر يعلمها الله؟.

(١) نقله أبو الفرج الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٢٠ كما ذكره السيوطي في أسباب النزول ١٢٥.

(٢) نفسه. وفي «ب» وأثبت.

(٣) في «ب» «فَحَمَلَهُمْ».

(٤) ذكر ذلك ابن كثير عن الطبراني ٣/ ٤٤٥.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) وهو ما لم يوافق عليه القرطبي حيث قال: «والصحيح أن هاتين الآيتين نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص» القرطبي ٦٣/ ١٤.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) ساقط من «ب».

(٩) تقدمت كلمة: «مِثْقَالُ» في السور النساء ويونس، والأنبياء، ولكنه يقصد آية الأنبياء وهي قول الله - عز وجل -: «وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ». وهي الآية ٤٧ من السورة هذه.

انظر: اللباب ٦/ ٣٢١. حيث أوضح هناك أن نافعاً يقرأ بالرفع كما ذكر أعلى.

(١٠) كان التامة هي التي لا تحتاج إلى اسم وخبر بل تحتاج إلى فاعل فقط كأي فعل متعد كعذه التي معنا، وكقول الله تعالى: «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ».

(١١) ذكره أبو حيان في بحره ٧/ ١٨٧.

(١٢) انظر: كشافه ٣/ ٢٣٣. قال: «فَمَنْ نصب كان الضمير للهيئة من الإساءة والإحسان أي: إن كانت مثلاً في الصغر والقماء كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأخرزه كجوف الصخرة».

(١٣) وهو ما يسمى بضمير القصة والبصريون يجيزون ذلك في المؤنث والمذكر على حد، بينما لم يجز الكوفيون في المذكر. القرطبي ٦٧/ ١٤.

(١٤) نقله الكشاف ٣/ ٢٣٣.

(١٥) ساقط من «ب».

قوله: «فَتَكُنَّ» الفاء لإفادة الاجتماع يعني إن كانت صغيرة ومع صغرها تكون خفية في موضع حريز^(١) كالصخرة لا تخفى على الله لأن الفاء للاتصال بالتعقيب وقرأ عبد الكريم الجحدري^(٢) «فَتَكُنَّ» بكسر^(٣) الكاف، وتشديد النون مفتوحة أي فتستقر. وقرأ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ^(٤) الْبَغْلَبِيُّ: فَتَكُنَّ؛ إِلَّا أَنَّهُ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ^(٥)، وقرأ «فَتَكُنَّ» بكسر الكاف وتخفيف النون مضارع «وَكُنَّ»^(٦) أي استقر في وَكُنَّه ووَكَرِهَ.

فصل

الصخرة لا بد وأن تكون في السموات أو في الأرض فما الفائدة من ذكرها؟ قال بعض المفسرين المراد بالصخرة صخرة عليها الثور وهي لا في الأرض^(٧) ولا في السماء، وقال^(٨) الزمخشري: فيه إضمار تقديره إن تَكُنَّ في صخرة أو في موضع آخر في السموات أو في الأرض. وقيل: هذا من تقديم الخاص وتأخير العام، وهو جائز في مثل هذا التقسيم^(٩)، وقيل: خفاء الشيء يكون بطرق منها أن يكون في غاية الصغر، ومنها أن يكون بعيداً، ومنها أن يكون في ظلمة ومنها أن يكون وراء حجاب فإن بين أحد هذه الأمور فلا يخفى في العادة فأثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط فقوله: «إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» إشارة إلى الصغر، وقوله: «فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ» إشارة إلى الحجاب، وقوله: «فِي السَّمَوَاتِ»^(١٠) إشارة إلى البعد، فإنها أبعد الأبعاد، وقوله: «أَوْ فِي الْأَرْضِ» إشارة إلى الظلمة فإن جوف الأرض أظلم الأماكن، وقوله: «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» أبلغ من قول القائل: يعلمه الله لأن من يظهر له شيء (ولا يقدر^(١١)) على إظهاره لغيره يكون حاله في العلم دون حال من يظهر له الشيء (ويظهره لغيره فقوله: «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» أي يظهرها للإشهار^(١٢)) «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ نَافِذُ الْقُدْرَةِ، «خَبِيرٌ» عالم ببواطن الأمور، روي في بعض الكتب أن هذه آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات، قال الحسن: معنى الآية هو^(١٣) الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها.

(١) في «ب» جلد. (٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: مختصر ابن خالويه في شواذ القراءات ١١٧.

(٤) هو محمد بن هاشم بن سعيد البعلبكي روى عنه أحمد بن عمير الدمشقي وغيره. انظر: اللباب في تهذيب الأسماء لابن الأثير ١/ ١٦١ و ١٦٢.

(٥) المرجع السابق.

(٦) السابق والمحتسب ١٦٨/٢ وانظر في هذه القراءات الشاذة أيضاً البحر ١٨٧/٧ والقرطبي ٦٧/١٤ والكشاف ٣/ ٢٣٣.

(٧) انظر: تفسير الفخر ١٤٨/٢٥. (٨) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٩) في «ب» التفسير. (١٠) ساقط من «ب».

(١١) ما بين القوسين أيضاً ساقط من «ب». (١٢) ساقط من «ب».

(١٣) في «ب» هي.

قوله: «يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ» لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته أمره بما يلزم من التوحيد وهو الصلاة^(١) وهي العبادة لوجه الله مخلصاً وبهذا يعلم أن الصلاة كانت في سائر الملل غير أن هيئاته اختلفت^(٢). وقوله: «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ» أي إذا كملت أنت في نفسك بعبادة الله فأكمل غيرك فإن شغل الأنبياء رتبهم^(٣) عن العلماء هو أن يكملوا في أنفسهم ويكملوا غيرهم «واضْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ» يعني من الأذى لأن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يؤذى فأمره بالصبر عليه^(٤).

فإن قيل: كيف قدم (في^(٥)) وصيته لابنه الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر وحين أمر ابنه قدم النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف فقال: «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ» ثم قال: «أَقِمِ الصَّلَاةَ»؟

فالجواب: أنه كان يعلم أن ابنه معترفٌ بوجود الإله فما أمره بهذا المعروف بل نهاه عن المنكر الذي يترتب على هذا المعروف، وأما^(٦) ابنه فأمره أمراً مطلقاً والمعروف يقدم على^(٧) المنكر. قوله: «مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» يجوز أن يكون عزم بمعنى مفعول أي من مَعَزُومَاتِ^(٨) الأمور أو بمعنى عازم كقوله: «فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ» [محمد: ٢١] وهو مجاز بليغ، وزعم المبرد أن العين^(٩) تبدل حاء فيقال «حَزَمٌ، وَعَزَمٌ» والصحيح أنهما مادتان مختلفتان اتفقا في المعنى، والمراد من الآية أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى (فيهما^(١٠)) من الأمور الواجبة التي أمر الله تعالى بها ويعزم عليها لوجوبها.

قوله: «وَلَا تُصَعِّرْ» قرأ ابن كثير وابنُ عامر وعاصمٌ «تُصَاعِرْ»^(١١) بآلف وتخفيف العين، والباقون بالألِف وتشديد العين، والرسم يحتملهما، فإنه رسم بغير ألف، وهما

(١) في «ب» وهي أيضاً. (٢) تفسير الفخر ١٤٨/٢٥.

(٣) في تفسير الفخر: «وَوَرَّثَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ» وهو الأصح من كلتا النسختين.

(٤) انظر: التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ١٤٨/٢٥ في كل ما سبق.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) في «ب» فأما.

(٧) نقله في تفسير الفخر الرازي ١٤٩/٢٥.

(٨) انظر: ٢٣٣/٣، من تفسير الكشاف.

(٩) نقله أبو حيان في البحر ١٨٨/٧، قال: «وقال مؤرِّج: الْعَزَمُ وَالْحَزَمُ بِلُغَةِ هَذَيْلٍ وَالْحَزَمُ وَالْعَزَمُ أَصْلَانِ وَمَا قَالَهُ الْمَبْرِدُ مِنْ أَنَّ الْعَيْنَ قَلَبَتْ حَاءً، لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَطْرَادِ تَصَارِيفِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّفْظَيْنِ وَلَيْسَ أَحَدُهُمَا أَصْلًا لِلْآخَرِ».

(١٠) سقط من ب.

(١١) قاله في الإتحاف ٣٥٠، وابن مجاهد في السبعة ٥١٣ والبحر ١٨٨/٧ والفراء ٣٢٨/٢ والكشاف ٣/٢٣٤.

لغتان لغة الحجاز التخفيف وتميم الثقيل فمن الثقيل قوله:

٤٥٥ - وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ أَقْمَنَّا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَيَقْوَمُ^(١)
ويقال أيضاً: تَصَعَّر، قال:

٤٥٦ - أَقْمَنَّا لَهُ مِنْ خَدِّهِ الْمُتَصَعَّرِ^(٢)

وهو من الميل، وذلك أن المتكبر يميل بِخَدِّهِ تكبراً كقوله ﴿كَانَ عِطْفُهُ﴾ [الحج: ٩]. قال أبو عبيدة: أصله من الصَّعَرِ داء يأخذ الإبل في أعناقها فتميل وتَلْتَوِي^(٣)؛ يقال: صَعَرَ وجهه وصَاعَرَ^(٤) إذا مال وأعرض تكبراً، ورجل أَصَعَرَ أي مائل العنق، وتفسير الزبيدي^(٥) له بأنه التَّشْدُّقُ في الكلام^(٦) لا يوافق الآية هنا، قال ابن عباس: يقول لا تتكبر فتحترق الناس وتعرض عنهم وجهك إذا كلموك^(٧)، وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينك وبين إخته فتلقاه فيعرض عنك^(٨) بوجهه، وقال عكرمة: هو الذي إذا سلم عليه لوى عُنُقَهُ تكبراً^(٩)، وقال الربيع بن أنس وقتادة ولا تحتقر الفقراء ليكون الغني والفقير عندك سواء^(١٠)، واعلم أنه لما أمره بأن يكون كاملاً في نفسه مكماً لغيره فكان يخشى بعدهما من أمرين:

(١) البيت من الطويل. وهو مختلف في نسبه ما بين عمرو بن حنبل التغلبي والمُتَمَلِّس. وجيء بالبيت استشهاداً بلغة تميم وهي الثقيل في «صعر» وقد نسب أبو عبيدة البيت في المجاز ١٢٧/٢ إلى عمرو، ونسب الأصمعي في الأصمعيات ٢٤٥ البيت للمتلّس.

انظر: البحر المحيط ١٨٢/٧ والقرطبي ٦٩/١٤ وابن كثير ٤٤٦/٣ وابن جرير ٤٧/٢١ ومجمع البيان للطبرسي ٥٠٠/٧ وقد روي البيت بقافية الخطاب والغيبة والإطلاق فروي: «فَقَوِّمُ» وروي: «فَيَقْوَمُ» كما هو أعلى وروي: «فَقَوِّمًا» كما في ابن كثير. وانظر اللسان: «ص ع ر» ٢٢٤٧ والتاج: «د ر أ» ١/٢٢٢.

(٢) شطري بيت من الطويل عجزاً وصدرة:

إِذَا الْأَصَعَرُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ

وهو للأخطل التَّغْلِيبيّ وجيء به استشهاداً بلغة الثقيل وهي لغة تميم في كلمة «متصعر» وفي الديوان: «مُتَصَاعِر» بلغة التخفيف وهي لغة أهل الحجاز وعلى ذلك فلا شاهد فيه حينئذ، ويكون شاهداً لقراءة ابن كثير وصحبه أي لا على لغة الحجازيين. انظر: الديوان «٤٣٣» والقرطبي ٦٩/١٤ والبحر المحيط.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٢٧/٢. (٤) انظر: اللسان: «ص ع ر» ٢٤٤٧.

(٥) الزبيدي: يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد الزبيدي النحوي المقرئ، حدث عن أبي عمرو والخليل وعنهما أخذ العربية، صنّف مختصراً في النحو، المقصور والممدود، النوادر وغير ذلك مات سنة ٢٠٢ هـ انظر: بغية الوعاة ٣٤٠/٢.

(٦) نقله في البحر ١٨٢/٧. (٧) زاد المسير ٣٢٢/٦.

(٨) السابق. (٩) السابق.

(١٠) وهو رأي أبي العالية أيضاً. انظره في زاد المسير ٣٢٢/٦.

أحدهما: التكبر على الغير لكونه مكملًا له.

والثاني: التبخر في المشي لكونه كاملاً في نفسه فقال: «وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ» تكبراً
«وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا» أي خَيْلًا «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ» في نفسه «فَخُورٍ»
على الناس بنفسه.

قوله: «وَأَقْصِدْ» (هذا قاصر^(١)) بمعنى اقْصِدْ واسلك الطريقة الوسطى بين ذلك
قَوَاماً أي ليكن مشيك قصداً لا تخيلاً ولا إسراعاً^(٢). وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة
لقوله: «يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا» [الفرقان: ٦٣].

(وَقُرِئَ)^(٣) «وَأَقْصِدْ» بهزمة قطع من أَقْصَدَ إِذَا سَدَّدَ^(٤) سهمه للرَّمِيَّةِ.

قوله: «وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ» مِنْ تَبْعِيضِيَّةٍ، وعند الأخفش يجوز أن تكون
زائدة^(٥)، ويؤيده قوله «يَغْضُضُونَ أَسْوَدَهُمْ» [الحجرات: ٣]. وقيل: «من صوتك» صفة
لموصوف محذوف أي شيئاً من^(٦) صوتك، وكان^(٧) الجاهلية يتمدحون برفع الصوت،
قال: [من المتقارب]:

٤٥٢ - جَهِيرَ الْكَلَامِ جَهِيرَ الْعُطَاسِ جَهِيرَ الرُّوَاءِ جَهِيرَ النَّعَمِ^(٨)

والمعنى أَنْقِصْ من صوتك، وقال مقاتل: اخفض من صوتك.

فإن قيل: لِمَ ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي؟

فالجواب: أن رفع الصوت يؤدي السامع ويقرق الصَّماخ^(٩) بقوته، وربما يخرق
الغِشاء الذي داخل الأذن، وأما سرعة المشي فلا تؤذي وإن أذت فلا يؤدي غير من في
طريقه والصوت يبلغ من على اليمين وعلى اليسار ولأن اللمس يؤدي آلة اللمس والصوت

(١) سقط من «ب». (٢) في «ب» ولا إسراعاً.

(٣) سقطت من «ب».

(٤) في «ب» شدد بالشين والأصح هنا والقراءة لعيسى الحجازي.
انظروا: التكمشاف ٣/ ٢٣٤ والبحر المحيط ٧/ ١٨٩، ومختصر ابن خالويه ١١٧.

(٥) نقلها السمين في الدر المصون ٤/ ٣٤٤ وأبو البقاء في التبيان ١٠٤٥.

(٦) المرجعان السابقان. (٧) في «ب» وكانت بناء التانيث.

(٨) هذا أحد بيتين أنشدهما المبرد في كامله، والآخر هو:

وَيَغْدُو عَلَى الْأَيْنِ غَدُوَ الظِّلِيمِ وَيَغْلُو الرُّجَالُ بِخَلْقِي غَمَمِ

وهما لرجل مجهول يمدح خليفة العباسيين الرشيد مدحاً مبیناً في الوجه والكلام ورخامة الصوت ومهما
كان الأمر فإنه هو الدائم الذي لا يتغير فلم يبال «بأين» (إعفاء) أو غيره والاستشهاد بالبيت برفع الكلام
في قوله «جهير الكلام». انظر: الكامل ٢/ ١٦٣ والقرطبي ١٤/ ٧٢ والبحر المحيط ٧/ ١٨٩ والسراج
المنير ٣/ ١٩٠.

(٩) هو صماخ الأذن وهو الخرق الباطن الذي يُفْضِي إلى الرأس. وقيل: هو الأذن نفسه. اللسان [ص.
م. خ].

يؤدي آلة السمع، وآلة السمع على باب القلب فإن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب ولا كذلك للمس وأيضاً فلأن قبيح القول أقيح من قبيح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان تزججان القلب^(١).

قوله: «إِنَّ أَنْكَرَ» قيل: أنكر مبني من مبني للمفعول نحو: «أشغل من ذات النحيين»^(٢)، وهو مختلف فيه^(٣) ووجد «صوت» لأنه يراد به الجنس وإضافته لجمع، وقيل: يحتمل أن يكون «أنكر» من باب «أطوع له من بنانه» ومعناه أشد طاعة^(٤). فإن «أفعل» لا يجيء (في)^(٥) «مفعول»^(٦) ولا في «مفعول»^(٧) ولا في باب العيوب^(٨) إلا ما شدّ ققولهم^(٩): «أَطَوَّعُ مِنْ كَذَا»^(١٠) للتعويض على المطيع و «أشغل من ذات النحيين»^(١١) و «أخمق»^(١٢) (من فلان)^(١٣) من باب العيوب^(١٤)، وعلى هذا فهو من باب «أفعل»^(١٥) كأشغل في باب مفعول^(١٦) فيكون للتعويض على المنكر. أو نقول هو من باب «أشغل» مأخوذ من نكّر الشيء فهو منكور، وهذا أنكر منه، وعلى هذا فله معنى لطيف وهو أن كل حيوان قد يفهم من صوته^(١٧) بأنه يصيح من ثقل أو تعب كاليعير أو لغير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق بصوت منكّر (فيمكن)^(١٨) أن يقال: هو من نكير كأحد من حديد^(١٩).

فإن قيل: كيف يفهم كونه أنكر الأصوات مع أن حز المنشار بالمبرد ودق النحاس بالحديد أشد صوتاً؟!

(١) تفسير الفخر الرازي ١٥١/٢٥.

(٢) ذكره في جمهرة الأمثال كما ذكره الميداني في مجمع الأمثال ١٨٤/٢ والنحيان مثني (نحي) وهو وعاء من جلد كان يوضع فيه السمّ وذكر المؤلف هذا المثال على أن الفعل مأخوذ من مبني للمفعول «مَشْغُول» وشغل وكذلك الآية (أنكر) من مُنْكَرٍ وَأَنْكَرَ.

(٣) انظر: الأشموني ٤٤/٢. (٤) فيكون على باب التفضيل والمشاركة.

(٥) سقطت من «ب».

(٦) يقصد أن التفضيل يبنى من الفعل الثلاثي وأنكر فعل رباعي واسم فاعله «مُنْكَرٌ» واسم مفعوله «مُنْكَرٌ».

(٧) يشير إلى أن الفعل الثلاثي هذا الذي يصاغ منه أفعل التفضيل لا بد أن يكون مبنيّاً للمعلوم لا للمجهول.

(٨) يشير إلى أنّ هذا الفعل يخلو من أي عيب وأخمق فيه العيب.

(٩) في «ب» لقولهم.

(١٠) فكان على القاعدة أن نقول أشد طاعة حيث إن «أطاع» رباعي كأنكر.

(١١) وأشغل هنا من فعل مبني للمجهول «شَغِلْتُ فِيهِ مَشْغُولَةً».

(١٢) وأخمق مبني من (خَمَقَ) وهو فعل عيب.

(١٣) سقطت من «ب».

(١٤) في «ب» الصوت وهو تحريف.

(١٥) أي أفعل فعلاء كأخمق خَمَقَاءَ وأخمر خَمَرَاءَ أو باب أفعل الزائد على ثلاثة أحرف.

(١٦) أي البناء المجهول لا للمعلوم.

(١٧) تفسير الفخر الرازي ١٥١/٢٥.

(١٨) سقطت من «ب».

(١٩) في تفسير الفخر الرازي: كأجدر من جدير.

فالجواب من وجهين:

- الأول: أن المراد أنكر أصوات الحيوانات صوتاً الحمير فلا يرد السؤال.
الثاني: أن الأمر بمصلحة وعبادة لا ينكر صوته بخلاف صوت (الحمير)^(١).

فصل

قال مقاتل: اخفيض من صوتك «إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتُ» أقبح الأصوات «لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» أوله زفير، وآخره شهيق وهما صوت (أهل^(٢) النار) وقال موسى بن عيين^(٣) سمعت سفيان الثوري يقول في قوله تعالى: «إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتُ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» قال صباح كل شيء تسبيح^(٤) لله تعالى إلا الحمار وقال جعفر^(٥) الصادق في قوله تعالى: «إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتُ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» قال: هي العطسة^(٦) القبيحة المنكرة، قال وهب تكلم لقمان اثني عشر ألف كلمة من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم ومن حكمه: قال خالد الربيعي^(٧) كان لقمان عبداً حبشياً فدفع (له) مولاه إليه شاة فقال اذبحها فأنتني^(٨) بأطيب مضغتين منها فأثابه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال: ليس شيء أطيّب منهما إذا طابا ولا أحبّ منهما إذا خبّتا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ٢١ ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ٢٣ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٢٤ ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ غَالِظٌ ٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٢٦ ﴿

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ...﴾ الآية (أي)^(٩) سخر لأجلكم ما في السماوات والقمر والنجوم مسخرات بأمره وفيها الفوائد لعباده وسخر ما في الأرض لأجل عباده.

(٢) كذلك.

(١) سقطت من «ب».

(٣) هو: موسى بن عيين الجزري أبو سعيد الحراني عن خصيف، والأعمش وجماعة وعنه: الوليد بن مسلم وغيره مات سنة ١٧٧. انظر: خلاصة الكمال ٣٨٩.

(٤) نقله القرطبي في ٧٧/١٤، بلفظ «إلا نهيق الحمار».

(٦) في «ب» العطية الكبيرة وهو تحريف.

(٥) تقدم.

(٨) في «ب» وانتني.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير ٤٤٣/٣.

(٩) ساقط من «ب».

قوله: «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ» قرأ نافع وأبو عمرو وحفص (نِعْمَةً) جمع نِعْمَةٍ مضافاً لها الضمير «فَظَاهِرَةٌ» حال^(١) منها، والباقون «نِعْمَةً» بسكون^(٢) العين، وتنوين تاء التانيث، اسم جنس يراد به الجمع كقوله: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم ٣٤] و [النحل: ١٨] فظاهرة (نعت)^(٣) لها، وقرأ ابن عباس ويحيى بن عمار^(٤) «وَأَضْيَغَ» بأبدال السين صاداً^(٥) وهي لغة كلب^(٦)، يفعلون ذلك مع الغنّ والحاء والقاف، وتقدم نظير هذه الجمل كلها في البقرة^(٧).

فصل

قال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة الإسلام، والقرآن، والباطنة ما ستر عليك من الذنوب، ولم يعجل^(٨) عليك بالنقمة، وقال الضحاك: الظاهرة حُسن^(٩) الصورة وتسوية الأعضاء، والباطنة المعرفة، وقال مقاتل: الظاهرة تسوية الخلقة، والرزق، والإسلام والباطنة: ما ستر عليك من الذنوب^(١٠) وقال الربيع^(١١) الظاهرة الجوارح، والباطنة القلب^(١٢)، وقيل: الظاهرة تمام الرزق والباطنة حُسن^(١٣) الخلق، وقال عطاء: الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة الشفاعة^(١٤)، وقال مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد^(١٥) بالملائكة، وقيل: الظاهرة الإمداد بالملائكة والباطنة إلقاء الرعب في قلوب الكفار^(١٦)، وقال سهل بن^(١٧) عَبْدُ اللَّهِ: الظاهرة: اتباع الرسول والباطنة محبته.

(١) السبعة لابن مجاهد ٥١٣ والإتحاف ٣٥٠ والكشاف ٢٣٤/٣ والقرطبي ٧٣/١٤ والبحر المحيط ٧/١٩٠، والحجة لابن خالويه ٢٨٦، والنشر ٣٤٧/٢ وتقريبه ١٥٩.

(٢) السابقة.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) وقيل: ابن عباد عن سعيد بن جبير وعنه الأعمش، وثقه ابن حبان. انظر: خلاصة الكمال ٤٢٦.

(٥) ذكره ابن جني في المحتسب ١٦٨/٢ و ١٦٩، وانظر كذلك القرطبي ٧٣/١٤ والبحر المحيط ٧/١٩٠.

(٦) في «ب» كليب.

(٧) يقصد قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ وهي الآية ١٣٨ من السورة وقوله: «اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» وهي الآية ٤٠ من نفس السورة والقراء الذين ذكرهم وذكروا أغلى هم نفس القراء. انظر: اللباب ١/١٢٠ ب ميكرو فيلم.

(٨) في «ب» يتحمل وهو تحريف وانظر هذا الرأي في زاد المسير ٣٢٤/٦.

(٩) نفسه.

(١٠) فتح القدير للشوكاني ٢٤١/٤.

(١١) القرطبي ٧١/١٤، ٧٢، ٧٤.

(١٢) فتح القدير ٢٤١/٤.

(١٣) (١٤) (١٥) (١٦) المراجع السابقة.

(١٧) هو ابن أبي حزم مهران أو عبد الله القطعي أبو بكر البصري.

انظر: اللباب ٤٦/٣ وتقريب التهذيب ٣٣٨/١.

قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» نزلت في النضر بن (١) الحرث، وأبي بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي - ﷺ - وفي صفاته «بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ» أي بغير هدى أرسلناه إليه (رُخْيَا) (٢) ولا بكتاب يثلى عليه وعظاً «وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا» بين أن مجادلتهم مع كونها من غير علم فهي في غاية القبح، فإن النبي - ﷺ - كان يدعوهم إلى كلام الله وهم يأخذون بكلام آبائهم وبين كلام الله وكلام العلماء بؤن عظيم فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهال (٣)؟ ثم قال: «أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ»، جواب «لو» محذوف ومجازه: يدعوهم فيتبعونه أي يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير، والمعنى أن الله يدعوهم إلى الثواب، والشيطان يدعوهم إلى العذاب وهم مع هذا يتبعون (الشيطان) (٤) وقد تقدم الكلام على «أَوْ لَوْ» ونحوه.

قوله: «وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ» قرأ علي (وَالسُّلْمِيُّ) (٥) «يُسَلِّمُ» بالتشديد (٦)، لما بين حال المشرك والمجادل (٧) في الله بين حال المستسلم المسلم لأمر الله وقوله: «وَهُوَ مُحْسِنٌ» أي الله يعني يخلص دينه لله ويفوض أمره إليه وهو محسن في عمله «فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» أي اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه لأن أوثق العُرَى جانب الله، فإن كل ما عداه هالك منقطع وهو باقي لا انقطاع له «وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» يعني فقد استمسك بالعروة التي توصله إلى الله لأن عاقبة كل شيء إليه. فإن قيل: كيف قال ههنا: «وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ» (فعدها «بإلى» (٨) وقال في البقرة: «بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» فعدها باللام؟ فقال الزمخشري: أسلم لله (٩) أي إلى الله يعني أن «أَسْلَمَ» يتعدى تارة «باللام» وتارة «بإلى» كما يتعدى «أَرْسَلَ» تارة باللام، وتارة «بإلى» قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ﴾ [النساء: ٧٩] وقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥] ثم قال: «وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» (لما بين (١٠) حال

(١) ما بين القوسين كله ساقط من «ب». (٢) كذلك.

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٥٣/٢٥. (٤) ساقط من «ب».

(٥) سقطت من «ب».

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٧/٤ ومختصر ابن خالويه ١١٧ بنسبتها أيضاً إلى عبد الله بن مسلم بن يسار. والقرطبي ٧٤/١٤ والكشاف ٢٣٥/٣ والبحر المحيط ١٩٠/٧ ومعاني الفراء ٣٢٩/٢.

(٧) في «ب» والمجاهد وهو تحريف.

(٨) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٩) الكشاف للزمخشري ٢٣٥/٣ قال: «فإن قلت: ما له عدي بإلى وقد عدي باللام في قوله: بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وهو مُحْسِنٌ؟ قلت: معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالماً لله أي خالصاً له. ومعناه مع «إلى» أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه».

(١٠) ما بين القوسين ساقط من «ب».

المسلم رجع إلى بيان حال الكافر وقال: «ومن كفر فلا يحزنك» أي لا تحزن إذا كفر كافر، فإن من يكذب وهو مقطوع بأن صدقه بين عن قرب لا تحزن بل قد يتوب^(١) المكذب عن تكذبه، وأما إذا كان لا يرجو ظهور صدقه فإنه يتألم من التكذيب فقال: «لَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ» فإن المرجع إلَيَّ «فَانْبِئْهُمْ بِمَا عَمِلُوا» فَيَنْحَجِلُونَ ثم قال «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أي لا يخفى عليه سرُّهم وعلايتهم فينبئهم بما أسرته صدورهم.

قوله: «نُتَبِّهُهُمْ قَلِيلًا» أي نمهلهم ليمتدحوا بنعم الدنيا قليلاً إلى انقضاء آجالهم «ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ» نلجئهم ونردهم في الآخرة «إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ» وهو عذاب النار.

قوله: «وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...» الآية لما استدلل بخلق السموات بغير عمد، وبنعمه الظاهرة والباطنة بين أنهم يعترفون بذلك ولا ينكرونه وهذا يقتضي أن الحمد كله لله لأن خالق السموات والأرض محتاج^(٢) إليه كل من في السماوات والأرض، وكون الحمد كله لله^(٣) يقتضي أن لا يعبد غيره لكنهم لا يعلمون هذا، ووجه آخر وهو أن الله تعالى لما سلى قلب النبي - عليه السلام^(٤) - بقوله: «فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ إِنِّي أَنَا مَزَجُهُمْ فَتَنَّبَهُمْ بِمَا عَمِلُوا» أي لا تحزن على تكذيبك فإن صدقك وكذبهم يتبين عن قريب وهو رجوعهم إلينا بل لا يتأخر إلى ذلك اليوم بل يتبين قبل يوم القيامة بأنهم يعترفون بأن خالق السموات والأرض هو الله، ثم قال في دعوى الوحداية وتبين كذبهم في الشرك «قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» على (ظهور^(٥)) صدقك وكذبهم^(٦) «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» أي ليس لهم علم بمنهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك، وعلى هذا يكون «لَا يَعْلَمُونَ» استعجالاً للفعل مع القطع عن المفعول بالكلية، كما يقال: فلان يُعْطِي وَيَمْنَعُ ولا يكون ضميره من يعطي بل يريد أن له عطاءً ومنعاً فكذلك ههنا قال: «لَا يَعْلَمُونَ» أي ليس لهم علم، وعلى الأولى يكون «لا يعلمون»^(٧) له مفعول مفهوم وهو أنهم لا يعلمون أن الحمد كله لله وعلى الثاني هو كقول القائل: فلان لا علم له بكذا.

قوله: لا علم له وكذا قوله: فلان لا ينفع زيدا ولا يضره دون قوله: «فلان لا يضر ولا ينفع»^(٨).

قوله تعالى: «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» ذكر ما يلزم منه وهو أن يكون له ما

(١) في تفسير الفخر الرازي بل قد يؤنب المكذب على الزيادة في التكذيب.

(٢) في «ب» يحتاج.

(٣) في «ب» وكون الحمد كلمة لله.

(٤) في «ب» ﷺ.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) في «ب» وتبين كذبهم.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) وانظر في هذا كله التفسير الكبير للفخر الرازي ١٥٥/٢٥.

فيهما «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» أي إن الكل لله وهو غير محتاج إليه غير منتفع به وخلق منافعها لكم، فهو غني لعدم حاجته «حميد» مشكور (لدفعه^(١)) حوائجكم بها.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَوَحْدَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِرَبِّكَ مِنْ عَائِنَتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَلَّمَا يَجْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَعَنَّهُمْ مُفْنِنٌ وَمَا يَحْمَدُ بِعَائِنِنَا إِلَّا كُلُّ خَشَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)

قوله: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ...» الآية. لما قال: الله ما في السماوات والأرض أوهم تناهي ملكه لانحصار ما^(٢) في السموات والأرض فيهما وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين أن في قدرته وعلمه عجائب لا نهاية لها فقال: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ» يكتب بها والأبحر مداد لا تغني عجائب صنع الله، قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]، إلى قوله: «وَمَا أوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» فلما هاجر رسول الله - ﷺ - أنه أبحار اليهود فقالوا يا محمد: بلغنا أنك تقول: وما أوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا، أَفَعَنَيْنَا أَمْ قَوْمَكَ؟ فقال - عليه السلام - : كلا قد عنيت. قالوا: أأنت تتلو فيما جاءك^(٣) إنا أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فقال رسول الله - ﷺ - : هي في علم الله قليل، وقد أتاكم ما إن عملتم به انتفعتُم قالوا يا محمد: كيف تزعم هذا وأنت تقول: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» فكيف يجمع^(٤) هذا علم قليل وخير كثير؟ فانزل الله هذه الآية^(٥). وقال قتادة: إن المشركين^(٦) قالوا: إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفذ فينقطع فنزلت: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام. ووحد الشجرة^(٧)، وجمع الأقلام ولم يقل: ولو أن ما في الأرض من الأشجار أقلام ولم يقل من شجرة قلم إشارة إلى التكاثر يعني لو أن بعدد كل شجرة أقلاماً، قال الزمخشري^(٨):

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب» من.

(٣) في «ب» ما جاءك.

(٤) في «ب» يجمع.

(٥) وهو قول ابن عباس، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٦/١٤ وأسباب النزول للسيوطي ١٣٥.

(٦) ذكره الفخر الرازي في التفسير الكبير ١٥٧/٢٥.

(٧) انظر: تفسير الكشاف له ٣/٢٣٦.

(٨) المرجع السابق.

فإن قلت: لم قيل: من شجرة بالتوحيد؟ قلت: أريد تفصيل الشجرة وتَقْصِيْهَا شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة إلا قد برت أقلاماً. قال أبو حيان: وهو من^(١) وقوع المفرد موقع الجمع والنكرة موضع المعرفة كقوله: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

قال شهاب الدين: وهذا يذهب بالمعنى الذي أبداه الزمخشري^(٢).

قوله: «وَالْبَحْرُ» قرأ أبو عمرو بالنصب، والباقون بالرفع^(٣)، فالنصب من وجهين:

أحدهما: العطف على اسم «أَنْ» أي ولو أَنَّ البحر^(٤)، و «يَمْدُهُ» الخبر.

والثاني: النصب بفعل مضمر يفسره «يمده». والواو حينئذ للحال، والجملة خالية،

ولم يحتج إلى ضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغناء عنه بالواو، والتقدير: ولو أَنَّ الذي في الأرض خَالَ كَوْنِ البحر ممدوداً بكذا. وأما الرفع، فمن وجهين:

أحدهما: العطف على «أَنْ» وما في حيزها^(٥)، وقد تقدم في «أَنْ» الواقعة بعد «لو» مذهبان مذهب سيبويه الرفع على الابتداء^(٦)، ومذهب المبرد على الفاعلية^(٧) بفعل مقدر وهما عائدان هنا. فعلى مذهب سيبويه يكون تقدير العطف ولو أَنَّ البحر، إلا أن أبا حيان قال: إنه لا يلي المبتدأ اسماً صريحاً^(٨) إلا في ضرورة كقوله:

٤٠٥٣ - لَوْ بَغِيْرَ الْمَاءِ حَلَقِي شَرْقِ^(٩)

(١) تفسير البحر المحيط ١٩٢/٧. (٢) الدر المصون ٣٤٩/٤.

(٣) ذكره في الإتحاف ٣٥٠، والفراء في معاني القرآن ٣٢٩/٢ وأبو حيان في بحره ١٩١/٧، والقرطبي ٧٧/١٤.

(٤) ذكر ذلك المعكبري في التبيان ١٠٤٥/٢ وابن الأنباري في البيان ٢٥٦/٢ وأبو حيان في البحر ١٩١/٧ ومكي في مشكل إعراب القرآن ١٨٤/٢.

(٥) التبيان ١٠٤٥/٢ والبيان ٢٥٦/٢ والكشف ٢/١٩٧ والقرطبي ٧٧/١٤ والمشكل ١٨٤/٢ والكشاف في كلا الوجهين النصب والرفع ٢٣٦/٣.

(٦) يقول في الكتاب ١٢١/٣: «لو أنه ذاهب لكان خيراً له» فأن منية على «لو» كما كانت منية على «لولا» كأنك «قلت: لو ذاك» ثم جعلت «أَنْ» وما بعدها في موضعه فهذا تمثيل وإن كانوا لا يبنون على «لو» غير «أَنْ».

(٧) يقول في المقتضب ٧٧/٣ و «لو» لا تقع إلا على فعل فإن قدمت الاسم قبل الفعل فيها كان على فعل مضمر، وذلك كقوله - عز وجل -: «فَلَوْلَا أَلْتُمُ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي» إنما أتم رفع بفعل يفسره ما بعده وكذلك:

فَلَوْلَا غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمًا

ومن ذلك قول العرب: لو ذات سوارٍ لَطَمْتَنِي «إنما أراد: لو لطمتني ذات سوار».

(٨) انظر: البحر ١٩١/٧.

(٩) هذا صدر بيت من الرمل لبدي بن زيد وعجزه:

كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالْمَاءِ اغْتِصَارِي =

وهذا القول يؤدي إلى ذلك، ثم أجاب بأنه يغتفر^(١) في المعطوف عليه كقولهم: «رُبَّ رَجُلٍ وَأَخِيهِ يَقُولَانِ ذَلِكَ»^(٢) وعلى مذهب المبرد يكون تقديره ولو ثبت البحر، وعلى التقديرين يكون «يُمَدُّ» جملة حالية من البحر.

والثاني: أن «البحر» مبتدأ^(٣) (ويمده) الخبر والجملة حالية كما تقدم في جملة الاشتغال، والرباط الواو، وقد جعله الزمخشري^(٤) سؤالاً وجواباً وأنشد:

٤٠٥٤ - وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا

و «مَنْ شَجَرَةٍ» حال، إما من الموصول، أو من الضمير المستتر في الجار الواقع صلة، و «أَفْلَامٌ» خبر «أَنَّ»^(٥)، قال أبو حيان: وفيه دليل على من يقول كالزمخشري ومن تعصب له من العجم على أن خَبَرَ أَنَّ الواقعة بعد «لو» لا يكون اسماً البتة لا جامداً ولا مشتقاً بل يتعين أن يكون فعلاً^(٦) وهو باطل وأنشد:

٤٠٥٥ - وَلَوْ أَنَّهَا عُصْفُورَةٌ لَحَسِبْتُهَا مُسَوِّمَةً تَدْعُو عَبْدًا وَأَزْنَمًا^(٨)

= والبيت في الجنى الداني ٢٨١، والبيت بلا نسبة في إيضاح الشعر ٥٨٢ وانظر: الحيوان ١٣٨/٥ و ٥٩٣ والشعر والشعراء ٢٢٩ والاشتقاق ٢٦٩ والجنى الداني ٢٨٠ واللسان: «ش ر ق» ٢٢٤٧ وكذلك: «ع ص ر» والتصريح ٢٥٩/٢ والهمع ٦٦/٢ والأشُمُونِي ٤٠/٤ والمغني ٢٦٨ وشرح شواهد للسيوطي ٦٥٨ والبحر ١٩١/٧. والاعتصار: شرب الماء قليلاً قليلاً لنزول الغُصَّة، والغُصَّة الشَّجَا والضَّيْق على ما فسره ابن منظور في لسانه «غَصَصَ»، واستشهد ببيت عدي هذا والاستشهاد بالبيت على أَنَّ «أَنَّ» بعد «لو» في موضع رفع على الابتداء ولو لا يليها المبتدأ وهو اسم صريح إلا في ضرورة الشعر وهذا رأي أبي حيان.

(١) بالمعنى من البحر ٩١/٧.

(٢) وجه التنظير بهذا القول على رأي أبي حيان أننا لو عطفنا «والبحر» بالرفع على أن ومعمولها وهو رفع بالابتداء لزم من ذلك أن «لو» يليها الاسم مبتدأ إذ يصير التقدير: ولو البحر، وهو لا يجوز إلا في الضرورة ولكن يجوز في المعطوف عليه نحو: رُبَّ رَجُلٍ وَأَخِيهِ (فَرَجُلٍ) محله الرفع على الابتداء. انظر: البحر المحيط ١٩١/٧.

(٣) التبيان ١٠٤٥.

(٤) الكشاف ٢٣٦/٣ قال: «فإن قلت: زعمت أن قوله والبحر يمدّه حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال قلت هو كقوله: وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا. وجئت والجيش مُضْطَفٌّ، وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف».

(٥) البيت من الطويل وهو لامرئ القيس من معلقته المشهورة وهنا صدره وعجزه:

بِمُتَجَرِّدٍ قَيْدِ الْأَوَائِدِ هَيْكَلِ

(٦) البحر المحيط ١٩٠/٧.

(٧) المرجع السابق.

(٨) البيت من الطويل وقائله العوام بن شُوْرَب وفي حاشية الأمير على المغني لجريز، أو العوام الشيباني، والضمير في «أنها» تعود على الأسود التي ترى من بعد، والمسومة، المعلمة من الخيل، و «عبيد»، وأزمن «قبيلتان». والشاهد فيه قوله: «عصفورة» حيث وقع خيراً لأن وهو اسم جامد وهو خبر لأن=

وقال:

٤٠٥٦ - مَا أَطْيَبَ الْغَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَرَ تَنْبُو الْحَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلْمُومٌ^(١)

وقال:

٤٠٥٧ - وَلَوْ أَنَّ حَيًّا فَائِثَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ أَخُو الْحَرْبِ فَوْقَ الْقَارِحِ الْعُدَّانِ^(٢)

قال: وهو كثير في كلامهم^(٣)، قال شهاب الدين^(٤): وقد تقدم أن هذه الآية ونحوها يبطل ظاهر قول المتقدمين في «لو» أنها حرف امتناع لامتناع إذ يلزم محذور عظيم وهو أن ما بعدها إذا كان مثبتاً^(٥) لفظاً فهو مثبت معنى وبالعكس، وقوله: مَا تَقَدَّتْ منفي لفظاً فلو كان مثبتاً معنى فسد^(٦) المعنى، فعليك بالالتفات إلى أول البقرة^(٧). وقرأ عبد الله^(٨): «وَبَخَرٌ»^(٩) بالتنكير وفيه وجهان معروفان^(١٠)، وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعها بعد واو الحال وهو معدود من مسوغات الابتداء بالنكرة، وأنشدوا:

٤٠٥٨ - سَرَيْنَا وَنَجَمٌ قَدْ أَضَاءَ فَمَذْ بَدَا مُحَيَّاكَ أَخْفَى ضَوْؤُهُ كُلَّ شَارِقٍ^(١١)

= الواقعة بعد «لو». وهذا زد من أبي حيان على الزمخشري انظر: البحر المحيط ١٩١/٧ وحاشية الأمير على المغني ٢١٤/١، والأشُموني ٤١/٤ والمعاني الكبير لابن قتيبة ٩٢٧ والحيوان ٢٤٠/٥ و ٦/٤٣٠ والمغني ٢٧٠ والجنى الداني للمرادي ٢٨١ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٦٨ وتأويل مشكل القرآن له^(٦)، واللسان: «زَنْ مَ»، والدر المصون ٣٤٧/٤. أقول: وقد بنى الزمخشري رأيه السابق على معنى الشرط في «لو».

(١) البيت من بحر البسيط، وقد نسب في المغني بحاشية الأمير لتميم بن مقبل، وقوله: «تَنْبُو الحوادث» تبعد عنه مصائب الدهر ومشكلاته والشاعر يريد ويتمنى أن يكون الإنسان كالحجر لا يُحْسَنَ بمشاكل حوله، والشاهد فيه كسابقه حيث وقع خبر «أَنَّ» اسماً جامداً وهو قوله: «حجر» وأن هذه هي الواقعة بعد «لو» وقد روي البيت بالرواية العليا وما أطيب رواية أخرى انظر: ديوان تميم بن مقبل ٣٧٣، والبحر المحيط ١٩١/٧، والأشُموني ٤١/٤، وابن يعيش ٨٧/١.

(٢) من الطويل وهو لصخر بن عمرو السُّلَمي، والقارح: الفرس الذي تمت أسنانه وذلك في الخامسة من عمره، وأخو الحرب المراد به صاحب الحرب، والعدوان: شديد العدو والشاعر يخبر أن كل فرد سيلقى ما قدر له ولا يهرب من مصيره هذا والشاهد فيه كسابقه في: «فائث الموت» حيث وقع اسم فاعل خبر «أَنَّ» الواقعة بعد «لو».

انظر: الأصمعيات ١٤٧ والبحر المحيط ١٩١/٧، واللَّسان (عدا) ٢٨٥٤، وابن الناظم ٢٧٨.

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ١٩٠ و ١٩١.

(٤) الدر المصون ٣٤٨/٤ (٥) الأصح كما في «ب» والدر المصون: (مَثَقِيًّا).

(٦) في «ب»: لَقَيْدَ بزيادة لَام. (٧) المرجع السابق.

(٨) يقصد به عبد الله بن مسعود وقد عرقت به.

(٩) قراءة شاذة غير متواترة ذكرها ابن جني في المحتسب ١٦٩/٢ وقرأ بها أيضاً ابن مصرف وانظر: البحر المحيط ١٩١/٧.

(١٠) يقصد الوجهين السابقين في كلمة «البحر» المعرفة نفسها وهما وجهها الرفع حيث يجوز في «بحر» العطف على محلَّ أَنْ واسمها، أو الابتداء وما بعده خبر وهو «يمده».

(١١) البيت من الطويل وهو مجهول قائله والشاهد فيه: «وَنَجَمٌ قَدْ أَضَاءَ» حيث سوغ الابتداء بالنكرة ووجه =

وبهذا يظهر فساد قول من قال: إن في هذه القراءة يتعين (القول^(١)) بالعطف على «أن» كأنه يوهم أنه ليس ثمَّ مُسَوِّغٌ، وقرأ عبد الله وأبي «تَمُدُّهُ» بالتأنيث^(٢) لأجل «سبعة»^(٣) والحسن، وابن هُرْمُز^(٤)، وابن مِصْرِفٍ^(٥) «يُمَدُّهُ» بالياء من تحت مضمومة وكسر الميم من أَمَدَهُ^(٦) وقد تقدم اللغتان في آخر^(٧) الأعراف وأوائل البقرة^(٨)، والألف واللام في البحر لاستغراق الجنس أي (وكل^(٩)) بحرٍ مداً.

فصل

المعنى والبحر يمدّه، أي يزيده، وينصب فيه من بعده أي من بعد خلقه سبعة أبخر، وهذا إشارة إلى بحرٍ غير موجودة يعني لو مدت البحار الموجودة سبعة أبخر أخرى، وقوله: «سبعة» ليس لانحصارها في سبعة وإنما الإشارة إلى المدد والكثرة، ولو بألفٍ بحر، وإنما خُصَّت السبعة بالذكر من بين الأعداد لأنها عدد كثير يحصر المعدود^(١٠) في العادة، ويدل على ذلك وجوه:

الأول: أن المعلوم عند كل أحد لحاجته^(١١) إليه هو الزمان والمكان فالزمان

= التسويغ أنها - أي النكرة - وهي نجم - واقعة بعد واو الحال.

وانظر: البحر المحيط ١٩١/٧، والمغني ٤٧١، والأشموني ٢٠٦/١، والهمع ١٠١/١، وابن الناطم ٤٥، وابن عقيل ٣٤.

(١) سقط من «ب».

(٢) ذكر هذه القراءة ابن خالويه في مختصره ١١٧ حيث يقول: «والبحر تمدّه» بالتاء بعضهم وقد نسب أبو حيان في بحره تلك القراءة إلى ابن عباس أيضاً، انظر: البحر المحيط ١٩١/٧.

(٣) أي سبعة أبخر الواردة في الآية الشريفة.

(٤) هو أبو داود الأعرج عبد الرحمن بن هرمز بن الأعرج كان مولى لمحمد بن ربيعة كان أحد القراء عالمًا بالعربية، وأعلم الناس بأنساب العرب مات بالإسكندرية سنة ١٧ هـ انظر: نزهة الألباء للأنباري ٩ و ١٠.

(٥) ابن مصرف هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب أبو محمد الهمداني الكوفي تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه أخذ القراءة عن إبراهيم النخعي والأعمش وابن وثاب وعنه ابن أبي ليلى، وعيسى الهمداني، مات سنة ١١٢ هـ انظر: الغاية في طبقات القراء ٣٤٣/١.

(٦) ذكرها ابن جني في محتسبه ١٦٨/٢ وانظر القرطبي ٧/١٤ والبحر المحيط ١٩١/٧.

(٧) عند الآية ٢٠٢ وهي: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوْنَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ قال: إن نافعاً قرأ بضم الياء وكسر الميم من «أمد» والباقون بفتح الياء وضم الميم من «مد» الثلاثي. انظر اللباب ١٧/٤ ب ميكروفيلم.

(٨) عند الآية ١٥ وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ اللباب ٤٧/١ ب ميكروفيلم.

(٩) سقط من «ب».

(١٠) في «ب» المعدودات، وانظر الفخر الرازي ١٥٧/٢٥.

(١١) في «ب» الحاجة إليه.

منحصر في سبعة أيام^(١)، ولأن الكواكب السيارة سبعة، والمنجمون ينسبون إليها أموراً فصارت السبعة كالعدد الحاضر للمكثرات الواقعة في العادة فاستعملت في كُلِّ كثير.

الثاني: أن في السبعة معنى يخصها ولذلك كانت السماوات سبعة، والأرضين سبعة، (وأبواب^(٢) جهنم سبعة)، وأبواب الجنة ثمانية لأنها الحسنى وزيادة فالزيادة هي الثامن^(٣)؛ لأن العرب عند الثامن^(٤) يزيدون واواً، يقول الفراء: إنها واو الثمانية وليس ذلك إلا للاستئناف؛ لأن العدد تم بالسبعة. واعلم أن في الكلام اختصاراً تقديره: وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ يَكْتُبُ بِهَا كَلَامَ اللَّهِ^(٥) مَا تَقَدَّتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ.

قوله: «كلمات الله» قال الزمخشري^(٦): فَإِنْ قُلْتَ: الكلمات جمع قَلَّةٍ، والموضع موضع تكثير^(٧) فهذا قِيلَ: كَلِمٌ؟^(٨) قُلْتُ: معناه أن كلماته لا يقع^(٩) بكتبتها البحار فكيف بكلمته، يعني أنه من باب^(١٠) التنبيه بطريق الأولى. ورده أبو حيان بأن جمع السلامة متى عرف^(١١) «بأل» (غير العهدية^(١٢))، أو أضيف عم. قال شهاب الدين: للناس^(١٣) خلاف في «أل» هل تعم أو لا؟ وقد يكون الزمخشري ممن لا يرى العموم ولم يزل الناس يشكون^(١٤) في بَيْتِ حَسَّانَ - رضي الله عنه -:

٤٠٥٩ - لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى
.....^(١٥)

ويقولون: كيف أتى بجمع القلة في مقام المدح ولم لم يقل «الجفان» وهو تقرير

- (١) في تفسير الفخر الرازي: «لأن المكان فيه الأجسام، والزمان فيه الأفعال لكن المكان منحصر في سبعة أقاليم والزمان في سبعة أيام...».
- (٢) ساقط من «ب».
- (٣) في «ب» وزيادة باب هي الثامن.
- (٤) انظر في هذا تفسير الفخر الرازي ١٥٧/٢٥ و ١٥٨.
- (٥) في «ب» كلمات.
- (٦) الكشف ٢٣٦/٣.
- (٧) وفيه موضع التكثير لا التقليل.
- (٨) وفيه كلم الله.
- (٩) وفيه: لا تفي بكتبتها.
- (١٠) الدر المصون ٣٤٩/٤.
- (١١) انظر: البحر المحيط ١٩١/٧.
- (١٢) ما بين القوسين كله ساقط من «ب» وموجود في البحر.
- (١٣) الدر المصون ٣٤٩/٤.
- (١٤) في الدر (يسألون).
- (١٥) البيت من الطويل وعجزه:

وَأَسْيَافُنَا يَشْقُظْنَ مِنْ نَحْدَةِ دَمَا

والشاهد فيه: «الجفنات» حيث أتى بأل غير العهدية داخلة على جمع المؤنث المفيد للقلة وهي لا تؤثر بأي حال وهي هكذا على عموم المتكلم فيه وهذا رأى الزمخشري ومن حذا حذوه، وكما قال الرضي: إن الجمع طالما دل على جمع السلامة لا يقيد بقلة أو كثرة بينما قال سيبويه: وقد يجمعون بالياء وهم يريدون الكثير انظر: ديوان حسان (١٣١) والرضي ١٩١/٢ والخزانة ١١٦/٨ و ١١٨ والكتاب ٣/ ٥٧٨ وابن يعيش ١٠/٥ و ١١ والخصائص ٢٠٦/٢ والمقتضب ١٨٦/٢ والحامسة البصرية ١٢/٢.

لما قاله الزمخشري، واعتراف بأن «أل» لا تؤثر في جمع القلة تكثيراً^(١). ثم قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» أي كامل القدرة لا نهاية لمقدوراته «حَكِيمٌ» كامل العلم لا نهاية لمعلوماته، وهذه الآية على قول عطاء بن يسار مدنية، وعلى قول غيره مكية^(٢).

قوله: «مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كُنُفٌ وَاحِدَةٌ» لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر فقال: «خَلَقَكُمْ وَبَعَثَكُمْ كُنُفٌ وَاحِدَةٌ»، فقوله: «إِلَّا كُنُفٌ» خبر «مَا خَلَقُكُمْ» والتقدير: إِلَّا كَخَلَقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَبَعَثَهَا لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» لما يقولون «بصير» بما يعملون فإذا كان قادراً على البعث ومحيطاً بالأقوال والأفعال وجب الاحتراز الكامل، وقوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» في النظم وجهان:

الأول: أن الله تعالى لما قال: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» على وجه العموم ذكر منها بعض ما فيها على الوجه المخصوص بقوله: «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ» وقوله: «وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» إشارة إلى ما في السموات.

الثاني: أن الله تعالى لما ذكر البعث فكان من الناس من يقوله: «وَمَا يَهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ» [الجاثية: ٢٤] والدهر هو بالليالي والأيام فقال الله تعالى هذه الليالي والأيام التي يَسْبُون إليها الموت والحياة هي بقدرة الله فقال: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ باختلاف مسير^(٣) الشمس فتارة تكون القوس التي هي^(٤) فوق الأرض أكبر من التي^(٥) تحت الأرض فيكون الليل أقصر والنهار أطور وتارة^(٦) العكس (فيكون^(٧) بالعكس)، وتارة يتساويان (فيتساويان^(٨)) فقال (تعالى^(٩)): «وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» يعني إن كنتم لا تعرفون بأن هذه الأشياء كلها من الله فلا بد من الاعتراف بأنها بأمرها عائدة إلى الله فالأجل إن كانت بالمدد والمدد يسير الكواكب فسير الكواكب ليس إلا بالله وقدرته.

فصل

قال: «يُولِجُ» بصيغة الفعل المستقبل وقال في الشمس والقمر «وَسَخَّرَ» بصيغة الماضي؛ لأن إيلاج الليل في النهار أمر يتجدد كل يوم وتسخير الشمس والقمر أمر مستمر كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْشُونِ الْأَوَّلِيِّ﴾ [يس: ٣٩] وقال ههنا: «إِلَىٰ أَجَلٍ» وفي

(١) الدر المنصور ٤/ ٣٥٠.

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٦/ ٣١٤ والجامع في أحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ٥٠.

(٣) في «ب» تسيير.

(٤) في «ب» الذي هو فوق الأرض.

(٥) وفيها «الذي».

(٦) ساقط من «ب».

(٧) كذلك.

(٨) زيادة من «أ» هنا.

الزمر^(١) «لَأَجَلٍ»؛ لأن المعنيين لائقان بالحرفين فلا عليك في أيهما وقع. قال الأكثرون: هذا خطاب للنبي - عليه^(٢) السلام - والمؤمنين، وقيل: عام، ثم قال: «وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أي لما كان الليل والنهار محل الأفعال بين أن ما يقع في هذين الزمانين اللذين هما بتصرف الله لا يخفى على الله، وقرأ أبو عمرو في رواية - «وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ»^(٣) - بياء الغيبة، والباقون بقاء الخطاب. قوله: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» أي ذلك الذي ذكرت، لتعلموا أن الله هو الحق «وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ» أي الزائل يقال: بطل ظله، إذا زال «وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ» أي في ذاته.

قوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ» لما قال ألم تر أن الله يولج الليل في النهار وسخر الشمس والقمر ذكر آية سماوية وأشار إلى السبب والمسبب وذكر بعده آية أرضية وأشار إلى السبب والمسبب بقوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ»، وقوله: «بِنِعْمَةِ اللَّهِ» أي الريح التي هي بأمر الله «لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ» يعني يريكم بإجرائها^(٤) «بِنِعْمَةِ اللَّهِ» بعض آياته وعجائبه «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ» على أمر الله «شَكُورٍ» على نعمه.

قوله: «وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ» لما قال: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ ذكر أن الكل معترف به غير أن البصير يدركه أولاً ومن في بصيرته ضعف لا يدركه أولاً فإذا غشيه موج ووقع في شدة اعترف بأن الكل لله^(٥) ودعاه مخلصاً. وقوله: «كَالظُّلِ» قال مقاتل: كالجبال^(٦)، وقال الكلبي^(٧): كالسحاب. والظلل جمع الظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها^(٨)، وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهو جمع لأن الموج^(٩) يأتي منه شيء بعد شيء وقوله: «دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أي يتركون كل من دعوهم «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ» أي نجاهم^(١٠) من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة ووصفهم بقوله: «فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ» أي عدل موف في البر بما عاهد^(١١) الله عليه في البحر من التوحيد له يعني على إيمانه. قيل: نزلت في عكرمة بن أبي جهل هرب عام الفتح في البحر فجاهم ريح عاصف فقال عكرمة: لئن أنجاني^(١٢) الله من هذا الأمر لأرجعن إلى محمد ولاضع^(١٣)

(١) هي الآية ٥ من الزمر «وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى».

(٢) في «ب» بسم الله.

(٣) انظر: الإتخاف ٣٥٠، والسبعة ٥١٤ ومختصر ابن خالويه ١١٧.

(٤) في «ب» من إجرائها.

(٥) في «ب» الكل من الله.

(٦) القرطبي ٨٠/١٤.

(٧) المرجع السابق.

(٨) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦٢/٢٥ بالمعنى منه.

(٩) في «ب» أنجاهم.

(١٠) في «ب» أنجاء.

(١١) في «ب» أنجاء.

(١٢) في «ب» ولاضع.

يَدِي فِي يَدِهِ. فَسَكَنْتَ الرِّيحَ فَرَجَعَ عِكْرَمَةَ إِلَى مَكَّةَ فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ^(١)، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مُقْتَصِدٌ^(٢) فِي الْقَوْلِ أَيُّ مِنَ الْكُفَّارِ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ أَشَدَّ قَوْلًا مِنْ بَعْضِ.

فَإِنْ قِيلَ: مَا الْحِكْمَةُ فِي قَوْلِهِ فِي الْعَنْكَبُوتِ: «فَلَمَّا تَجَاهَمُ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» وَقَالَ هُنَا: «فَلَمَّا تَجَاهَمُ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ»؟!.

فَالْجَوَابُ: لَمَّا ذَكَرَ هُنَا أَمْرًا عَظِيمًا وَهُوَ الْمَوْجُ الَّذِي كَالْجِبَالِ بَقِيَ أَثَرُ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ فَخَرَجَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ أَيُّ فِي الْكُفْرِ وَهُوَ الَّذِي انْزَجَرَ بَعْضُ الْانْزِجَارِ^(٣)، وَمُقْتَصِدٌ فِي الْإِخْلَاصِ فَيَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ مِنْهُ وَلَمْ يَبْقَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ، وَهَنَّاكَ لَمْ يَذْكُرْ مَعَ رُكُوبِ الْبَحْرِ مَعَانِيَهُ مِثْلَ ذَلِكَ الْأَمْرِ فَذَكَرَ إِشْرَاكَهُمْ حَيْثُ لَمْ يَبْقَ عَنْدهُمْ أَثَرٌ.

قَوْلُهُ: «وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا» فِي مَقَابِلَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» يَعْنِي يَعْتَرِفُ بِهَا الصَّبَارُ وَالشُّكُورُ، وَيَجْحَدُهَا الْخَتَّارُ الْكَفُورُ فَالضَّبَّارُ فِي مُوَازَنَةِ الْخَتَّارِ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَالْكَفُورُ فِي مُوَازَنَةِ الشُّكُورِ أَمَّا لَفْظًا فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا مَعْنَى فَلَأَنَّ الْخَتَّارَ هُوَ الْغَدَارُ الْكَثِيرُ الْغَدْرُ، أَوْ شَدِيدُ الْغَدْرِ مِثَالُ مَبَالِغَةِ مِنَ الْخَتَرِ وَهُوَ أَشَدُّ الْغَدْرِ (قَالَ الْأَعْمَشِيُّ):

٤٠٦٠ - بِأَبْلَقِ الْقَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنَزَلُهُ حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ خَتَّارٍ^(٤)

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ:

٤٠٦١ - فَلَيْتَكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عَمْرٍو مَلَأَتْ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرِ وَخَشَرٍ^(٥)

وَقَالُوا: «إِنْ مَدَدْتَ لَنَا يَدًا مِنْ غَدْرِ مَدَدْنَا لَكَ بَاعًا مِنْ خَتَرٍ»^(٦) وَالْغَدْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ قِلَّةِ الصَّبْرِ لِأَنَّ الصَّبْرَ إِنْ لَمْ يَعْقُدْ مَعَ أَحَدٍ لَا يُعْهَدُ مِنْهُ الْإِضْرَارُ فَإِنَّهُ يَصْبِرُ وَيَفُوزُ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ، وَأَمَّا الْغَدَارُ فَيُعَاهِدُكَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى الْعَهْدِ^(٧) فَيَنْقُضُهُ وَأَمَّا أَنَّ الْكَفُورَ فِي مَقَابِلَةِ الشُّكُورِ مَعْنَى ظَاهِرٌ.

(١) نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٨/٦.

(٢) انظر: القرطبي ٨٠/١٤.

(٣) في «ب» بعض انزجاره.

(٤) هو له كما أخبر أعلى من البسيط والرواية في اللسان والقرطبي: «بِالْأَبْلَقِ» وَهُوَ قَصْرُ السَّمَوِلِ بِنِ عَادِيَاءَ. وَتَيْمَاءُ: مَوْضِعٌ وَرَوَايَةُ الْقَافِيَةِ فِي الدِّيَوَانِ: «غَيْرُ غَدَارٍ» بَدَلٌ مِنْ خَتَّارِ مَحَلِّ الشَّاهِدِ حَيْثُ جِيءَ بِهِ اسْتِدْلَالًا عَلَى أَنَّ الْخَتَرَ هُوَ أَشَدُّ الْغَدْرِ وَأَفْظَعُهُ وَانْظُرْ مَجَازَ الْقُرْآنِ ٢٩/٢ وَالْقُرْطُبِيُّ ٨٠/١٤ وَلِسَانُ الْعَرَبِ: «ت ي م» ٤٦٢ وَ«ب ل ق» وَدِيَوَانُهُ ٦٩، وَانْظُرْ كَذَلِكَ صَحَاحَ الْجَوْهَرَةِ: «خ ت ز».

(٥) مِنَ الْوَاقِعِ لَهُ وَالْأَصَحُّ: أَبَا عَمْرٍو «بَدَلٌ مِنَ عَمْرٍو» حَتَّى يَتَسَنَّى الْوِزْنَ وَالْغَدْرُ: غَيْرُ الْخَتَرِ بِدَلِيلِ عَطْفِ الْخَتَرِ عَلَيْهِ وَقِيلَ: هُمَا بِمَعْنَى. وَالشَّاهِدُ فِيهِ كَسَابِقُهُ حَيْثُ تَعْنِي كَلِمَةُ «الْخَتَرِ» أَشَدَّ الْغَدْرِ وَأَسْوَأَهُ. وَانْظُرِ الْبَيْتَ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ ١٢٩/٢ وَالْقُرْطُبِيُّ ٨٠/١٤ وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ١٨٢/٧ وَالطَّبْرِيُّ ٤/٢١ وَالْكَشَافُ ٢٣٨/٣ وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ٤٥٣/٣، وَمَجْمَعُ الْبَيَانِ لِلطَّبْرِيِّ ٥٥٥/٧ وَدِيَوَانُهُ (١٠٩).

(٦) ذَكَرَ هَذَا الْخَبِيرُ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي اللِّسَانِ: «خ ت ر» ١٠٩٩ بِصِيغَةٍ: «لَنْ تَمُدَّ لَنَا شِبْرًا مِنْ غَدْرٍ إِلَّا مَدَدْنَا لَكَ بَاعًا مِنْ خَتَرٍ».

(٧) فِي «ب» الْغَدْرُ.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ انْقِفُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۚ﴾ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾ (٣٤)

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ انْقِفُوا رَبِّكُمْ﴾ لما ذكر الدلائل من أول السورة إلى آخرها وعظ بالتقوى فقال: «يَأْتِيهَا النَّاسُ انْقِفُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي» لا يقضي، ولا يعني «وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا». قال ابن عباس: كل امرئ تهمة نفسه، واعلم أنه تعالى ذكر شخصين في غاية الشفقة والحنان والخوف وهو الوالد والولد، فاستدل بالأولي على الأعلى فذكر الوالد والولد جميعاً لأن من الأمور ما يبادر الأب إلى تحمُّله عن الولد كدفع المال، وتحمُّل الآلام والولد لا يبادر إلى تحمُّله عن الوالد (مثل^(١)) ما يبادر الوالد إلى تحمُّله عن الولد، ومنها ما يبادر الولد إليه كالإهانة فإن من يريد (إحضار^(٢)) والد آخر عند والي^(٣) أو قاض يهون على الابن أن يدفع الإهانة عن والده ويحضر هو بدله وإذا انتهى الأمر إلى الإيلام يهون على الأب أن يدفع الألم عن ابنه ويتحمُّله هو بنفسه^(٤). فقوله: «لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ» في دفع الآلام «وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا» في دفع الإهانة ثم قال: «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» أي إن هذا اليوم الذي هذا شأنه هو كائن لأن الله وعده به ووعدته حق، وقيل: وعد الله حق بأنه لا يجزي والد عن ولده لأنه وعد بأن لا تزر وازرة وزر أخرى ووعد الله حق «فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» أي لا تغتروا بالدنيا^(٥) فإنها زائلة لوقوع اليوم المذكور بالوعد الحق.

«وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ» يعني الشيطان يزين في عينه الدنيا ويؤمله يقول: إنك تحصل بها الآخرة أو تلتذ بها ثم تتوب فتجتمع^(٦) لك الدنيا والآخرة فنهاهم عن الأمرين.

قوله: «وَلَا مَوْلُودٌ» جوزوا فيه وجهين:

أحدهما: أنه مبتدأ^(٧)، وما بعده الخبر.

والثاني: أنه معطوف على «وَالِدٌ» وتكون^(٨) الجملة صفة له. وفيه إشكال وهو أنه

(١) ساقط من «ب» وانظر في هذا تفسير الإمام فخر الدين الرازي ١٦٣/٢٥.

(٢) سقط من «ب». (٣) في «ب» عند قاضٍ أو وال بتقديم أحدهما على الآخر.

(٤) في «ب» هو عن نفسه. (٥) في «ب» لا تغروا بالدنيا.

(٦) في «ب» فتجتمع. (٧) انظر: التبيان ١٠٤٦ والبحر المحيط ١٩٤/٧.

(٨) المرجعان السابقان والتبيان لابن الأنباري ٢٥٧/٢.

نفى عنه أن يَجْزِي ثم وصفه بأنه جازٍ، وقد يجاب عنه: بأنه وإن كان جازياً عنه في الدنيا فليس جازياً عنه يوم القيامة، (فالحالان)^(١) باعتبار زمنين^(٢). وقد منع المَهْدَوِيُّ^(٣) أن يكون مبتدأ، قال لأن الجملة بعده صفة له فيبقى بلا خبر، ولا مسوغ غير الوصف^(٤)، وهو سهو لأن النكرة متى اعتمدت على نفي سَاعَ الابتداء بها، وهذا من أشهر مسوغاته، وقال الزمخشري: فإن^(٥) قلت: (قوله)^(٦) «وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِّ وَالِدِهِ شَيْئاً» هو وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت: الأمر كذلك لأن الجملة الاسمية أكد من الفعلية، وقد انضم إلى ذلك قوله: «هُوَ» وقوله: «مَوْلُودٌ» قال: ومعنى التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للوالد الأدنى الذي ولد منه لم يقبل منه، فضلاً أن يشفع لمن فوقه من أجداده؛ لأن الولد يقع^(٧) على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه الذي ولد منك قال: والسبب في مجيئه على هذا السَّنَنِ أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض أبائهم في الكفر فأريد حسم^(٨) أَطْمَاعِهِمْ وأطماع الناس فيهم. والجملة من قوله «لَا يَجْزِي» صفة (ليوم)، والعائد محذوف أي (فيه) فحذف برزته أو على التدرج، وقرأ عكرمة «لَا يُجْزَى» مبنياً^(٩) للمفعول، وأبو السَّمَالِ^(١٠) وأبو السَّوَارِ^(١١) لا يَجْزِيء بالهمز^(١٢) من «أَجْزَأَ عَنْهُ» أي أغنى، وقوله «شَيْئاً» منصوب على المصدر وهو من الأعمال، لأن «يَجْزِي» و «جَازٍ» يَطْلُبَانِيهِ، والعامل «جَازٍ» على ما هو المختار للحذف من الأول^(١٣).

قوله: «فَلَا تَعْرَتُكُمْ» العامة على تشديد النون، وابنُ أبي إسحاق وابنُ أبي عَبْلَةَ

(١) سقط من «ب».

(٢) في «ب» زمن معين وانظر: الدر المصون ٣٥١/٤.

(٣) سبق التعريف به. (٤) البحر ١٩٤/٧.

(٥) الكشف ٢٣٨/٣. (٦) ساقط من «ب» وهي في المرجع السابق.

(٧) في «ب» لأن الوالد ينتفع الولد وهذا تحريف وخطأ وبخلاف ما في الكشف المرجع المعمول عليه.

(٨) بالمعنى من كشف الزمخشري المرجع السابق ٢٣٨/٣.

(٩) ذكر هذه القراءة أبو حيان في بحره ١٩٤/٧.

(١٠) أبو السَّمَال: قَعْنَب بن أبي قعنب أبو السَّمَال العدوي البصري له اختيار في القراءة شاذ عن العامة رواه عنه أبو زيد سعيد بن أوس وهشام البربري.

انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ٢٧/٢.

(١١) لم أتوصل إلى ترجمته وقد أسماه ابن خالويه في مختصره «أبو السَّرَار». انظر: مختصر ابن خالويه ١١٧.

(١٢) مختصر ابن خالويه وشواذ القرآن ١٩١.

(١٣) ذكره أبو حيان في البحر ١٩٤/٧.

ويعقوبٌ بالتحفيف^(١) وسَمَّاكَ بِنُ حَرْبٍ^(٢) «الْعُرُورُ»^(٣) - بالضم - وهو^(٤) مصدر، والعامّة بالفتح صفة مبالغة كَشْكُورٍ وفسر بالشيطان على أنه يجوز أن يكون المضموم مصدراً واقعاً وصفاً للشيطان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ الآية، نزلت في الوارث^(٥) بن خازنة محارب بن خصفة أتى النبي - ﷺ - من البادية فسأله عن الساعة ووقتها، وقال إن أرضنا أجذبت فمتى ينزل الغيث؟ وتركت امرأتي حُبْلَى فمتى تلد؟ وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت؟ فأنزل الله هذه الآية روي أن النبي - ﷺ - قال: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ حَمْسٌ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^(٦). قال ابن الخطيب: قال بعض المفسرين: إن الله تعالى نفى (علم^(٧)) أمور خمسة عن غيره بهذه الآية وهو كذلك لكن المقصود ليس ذلك لأن الله يعلم الجوهر الفرد والطوفان وتقلب الريح من المشرق إلى المغرب كم مرة ويعلم أين هو ولا يعلمه غيره ويعلم أنه (ذَرَّةٌ)^(٨) في بَرِيَّةٍ لا يسلكها أحد ولا يعلمها غيره فلا وجه لاختصاص هذه الأشياء بالذكر وإن الحق فيه أن نقول لما قال: اخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده وذكر أنه كائن بقوله: «إن وعد الله حق» كأن قائلاً قال: فمتى يكون هذا اليوم؟ فأجيب بأن هذا العلم مما لم يحصل لغير الله ولكن هو كائن^(٩).

قوله: «مَآذَا تَكْسِبُ» يجوز أن تكون «ما» استفهامية فتعلق الدراية، وأن تكون موصولة فيتصب^(١٠) بها، وقد تقدم حكم «مَآذَا» أول الكتاب وتكرر في غُضُونِهِ.

قوله: «بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» «بِأَيِّ أَرْضٍ» متعلق «بَتَمُوتُ» وهو متعلق للدراية فهو في محل نَصْبٍ، وقرأ أبي بن كعب وموسى^(١١) الأهوازي «بأية أرض» على تأنيثها^(١٢)، وهي

(١) في «ب» بالخفيفة أي بالنون الخفيفة. وانظر هذه القراءة في البحر ١٩٤/٧ والدر المصون ٣٥٢/٤.

(٢) سَمَّاكَ بن حرب بن أوس البكري الدُهَلِيّ أبو المغيرة الكوفي أحد الأعلام التابعين عن جابر بن سَمُرَةَ، والنعمان بن بشير له نحو مائتي حديث.

انظر: خلاصة الكمال ١٥٥ و ١٥٦ وقد مات سنة ١٢٣ هـ.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن جني في المحتسب ١٧٢/٢.

(٤) البحر المحيط ١٩٤/٧.

(٥) انظر: الكشف ٢٣٨/٣ والقرطبي ٨٣/١٤ وزاد المسير ٣٢٩/٦ و ٣٣٠.

(٦) الحديث رواه الإمام البخاري ١٧٤/٣ و ١٧٥ عن ابن عمر، وانظر مسند الإمام أحمد ٢٤/٢، ٥٢، ٥٨.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٦٤/٢٥. (١٠) ذكره ابن الأنباري في البيان ٢٥٧/٢.

(١١) لم أفق عليه. (١٢) نقلها ابن خالويه في المختصر ١١٧.

لغة ضعيفة كتأنيث «كُلَّ» حيث قالوا: كُتُّهُنَّ (فَعَلْنَ^(١) ذَلِكَ) والمشهور بأي أرض؛ لأن الأرض ليس فيها من علامات التأنيث شيء، وقيل: أراد بالأرض المكان. نقله البغوي^(٢) والباطن فيه بمعنى في أي (في^(٣)) أرض نحو: زَيْدٌ بِمَكَّةَ أي فيها، ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» لما خصص أولاً علمه بالأشياء المذكورة بقوله: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» ذكر أن علمه غير مختص بل هو عليم مطلقاً بكل شيء وليس علمه بظواهر الأشياء فقط بل هو خبير بظواهر الأشياء وبواطنها.

روى الثعلبي عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ لُقْمَانَ كَانَ لَهُ لَقْمَانٌ رَافِقاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأُعْطِيَ مِنَ الْحَسَنَاتِ عَشْرًا بَعْدَ مَنْ عَمِلَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٤).

(١) زيادة يقتضيها السياق من البحر المحيط ١٩٥/٧ والكشاف ٢٣٨/٣.

(٢) البغوي: الإمام الحافظ الفقيه المجتهد أبو محمد الحسين بن مسعود الشافعي صاحب معالم التنزيل وشرح السنة وغير ذلك. انظر: تذكرة الحفاظ ١٢٥٧/٤. وانظر القرطبي ٨٣/١٤.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) الكشاف ٢٣٩/٣.

سورة السجدة

مكية^(١)، وهي ثلاث وثلاثون آية وستمائة وثمانون كلمة، وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الَمْ﴾ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلُهُ بِلَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَهِيَ تَأْتِيَنَا سَلَامٌ مِنْ رَبِّكَ بَلْ هُمْ يَلْقَآه رَبُّهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوفَّكُم مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿الَمْ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ.

في «تنزيل» خمسة أوجه:

أحدها: أنه خبر «الَمْ»^(٢)، (لأن الَمْ)^(٣) يراد به السورة وبعض القرآن، و «تَنْزِيلُ» بمعنى منزل، والجملة من قوله: «لَا رَيْبَ فِيهِ» حال من «الْكِتَابِ». والعامل فيها «تَنْزِيلُ»

(١) هذا بإجماعهم. وقد نقل ابن الجوزي في زاد المسير أن الكلبي قال: فيها من المدني ثلاث آيات. وقال مقاتل: فيها آية مدنية، وقال غيرهما: فيها خمس آيات مدنيات، وانظر: زاد المسير ٣٣٢/٦.

(٢) نقله صاحب التبيان ١٠٤٧.

(٣) ساقط من «ب»

لأنه مصدر. و «مَنْ رَبِّ» متعلق به أيضاً. ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في «فيه»؛ لوقوعه خبراً، والعامل فيه الظرف، أو الاستقرار^(١).

الثاني: أن يكون «تَنْزِيلُ» مبتدأ و «لا ريب فيه» خبره^(٢). «وَمِنْ رَبِّ» حال من الضمير في «فيه» ولا يجوز حينئذ أن يتعلق بـ «تنزيل»؛ لأن المصدر قد أخبر عنه فلا يعمل. ومن يتسع في الجار لا يبالى بذلك^(٣).

الثالث: أن يكون «تنزيل» مبتدأ أيضاً و «من رب» خبره، و «لا ريب» حال أو مُعْتَرِض^(٤).

الرابع: أن يكون «لا ريب» و «من رب العالمين» خبرين لـ «تَنْزِيلُ»^(٥).

الخامس: أن يكون «تَنْزِيلُ» خبر مبتدأ^(٦) (مضمر)^(٧)، وكذلك «لا ريب»، وكذلك «من رب» فتكون كل جملة مستقلة برأسها.

ويجوز أن يكونا حالين من «تنزيل»، وأن يكون «من رب» هو الحال و «لا ريب» معترض^(٨) وأول البقرة مرشد لهذا.

وجوز ابن عطية^(٩) أي يكون «مَنْ رَبِّ العالمين» متعلقاً بـ «تنزيل». قال: على التقديم والتأخير. ورده أبو حيان: بأننا إذا قلنا: «لَا رَيْبَ فِيهِ» اعتراض لم يكن تقديماً وتأخيراً بل لو تأخر لم يكن اعتراضاً^(١٠). وجوز أيضاً أن يكون متعلقاً بلا ريب فيه من جهة رب العالمين وإن وقع شك الكفرة فذاك لا يراعى^(١١)، قال مقاتل: لا شك فيه أنه تنزيل من رب العالمين^(١٢).

قوله: «أَمْ يَقُولُونَ» هي المنقطعة، والإضراب للانتقال لا للإبطال، وقيل: الميم صلة أي أَيْقُولُونَ افْتَرَاهُ.

وقيل: فيه إضمار مجازه فهل يؤمنون أم يقولون افتراه. وقوله: «بَلْ هُوَ الْحَقُّ» إضراب ثانٍ ولو قيل: بأنه إضرابٌ إبطالٍ لنفس «افتراه» وحده لكان صواباً وعلى هذا يقال: كل ما في القرآن إضراب وهو انتقال إلا هذا فإنه يجوز أن يكون إبطالاً لأنه إبطال لقولهم، أي ليس هو كما قالوا مُفْتَرَى بل هو الحق. وفي كلام الزَّمَخْشَرِيِّ ما يرشد إلى^(١٣) هذا فإنه قال: والضمير

(١) المرجع السابق. (٢) السابق وانظر أيضاً البيان ٢/٢٥٨ ومشكل إعراب القرآن ٢/١٨٦.

(٣) الدر المصون ٤/٣٥٣.

(٤) التبيان السابق. والبحر ٧/١٩٦.

(٥) البيان والمشكل السابقين.

(٦) نقله في الدر المصون ٤/٣٥٣.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) فيما نقله عنه أبو حيان في البحر ٧/١٩٦.

(٩) البحر المحيط ٧/١٩٦.

(١٠) فليس بسحرٍ ولا حصانةٍ ولا أساطير الأولين. انظر: القرطبي ١٤/٨٥.

(١١) نقله في الدر المصون ٤/٣٥٣ و ٣٥٤.

في «فيه» راجع إلى مضمون الجملة^(١) كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه من رب العالمين ويشهد لواجهته^(٢) : «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» ؛ لأن قولهم مفتري إنكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله : «بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» وما فيه من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم^(٣).

قوله : «مِنْ رَبِّكَ» حال من «الْحَقُّ» والعامل فيه محذوف على القاعدة وهو العامل في «لِتُنذِرَ» ويجوز أن يكون العامل في : «لتنذر» غيره أي أنزله لِيُنذِرَ.

قوله : «قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ» الظاهر أن المفعول الثاني للإنذار محذوف، و «قَوْمًا» هو الأول، إذ التقدير : لتنذر قوماً العقاب و «مَّا أَتَاهُمْ» جملة منفية في محل نصب صفة «لِقَوْمًا» يريد الذين في الفترة^(٤) بين عيسى ومحمد عليهما السلام. وجعله الرمزخشري^(٥) كقوله : «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ» [يس : ٦] فعلى هذا يكون «من نذير» هو فاعل «أَتَاهُمْ» و «من» مزيدة فيه و «مِنْ قَبْلِكَ» صفة «لِنَذِيرٍ»، ويجوز أن يتعلق «مِنْ قَبْلِكَ» «بِأَتَاهُمْ». وجوز أبو حيان^(٦) أن تكون «ما» موصولة في الموضعين والتقدير : لتنذر قوماً العقاب الذي أتاهم من نذير من قبلك و «مِنْ نَذِيرٍ» متعلق «بِأَتَاهُمْ» أي أتاهم على لسان نذير من قبلك وكذلك «لتنذر قوماً ما أنذر آبائهم» أي العقاب الذي أنذره آبائهم، «فما» مفعولة في الموضعين، و «أنذر» يتعدى إلى اثنين قال الله تعالى : «فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً نَّازِلَةً» [فاطر : ٢٤] «أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ» [المائدة : ١٩] وهذا الذي قال ظاهر، ويظهر أن في الآية الأخرى وجهاً آخر وهو أن تكون «ما» مصدرية تقديره لتنذر قوماً إنذار آبائهم لأن الرسل كلهم متفقون^(٧) على كلمة الحق.

فصل

المعنى بل هو يعني القرآن الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك. قال قتادة : كانوا أمة لم يأتهم نذير قبل محمد - ﷺ - (قال ابن عباس^(٨) ومقاتل : ذاك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد - ﷺ -) «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ».

قوله : «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» لما ذكر الرسالة، وبين ما على الرسول من الدعاء إلى التوحيد وإقامة الدليل فقال : «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»، (والله^(٩)) مبتدأ، وخبره «الَّذِي خَلَقَ» يعني الله هو الذي خلق

(٢) في الكشف : ويشهد لوجهه قوله. وهو الأصح.

(٤) القرطبي ١٥/١٤.

(٦) البحر المحيط ١٩٧/٧.

(٨) ساقط من «ب» وانظر : القرطبي ٨٥/١٤.

(١) الكشف ٢٤٠/٣.

(٣) المرجع السابق.

(٥) الكشف ٢٤٠/٣.

(٧) في «ب» كلهم متفقة.

(٩) ساقط من «ب».

السموات) ولم يخلقها إلا واحد فلا إله إلا واحد. وقد تقدم الكلام في معنى قوله: «سته»^(١) أيام.

قوله: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ»^(٢) اختلف العلماء في هذه الآية ونظائرها على قولين:

أحدهما: ترك التعرض إلى بيان المراد.

والثاني: التعرض إليه. والأول أسلم؛ لأن صفة الاستواء مما لا يجب العلم بها فمن لم يتعرض إليه لم يترك واجباً ومن تعرض إليه فقد يخطر فيعتقد خلاف ما هو عليه فالأول غاية ما يلزمه أنه لا يعلم، والثاني يكاد يقع في أن يكون جاهلاً وعدم العلم والجهل المركب كالسكوت والكذب ولا شك أن السكوت خير من الكذب وأيضاً فإنه أقرب إلى الحكمة لأن من يطالع كتاباً صنفه إنسان وكتب له شرحاً والشارح دون المصنف فالظاهر أنه لا يأتي على جميع ما أتى عليه المصنف ولهذا كثيراً ما نرى أن الإنسان يورد الإشكالات على المصنف المتقدم ثم يجيء من ينصر كلام المصنف ويقول: لم يرد المصنف هذا وإنما أراد كذا وكذا، وإذا كان حال الكتب الحادثة التي تكتب من علم قاصر هكذا فما ظنك بالكتاب العظيم الذي فيه كل حكمة كيف يجوز أن يدعي جاهل أنني علمت كل سر في هذا الكتاب؟ فلو ادعى عالم أنني علمت كل سر وكل فائدة يشتمل عليها الكتاب الفلاني يستفح منه ذلك فكيف من يدعي أنه علم كل ما في كتاب الله^(٣)؟

(وَلَيْسَ لِقَائِهِ أَنْ يَقُولَ: بَأْنِ اللَّهِ بَيْنَ كُلِّ (٤) مَا أَنْزَلَهُ؛) لأن تأخير البيان إلى وقت الحاجة جائز. ولعل في القرآن ما لا يحتاج إليه أحد غير نبيه فيبين^(٥) له لا لغيره.

وإذا ثبت هذا علم أن في القرآن ما لا يعلم، وهذا أقرب إلى ذلك (الذي)^(٦) لا يعلم للتشابه البالغ الذي فيه^(٧). قوله: «مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ». لما ذكر أن الله خالق السموات والأرض قال بعضهم: نحن معترفون بأن خالق السموات والأرض واحد هو إله السموات والأرض وهذه الأصنام صور كواكب منها نصرتنا وقوتنا.

وقال آخرون: هذه صور ملائكة شفعاء لنا عند الله، فقال تعالى: لَا إِلَهَ غَيْرَ^(٨) الله،

(١) أي إلى ستة أحوال في نظر الناظرين وذلك لأن السموات والأرض وما بينهما ثلاثة أشياء ولكل واحد منها ذات وصفة ونظراً إلى خلقه ذات السموات حالة، ونظراً إلى خلقه صفاتها أخرى، ونظراً إلى ذات الأرض وإلى صفاتها كذلك، ونظراً إلى ذات ما بينهما وإلى صفاتها كذلك فهي ستة أشياء على ستة أحوال. وانظر: الباب ١٢٧/٣ ب، وسورة الأعراف الآية ٥٤.

(٢) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر ١٦٧/٢٥ و١٦٨.

(٣) المرجع السابق. (٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٥) في «ب» فَيُنْزِلُ بِالْمُضَارِعِ. (٦) ساقط من «ب».

(٧) تفسير الرازي ١٦٩/٢٥. (٨) في «ب» إلا الله.

ولا نصرة من غير الله، ولا شفاعه^(١) إلا بإذن الله فعبادتكم لهذه الأصنام باطلة ضائعة.

ثم قال: «أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ» ما علمتموه من أنه خالق السموات والأرض، وخالق لهذه الأجسام العظام، لا يقدر^(٢) عليه مثل هذه الأصنام حتى ينصروكم وتكون لها^(٣) شفاعه.

قوله: «يَذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» لما بين الخلق بين الأمر كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] يحكم الأمر، وينزل القضاء، والقدر من السماء إلى الأرض. وقيل: ينزل الوحي مع جبريل - عليه السلام - بالأمر^(٤).

قوله: «ثُمَّ يَرْجُ إِلَيْهِ» العامة على بنائه للفاعل. وابن أبي عبيدة على بنائه للمفعول^(٥). والأصل يفرج به، ثم حذف الجار فارتفع الضمير واستتر. وهو شاذ^(٦) يصلح لتوجيه مثلها، والمعنى: أن أمره ينزل من السماء على عباده ويعرج إليه أعمالهم الصالحة الصادرة على موافقة ذلك الأمر^(٧).

قوله: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ» (أي في يوم^(٨) واحد يعني نزول وعروج العمل في مسافة ألف سنة مما تَعْلُونَ)، وهو بين السماء والأرض فإن مسافته خمسمائة سنة^(٩) (فينزل^(٩) في مسيرة خمسمائة سنة ويعرج في خمسمائة سنة فهو مقدار ألف سنة) يقول لو سار أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة والملائكة يقطعونه في يوم واحد هذا في وصف عروج الملائكة^(١٠) من الأرض إلى السماء وأما قوله: «تَرْجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» [المعارج: ٤] أراد مدة المسافة من الأرض إلى سدره المنتهى التي هي مقام جبريل - عليه السلام - يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا. قاله مجاهد^(١١) والضحاك، وقيل: إن ذلك^(١٢) إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر وذلك لأن من نفذ أمره غاية النفاذ في يوم أو يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ أمره في سنين متطاولة، فقوله: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ»، يعني يدبر الأمر في زمان يوم منه ألف سنة فكم يكون شهر منه (وكم تكون سنة)^(١٣) منه وكم يكون دهر منه، وعلى هذا فلا فرق بين هذا وبين قوله: «مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» لأن ذلك (إذا كان إشارة^(١٤) إلى دوام إنفاذ الأمر،

(١) وفيها: إذا لا شفاعه. (٢) في «ب»: لا قدرة لهذه الأصنام.

(٣) في «ب»: فكيف ينصرونكم ويكونون لكم شفعاء.

(٤) وانظر في هذا كله الرازي ١٦٩/٢٥ و ١٧١ و ١٧٢.

(٥) وهي قراءة معاذ القاريء وابن السميقي أيضاً. وانظر: زاد المسير ٣٣٤/٦ والكشاف ٢٤٠/٣.

(٦) نقله صاحب الدر المصون ٣٥٥/٤. (٧) وانظر: الرازي السابق ١٧٢/٢٥.

(٨) ساقط من «ب». (٩) ساقط من «ب» كذلك.

(١٠) في «ب» الملك بضيغة الأفراد. (١١) القرطبي ٨٩/١٤.

(١٢) التفسير الكبير ١٧٢/٢٥. (١٣) ساقط من «ب».

(١٤) ساقط من «ب».

فسواء يُعَبَّرُ بِأَلْفِ سَنَةٍ أَوْ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) لا يتفاوت إلا أن المبالغة بالخمسين أكثر، وسيأتي بيان فائدتها في موضعها إن شاء الله تعالى. وقيل: أَلْفُ سَنَةٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ كُلُّهَا فِي الْقَمَةِ^(١) يكون على بعضهم أطول^(٢)، وعلى بعضهم أقصر معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يعرج أي يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الأمراء أو حكم الحكماء في يوم مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فأما قوله «خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» فإنه أراد على الكافر يجعل ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا، وقال إبراهيم التيمي^(٣) (لا) يكون على المؤمن (إلا)^(٤) كما بين الظاهر والعصر، ويجوز أن يكون هذا إخباراً عن شدته ومشقته وهوله^(٥)، وقال ابن أبي مليكة^(٦): دخلت أنا وعبد الله بن فيروز^(٧) علي ابن عباس فسألناه عن هذه الآية وعن قوله: «خمسين ألف سنة» فقال ابن عباس: أيام سماها الله لا أدري ما هي أكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم^(٨).

قوله: «مِمَّا تَعْدُونَ» العامة على الخطاب، والحسن، والسلمي، وابن وثاب والأعمش بالغية^(٩)، وهذا الجار صفة «لألف» أو «لِسنة».

قوله: «ذَلِكَ عَالِمٌ» العامة على رفع «عالم» و «العزیز» و «الرَّحِيمُ»، على أن يكون «ذلك» مبتدأ، و «عالم» خبره و «العزیز والرَّحِيمُ» خبران أو نعتان^(١٠) أو «العزیز الرحيم» مبتدأ وصفة. و «الَّذِي أَحْسَنَ» خبره، أو «العزیز الرَّحِيمُ» خبر مبتدأ مضمرة. وقرأ زيد (بن علي)^(١١) بجر الثلاثة وتخريجها على إشكالها: أن يكون «ذَلِكَ» إشارة إلى الأمر المدبر، ويكون فاعلاً (ليُغْرَجَ)، والأوصاف الثلاثة بدل من الضمير في «إِلَيْهِ»^(١٢) أيضاً. وتكون الجملة بينهما اعتراضاً.

(١) في القيامة وهو أقرب للمراد. (٢) في «ب» كالحول.

(٣) ساقط من «ب». (٤) كذلك.

(٥) فيكون نسبة مفترضة.

(٦) هو أبو بكر وأبو محمد عبد الله بن عُبيد الله بن أبي مليكة زُفَيْر بن عبد الله بن جُدعان القرشي التيمي المكي الأصولي روى عن جده وعائشة وعنه عمرو بن دينار، وابن عباس وغيرهما، مات سنة ١١٧ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٢.

(٧) محمد بن محمد بن فيروز أبو عبد الله الكرجي شيخ جليل مقرئ، قرأ على أحمد بن عبد الله الهاشمي، ومحمد بن الحسين الكوفي مات سنة ٣٨٦ هـ. انظر: غاية النهاية ٢/ ٢٤٧.

(٨) القرطبي ١٤/ ٨٨.

(٩) البحر المحيط ٧/ ١٩٩ والإتحاف ٣٥١ ومختصر ابن خالويه ١١٧.

(١٠) في «ب» صفتان.

(١١) سقطت من «ب» وانظر هذه الإعرابات في الدر المصون ٤/ ٣٥٥ والقراءة في البحر ٧/ ١٩٩.

(١٢) في الدر المصون بعد هذه العبارة: كأنه قيل: ثم يعرج الأمر المدبر إليه عالم الغيب أي إلى عالم =

قوله: «الَّذِي أَحْسَنَ» يجوز أن يكون تابِعاً لما قبله في قراءتي الرفع والخفض، وأن يكون خبراً آخر وأن يكون خبر مبتدأ مضمَر، وأن يكون منصوباً على المدح.

قوله: «خَلَقَهُ» قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر^(١): بسكون اللام، والناقون بفتحها^(٢) فأما الأولى ففيها أوجه:

أحدها: أن يكون «خَلَقَهُ» بدلاً من: «كُلُّ شَيْءٍ»^(٣) بدل اشتغال والضمير عائِد على «كل شيء» وهذا هو المشهور.

الثاني: أنه بدل كل من كل. والضمير في^(٤) «هذا» عائِد على «الباري» تعالى، ومعنى «أحسن» حسن لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما يقتضيه الحكمة، فالمخلوقات كلها حسنة^(٥).

الثالث: أن يكون «كُلُّ شَيْءٍ» مفعولاً أول، و «خَلَقَهُ» مفعولاً ثانياً، على أن يضمن «أحسن» معنى أعطى وألهم. قال مجاهد: وأعطى كل جنس شكله، والمعنى خلق كل شيء على شكله الذي خص به^(٦).

الرابع: أن يكون «كُلُّ شَيْءٍ» مفعولاً ثانياً قُدِّمَ و «خَلَقَهُ» مفعولاً أول أخر على أن يضمن «أحسن»^(٧) معنى ألهم وعرف.

قال الفراء: ألهم كل شيء خلقه^(٨) فيما يحتاجون إليه فيكون أعلمهم ذلك. (وقال أبو البقاء: ضمن^(٩) «أحسن» معنى «عرف» وأعرب على نحو ما تقدم إلا أنه لا بُدَّ أن يجعل الضمير لله تعالى، ويجعل الخلق بمعنى المخلوق أي عرف مخلوقاته كُلُّ شيء يحتاجون إليه فيؤول المعنى إلى معنى قوله: «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» [طه: ٥٠].

الخامس: أن تعود الهاء على «الله» تعالى وأن يكون «خَلَقَهُ» منصوباً على المصدر المؤكَّد لمضمون الجملة^(١٠) كقوله: «صُنِعَ اللَّهُ» [النمل: ٨٨]، وهو مذهب سيبويه

= الغيب وأبو زيد برفع «عالم» وخفض «العزیز الرحيم» على أن يكون ذلك عالم مبتدأ وخبر، والعزیز الرحيم بدلان من الهاء في «إليه».

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي ١٨٦/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٢ والسبعة ٥١٦ والإتحاف ٣٥١ والنشر ٢/٣٤٧ وحجة ابن خالويه ٢٨٧.

(٢) وهم نافع وعاصم وحزمة والكسائي. وخلف وانظر المراجع السابقة.

(٣) البيان ٢/٢٥٩ ومشكل إعراب القرآن ١٨٦/٢ و ١٨٧ والبيان ١٠٤٨.

(٤) المشكل ١٨٦/٢. (٥) البحر المحيط ٧/١٩٩.

(٦) المرجع السابق. (٧) الدر المصون ٤/٣٥٦.

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٢٣٠ و ٢٣١.

(٩) ما بين القوسين ساقط من «ب» وانظر: التبيان ١٠٤٨.

(١٠) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي ١٨٦/٢.

أي^(١) خَلَقَهُ خَلْقًا، وَرُجِّعَ عَلَى^(٢) بدل الاشتمال بأن فيه إضافة المَصْدَر إلى فاعله، وهو أكثر من إضافته إلى المفعول وبأنه أبلغ في الامتنان^(٣) لأنه إذا قال: «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» كان أبلغ من «أحسن خلق كل شيء»؛ لأنه قد يحسن الخلق وهو المحاولة ولا يكون الشيء في نفسه «حسنًا» وإذا قال: «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» اقتضى أن كل (شيء) خلقه حسن بمعنى أنه وضع كل شيء في موضعه^(٤). وأما القراءة الثانية «فَخَلَقَ» فيها فعل ماضٍ، والجملة صفة للمضاف أو المضاف إليه فتكون منصوبة المحل أو مجرورة^(٥).

قوله: «وَبَدَأَ» العامة على الهمز. وقرأ الزُّهْرِيُّ^(٦) «بَدَأَ» بألف خالصة وهو خارج عن قياس تخفيفها إذ قياسه^(٧) يَبْنَى بَيْنَ عَلَى أَنَّ الْأَخْفَشَ حَكَى قَرِيبًا^(٨). وجوز أبو حيان أن يكون من^(٩) لغة الأنصار، يقولون في «بَدَأَ» «بَدَيَ» بكسر وبعدها ياء كقول عبد الله بن رواحة الأنصاري:

٤٠٦٢ - بِاسْمِ الْإِلَهِ وَبِهِ بَدَيْنَا وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا^(١٠)

قال: وطبىء تقول في تُقَى ثَقَاء^(١١)، قال: فاحتمل أن تكون قراءة الزهري من هذه اللغة أصله «بَدَيَ» ثم صار^(١٢) «بَدَأَ»، قال شهاب الدين: فتكون القراءة مركبة من^(١٣) لُغَتَيْنِ.

فصل

«ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» يعني ذلك الذي صنع ما ذكر من خلق السماوات والأرض عالم ما غاب عن الخلق وما حضر «الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» لما بين أنه عالم ذكر أنه «عزیز» قادر على الانتقام من الكفرة «رَحِيمٌ» واسع الرحمة على البررة «الذي أحسن كل شيء خلقه» أي أحسن خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ^(١٤). قال ابن عباس: أتقنه^(١٥) وأحكمه وقال

(١) انظر: الكتاب ٣٨١/١. (٢) في «ب» ورجع الأمر على بدل الاشتمال.

(٣) في «ب» في الإضافة. (٤) انظر: البحر المحيط ١٩٩/٧.

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن ١٨٧/٢ والبيان ٢٥٨/٢ والتبيان ١٠٤٨ وتفسير القرطبي ٩٠/١٤ والدر المصون ٣٥٦/٤.

(٦) ذكرها ابن جني في المحتسب ١٧٣/٢ وانظر البحر ١٩٩/٧.

(٧) ذكره في المرجع السابق.

(٨) عبارة البحر: «على أن الأخفش حكى في قَرَأَتْ: قَرَيْتُ»، انظر: البحر ١٩٩/٧.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) رجز لعبد الله بن رواحة والشاهد: «بَدَيْنَا» والأصل: «بَدَأْنَا» فقلبت الهمزة ياء على لغة الأنصار وانظر: بحر أبي حيان ١٩٩/٧، والأشموني ٤٢/٣ واللسان (بدا) والبداية والنهاية لابن كثير ٩٧/٤ وإعراب ثلاثين سورة ١١، وتاج اللغة «بَدَيَ» وتاج العروس للزبيدي ١٣٩/١.

(١١) في البحر بقي - بقاء. (١٢) المرجع السابق.

(١٣) الدر المصون ١٣٩/٤. (١٤) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ١٧٣/٢٥.

(١٥) القرطبي ٩٠/١٤.

مقاتل^(١) : علم كيف يخلق كل شيء من قولك : فلان يُخسِنُ كذا، إذا كان يعلمه . وقيل : خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في خلقه حسن، وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح معاشه . واعلم أنه تعالى لما ذكر الدليل على الوحداية من الآفاق بقوله : «خلق السموات والأرض وما بينهما» أتبعه بذكر الدليل الدال عليها من الأنفس فقال : «الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين» يعني آدم، ويمكن أن يقال : الطين ماء وتراب مجتمعان، والآدمي^(٢) أصله مَنيّ، والمَنيّ أصله غذاء، والأغذية إما حيوانية وإما نباتية (والحيوانية^(٣) ترجع إلى نباتية) والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو الطين «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ» أي جعل ذريته من نطفة سميت سلالة؛ لأنها تنسل من الإنسان، هذا على التفسير الأول؛ لأن آدم كان من طين، ونسله من سلالة «مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ» أي ضعيف وهو نطفة الرجل «ثُمَّ سَوَّاهُ» سوى خلقه «وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» يعني آدم؛ لأن كلمة «ثُمَّ» للتراخي فتكون التسوية بعد جعل النسل من سلالة، وذلك بعد خلق آدم، ثم عاد إلى ذريته فقال : «وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ» (أي^(٤) جعل لكم بعد أن كنتم نطفاً السمع والأبصار) والأفئدة «فَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ» يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه، فقلوه «وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ» هذه التفات من ضمير (غائب)^(٥) مفرد في قوله : «نَسْلَهُ» إلى آخره إلى خطاب جماعة . وفي هذا الخطاب لطيفة وهي أن الخطاب يكون مع الحي فلما قال : «وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» خاطبه من بعد وقال : «وَجَعَلَ لَكُمُ» .

فإن قيل : الخطاب واقع قبل ذلك كما في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الروم : ٢٠] .

فالجواب : هناك لم يذكر الأمور المترتبة وهي كون الإنسان طيناً ثم ماء مهيناً، ثم خلقاً مسوى^(٦) بأنواع القوى فخاطبه في بعض المراتب دون بعض .

فإن قيل : ما الحكم في ذكر المصدر في السمع وفي البصر والفؤاد الاسم، ولهذا جَمَعَ الْأَبْصَارَ وَالْأَفئدة ولم يجمع السمع؛ لأن المصدر لا يجمع؟

فالجواب : أن السمع قوة واحدة ولها محل واحد وهو الأذن ولا اختيار لها فيه فإن الصوت من أي جانب كان يصل إليه ولا قدرة للأذن على تخصيص السمع بإدراك البعض دون البعض، وأمّا الإبصار فَمَحَلُّهُ العين ولها فيه اختيار فإنها تتحرك إلى جانب^(٧) المرئي

(١) وهو رأى السدي أيضاً وانظر : زاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٣٣٤ .

(٢) في «ب» وآدم .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٥) ساقط من «ب» .

(٦) هكذا هي في تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ١٧٤ .

(٧) انظر في هذا كله الإمام الفخر الرازي ٢٥/ ١٧٣ : ١٧٥ .

دون غيره وكذلك الفؤاد محل الإدراك وله نوعٌ اختيار يلتفت إلى ما يريد دون غيره، وإذا كان كذلك فلم يكن للمحل في السمع تأثير، والقوة مستبدة^(١) فذكر القوة في العين والفؤاد؛ (لأن للمحل نوع^(٢)) اختيار، فذكر المحل لأن الفعل مسند إلى المختار ألا ترى أنك تقول: سَمِعَ زَيْدٌ، ورأى عمرو، ولا تقول: «سَمِعَ أَذُنُ زَيْدٍ» ولا «رَأَى عَيْنُ عَمْرٍو» إلا نادراً لأن المختار هو الأصل وغيره آتته^(٣)، فالسمع أصل دون محله لعدم له لاختيار له والعين كالأصل وقوة الإبصار آلتها والفؤاد كذلك وقوة الفهم آتته فذكر في السمع المصدر الذي هو القوة، وفي الإبصار والأفتدة الاسم الذي هو محل القوة ولأن السمع قوة واحدة لها محل واحد ولهذا لا يسمع الإنسان في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما ويرى في زمان واحد صورتين فأكثر وَيُتَقَنُّهُمَا^(٤).

قوله تعالى: «أَيُّدَا ضَلَّلْنَا» تقدم خلاف القراء في الاستفهامين^(٥)، والواو للعطف على ما سبق فإنهم قالوا محمد ليس برسول، والله ليس بواحد وقالوا: الحشر ليس بممكن، فالعامل في «إذا» محل تقديره^(٦) «نُبْعَتْ أَوْ نَخْرُجُ» لِدَلَالَةِ: «خَلَقِي جَدِيدٍ» عليه ولا يعمل فيه «خَلَقِي جَدِيدٍ»؛ لأن ما بعد «إِنَّ» والاستفهام لا يعمل فيما قبلهما، وجواب «إذا» محذوف إذا جعلتها شرطية^(٧). وقرأ العامة «ضَلَّلْنَا» بضاد معجمة، ولام مفتوحة بمعنى ذَهَبْنَا^(٨)، وَضِعْنَا من قولهم: ضَلَّ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ وقيل: غَيَّبْنَا، قال النابغة:

٤٠٦٣ - فَأَبْ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغَوِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ^(٩)
والمضارع من هذا: يَضِلُّ بكسر العين وهو كثير، وقرأ يَخْيِي بِنُ يَغْمَرُ وابنُ

(١) في «ب» مستندة. (٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) في «ب» مانع إليه. (٤) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٧٥/٢٥.

(٥) يشير إلى الآية (٥) من سورة الرعد وهي قوله: «أَيُّدَا كُنَّا تُرَابًا أَثْنَا لَفِي خَلَقِي جَدِيدٍ».

(٦) انظر: مشكل إعراب القرآن ١٨٧/٢.

(٧) بخلاف لو كانت غير شرطية كالظرفية فتكون في موضع نصب «بضللنا» ويؤيد هذا قراءة «أثنا» على الإخبار. والمعنى: أنبعت إذا ضللنا في الأرض.

(٨) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٦ والقرطبي ١١٠/١٤.

(٩) له من بحر الطويل وقبلة:

فَلَمَّا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ فَلَمَّا تَخَيَّ لَا أَتْلُكَ حَيَاتِي وَإِنْ تُمُتْ

وهو يرثي بهما النعمان بن الحارث الغساني. والشاهد فيه كلمة: «مُضِلُّوهُ» أي دافنوه وهذه الكلمة تؤكد معنى ضللنا فعلى هذا الرأي وهو التغييب كما يغيّب المدفون في التراب. وانظر: ديوان النابغة ١٢١ و ٢٥٤ و «الجولان» موضع معروف بسوريا، وبعين جلية: أي بخبر صادق فالكرم والجود ذهباً بذهابه. انظر: القرطبي ٩١/١٤ واللسان: «ض ل ل» ٢٦٠٤ والكشاف ٢٤٢/٣ ورواية الكشاف: «وَأَب» بالواو.

مُحَيِّنِينَ وَأَبُو رَجَاءٍ: بكسر اللام^(١) وهي لغة العالية، والمضارع من هذا يَضِلُّ بالفتح، وقرأ علي وأبو حنيفة^(٢) «ضَلَّلْنَا» بضم الصاد وكسر اللام المشددة من «ضَلَّلْنَا» بالتشديد^(٣)، وقرأ علي أيضاً وابن عباس والحسن والأعمش وأبان بن سعيد: «ضَلَّلْنَا» بصاد مهيمة، ولام مفتوحة، وعن الحسن أيضاً ضَلَّلْنَا بكسر اللام. وهما لغتان^(٤)، يقال: ضَلَّ اللحم بفتح الصاد وكسرها لمجيء الماضي مَفْتُوح العين ومَكْسُورَها، ومعنى ضَلَّ اللحم أَتَنَّنَ وَتَغَيَّرَت رَائِحَتُهُ ويقال أيضاً: أَصَلَّ بالالف قال:

٤٠٦٤ - تُلْجَلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أُنَيْضُ أَصَلْتُ فَهِيَ تَخْتُ الْكَنْشُجَاءُ^(٥)
وقال النحاس: لا يعرف في^(٦) اللغة «ضَلَّلْنَا» ولكن يقال: ضَلَّ اللحم وَأَصَلَّ، وَخَمَّ وَأَخَمَّ وَقَدْ عَرَفَهَا غَيْرُ أَبِي جَعْفَرٍ^(٧).

فصل

قال في تكذيبهم بالرسالة: «أَمْ يَقُولُونَ» بلفظ المستقبل وقال في تكذيبهم بالحشر: «وَقَالُوا» بلفظ الماضي؛ لأن تكذيبهم بالرسالة لم يكن قبل وجوده، وإنما كان حال وجوده فقال: «يَقُولُونَ» يعني هم فيه. وأما إنكار الحشر فكان سابقاً صادراً منهم ومن آبائهم فقال: «وَقَالُوا» وصرح بقولهم في الرسالة فقال: «أَمْ يَقُولُونَ» وفي الحشر فقال: «وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَّلْنَا» ولم يصرح بقولهم في الوحانية؛ لأنهم كانوا مصرين في جميع الأحوال على إنكار الحشر والرسالة وأما الوحانية فكانوا يعترفون بها في بعض الأحوال في قوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] فلم يقل: قالوا إن الله ليس بواحد وإن كانوا قالوه في الظاهر.

(١) ذكرها ابن خالويه في مختصره ١١٧، وانظر أيضاً إعراب القرآن للنحاس ٢٩٣/٤ والبحر ٢٠٠/٧ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٥/٤ ومعاني القرآن للفراء ٣٢١/٢.

(٢) تصحيح لأبي حنيفة فكانت في كلتا النسختين «حياة».

(٣) مختصر ابن خالويه أيضاً وهي قراءة شاذة ١١٧ وانظر أيضاً معاني الفراء ٢٣١/٢ ومعاني الزجاج ٤/٢٠٥ وإعراب القرآن للنحاس ٢٩٣/٣ والمحتسب ١٧٤/٢.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٩٣/٤ ومعاني الفراء ٢٣١/٢ ومعاني الزجاج ٢٠٥/٤.

(٥) من تمام الواقف لزهير بن أبي سلمى، والشاهد فيه «أَصَلَّ» حيث جاء الفعل بهمزة وهو معنى الفعل الثلاثي «ضَلَّ» فالمعنى واحد وهو التغير والتشتت. وانظر: اللسان مادة: «ضَلَّ» ص. ل. ل. ٢٤٨٧ والمحتسب ١٧٤/٢ وكامل المبرد ١٤/١ وديوانه ٨٣، والأنيض مصدر لقولنا: أنض اللحم يأنض إذا تغير.

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٩٣/٣.

(٧) هذا كلام الشارح أي إنها عرفت لدى العلماء على خلاف زعم أبي جعفر النحاس ووجه نظر النحاس أن السماع هو المعول عليه ولذلك قال: سمع ضَلَّلْنَا بالفتح، وانظر: الدر المصون ٣٥٨/٤ والبحر المحيط ٢٠٠/٧.

فإن قيل: إنه ذكر الرسالة من قبل وذكر دليلها (وهو التنزيل الذي لا ريب^(١) فيه وذكر الوحداية وذكر دليلها وهو) خَلَقَ السماوات والأرض وَخَلَقَ الإنسان من طين، ولما ذكر إنكارهم الحشر لم يذكر الدليل؟

فالجواب: أنه ذكر دليله أيضاً وهو أن خلق الإنسان ابتداء دليل على قدرته على الإعادة ولهذا استدل (تعالى)^(٢) على إمكان الحشر بالخلق الأول كما قال: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] وأيضاً خلق السماوات والأرض كما قال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى﴾ [يس: ٨١].

قوله: «إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» استفهام إنكاري أي إننا كائنون في خلق جديد أو واقعون فيه «بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ» إضراب عن الأول يعني ليس إنكارهم لمجرد الخلق ثانياً بل يكفرون بجميع أحوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب. أو يكون المعنى لم ينكروا البعث لنفسه بل لكفرهم بقاء الله فإنهم كرهوه فأنكروا المفضي إليه، ثم بين لهم ما يكون (من الموت)^(٣) إلى العذاب فقال: «قُلْ يَتَوَفَّاكُم» يقبض أرواحكم «مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» أي وكل بقبض أرواحكم وهو عزرائيل، (والتَّوَفَّى)^(٤) استيفاء العدد معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كُتِبَ عليه الموت^(٥).

فصل

روي أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أنفُسَ الخَلْقِ من مشارق الأرض ومغاربها^(٦)، وله أعوان من ملائكة الرحمة وأعوان من ملائكة العذاب، وقال ابن عباس: خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب، وقال مجاهد: جعلت الأرض مثل طُسْتٍ^(٧) يتناول منها حيث شاء.

قوله: «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» أي تصيرون إليه أحياء فيجزئكم بأعمالكم، وقرأ العامة: تُرْجَعُونَ بينائه للمفعول، وزيد بن علي^(٨): بينائه للفاعل.

قوله: «وَلَوْ تَرَىٰ» في «لو» هذه وجهان:

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي ١٧٦/٢٥.

(٤) انظر: القرطبي ٩٣/١٤ وفي «ب» إلى مغاربها.

(٥) ذكرها أبو حيان في بحره ٢٠٠/٧ والإنحاف ٣٥١.

(٦) المرجع السابق.

أحدهما: أنها لما كان سَيَقَعُ لوقوع غيره. وعبر^(١) عنها الزمخشري بامتناع لامتناع^(٢)، وناقشه أبو حيان في ذلك. وقد تقدم تحقيقه أول البقرة^(٣)، وعلى هذا جوابها محذوف أي لرأيت أمر فظيعاً^(٤).

والثاني: أنها للتمني. قال الزمخشري كأنه قيل: وليتك^(٥) ترى. وفيها إذا كانت للتمني خلاف هل تقتضي جواباً أم لا^(٦)، وظاهر تقدير الزمخشري هنا أنه لا جواب لها. قال أبو حيان: والصحيح أن لها جواباً^(٧) وأنشد:

٤٠٦٥ - فَلَوْ نَبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلْبٍ فَيُخْبِرَ بِالدُّنَائِبِ أَيُّ زِيرٍ
بِیَوْمِ الشُّغْثَمِينَ لَقَرَّ عَيْنًا وَكَيْفَ لِقَاءِ مَنْ تَخَتَّ الشُّبُورُ^(٨)

قال الزمخشري: ولو تجيء في معنى التمني كقولك: «لو تأتيني فتحدثني» (كما تقول)^(٩): «لَيْتَكَ تَأْتِينِي فَتُحَدِّثْنِي»^(١٠) قال ابن مالك: أن أراد به الحذف أي ودِدْتُ لو تأتيني^(١١) فتحدثني فصحيح وإن أراد أنها موضوعة له فليس بصحيح، إذ لو كانت موضوعة له لم يجمع بينها وبينه كما لم يجمع بين «ليت» والتمني، ولا «لعل وأترجى»، ولا «إلا» وأستثني، ويجوز أن يجمع بين «لو» وأتمنى تقول (تَمَنَيْتُ) لَوْ فَعَلْتُ كَذَا، والمخاطب يحتمل أن يكون النبي - ﷺ - شفاء لصدرة، فإنهم^(١٢) كانوا يؤذونه بالكذب، ويحتمل أن يكون عاماً، و «إذ» على بابها من الماضي؛ لأن «لو»^(١٣) تصرف المضارع للمضي، وإنما جيء هنا ماضياً لتحقيق وقوعه نحو: «أَنَّهُ أَمَرَ اللَّهُ» [النحل: ١]. وجعله أبو البقاء^(١٤) مما وقع فيه «إذ» موقع «إذا». ولا حاجة إليه. والمراد بالمجرمين المشركون.

(١) في «ب» وعرفها.

(٢) قال: «وأن تكون «لو» الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمراً فظيعاً» الكشف ٢٤٢/٣.

(٣) يقصد الآية ٢٠ من سورة «البقرة» وهي قوله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

(٤) ذكره الكشف في المرجع السابق. (٥) المرجع السابق.

(٦) ذكره ابن هشام في المغني ٢٦٧. (٧) البحر المحيط لأبي حيان ٢٠١/٧.

(٨) بيتان من تمام الوافر من قصيدة لامرئ القيس بن ربيعة الملقب بمهلhel يذكر فيها ما وقع من أخذه بشار أخيه و «الدُّنَائِبِ» موضع وكذا «الشعثمان» و«كلب» أخوه والشاهد حصول الجواب «لو» التي لتمي حصول شيء مستحيل. «فلو» هنا للتمني وجوابها «لقر عيناً» وانظر: الأمالي للقاللي ٤/١ و ٢/١٣١ والبحر المحيط ٢١٠/٧، والمغني ٢٦٧، ويس ٢٥٩/٢ والأصمعيات ١٥٤ و ١٥٥، والحماسة البصرية ٨٤/١، والأشمونني ٣٢/٤ وتوضيح المقاصد ٢٧٠/٤ وشرح شواهد المغني للسيوطي ٦٥٤.

(٩) ساقط من «ب». (١٠) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ١١/٩.

(١١) نقله في شرح الكافية الشافية ٦٥ وكذلك نقله عنه في بحر أبو حيان ٢٠١/٧.

(١٢) ما بين القوسين ساقط من «ب». (١٣) في «ب»: لأثمهم. (١٤) في «ب»: «لم» وهو تحريف.

(١٥) قال: و «إذ» هنا يراد بها المستقبل، وقد ذكرنا مثل ذلك في البقرة والتقدير: يقولون ربنا، انظر:

قوله: «تَكْسُوا»^(١) فعلاً ماضياً «رُؤُوسَهُمْ» مفعول به، والمعنى مَطَّطُوا رُؤُوسَهُمْ.

قوله: «رَبَّنَا» على إضمار القول، وهو حال أي قائلين ذلك، وقدره الزمخشري يَسْتَعِيْثُونَ^(٢) بقولهم، وإضمار القول^(٣) أَكْثَرُ^(٤).

قوله: «أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا» يجوز أن يكون المفعول مقدراً أي أبصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر. ويجوز أن لا يقدر أي صرنا بَصَرَاءَ سَمِيعِينَ فَارْجَعْنَا «إلى الدنيا» نَعْمَلْ صَالِحاً» يجوز أن يكون «صالحاً» مفعولاً به، وأن يكون نعت مصدر، وقولهم: «إِنَّا مُوقِنُونَ» أي إِنَّا آمَنَّا في الحال، ويحتمل أن يكون المراد أنهم ينكرون الشرك كقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣) فذوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) نَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ (٢٠) وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فُؤِ اعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ (٢٢)

قوله: «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى» رشدها وتوفيقها للإيمان، وهذا جواب عن قولهم: رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: إِنِّي لَوْ رَجَعْتُكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ لَهَدَيْتُكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَمَّا لَمْ أَهْدِكُمْ فِي الدُّنْيَا تَبَيَّنَ أَنِّي مَا أَرَدْتُ وَمَا شِئْتُ إِيْمَانَكُمْ فَلَا أَرَدُكُمْ، وَهَذَا صَرِيحٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ حَيْثُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَرَادَ الْإِيمَانَ مِنَ الْكَافِرِ، وَمَا شَاءَ مِنْهُ^(٥) إِلَّا الْكُفْرَ.

(١) ذكرها أبو حيان ٢٠١/٧. (٢) الكشف ٢٤٢/٣.

(٣) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٤) ذكره ابن الأنباري في غريبه ٢٥٩/٢ فقال: «تقديره: يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا» فحذف القول وحذف القول كثير في كلامهم.

(٥) وبهذا الاعتبار اختار أهل النظر من العلماء أن سمو هذه المنزلة بين المنزلتين كسباً، وأخذوا هذه =

قوله: «وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي» وجب القول (مني)^(١) وهو قوله تعالى: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». «فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ» قال مقاتل^(٢): إذا دخلوا النار قال لهم الخزنة: «فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ» أي تركتم الإيمان به في الدنيا. «لِقَاءَ يَوْمِكُمْ» (يجوز)^(٣) فيه أوجه:

أحدها: أنها من التنازع لأن^(٤) «ذُوقُوا» يطلب «لِقَاءَ يَوْمِكُمْ» و «نَسِيتُمْ» يطلبه أيضاً أي ذُوقُوا عَذَابَ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هذا بما نَسِيتُمْ عذاب لقاء يومكم هذا ويكون من أعمال الثاني عند البصريين ومن أعمال الأول عند الكوفيين^(٥)، والأول أصح للحذف من الأول؛ إذ لو عمل الأول لأضمر في (الثاني)^(٦).

الثاني: أن مفعول «ذُوقُوا» محذوف أي ذُوقُوا العذاب بسبب نسيانكم لقاء يومكم^(٧)، و «هذا»^(٨) على هذين الإعرابين صفة «لِيَوْمِكُمْ».

الثالث: أن يكون مفعول^(٩) «ذُوقُوا» «هَذَا» والإشارة به إلى العذاب، والباء سببية أيضاً أي فذوقوا هذا العذاب بسبب نسيانكم لقاء يومكم^(١٠)، وهذا ينبو عنه الظاهر، قال ابن الخطيب: «هذا» يحتمل ثلاثة أوجه: ^(١١) أن يكون إشارة إلى اللقاء (وأن^(١٢) يكون إشارة إلى اليوم)، وأن يكون إشارة إلى العذاب، ثم قال: «إِنَّا نَسِينَاكُمْ» تركناكم غير ملتفت إليكم «وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من الكفر والتكذيب.

قوله: «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا» سقطوا على وجوههم ساجدين «وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ»، قيل: سلموا بأمر ربهم^(١٣). وقيل: قالوا سُبْحَانَ اللَّهِ وبحمده «وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» عن الإيمان به والسجود له.

قوله: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ» يجوز في «تَتَجَافَى» أن يكون مستأنفاً^(١٤)،

= التسمية من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى: «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ». انظر القرطبي ١٤ / ٩٨.

(١) ساقط من «ب».

(٢) نقله في زاد المسير ٣٣٧ / ٦.

(٣) ما بين المعقوفين كله ساقط من (ب).

(٤) حكاه أبو البقاء في التبيان ٤٩. والبحر ٢٠٢ / ٧ والدر المصون ٣٥٩ / ٤.

(٥) التبيان ١٠٤٩ والدر المصون ٣٦٠ / ٤. (٦) زيادة عن النسختين يقتضيها سياق الكلام.

(٧) ذكره في البحر المحيط ٢٠٢ / ٧. (٨) المرجع السابق.

(٩) ذكره أبو البقاء في التبيان ١٠٤٩. (١٠) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(١١) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ١٨٠ / ٢٥.

(١٢) ساقط من «ب» وهي في تفسير الفخر الرازي.

(١٣) تفسير القرطبي ٩٩ / ١٤. (١٤) انظر: البيان ٢٥٩ / ٢.

وَأَنْ يَكُونَ^(١) حَالاً وَكَذَلِكَ «يَدْعُونَ»^(٢) إِذَا جَعَلَ «يَدْعُونَ» حَالاً اِحْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ حَالاً ثَانِيَةً، وَأَنْ يَكُونَ حَالاً مِنَ الضَّمِيرِ فِي «جَنُوبِهِمْ»؛ لِأَنَّ الْمَضَارِعَ خَبْرٌ^(٣)، وَالتَّجَافِي الِارْتِفَاعُ^(٤)، وَعَبَّرَ بِهِ عَنْ تَرْكِ النُّومِ، قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ:

٤٠٦٦ - نَبِيٌّ تَجَافَى جَنْبُهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَنَقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ^(٥)

وَالْمَعْنَى يَرْتَفِعُ (وَيَنبُو)^(٦) جَنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ جَمْعُ الْمَضْجَعِ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَضْطَجِعُ عَلَيْهِ يَعْنِي الْفِرَاشَ وَهُمْ الْمُتَهَجِدُونَ بِاللَّيْلِ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ، قَالَ أَنَسٌ: نَزَلَتْ فِيْنَا مَغْشَرُ الْأَنْصَارِ، كُنَّا نَصَلِّي الْمَغْرِبَ الصَّلَاةَ فَلَا نَرْجِعُ إِلَى رِحَالِنَا حَتَّى تُصَلِّيَ الْعِشَاءُ مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ^(٧) - . (وَعَنْ أَنَسٍ^(٨)): أَيْضاً قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ^(٩) كَانُوا يُصَلُّونَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَازِمٍ^(١٠)، وَمُحَمَّدُ بْنُ^(١١) الْمُنْكَدِرِ، وَقَالَ فِي صَلَاةِ الْأَوَابِينَ وَهُوَ مَرْوِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ عَطَاءٌ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَنَامُونَ حَتَّى يَصَلُّوا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ^(١٢)، (وَقَالَ^(١٣) ﷺ: مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ) (كَانَ^(١٤) كَقِيَامٍ يَضْفُ لَيْلَةً وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ) كَانَ كَقِيَامٍ لَيْلَةً^(١٥)، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ صَلَاةُ اللَّيْلِ، وَهُوَ قَوْلُ^(١٦) الْحَسَنِ

(١) البيان ٢/٢٥٩ والتبيان ١٠٤٩ ومشكل الإعراب ٢/١٨٧.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) هكذا تلك العبارة هنا وما في السمين: «لأن المضاف جر ويظهر - كما في التصريح - أن المراد أن المضاف جزء من المضاف إليه وهو أحد شروط مجيء الحال من المضاف». التصريح ١/٣٠٨.

(٤) ذكره في زاد المسير ٦/٣٣٩ ومجاز القرآن ٢/١٣٢.

(٥) بيت من بحر الطويل لعبد الله بن رواحة أحد أصحاب رسول الله - ﷺ - وشاهده في «تجافى» فإن معناه الارتفاع بجسم رسول الله - ﷺ - عن الفراش. وانظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٥٩ والطبري ٢١/٦٤ والبحر المحيط ٧/٢٠٢ و٣٤٥ ومجمع البيان للطبرسي ٧/١٧ والسراج المنير ٣/٢٠٨ والقرطبي ١٤/١٠٠.

(٦) تصحيح يقتضيه الكلام.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٣٣٩ والقرطبي ١٤/١٠١.

(٨) المرجعان السابقان. (٩) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(١٠) هو سلمة بن دينار مولى الأسود بن سفيان أبو حازم الأعرج الثمار المدني القاض الزاهد، أحد الأعلام عن ابن عمر، وابن عمرو، وسهل بن سعد، وابن المسيب وعنه ابنه عبد العزيز ومالك والسفيانان؛ كان ثقة مات سنة ١٣٥. انظر: الخلاصة ١٤٨.

(١١) ابن عبد الله أبو عبد الله المدني أحد الأئمة الأعلام عن عائشة وأبي هريرة، وأبي قتادة، وجابر، وعنه زيد بن أسلم ويحيى الأنصاري وخلق. مات سنة ١٣٠ هـ: المرجع السابق ٣٦٠ وانظر رأيهما في القرطبي ١٤/١٠١.

(١٢) نقله الشوكاني في فتح القدير ٤/٢٥٣.

(١٣) ساقط من «ب». (١٤) ساقط كذلك.

(١٥) نقله القرطبي في تفسيره ١٤/١٠١ مروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(١٦) الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٠٠.

وجماعة ومجاهد، وَمَالِكُ وَالْأَوْزَاعِيُّ^(١) وجماعة لقوله عليه (الصلاة^(٢)) والسلام: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ»، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْقَرِيبَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ^(٣)، وَقَالَ عَلَيْهِ (الصلاة^(٤)) والسلام -: «إِنْ^(٥) فِي الْجَنَّةِ عُرْفًا يَرَى ظَاهِرَهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنِهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَتَابَعَ الصَّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ».

(قوله^(٦)): «خَوْفًا وَطَمَعًا» إما مفعول من أجله وإما حالان^(٧)، (وإما) مصدران لعامل مقدر.

قال ابن عباس: خَوْفًا مِنَ النَّارِ^(٨) وطمعاً في الجنة، «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ». قيل: أراد به الصدقة المفروضة وقيل: عام في الواجب^(٩) والتطوع.

قوله: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» قرأ حمزة «أُخْفِيَ» فعلاً مضارعاً^(١٠) مسنداً لضمير المتكلم فلذلك سكنت ياءه (لأنه)^(١١) مرفوع، ويؤيده^(١٢) قراءة ابن مسعود: «مَا نُخْفِي» بنون العظمة^(١٣)، والباقيون «أُخْفِيَ» ماضياً مبنياً^(١٤) للمفعول، (فَمِنْ)^(١٥) ثُمَّ فَتَحَتْ ياءه، وقرأ محمد بن كعب^(١٦) «أُخْفَى» ماضياً مبنياً^(١٧) للفاعل، وهو الله تعالى، يؤيدها قراءة الأعمش و[«مَا»]^(١٨) «أُخْفِيتُ»^(١٩) مسنداً للمتكلم. و «مَا» يجوز أن تكون موصولة أي لا يعلم الذي أخفاه الله، وفي الحديث: «مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(٢٠) وأن تكون

(١) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الإمام الفقيه الحجة الزرع سمع من الزهري وعطاء. وعنه أخذ الثوري وابن المبارك وخلق مات سنة ١٥٧ هـ انظر: الخلاصة ٢٣٢.

(٢) زيادة من «ب». (٣) الحديث رواه الإمام أحمد ٣٤٢/٢ و ٣٤٤.

(٤) ساقط من «ب». (٥) رواه الإمام أحمد في مسنده في ١٧٣/٢ و ٣٤٣/٥.

(٦) ساقط من «ب». (٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٧/٤، والبيان ٢٩٠/٢.

(٨) ذكره الزجاج في: ٢٠٧/٤. (٩) المرجع السابق.

(١٠) الإتحاف ٣٥٣ والسبعة ٥١٦ والنشر ٣٤٧/٢ وحجة ابن خالويه ٢٨٧ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٧/٤ وإعراب القرآن للنحاس ٢٩٥/٤.

(١١) في «أ» هنا وساقط من «ب». (١٢) في «ب» ويؤيدها وهو الأقرب أي يؤيد القراءة.

(١٣) وهي قراءة شاذة ذكرها ابن خالويه في مختصره.

(١٤) المراجع السابقة. (١٥) سقطت من «ب».

(١٦) هو: محمد بن كعب بن سليم أبو حمزة ويقال أبو عبد الله القُرظي تابعي جليل روى عن فضالة بن عبيد وعائشة وأبي هريرة وغيرهم مات سنة ١٠٨ هـ انظر: طبقات القراء ٢٣٣/٢.

(١٧) الإتحاف ٣٥٢. (١٨) زيادة من «أ».

(١٩) من القراءة الشاذة. انظرها في ابن خالويه ١١٧ و ١١٨.

(٢٠) رواه أبو هريرة انظر البخاري ١٧٤/٣.

استفهامية^(١) معلقة «لَتَعْلَمَنَّ» فإن كانت متعدية لاثنتين سدت مسدهما أو لواحد سدت مسده .

قوله : «مِنْ قُرْءَانٍ أُعْثِرَ» قرأ عبد الله ، وأبو الدرداء وأبو هريرة «مَنْ قُرَاتِ أُعْثِرَ» جمعاً^(٢) بالألف والتاء ، و «جزاء» مفعولٌ له ، أو مصدر^(٣) مؤكّد لمعنى الجملة قبله ، وإذا كانت «ما» استفهامية فعلى قراءة (مَنْ)^(٤) قرأ ما بعدها فعلاً ماضياً يكون في محل رفع بالابتداء ، والفعل بعدها الخبر ، وعلى قراءة من قرأ مضارعاً يكون مفعولاً مقديماً^(٥) و «مِنْ قُرْءَانٍ» حال^(٦) من «ما» والمعنى مَا يُقَرُّ الله به أعينهم «جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» قال ابن عباس^(٧) : هذا مما لا تفسير له . قال بعضهم^(٨) : أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم .

قوله : «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا» نزلت في عليّ بن أبي طالب ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط أخى عثمان لأمه وذلك أنه كان بينهما تنازع فقال الوليد بن عقبة لِعَلِيِّ : اسْكُتْ فَإِنَّكَ فَاسِقٌ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» ولم يقل لا يستويان لأنه لم يرد مؤمناً واحداً ولا فاسقاً واحداً بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين . وقوله : «لَا يَسْتَوُونَ» مستأنف ؛ روي أن النبي - ﷺ - كان يعتمد الوقف على قوله «فاسقاً» ثم يبتدىء : «لَا يَسْتَوُونَ» .

قوله : «أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» لما ذكر أن المؤمن^(٩) والفاسق لا يستويان بطريق الإجمال بين عدم استوائهما على سبيل التفصيل فقال : «أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى» قرأ^(١٠) طلحة «جنة المأوى» بالإنفراد^(١١) ، والعامّة بالجمع ، أي التي يأوي إليها المؤمنون . وقرأ أبو حية^(١٢) : نُزْلًا - بضم وسكون - وتقدم تحقيقه آخر آل عمران^(١٣) ، «وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ» وهذا إشارة إلى حال الكافر ، واعلم أن العمل الصالح له مع الإيمان تأثير فلذلك قال : «آمَنُوا وعملوا الصالحات» ، وأما الكفر فلا التفات إلى الأعمال معه فلهذا لم يقل : «وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا

(١) المراجع السابقة .

(٢) من الشواذ وانظر المختصر ١١٨ والمحتسب ١٧٤/٢ ومعاني الفراء ٣٣٢/٢ .

(٣) ذكره أبو البقاء في التبيان ١٠٤٩ . (٤) ساقط من «ب» .

(٥) الدر المصون ٣٦١/٤ . (٦) السابق .

(٧) القرطبي ١٠٤/١٤ . (٨) وهو الحسن ذكر الطبري في تفسيره ٦٨/٢١ .

(٩) في «ب» الفاسق والمؤمن . (١٠) طلحة هنا هو طلحة بن مصرف وقد تقدمت ترجمته .

(١١) انظر : مختصر ابن خالويه ١١٨ وهي من الشواذ غير المتواترة .

(١٢) ذكرها أبو حيان ٢٠٣/٧ .

(١٣) يقصد قوله تعالى : «نُزْلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» وهي الآية ٩٨ من سورة «آل عمران» وقد بين هناك أن الإسكان للتخفيف وأن النزول والنزل هو إعداد الضيف انظر اللباب ٦٥٠/٢ ب .

وعملوا السيئات؛ لأن المراد من «فَسَقُوا» كفروا، ولو جعل العقاب في مقابلة الكفر والعمل لظن (أن) (١) مجرد الكفر (لا) (٢) عقاب عليه (٣).

قوله: «الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ» صفة لعذاب (٤)، وجوز أبو البقاء أن يكون صفة للنار قال: وذكر على معنى الجحيم والحريق (٥).

قوله: «وَلَنُذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ» قال أبي بن كعب والضحاك والحسن وإبراهيم (٦): العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها (٧) وهو (٨) رواية الوالي (٩) عن ابن عباس، وقال عكرمة عنه: الحدود (١٠)، وقال مقاتل: الجوع (١١) سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب. وقال ابن مسعود (١٢): هو القتل بالسيف يوم بدر وهو قول قتادة والسدي. وأما العذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة فإن عذاب الدنيا لا نسبة له إلى عذاب الآخرة (١٣).

فإن قيل: ما الحكمة في مقابلته «الأدنى» «بالأكبر»، «والأدنى» إنما هو في مقابلة «الأقصى» «والأكبر» إنما هو في مقابلة «الأصغر»؟

فالجواب: أنه حصل (١٤) في عذاب الدنيا أمران: أحدهما: أنه قريب والآخرة: أنه قليل صغير، وحصل (١٥) في عذاب الآخرة أيضاً أمران، أحدهما: أنه بعيد والآخرة: أنه عظيم كبير لكن العرف (١٦) في عذاب الدنيا هو (١٧) أنه الذي يصلح التخويف به فإن العذاب العاجل وإن كان قليلاً فلا يَحْتَرِزُ عنه بعض الناس أكثر مما يَحْتَرِزُ من (١٨) العذاب الشديد إذا كان آجلاً، وكذا الثواب العاجل قد يَرْغَبُ فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الآجل. وأما في عذاب الآخرة فالذي يصلح للتخويف هو العظيم والكبير (لا) (١٩) البعيد لما بينا فقال في عذاب الدنيا الأدنى ليحترز العاقل (٢٠) عنه ولو قال: «وَلَنُذِيقَهُمْ

(١) ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي ١٨٢/٢٥. (٤) الدر المصون ٣٦١/٤ والبيان ١٠٥٠.

(٥) المرجع السابق الأخير.

(٦) هو النخعي وقد سبق ترجمته.

(٧) القرطبي ١٠٧/١٤.

(٨) في «ب» وهي.

(٩) الوالي: علي بن ربيعة بن نضلة الوالي أبو المغيرة الكوفي عن علي وسلمان، وعنه الحكم وأبو إسحاق له في البخاري ومسلم حديث. انظر: خلاصة الكمال ٢٧٤.

(١٠) المرجع السابق.

(١١) فتح القدير ٢٥٦/٤ والمرجع السابق أيضاً.

(١٢) زاد المسير ٣٤١/٦.

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) في «ب» جعل بدلاً من حصل.

(١٥) في «ب» جعل بدلاً من حصل.

(١٦) في «ب» لكن الفرق وفي تفسير الفخر الرازي «لكن القُرْب» وهو الأقرب.

(١٧) في «ب» وهو بزيادة واو.

(١٨) في «ب» عن.

(١٩) هكذا هي هنا وفي تفسير الفخر الرازي ولكنها ساقطة من «ب».

(٢٠) في «ب» العاجل.

من العذاب الأصغر» ما كان يحترز عنه لصغره وعدم فهم كونه عاجلاً، وقال في عذاب الآخرة الأكبر لذلك المعنى ولو قال: مِنَ الْعَذَابِ الْأَبْعَدِ الْأَقْصَى (لما حصل) ^(١) التخويف به مثل ما يحصل ^(٢) بوصفه بالكبر.

قوله: «لعلهم يرجعون» إلى الإيمان يعني مَنْ بَقِيَ منهم بعد «بدر».

فإن قيل: ما الحكمة في هذا الترجي وهو على الله تعالى محال؟

فالجواب: فيه وجهان:

أحدهما: معناه لنذيقهم إذاقة الراجين كقوله: «إِنَّا نَسِينَاكُمْ» يعني تركناكم كما يترك الناسي (حيث لا يلتفت ^(٣) إليه) أضلاً كذالك ههنا.

والثاني: نذيقهم العذاب إذاقة يقول القائل: لعلهم يرجعون بسببه.

قوله: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ» (أي من ^(٤) ذكر بآيات الله) من النعم أولاً، والنقم ثانياً ولم يؤمنوا، فلا أظلم منهم أحد.

قوله: «ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا» هذه أبعد ^(٥) ما بين الرُّبُوبِيَّتين معنًى ^(٦)، وشبهها الزمخشري

بقوله:

٤٠٦٧ - وَمَا يَكْشِفُ الْعَمَاءُ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ يَرَى عَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا ^(٧)

قال: استبعد (أن يزور) ^(٨) غمرات الموت بعد أن رآها وعرفها، واطلع على

شدتها ^(٩).

قوله: «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» (يعني المشركين) ^(١٠) «مُتَّقِمُونَ».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ﴾ ^(٢٥) أَوْلَمْ

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب» ما يحترز.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) في «ب» لبعد.

(٥) كذلك.

(٦) الدر المصون ٤/٣٦١.

(٧) وفي الكشف: «لا يكشف» وفي البحر «ولا يكشف» والعَمَاءُ: الشدة المظلمة والبيت من بحر الطويل

وهو لجعفر بن علبة الحارثي ومعناه: أن تلك الغمة لا يُزيلها إلا إنسان شجاع ابن حرة يجيد الهلاك

في الإقدام ومع ذلك يقدم عليه وشاهده أن «ثم» هنا تفيد التراخي بين ربتين متباينتين رتبة النكوص

ورتبة الإقدام وعلى ذلك صح التنظير بالآية. وانظر: البحر المحيط ٧/٢٠٤ والحامسة البصرية ١/

١٥٠ والكشاف ٣/٢٤٦ وشرح شواهد ٤/٤١٧ والسراج المنير ٣/٢١٣ والبيضاوي ٢/١٢٦.

(٨) الكشف ٣/٢٤٦.

(٩) ساقط من «ب».

(١٠) ساقط من «ب».

يَهْدِيهِمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

قوله: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» لما قرر الأصول الثلاثة عاد إلى الأمثل الذي بدأ به وهو الرسالة المذكورة في قوله: «لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ» وقال: إِنَّكَ لَسْتَ بِدُعَا مِنَ الرُّسُلِ بل كان قبلك رسلٌ مثلك، وذكر موسى لقربه (من) ^(١) النبي - ﷺ - ووجود من كان على دينه إلزاماً لهم، وإنما لم يختَر عيسى - عليه (الصلاة) و^(٢) السلام (للمذكر) ^(٣) والاستدلال لأن اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته، وأما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة عيسى ^(٤) عليه السلام فتمسك بالمجمع عليه ^(٥) قوله: «أَفَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ» قرأ الحسن ^(٦) بالضم وهي لغة، وقوله: «مِنْ لِقَائِهِ» في الهاء أقوال:

أحدها: أنها عائدة على «مُوسَى» والمصدر مضاف لمفعوله أي من لقاءك موسى ليلة الإسراء. وامتَحَنَ المبردُ الزجاج في هذه المسألة فأجاب بما ذكر، قال ابن عباس وغيره: المعنى فلا تكن في شك من لقاء موسى فإنك تراه وتلقاه ^(٧)، روى ابن عباس عن النبي - ﷺ - قال: رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي ^(٨) بِي مُوسَى ^(٩) رَجُلًا أَدَمَ ^(١٠) طَوَالًا جَعْدًا ^(١١) كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَوْءَةٍ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا ^(١٢) إِلَى الْخُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبْطًا ^(١٣) الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ وَالْذِّجَالِ فِي آيَاتِ أَرَاهَنِي اللَّهُ إِيَّاهُ.

والثاني: أن الضمير يعود على «الكتاب» وحينئذ يجوز أن تكون الإضافة للفاعل أي من لقاء الكتاب لموسى ^(١٤) أو للمفعول أي من لقاء موسى ^(١٥) الكتاب لأن اللقاء يصح نسبته إلى كل منهما، لأن من لقيك فقد لقيته.

(١) ساقط من «ب».

(٢) زيادة من «ب».

(٣) ساقط من «ب».

(٤) هكذا هي هنا.

(٥) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ١٨٥/٢٥ و ١٨٦.

(٦) ذكرها أبو حيان ٢٠٥/٧.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٣/٦.

(٨) في «ب» الإسراء.

(٩) الحديث رواه السيوطي في جامع الأحاديث ١٩٤/٤.

(١٠) أي لأدمة فيه.

(١١) أي مجتمع بعض على بعض.

(١٢) أي لا بالطويل ولا بالقصير.

(١٣) أي مُسْتَرْدِل غير جعد.

(١٤) وهو رأي الزجاج. انظره في معاني القرآن ٢٠٩/٤.

(١٥) وهو رأي أبي علي الفارسي، انظر: زاد المسير ٣٤٣/٦.

قال السدي المعنى فلا تكن في مِرْيةٍ من لقائه أي تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول^(١).

الثالث: أي يعود^(٢) على الكتاب على حذف مضاف أي من لقاء مثل كتاب موسى^(٣).

الرابع: أنه عائد^(٤) على ملك الموت لتقدم ذكره.

الخامس: عوده^(٥) على الرجوع المفهوم من قوله: «إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» أي لأنك في مرية من لقاء الرجوع.

السادس: أنه يعود^(٦) على ما يفهم من سياق الكلام ممّا ابتلي به موسى من البلاء والامْتِحَان، قاله الحسن^(٧). أي لا بدّ أن يلقي ما لقي موسى من قومه فاختار موسى عليه السلام لحكمة وهي أن أحداً من الأنبياء لم يؤذِهِ من قومه إلا الذين لم يؤمنوا، وأما الذين آمنوا به فلم يخالفوه غير قوم موسى عليه السلام فإن من لا آمن به آذاه كفرعون (وغيره)^(٨) ومن آمن به من بني إسرائيل أيضاً (آذاه)^(٩) بالمخالفة وطلب أشياء مثل رؤية الله جهرة وكقولهم: «أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا». وأظهر هذه الأقوال أن الضمير إما لموسى وإما للكتاب، ثم بين^(١٠) له هداية غير عادية عن المنفعة كما أنه لم تحل هداية موسى حيث جعل الله كتاب موسى هدى وجعل منهم أئمة يهدون كذلك يجعل^(١١) كتابك هدى ويجعل^(١٢) من أمتك صحابة^(١٣) يهدون كما قال النبي - ﷺ -: «أَصْحَابِي كَالثُجُومِ بِأَيْهِمْ افْتَدَيْتُمْ»^(١٤) اهْتَدَيْتُمْ، ثم بين أن ذلك يحصل بالصبر فقال: «لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِأَيَاتِنَا يُوقِنُونَ».

فصل

«لَمَّا صَبَرُوا» قرأ الأخوان^(١٥) بكسر اللام وتخفيف الميم، على أنها لام الجر و («ما»)^(١٦) مصدرية، والجار متعلق بالجعل أي جعلناهم كذلك لصبرهم ولإيقانهم^(١٧)، والباقون بفتحها وتشديد الميم. وهي «لَمَّا» التي تقتضي جواباً وتقدم فيها

(٢) السابق والقرطبي ١١١/١٤.

(٤) السابق والقرطبي ١١١/١٤.

(٦) السابق والقرطبي ١١١/١٤.

(٨) سقط من «ب».

(١٠) ما بين الأقواس ساقط من «ب».

(١٢) في «ب» جعل.

(١٤) الحديث في الفخر الرازي ١٨٦/٢٥.

(١٥) وهي قراءة رويس أيضاً النشر ٣٤٧/٢ وتقريبه ١٦٠ والسبعة ٥١٦.

(١٧) في «ب» وليقينهم وانظر: الدر المصون ٣٦٢/٤.

(١) المرجع السابق.

(٣) السابق والقرطبي ١١١/١٤.

(٥) السابق والقرطبي ١١١/١٤.

(٧) المراجع السابقة.

(٩) سقط من «ب».

(١١) في «ب» جعل.

(١٣) في «ب» أصحاباً.

(١٦) ساقط من «ب».

قولاً سيئوبه^(١)، والفارسي، والمعنى حين صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمضّر.

قوله: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» هذا يصلح أن يكون جواباً لسؤال وهو أنه تعالى لما قال: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ» فكان لقاتل أن يقول: كيف يَهْدُونَ وهم اختلفوا وصاروا فِرَقاً والحق واحد؟ فقال (الله)^(٢) يبين المبتدع من المتبع كما يبين المؤمن من الكافر يوم القيامة.

قوله: «أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» يتبين لهم «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ» لما أعاد ذكر الرسالة أعاد ذكر التوحيد وقال: «أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ» وقوله «يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ» أي مساكن المهلكين (دلالة على^(٣) حالتهم) وأنتم تمشون فيها وتبصرونها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ» آيات الله وعظاته واعتبر السمع لأنهم ما كان لهم قوة الإدراك بأنفسهم والاستنباط بعقولهم فقال: «أَفَلَا يَسْمَعُونَ» (يعني)^(٤) ليس لكم درجة المتعلم الذي يسمع الشيء ويفهمه.

قوله: «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ» قرئ^(٥) الجُرُز - بسكون الراء - وتقدم أول الكهف^(٦). وهي الأرض اليابسة^(٧) الغليظة التي لا نبات فيها، قال ابن عباس: هي أرض باليمن^(٨)، وقال مجاهد: هي أرض بأين^(٩). والجرز هو القطع فكأنها المقطوع عنها الماء والنبات. لما بين الإهلاك وهو الإماتة بين الإحياء ليكون إشارة إلى أن الضرر والنفع بيد الله ثم قال: «فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ» من العشب والتبن «وَأَنْفُسُهُمْ» من الحبوب والأقوات، وقدم الأنعام على الأنفس في الأكل لوجوه:

الأول: أن الزرع أول ما ينبت للدواب ولا يصلح للإنسان.

الثاني: أن الزرع غذاء للدواب لا بد منه وأما غذاء الإنسان فقد يصلح للحيوان فكان الحيوان يأكل الزرع ثم الإنسان يأكل من الحيوان^(١٠).

قوله: «أَفَلَا يَتَّبِعُونَ» قرأ العامة بالغيبة، (وابن مسعود)^(١١) بالخطاب^(١٢) التفاتاً.

(١) انظر الكتاب ٢٣٤/٤. (٢) ساقط من «ب».

(٣) سقط كذلك من «ب». (٤) ساقط من «ب».

(٥) ذكرت في البحر المحيط ٢٠٥/٧ وهي من الشواذ.

(٦) يقصد قول الله: «وَرَأَى لَجَاجِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدٌ جُرُزٌ» وهي الآية (٨).

(٧) انظر: مجاز القرآن ١٣٢/٢ وغريب القرآن ٣٤٧ ومعاني القرآن للفراء ٣٣٣/٢ واللسان جرر.

(٨) تفسير القرطبي ١١٠/١٤.

(٩) تفسير القرطبي ١١٠/١٤ وقال عكرمة: هي الأرض الظمأى. وقال الضحاك: هي الأرض الميتة العطشى.

(١٠) تفسير الفخر الرازي ١٨٧/٢٥. (١١) ساقط من «ب».

(١٢) ذكرها أبو حيان في البحر ٢٠٥/٧ والدر المصون ٣٦٢/٤.

وقال تبصرون لأن الأمر (يرى) ^(١) بخلاف حال الماضي ^(٢) فإنها ^(٣) كانت مسموعة .
ثم لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر فقال : «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»
قيل : أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد ^(٤) قال قتادة : قال أصحاب
النبي - ﷺ - للكفار : إِنْ لَنَا يَوْمًا نَنعَم ^(٥) فيه ونستريح ويحكم الله بيننا وبينكم فقالوا
استهزاء ^(٦) : «مَتَى هَذَا الْفَتْحُ» أي القضاء والحكم . وقال الكلبي : يعني فتح مكة ^(٧) ، وقال
السدي : يوم بدر لأن ^(٨) أصحاب النبي - ﷺ - كانوا يقولون لهم إن الله ناصرنا ومظهرنا
عليكم فيقولون متى هذا الفتح .

فصل

«يوم الفتح» منصوب «بَلَا يَنْفَعُ» و «لَا» غير مانعة من ذلك ^(٩) . وقد تقدم فيها
مذاهب والمعنى يوم الفتح يوم القيامة لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ، ومن حمل الفتح على
فتح مكة والقتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقُتِلُوا
«وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ» أي لا يُمَهَّلُونَ ^(١٠) بالإعادة إلى الدنيا ليؤمنوا ، ثم لما بين أن الدلائل لم
تففعهم قال : «فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ» قال ابن عباس : نسختها آية القتال ^(١١) .

قوله : «وَانْتَظَرُوا» منتظرُونَ العامة على كسر الظاء من «مُنْتَظَرٍ» اسم فاعل ،
والمفعول من «انْتَظَرُوا» ومن «مُنْتَظَرُونَ» ^(١٢) محذوف أي انتظر ما يحل بهم إنهم منتظرون
(على رَغْمِهِمْ) ^(١٣) ما يحل بك . وقرأ اليماني ^(١٤) : «مُنْتَظَرُونَ» اسم ^(١٥) مفعول .
قيل : المعنى انتظر موعدي ^(١٦) لك بالنصر إنهم منتظرون بك حوادث الزمان .

(١) زيادة يقتضيها السياق من الفخر الرازي ١٨٧/٢٥ .

(٢) وفيه الماضين . (٣) في «ب» كأنها .

(٤) وهو رأي مجاهد أيضاً نقله في زاد المسير ٣٤٤/٦ .

(٥) في «ب» ننعَم . (٦) نقله القرطبي في ١١١/١٤ .

(٧) وهو رأي ابن السائب والفراء وابن قتيبة . نقله الإمام ابن الجوزي في الزاد ٣٤٤/٦ .

(٨) المرجع السابق .

(٩) نقله في البحر المحيط ٢٠٦/٧ والدر المصون ٣٦٢/٤ .

(١٠) نقله الفخر الرازي ١٨٨/٢٥ .

(١١) ذكره الإمام أبو الفرج بن الجوزي في الزاد ٣٤٦/٦ وقيل : الآية غير منسوخة . انظر : القرطبي ١١٢/١٤ .

(١٢) ذكره أبو حيان في البحر ٢٠٦/٧ والدر المصون ٣٦٢/٤ .

(١٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» . (١٤) هو ابن السَّمِيع وقد عرفته .

(١٥) وهي قراءة شاذة انظر : المحتسب ١٧٥/٢ وابن خالويه ١١٨ والبحر المحيط ٢٠٦/٧ ، والقرطبي

١١٢/١٤ .

(١٦) المرجع الأخير السابق .

وقيل: انتظر^(١) عذابنا فيهم إنهم منتظرون ذلك وعلى هذا فلا فرق بين الانتظار، وقيل: انتظر عذابهم^(٢) بنفسك إنهم منتظرونه بلفظهم استهزاءً كما قالوا: ﴿فَأَنبَأْنَا بِمَا تَعِدُّنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

فصل

روى أبو هريرة قال: كان رسول الله - ﷺ - يقرأ في الفجر يوم الجمعة «الْمَ تَنْزِيلُ» و «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ»^(٣).

وعن جابر قال: كان النبي - ﷺ - لا ينام حتى يقرأ تَبَارَكَ. وَالْمَ. تنزيل، ويقول: هما يَفْضُلَانِ عَلَى كُلِّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ سَبْعِينَ سَنَةً، ومن قراهما كُتِبَ لَهُ سَبْعُونَ حَسَنَةً، وَمُحِيَّ عَنْهُ سَبْعُونَ سَيِّئَةً، وَرُفِعَ لَهُ سَبْعُونَ دَرَجَةً^(٤).

وروى الثعلبي عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي - ﷺ - قال: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ «الْمَ. تَنْزِيلُ» أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ^(٥). والله أعلم.

(١) انظر الفخر الرازي ١٨٨/٢٥.

(٢) انظر الفخر الرازي ١٨٨/٢٥.

(٣) أخرجه الشوكاني في فتح القدير ٢٤٦/٤.

(٤) المرجع السابق.

(٥) السابق بلفظ: مَنْ قَرَأَ «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ» و «الْمَ. تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ» بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فَكَأَنَّمَا قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ. وانظر: السراج المنير ٢١٦/٣، والبيضاوي ١٢٦/٢، والكشاف ٢٤٧/٣.

سورة الأحزاب

مكية^(١) نزلت بعد آل عمران، وهي ثلاث وسبعون آية ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمائة حرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ (١) وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ (٣) مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ (٤) ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاخْرُجُوا فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ (٥)﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ اعلم أن الفرق بين نداء المنادى بقوله: «يَا رَجُلٌ» و«يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ»، أن قوله: «يَا رَجُلٌ» يدل على النداء، وقوله: «يا أيها الرجل» يدل على ذلك ويُنْبِئُ عن خطر المنادى له أو غفلة المنادى فقوله: «يا أيها» لا يجوز حملة على غفلة النبي - ﷺ - لأن قوله: «النبي» ينافي الغفلة؛ لأن النبي - ﷺ - - خبيرٌ، فلا يكون غافلاً، فيجب حملة على خَطَرِ الْخَطْبِ^(٢).

فإن قيل: الأمر بالشيء^(٣) لا يكون إلا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمورية إذ لا يصلح أن (يكون)^(٤) يقال للمجالس: اجلس وللساكن^(٥) اسْكُنْ والنبي - عليه

(١) نقل الإمام الشوكاني في فتح القدير أنها مدنية، ونزلت بالمدينة وانظر: فتح القدير ٢٥٩/٤. وذكر ابن الجوزي كذلك في زاد المسير ٣٤٧/٦، والإمام القرطبي في الجامع ١١٣/١٤.

(٢) وانظر هذا في تفسير الإمام الفخر ١٨٩/٢٥، قال: ونحن نقول: قول القائل: يا رجل يدل على النداء، وقوله: يا أيها الرجل يدل على ذلك أيضاً وينبئ عن خطر خطب المنادى له أو غفلة المنادى.

(٣) هكذا هي هنا وفي «ب» بالنبي وهو تحريف. (٤) زيادة لا معنى لها.

(٥) في (ب) ولا للساكن.

الصلاة والسلام^(١) - كان متقياً فما الوجه في قوله «اتق الله»؟ .

فالجواب: أنه أمر (بالمدينة)^(٢) بالمدامة فإنه يصح أن يقال للجالس: اجلس ههنا إلى أن يأتيتك ويقال للساكت قد أصبت فاسكت تسلم أي دُم على ما أنت عليه، وأيضاً من جهة العقل أن الملك يتقي منه عباده على ثلاثة أوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه وثالث يخاف من احتجابه فالنبي - عليه (الصلاة)^(٣) و) السلام لم يؤمر بالتقوى بالأول ولا بالثاني، وأما الثالث: فالمخلص لا يأمنه ما دام في الدنيا فكيف والأمور البدنية شاغلة فالآدمي في الدنيا تارة مع الله والأخرى مقبل على ما لا بد منه وإن كان معه الله وإلى هذا أشار بقوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] يعني^(٤) برفع الحجاب عني وقت الوحي ثم أعود إليكم كأني منكم فأمر بتقوى توجب استدامة الحضور، وقال المفسرون: نزلت في أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور^(٥) عمرو بن أبي (رأس المنافقين) بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي - ﷺ - الأمان على أن يكلموه فقام (معهم)^(٦) عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعنة بن أبيرق فقالوا للنبي - ﷺ - وعنده عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعَةً لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي - ﷺ - قولهم فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي في قتلهم^(٧). فقال: إني قد أعطيتهم الأمان. فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه وأمر النبي - ﷺ - عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي دُم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو قائم: «قُمْ»^(٨) قائماً أي اثبت^(٩) قائماً، وقيل: الخطاب مع^(١٠) النبي - ﷺ - والمراد الأمة، وقال الضحاك معناه: اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم.

قوله: «وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ» أي من أهل مكة يعني أبا سفيان، وعكرمة وأبا الأعور، والمنافقين من أهل المدينة عبد الله بن أبي، وطعنة «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا»^(١١) بخلقه قبل أن يخلقهم حكيماً فيما دبره لهم.

فإن قيل: لم خص الكافر^(١٢) والمنافق بالذكر مع أن النبي - ﷺ - ينبغي أن لا يطع أحداً غير الله؟ .

فالجواب من وجهين:

- (١) في «ب» ﷺ ومجد وشرف وكرم وبجل وعظم. (٢) زيادة لا معنى لها.
- (٣) زيادة من «ب».
- (٤) في «ب» أي.
- (٥) أسباب النزول للمسويطي ١٣٦.
- (٦) ساقط من «ب».
- (٧) في «ب» أضرب عقهم.
- (٨) في «ب» أتم ها هنا.
- (٩) تفسير الفخر الرازي ١٨٩/٢٥.
- (١٠) القرطبي ١١٥/١٤.
- (١١) ساقط من «ب».
- (١٢) في «ب» الكافرين والمنافقين بصيغة الجمع.

الأول: أن ذكر الغير لا حاجة إليه لأن غيرهما لا يطلب من النبي - عليه السلام^(١) - الاتباع ولا يتوقع أن يصير النبي - ﷺ - مطيعاً له بل يقصد اتباعه ولا يكون عنده إلا مطاعاً.

الثاني: أنه (تعالى^(٢)) لما قال: «وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ» منعه (من^(٣)) طاعة الكل لأن كل من طلب من النبي - ﷺ - طاعته فهو كافر أو منافق لأن من يأمر النبي - ﷺ - بأمر إيجاب معتقداً^(٤) أنه لو لم يفعله يعاقبه^(٥) بحق يكون^(٦) كافراً.

قوله: «وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» وهذا يقدر ما ذكره أولاً من أنه عليم حكيم فاتباعه واجب^(٧).

قوله: «بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» وبعده «بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا» قرأهما أبو عمرو بياء الغيبة^(٨)، والباقون بياء الخطاب أما الغيبة (في الأولى^(٩)) فلقوله: «الكافرين والمنافقين» وأما الخطاب فلقوله: «يأيها النبي» لأن المراد هو وأمته وخوطب بالجمع تعظيماً (له^(١٠)) كقوله:

٤٠٦٨ - فَإِنْ شِئْتُ حَرَمْتُ النَّسَاءَ سِوَاكُمْ^(١١)

وجوز أبو حيان أن يكون التفاتاً يعني (عن^(١٢)) الغائبين (و^(١٣)) الكافرين والمنافقين (وهو بعيد^(١٤)) وأما (الغيبة^(١٥)) في الثاني فلقوله «إذ جاء تكلم جنود» وأما الخطاب فلقوله «يأيها الذين آمنوا». قوله: «وتوكل على الله» أي ثق بالله يعني إن توهمت من أحد فتوكل على الله فإنه^(١٦) كافيك «وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا» حافظاً لك، وقيل: كفيلاً برزقك. قوله «مَا

(١) في «ب» ﷺ.

(٢) سقط من «ب».

(٣) كذلك.

(٤) في «ب» لعاقبة.

(٥) المرجع السابق.

(٦) نقله في التفسير الكبير ١٩٠/٢٥.

(٧) وهي قراء ابن أبي إسحاق والسلمي أيضاً على الخبر وانظر: القرطبي ١١٥/١٤ والبحر ٢١٠/٧ والسبعة ١٨، والإتحاف ٣٥٢.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) كذلك.

(١٠) هذا صدر بيت من الطويل وعجزه:

وَلِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نَقَاحاً وَلَا بَرْدًا

وينسب لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان والصواب أنه لعمر بن أبي ربيعة، وهو بديوانه ٥١

والتقا: الماء، والبرد: النوم وشاهده يكمن في «سواكم» فإنه يخاطب فرداً ولكن جمع تعظيماً له وهكذا

الآية كذلك وانظر: اللسان: «ب رد» ٢٤٩ ونقح ٤٥١٧ وشرح شواهد الكشف ٣٦٩/٤ و ٣٨١/١ من الكشف.

(١٢) و (١٣) و (١٤) سواقت من «ب» وانظر البحر المحيط ٢١٠/٧.

(١٥) سقط من «ب».

(١٦) في «ب» أنه.

جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» نزلت في أَبِي يَعْمَرُ^(١) (و)^(٢) جميل بن مَعْمَرٍ الْفَهْرِيَّ وكان رجلاً لبيباً حافِظاً لما يسمعه^(٣) فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان وكان يقول: لي قلبان^(٤) أَعْقِلُ بِكُلِّ واحد منهما أَفْضَلُ من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو مَعْمَرٍ فَلَقِيَهُ أَبُو سَفِيَّانٍ وإحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا قال فما لك إحدى نعليك (في يدك)^(٥) والأخرى في رجلك. قال أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نَعْلَهُ في يده^(٦).

وقال الزُّهْرِيُّ ومقاتل: هذا^(٧) مَثَلٌ ضربه الله للمظاهر من امرأته والمنتبني ولد^(٨) غيره يقول^(٩): فكما لا يكون لرجل قلبان فكذلك^(١٠) لا يكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون لها ابناً ولا يكون ولداً واحداً من^(١١) رَجُلَيْنِ. (قال الزُّمَخْشَرِيُّ^(١٢)): قوله: «وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ» أي ما جعل الله لرجل قلبين كما لم يجعل لرجلين أمين ولا لابن أبوين^(١٣)، (وقوله: «وما جعل أزواجكم اللاتي»)^(١٤) قرأ الكوفيون وابن عامر اللاتي ههنا وفي سورة الطلاق بياء^(١٥) ساكنة بعد همزة مكسورة وهذا هو الأصل في هذا اللفظة لأنه جمع «التي» معنى وأبو عمرو والْبَرْزِيُّ^(١٦) اللاتي بياء ساكنة وصلاً بعد ألف محضة في أحد وجهيهما، ولهما وجه آخر سيأتي، ووجه هذه القراءة أنهما حذفوا الياء بعد الهمزة تخفيفاً ثم أبدلا الهمزة ياء وسكنها لصيرورتها ياء مكسوراً ما قبلها^(١٧) (إِلَّا أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِقِيَاسٍ وَإِنَّمَا الْقِيَاسُ^(١٨) جَعَلَ الهمزة بين بين).

(١) في «ب» معمر وهو الأصح.

(٢) في «ب» لما يسمع بدون عائد.

(٣) في «ب» إن لي قلبين.

(٤) سقط من «ب».

(٥) القرطبي ١١٦/١٤.

(٦) المرجع السابق.

(٧) في «ب» معقول بدلاً من «يقول» وهو تحريف.

(٨) في «ب» كذلك.

(٩) في «ب» ابن رجلين.

(١٠) ساقط من «ب».

(١١) انظر: الكشف ٣/٢٩٤.

(١٢) ساقط من «ب».

(١٣) انظر: الكشف ٣/٢٤٦ والإنحاف ٣٥٢ والسبعة ٥١٨ وإبراز المعاني ٦٤٤ وهي قراءة حمزة

والكسائي وعاصم أيضاً وهذا الاتفاق يجيء في سورة المجادلة أيضاً.

(١٤) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة أبو الحسن البرزّي المكي المقرئ

قارئ ومؤذن المسجد الحرام مات سنة ٢٥٠ هـ، غاية النهاية ١١٩/١ وكذلك معرفة القراء الكبار ١/١٧٣.

(١٥) كياء الغازي والقاضي وانظر: حجة ابن خالويه ٢٨٨ والكشف عن وجوه القراءات ٢/١٩٣.

(١٦) تكملة وزيادة من «ب».

(قال أبو علي^(١)): لا يُقَدَّم على مثل هذا البديل إلا أن يُسَمَّع^(٢). قال شهاب^(٣) الدين: قال أبو عمرو بن العلاء إنها لغة قُريش التي أمر الناس أن يقرءوا بها. وقال بعضهم: لم يبدلوا وإنما كتبوا فعبر عنهم القرآن^(٤) بالإبدال. وليس بشيء. وقال أبو علي: «أو غير بإظهار أبي عمرو اللائي يَتَسَنَّ يدل على أنه يشهد^(٥) ولم يبدل» وهذا غير لازم لأن البديل عارض فلذلك لم يدغم وقرأها ورش بهمزة مُسَهَّلَةً بَيْنَ بَيْنَ^(٦)، وهذا الذي زعم بعضهم أنه لم يصح عنهم غيره وهو تخفيف قياسي، وإذا وقفوا سكنوا الهمزة ومتى سكنوها استحال تسهيلها بين بين لزوال حركتها فتقلب ياءً لوقوعها ساكنةً بعد كسرة وليس (هذا)^(٧) من مذهبهم تخفيفها^(٨) فتقر همزة، وقرأ قُتُبُل وورش بهمزة^(٩) مكسورة دون ياء، حذف الياء واجتزأ عنها بالكسرة وهذا الخلاف بعينه جارٍ في المجادلة^(١٠) أيضاً والطلاق^(١١).

قوله: «تَظَاهَرُونَ» قرأ عاصمٌ تَظَاهِرُونَ بضم التاء وكسر الهاء بعد ألف، مضارع «ظَاهَرَ» وابن عامر تَظَاهَرُونَ بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء مضارع «تَظَاهَرَ» والأصل «تَتَظَاهَرُونَ» بتاءين فأدغم^(١٢). والأخوان^(١٣) كذلك إلا أنهما خففا الظاء والأصل أيضاً بتاءين (إلا أنهما^(١٤)) حذفاً إحداهما، وهما طريقتان في تخفيف هذا النحو إما الإدغام وإما الحذف وقد تقدم تحقيقه في نحو تَذَكَّرُونَ^(١٥) مخففاً ومثقلاً وتقدم نحوه في البقرة أيضاً. والباقون «تَظَهَّرُونَ» بفتح التاء والحاء (وتشديد الظاء)^(١٦) والهاء ذون ألف، والأصل «تَتَظَهَّرُونَ» بتاءين فأدغم نحو «تذكرون» وقرأ الجميع^(١٧) في المجادلة كقراءتهم

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ». وهو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان الإمام أبو علي المشهور واحد زمانه في العربية أخذ عن الزجاج وابن السراج وعنه الربيعي وله مصنفات نافعة في القراءات والنحو وغيرها كالحجة والمسائل الحلبية، والبغدادية وغيرها مات سنة ٣٧٧، بغية الوعاة للسيوطي ٤٩٦/١.

(٢) الحجة في القراءات ١٤٥/٦. (٣) الدر المصون ٤/٣٦٣ و ٣٦٤.

(٤) المرجع السابق وفي «ب» القراء.

(٥) في الحجة له: «يسهل» وهو الأصح وانظر: الحجة ١٤٥/٦ وإبراز المعاني للإمام أبي شامة فقد نقل قول أبي علي ومعناه دون تعيين ص ٤٧ و ٦٤٤.

(٦) الإنحاف ٣٥٢ والسبعة ٥١٨. (٧) ساقط من «ب».

(٨) في «ب» فتقلب وينظر: إبراز المعاني ٦٤٤ والدر المصون ٤/٣٦٤.

(٩) المراجع السابقة. (١٠) الآية من المجادلة «٢».

(١١) الآية ٤ من الطلاق. (١٢) المراجع السابقة.

(١٣) هما حمزة والكسائي. المراجع السابقة. (١٤) سقط من «ب».

(١٥) وردت في آيات كثيرة إلا أن الأسبق آية الأعراف والأنعام الآية ١٥٢ من الأنعام والآية ٣ من الأعراف

وقد قيل فيهما مثل ما قال أعلى.

(١٦) ما بين القوسين ساقط من «ب». (١٧) في «ب» وقراءة بصيغة الاسم.

في قوله: «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ» إلا الأخوين، فإنهما خالفا أصلهما هنا فقراء في المجادلة بتشديد الظاء كقراءة ابن عامر. والظهار مشتق من الظَّهْر، وأصله أن يقول الرجل لامرأته^(١): «أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي» وإنما لم يقرأ الأخوان بالتخفيف في المجادلة لعدم المسوِّغ^(٢) له وهو الحذف، لأن الحذف إنما كان لاجتماع مثلين وهما التاءان وفي المجادلة ياء من تحت وتاء من فوق فلم يجتمع مثلاً فلا حذف فاضطر إلى الإدغام وهذا ما قرئ به متواتراً^(٣)، وقرأ ابن وثاب «تَظْهَرُونَ» بفتح التاء والطاء مخففة وتشديد^(٤) الهاء والأصل: تَتَظْهَرُونَ مضارع «تَظْهَر» مشدداً، فحذف إحدى التاءين، وقرأ الحسن «تَظْهَرُونَ» بضم التاء وفتح الطاء مخففة وتشديد الهاء مكسورة مضارع «ظَهَرَ» مشدداً^(٥) وعن أبي عمرو «تَظْهَرُونَ» بفتح التاء والهاء وسكون الطاء مضارع «ظَهَرَ» مخففاً^(٦) وقرأ أبي - وهي في مصحفه كذلك - تَتَظْهَرُونَ - بتاءين^(٧) فهذه تسع قراءات، أربع متواترة، وخمس شاذة، وأخذ هذه الأفعال من لفظ «الظَّهَر» كأخذ «لَبَّى» من التَلْبِيَةِ، و«أَفْ» من أَف. وإنما عدي «بمن» لأنه ضمن معنى التباعد كأنه قيل: يَتَّبَعُونَ من نسائهم بسبب الظهار كما تقدم في البقرة في تعدية الإيلاء (بمن)^(٨).

فصل

الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي، فقال الله تعالى: مَا جَعَلَ اللَّهُ نِسَاءَكُمْ اللَّاتِي تَقُولُونَ لَهُمْ هَذَا فِي التَّحْرِيمِ كَأَمْهَاتِكُمْ وَلَكِنَّهُ مَنكَرٌ وَزُورٌ. وفيه كفارة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في سورة المَجَادِلَةِ.

قوله: «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» (يعني)^(٩) ما جعل من تبنيتموهم أبناءكم، (نسخ)^(١٠) التبني^(١١)، وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن يدعوه الناس إليه ويرث ميراثه، وكان النبي - ﷺ - أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل

(١) في «ب» لزوجه.

(٢) في «ب» لعدم مثل له.

(٣) نقله السمين في الدر المصون ٣٦٤/٤.

(٤) انظر: البحر ٢١١/٧ وقد نقل عنه أيضاً أنه قرأ «تظهرون» بضم التاء وكسر الهاء وسكون الطاء من «أظهر» وكلتا القراءتين شاذتان، انظر: بحر أبي حيان ٢١١/٧.

(٥) من القراءات الشاذة أيضاً غير المتواترة ذكرها ابن خالويه في مختصره ١١٨ والإتحاف ٣٥٣ ومعاني القرآن للقرآن ٣٣٤/٢.

(٦) ابن خالويه ١١٨ والبحر المحيط ٢١١/٧ والدر المصون ٣٦٤/٤.

(٧) المرجعان السابقان.

(٨) يشير إلى الآية ٢٢٦ وهي قوله تعالى: «الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» وقد ذكر هناك أن الإيلاء عدي بمن أي يُبْعَدُونَ مِن نِّسَائِهِمْ، انظر: الباب ٤٠٢/١ ب.

(٩) سقط من «ب».

(١٠) سقط من «ب».

(١١) في «ب» التبين وهو تحريف.

الكلبي وتبيناه قبل الوحي وأخى بينه^(١) وبين^(٢) حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله - ﷺ - زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فأنزل الله هذه الآية^(٣)، ونسخ التبني. واعلم أن الظهار كان في الجاهلية طلاقاً حتى كان للزوج أن يتزوج بها من جديد.

قوله: «ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ» مبتدأ وخبر أي دعاؤكم الأدعياء أبناء مجرد قول لسان^(٤) من غير حقيقة، والأدعياء جمع دَعِيَ بمعنى مَدْعُو فَعِيل بمعنى مفعول وأصله دَعِيَو فأدغم^(٥) ولكن جمعه على أدعياء غير مقيس؛ لأن «أفعلاء» إنما يكون جمعاً لفَعِيل المعتل اللام إذا كان بمعنى فاعل نحو: تَقَيَّ وأَتَقِيَاء، وَغَنِيَّ وأَغْنِيَاء، وهذا وإن كان فعلاً معتل اللام إلا أنه بمعنى مفعول فكان قياس جمعه على فَعْلَى كَقَتِيل وقَتَلَى، وَجَرِيح، وَجَرَحَى، ونظير هذه (الآية^(٦)) في: الشذوذ، قولهم: أَسِيرٌ وَأَسْرَاء، والقياس: أَسْرَى^(٧)، وقد سمع فيه الأصل^(٨). واعلم أن الله تعالى قال ههنا «ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ» وقال في قوله: «وَقَالَتِ الْفَكَرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ» [التوبة: ٣٠] يعني نسبة الشخص إلى غير الأب قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل أيضاً في قلب، فهو قول بالضم مثل أصوات البهائم.

قوله: «وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ» أي قوله الحق «وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» أي يرشد إلى سبيل الحق وهذا إشارة إلى أنه ينبغي للعاقل أن يكون قوله إما من عقل أو شرع فإذا قال: فلان بن فلان ينبغي أن يكون عن حقيقة أو شرع بأن يكون ابنه شرعاً وإن لم تعلم الحقيقة كمن تزوج بامرأة فولدت لستة أشهر ولداً وكانت^(٩) الزوجة من قبل زوجة شخص آخر يحتمل أن يكون الولد منه فإننا نلحقه بالزوج الثاني لقيام الفراش ونقول: إنه ابنه شرعاً، وفي الدَّعِي لم توجد^(١٠) الحقيقة ولا ورد الشرع به لأنه لا يقول إلا الحق وهذا خلاف الحق، لأن أباه مشهور ظاهر وأشار فيه من وجه آخر إلى أن قولهم هذه زوجة الابن فتحرم فقال الله هي لك حلال فقولهم لا اعتبار له لأنه بأفواههم كأصوات البهائم وقوله الحق فيجب اتباعه وهو يهدي السبيل فيجب اتباعه لكونه حقاً ولكونه هادياً^(١١).

(١) في «ب» بته. (٢) في «ب» من حمزة.

(٣) ذكره القرطبي في ١١٨/١٤ و ١٩٤/١٤ وقد روى الأئمة أن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت: «ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ».

(٤) في «ب» للسان.

(٥) بعد أن اجتمعت الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء ثم كانت مرحلة الإدغام الياثي.

(٦) سقط من «ب». (٧) ذكره أبو حيان في البحر ٢١٢/٧ والدر ٣٦٥/٤.

(٨) الدر ٣٦٥/٤ ويقصد أنه سمع دعوى جمعاً «لَدَعِي» ولم أعثر على جمع تلك الكلمة بهذا الوزن.

(٩) الفخر ١٩٢/٢٥. (١٠) في «ب» لم توجد.

(١١) نقله الفخر في التفسير ١٩٢/٢٥.

قوله: «اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ» (أي الذين ولدوهم «هو أَفْطَسْتُ عِنْدَ اللَّهِ» أي أعدل قال عبد الله بن عمران زيد بن حارثة مولى رسول الله - ﷺ - ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هو أَفْطَسْتُ عِنْدَ اللَّهِ^(١)). واعلم أن قوله: هو أَفْطَسْتُ أي دعاؤهم لِآبَائِهِمْ فهو مصدر قاصر لدلالة فعله عليه كقوله: «اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» [المائدة: ٨] قال ابن الخطيب^(٢) وهو يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ترك الإضافة للعموم^(٣) أي اعدلوا كل كلام كقولك الله أكبر.

الثاني: أن يكون ما تقدم مثنوياً كأنه (قال^(٤)): ذلك أَفْطَسْتُ من قولكم هو ابن فلان ثم تمم الإرشاد فقال: «فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ» أي قولوا لهم إخواننا فَإِنْ كَانُوا مُجْرَدِينَ فقولوا موالى فلان ثم قال: «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ» أي قبل النهي فنسبتموه إلى غيره.

قوله: «وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ» يجوز في «ما» وجهان:

أحدهما: أن تكون مجرورة المحل عطف على «ما^(٥)» المجرورة قبلها بفي، والتقدير: ولكن الجناح فيما تعمدته.

الثاني: أنها مرفوعة المحل بالابتداء والخبر محذوف، تقديره تؤاخذون به أو عليكم فيه الجُنَاح^(٦) ونحوه.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً» المغفرة هي أن يستر القادر قَبِيحَ مَنْ تَخَتَّ قدرته حتى أن العبد إذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال غفر له والرحمة هي أن يميل بالإحسان إلى المرحوم لعجز المرحوم لا لعوض فإن من مال إلى إنسان قادر كالسلطان لا يقال رحمه^(٧) وكذلك من أحسن إلى غيره رجاء في خيره أو عوضاً عما صدر منه آنفاً من الإحسان لا يقال: رحمه إذا علم هذا فالمغفرة إذا ذكرت قبل الرحمة يكون معناها أنه ستر عيبه ثم رآه مفلساً عاجزاً فرحمه وأعطاه، وإذا ذكرت المغفرة بعد الرحمة وهو قليل يكون معناها أنه مال إليه لعجزه فترك عقابه (ولم^(٨)) يقتصر عليه بل ستر ذنوبه^(٩).

قوله تعالى: «الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَأُخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ»

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) هكذا في الرازي المرجع السابق وما في «ب» المعلوم وهو تحريف.

(٣) ساقط من «ب» وهي في تفسير الرازي.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) ذكره في الدر المصون ٣٦٥/٤ وابن الأنباري في البيان ٢٦٤/٢ والفراء في معانيه ٣٣٥/٢ والعكبري في التبيان ١٠٥١.

(٦) ذكره الإمام الفخر في تفسيره (١٩٣/٢٥).

(٧) ساقط من «ب».

(٨) نقله الفخر الرازي في تفسيره ١٩٣/٢٥ و ١٩٤.

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أُولِيَاكُمْ
مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ
وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ الْصَّدَقَاتِ
عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

قوله: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» أي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه
ووجوب طاعته عليهم وقال ابن عباس (وقتادة)^(١) وعطاء يعني إذا دعاهم النبي - ﷺ -
ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي - ﷺ - أولى بهم من طاعة أنفسهم. وقال ابن
زيد: النبي^(٢) أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيما قضى بينهم كما كنت^(٣) أولى بعبدك فيما
قضيت عليه، وقيل: أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس^(٤) دونه، وقيل: كان
النبي - ﷺ - يخرج إلى الجهاد فيقول قوم: نذهب فنستأذن^(٥) من آبائنا وأمهاتنا.
فنزلت^(٦) (الآية^(٧))، وروى أبو هريرة أن النبي - ﷺ - قال: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا أَنَا أَوْلَىٰ بِهِ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَفْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ
وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا وَمَنْ تَرَكَ دُنْيَا أَوْ ضِيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ»^(٨). قوله:
«وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» أي مثل أمهاتهم وهو أب لهم وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن
وتحريم نكاحهن على التأييد لا في النظر إليهن، والخلو بهن فإنه حرام في حقهن كما
في حق الأجانب قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَدَّعِجَابٍ﴾ [الأحزاب:
٣٣] ولا يقال لبناتهن هن أخوات للمؤمنين ولا لإخوانهن^(٩) وأخواتهن أخوال المؤمنين
وخالاتهم^(١٠) وقال الشافعي: تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنه - وهي
أخت أم المؤمنين، واختلفوا في أنهم هل كن أمهات النساء المؤمنات. قيل: كن أمهات
المؤمنين^(١١) جميعاً وقيل: كن أمهات المؤمنين دون النساء^(١٢).

روى الشعبي عن مسروق^(١٣) أن امرأة قالت لعائشة يا أمه^(١٤) فقالت: لست لك بأم

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» وانظر زاد المسير ٣٥٢/٦.

(٢) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٢٦١/٤. (٣) في «ب» كما أنت.

(٤) المرجع السابق. (٥) في «ب» نستأذن بدون فاء.

(٦) المرجع السابق. (٧) ساقط من «ب».

(٨) الحديث أورده الإمام البخاري ١٧٤/٣. (٩) في «ب» ولا لإخوانهن.

(١٠) في «ب» وخالاتهن. (١١) في «ب» والمؤمنات جميعاً.

(١٢) وانظر: القرطبي ١٢٣/١٤.

(١٣) هو مسروق بن الأجدع البهمذاني أبو عائشة الكوفي الإمام القدوة عن أبي بكر وعمر، وعلي ومعاذ
وعنه زوجته، والشعبي وغيرهما مات ٦٣ هـ انظر: الخلاصة ٣٧٤.

(١٤) في «ب» يا أمه - بالف -.

إنما أنا أمٌ رَجَالِكُمْ فدل هذا على أن معنى هذه الأمومة تحريم نكاحهن .

فصل

قال ابن الخطيب : هذا تقرير آخر ، وذلك لأن زوجة النبي - عليه السلام ^(١) - ما جعلها الله في حكم الأم إلا لقطع نظر الأمة عما تعلق به غرض النبي - عليه السلام ^(٢) - فإذا تعلق خاطره بامرأة شاركت زوجاته في التعلق فحرمت مثل ما حرمت أزواجه على غيره .

فإن قيل : كيف قال : وأزواجه أمهاتهم وقال من قبل : « ما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم » فأشار إلى أن غير من ولدت لا تصير أمًا بوجه ، ولذلك قال في موضع آخر « إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَتْهُنَّ » ؟ .

فالجواب : أن قوله تعالى في الآية المتقدمة : « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » جواب عن هذا والمعنى أن الشرع مثل الحقيقة ولهذا يرجع العاقل عند تعذر اعتبار الحقيقة إلى الشريعة كما أن امرأتين (إذا ^(٣)) ادَّعَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ لَهَا وَلَدًا (بعينه ^(٤)) ولم يكن لهما بينة وحلفت إحدهما دون الأخرى حكم لها بالولد فعلم أن عند عدم الوصول إلى الحقيقة يرجع إلى الشرع بل في بعض المواضع (على المندوب ^(٥)) تغلب الشريعة على الحقيقة فإن الزاني لا يجعل أبًا لولد الزنا وإن كان ولده في الحقيقة وإذا كان كذلك فالشارع له الحكم فقول القائل : هذه أمي ^(٦) قول (يفهم ^(٧)) لا عن حقيقة ولا يترتب عليه حقيقة وأما قول الشارع فهو حق فله أن يتصرف في الحقائق كيف يشاء ، ألا ترى أن الأم ما صارت أمًا إلا بخلق الله الولد في رحمها ولو خلقه في جوف غيرها لكانت الأم غيرها فإذا كان الذي يجعل الأم الحقيقة أمًا فله أن يسمي أي امرأة أمًا ويعطيها حكم الأمومة . وأما من جهة المعقول في جعل أزواجه أمهاتنا هو أن الله تعالى جعل زوجة الأب محرمة على الابن لأن الزوجية تحصل ^(٨) الغيرة فإن تزوج ^(٩) بمن كانت تحت الأب يُقضي إلى قطع الرحم والعقوق ^(١٠) ولكن النبي - عليه السلام ^(١١) - أشرف وأعلى درجة من الأب وأولى بالإرضاء فإن الأب يربي في الدنيا فحسب والنبي - عليه الصلاة والسلام - يربي في الدنيا والآخرة فوجب أن يكون زوجاته مثل زوجات الآباء .

(١) في «ب» ﷺ . (٢) في «ب» كذلك .

(٣) و (٤) سقطتا من «ب» .

(٥) هي في التفسير الكبير للإمام الرازي بلفظ على المندوب ولكنها ساقطة من «ب» .

(٦) في «ب» هذه أمي يقول له نعم لا عن الحقيقة الخ .

(٧) تصحيح من الفخر الرازي في النسخين . (٨) وفيه «محل» محل الغيرة .

(٩) في الفخر فإن تزوج الابن . (١٠) في «ب» والشرف .

(١١) في «ب» ﷺ .

فإن قيل: فَلِمَ لم يقل إن النبي أبوكم ويحصل هذا المعنى أو لم يقل أزواج أيكم؟

فالجواب: أن الحكمة فيه هو النبي (عليه السلام^(١)) (مما بينا^(٢)) أنه إذا أراد زوجة واحد من الأمة وجب عليه تركها ليتزوج بها النبي - عليه (الصلاة^(٣)) و (السلام^(٤)) - فلو قال: أنت أبوه^(٥) لحرم عليه زوجات المؤمنين على التأييد، ولأنه لما جعل أولى بهم من أنفسهم والنفس مقدمة على الأب لقوله (- عليه السلام^(٦)) : «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ»^(٧) ولذلك فإن^(٨) المحتاج (إلى القوت^(٩)) لا يجب عليه صرفه إلى (الأب ويجب عليه^(١٠) صرفه إلى) النبي - ﷺ - ثم إن أزواجه لهم حكم أزواج الأب حتى لا تحرم أولادهن على المؤمنين ولا أخواتهن ولا أمهاتهن وإن كان الكل يحرم في الأم الحقيقية والرضاعة.

قوله: «وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» يعني في الميراث قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة^(١١) قال الكلبي: إخوان رسول الله - ﷺ - بين الناس كان يُوَافِي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى^(١٢) نزلت هذه الآية: «وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» في حكم الله من المؤمنين الذين آخى رسول الله - ﷺ - بينهم والمهاجرين يعني ذوي القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالإيمان والهجرة فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة فصارت بالقربة وبعضهم يجوز فيه وجهين:

أحدهما: أن يكون بدلاً من أولو.

والثاني: أنه مبتدأ، وما بعده خبر، والجملة خبر^(١٣) الأول.

قوله: «فِي كِتَابِ اللَّهِ» يجوز أن يتعلق «بأولي» إلا أن أفعل التفضيل يعمل في الظرف، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الضمير في أولو والعامل فيها أولو لأنها شبيهة بالظرف ولا جائز أن يكون^(١٤) حالاً (من أولو^(١٥)) للفصل بالخبر ولأنه لا عامل^(١٦) فيها.

(١) و (٢) و (٣) سواقت من «ب». (٤) انظر: الفخر الرازي ٢٥/١٩٥.

(٥) في «ب» فلو قال النبي أبوكم. (٦) ساقط من «أ».

(٧) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه باب الزكاة برقم ٤١.

(٨) في «ب» كان. (٩) ساقط من «ب».

(١٠) ساقط من «ب».

(١١) و (١٢) حكاهما القرطبي في ١٤/١٢٤.

(١٣) قرره العكبري في التبيان ١٠٥٢ والدر المصون ٤/٣٦٦.

(١٤) المرجعان السابقان والبحر المحيط ٧/١٣. (١٥) ساقط من «ب».

(١٦) وهذا رأي أبي حيان المرجع السابق.

قوله: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أنها «من» الجارة للمفضول كهي في «زَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرِو» والمعنى وأولو الأرحام أولى بالإرث من المؤمنين والمهاجرين الأجانب.

والثاني: أنها للبيان جيء بها بياناً لأولي الأرحام فيتعلق بمحذوف أي (أعني) والمعنى وأولو الأرحام من المؤمنين أولى بالإرث من الأجانب^(١).

قوله: «إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا» هذا استثناء من غير الجنس وهو مستثنى من معنى الكلام وفحواه إذ التقدير وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في الإرث وغيره لكن^(٢) إذا فعلتم مع غيرهم من^(٣) أوليائكم خيراً كان لكم ذلك وعدى تفعلوا (بالى) لتضمنه معنى تدخلوا، وأراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين^(٤) يعني إن أوصيتم بغير الوارثين أولى وإذا لم توصوا فالوارثون أولى بميراثكم وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة وأباح أن يوصي (لمن يتولاه)^(٥) بما أحب ثلث ماله. قال مجاهد: أراد بالمعروف المعرفة^(٦) وحفظ الحزمة بحق الإيمان والهجرة يعني وأولو الأرحام من المؤمنين والمهاجرين أولى ببعض أي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر «إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا» أي إلا أن تعرضوا^(٧) لذوي قرابائكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة وهذا قول عطاء وقتادة وعكرمة^(٨).

فإن قيل: أي تعلق للميراث والوصية بما تقدم.

فالجواب: قال ابن الخطيب وجوابه من وجهين:

أحدهما: أن غير النبي في حال حياته لا يصير إليه^(٩) مال الغير وبعد وفاته لا يصير ماله لغير ورثته والنبي - عليه السلام - في حال حياته كان يصير له مال الغير إذا أراده ولا يصير ماله لورثته بعد وفاته فكأن الله تعالى عوض النبي عن قطع ميراثه بقدرته بأن له تملك مال الغير وعوض المؤمنين بأن ما تركه النبي يرجع إليهم حتى لا يكون حرج على المؤمنين في أن النبي (عليه^(١٠) السلام) إذا أراد شيئاً يصير له ثم يموت ويبقى لورثته فيفوت^(١١) عليهم، ولا يرجع إليهم فقال الله تعالى: «وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ»

(١) التبيان ١٥٢ والدر المصون ٦٦/٤ والبحر المحيط ٢١٣/٧.

(٢) المرجعين السابقين.

(٣) في «ب» أي غير أوليائكم.

(٤) سقط من «ب».

(٥) سقط من «ب».

(٦) نقله في تفسير القرطبي ١٢٦/١٤.

(٧) في «ب» إلا أن تعرضوا.

(٨) انظر: المرجع السابق.

(٩) في «ب» لا يصير له وهو الموافق لما في تفسير الفخر الرازي ١٩٦/٢٥.

(١٠) ساقط من «ب».

(١١) هكذا هي هنا وفي تفسير الفخر وما في «ب» فيعود.

يعني التوارث بينكم فيصير مال أحدكم لغيره بالإرث والنبي لا توارث بينه وبين أقاربه فينبغي أن يكون له بدل هذا وهو أنه أولى في حياته بما في أيديكم .

الثاني: أن الله تعالى ذكر دليلاً على أن النبي عليه السلام أولى^(١) فيصير أولى من قريبه فكأنه بالواقع قطع الإرث وقال هذا مالي لا ينتقل عني إلا لمن أريده فكذلك جعل الله تعالى لنبيه من الدنيا ما أراه ثم ما يفضل منه يكون لغيره ثم قال «كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» مكتوباً . قال القرطبي^(٢): أراد بالكتاب القرآن وهو آية الموارث^(٣) والوصية وقيل: اللوح المحفوظ .

قوله: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ» الآية وجه تعلق^(٤) هذه الآية بما قبلها هو أن الله تعالى لما أمر النبي عليه السلام بالاتقاء وقال: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ» وأكدته بالحكاية التي خشي (فيها)^(٥) منهم، خفف عنه لكي لا يخشى أحداً غيره وبين أنه لم يرتكب^(٦) أمراً يوجب الخشية بقوله: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» وأكدته بوجه آخر فقال: «وَإِذْ أَخَذْنَا» كأنه قال: اتق الله ولا تخف أحداً واذكر أن الله (أخذ ميثاق)^(٧) النبيين في أنهم مبلغون رسالات الله ولا يمنعهم من ذلك خوف ولا طمع والمراد من الميثاق العهد الذي بينه وبينهم في إرسالهم وأمرهم بالتبليغ وأن يصدق بعضهم بعضاً قال مقاتل: أخذنا ميثاقهم^(٨) على أن يدعوا الناس إلى عبادته، ويصدق بعضهم بعضاً وينصحوا لقومهم .

قوله: «وَإِذْ» يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون منصوباً «بأذكر» أي اذكرْ إِذْ أَخَذْنَا^(٩).

والثاني: أن يكون معطوفاً على مَحَلٍّ: «في الكتاب» فيعمل فيه «مَسْطُورًا» أي كان مسطوراً في الكتاب (و)^(١٠) وقت أَخَذْنَا .

قوله^(١١): «وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» خص هؤلاء

(١) في «ب» (أولى بالمؤمنين وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض ثم إذ أراد أحد براً مع صديق فيوصي له بشيء فيصير أولى من قريبه الخ .

(٢) الأصح أنه القرطبي وقد تقدمت ترجمته وانظر: القرطبي ١٤/١٢٧ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ٢٥/١٩٦ .

(٤) كذا قرره الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/١٩٦ .

(٥) في «ب» فيه وهو خطأ لأن الضمير يعود على الحكاية .

(٦) هكذا هي أيضاً في تفسير الفخر، وما في «ب» لم يترك .

(٧) في «ب» واذكر إِذْ أَخَذْنَا .

(٨) كذا قرره الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٦/٣٥٤ .

(٩) هذا قول أبي البقاء في التبيان ١٠٥٢ . (١٠) ساقط من «ب» .

(١١) وهذا رأي الحوفي وابن عطية انظر: البحر المحيط ٧/٢١٢ .

الخمس بالذكر لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولو العزم من الرُّسل، وقدم النبي - ﷺ - لأنه أولهم في كتاب الله، كما قال ﷺ: كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ، وَآخِرُهُمْ فِي الْبَعْثِ^(١) قال قتادة وذلك قول الله عز وجل: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ^(٢) نُوْحٌ» فبدأ به^(٣) - ﷺ - قال ابن الخطيب^(٤): وخص بالذكر أربعة من الأنبياء وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، لأن موسى وعيسى كان لهما في زمان نبينا قوم وأمة فذكرهما احتجاجاً على قومهما^(٥)، وإبراهيم (عليه الصلاة^(٦) والسلام) يقولون بفضلته (وكانوا^(٧) يتبعونه في الشعائر، ونوحاً لأنه كان أصلاً ثانياً للناس حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان)، وعلى هذا لو قال قائل: فآدم كان أولى بالذكر من نوح فنقول^(٨): خلق آدم كان للعماراة ونبوته كانت مثل الأبوة للأولاد ولهذا لم يكن في زمانه إهلاك قوم ولا تعذيب، وأما نوح فكان مخلوقاً للنبوة وأرسل للإنزال ولما كذبه أهلك قومه وأغرقوا، وأما ذكر عيسى بقوله: عيسى ابن مريم والمسيح ابن مريم؛ فهو إشارة إلى أنه لا أب له، إذ لو كان لوقع التعريف به^(٩).

قوله: «مِيثَاقاً غَلِيظاً» هو الأول، وإنما كرر لزيادة صفته وإيداناً بتوكيده^(١٠)، قال المفسرون: عهداً شديداً على^(١١) الوفاء بما حملوا.

قوله: «لِيَسْأَلَ» فيها وجهان:

أحدهما: أنها لام كي أي أخذنا ميثاقهم ليسأل المؤمنين عن صدقهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغنى عن الثاني بذكر مُسَبِّهِ وهو قوله: «وَأَعَدَّ». ومفعول صدقهم محذوف أي صِدْقَهُمْ عَهْدُهُمْ، ويجوز أن يكون «صِدْقَهُمْ» في معنى تصديقهم ومفعوله محذوف أيضاً أي عن تصديقهم الأنبياء^(١٢).

قوله: «وَأَعَدَّ» يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون معطوفاً على ما دل عليه «لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ»؛ إذ التقدير: فأثاب الصادقين وأعد للكافرين.

(١) انظر: تفسير القرطبي ١٤/٢٧. (٢) زاد المسير ٦/٣٥٤.

(٣) في «ب» فبدأ بالنبي. (٤) انظر تفسيره ص ١٩٧ ج ٢٥.

(٥) هكذا هي هنا وفي تفسيره وما في «ب»: قومهم بالجمع.

(٦) زيادة من «ب». (٧) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٨) في «ب» نقول بدون فاء. (٩) ذكره الرازي في تفسيره ٢٥/١٩٧.

(١٠) قرره السمين في الدر ٤/٣٦٦. (١١) قاله القرطبي في تفسيره ١٤/١٢٧.

(١٢) ذكره أبو حيان في بخره ٧/٢١٣ وكذا السمين ٤/٣٦٦ ولقد رجح أبو حيان أن تكون اللام للصيرورة وهذا هو الوجه الثاني فيها فقال: «يحتمل أن تكون لام الصيرورة أي أخذ الميثاق على الأنبياء ليصير الأمر إلى كذا» البحر ٧/٢١٣، وانظر: الكشاف أيضاً ٣/٢٥٢.

والثاني : أنه معطوف على «أَخَذْنَا»؛ لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لإثابة المؤمنين وأعد للكافرين، وقيل : إنه حذف من الثاني ما أثبت مُقَابِلُهُ في الأول، ومن الأول ما أثبت مقابله في الثاني والتقدير : ليسأل الصادقين عن صدقهم فأثابهم ويسأل الكافرين عما أجابوا رُسُلَهُمْ «وَأَعَدُّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»^(١).

فصل

قال المفسرون : المعنى أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين عن صدقهم يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم^(٢) مع علمه أنهم صادقون بتبكيث من أرسلوا إليهم . وقيل : ليسأل الصادقين عن علمهم بالله عز وجل ، وقيل : ليسأل الصادقين بأفواههم^(٣) عن صدقهم بقلوبهم^(٤).

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنَّوْنَ ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرُسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَبْتَهِلُ يَرْبَ لَا مِقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُوكَ إِلَّا ذُنُوبًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝١٥ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْعَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٦ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٧﴾

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ الآية وهذا تحقيق لما سبق من الأمر بتقوى الله بحيث لا يبقى معه خوف من أحد وذلك حين حُوصِرَ المسلمون مع رسول الله - ﷺ - أيام الخندق، واجتمع الأحزاب واشتد الأمر على الأصحاب حيث اجتمع المشركون بأسرهم واليهود بأجمعهم، ونزلوا على المدينة وعمل النبي - ﷺ - الخندق وكان الأمر في غاية الشدة والخوف بالغاً إلى الغاية والله دفع القوم عنهم من غير قتال وأَمَتَهُمْ من الخوف فينبغي أن لا يخاف العبدُ غَيْرَ رَبِّهِ فإنه القادر^(٥)

(١) المرجعان السابقان وانظر : الدر المصون ٣٦٧/٤.

(٢) في «ب» والحكمة في سؤاله.

(٣) في «ب» عن أفواههم.

(٤) ذكر هذه الأوجه كلها الإمام القرطبي في تفسيره لأحكام القرآن ١٢٨/١٤.

(٥) في «ب» فإنه قادر بدون (الف ولام).

على كل الممكنات فكان قادراً على أن يقهر المسلمين بالكفار مع أنهم ضعفاء كما قهر الكافرين بالمؤمنين مع قوتهم وشوكتهم.

قوله: «إِذْ جَاءَتْكُمْ» يجوز أن يكون منصوباً «بنعمة» أي النعمة الواقعة في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون منصوباً بأذكروا على أن يكون بدلاً من «نعمة» بدل اشتغال^(١)، والمراد بالجنود الأحزاب وهم قريش وعطفان، ويهود قُرَيْظَةَ والنَّضِير «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً»^(٢) وهي الصَّيْبَا، قال عكرمة: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقني بنصر رسول الله - ﷺ - فقالت الشمال إن الحرّة لا تُسْري بالليل فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا وروى مجاهد عن ابن عباس عن النبي - ﷺ - قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلَكْتُ عَادَ بِالذَّبُورِ»^(٣).

قوله: «وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا» قرأ الحسن بفتح الجيم، والعامّة بضمها^(٤)، و «جُنُوداً» عطفاً على «ريحاً» و «لَمْ تَرَوْهَا» صفة لهم، وروي عن أبي عمرو، وأبي بكر «لَمْ يَرَوْهَا»^(٥) بياء الغيبة، وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحاً باردة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب القَسَاطِيطِ^(٦) وأطفأت النيران وأكفأت القُدُورَ^(٧)، وجالت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول: يا بني فلان هَلُمَّ إِلَيَّ فإذا اجتمعوا عنده قال: الثَّجَا الثَّجَا أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال^(٨). «وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» وهذا إشارة إلى أن الله علم التجاءكم إليه وجاءكم^(٩) فضله فنصركم على الأعداء عند الاستعداد والقصة مشهورة.

قوله: «إِذْ جَاؤُوكُمْ» بدل من «إِذْ» الأولى^(١٠)، والحناجر جمع «حَنْجَرَةٍ» وهي رأس الغَلْصَمَةِ والغَلْصَمَةُ منتهى الحَلْقُومِ، والحلقوم مجرى الطعام والشراب، وقيل: الحلقوم

(١) ذكره العبري في التبيان ٥٢. والدر المصون ٣٦٧/٤.

(٢) لم أعثر على هذا الرأي وهذا الأثر بصيغته تلك وإنما ما عثرت عليه أن الريح التي نزلت عليهم ربح الصبا، انظر: زاد المسير ٣٥٧/٦.

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري في الاستسقاء ١٨٣/١.

(٤) من القراءات الشاذة ذكرها أبو حيان في البحر ٢١٦/٧ وانظر شواذ القرآن (١٩٣).

(٥) زاد المسير ٣٥٧/٦ وهي قراءة النخعي والجدري، والجوني وابن السمين، وانظر كذلك مختصر ابن خالويه ١١٨ والقرطبي ١٤٤/١٤ بدون نسبة.

(٦) أي عروق الشعر.

(٧) أي كبت يقال: كفأت الإناء أي كَبَيْتَهُ، وأكفأت الشيء أي أَمْلَأْتُهُ انظر: اللسان: «ك ف أ» ٣٨٩٣.

(٨) انظر: زاد المسير ٣٥٧/٦. (٩) في «ب» ورجاكم.

(١٠) ذكره في الدر المصون ٣٦٧/٤. والتبيان ١٠٥٣.

مَجْرَى النَّفْسِ وَالْمَرِيءِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَهُوَ تَحْتَ الْحَلْقُومِ^(١) وَقَالَ الْبَرَاءُ غُبُ^(٢): رَأْسُ الْغُلْصَمَةِ مِنْ خَارِجِ^(٣).

قوله: «الظُّنُونَا» قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بإثبات ألف بعد نون «الظُّنُون» ولام الرسول في قوله: «وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا» [الأحزاب: ٦٦] ولام السبيل في قوله: «فَأَاضَلُونَا السَّبِيلَا» [الأحزاب: ٦٧] وصلاً ووقفاً موافقة للرسم^(٤)؛ لأنهن رسمن في المصحف كذلك وأيضاً فإن هذه الألف تشبه هاء السكت لبيان الحركة، وهاء السكت تثبت وقفاً للحاجة إليها وقد تثبت وصلاً لإجراء للوصول مُجْرَى الوقف كما تقدم في البقرة والأنعام فكذا هذه الألف، وقرأ أبو عمرو وحمزة بحذفها في الحالين^(٥)؛ لأنها لا أصل لها وقولهم: أجريت الفواصل مُجْرَى القوافي غير معتد به لأن القوافي^(٦) يلتزم الوقف عليها غالباً، والفواصل لا يلزم ذلك فيها فلا تُشَبَّه بها، والباقون بإثباتها وقفاً وحذفها وصلاً إجراء للفواصل مُجْرَى القوافي في ثبوت ألف الإطلاق^(٧) كقوله:

٤٠٦٩ - اسْتَأْتَرِ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْلِ وَوَلَّى الْمَلَأَمَةَ الرَّجْجَلَا^(٨)

وقوله:

٤٠٧٠ - أَقْلَى اللُّؤْمِ عَاذِلٌ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا^(٩)

ولأنها كهاء السكت وهي تثبت وقفاً وتحذف وصلاً، قال شهاب الدين: «كذا يقولون تشبيهاً للفواصل بالقوافي وأنا لا أحب هذه العبارة فإنها منكرة^(١٠) لفظاً». ولا خلاف في قوله «وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» أنه بغير ألف في الحالين.

(١) ذكره أيضاً في الدر المصون ٣٦٧/٤ والقرطبي ١٤٥/١٤.

(٢) تقدم. (٣) ينظر: المفردات ١٣٣.

(٤) انظر الإنحاف ٣٥٣ والسبعة ٥١٩ و ٩٢٠ وإبراز المعاني ٦٤٥ و ٦٤٦ والنشر ٣٤٧/٢ وحجة ابن خالوية ٢٨٩.

(٥) المراجع السابقة. (٦) في «ب» يلزم.

(٧) ذكره في الدر المصون ٣٧٨/٤.

(٨) البيت من المنسرح وهو للأعشى وهو فيه يجبرنا أن الكمال لله وحده بينما النقص صفة من صفات الإنسان تعالى الله عنه علواً كبيراً. والبيت شاهد على ألف الإطلاق في «الرَّجْجَلَا» فكان بالإمكان أن يقول: «الرجل» ولكنه أطلق وهنا يصح وكثير في كلامهم الشُعْرِيّ وانظر: إبراز المعاني ٦٤٦ وديوانه ١٧٠.

(٩) من مشهور الأبيات الشعرية وهو من تمام الوافر، لجريرو قوله: «عاذل» مرخم «عاذلة» علماً، والشاهد: «أصابا، والعتابا» بألف أطلقت ناشئة عن إشباع فتحة الباء، وذلك - كما قلت - كثير في الشعر ويروى: العتابين، وأصاين، وعليه فلا شاهد فيه حينئذ. فالألف قد أبدلت نوناً وهو المسمى التوين الغالي. وانظر: الكتاب ٢٠٥/٤ و ٢٠٨ والمقتضب ٣٧٥/١ والخصائص ١٧١/١ و ٩٦/٢ والإنصاف ٦٥٥ وابن يعيش ١١٥/٤ و ١٤٥ و ٢٩/٩، والخزانة ٦٩/١، وديوانه ٨٩.

(١٠) انظر: الدر المصون ٣٦٨/٤.

فصل

المعنى إذ جأؤوكم من فوقكم أي من فوق الوادي من قبل المشرق^(١) وهم «أسد»، وعطفان عليهم مالك بن عوف النَّضري، وعيينة بن حصن الفزاري في^(٢) ألف من عطفان ومنهم طلحة بن خويلد الأسدي في بني أسد، وحبي بن أخطب في يهود بني قريظة «ومن أسفل منكم» أي من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب ومن معه وأبو الأعور بن سفيان السلمي من قبل الخندق، وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل إجلاء رسول الله - ﷺ - بني النضير من ديارهم «وإذ رآغت الأبصار» مالت وشخصت^(٣) من الرعب، وقيل: مالت^(٤) عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوها «وبلغت القلوب الحناجر» فرالت عن أماكنها حتى بلغت الحلق من الفرع، وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف^(٥). قال الفراء معناه أنهم جبنوا^(٦)، وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته فإذا انتفخت الرثة رفعت القلب إلى الحنجرة ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره؛ لأن القلب^(٧) عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص بالحنجرة^(٨) وقد يفضي إلى أن يسد مخرج النفس فلا يقدر المرء (أن) يتنفس ويموت من الخوف. «وتظنون بالله الظنونا» وهو اختلاف الظنون، فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم.

فإن قيل: المصدّر لا يجمع فما الفائدة من جمع الظنون؟

فالجواب: لا شك أنه منصوب على المصدر ولكن الاسم قد يجعل^(٩) مصدراً كما يقال: «ضربته سيّاطاً» و «أدبته مِراراً» فكانه قال: ظننتم ظناً^(١٠) جاز أن يكونوا مصيبين فإذا قال: ظنونا بين أن فيهم من كان ظنه كاذباً لأن الظنون قد تكذب كلها، وقد تكذب بعضها إذا كانت في أمر واحد كما إذا رأى جمع جسماً من بعيد فظنه بعضهم أنه زيد، وآخرون أنه عمرو، وآخرون أنه بكر، ثم ظهر لهم الحق قد يكونون

(١) انظر: القرطبي ١٤/١٤٤. (٢) في «ب» من.

(٣) قال ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٤٨: «عدلت» وانظر: القرطبي ١٤/١٤٤ و ١٤٥.

(٤) المرجع السابق.

(٥) وقيل: هو على معنى المبالغة على مذهب العرب على إضمار «كاد» قال:

إِذَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضْرِبَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دُمَا

أي كادت تقطر كذا قرره القرطبي في تفسيره الجامع ١٤/١٤٥.

(٦) في المعاني ٣٣٦/٢ ذكر أن الرجل منهم كانت تنتفخ رثته حتى ترفع قلبه إلى حنجرة من الفرع.

(٧) نقله الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/١٩٨.

(٨) في الفخر فيتقلص فيلتصق. (٩) في «ب» يحصل.

(١٠) في تفسير الرازي: ظننتم ظناً بعد ظن أي ما ثبتم على ظن فالفائدة هي أن الله تعالى لو قال: تظنون ظناً جاز...

كلهم مخطنين والمرئي شجر أو حجر، وقد يكون أحدهم مصيباً ولا يمكن أن يكونوا كلهم مُصِيبِينَ في ظنونهم، فقوله: «الظنون» أفادنا أن فيهم من أخطأ الظن، ولو قال: «تظنون بالله ظناً» ما كان يفيد^(١) هذا، والألف واللام في «الظنون» يمكن أن تكون للاستغراق مبالغة بمعنى تظنون كل ظن، لأن عند الأمر العظيم كل أحد يظن شيئاً، ويمكن أن تكون الألف واللام للعهد أي ظنونهم المعهودة؛ لأن المعهود من المؤمن ظن الخير^(٢) بالله كما قال عليه (الصلاة^(٣)) و السلام: «ظُنُّوا بِاللَّهِ خَيْرًا»^(٤) ومن الكافر الظن السوء كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص: ٢٧] وقوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قوله: «هَذَاكَ» منصوب «بَابْتِلِي»^(٥). وقيل: «بَتَّظُنُّونَ» واستضعفه ابن عطية^(٦) وفيه وجهان:

أحدهما: أنه ظرف مكان بعيد أي في ذلك المكان الدخض وهو الخندق.

والثاني: أنه ظرف زمان^(٧)، وأنشد بعضهم على ذلك:

٤٠٧١ - وَإِذَا الْأُمُورُ تَعَاظَمَتْ وَتَشَاكَلَتْ فَهَئَاكَ يَغْتَرِفُونَ أَيْنَ الْمَفْرَعِ^(٨)

«وَزُلْزِلُوا» قرأ العامة بضم الزاي الأولى، (وكسر^(٩) الثانية على أصل ما لم يسم فاعله^(١٠))، وروى غير واحد عن «أبي عمرو» كسر الأولى^(١١)، وروى الزمخشري عنه إشماعها كسراً^(١٢)، ووجه هذه القراءة أن يكون أتبع الزاي الأولى للثانية في الكسر ولم يعتد بالسكن لكونه غير حصين كقولهم: مِمين - بكسر الميم - والأصل ضمها.

قوله: «زِلْزَالَ» مصدر مُبَيَّن للنوع بالوصف والعامة على كسر الزاي، وعيسى، والجَحْدَرِي فتحاها^(١٣) وهما لغتان في مصدر الفعل المضعف إذا جاء على «فعلال»

(١) انظر: تفسير الرازي ١٩٨/٢٥، ١٩٩. (٢) السابق.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) لم أعر عليه بصيغته هذه في الكتب المعتمدة للحديث وقد نقله الفخر الرازي ١٩٨/٢٥.

(٥) ذكره أبو حيان في بحره ٢١٧/٧ والسمين في الدر ٣٦٨/٤.

(٦) المرجعان السابقان. (٧) الدر المصون ٣٦٨/٤.

(٨) البيت من الكامل، وهو من تمامه للأفوه الأودي وشاهده في قوله: «وهناك» فهو اسم إشارة للزمان، وهو ظرف للفعل كالأية تماماً أي يعترفون في ذلك الوقت المكان الذي يلجأون إليه. وقد تقدم.

(٩) ما بين القوسين كله سقط من نسخة «ب».

(١٠) انظر: البحر المحيط ٢١٧/٧ والدر المصون ٣٦٩/٤.

(١١) قال في البحر: «وقرأ أحمد بن موسى اللؤلؤي عن أبي عمرو بكسر الزاي قاله ابن خالويه». انظر: بحر أبي حيان ٢١٧/٧ وانظر: مختصر ابن خالويه ١١٨.

(١٢) انظر الكشف ٢٥٤/٣.

(١٣) مختصر ابن خالويه ١١٨ والبحر ١١٧/٧ وهي من الشواذ.

نحو: «زُلْزَلَ، وَقُلْقَلَ وَصَلْصَلَ»^(١)، وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو: صَلْصَلَ بمعنى مُصَلِّصٌ وزلزال بمعنى «مُزْلَزِلٌ»^(٢).

فصل

قال المفسرون: معنى ابتلي المؤمنون اختبر المؤمنون بالحضر والقتال ليبين المخلص من المنافق، والابتلاء من الله ليس لإبانة الأمر له بل لحكمة أخرى وهي أن الله تعالى عالم بما هم عليه لكنه أراد إظهار الأمر لغيره من الملائكة والأنبياء كما أن السيد إذا علم من عبده المخالفة عزم على معاقبته على مخالفته، وعنده غيره من العبيد أو غيرهم فيأمره بأمر عالم بأنه مخالف لكي يتبين الأمر عند الغير فيقع المعاقبة على أحسن الوجوه حيث لا يقع لأحد أنه يظلم، وقوله: «وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا» أي أزعجوا وحركوا حركة شديدة فمن ثبت منهم كان من الذين إذا ذكر الله^(٣) وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ.

ثم قال: «وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ» معتب بن قشير، وقيل: عبد الله بن أبي وأصحابه^(٤) «وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» شك وضعف اعتقاد «مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» وهذا تفسير الظنون وبيان لها، فظن المنافقون أن ما قال الله ورسوله كان زوراً ووعدهما كان غروراً حيث ظنوا بأن الغلبة واقعة لهم يَعدُّنا محمدٌ فَتَحَ قُصُورَ الشَّامِ وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا والله الغرور^(٥).

قوله: «وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ» أي من المنافقين «وهم أوس بن قيطي وأصحابه»^(٦) «يَا أَهْلَ يَثْرِبَ» يعني المدينة، قال أبو عبيد^(٧): يَثْرِبُ: اسم أرض ومدينة الرسول - ﷺ -^(٨) في ناحية منها، وفي بعض الأخبار: أن النبي - ﷺ - نهى أن تسمى المدينة يَثْرِبَ^(٩)، وقال: هي طابة كأنه كره هذه اللفظة، وقال أهل اللغة^(١٠): يَثْرِبُ اسم المدينة، وقيل: اسم البقعة التي فيها المدينة، وامتناع صرفها إما للعلمية والوزن^(١١) أو للعلمية والتأنيث، وأما

(١) والقصد من ذلك التخفيف كما قرره الرضي في شرح الشافية ١٧٨/١ ١١٧/٧ قال: «وإنما جاز ذلك في المضاعف كَالْقُلْقَالِ وَالزُّلْزَالِ وَالْخُلْخَالِ قصداً للتخفيف، لثقل التضعيف». وانظر: الدر المصون ٣٦٩/٤.

(٢) المرجع الأخير السابق.

(٣) كذا قرره الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير ١٩٨/٢٥، ١٩٩.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ١٤/١٤٧، وابن الجوزي في تفسيره ٦/٣٥٩.

(٥) المرجعان السابقان. (٦) المرجعان السابقان.

(٧) زيادة وتصحيح عن النسختين فهو أبو عبيدة: صاحب مجاز القرآن مُعَمَّرُ بْنُ الْمُثَنَّى وقد عرفت به.

(٨) انظر: مجاز القرآن ٢/١٣٤ والقرطبي ١٤/١٤٨.

(٩) ذكره اللسان: «ث ر ب» ٤٧٥ قال: وروى أن النبي - ﷺ - نهى أن يقال للمدينة يَثْرِبَ، وسماها طيبة كأنه كره الثرب لأنه فساد في كلام العرب.

(١٠) المرجع السابق. (١١) الدر المصون ٣٦٩/٤.

يَتَرَبَّ - بالثاء المثناة وفتح الراء فموضع ضع آخر باليمن^(١)، قال الشاعر:
 ٤٠٧٢ - وَعَدْتُ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عَرْقُوبٍ أَخَاءَ بَيْتَرَبٍ^(٢)
 وقال:

٤٠٧٣ - وَقَدْ وَعَدْتُكَ مَوْعِدًا لَوْ قَتَلَ مَوَاعِيدَ عَرْقُوبٍ أَخَاءَ بَيْتَرَبٍ^(٣)
 «لَا مَقَامَ لَكُمْ» قرأ حفص، وأبو عبد الرحمن السلمي بضم الميم، ونافع وابن عامر بضم ميمه أيضاً في الدخان^(٤) في قوله: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ»^(٥) ولم يختلف في الأولى أنه بالفتح وهو «مقام كريم» والباقيون بفتح الميم في الموضعين^(٦)، والضم والفتح مفهومان من سورة مريم عند قوله: ﴿خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] فمعنى الفتح لا مكان لكم تنزلون به وتقيمون فيه. ومعنى الضم لا إقامة لكم فارجعوا إلى منازلكم عن اتباع محمد - ﷺ^(٧) - . وقيل: عن القتال إلى منازلكم^(٨). «وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ» وهم بنو حارثة وبنو سلمة «يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ» أي خالية ضائعة^(٩)، وهي مما يلي العدو ويخشى عليها السراق^(١٠).

قوله: «عَوْرَةٌ» أي ذات عورة، وقيل: منكشفة أي قصيرة^(١١) الجُذْرَانِ للسارق وقال الشاعر:

٤٠٧٤ - لَهُ الشَّدَّةُ الْأُولَى إِذَا الْقَرْنُ أَغْوَرَا^(١٢)

(١) يقال: إنه موضع قريب من البعامة للسان: «ت رب» ٤٢٥.
 (٢) من الطويل وهو لجبهة الأشجعي والبيت هذا له عجز مشترك لبنت آخر للشماخ وموضع الشاهد: «بيترب» حيث إنها بالثاء لا بالياء وهو موضع قريب من اليمن. انظر: ملحقات ديوان الشماخ ٤٣٠ و ٤٣٢ وابن يعيش ٤٣٠ و ٤٣٢ والخصائص ٣٠٧/٢ واللسان مكرراً وعد ٤٨٧١ و«ترب» ٤٢٥ والكتاب ٢٧٢/١ والهمع ٩٢/٢ ومجمع الأمثال للميداني ٣١١/٢ والسراج المنير ٢٢٩/٣ والدر المصون ٣٦٩/٤.

(٣) قيل: إنه للشماخ وصدرة:

أَوْصَلْتُ نَفْسِي مَا لَا أَحَاوِلُ نَفْعَهُ

كما في ملحقات ديوانه (٤٣٠) وعجزه مشترك مع صدر البيت السابق وانظر المراجع السابقة.

(٤) السبعة ٥٢٠ والإتحاف ٣٥٣ ومعاني الفراء ٣٣٧/٢.

(٥) الدخان الآية ٥١.

(٦) الإتحاف ٣٥٣ والسبعة ٥٢. والمعاني ٣٣٧/٣ والنشر ٣٤٨/٢ وحجة ابن خالويه ٢٨٩.

(٧) ذكره الفراء في معانيه ٣٣٧/٢ والقرطبي في ١٤٨/١٤.

(٨) وهذا رأي الكلبي والسابق رأي الحسن ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير ٣٦٠/٦.

(٩) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٨.

(١٠) وهذا رأي الحسن ومجاهد انظر: زاد المسير ٢٦١/٦.

(١١) ذكره السمين في الدر ٣٧٠/٤.

(١٢) هذا شطر بيت من الطويل لم أعثر على تنمة له سابقة كانت أو لاحقة. وقال الفراء في معانيه ٣٣٧/٢ =

وقرأ ابن عباس وابنِ يَغْمَر وقتادة وأبو رجاء وأبو حنيفة وآخرون: عورة بكسر الواو وكذلك «وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ»^(١)، وهما اسم فاعل^(٢)، يقال: عَوَّرَ المنزلُ: يَغْوِرُ عَوْرًا وَعَوْرَةً فهو عَوْرٌ، وبيوتُ عَوْرَةٍ، قال ابن جني: تصحيح الواو شاذ، يعني حيث تحركت وانفتح ما قبلها ولم تقلب ألفاً^(٣)، وفيه نظر لأن شرط ذلك في الاسم الجاري على الفعل أن يعتل فعله نحو مَقَامٍ وَمَقَالٍ، وأما هذا ففعله صحيح نحو عَوَّرَ^(٤)، وإنما صح الفعل وإن كان فيه مقتضى الإعلال لِمَذْرُكٍ آخر وهو أنه في معنى ما لا يعل^(٥) وهو «أعور» ولذلك لم نتعجب من «عور» وبابه، وأعورَ المنزلُ: بدت عَوْرَتُهُ، وأعورَ الفارس بدا منه خله^(٦) للضرب قال الشاعر:

٤٠٧٥ - مَتَى تَلْقَهُمْ لَمْ تَلَقْ فِي الْبَيْتِ مَعُورًا وَلَا الصَّيْفَ مَسْجُورًا وَلَا الْجَارَ مُرْسَلًا^(٧)
ثم كذبهم الله تعالى فقال: «وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا».

قوله: «وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا» ولو دخل عليهم المدينة أو البيوت يعني هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب «مِنْ أَقْطَارِهَا» جوانبها. وفيه لغة وتروى: أَقْطَارٌ - بالتاء^(٨) - . والقَطْرُ: الجانب أيضاً ومنه قَطْرَتُهُ أَيِ اللَّقِيْئَةُ على قطره فَتَقَطَّرَ أي وقع عليه قال:

٤٠٧٦ - قَدْ عَلِمْتُ سَلْمَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا^(٩)
وفي المثل: «الانْفِصَاضُ يَقْطُرُ الْجَلْبَ»^(١٠) تفسيره أن القوم إذا انفضوا أي فني زادهم احتاجوا إلى جَلْبِ الإبل، وسمي القَطْرُ^(١١) قطراً لسقوطه.

= «وأنشدني أبو ثروان: البيت يعني لأسد» ولم ينسبه كذلك في اللسان «ع و ز» وشاهده: «الْقَرْنُ أَعْوَرًا» بمعنى انكشف وظهر للعدو للمثال. وانظر: اللسان «ع و ز» ٣١٦٧ والبحر ٢١٨/٧.

(١) من القراءات الشاذة غير المتواترة انظر: المحتسب ١٧٦/٢ ومختصر ابن خالويه ١١٨.

(٢) ذكره في التبيان ١٠٥٣ والدر المصون ٢٧٠/٤.

(٣) ذكره في المحتسب ١٧٦/٢ ووجه نظره أنها من المواضع التي تقلب فيها الواو ياء.

(٤) ذكره السمين أيضاً في الدر المصون ٣٧٠/٤.

(٥) نقله في الدر المصون ٣٧٠/٤.

(٦) في «ب» خلل الضرب.

(٧) هو من بحر الطويل ورواه القرطبي: «مفجوعاً» بدلاً من «مسجوراً» وانظر البحر المحيط ٢١٨/٧ والقرطبي ٤٨/١٤ والدر المصون ٣٧٠/٤.

(٨) انظر الإبدال لابن السكيت باب الطاء والتاء ١٢٩، والأمالى لأبي علي القالي ١٥٦/٢.

(٩) البيت مختلف في نسبه فمن نسه إلى عمرو بن معد يكرب وهو من بحر السريع، ومن ناسب له لأبي بجيلة ومن ناسب له لبعض اللصوص. والمشهور الأول. وشاهده: «قطر» أي ما صرعه فالفاء وأوقعه إلا هو. وقد تقدم.

(١٠) ذكره في اللسان ٣٦٧٢ ومجمع الأمثال ٣٨١/٣.

(١١) وهو المطر.

قوله : «ثُمَّ سُوِّلُوا» قرأ مجاهد «سُوِّلُوا» بواو ساكنة ثم ياء مكسورة «كَقُوِّلُوا»^(١) . حكى أبو زيد : هما يَسَاوِلَانِ بالواو^(٢) ، والحسن : سُوِّلُوا^(٣) بواو ساكنة فقط فاحتملت وجهين : أحدهما : أن يكون أصلها : سيلوا كالعامية ، ثم خففت الكسرة فسكنت كقولهم في ضَرْب - بالكسر - ضرب بالسكون فسكنت الهمزة بعد ضمة فقلبت واواً نحو : بُوسَ في بُوسٍ .

والثاني : أن يكون من لغة الواو^(٤) ، ونقل عن أبي عمرو أنه قرأ سِيلُوا بياء ساكنة بعد كسرة نحو : قِيلُوا^(٥) .

قوله : «لَا تَوَّهَا» قرأ نافع وابن كثير بالقصر بمعنى لَجَأُوْهَا وَعَشَوْهَا^(٦) ، والباقون بالمد بمعنى لأعطوها ومفعوله الثاني محذوف تقديره : لَا تَوَّهَا السَّائِلِينَ . والمعنى ولو دخلت البيوت أو المدينة من جميع نواحيها ثم سئل أهلها الفتنة لم يمتنعوا من إعطائها ، وقراءة المد يستلزم قراءة القصر من غير عكس بهذا المعنى الخاص^(٧) .

قوله : «إِلَّا يَسِيرًا» أي إِلَّا تَلَبَّثًا أو إِلَّا زَمَانًا يسيرًا^(٨) . وكذلك قوله : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب : ١٦ - ١٨] أي إِلَّا تَمَتُّعًا أو إِلَّا زَمَانًا قَلِيلًا .

فصل

دلت الآية على أن ذلك الفرار والرجوع ليس لحفظ البيوت لأن من يفعل فعلاً لغرض فإذا فاتته الغرض لا يفعله فقال تعالى هم قالوا بأن رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا ولو دخلها الأحزاب وأخذوها منهم لرجعوا أيضاً فليس رجوعهم عنك إلا بسبب كفرهم وحبهم الفتنة وهي الشرك . «وَمَا تَلَبَّثُوا بها» أي ما تلبثوا بالمدينة أو البيوت «إِلَّا يَسِيرًا» وأن المؤمنين يُخْرِجُونَهُمْ قاله الحسن^(٩) ، وقيل : ما تلبثوا أي^(١٠) ما اختبَسُوا عن الفتنة -

(١) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١١٨ وفيه «سُوِّلُوا» بالهمزة .

(٢) نقله عنه ابن جني في المحتسب ١٧٧/٢ ولم أجده في النواذر .

(٣) في المحتسب أنها : «سولوا» بضم السين قال : «ومن ذلك قراءة الحَسَن : «ثم سولوا الفتنة» مرفوعة السين ، ولا يجعل فيها ياء ولا يمدّها» انظر : ١٧٧/٣٦٥ وانظر : شواذ القرآن للكرمانى ١٩٣ .

(٤) الدر المصون ٣٧١/٤ .

(٥) وجدت في مختصر ابن خالويه : أن هذه القراءة بضم السين وكسر الياء «سِيلُوا» قال : «من غير همز عبد الوارث عن أبي عمرو والأعمش» المختصر ص ١١٨ ومن المحتمل أن تكون قراءة أخرى وتنسب إلى أبي عمرو وينظر أيضاً شواذ القرآن ١٩٣ .

(٦) السبعة لابن مجاهد ٥٢٠ والاتحاف للبناء ٣٥٤ ومعاني القرآن للفراء ٣٣٧/٢ .

(٧) نقله السمين في الدر المصون ٣٧١/٤ .

(٨) انظر : الثبيان ١٠٥٣ والدر المصون ٣٧١/٤ ومشكل إعراب القرآن ١٩٥/٢ .

(٩) وهو قول السدي أيضاً نقله في زاد المسير ٣٦٢/٦ .

(١٠) وهو رأي قتادة . انظر : المرجع السابق .

وهي الشرك - إلا يسيراً ولاسرعوا للإجابة إلى الشرك طيبةً به أنفسهم وهذا قول أكثر المفسرين .

قوله: «وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ» أي من قبل غزوة الخندق «لَا يُؤْلُونَ الأَذْبَارَ» عدوهم أي لا ينهزمون قال يزيد بن رومان^(١): هم بنو حارثة هموا يوم الخندق أن يَفْتَتِلُوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها، وقال قتادة: هم ناس كانوا^(٢) قد غابوا عن واقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة وقالوا لئن أَشْهَدَنَا اللَّهَ قتالاً لَنُقَاتِلَنَّ فساق الله إليهم ذلك وقال مقاتل^(٣) والكلبي: هم سبعون رجلاً جاءوا بايعوا رسول الله - ﷺ - ليلة العقبة وقالوا اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال النبي - ﷺ -^(٤) - أشرت لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشرت لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم قالوا: وإذا فعلنا ذلك (فما لنا)^(٥) يا رسول الله؟ قال: لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، قالوا: قد فعلنا فذلك) عهدهم، وهذا القول ليس بمَرْضِيٍّ؛ لأن الذين بايعوا ليلة العقبة كانوا سبعين لم يكن فيهم شاكٌ ولا مَنْ يقول مثل هذا القول وإنما الآية في قوم عاهدوا الله أن يقاتلوا ولا يَفِرُّوا فَتَقَضُّوا العهد. وهذا بيان لفساد سيرتهم وقبح سيرتهم لنقضهم العهد فإنهم قبل ذلك تخلفوا وأظهروا عذراً ونَدَمًا ثم هددهم بقوله: «وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا» أي مَسْئُولاً عنه .

قوله: «لَا يُؤْلُونَ» جواب لقوله: «عَاهَدُوا» لأنه في معنى: «أقسموا»^(٦) وجاء على حكاية اللفظ فجاء بلفظ الغيبة ولو جاء على حكاية المعنى ل قيل: لا يُؤْلِي، والمفعول الأول محذوف أي يؤلون العدو الأذبار^(٧). وقال أبو البقاء: ويقرأ بالتشديد تشديد النون وحذف الواو على تأكيد جواب القسم^(٨). قال شهاب الدين: ولا^(٩) أظن هذا إلا غلطاً منه وذلك أنه إما أن يُقرأ مع ذلك بلا النافية أو بلام التأكيد^(١٠)، والأول لا يجوز لأن

(١) القرطبي ١٥٠/١٤. (٢) السابق.

(٣) السابق وانظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٦/٣٦٢ و ٣٦٣.

(٤) انظر: القرطبي ١٥٠/١٤. (٥) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٦) ذكره في التبيان ١٠٥٣/٢ والبيان ٢٦٥/٢ والدر المصون ٤/٣٧٢.

(٧) ذكره في البحر ٢١٩/٧ والدر المصون ٤/٣٧٢.

(٨) ذكره في التبيان ١٠٥٣. (٩) ذكره في الدر المصون ٤/٣٧٢.

(١٠) قال ابن عيش في شرح المفصل ٢١/ج ٩: «وأما الداخلة على الفعل فهي تدخل على الماضي والمستقبل فإذا دخلت على المستقبل فلا بد من النون الثقيلة أو الخفيفة؛ فاللام للتأكيد وتفصل بين النفي والإيجاب». انظره في ٢١/٩ بتفصيل.

المضارع المنفي بلا لا يؤكد بالنون إلا ما نَدَرَ مما لا يقاس عليه والثاني فاسد المعنى .
قوله : «إِنْ فَرَزْتُمْ» جوابه محذوف لدلالة النفي قبله عليه أو متقدم عند من يرى^(١) ذلك .

قوله : «وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ» إِذْنُ جواب وجزاء، ولما وقعت بعد عاطف جاءت على الأكثر وهو عدم إعمالها ولم يشدَّ^(٢) هنا ما شدَّ في الإسرائاء، فلم يقرأ بالنصب^(٣)، والعامه بالخطاب^(٤) في «تُمْتَعُونَ» . وقرئ بالغيبة^(٥) .

فصل

المعنى : «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَزْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ» الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل «وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» أي لا تمتعون بعد الفرار إلا مدة آجالكم وهي قليل . وهذا إشارة إلى أن الأمور مقدرة لا يمكن الفرار مما قدره الله لأنه كائن لا محالة فلو فررتما لما دتمت بل لا تمتعون إلا قليلاً وهو ما بقي من آجالكم فالعاقل لا يرغب في شيء قليل يفوت عليه شيئاً كثيراً^(٦) .

قوله : «مَنْ ذَا الَّذِي تَقْدِمُ فِي الْبَقَرَةِ» قال الزمخشري : فإن^(٧) قلت : كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء؟ قلت : معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة، فاختصر^(٨) الكلام وأجري مجرى قوله :
مَقْلَدًا سِيفًا وَرُمَحًا^(٩)

(١) وسيبويه ممن قال بالتقديم فقد قال : (وقد تقول : إِنْ أَتَيْتَنِي آتِيكَ» أي آتِيكَ إِنْ أَتَيْتَنِي) انظر : الكتاب ٦٦/٣ . وعلى ذلك فالجواب هو : «لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ» النفي بينما رأي المبرد من البصريين والكوفيين غير ذلك، انظر : الهمع ٦٠/٢ .

(٢) يشير إلى الآية ١٧٦ : «وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا» فقد قرئ بنصب : «يلبثوا» على إعمال «إِذَا» ونصب الفعل «بأن» مضمرة وجوباً وهي قراءة أبي بن كعب ذكره أبو حيان في البحر ٦٦/٦ والفراء في معانيه ٣٣٧/٢ و ٣٣٨ .

(٣) وقد عرف أنها قراءة أبي وانظر : المراجع السابق .

(٤) في «ب» على الخطاب .

(٥) ذكرها في البحر المحيط ٢١٩/٧ والدر المصون ٢٧٢/٤ والقرطبي ١٥١/١٤ ولقد ذكر القرطبي قراءة ثالثة وهي «وَإِذَا لَا تُمْتَعُوا» نصب «بإِذَا» . وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٣٠٧/٤ .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٥٠/٢٥ .

(٧) الكشف ٢٥٥/٣ .

(٨) هكذا هي في الكشف وما في «ب» فاختص وهو تحريف وبعد عن المعنى المراد .

(٩) هذا عجز بيت من الكامل وصدره :

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا

وشاهده في قوله : «متقلداً سيفاً ورمحاً» فإن الظاهر أن التقليد يقع على المعطوف عليه ولكن الأصح : =

أو حمل الثاني على الأول لما في العِصْمَةِ من معنى المنع قال أبو حيان: أما الوجه الأول فيه حذف جملة لا ضرورة تدعو إلى حذفها، والثاني هو الوجه لا سيما إذا قدر مضاف محذوف أي يمنعكم من مُرَادِ اللَّهِ^(١)، قال شهاب الدين: وأين الثاني من الأول ولو كان معه حذف جُمْلٍ^(٢)؟

فصل

المعنى من ذا الذي يمنعكم من الله إن أراد بكم سوءاً هزيمة أو أراد بكم رحمة نُصْرَةً، وهذا بيان لما تقدم من قوله: «لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ» وقوله: «وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» تقرير لقوله: «مَنْ ذَا الَّذِي يَغْصُمُكُمْ مِنَ اللَّهِ» أي ليس لكم شفيع أي قريب ينفعكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم سوء إذا أتاكم^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨) أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبِطْ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَاتَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ

= أن هنا محذوف تقديره: متقلداً سيفاً ومعتقلاً ربحاً لأن علماء اللغة قالوا إنه يقال: تَقَلَّدَ فُلَانٌ سَيْفَهُ ولا يقال: رُمَحَهُ. وانظر: الكشاف ٢٥٥/٣ والبحر المحيط ٢١٩/٧، والإنصاف ٦١٢، والكمال ١/٣٣٤، والمقتضب ٥١ والخصائص ٤٣١/٢ وشرح ابن يعيش ٥٠/٢ وأمالى المرتضى ٥٤/١ و ٢٦٠ و ٣٧٥ والهمع ٥١/٢ والأسموني ١٧٢/٢ والبيضاوي ١٢٩/٢.

(١) البحر ٢١٩/٧.

(٢) في الدُرِّ: «حمل» كما هنا وفي النسختين جملة وانظر: الدر المصون ٣٧٣/٤.

(٣) قاله الإمام الفخر الرازي ٢٥/٢٠١ و ٢٠٠.

الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

قوله: «قَدْ يَغْلِبُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ» المثبطين الناس عن رسول الله - ﷺ - «وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا» ارجعوا إلينا ودعوا محمداً فلا تشهدوا معه الحرب فإننا نخاف عليكم الهلاك، قال قتادة: هم ناس من المنافقين كانوا يُبْطِئُونَ أنصار النبي - ﷺ - ويقولون لإخوانهم: إن محمداً وأصحابه لو كانوا (لحمًا^(١)) لَأَلْتَهُمَهُمْ^(٢) أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فإنه هالك. وقال مقاتل^(٣): نزلت في المنافقين فإن اليهود أرسلوا إلى المنافقين قالوا ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيانَ وَمَنْ مَعَهُ فإنهم إن قَدِرُوا عليكم في هذه المرة لم يَسْتَبِقُوا منكم أحداً وإنا نشفق عليكم أنتم إخواننا وجيراننا هَلُمَّ إِلَيْنَا فأقبل عبد الله بن أبيي وأصحابه على المؤمنين يُعَوِّفُونَهُمْ وَيُخَوِّفُونَهُمْ بأبي سفيان وبمن معه قالوا: لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم أحداً ما ترجون من محمد، ما عنده خير ما هو إلا أن يقتلنا^(٤) ههنا انطلقوا بنا إلى إخواننا يعني اليهود فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيماناً واحتساباً.

قوله: «هَلُمَّ» (تقدم^(٥)) الكلام فيه آخر الأنعام^(٦). وهو هنا لازم، وهناك مُتَعَدٌّ لنصبه مفعوله وهو «شُهَدَاءُكُمْ» بمعنى أَخْضَرُوهُمْ، وههنا بمعنى «أخْضَرُوا» وَتَعَالُوا، وكلام الزمخشري^(٧) هنا مؤذن بأنه متعد أيضاً وحُذِفَ مفعوله، فإنه قال: «وَهَلِّمُوا إِلَيْنَا» أي قربوا أنفسكم إلينا (قال^(٨)): «وهي^(٩) صوت سمي به فعل متعد مثل: احْضُرْ وقَرَّبْ»، وفي تسميته إياه صوتاً^(١٠) نظر إذ أسماء الأصوات محصورة ليس هذا منها. ولا يجمع في لغة الحجاز ويجمع في غيرها فيقال للجماعة: هَلِّمُوا وللنساء هَلِّمُنَّ.

قوله: «وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ» الحرب «إِلَّا قَلِيلًا» رياء وسمعة أي لا يقاتلون معكم ويتعللون عن الاشتغال^(١١) بالقتال وقت الحضور معكم ولو كان ذلك القليل لكان كثيراً^(١٢).

(١) ساقط من «ب».

(٢) في القرطبي ١٥٢/١٤ «ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس».

(٣) حكاه في زاد المسير ٣٦٤/٦. (٤) في «ب» إلا أن يقتل.

(٥) سابط من «ب».

(٦) يقصد الآية ١٥٠ من سورة الأنعام، وهي قوله: «قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا».

(٧) الكشف ٢٥٥/٣. (٨) ساقط من «ب».

(٩) في الكشف «وهو».

(١٠) ذكره في الدر المصون ٣٧٣/٤.

(١١) في «ب» بالاشتغال.

(١٢) في «ب» ولو كان ذي القاتل لله لكان خيراً كثيراً.

قوله: «أَشِحَّةٌ» العامة على نصبه وفيه وجهان:

أحدهما: أنه منصوب على الشتم^(١).

والثاني: على الحال وفي العامل فيه أوجه:

أحدها: «وَلَا يَأْتُونَ» قاله الزجاج^(٢).

الثاني: «هَلَمَّ إِلَيْنَا». قاله الطبري^(٣).

الثالث: «يعوقون» مضمراً، قاله الفراء^(٤).

الرابع: «المُعَوِّقِينَ»^(٥).

الخامس: «الْقَائِلِينَ»^(٦) ورد هذان الوجهان الأخيران بأن فيهما الفصل بين أبعاض

الصلة بأجنبي، وفي الرد نظر لأن الفاصل بين أبعاض الصلة من متعلقاتها، وإنما يظهر الرد على الوجه الرابع لأنه قد عطف على الموصول^(٧) قبل تمام صلته فتأمله فإنه حسن وأما «وَلَا يَأْتُونَ» فمُعْتَرِضٌ وَالْمُعْتَرِضُ لا يمنع من^(٨) ذلك. وقرأ ابن أبي عبلة أَشِحَّةً^(٩) بالرفع على خبر ابتداء مضمراً أي هم أشحة وأشحة جمع «شحيح» وهو جمع لا يتقاس؛ إذ قياس «فَعِيل» الوصف الذي عينه ولامه من واد^(١٠) واحد أن يجمع على أفعلاء نحو حَلِيلٍ وَأَخْلَاءٍ وَظَنِينٍ وَأَظْنَاءٍ، وَضَنِينٍ وَأَضْنَاءٍ، وقد سمع أَشِحَاءَ وهو القياس^(١١). والشُّحُّ البخل، وقد تقدم في آل عمران^(١٢).

فصل

المعنى أشحة عليكم بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة، وقال قتادة^(١٣) بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله بالبخل والجبن فقال: «فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ» في الرؤوس من الخوف والجبن «كَالَّذِي يُعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» أي

(١) في «ب» على القسم بدل الشتم وهو تحريف وانظر: الدر المصون ٣٧٣/٤ والبيان ٢٦٦/٢.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٢٠/٤ وهو قول أبي البقاء في التبيان ١٠٥٤ والنحاس في إعراب القرآن ٣٠٨/٣ وانظر البيان ٢٦٦/٢ ومشكل القرآن لمكي ١٩٥/٢.

(٣) الطبري ٨٩/٢١ في جامع البيان.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣٣٨/٢.

(٥) و (٦) قالهما أبو حيان في البحر ٢٢٠/٧ وكذلك السمين في الدر ٣٧٣/٤.

(٧) قاله شهاب الدين في الدر المصون ٣٧٣/٤.

(٨) المرجع السابق.

(٩) شواذ القرآن ١٩٣ والبحر ٢٢٠٧ والكشاف ٣٥٥/٣.

(١٠) في «ب» من مادة واحدة. (١١) نقله السمين في الدر ٣٧٤/٤.

(١٢) انظر: اللباب ٣٤٣/١ ب. (١٣) انظر: القرطبي ١٥٢/١٤.

كَدَوَّرَانِ عَيْنِ الَّذِينَ يَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ قَرَبٍ مِنَ الْمَوْتِ وَغَشِيَّتُهُ أَسْبَابُهُ يَذْهَبُ عَقْلُهُ وَيَشْخَصُ بَصَرُهُ فَلَا يَطْرِفُ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَخْلَ شَبِيهَ الْجَبَنِ فَلَمَّا ذَكَرَ الْبَخِيلَ بَيْنَ سَبِيهِ وَهُوَ الْجَبَنِ لِأَنَّ الْجَبَانَ يَبْخُلُ بِمَالِهِ وَلَا يَنْفَقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَا يَتَوَقَّعُ الظُّفْرَ فَلَا يَرْجُو الْغَنِيمَةَ فَيَقُولُ هَذَا إِنْفَاقٌ لَا بَدَلَ^(١) لَهُ فَيَتَوَقَّفُ فِيهِ، وَأَمَّا الشَّجَاعُ فَيَتَيَقَّنُ^(٢) الظُّفْرَ وَالْإِغْتِنَامَ فِيهِمْ عَلَيْهِ إِخْرَاجُ الْمَالِ فِي الْقِتَالِ طَمَعاً فِيمَا هُوَ أَوْعَافُ ذَلِكَ^(٣).

قوله: «يَنْظُرُونَ» في محل (نصب)^(٤) حال من مفعول «رَأَيْتَهُمْ» لأن الرؤية بصرية^(٥).

قوله: «تدور» إما حال^(٦) ثانية وإما حال من «يَنْظُرُونَ»^(٧) «كَالَّذِي يُغْشَى» يجوز فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون حالاً من: «أَغْنِيَهُمْ» أي تدور أعينهم حال كونها مشبهة عين الذي يغشى عليه من الموت^(٨).

الثاني: أنه نعت مصدر مقدر لقوله «ينظرون» تقديره: ينظرون إليك نظراً مثل نظري الذي^(٩) يغشى عليه من الموت ويؤيده^(١٠) الآية الأخرى: «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظَرُ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» [محمد: ٢٠] المعنى يحسبون أي هؤلاء المنافقون يحسبون الأحزاب يعني قريشاً وَعَظَمَاءَ وَالْيَهُودَ «لَمْ يَذْهَبُوا» لم ينصرفوا عن قتالهم من غاية الجبن عند ذهابهم كأنهم غائبون حيث لا يقاتلون كقوله: «وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً» «وَأِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ» أي يرجعون إليهم للقتال بعد الذهاب^(١١) «يُودُوا» لو أنهم بادون في الأعراب من الخوف والجبن.

(قوله)^(١٢): «بَادُونَ» هذه قراءة العامة جمع «باد» وهو المقيم بالبادية يقال: بَدَا يَبْدُو بدواة إذا خرج إلى البادية^(١٣)، وقرأ عبد الله وابن عباس^(١٤) وطلحة وابن عمر بَدَى

(١) في «ب» لا بد له.

(٢) في «ب» متيقن.

(٣) ذكره في التفسير الكبير ٢٥/٢٠١ و ٢٠٢.

(٤) ساقطة من «أ».

(٥) حكاه أبو البقاء في التبيان ١٠٥٤ والبيان ٢/٢٦٦ والدر المصون ٤/٣٧٤.

(٦) ذكره ابن الأنباري في البيان المرجع السابق والسمين في الدر المرجع السابق.

(٧) البيان لأبي البقاء ١٠٥٤ وانظر المرجعين السابقين.

(٨) هذا رأي أبي البقاء في التبيان ٢/١٠٥٤ والدر المصون ٤/٣٧٤.

(٩) البحر المحيط ٧/٢٢٠ والدر المصون ٤/٣٧٤.

(١٠) في «ب» وأيده.

(١١) زيادة من «ب».

(١٢) قال في اللسان ٢٣٥: «تَبْدَى الرَّجُلُ: أَقَامَ بِالْبَادِيَةِ، وَتَبَادَى: تَشَبَّهَ بِأَهْلِ الْبَادِيَةِ».

(١٣) هو ابن مِصْرَفٍ وقد سبق التعريف به.

- بضم الباء وفتح الدال مشددة - مقصوراً^(١) كَغَارٍ وَغَزَى، وَسَارٍ وَسَرَى. وليس بقياس، وإنما قياسه في بادٍ وبُدَاةٍ، كَقَاضٍ وَقُضَاةٍ، ولكن حمل على الصحيح كقولهم: «ضُرِبَ»^(٢). وروي عن ابن عباس قراءة ثانية بزنة «عُدَى» وثالثة: «بَدُوا» فعلاً ماضياً^(٣).
(قوله)^(٤): «يَسْأَلُونَ» يجوز أن يكون مستأنفاً^(٥)، وأن يكون حالاً من فاعل «يَحْسَبُونَ»^(٦) والعامّة على سكون^(٧) السين بعدها «همزة»، ونقل ابن عطية عن أبي عمرو وعاصم بنقل حركة الهمزة إلى السين كقوله: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَهُمُ﴾ [البقرة: ٢١١]. وهذه ليست بالمشهورة عنهما، ولعلها نقلت عنهما شاذة، وإنما هي معروفة بالحسن والأعمش^(٨)، وقرأ زيد بن عليّ والجحدريّ وقتادة والحسن «يَسْأَلُونَ» بتشديد^(٩) السين والأصل «يَسْأَلُونَ» فأدغم، أي يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

فصل

«يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ» أخباركم، وما آل إليه أمركم «وَلَوْ كَانُوا» يعني هؤلاء المنافقين «فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً». أي يقاتلون قليلاً يقيمون به عذرهم فيقولون: قد قَاتَلْنَا، قال الكلبي: «إِلَّا قَلِيلاً» أي رمياً بالحجارة. وقال مقاتل: «إِلَّا رِيَاءً وَسُمْعَةً مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ»^(١٠).

(قوله) تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قرأ عاصم: «أُسْوَةٌ» بضم الهمزة حيث وَقَعَتْ هذه اللفظة والباقيون بكسرها^(١١). وهما لغتان كالغُدْوَةِ والغُدْوَةِ^(١٢) والقُدْوَةِ والقُدْوَةِ والأُسْوَةِ بمعنى الاقتداء أي قدوة صالحة، وهي اسمٌ وُضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ وهو «الايْتِسَاءُ» فالأُسْوَةُ مِنَ الْايْتِسَاءِ كَالْقُدْوَةُ مِنَ الْاِقْتِدَاءِ، وَاتَّسَى فُلَانٌ بِفُلَانٍ أَيِ اقْتَدَى بِهِ^(١٣)، وَأُسْوَةُ اسْمُ «كَانَ» وفي الخبر وجهان:

(١) ذكرها في القرطبي ١٥٥/١٤ و ١٥٤ وهي من القراءات الشاذة غير المتواترة، وقد ذكرها ابن خالويه في المختصر ١١٩ وقال: «يَأْذُونَ جمع سلامة ويُدَى جمع تكسير» ثم قال: «وروي عن ابن مسعود» وانظر كذلك المحاسب لابن جني ١٧٧/٢ وشواذ القرآن ١٩٣.

(٢) قاله السمين في الدر المصون ٣٧٥/٤.

(٣) ذكرها أبو حيان في بجره ٢٢١/٧ وذكر الرمخشي القراءة الأولى في الكشف ٢٥٦/٣.

(٤) ساقط من «أ» وزيادة من «ب». (٥) ذكره السمين في الدر ٣٧٥/٤.

(٦) المرجع السابق والثَّيْنَان ١٠٥٤. (٧) فتكون «يَسْأَلُونَ» وانظر البحر ٢٢١/٧.

(٨) المرجع السابق وانظر: معاني الفراء ٣٣٩/٢.

(٩) المرجعان السابقان والإتحاف ٣٥٤ والقرطبي ١٥٥/١٤ وهي قراءة يعقوب أيضاً في رواية رؤيس.

(١٠) حكاها القرطبي في المرجع السابق.

(١١) السبعة ٥٢٠ والإتحاف ٣٥٤ ومعاني الفراء ٣٣٩/٢.

(١٢) فالضم لقيس والحسن وأهل الحجاز يقرؤون إِسْوَةً - بالكسر - حكاها الفراء في معانيه ٣٣٩/٢.

(١٣) نقله السمين في الدر ٣٧٦/٤.

أحدهما: هو «لكم»^(١) فيجوز في الجار الآخر^(٢) وجوه: التعلق بما يتعلق به الخبر^(٣)، أي بمحذوف على أنه حال من «أُسْوَة»^(٤)؛ إذ لو تأخر لكان صفة أو «بكان» على مذهب من يراه^(٥).

الثاني: أن الخبر هو: «فِي رَسُولِ اللَّهِ» و «لَكُمْ» على ما تقدم في «رسول الله» أو يتعلق بمحذوف على التبيين أغني لكم^(٦).
قوله: «لِمَنْ كَانَ يَرْجُو» فيه أوجه:

أحدها: أنه بدل من الكاف في «لَكُمْ» قاله الزمخشري^(٧)، ومنعه أبو البقاء، وتابعه أبو حيان، قال أبو البقاء: وقيل: هو بدل من ضمير المُخَاطَبِ بإعادة الجار، ومنع منه الآخرون؛ لأن ضمير المخاطب لا يبدل منه^(٨). وقال أبو حيان^(٩): قال الزمخشري بدل من «لكم» كقوله: «أَسْتَضِعُّوْا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ» [الأعراف: ٧٥]. قال: ولا يجوز على^(١٠) مذهب جمهور البصريين أن يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب بدل شيء من شيء وهما لعين واحدة وأجاز ذلك الكوفيون والأخفش وأنشد:

٤٠٧٧ - بِكُمْ قُرَيْشٍ كُفَيْتَا كُلٌّ مُغْضِلَةٌ وَأَمْ نَهَجَ الْهُدَى مَنْ كَانَ ضَلِيلًا^(١١)

قال شهاب الدين: لا نسلم أن هذا بدل^(١٢) شيء من شيء وهما لعين واحدة، بل بدل بعض من كل باعتبار الواقع لأن الخطاب في قوله: «لَكُمْ» أعم من: «مَنْ كَانَ يَرْجُو» اللّه وغيره ثم خصص ذلك العموم لأن المتأسي به عليه (الصلاة^(١٣)) والسلام في الواقع إنما هم المؤمنون ويدل عليه^(١٤) ما قلته ظاهر تشبيه الزمخشري هذه الآية بآية الأعراف، وآية الأعراف البدل فيها بدل كل من كل ومجانب^(١٥) بأنه إنما قصد التشبيه في مجرد إعادة العامل.

(١) المرجع السابق وانظر كذلك التبيان ١٠٥٤.

(٢) وهو: «في رسول الله». (٣) وهو الاستفراق لا بأسوة.

(٤) قالهما السمين في الدر ٣٧٦/٤ وأبو البقاء في التبيان ١٠٥٥.

(٥) أي على مذهب من يرى أن كان وأخواتها تعمل في الخبر «جارًا وظرفًا».

(٦) قالهما أبو حيان في البحر ٢٢٢/٧ وأبو البقاء في التبيان ١٠٥٥ والسمين في الدر ٣٧٦/٤.

(٧) انظر: الكشف ٢٥٦/٣. (٨) التبيان ١٠٥٥.

(٩) البحر المحيط ٢٢٢/٧. (١٠) المرجع الأخير السابق.

(١١) البيت من بحر البسيط وهو مجهول قائله وشاهده في «بِكُمْ قُرَيْشٍ» حيث أبدل «قريشًا» من الكاف في «بكم» وعامة الجمهور لا يجيزه وأجازه الأخفش والكوفيون وعلى ذلك استشهدوا بهذا البيت. وقد تقدم.

(١٢) نقله شهاب الدين السمين في الدر ٣٧٦/٤ و ٣٧٧.

(١٣) زيادة من «ب». (١٤) في الدر: «ويدلك».

(١٥) في «ب» والسمين «ويجاب» بلفظ الفعلية.

والثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة «لِحَسَنَةٍ»^(١).

والثالث: أن يتعلق بنفس «حسنة» قالهما^(٢) أبو البقاء، ومنع أن يتعلق بأسوة قال: لأنها قد^(٣) وصفت و «كثيراً» أي ذكراً كثيراً^(٤).

فصل

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي قدوة صالحة أن تنصروا دين الله وتوازرروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كسرت رُبَاعِيَّتُهُ، وجرح وَجْهُهُ وقتل عمه، وأوذي بضروب من الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضاً، واستنوا بسنته «لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ» قال ابن عباس لمن كان^(٥) يرجو ثواب الله. وقال مقاتل: يخشى الله واليوم الآخر^(٦) أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال وذكر الله كثيراً في جميع المواطن على السراء والضراء، ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال: «وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ» لما بين حال المنافقين ذكر حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب وهو أنهم لما رأوا الأحزاب قالوا تسليماً لأمر الله وتصديقاً بوعده وهو قولهم: «هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، وقولهم «وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» ليس بإشارة إلى^(٧) ما وقع فإنهم كانوا يعرفون صدق الله قبل الوقوع وإنما هو إشارة إلى بشارة وهو أنهم قالوا: «هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ» وقد وقع صدق الله في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس «وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا» (عند وجوده)^(٨) ووعد الله إياهم ما ذكر في سورة البقرة: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ» إلى قوله: «أَلَا إِنَّ نَظْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء فلما (رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا)^(٩): هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً أي تصديقاً لله وتسليماً له.

قوله: «وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» من تكرير الظاهر تعظيماً كقوله:

(١) قال ابن الأنباري في البيان «الجار والمجرور في موضع رفع لأنه صفة «لأسوة» وتقديره: أسوة حسنة كائنة لمن كان يرجو الله ولا يجوز أن يتعلق بنفس «أسوة» إذا جعل بمعنى التأسى لأن «أسوة» وصفت وإذا وصف المصدر لم يعمل فكذلك ما كان في معناه». وانظر: البيان ٢/٢٦٧.

(٢) في «ب» قاله وهو خطأ وانظر التبيان ١٠٥٥.

(٣) المرجع السابق وانظر: الدر ٤/٣٧٦ و ٣٧٧.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) و (٦) ذكرهما القرطبي في تفسيره ١٤/١٥٦ وانظر كذلك زاد المسير ٦/٣٦٨.

(٧) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/٢٠٣.

(٨) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٩) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

٤٠٧٨ - لَا أَرَى الْمَوْتَ يَنْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ (١)

ولأنه لو أعادهما مضميرين لجمع بين اسم الباري تعالى واسم رسوله في لفظة واحدة فكان يقال: «وصدقا»، والنبى - ﷺ - قد كره ذلك ورد على من قال حيث قال: مَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى فقال له بشس خطيبُ القوم أنت قل: ومن يعص الله ورسوله قصداً إلى تعظيم^(٢) الله. وقيل إنما رد عليه لأنه وقف على «يَعْصِيهِمَا» وعلى الأولى استشكل بعضهم قوله: «حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»^(٣) فقد جمع بينهما في ضمير واحد وأجيب: بأن النبى - ﷺ - أعرف بقدر الله منا فليس لنا أن نقول كما يقول.

قوله: «وَمَا زَادَهُمْ» فاعل «زادهم» ضمير الوعد أي وما زادهم وعد الله أو الصدق. وقال مكى ضمير^(٤) النظر لأن قوله «لما رأى» بمعنى لما نظر. وقال أيضاً: وقيل ضمير الرؤية^(٥)، وإنما ذكر لأن تأنيثها^(٦) غير حقيقي ولم يذكر غيرهما، وهذا عجيب منه حيث حَجَرُوا واسعاً^(٧) مع الغنية عنه. وقرأ ابن أبي عبله «وما زادوهم» بضمير الجمع^(٨)، ويعود للأحزاب لأن النبى - ﷺ - أخبرهم أن الأحزاب يأتهم بعد عشر أو تسع. قوله: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» ووفوا به.

قوله: «صَدَقُوا» صدق يتعدى لاثنتين لثانيهما بحرف الجر^(٩)، ويجوز حذفه^(١٠) ومنه المثل: «صَدَقْنِي سِنَّ بُكَرَةٍ»^(١١) أي في سن. والآية يجوز أن تكون من هذا، والأول محذوف أي صدقوا الله فيما عاهدوا الله عليه، ويجوز أن يتعدى لواحد كقولك «صَدَقْنِي

(١) هو من الخفيف وهو لعدي بن زيد، وعجزه:

نَقَضَ الْمَوْتَ ذَا الْبَيْتِ وَالْفَقِيرَ

وشاهده: تكرير كلمة الموت تأكيداً واهتماماً به أو نقول وضع الظاهر موضع المضمرة فكان من الإمكان القول «لا أرى الموت يسبقه شيء» وهنا هو المألوف عادة ولكنه خرج هنا عنها لغرض بلاغي وهو الاهتمام بالأمر وتأكيده، وقد عدوه من الضرورات الشعرية. وقد تقدم.

(٢) صحيح البخاري ٧/١ و ٣٩/٤. (٣) مشكل الإعراب ١٩٥/٢.

(٤) السابق.

(٥) في «ب» لأن باعثهما وانظر: البيان ٢/٢٦٧ ومعاني الفراء ٢/٣٤٠.

(٦) يريد أن هذين الوجهين مشهوران عن غيره وقد نسبهما أي مكى لنفسه وفي الحديث: «لقد تَحَجَّرَتْ وأسعاً» أي ضيقت ما وسعه الله وخصصت به.

(٧) ذكرهما أبو حيان في البحر المحيط ٧/٢٢٣.

(٨) قاله السمين في الدر ٤/٣٧٨. (٩) أي حذف حرف الجر.

(١٠) ذكره الميداني في مجمع الأمثال وهو يضرب للصادق في قوله. وله قصة انظر: المجمع للميداني ٢/٢١٢، واللسان: «ص د ق» ٢٤١٧، وشاهده: تعدي «صدق» للمفعول الثاني المجيء بحرف جر

والذي حذف جوازاً وهو «سن» حيث كان «في سن» فحذفت «في» جوازاً.

(١١) قاله أبو حيان في البحر ٧/٢٢٣، والسمين في الدر ٤/٣٧٨.

رَبِّدْ، وَكَذَّبَنِي عَمْرُو» أي قال لي الصدق وقال الكذب، ويكون المعاهد عليه مصدوقاً مجازاً كأنهم قالوا للشيء المعاهد عليه لتوفين بك وقد فعلوا^(١) و «ما» بمعنى الذي، ولذلك عاد عليها الضمير في «عليه»^(٢)، وقال مكّي «ما» في موضع نصب «بصدقوا» وهي والفعل مصدر تقديره «صَدَّقُوا» العهد أي وفوا به^(٣). وهذا يرده عود المضير إلا أن الأخفش وابن السراج^(٤) يذهبان إلى اسمية «ما» المصدرية.

(قوله^(٥)): «قَضَى نَحْبَهُ» النحب ما التزمه الإنسان واعتقد الوفاء به قال:

٤٠٧٩ - عَشِيَّةَ فَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَمَا قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبَرٍ
وقال:

٤٠٨٠ - بِطَخْفَةٍ جَالِذْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلَنَا عَشِيَّةَ بَسْطَامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبٍ^(٧)

أي على أمر عظيم، ولهذا يقال: نحب فلان أي نذر نذراً التزمه ويعبر به عن الموت كقولهم «قَضَى أَجَلُهُ»^(٨) لما كان الموت لا بد منه جعل كالشيء الملتزم والنحب البكاء معه صوت.

فصل

قال المفسرون معنى «صَدَّقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» أي وفوا بعهدهم الذي عاهدوا الله «فَمِنْهُمْ نَحْبَهُ» أي فرغ من نذره ووفاه بعهده فصبر على الجهاد وقاتل حتى قتل

(١) المرجعان السابقان.

(٢) انظر: مشكل الإعراب لمكي ١٩٥/٢ ثم البيان ١٦٧/٢.

(٣) هو أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج كان أحد العلماء المذكورين وأئمة النحو المشهورين أخذ عن أبي العباس المبرد وأخذ عنه الزجاجي والسيرافي وغيرهما مات سنة ٣١٠ هـ انظر: نزهة الألباء ١٦٦.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) قاله القرطبي في ١٥٨/١٤ و ١٦٠ وغريب القرآن ٣٤٩ وتأويل مشكل القرآن - وكلاهما لابن قتيبة ١٨٣.

(٦) هو من بحر الطويل وهو لذي الرمة، ويروى: «في ملتقى الخَيْل» بدل «القوم» وهو يفتخر بشجاعة قومه وإقدامهم. و«هوبر» اسم رجل والشاهد في «نحبه» فهو هنا بمعنى الوفاء والأجل والعهد الذي التزم الإنسان به على نفسه وهو الشاهد المراد وهناك شاهد آخر لا صلة لنا به الآن وهو حذف المضاف دون ما دليل يدل عليه وهو من ضرورات الشعر التي لا يقاس عليها والأصل: ابن هوبر فحذف «ابن» وهذا قد يؤدي إلى اللبس انظر: ابن يعيش ٢٤/٣ والقرطبي ١٦٠/١٤ برواية «الخيل» وفتح القدير ٢٧١/٤ والهمع ٥١/٢ والطبري ٢١ ص ٩٢، والدر المصون ٣٧٨/٤.

(٧) البيت من الطويل وهو لجريز وطخفة مكان وبسطام: يوم لهم وشاهده «نحب» فإن المعنى الخطر العظيم وانظر: ديوانه ٨٢ واللسان: «ن ج ب» ٤٣٦٢ والبحر ٢٠٨/٧، وفتح القدير ٢٧١/٤ ومجمع البيان ٥٤٨/٧ والدر المصون ٣٧٨/٤.

(٨) قاله الفراء في معانيه ٣٤٠/٢ والزمخشري في الكشاف ٢٥٦/٣.

والنحيب^(١) النذر قال القرطبي: مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ^(٢) أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه، وقيل: قضى نحبه أي^(٣) بذل جهده في سبيل الوفاء بالعهد من قول العرب «نحب فلان في سيره يومه وليته أجمع» إذا مد فلم ينزل «وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» الشهادة يعني من بقي من المؤمنين ينتظرون أحد أمرين إما الشهادة أو النصر «وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» بخلاف المنافقين فإنهم قالوا: لا نولي الأديار وبدلوا قولهم وولوا أديارهم.

قوله: «لِيَجْزِيَ اللَّهُ» فيه وجهان:

أحدهما: أنها لام العلة.

والثاني: أنها لام الصيرورة، وفيما يتعلق به أوجه إما «بَصَدَقُوا» وإما «بَرَّادَهُمْ» وإما بَمَا بَدَّلُوا^(٤) وعلى هذا قال الزمخشري: جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلها، والمعنى ليجزي الله الصادقين بصدقهم أي جزاء صدقهم وهو الوفاء بالعهد. «وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ» أي الذين كذبوا وأخلفوا، وقوله: «إِنْ شَاءَ» ذلك فيمنعهم من الإيمان أو يتوب عليهم إن أراد («أو»^(٥)) وجواب إن شاء مقدر وكذلك مفعول «شاء» أي إن شاء تعذيبهم عَذَّبَهُمْ^(٦) فإن قيل: عذابهم متحتم فيكف يصح تعليقه على المشيئة وهو قد شاء تعذيبهم إذا ماتوا على النفاق؟! فأجاب ابن عطية بأن تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم، والعقوبة^(٧) موازية لتلك الإقامة وثمره التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان إقامة على نفاق، أو توبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب أو رحمة فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هاتين وواحدة (من^(٨) هاتين) ما ذكر على ما ترك ذكره، ويدل على أن معنى قوله: «لِيُعَذِّبَ» ليدم على النفاق، قَوْلُهُ: «إِنْ شَاءَ» ومعادلته بالتوبة وحرف «أو»^(٩). قال أبو حيان وكان ما ذكر يؤول إلى أن التقدير: ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه إن شاء فيعذبهم أو يتوب عليهم فيرحمهم فحذف سبب التعذيب وأثبت المسبب وهو التعذيب^(١٠)، وأثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب وهو الرحمة والغفران،

(١) في القرطبي ١٤/١٥٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) السابق.

(٤) الدر المصون ٤/٣٧٩ وانظر: البحر ٧/٢٢٣ والكشاف ٣/٢٥٧.

(٥) زيادة لا معنى لها. (٦) قاله السمين في الدر المصون ٤/٣٧٩.

(٧) في البحر والسمين و «ب» والتوبة دون العقوبة.

(٨) في المرجعين السابقين ولكنه ساقط من «ب».

(٩) انظر: البحر ٧/٢٢٣ والدر المصون ٤/٣٧٩.

(١٠) المرجع السابق قال: وهذا من الإيجاز الحسن البحر ٧/٢٢٣.

وقال ابن الخطيب إنما قال ذلك حيث لم يكن قد حصل ما بين^(١) النبي - ﷺ - عن إيمانهم وآمن بعد ذلك ناس «وكان الله غفوراً» حيث ستر ذنبهم و «رحيماً» حيث رحمهم ورزقهم الإيمان فيكون هذا فيمن آمن بعده. أو نقول «ويعذب المنافقين» مع أنه كان غفوراً رحيماً لكثرة ذنوبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك لغفر لهم ثم بين بعض ما جزاهم^(٢) الله على صدقهم فقال: «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ» وهم قریش وغطفان ردهم بغیظهم لم تُشَفَّ صدورهم بنیل ما أرادوا لم ينالوا خيراً «ظفراً» وكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بِالْمَلَائِكَةِ وَالرَّيْحِ أَي لَمْ يَحْجُوجْهُمْ إِلَى الْقِتَالِ «وكان الله قوياً» في ملكه غير محتاج إلى قتالهم «عزیزاً» في انتقامه قادراً على استئصال الكفار.

قوله: «بَغَيْظِهِمْ» يجوز أن تكون الباء سببية وهو الذي عبر عنه أبو البقاء بالمفعول أي^(٣) أنها مُعْدِيَةٌ..

والثاني: أن تكون للمصاحبة^(٤) فتكون حالاً أي مَغِيظِينَ.

قوله: «لم ينالوا»^(٥) خيراً» حال ثانية أو حال من الحال الأولى فهي متداخلة، ويجوز^(٦) أن تكون حالاً من الضمير المجزور^(٧) بالإضافة. وجوز الزمخشري فيها أن تكون بياناً للحال الأولى أي مستأنفة^(٨)، ولا يظهر البيان إلا على البدل والاستئناف بعيد^(٩).

قوله: «وَأَنْزَلَ الَّذِينَ» أي أنزل الله الذين «ظَاهَرُوهُمْ» أي عاونوا الأحزاب من قریش وغطفان على رسول الله - ﷺ - والمسلمين وهم بنو قريظة^(١٠).

قوله: «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» بيان للموصول فيتعلق بمحذوف^(١١)، (ويجوز أن يكون^(١٢) حالاً) «مِنْ صَيَاصِيهِمْ» متعلق «بأنزل» و «من» لابتداء الغاية^(١٣)، والصياصي جمع صَيْصِيَّةٍ^(١٤) وهي الحصون والقلاع والمعازل ويقال لكل ما يمتنع به ويتحصن

(١) في تفسيره «يأس النبي».

(٢) وفيه: «جزاهم» بصيغة التفاعل وانظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢٠٤.

(٣) قال في التبيان ١٠٥٥ «يجوز أن يكون حالاً، وبأن يكون مفعولاً».

(٤) و (٥) و (٦) أقوال شهاب الدين السمين في الدر ٤/٣٧٩ والحال المتداخلة التي تدخل تحت الأولى كالجملية الصغرى التي تحت الكبرى.

(٧) من «بغیظهم».

(٨) قال في الكشف ٣/٢٥٧: «ويجوز أن تكون الثانية بياناً للأولى أو استئنافاً».

(٩) قاله أبو حيان في رده عليه في البحر ٧/٢٢٤ وكذلك السمين في الدر ٤/٣٧٩.

(١٠) قاله الإمام القرطبي في الجامع ١٤/١٦١.

(١١) قاله في السمين ٤/٣٧٩.

(١٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) قاله في اللسان «صيا» ٢٥٣٩ وانظر المجاز ٢/١٣٦.

«صَيْصِيَّةٌ» ومنه قيل لقرْن الثَّوْرِ ولشوكه الديك: صَيْصِيَّةٌ، والصَّيَاصِي أيضاً شوك الحاكّة، ويتخذ من حديد قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ:

٤٠٨١ - كَوَقَعَ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ^(١)

قوله: «وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِم الرُّعْبَ» حتى سلموا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسي.

قوله: «فَرِيقًا تَقْتُلُونَ» منصوب بما بعده وكذلك «فَرِيقًا» منصوب بما قبله^(٢)، والجملة مبنية ومقررة لقذف الرعب في قلوبهم والعامة على الخطاب في الفعلين، وابن ذكوان^(٣) - في رواية - بالغية فيهما^(٤)، واليماني بالغية في الأول فقط^(٥)، وأبو حيوة «تَأْسُرُونَ»^(٦) بضم السين.

فإن قيل: ما فائدة التقديم تقديم المفعول في الأول حيث قال: تقتلون وتأخيره حيث قال «وتأسرون فريقاً»؟!

فالجواب: قال ابن الخطيب إن القائل يبدأ بالأهم فالأهم والأقرب فالأقرب والرجال كانوا مشهورين وكان القتل وارداً عليهم والأسراء كانوا هم النساء والذَّرَارِي^(٧) ولم يكونوا مشهورين^(٨) والسي والأسر أظهر من القتل لأنه يبقى فيظهر لكل أحد أنه أسير فقدم من المحلّين ما هو أشهر على الفعل القائم به ومن الفعلين ما هو أشهر قدمه

(١) هذا عجز بيت من الطويل له صدره:

وَمَا رَاعَيْنِي إِلَّا الرَّمَاحُ تُنَوِّشُهُ

ويروي: فجئت إليه والرماح تنوشه، ويزي أيضاً: غداة دعاني والرماح يشنه والبيت كناية عن شدة البأس والبلاء في الحرب لأن معناه أن رماح القوم اجتمعت عليه تتناوله بالطنن ليتأكد موته والشاهد: «الصياصي» حيث استعملت في تلك الآلة التي تتخذ من حديد وانظر: مجاز القرآن ١٣٦/٢ والدر المصون ٣٨٠/٤ والأصمعيات ١٠٩، والقرطبي ١٦١/١٤ برواية «فجئت إليه» وانظر: اللسان «ص ي أ» ٣٥٣٩ و «ن و ش» ٤٥٧٥ و «ص ي ص» والأغاني ٤/٩.

(٢) قاله أبو البقاء ١٠٥٦ والسمين ٣٨٠/٤.

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن ذكوان أبو الزناد فقيه المدينة سمع أنساً، وأبا أمامة وعنه السفيانان والليث مات سنة ٩٣١ هـ، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٤/١ وانظر: البحر ٢٢٥/٧.

(٤) في «تقتلون» و «تأسرون».

(٥) الذي ذكره ابن خالويه في الشواذ ١١٩ أن اليماني يقرأ بالغية في الثاني وهو «تأسرون» وليس في الأول وهو «تقتلون» ولعل ما ذكره المؤلف - تبعاً للسمين - سهو أراد الثاني وقصد الأول سهواً فالله أعلم.

(٦) المرجع السابق ١١٩ ومعاني الفراء ٣٦/٢ فقد قال «وتأسرون» لغة ولم يقرأ بها أحد فعلى ذلك تكون شاذة الرواية.

(٧) هم الولد قال في اللسان: «وذرية الرجل ولده والجمع الذراري والذريرات» انظر: اللسان ١٤٩٤.

(٨) تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢٠٤ و ٢٠٥.

على المحل الخفي ووجه آخر وهو أن قوله «فريقاً تقتلون» فعل ومفعول والأصل في الجمل الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل أما أنها جملة فعلية فلأنها لو كانت اسمية لكان الواجب في «فريق» الرفع، كأنه يقول فريق منهم تقتلونهم (فلما نصب^(١)) كان ذلك بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره: «تقتلون فريقاً تقتلون» والحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول، وههنا كذلك لأنه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وأنه قد قذف في قلوبهم الرعب فلو قال: تقتلون أوهم أن يسمع السامع مفعول «تقتلون» يكون زمان وقد يمنعه مانع فيقوته ولا يعلم أيهم هم المقتولون فأما إذا قال: «فريقاً» سبق في قلوبهم الرعب إلى سمعهم فيستمع إلى تمام الكلام، وإذا كان الأول فعلاً ومفعولاً قدم المفعول لفائدة عطف الجملة الثانية عليها على الأصل (فعدم)^(٢) تقديم الفعل لزوال موجب التقديم إذ عرف حالهم وما يجيء بعده يكون مصروفاً إليهم فلو قال بعد ذلك: «وَفَرِيقاً تَأْسُرُونَ» فمن سمع «فريقاً» ربما يظن أنه يقال فيهم يطلقون أو لا يقدرعون عليهم فكان تقديم الفعل ههنا أولى وكذا الكلام في قوله: «وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ»^(٣) وقوله: «قذف»، فإن قذف الرعب قبل الإنزال لأن الرعب صار سبيل الإنزال ولكن لما كان الفرع في إنزالهم أكثر قدم الإنزال على قذف الرعب^(٤) والله أعلم.

فصل

فريقاً تقتلون هم الرجال قيل: كانوا ستمائة، و «تأسرون فريقاً» وهم النساء والذراري، قيل: كانوا سبعمائة وخمسين، وقيل تسعمائة «وَأَوْزَتْكُمْ أَرْضُهُمْ» وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها» بعد؛ قال ابن زيد ومقاتل يعني خيبر^(٥) وقال قتادة^(٦): كنا نحدث أنها مكة، وقال الحسن^(٧): فارس والروم وقيل: القلاع وقال عكرمة^(٨): كل أرض تفتح إلى يوم القيامة.

قوله: «لَمْ تَطْئُوهَا» الجملة صفة «لأرضاً»^(٩) والعامية على همزة مضمومة ثم واو ساكنة، وزيد بن علي «تَطْؤُهَا» بواو بعد طاء مفتوحة^(١٠) ووجهها أنها كبذل الهمزة ألفاً على الإسناد كقوله:

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» وهو في المرجع السابق.

(٢) زيادة يقتضيها المعنى وهي في الفخر الرازي.

(٣) ساقط من «ب». (٤) المرجع السابق.

(٥) في القرطبي نسب هذا الرأي إلى هؤلاء على أنها «حين» ١٤ / ١٦١. وما في زاد المسير ٦ / ٣٧٥ يوافق ما قاله المؤلف.

(٦) و (٧) و (٨) المرجعان السابقان.

(٩) قاله السمين ٤ / ٣٨٠.

(١٠) هذه قراءة عشرية متواترة أوردها البناء في الإتحاف ٣٥٤ وأبو حيان في البحر ٧ / ٢٢٥ وهو وجه شاذ كما سيتبين بعد.

٤٠٨٢ - إِنَّ الْأَسْوَدَ لَشَهِدَى فِي مَرَابِضِهَا (١)

فلما أسنده^(٢) للواء التقى ساكنان محذوف أولهما نحو «لم تَرَوْهَا» وهذا أحسن من أن تقول ثم أجرى الألف المبدلة من الهمزة مجرى الألف المتأصلة فحذفها جزماً لأن الأحسن هناك أن لا يحذف اعتداداً بأصلها^(٣)، واستشهد بعضهم على الحذف بقول زهير:

٤٠٨٣ - جَرِيءٌ مَتَى يُظْلَمَ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ سَرِيعاً وَإِلَّا يُبَدَّ بِالظُّلْمِ يُظْلِمُ^(٤)

قوله: «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» هذا يؤكد قول من قال: إن المراد من قوله: «وأرضاً لم تطووها» ما يؤخذ^(٥) بعد من بني قريظة لأن الله تعالى لما ملكهم تلك البلاد ووعدهم بغيرها دفع استبعاد^(٦) من لا يكون قوي الاتكال على الله تعالى وقال أليس الله ملككم هذه فهو على كل شيء قدير يملككم غيرها، روى أبو هريرة - أن رسول الله - ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده»^(٧).

قوله تعالى: ﴿يَكَايُهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَنَعَالَيْتُ أُمَتَّعَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَن يَأْتِي مِّنكُنَّ

(١) هذا صدر بيت من البسيط لابن هرمة، وعجزه:

وَالنَّاسُ لَا يُشْهَدَى مِنْ شَرِّهِمْ أَبَدًا

والبيت في ذم حال الناس وقد رواه ابن منظور في اللسان:

إِنَّ السَّبَاعَ لَشَهِدَا عَنْ فَرَائِسِهَا وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرِّهِمْ أَبَدًا

وشاهده تخفيف الهمزة في «هَذَا» تخفيفاً على غير قياس لأنها مفردة متحركة وقبلها متحرك والتخفيف بقلبها ألفاً محضة إنما هو غير قياس ويؤخذ سماعاً فالقياس أن تكون بين بين. وانظر: الخصائص ٣/ ١٥٢ واللسان «هـ د أ» ٤٦٢٨ والبحر المحيط ٧/ ٢٢٥ والممتع لابن عصفور ٣٨٢ والدر المصون ٧/ ٣٨٠، والتاج «هـ د أ».

(٢) وهو الفعل «وطىء» قال في اللسان ويطىء الشيء يَطْوُهُ وَطْناً دَأَسَهُ قَالَ سيبويه: أما وَطِىءَ يَطَأُ فَيْثَلٌ وَرِمٌ يَرِمُ وَلَكِنَّهُمْ فَتَحُوا فَيَعْلُ وَأَصْلُهُ الْكَسْرُ. اللسان: «وطأ» ٤٨٦٢.

(٣) قاله السمين في الدر ٤/ ٣٨١.

(٤) من الطويل له في مدح الحسين بن ضمضم وشاهده: «يبد» حيث حذف الألف المنقلبة عن الهمزة فهي «يبدأ» وعاملها كالألف المتأصلة وحذفها للجزم وحري بالقول أن الفعل مجزوم لأنه وقع بعد فعل شرط وقد يقال عن ذلك: إن الهمزة حذفت بحركتها للوزن الشعري. على أنه ورد عن الأنصار: بَدِيتُ بِالشَّيْءِ أَيِ قَدَمْتُهُ فَهَذَا مِنْهُ. وقد تقدم.

(٥) في «ب» سيؤخذ. (٦) في «ب» استبطان.

(٧) الحديث تقدم.

يَفْحَشَةً مُبَيَّنَةً يَضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾
 وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ خَيْرًا فَلْيَحْذَرِ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْيُسْأَلَ عَنْ فِعْلِهِ فَيُخْبَرُ بِهِ ﴿٣١﴾
 وَيَسْأَلُ النَّبِيُّ لِسِتْنِ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ آتَيْتُمْ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
 فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
 الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
 لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي
 بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ
 وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
 وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ
 وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا
 ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
 وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الآية وجهه
 التعلق (هو) ^(١) أن مكارم الأخلاق ^(٢) منحصرة في شيئين التعظيم لأمر الله والشفقة على
 خلق الله وإلى هذا أشار عليه (الصلاة) ^(٣) و السلام بقوله: «الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ» ^(٤) فالله (تعالى) ^(٥) لما أرشد نبيه إلى ما يتعلق بجانب التعظيم لله بقوله: «يَأْيُهَا
 النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ» ذكره ما يتعلق بجانب الشفقة وبدأ بالزوجات فإنهن أولى الناس ^(٦) بالشفقة
 ولهذا قَدَّمَهُنَّ فِي النِّفَقَةِ.

فصل

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية نساء النبي - ﷺ - (سَأَلَتْهُ) ^(٧) عن عرض
 الدنيا (شيئاً) ^(٨) وطلب من زيادة في النفقة وأذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن ^(٩)
 رسول الله - ﷺ - وألَى أن لا يقربهن شهراً ولا يخرج إلى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا
 يقولون طلق رسول الله - ﷺ - نساءه فقال عمر: لأَعْلَمَنَّ لَكُمْ شأنه قال: فدخلت على
 رسول الله - ﷺ - فقلت يا رسول الله: أطلقتهن قال: لا، فقلت: يا رسول الله إني

(٢) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ٢٥٠/٢٥.

(٤) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) ذكره الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٦/٦.

(١) زيادة من «أ» عن «ب».

(٣) زيادة من «ب».

(٥) ساقط من «ب».

(٧) ساقط من «ب».

دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله - ﷺ - نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن قال: نعم إن شئت فقم على باب المسجد فنأديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله - ﷺ - نساءه ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذْكُوا بِدُعَاؤِ اللَّهِ إِلَى الْرَّسُولِ وَالرَّسُولُ يَكُونُ أَوَّلَهُم مِّنَ الْأَمْرِ وَلَئِنَّ أَكْثَرَهُمْ خِلَافٌ رَّسُولَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٨٣] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله آية التخيير وكانت تحت رسول الله - ﷺ - يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أمية، وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله - ﷺ - بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها فقرأ عليها (القرآن) ^(١) فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة. ورؤي الفرح في وجه رسول الله - ﷺ - وتابعتها على ذلك، قال قتادة فلما اختزن الله ^(٢) ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال: «لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ». وعن جابر بن عبد الله قال ^(٣): دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله - ﷺ - فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لواحد ^(٤) منهم قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي - ﷺ - جالساً حوله نساؤه واجماً ^(٥) ساكناً قال: فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خاتمة النفقة فقمتم إليها فوجأت عنقها فضحك النبي - ﷺ - وقال: من حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول ^(٦): تسألن رسول الله - ﷺ - شيئاً أبداً ليس عنده ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين يوماً ثم نزلت هذه الآية: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ» حتى بلغ «لِّلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا» قال: فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أعرض عليك أمراً لا أحب أن تعجلي حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي ^(٧) قلت، قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معتنياً ^(٨) ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً. وروى الزهري

(١) سقط من «ب». (٢) قاله ابن الجوزي في تفسيره ٣٧٨/٦.

(٣) رواه الإمام البخاري ومسلم واللفظ للإمام مسلم انظر: صحيح مسلم «باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن» ١١٠٥/٢ و ١١٠٦ وانظر: الدر المنثور للسيوطي ١٩٤/٥ وقد زاد نسبه للإمام أحمد والنسائي وابن مردويه عن جابر، وانظر القرطبي ١٦٢/٤ و ١٦٣.

(٤) في صحيح مسلم «لأحد منهم» وهو ما في «ب».

(٥) في «ب» ورجع ساكناً وهو خلاف ما في مسلم وغيره.

(٦) في «ب» لا تسألن بالنفي وهو بخلاف ما في المراجع.

(٨) في «ب» مفتناً ولا متفتناً.

(٧) في «ب» و «أ» ما الذي بصيغة الاستفهام.

أن النبي - ﷺ - أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهراً قال الزهري: فأخبرني عروة عن عائشة قالت^(١): فلما مضت تسع وعشرون أعدهن دخل علي رسول الله - ﷺ - فقالت: بدأ بي فقلت: يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال: إن الشهر تسع وعشرون.

فصل

اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا؟ فذهب الحسن وقادة^(٢) وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض للطلاق، وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنِ أُمْتَمِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ﴾ ويدل عليه أنه لم يكن جوابهن على الفور فإنه قال لعائشة: «لا تعجلي حتى تستشيري أبويك» وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور. وذهب آخرون إلى أنه كان تفويض طلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقاً، واختلف العلماء في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس إذا خير رجل امرأته فاخترت زوجها لا يقع شيء^(٣)، ولو اختارت نفسها وقع طلاق واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى^(٤) وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي إلا أن عند أصحاب الرأي تقع طلاقاً بائنة^(٥) إذا اختارت نفسها، وعند الآخرين رجعية، وقال زيد بن ثابت: إذا اختارت الزوج يقع طلاق واحدة وإذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن، ورواية عن مالك^(٦). وروي عن علي أيضاً أنها إذا اختارت زوجها يقع طلاقاً^(٧) واحدة وإذا اختارت نفسها فطلاقاً ثانية، وأكثر العلماء^(٨) على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء لما روت

(١) في «ب» قال:

(٢) ذكره الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٧٠ وقال: ومن الصحابة علي فيما رواه عنه أحمد بن حنبل أنه قال: لم يخير رسول الله - ﷺ - نساء إلا بين الدنيا والآخرة.

(٣) هذا رأي علماء الصحابة ومن علماء التابعين الذين اختاروا هذا الرأي عطاء ومسروق، وسليمان بن يسار وربيعة وابن شهاب وانظر: المرجع السابق ١٤/ ١٧١.

(٤) ابن أبي ليلى: عبد الرحمن الأنصاري الأوسي أبو عيسى الكوفي عن عمر ومعاذ وبلال وأبي ذر، أدرك مائة وعشرين من الصحابة الأنصاريين وعنه ابنه عيسى ومجاهد وعمرو بن ميمون مات سنة ٨٣ هـ، انظر: الخلاصة ٢٣٤.

(٥) وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ورواه ابن خزيمة عن مالك. القرطبي ١٤/ ١٧١.

(٦) هو الإمام مالك بن أنس أحد أئمة المذاهب الأربعة الذين كان لهم فضل في معرفة الدين وأحكامه الفقهية وانظر المرجع السابق وحجة مالك ومن معه أن الملك إنما يكون بذلك.

(٧) رجعية كما روي عنه أنها إذا اختارت نفسها فليس بشيء، انظر: المرجع السابق.

(٨) وهو الصحيح، لقول عائشة الأعلى الذي أخرجه الصحيحان البخاري ومسلم، وقد قال ابن المنذر: وحديث عائشة يدل على أن المخيرة إذا اختارت نفسها أنها تطليقة يملك زوجها رجعتها إذ غير جائز أن يطلق رسول الله - ﷺ - بخلاف ما أمره الله. الجامع ١٤/ ١٧١.

عائشة قالت: خيرنا رسول الله - ﷺ - فاخترنا الله ورسوله فلم يعد ذلك شيئاً.

قوله: «أُمْتَعُكُنَّ وَأَسْرُحُكُنَّ» العامة على جزمهما، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه مجزوم على جواب الشرط، وما بين الشرط وجوابه^(١) معترض، ولا يضر دخول الفاء على جملة الاعتراض ومثله في دخول الفاء قوله:

٤٠٨٤ - وَاعْلَمَ فَعِلْمُ الْمَرْءِ يَثْقَعُهُ أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَ^(٢)

يريد: واعلم أن سوف يأتي.

والثاني: أن الجواب قوله «فتعالين» و «أمتعن» جواب لهذا الأمر، وقرأ زيد بن علي «أُمْتَعُكُنَّ» بتخفيف التاء من «أمتعه»^(٣) وقرأ حُمَيْدُ الْحَزَّازُ^(٤) «أُمْتَعُكُنَّ وَأَسْرُحُكُنَّ» بالرفع فيهما على الاستئناف^(٥) و «سَرَّاحاً» قائم مقام التَّسْرِيحِ.

فصل

قال ابن الخطيب: وههنا^(٦) مسائل منها هل كان هذا التخيير واجباً على النبي ﷺ^(٧) أم لا والجواب أن التخيير كان قولاً واجباً من غير شك لأنه إبلاغ للرسالة لأن الله تعالى لما قال (له)^(٨): «قل لهم» صار من الرسالة، وأما التخيير معنى فمبني على أن الأمر للوجوب أم لا، والظاهر أنه للوجوب ومنه أن واحدة منهم لو اختارت الفراق هل كان يصير اختيارها فراقاً. والظاهر أنه لا يصير فراقاً وإنما تبين المختارة نفسها فإنه من جهة النبي عليه^(٩) السلام لقوله: «فَتَعَالَيْنِ أُمْتَعُكُنَّ وَأَسْرُحُكُنَّ سَرَّاحاً جَمِيلاً» ومنها أن واحدة منهن لو اختارت نفسها وقلنا إنها لا تبين إلا بلبانة النبي - ﷺ - فهل كان يجب على النبي عليه (الصلاة)^(١٠) (و) السلام الطلاق أم لا؟ الظاهر نظراً إلى منصبه عليه (الصلاة)^(١١) (و) السلام أنه كان طلاقاً لأن الخُلْفَ في الوعد من النبي غير جائز بخلاف أحدنا فإنه لا يلزمه شرعاً الوفاء بما يعد، ومنها أن المطلقة بعد البيونة هل كانت تحرم

(١) ذكرها السمين في الدر ٣٨١/٤ وفيه «وجزائه» بدلاً من «وجوابه».

(٢) البيت من تام الكامل وهو مجهول القائل. وانظر: البحر المحيط ٢٢٧/٧ وشذور الذهب ٣٤٧، ومعاهد التنصيص ١٢٨/١ والأشْمُونِي ٢٩٢/١ والهمع ١٤٨/١ وشرح شواهد المغني ٨٢٨ والمغني ٣٩٨ وشواذ القرآن «١٩٣» و «١٩٤».

(٣) ذكرها أبو حيان في بحره ٢٢٧/٧ وانظر: شواذ القرآن ١٩٤ للكرماني.

(٤) هو حميد بن ربيع أبو القاسم السابوري الحزّاز، روى القراءة عن الكسائي وعنه محمد بن إسحاق السراج غاية النهاية ٢٦٥/١.

(٥) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١١٩ وانظر ما سبق من المراجع.

(٦) الرازي ٢٥/٢٠٥ و ٢٠٦.

(٧) ساقط من «ب».

(٨) كذلك.

(٩) في «ب» ﷺ.

(١٠) و (١١) زيادة من نسخة «ب».

على غيره أم لا؟ والظاهر أنها لا تحرم وإلا لم يكن التخيير ممكناً لها من التمتع بزينه الدنيا ومنها أن من اختارت الله ورسوله هل كان يحرم على النبي عليه (الصلاة^(١)) والسلام طلاقها أم لا؟ الظاهر الحرمة نظراً إلى منصب الرسول عليه السلام على معنى أن النبي - ﷺ - يتمتع منه أصلاً لا بمعنى أنه لو أتى به لغوّب أو لغوّب.

قوله: «أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ» أي من عمل صالحاً منكن كقوله تعالى: «وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ» [لقمان: ٢٢] والأجر العظيم: الكثير الزائد في الطول وفي العرض وفي العمق حتى لو كان زائداً في الطول يقال له طويل ولو كان زائداً في العرض يقال له: عريض وكذلك العميق فإذا وجدت (منه) الأمور الثلاثة قيل عظيم، فيقال: جبل عظيم إذا كان عالياً ممتداً في الجهات، وإن كان مرتفعاً حيث يقال: جبل عال. إذا عُرف هذا فأجر الدنيا في ذاته قليل وفي صفاته غير خال عن جهة قبح لما في مأكوله ومشروبه من الضرر وغيره، وأيضاً فهو غير دائم، وأجر الآخرة كثير خالٍ عن جهات القبح دائم فهو عظيم^(٢).

قوله تعالى: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ...» الآية العامة على «يأت» بالياء من تحت حملاً على لفظ «مَنْ» لأن «مَنْ» أداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والجمع (و) المذكر والمؤنث، وزيد بن علي، والجَحْدَرِيُّ، ويعقوب بالتاء^(٣) من فوق حملاً على معناها لأنه يرشح بقوله: «مَنْكُنَّ»^(٤) حال من فاعل «يأت» وتقدم القراءة في «مبينة»^(٥) بالنسبة لكسر الياء وفتحها، في النساء.

قوله: «يُضَاعَف» قرأ عمرو «يُضَعَّف»^(٦) - بالياء من تحت وتشديد العين مفتوحة على البناء للمفعول - العذاب بالرفع لقيامه مقام الفاعل، وقرأ ابن كثير وابن عامر «يُضَعَّف»^(٧) - بنون العظمة وتشديد العين مكسورة على البناء للفاعل - العذاب بالنصب على المفعول به وقرأ الباقر «يُضَاعَف» من المفاعلة مبنياً للمفعول العذاب بالرفع لقيامه مقام الفاعل (وقد^(٨)) تقدم توجيه التضعيف والمضاعفة في سورة البقرة^(٩).

(١) زيادة من نسخة «ب».

(٢) قاله الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره ٢٥/٢٠٦.

(٣) ذكرها في البحر ٧/٢٢٨ وفي المحتسب ٢/١٧٩ وهي من القراءات الشاذة.

(٤) حكاه السمين في الدر ٤/٣٨٢.

(٥) يقصد الآية ١٩ من سورة النساء وهي قوله تعالى: «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ».

(٦) معاني الفراء ٢/٣٤١ والسبعة ٥٢١، وإبراز المعاني ٦٤٨.

(٧) المراجع السابقة وانظر في توجيه هذه القراءات الكشف لمكي ٢/١٩٦ والحجة «لابن خالويه» ٣٨٩ كما قرر هو أعلى في النص.

(٨) ساقط من «ب».

(٩) يشير إلى قوله تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ...» وهي الآية ٢٤٥ وقرر =

فصل

قال ابن عباس المراد هنا بالفاحشة النشوز وسوء^(١) الخلق، وقيل: هو كقوله تعالى: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. واعلم أن النبي ﷺ - لما خير نساءه واختزن الله ورسوله أدبهن الله وهددهن بالتوقي عما يسوء النبي ويقبح بهن من الفاحشة التي هي أصعب على الزوج من كل ما يأتي به زوجته وأوعدهن بتضعيف العذاب وفيه حكمتان^(٣):

أحدهما^(٤): أن زوجة الغير تعذب على الزنا بسبب ما في الزنا من المفسدات وزوجة النبي تعذب إن أتت به لذلك لإيذاء قلبه والإضرار بمنصبه وعلى هذا بنات النبي عليه^(٥) السلام كذلك ولأن امرأة لو كانت تحت النبي عليه السلام وأتت بفاحشة تكون قد اختارت غير النبي على النبي ويكون ذلك الغير خيراً عندها من النبي وأولى والنبي أولى من النفس التي هي أولى من الغير فقد نزلت منصب النبي مرتبتين فتعذب من العذاب ضعفين.

وثانيهما: أن هذا إشارة إلى شرفهن؛ لأن الحرية عذابا ضعف عذاب الأمة إظهاراً لشرفها ونسبة النبي إلى غيره من الرجال نسبة السادات إلى العبيد لكونه أولى بهم من أنفسهم فكذلك زوجاته اللاتي هن أمهات المؤمنين، وأم الشخص امرأة حاکمة عليه واجبة الطاعة وزوجته مأمورة محكومة له وتحت طاعته فصارت زوجة الغير بالنسبة إلى زوجة النبي عليه السلام كالأمة^(٦) بالنسبة إلى الحرية، واعلم أن قول القائل من يفعل ذلك في قوة قوله: «لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» من حيث إن ذلك ممكن الوقوع في أول النظر ولا يقع في بعض الصور جزماً وفي بعض (يقع)^(٧) جزماً، وفي البعض يتردد السامع في الأمرين، فقوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾ من القبيل الأولى فإن الأنبياء صان الله زوجاتهم عن الفاحشة ثم قال: «وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» أي ليس كونكن تحت النبي عليه السلام وكونكن شريفات جليلات مما يدفع العذاب عنكن فليس أمر الله كأمر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الأعزة بسبب كثرة أوليائهم وأعوانهم وشفعائهم وإخوانهم.

= هناك أن التضعيف والمضاعفة بمعنى واحد. وقيل: إن المضعف للتكثير وقيل: لما جعل مثلين أما المضاعفة - بصيغة المفاعلة - لما زيد عليه أكثر من ذلك، الباب ١/٦١٧.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٣٧٨.

(٢) هذا كله قول الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير ٢٥/٢٠٧.

(٣) في «ب» حكمان. (٤) في «ب» أحدهما موافقة «لحكما».

(٥) في «ب» ﷺ.

(٦) في «ب» كالأبنة بالنسبة إلى الجدة وهو خلاف ما في تفسير الرازي.

(٧) سقط من «ب».

قوله: «وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْكُنَّ» أي يطع الله ورسوله^(١) وهذا بيان لزيادة ثوابهن كما بين زيادة عقابهن «نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ» في مقابلة قوله: «يضاعف لها العذاب ضعفين» وفيه لطيفة وهي أن عند إيتاء الأجر ذكر الموفي وهو الله وعند العذاب لم يصرح بالعذاب^(٢) فقال: «يضاعف» وهذا إشارة إلى كمال الرحمة والكرم^(٣). قوله: «وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِيهَا» قرأ الأخوان «وَيَعْمَلْ وَيُؤْتِ» - بالياء من تحت فيهما، والباقون «وتعمل»^(٤) بالتاء من فوق و «نُؤْتِيهَا» بالنون، فأما الياء في «ويعمل» فلأجل الحمل على لفظ «من» وهو الأصل والتاء من فوق على معناها إذ المراد بها مؤنث^(٥) ويرشح هذا بتقديم لفظ المؤنث وهو «منكن» ومثله قوله:

٤٠٨٥ - وَإِنَّ مِنَ النِّسْوَانِ مَنْ هِيَ رَوْضَةٌ.....^(٦)

لما تقدم قوله «من النِّسْوَانِ» يرجع المعنى فحمل عليه، وأما «يؤتها» بالياء من تحت فالضمير لله تعالى لتقدمه في «الله ورسوله» وبالنون فهي نون العظمة، وفيه انتقال من الغيبة إلى التكلم، وقرأ الجحدري ويعقوب وابن عامر - في رواية - وأبو جعفر وشيبة^(٧): «تَقْتُلُ»^(٨) بالتاء من فوق حملاً على المعنى وكذلك «وَتَعْمَلْ». وقال أبو البقاء: إن بعضهم قرأ «وَمَنْ تَقْتُلُ»^(٩) بالتأنيث حملاً على المعنى وَيَعْمَلْ بالتذكير حملاً على اللفظ قال: فقال بعض النحويين: هذا ضعيف لأن التذكير أصل فلا يجعل تبعاً للتأنيث وما عللوه به قد جاء مثله في القرآن قال تعالى: ﴿خَالِصَةً لِّلْكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْزَوْجَنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩].

(١) قاله القرطبي ١٧٦/١٤ و ٨٦/٢ و ٢١٣/٣.

(٢) في «ب» بالمعذب وكذا هي في تفسير الرازي ٢٥/٢٠٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ذكرت في السبعة ٥٢١ والإتحاف ٣٥٥ ومعاني القرآن للقراء ٢/٣٤١ و ٣٤٢ وإعراب القرآن للنحاس ٣/٣١٢، وإبراز المعاني ٦٤٨ والكشف ٢/١٩٦ والبيان ١٠٥٦.

(٥) وهو ظاهر كلام السمين في الدر ٤/٣٨٢ وابن خالويه في الحجة ٢٩٠.

(٦) صدر بيت من تام الطويل وعجزه:

تَهْبِجُ الرِّيَاضَ قَبْلَهَا وَتَصُوحُ.....

وينسب لجران القود وليس بديوانه و «تصيح»: تَنُورُ، و «تَصُوحُ» الأصل: «تَتَصُوحُ»، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً ويقال: تصوح البقل إذا يبس أعلاه وهنا تشبيه بعض النساء بالووضة التي تتأخر في هيجان نباتها عن غيرها من الرياض ويقصد المرأة التي تتأخر عن الولادة في وقتها، وشاهده: «هي روضة» حيث راعى المعنى معنى «مَنْ» ولو أراد اللفظ لقال: «مَنْ هُوَ». وقد تقدم.

(٧) شيبة بن نصاح بن سرجس إمام ثقة مقرئ المدينة مع أبي جعفر وقاضيه ومولى أم سلمة من قراء التابعين أول من ألف كتاب الوقوف. مات سنة ١٣٠ هـ انظر: الغاية ١/٣٣٠.

(٨) ذكرها أبو حيان ٧/٢٢٨ وابن مجاهد في السبعة وأنكرها. السبعة ٥٢١ والمختصر لابن خالويه ١١٩.

(٩) البيان ١٠٥٦.

فصل

معنى أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ أي مثل أجر غيرها، قال مقاتل^(١): مكان كل حسنة عشرون حسنة «وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا» يعني الجنة، ووصف رزق الآخرة بكونه كريماً مع أن الكرم لا يكون وصفاً إلا للرزاق^(٢)، وذلك إشارة إلى أن الرزق في الدنيا مقدر على أيدي الناس، التاجر يسترزق من السوق، والعاملين والصناع من المتعلمين والملوك من الرعية منهم، فالرزق في الدنيا لا يأتي بنفسه وإنما هو مستمر للغير يمسكه ويرسله إلى الأغيار^(٣)، وأما في الآخرة فلا يكون له ممسك ومرسل في الظاهر فهو الذي يأتي بنفسه فلاجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم إلا الرازق وفي الآخرة يوصف بالكريم نفس الرزق^(٤).

قوله: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ» قال الزمخشري: «أحد» في الأصل^(٥) يعني وَحْدَ وهو الواحد، ثم وضع في النفي العام مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء (أي)^(٦) إذا تَقَصَّيْتَ^(٧) جماعات النساء^(٨) واحدة واحدة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة. ومنه قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ١٥٢] يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم على الحق البين^(٩). قال أبو حيان أما قوله: «أحد» في الأصل بمعنى «وحد» وهو الواحد فصحيح^(١٠)، وأما قوله: وضع إلى قوله وما وراءه. فليس بصحيح، لأن الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول واحد لأن «واحد» ينطلق^(١١) على شيء اتصف بالوحدة «وَأَحَدًا» المستعمل في النفي العام مختص^(١٢) بمن يعقل، وذكر النحويون أن مادته همزة وحاء ودال ومادة «أحد» بمعنى واحد واو وحاء ودال فقد اختلفا مادة ومدلولاً، وأما قوله: «لَسْتُنَّ كَجَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ» فقد قلنا إن معناه ليست كل واحدة منكن فهو حكم على كل واحدة لا على المجموع من حيث هو مجموع، وأما «وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ» فيحتمل أن يكون الذي يستعمل في النفي العام ولذلك جاء في سياق النفي فعم وصلحت

(١) وفسره أبو عبيدة في المجاز بالثواب فقال: «نُعْطِيهَا ثَوَابَهَا» المجاز ١٣٧/٢.

(٢) في «ب» الرازق.

(٣) في كلتا النسختين الأعيان وفي الفخر الرازي الأغيار كأعلى ب.

(٤) تفسير الرازي ٢٥/٢٠٨. (٥) قاله في الكشف ٣/٣٥٩.

(٦) سقطت من «ب». (٧) هكذا هي في الكشف وما في «ب» نقصت.

(٨) وهي أمة النساء وجماعة لم توجد منهن جماعة.

(٩) في الكشف المبين. (١٠) البحر المحيط ٧/٢٢٩.

(١١) في «ب» مطلقاً. (١٢) في «ب» وهو ما في البحر مخصص.

التثنية للعموم، ويحتمل أن يكون «أحد» بمعنى «واحد» وحذف معطوف، أي بين أحدٍ وأحد^(١) (كما قال^(٢)) :

٤٠٨٦ - فَمَا كَانَ بَيْنَ الْخَيْرِ لَوْ جَاءَ سَالِمًا أَبُو حَجَرٍ إِلَّا لَيَالٍ قَلِيلٌ^(٣)

أي بين الخير وبينني انتهى، قال شهاب الدين «أما قوله فإنهما مختلفان مدلولاً ومادة فمسلّم، ولكن الزمخشري لم يجعل أحداً الذي أصله واحد - بمعنى أحد المختص بالنفي، ولا يمنع أن «أحداً» الذي أصله «واحد» أن يقع في سياق النفي، وإنما الفارق بينهما أن الذي همزته أصل لا يستعمل إلا في النفي كأخواته من غريب^(٤)، وكَيْتَع ودَابِر^(٥)، وتامر^(٦) والذي أصله واحد يجوز أن يستعمل إثباتاً ونفيّاً وأيضاً المختص بالنفي مختص بالعقلاء، وهذا لا يختص، وأما معنى النفي فإنه ظاهر على ما قاله الزمخشري من الحكم على المجموع ولكن المعنى على ما قاله أبو حيان أوضح وإن كان خلاف الظاهر^(٧)

قوله: «إِنْ اتَّقَيْتُنَّ» في جوابه وجهان:

أحدهما: أنه محذوف دلالة ما تقدم عليه أي إِنْ اتَّقَيْتُنَّ اللَّهَ فَلَسْتُنَّ كَأَحَدٍ، فالشرط قيد في نفي أن يَشَبَّهَنَّ بأحد من النساء^(٨).

والثاني: أن جوابه قوله «فَلَا تَخْضَعْنَ»^(٩) والتقوى على بابها، وجوز أبو حيان على هذا أن يكون «اتَّقَى» بمعنى استقبل أي استقبلتن^(١٠) أحداً فلا تُلْنُ له القول، واتَّقَى بمعنى استقبل معروف في اللغة، وأنشد:

- (١) البحر ٢٢٨/٧. (٢) ساقط من «ب».
- (٣) البيت من بحر الطويل وهو للناطقة اللباني، وأبو حجر كناية عن النعمان بن الحارث وشاهده: حذف الواو ومعطوفها والأصل: بين الخير وبينني فقد حذف الواو مع معطوفها وهذا تقرير لقول أبي حيان الذي أجاز هذا الاحتمال. انظر: البحر المحيط ٢٢٩/٧ وابن النازم بدر الدين على الألفية ٢١٤ وأوضح المسالك لابن هشام ١٩٢ والأشمونى ١١٦/٣ والتصريح ١٥٣/٢ والديوان (١٢٠).
- (٤) يقال: ما في الدار غريب في النفي ولا يقال: في الدار غريب لعدم الفائدة وكذا: ما بالدار كَيْتَع، أي أحد اللسان: «ك ت ع» ٣٨٢٠ وإصلاح المنطق ٣٩١.
- (٥) من أقوالهم: ما يعرف قَبِيلُهُ من دبيره، وفلان ما يدري قَبِيلًا من دبير، المعنى ما يدري شيئاً اللسان: «د ب ر» ١٣١٩.
- (٦) قالوا: ما في الدار تَامُور وتومُور، وما بها ثومري أي ليس بها أحد. وقال أبو زيد: ما بها تَامُور أي ما بها أحد اللسان «ت م ر» ٤٤٦.
- (٧) انظر: الدر المصون ٣٨٣/٤ و ٣٨٤.
- (٨) قاله السمين في الدر ٣٨٤/٤ وقدره ابن الأتباري في البيان انفردتن بخصائص من جملة سائر النساء البيان ٢٦٨/٢.
- (٩) المرجعان السابقان.
- (١٠) البحر المحيط ٢٢٩/٧ واستدل بالبيت الأعلى.

٤٠٨٧ - سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرَدِّ إِسْقَاطُهُ فَتَنَّاوَلْنَاهُ وَاتَّقَيْنَا بِالْيَدِ^(١)
 أي واستقبلتنا باليد قال: «ويكون على هذا المعنى أبلغ من مدحهن؛ إذ لم يعلق
 فضيلتهن على التقوى ولا على نهيه عن الخضوع^(٢) بها إذ هن متقيات لله في أنفسهن،
 والتعليق يقتضي ظاهره أنهن لسن متحليات بالتقوى^(٣)»، قال شهاب الدين: هذا خروج
 عن الظاهر من غير ضرورة وأما البيت فالإتقاء أيضاً على بابهِ أي صانت وجهها بيدها^(٤)
 عنا.

قوله: «فَيَطْمَعُ» العامة على نصبه جواباً للنهي، والأعرج^(٥) بالجزم فيكسر^(٦) العين
 لالتقاء الساكنين^(٧) وروي عنه وعن أبي السَّمَال وعيسى بن عمر وابن مُحَنِّصين بفتح الياء
 وكسر الميم^(٨)، وهذا شاذ حيث توافق الماضي والمضارع في حركة. وروي عن الأعرج
 أيضاً أنه قرأ بضم الياء وكسر الميم^(٩) من «أَطْمَعُ» وهي تحتل وجهين:
 أحدهما: أن يكون الفاعل ضميراً مستتراً عائداً على الخضوع المفهوم من الفعل
 و«الذي» مفعوله أي لا تخضعن فيطمع الخضوع المريض القلب، ويحتمل أن يكون
 «الذي» فاعلاً، ومفعوله محذوف أي فيطمع المريض نفسه^(١٠).

فصل

قال ابن عباس: معنى لَسْتُنَّ كأحد من النساء يريد ليس قدركن عندي مثل قدر
 غيركن من النساء^(١١) الصالحات أنتن أكرم علي، وثوابكن أعظم لدي، ولم يقل كواحد
 لأن^(١٢) الأحد عام يصلح للواحد، والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث. قال تعالى: ﴿لَا
 تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَلِمَهُ عَنْهُ حَبِيرٌ﴾ [الحاقة:
 ٤٧] وقوله: «إِنْ اتَّقَيْتُنَّ» الله فأطعته ولما منعهن من الفعل القبيح منعهن من مقدماته وهي

(١) البيت من الكامل وهو للناطقة في مدح «المتجدة» زوج النعمان بن المنذر، والنصيف غطاء الرأس
 للمرأة وهو الخمار، وقيل: ما تشد به رأسها وهو المعجر والشاهد فيه: استعمال «اتقى» بمعنى استقبل
 كما قرره أبو حيان، أي استقبلتنا باليد. انظر: ديوانه ٩٣ والأشُموني ١٩١/٢ ولسان العرب «نصف»
 والبحر المحيط ٢٢٩/٧ والدر المصون ٣٨٥/٤.

(٢) في البحر: «ولا علق نَهْيُهُنَّ عن الخضوع». (٣) البحر المحيط لأبي حيان ٢٢٩/٧.

(٤) ذكره في الدر المصرون ٣٨٥/٤. (٥) هو عبد الرحمن بن هرمز قد عرفت به فيما سبق.

(٦) في «ب» بكسر - بالباء -.

(٧) ذكرها كل من ابن جني وابن خالويه في كتابيهما الأول في المحتسب ١٨١/٢ والثاني في المختصر
 ص ١١٩ وهي من الشواذ غير المتواترة. البحر المحيط لأبي حيان ٢٣٠/٧.

(٨) ابن خالويه ١١٩ وهي من الأربع الشواذ فوق العشرة المتواترة الإتحاف ٣٥٥ والبحر ٢٣٠/٧.

(٩) انظر: شواذ القرآن ١٩٤ والبحر ٢٣٠/٧ مروية عن ابن محيصن أيضاً.

(١٠) قاله السمين في الدر ٣٨٥/٤. (١١) نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٨/٦.

(١٢) قاله القرطبي في ١٧٧/١٤.

المحادثة مع الرجال فقال: «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ» أي تَلْنِ الْقَوْلَ للرجال ولا ترفضن الكلام «فَيُطَمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» أي فسق وفجور وشهوة، وقيل: يَفَاقُ أي لا تقولن قولاً يجد منافق أو فاجر به سبيلاً إلى المطامع^(١) فيَكُنَّ والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع^(٢) «وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا» أي ذكر الله^(٣) وما تحتجن إليه من الكلام مما يوجب الدين والإسلام بتصريح أو بيان من غير خضوع. قوله: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» قرأ نافع وعاصم بفتح القاف والباقون بكسرها^(٤)، فأما الفتح فمن وجهين:

أحدهما: أنه أمر من قَرَزْتُ - بكسر الراء الأولى - في المكان أَقَرُّ به - بالفتح - فاجتمع راءان في: «اَقْرَزْنَ» فحذفت الثانية تخفيفاً، ونقلت حركة الراء الأولى إلى القاف فحذفت همزة الوصل استغناء عنها فصار «قَرْنَ» على وزن^(٥) «فَعْنَ» فإن المحذوف هو اللام لأنه حصل به الثقل، وقيل: المحذوف الراء الأولى لأنه لما نقلت حركتها بقيت ساكنة وبعدها أخرى ساكنة فحذفت الأولى لالتقاء الساكنين، ووزنه على هذا «فَلَنْ» فإن المحذوف هو العين^(٦)، وقال أبو علي: أبدلت الراء الأولى ياءً ونقلت حركتها إلى القاف، فالتقى ساكنان فحذفت الياء لالتقائهما^(٧)، فهذه ثلاثة أوجه في توجيه أنها أمر من قَرَرْتُ بالمكان.

والوجه الثاني: أنها أمر من «قَارَ - يَقَارُ» كَخَافَ يَخَافُ إذا اجتمع، ومنه «القَارَةُ»^(٨) لاجتماعها، فحذفت العين لالتقاء الساكنين، فقليل: «قِرْنَ» «كخفن» ووزنه على هذا أيضاً: فَلَنْ، إلا أن بعضهم تكلم في هذه القراءة من وجهين:

(١) في «ب» إلى الطامع.

(٢) نقله الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في تفسيره المسمى زاد المسير ٣٧٩/٦.

(٣) وقد فسره ابن عباس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انظر: القرطبي ١٧٨/١٤.

(٤) ذكرها في الإنحاف ٣٥٥ والسبعة ٥٢١ و ٢٢٢ وإبراز المعاني ٤٦٩ وانظر أيضاً القرطبي ١٧٨/١٤ وزاد المسير ٣٧٩/٦ والكشاف ١٩٧/٢ والبيان ١٠٥٦.

(٥) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٥٠ والبيان ١٠٥٧ وانظر البيان ٣٦٨/٢ ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٩٦ والدر المصون ٣٨٥/٤ ومعاني القرآن للرفاء ٣٤٢/٢ وإعراب القرآن للنحاس ٣١٣/٢ ومعاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج ٢٢٥/٤ واللسان «ق رر» ٣٥٧٩ و ٣٥٨٠ وهذه القراءة جاءت في مراجع جمة وقد ذكرت ما فيه الكفاية من المراجع.

(٦) المراجع السابقة.

(٧) قاله أبو علي في الحجة مع تغيير في النص انظر: الحجة ١٥٤/٦ ولم يرتض رأيه أبو حيان حيث قال «وهذا غاية في التحميل كعادته» انظر البحر المحيط ٢٣٠/٧.

(٨) يطلق هذا الوصف على قبيلة بعينها وقد سموا كذلك لاجتماعهم والتفافهم للسان «ق و ر» ٣٧٧٢ وقد قاله الزمخشري أيضاً في الكشاف ٢٦٠/٣ قال: ألا ترى إلى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة الكشاف ٢٦٠/٣.

أحدهما: قال أبو حاتم^(١) يقال: قَرَزْتُ بِالْمَكَانِ - بالفتح - أَقْرُ بِهِ - بالكسر - وَقِرْتُ عَيْنُهُ - بالكسر - تَقَرُّ - بالفتح - فكيف تقرأ وقرن بالفتح؟! والجواب عن هذا أنه قد سمع في كل منهما الفتح والكسر، حكاه أبو عبيد^(٢)، وتقدم ذلك في سورة مَرِيَمَ^(٣).

الثاني: سلمنا أنه يقال قَرَزْتُ بِالْمَكَانِ - بالكسر - أَقْرُ بِهِ - بالفتح - وأن الأمر منه اقْرَازٌ إلا أنه لا مسوغ^(٤) للحذف، لأن الفتحة خفيفة، ولا يجوز قياسه على قولهم: «ظلت» في «ظلمت» قال تعالى: ﴿فَطَلَّتْ نَفْسُكَهُنَّ﴾ [الواقعة: ٦٥] و ﴿ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِمًا﴾ [طه: ٩٧] وبابه، لأن هناك شيئين ثقيلين التضعيف والكسرة (فحسن^(٥)) الحذف وأما هنا فالتضعيف فقط، والجواب أن المقتضي للحذف إنما هو التكرار ويؤيد هذا أنهم لم يحذفوا مع التكرار ووجود الضمة وإن كان أثقل نحو «اغضضن أبصاركن» وكان أولى بالحذف فيقال: غُضِّنَ لكن السماع خلافه قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ على أن ابن مالك قال: إنه^(٦) يحذف في هذا بطريق الأولى. أو نقول: إن هذه القراءة إنما هي من «قَارَ - يَقَارُ» بمعنى اجتمع وهو وجه حسن بريء من التكلف فيندفع اعتراض أبي حاتم وغيره لولا أن المعنى على الأمر بالاستقرار لا بالاجتماع. وأما الكسر فمن وجهين أيضاً:

أحدهما: أنه أمر من قَرَّ في المكان - بالفتح - في الماضي والكسر في المضارع، وهي اللغة الفصحى^(٧)، ويجيء فيها التوجيهات الثلاث المذكورة أولاً، أما حذف الراء الثانية أو الأولى أو إبدالها ياء وحذفها كما قاله^(٨) الفارسي، ولا اعتراض على هذه^(٩) القراءة لمجيئها على مشهور اللغة، فيندفع اعتراض أبي حاتم، ولأن الكسر ثقيل فيندفع الاعتراض الثاني ومعناها مطابق لما يراد بها من الثبوت والاستقرار.

الوجه الثاني: أنها أمر من «وَقَرَّ» «يَقَرُّ» أي ثبت واستقر ومنه «الوقار» وأصله أوْقِرَنَ فحذفت الفاء - وهو الواو - واستغني عن همزة الوصل فبقي «قِرَنَ»، وهذا كالأمر من

(١) هو سهل بن محمد السجستاني كان عالماً ثقة، قِيَمَ بعلم اللغة والشعر، أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي، وأخذ عنه ابن دريد أبو بكر توفي فيما قبل سنة خمسين ومائتين في خلافة المستعين وقال ابن دريد: توفي سنة خمس وخمسين ومائتين انظر نزهة الألباء ١٣٣.

(٢) هو القاسم بن سلام أبو عبيد كان إمام أهل عصره في كل فن من العلم، أخذ عن أبي زيد، وأبي عبيدة والأصمعي، واليزيدي وغيرهم له غريب القرآن والحديث ومعاني القرآن وغير ذلك مات سنة ٢٢٠ هـ انظر بغية الوعاة ٢/ ٢٥٣ و ٢٥٤ وانظر مشكل الإعراب ٢/ ١٩٦ والبحر ٧/ ٢٣٠ والقرطبي ١٤/ ١٧٨.

(٣) عند قوله تعالى: «وَقَرِّي عَيْنًا» وهي الآية ٢٦ وانظر اللباب ٦/ ٢٣٧ «ب».

(٤) في «ب» يسوع بالياء. (٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٦) شرح الكافية الشافية له ٩٠٩ و ٩١٠. (٧) معاني الفراء ٢/ ٢٤٣.

(٨) في «ب» فيما قال. (٩) وانظر في هذا كله الدر المصون ٤/ ٣٨٥: ٣٨٧.

وعد سواء، ووزنه على هذا «عِلَنَ»، قال البغوي: الأصح^(١) أنه أمر من «الوقار» كقولك من الوعد «عِدْنَا»، ومن الوصل «صلْنَا». وهذه الأوجه المذكورة إنما يهتدي إليها من مَرْن في علم التصريف وإلا ضاق بها ذرعاً.

قوله: «تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ» مصدر تشبيهي أي مثل تبرج والتبرج الظهور من البُرْج لظهوره، وقد تقدم^(٢)، وقرأ البزِّي: «ولا تبرجن» بإدغام التاء في التاء، والباقون بحذف إحداهما وتقدم تحقيقه في البقرة^(٣) في: «وَلَا تَيَمَّمُوا».

فصل

قال المفسرون وقرن أي الزمن بيوتكن من قولهم: قررت بالمكان أقر قراراً يقال: قررت: أقر وقررت: أقر، وهما لغتان، فإن كان من الوقار أي كن أهل وقار وسكون من قولهم: وَقَرُّ فُلَانٍ يَقَرُّ وَقُوراً إذا سكن واطمأن، و «لا تبرجن» قال مجاهد وقتادة التبرج هو التكرس والتغنج، وقال ابن أبي نجيع^(٤): هو التبخر، وقيل: هو إظهار الزينة^(٥)، وإبراز المحاسن للرجال «تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى» قال الشعبي^(٦): هي ما بين عيسى ومحمد - ﷺ - وقال أبو العالية: هي^(٧) بين داود وسليمان - عليهما السلام -، وكانت المرأة تلبس قميصاً من الدر غير مخيط الجانبين فيرى حلقها فيه، وقال الكلبي: كان ذلك في زمن نمرود، وكانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه، وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره، وتعرض نفسها على الرجال، وروى عكرمة عن ابن عباس أنه^(٨) قال: الجاهلية الأولى أي فيما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وإن بطنيين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل وأجر

(١) قاله البغوي في معالم التنزيل ٣٥٨/٤ بلفظ «عدن وصلن».

(٢) في سورة النور من قوله تعالى: «غَيْرَ مُتَّبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ» وهي الآية ٦٠ من سورة النور. وانظر الباب ٣٠١/٦.

(٣) الإتحاف ٣٥٥، والدر المصون ٣٨٧/٤ وقد قال هناك من الآية (٢٧٦) بعدم تشديد التاء في تلك الآية وما أشبهها من مواضع في القرآن وحجته هو من التثاقل الناشئ من اجتماع مثلين وتعذر إدغام الثانية في تاليها نزل اتصال الأولى بسابقتها منزلة اتصالها بكلمتها فادغمت في الثانية تخفيفاً مراعاة للأصل والرسم للباب ٢٠١/١.

(٤) هو عبد الله بن أبي نجيع، الثقفى مولاهم أبو يسار المكي عن طاوس ومجاهد وعنه عمرو بن شعيب وأبو إسحاق الفزاري وشعبة روى عنه ابن عيينة مات سنة ١٣١ هـ الخلاصة ٢١٧ وانظر رأيه في القرطبي ٣٠٩/١٢.

(٥) هذا قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٢٥/٤.

(٦) زاد المسير ٣٨٠/٦ والقرطبي ١٨٠/١٤.

(٧) السابقان. (٨) زاد المسير ٣٨١/٦.

نفسه منه فكان يخدمه واتخذ شيئاً مثل الذي يزمر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يسمعون إليه واتخذوه عيداً يجتمعون إليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتزين الرجال لهن، وإن رجلاً من أهل الخيل هجم عليهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فذلك قوله: «وَلَا تَبْرُجْنَ تَبْرُجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^(١)، وقيل: الجاهلية الأولى ما ذكرنا والجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان^(٢)، وقيل: قد تذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠] ولم يكن لها أخرى^(٣).

قوله: «وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» يعني ليس التكليف في النهي وحده حتى يحصل بقوله: «وَلَا تَخْضَعْنَ. وَلَا تَبْرُجْنَ» بل في النهي وفي الأوامر فأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله فيما أمر به، ونهى عنه «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ» قال مقاتل: الرجس: الإثم الذي نهى الله النساء عنه^(٤)، وقال ابن عباس يعني عمل الشياطين وما ليس^(٥) الله فيه رضا. وقال قتادة يعني السوء^(٦)، وقال مجاهد: الرِّجْسُ: الشُّكُّ.

قوله: «أَهْلَ الْبَيْتِ» فيه أوجه: النداء والاختصاص^(٨)، إلا أنه في المخاطب أقل منه في المتكلم وسمع «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ»^(٩)، والأكثر إنما هو في التكلم كقولها:
٤٠٨٨ - نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمْشِي عَلَى الثَّمَارِقِ^(١٠)

(١) ورد هذا الأثر في تفسير الحافظ الإمام ابن كثير ٤٨٣/٣.

(٢) قال ابن عطية والذي يظهر عندي أنه أشار للجاهلية التي لحقتها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لأنهم كانوا لا غيره عندهم. انظر: تفسير الشوكاني ٢٧٨/٤ والقرطبي ١٨٠/١٤.

(٣) هذا رأي فخر الدين الرازي حيث قال: «إن هذه ليست أولى تقتضي أخرى بل معناه تبرج الجاهلية القديمة كقول القائل: أين الأكاسرة الجبابرة الأولى» انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر ٢٠٩/٢٥.

(٤) وهو رأي السدي أيضاً انظر: زاد المسير ٣٨٠/٦.

(٥) وهو رأي ابن زيد المرجع السابق.

(٦) حكى هذين الرأيين الماوردي المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

(٨) ذكرهما أبو البقاء في التبيان ١٠٥٧.

(٩) قاله سيبويه في الكتاب ٢٣٤/٢: وزعم الخليل - رحمه الله - أن قولهم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ» وسبائك الله العظيم» نصبه كنصب ما قبله يشير إلى قولهم: «نَحْنُ الْعَرَبُ أَفْرَى النَّاسِ لِلضَّيْفِ» وفيه معنى التعظيم. وانظر أيضاً مع الهوامع للسيوطي ١٧١/١ وشرح ابن يعيش على المفصل ١٧/٢.

(١٠) رجز لهند بنت عتبة في تحريض الجند المشرك ضد الإسلام في غزوة أحد والشاهد «بنات طارق» فإنها منصوبة على الاختصاص بفعل مضممر وجوباً تقديره «أعني» أو أريد، أو أخص وهذا على الغالب في =

(وقوله^(١)):٤٠٨٩ - نَحْنُ - بَنِي ضَبَّة - أَصْحَابُ الْجَمَلِ الْمَوْتُ أَخْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ^(٢)

(و) «نَحْنُ الْعَرَبُ أَقْرَى النَّاسِ لِلضُّبِّ»^(٣) (و): «نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ»^(٤)
 أو على المدح أي أمدح أهل البيت، واختلف في أهل البيت، فروى سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس أنهم نساء النبي - ﷺ - لأنهن في بيته^(٥)، وتلا قوله: «وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي
 بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» وهو قول عكرمة ومقاتل. وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من
 التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم إلى أنهم علي، وفاطمة، والحسن^(٦) والحسين، لما
 روت عائشة قالت: خرج رسول الله - ﷺ - ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود
 فجلست^(٧) فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء حسين فأدخله فيه،
 ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا».

وروت أم سلمة قالت: في بيتي أنزل: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
 الْبَيْتِ» قالت: فأرسل رسول الله - ﷺ - إلى فاطمة وعلي والحسين والحسن فقال: هؤلاء
 أهل بيتي. فقلت: يا رسول الله أما أنا من أهل البيت قال: بلى إن شاء الله^(٨)، وقال

= الاختصاص في التكلم. انظر: سيرة ابن هشام ٥٦٢ والأغانى ١٦/١٤ والمغني ٣٨٧ وشرح شواهد
 للإمام السيوطي ٨٠٩، وطبقات الشافعية ٢٥٤/١ والهمع ١٧١/١، والبحر ٢٣١/٧ وإعراب ثلاثين
 سورة ٣٨ والبداية والنهاية ١٦/٤.

(١) زيادة يقتضيها السياق والمعنى.
 (٢) رجز - أيضاً - كسابقه من البيت الشعري. وقد اختلف في نسبته فمن قائل: إنه للحارث الضبي، ومن
 قائل: إنه للأعرج المعنى، ومن قائل إنه لعمر بن يثرب، والشاهد فيه: «بني ضبة» وهو اختصاص
 وقد وقع بعد تكلم وهو «نحن» وهذا هو الغالب، ولا يخفى أن المختص وهو: «بني» منصوب بالياء
 لأنه ملحق بجمع المذكر السالم و«بنات» الكلمة السابقة منصوبة بالكسرة نيابة عن الفتحة للجمع
 المؤنث السالم والبيت من شواهد شذور الذهب لابن هشام، واللسان: «ب ج ل» ٢١٣ ورد فيه:
 نحن بني ضبة أصحاب الجمل ردوا علينا شيخنا ثم بجل
 وانظر الهمع ١٧١/١ والأشعري ١٣٧/٣ والكامل للمبرد ١١٢/٣ والعقد الفريد ٣٢٧/٤.

(٣) الحديث هذا جاء في الكتاب ٢٣٤/٢.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٦٣/٢.

(٥) قاله ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨١/٦ والقرطبي في الجامع ١٨٢/١٤ والزجاج في المعاني ٤/٢٢٦.

(٦) المرجع السابق.

(٧) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٢٧٩/٤ وأمرط الخفيف شعر الجسد والحاجبين والعينين ورجل أمرط:
 لا شعر على جسده.

(٨) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٢٥٩/٤ والخازن في تفسيره ٢٥٩/٤ والقرطبي في ١٨٣/١٤ وابن كثير
 في ٤٨٤/٣.

زيد^(١) بن أرقم : أهل بيته من حرم الصدقة بعده، آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس^(٢)، قال ابن الخطيب : والأولى أن يقال : هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين، وعلي منهنم لأنه كان من أهل بيته لمعاشرته بنت النبي عليه (الصلاة^(٣)) والسلام وملازمته^(٤) له .

قوله : «وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثَلَّى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» يعني القرآن والحكمة، قال قتادة يعني السنة^(٥)، وقال مقاتل : أحكام القرآن^(٦) ومواظبه، و «من آيات الله» بيان للموصول فيتعلق «بأعني» ويجوز أن يكون حالاً إما من الموصول، وإما من عائده المقدر فيتعلق بمحذوف أيضاً^(٧) «إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا» بأوليائه «خَيْرًا» بجميع خلقه .

قوله : «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ» قال مقاتل : قالت أم سلمة بنت أبي أمية، ونسبية بنت كعب الأنصارية للنبي - ﷺ - ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نُحْشَى أن لا يكون فيهن خير فنزلت فيهن هذه الآية^(٨)، ويروى^(٩) أن أزواج النبي - عليه الصلاة والسلام - قلن : يا رسول الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة، فأنزل^(١٠) الله هذه الآية، ورُوي أن أسماء بنت عميس^(١١) رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي - ﷺ - فقالت : هل نزل فينا شيء من القرآن قلن : لا فأنت النبي - ﷺ - فقالت : يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسارة، قال : ومم ذلك؟ قالت : لأنهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال فأنزل الله^(١٢) - عز وجل - : «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ الْمُطِيعِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ، وَفِيمَا سَرَّهُمْ وَسَاءَهُمْ»^(١٣) «وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ» على أمر الله «وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ»

(١) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان روى عن ابن أبي ليلى، وطاوس ومحمد بن كعب والنضر بن أنس مات سنة ٦٦ هـ انظر خلاصة الكمال ١٢٦.

(٢) السابق. (٣) زيادة من «ب».

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢٠٩.

(٥) و (٦) ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٦/٣٨٢ و ٣٨٣.

(٧) قاله شهاب الدين السمين في الدر المصون ٤/٣٨٨.

(٨) انظر : معالم التنزيل للبغوي ٤/٢٥٩ و ٢٦٠.

(٩) في «ب» روي. (١٠) المرجع السابق.

(١١) هي الخثعمية وأخت ميمونة لامها ولها ستون حديثاً وتزوجها أبو بكر بعد جعفر. انظر : خلاصة الكمال ٤٨٨ هـ.

(١٢) انظر : تفسير الخازن ٤/٢٦٠ وانظر في هذا كله أسباب النزول للسيوطي ١٣٩.

(١٣) في «ب» وأسأهم.

المتواضعين «وَالْخَاشِعَاتِ». وقيل: أراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع أن لا يلتفت «وَالْمُتَّصِدِّقِينَ» مما رزقهم الله «وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ» عما لا يحل «وَالْحَافِظَاتِ». وحذف مفعول الحافظات لتقدم ما يدل عليه والتقدير: والحافظاتُ وكذلك: والذاكرات، وحسن الحذف زُؤوس الفواصل «والذاكرين الله كثيراً والذاكرات»، قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً^(١). وروي أن النبي - ﷺ - قال سبق المفردون، قالوا: وما المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات^(٢). قال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره إلى الله عز وجل فهو داخل في قوله: «إِنَّ^(٣) الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ» ومن أقر بأن الله ربه، ومحمداً رسوله، ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله: «وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» ومن أطاع الله في الفرض، والرسول في السنة فهو داخل في قوله: «وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ» ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله: «وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ» ومن صَبَرَ على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله: «وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ» ومن صلى ولم يعرف من يمينه عن يساره فهو داخل في قوله: «وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ» ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله: «وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ»، ومن صام في كل شهر أيام البيض الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر فهو داخل في قوله: «وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ». ومن حفظ فرجه فهو داخل في قوله «وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ» ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله: «وَالَّذَاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالَّذَاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً» وغلب المذكر على المؤنث في «لَهُمْ» ولم يقل: «لَهُنَّ» (لشرفهم)^(٤).

قوله: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ» نزلت الآية في زينب بنت جحش الأسدية^(٥)، وأخيها عبد الله بن جحش وأُمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي - ﷺ - خطب رسول الله - ﷺ - زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله - ﷺ - اشتري زيدا في الجاهلية بَعَكَاطٍ، فأعتقه وتبناه، فلما خطب رسول الله - ﷺ - زينب رضيته وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابن عمك^(٦) يا رسول الله فلا

(١) ذكره كل من البغوي والخازن في تفسيريهما ٢٦٠/٤.

(٢) سبق.

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) سقط من «أ».

(٥) انظر: أسباب النزول في القرطبي ١٨٦/١٤ وزاد المسير ٣٨٥/٦ وتفسير الخازن ٢٦١/٤ والبغوي ٤/

٢٦١ والطبري ٩/٢٢ وفتح القدير للشوكاني ٢٨٣/٤ وابن كثير ٤٨٩/٣، والكشاف ٢٦١/٣ وأسباب

النزول للسيوطي ١٣٩.

(٦) في «ب» أنا ابن عمه رسول الله - ﷺ -.

أرضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلةً فيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فأنزل الله^(١) عز وجل: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة» يعني عبد الله بن جحش وأخته زينب «إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا» (أي أراد الله ورسوله^(٢) أمراً) وهو نكاح زيد لزينب «أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ». والخيرة الاختيار أي يريد غير ما أراد الله ويمتنع مما أمر الله ورسوله.

قوله: «أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ» «أَنْ يَكُونَ» هو اسم كان، والخبر الجار متقدم^(٣) وقوله: «إِذَا قَضَى اللَّهُ» يجوز أن يكون مخض ظرف معموله الاستقرار الذي تعلق به الخبر، أي وما كان مستقراً لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله كَوْنُ خيرة وأن تكون شرطية ويكون جوابها مقدراً مدلولاً عليه بالنفي^(٤) المتقدم. وقرأ الكوفيون وهشام «يكون» - بالياء من أسفل؛ لأن «الخيرة» مجازي التأنيث، وللفصل أيضاً، والباقون بالتاء من فوق مراعاةً للفظها^(٥)، وقد تقدم أن «الخيرة» مصدر «تَخَيَّرَ» «كالطيرة» من «تَطَيَّرَ»^(٦)، ونقل عيسى بن سليمان^(٧) أنه قرء الخيرة - بسكون الياء^(٨) - و «مِنْ أَمْرِهِمْ» حال من الخيرة، وقيل: «من» بمعنى «في» وجمع الضمير في «أمرهم» وما بعده لأن المراد بالمؤمن والمؤمنة الجنس. وغلب المذكر على المؤنث^(٩)، وقال الزمخشري: «كان من حق الضمير أن يُؤخَدَ كما تقول: مَا جَاءَنِي مِنْ رَجُلٍ وَلَا امْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ كَذَا»^(١٠) قال أبو حيان: «وليس بصحيح؛ لأن العطف بالواو، فلا يجوز ذلك إلا بتأويل الحذف»^(١١).

قوله «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا» أخطأ خطأ ظاهراً. فلما سمعنا ذلك رضينا بذلك وسلمنا وجعلت أمرها بيد رسول الله - ﷺ - وكذلك أخوها فأنكحها رسول الله - ﷺ - زيداً فدخل بها. وساق رسول الله - ﷺ - إليها عشرةً ذنائبٍ وستين درهماً وخمراً ودرعاً وإزاراً وملحفةً وخمسين مداً من الطعام وثلاثين صاعاً من تمر^(١٢).

(١) انظر: المراجع السابقة. (٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) قاله السمين في الدر ٣٨٨/٤. (٤) المرجع السابق.

(٥) ذكره في الحجة لابن خالويه ٢٩٠ كما ذكره ابن الجوزي في النشر ٣٥٠/٢ وانظر الإتحاف ٣٥٥ والسبعة ٥٢٢ وقد نقل القرطبي اختيار أبي عبيد لقراءة الكوفيين قال: «قرأ الكوفيون بالياء وهو اختيار أبي عبيد لأنه قد فرق بين المؤنث وفعله». انظر: الجامع ١٨٧/١٤.

(٦) يشير إلى الآية ٦٨ من القصص: «وَوَرَّبُّكَ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ» وقال هناك: إن الخيرة كالطيرة من التطير فيستعملونه استعمال المصدر انظر: اللباب ٣٣٢/٦.

(٧) هو عيسى بن سليمان أبو موسى الحجازي المعروف بالشيزري الحنفي مقرئ عالم نحوي معروف أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي وروى الفقه عن أحد أصحاب أبي حنيفة والحروف عن نافع وجعفر وشيبة انظر: غاية النهاية ٦٠٩/١.

(٨) من القراءة الشاذة غير المتواترة مختصر ابن خالويه ١١٩ وهي قراءة ابن السميع. القرطبي ١٨٧/١٤.

(٩) السمين قرره في إعرابه ٣٨٨/٤. (١٠) قاله في الكشف ٢٦٢/٣.

(١١) قاله في البحر المحيط ٢٣٤/٧.

(١٢) قاله الإمام البغوي في تفسيره المسمى بمعالم التنزيل ٢٦١/٥ وانظر كذلك الخازن ٢٦١/٥.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لَكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝ (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۝ (٣٨) الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝ (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ (٤٠)﴾

قوله: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» وهو زيد بن حارثة أنعم الله عليه بالإسلام «وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» بالتحريم والإعتاق^(١).

قوله: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ» نص بعض النحويين على أن «على» في مثل هذا التركيب اسم قال: لثلاث يتعدى فعل المضمر المتصل إلى ضمير المتصل في غير باب «ظَنٌّ» وفي لفظتي: فَقَدْ وَعْدِمَ وجعل من ذلك:

٤٠٩٠ - هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأُمَّ - حور بكف الإله مقاديرها^(٢)
وكذلك حكم على «عن» في قوله:

٤٠٩١ - [ف] دَغَ عَنْكَ نَهْبًا صَبَحَ فِي حَجَرَاتِهِ^(٣)

(١) قاله القرطبي في ١٤/١٨٨.

(٢) قائله الأعور الشَّيْءُ وهو بِشَرِّ بَنٍ مُبْتَدَأ. وهو من بحر المتقارب والشاهد فيه: «عليك» فإن «على» هنا اسم لأن مجرورها وفاعل ما تعلقت به ضميران لمسمى واحد وذلك لأنه لا يتعدى فعل المضمر المتصل في غير باب «ظَنٌّ» وفقد وعدم» فلا يقال: «ضَرَبْتَنِي»، ولا فَرَحْتُ بِي» وقد نسب هذا القول لأبي الحسن الأخفش. وقد رد عليه بأنها لو كانت اسماً لصح حلول «فوق» محلها. وهذا لا يصح ويتخرج هذا إما على التعليق بمحذوف كما في نحو: سَفِيًّا لَكَ، أو على حذف مضاف أي هَوْنٌ عَلَى نَفْسِكَ. وقد تقدم.

(٣) صدر بيت لامرئ القيس من الطويل وتماه:

وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثَ الرَّوَّاجِلِ

ويروى: «فَدَغَ» كما في اللسان وهو الأصح لاستقامة وزن البيت شعرياً. وشاهده: «عَنْكَ» حيث تعدى فعل المضمر المتصل إلى ضميره المتصل، وقد قال الأخفش: إن «عَنْ» هنا اسم والقول فيه كسابقه، وصدر البيت يضرب مثلاً لمن ذهب من ماله شيء ثم ذهب بعده ما هو أجل منه. ولهذا البيت مناسبة ذكرها ابن منظور في اللسان نقلاً عن ابن الأثير وانظر اللسان: «ح ج ر» ٧٨٣ وديوانه (٩٤) والهمع ٢/ ٩٢ والبحر المحيط ٧/ ٢٣٠ ومغني اللبيب ١٥٠ وتوضيح المقاصد ٢/ ٢١٩، والدر المصون ٤/ ٣٨٦ والارتشاف ٧٣.

وقد تقدم ذلك مُشَبَّعاً في النحل في قوله: «وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ»^(١)، وفي قوله: ﴿وَهَزَيْتُمُ النَّجْمَ﴾ [مريم: ٢٥] (وقوله)^(٢): ﴿وَأَضْمْتُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢].

قوله: «وَتُخْفِي» فيه أوجه:

أحدها: أنه معطوف على «تقول» أي وإذ تَجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِكَ كَذَا وَإِخْفَاءِ كَذَا وَخَشْيَةِ الناس^(٣) قاله الزمخشري.

الثاني: أنها واو الحال أي تقول كذا في هذه الحالة. قاله الزمخشري أيضاً^(٤)، وفيه نظر حيث إنه مضارع مثبت فكيف تباشره الواو؟ وتخريجه كتخريج «قُمْتُ وَأَصْلُكَ عَيْنُهُ» أعني على إضمار مبتدأ.

الثالث: أنه مستأنف قاله الحوفي^(٥)، وقوله: «وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» تقدم مثله في بَرَاءة^(٦).

فصل

قال المفسرون إن الآية نزلت في زَيْنَب بنتِ جَحْش، وذلك أن رسول الله - ﷺ - لما زوج «زينب» من «زَيْد» مكثت عنده حيناً ثم إن رسول الله - ﷺ - أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصر زينب قائمة في دِرْعٍ وَخِمَارٍ، وكانت بيضاء وجميلة ذات خُلُقٍ من أتم نساء قريش فوقعت في نفسه، وأعجبه حسننها فقال: سبحان^(٧) الله مقلب القلوب وانصرف قريش جاء زيد ذكرت ذلك له، ففطن زيد فألقى في نفس زيد كراهتها في الوقت فأتى رسول الله - ﷺ - فقال: إن أريد أن أفارق صاحبتني قال: ما لك أَرَأَيْكَ^(٨) منها شيء قال: لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم عليّ لشرفها وتؤذي بلسانها. فقال النبي - ﷺ - أُمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ يعني زينب بنت جحش وأتت الله في أمرها ثم طلقها زيد، فذلك قوله عز وجل: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالإِسْلَامِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بِالإِعْتِقَادِ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ» أُمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وأتت الله فيها ولا تفارقها «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» أي تُسرُّ في نفسك ما الله مظهره أي كان في قلبه لو فارقها تزوجها. وقال ابن عباس^(٩): حياء، وقال قتادة: ودَّ أنه لو طلقها^(١٠) «وَتُخْفِي النَّاسَ» قال ابن عباس والحسن^(١١): تستحييهم، وقيل: تخاف لائمة^(١٢) الناس أن يقولوا

(١) من الآية ٥٧ منها.

(٢) الكشاف ٣/ ٢١٣ قال: كأنه قيل: وإذ تجمع بين قولك أُمْسِكْ وإخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك.

(٣) المرجع السابق. (٤) ذكره أبو حيان في البحر ٧/ ٢٣٥.

(٦) يشير إلى قوله: «اتَّخِذُوا لَهُمْ قَالَةً أَحَقُّ» من الآية ١٣.

(٧) وهذا هو رأي مقاتل، انظر: تفسير القرطبي ١٤/ ١٩٠.

(٨) في «ب» ما رأيك منها شيء. (٩) المرجع السابق.

(١٠) وهذا رأي مقاتل وابن جرير أيضاً، انظر: زاد المسير ٦/ ٣٨٧.

(١١) قاله الإمام القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٩٠. (١٢) نقله ابن الجوزي في الزاد المرجع السابق.

أَمَرَ رَجُلًا بِطُلَاقِ امْرَأَتِهِ ثُمَّ نَكَحَهَا، «وَاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَخْشَاهُ». قَالَ عُمَرُ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَعَائِشَةُ: مَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - آيَةٌ هِيَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ (الآيَةِ^(١)). وَرَوَى عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: لَوْ كَتَمَ النَّبِيُّ - ﷺ - شَيْئًا مِمَّا أَوْحَى إِلَيْهِ لَكُنْتُ هَذِهِ (الآيَةِ): «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» وَرَوَى عَنْ سَفِيَّانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ جُدْعَانَ قَالَ: سَأَلَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ مَا يَقُولُ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ: «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» قَالَ: قُلْتُ: (تَقُولُ^(٢)): لَمَّا جَاءَ زَيْدٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَطْلُقَ زَيْنَبَ فَأَعْجِبْهُ ذَلِكَ قَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ لَيْسَ كَذَلِكَ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَعْلَمَهُ أَنَّهَا سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِهِ وَأَنْ زَيْدًا سَيُطْلَقُهَا فَلَمَّا جَاءَ زَيْدٌ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَطْلُقَهَا قَالَ لَهُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ فَعَاتَبَهُ اللَّهُ وَقَالَ: لِمَ قُلْتَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَقَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنَّهَا سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِكَ وَهَذَا هُوَ^(٣) الْأَوَّلَى وَالْأَلِيقُ بِحَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ مُطَابِقٌ لِلتَّلَاوَةِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَمَ أَنَّهُ يَبْدِي وَيُظْهِرُ مَا أَخْفَاهُ وَلَمْ يَظْهَرْ غَيْرُ تَزْوِيجِهَا مِنْهُ فَقَالَ: «زَوَّجْنَاكَهَا» فَلَوْ كَانَ الَّذِي أَضْمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مُحِبَّتِهَا أَوْ إِرَادَةَ طُلَاقِهَا لَكَانَ يَظْهَرُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنَّهُ يَخْبِرُ أَنَّهُ يُظْهِرُ ثُمَّ يَكْتُمُهُ فَلَا يَظْهَرُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا عَوَّتَبَ عَلَى إِخْفَاءِ مَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ أَنَّهَا سَتَكُونُ زَوْجَةً لَهُ، وَإِنَّمَا أَخْفَاهُ اسْتِحْيَاءً أَنْ يَقُولَ لَزَيْدٍ: إِنَّ الَّذِي تَحْتَكُ فِي نِكَاحِكَ سَتَكُونُ امْرَأَتِي وَهَذَا حَسَنٌ^(٤) وَإِنْ كَانَ الْآخَرُ وَهُوَ أَنَّهُ أَخْفَى مُحِبَّتِهَا أَوْ نِكَاحَهَا لَوْ طَلَقَهَا لَا يَقْدَحُ فِي حَالِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ غَيْرَ مَلُومٍ عَلَى مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا لَمْ يَقْصِدْ فِيهِ الْمَأْثَمَ؛ لِأَنَّ الْوُدَّ وَمِثْلَ النَّفْسِ مِنْ طَبْعِ الْبَشَرِ، وَقَوْلُهُ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ» أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ خَشْيَةُ الْإِثْمِ فِيهِ وَقَوْلُهُ: «وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» لَمْ يَرُدَّ بِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَخْشَى اللَّهَ فِيمَا سَبَقَ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ (الصَّلَاةُ^(٥)) (وَالسَّلَامُ) قَدْ قَالَ: «أَنَا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ»^(٦) وَلَكِنَّ الْمَعْنَى اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ وَخَدَهُ، وَلَا تَخْشَى أَحَدًا مَعَهُ وَأَنْتَ تَخْشَاهُ وَتَخْشَى النَّاسَ أَيْضًا، فَلَمَّا ذَكَرَ الْخَشْيَةَ مِنَ النَّاسِ ذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْخَشْيَةِ فِي عَمُومِ الْأَحْوَالِ وَفِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ^(٧).

قَوْلُهُ: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا»، «وَطَرًا» مَفْعُولٌ «قَضَى»، وَالْوَطَرُ الشَّهْوَةُ وَالْمُحَبَّةُ^(٨) قَالَهُ الْمُبَرِّدُ وَأَنْشَدَ:

(١) سَقَطَ مِنْ «ب» وَانْظُرِ الْمَرْجِعَ السَّابِقَ.

(٢) السَّابِقُ. (٣) سَقَطَ مِنْ «ب».

(٤) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ بَعْدَ إِيرَادِهِ هَذَا الْأَثَرُ: «وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ التَّحْقِيقِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ كَالزَّهْرِيِّ، وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَلَاءِ الْقَشِيرِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرُهُمْ». انْظُرْ: تَفْسِيرَ الْجَامِعِ ١٩١/١٤٤.

(٥) نَقَلَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ ٣٩٠/٦ وَهَذَا رَأْيُ الثَّلَبِيِّ وَالْوَاهِدِيِّ.

(٦) زِيَادَةُ مِنْ «ب».

(٧) الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ عَنْ عَائِشَةَ انْظُرْ: الْمَوْطَأَ ١٩٣ وَ ١٩٤.

(٨) نَقَلَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ٣٨٨/٦. (٩) فِي الْبَحْرِ ٢١١/٧.

٤٠٩٢ - وَكَيْفَ نَوَائِي بِالْمَدِينَةِ بَعْدَمَا قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلٌ بَنٌ مَغْمَرٌ^(١)

وقال أبو عبيدة: الوطر: الأرب والحاجة، وأنشد الربيع بن ضبع الفزاري:

٤٠٩٣ - وَدَعَيْنَا قَبْلَ أَنْ نُودَعَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ شَبَابِنَا وَطَرًا^(٢)

وقرأ العامة: «زَوَّجْنَاكَهَا»، وقرأ علي وابناه الحسن - رضي الله عنهم، وأرضاهم - «زَوَّجْتُكَهَا»^(٣)، بناء المتكلم و «لِكَيْلَا» متعلق «بزواجناكها». وهي هنا لاصبة فقط لدخول الجار عليها^(٤). واتصل الضميران بالفعل، لاختلافهما رتبة.

فصل

المعنى فلما قضى زيد منها حاجة^(٥) من نكاحها زوجناكها، وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبني تجل بعد الدخول بها إذا طلقت وانقضت عدتها؛ لأن الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج إليها فلم يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن عنها، وكذلك إذا كانت في العدة له بها تعلق لأجل شغل الرحم فلم يقض منها بعد وطر، فإذا طلقت وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له معها تعلق فقضى منها الوطر^(٦). قال أنس: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي - ﷺ - زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيَكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وقال الشعبي: كانت زينب تقول للنبي - ﷺ - إني لأدُلُّ عَلَيْكَ ثَلَاثَ مَا مِنْ نِسَائِكَ امْرَأَةٌ تَدُلُّ بِهَنْ، جَدِّي وَجَدُّكَ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أُنَكِّحُكَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ وَإِنَّ السَّفِيرَ لَجِبْرِيلُ^(٧).

قوله: «لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ» إثم «فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَاءِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا» فالأدعياء جمع أَدْعَى وهو المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب لا تجل للأب «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» أي قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً، وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله - ﷺ -.

(١) البيت من الطويل وقائله مجهول. وانظر مجمع البيان ٥٦٢/٧ وفتح القدير ٢٨٤/٤ والكامل للمبرد ٥٠/٢، والبحر المحيط ٢٠٩/٧ و ٢١١، والدر المصون ٣٩٠/٤ والقرطبي ١٩٤/١٤.

(٢) من المنسرح وهو للربيع بن ضبع الفزاري. انظر: مجاز القرآن ١٣٨/٢ ونوادر أبي زيد ٤٤٦ وفتح القدير ٢٨٤/٤ والمحتسب ١٦٧/١ والطبري ١١/٢٢ والبحر المحيط ٢٠٩/٧ والدر المصون ٤/٣٩٠ والمغني ٦٨٩ وقد روي:

فَارَقْنَا قَبْلَ أَنْ نَفَارِقَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ جَمَاعَتِنَا وَطَرًا

(٣) من القراءات الشاذة غير المتواترة وانظر: مختصر ابن خالويه ١١٩ و ١٢٠ والقرطبي ١٩٤/١٤.

(٤) هذا هو القسم الثالث من أقسام «كي» وهو أن تجيء بمنزلة «أن» المصدرية معنى وعملاً وذلك إذا وقعت بعد اللام وليس بعدها «أن».

(٥) في «ب» حاجته.

(٦) قاله الإمام الفخر في تفسيره ٢٥/٢١٢.

(٧) قاله القرطبي في تفسيره ١٤/١٩٥.

قوله: «مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ» أي فيما أحل الله له.

قوله: «سُنَّةَ اللَّهِ» منصوب على المصدر^(١) كـ ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨] و﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٢٠] أو اسم وضع موضع^(٢) المصدر أو منصوب «بِجَعْلٍ» أبو الإغراء أي فعلية سنة الله، قاله^(٣) ابن عطية ورده أبو حيان بأن عامل الإغراء لا يحذف، وبأن فيه إغراء الغائب وما ورد منه مؤول على نُدوره نحو: «عَلَيْهِ رَجُلًا لَيْسَنِي»^(٤). قال شهاب الدين: وقد^(٥) ورد قوله عليه السلام: «وَالَا فَعَلَيْهِ بِالصُّومِ»^(٦) فقليل: هو إغراء، وقيل: ليس به وإنما هو مبتدأ وخبر، والباء زائدة في المبتدأ وهو تخريج فاسد المعنى، لأن الصوم ليس واجباً على ذلك. وقال البغوي: نصب^(٧) بنزع الخافض أي كَسُنَّةِ اللَّهِ.

فصل

المراد بسنة الله في الذين خلوا من قبل أي في الأنبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم، قال الكلبي ومقاتل^(٨): أراد داود حين جمع بينه وبين المرأة التي هَوِيَهَا فكذلك جمع بين محمد وبين زينب، وقيل: أراد بالسنة النكاح، فإنه من سنة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا» مَقْضِيًا كائناً ماضياً. واعلم أن في قوله أولاً: «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا»، وقوله ثانياً: «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا» لطيفة وهي أن الله تعالى لما قال: «زَوَّجْنَاكُمَهَا» قال: «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا»، أي تزويجنا زينب إياك كان مقصوداً شرعياً مَقْضِيًا مُرَاعَى، ولما قال: «سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا» أشار إلى قصة داود حين افتتن بامرأة «أوريا» قال: «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا» أي كان ذلك حكماً تبعياً^(٩).

قوله: «الَّذِينَ يَبْلُغُونَ» يجوز أن يكون تابِعاً «لِلَّذِينَ خَلَوْا» وأن يكون مقطوعاً عنه رفعاً ونصباً على إضمار: «هم» أو أغني، أو أمدَح^(١٠).

(١) قاله في المشكل ١٩٨/٢ والسمين في الدر ٣٩١/٤.

(٢) قاله الزمخشري في الكشاف ٢٦٤/٣.

(٣) ذكره أبو حيان في البحر ٢٣٦/٧.

(٤) المرجع السابق ويقصد أبو حيان أن الإغراء لا يكون إلا للمخاطب وأما ما ورد من قولهم: «عَلَيْهِ رَجُلًا» فمؤول أي ليلزم رجلاً غيري. انظر: ابن عيش ٢٩/٢، والأشموني ١٩٢/٣ والتصريح ٢/١٩٥.

(٥) الدر المصون ٣٩١/٤.

(٦) أورده الإمام البخاري في صحيحه كتاب النكاح ١٥٨/٢.

(٧) قاله في معالم التنزيل ٢٦٤/٥ وقال: «وقيل نصب على الإغراء».

(٨) المرجع السابق. وانظر: زاد المسير ٣٩٢/٦.

(٩) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢١٣/٢٥.

(١٠) انظر: التبيان ١٠٥٧ والدر المصون ٣٩١/٤ والكشاف ٢٦٤/٣.

فصل

المعنى إن الذين يبلغون رسالات الله كانوا أيضاً رُسُلًا مثلك، ثم ذكر حالهم بأنهم جربوا الخشية ووجدوها فيخشون الله ولا يخشون أحداً سواه فصار كقوله: «فِيهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ» ولا يخشى قالة الناس فإنهم ليسوا بمتهمين فيما أحل الله لهم وفرض عليهم، «وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبتهم فلا يُخْشَى غَيْرُهُ.

قوله: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ» لما تزوج النبي - ﷺ - - زينب قال الناس: إن محمداً تزوج امرأة ابنه فأنزل الله - عز وجل^(١) - «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ» يعني زيد بن حارثة أي ليس أباً أحد من رجالكم الذين لم يولد له فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها. فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء القاسم والمطهر، وإبراهيم، والطيب، وكذلك الحسن، الحسين، قال - عليه (الصلاة)^(٢) (و) السلام -: «إن ابني هذا سيد؟».

فالجواب: هؤلاء كانوا صغاراً ولم يكونوا رجالاً، والصحيح أنه أراد أباً أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ الذي لم يولد له^(٣).

قوله: «وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ» العامة على تخفيف «لكن» ونصب «رسول»، ونصبه إما على إضمار «كَانَ» لدلالة «كان» السابقة عليها، أي ولكن كَانَ^(٤)، وإما بالعطف على^(٥) «أَبَا أَحَدٍ»: والأول أليق؛ لأن «لكن» ليست عاطفة لأجل الواو، فالأليق بها أن تدخل على الجمل «كبل» التي ليست عاطفة^(٦). وقرأ أَبُو عَمْرٍو - في رواية - بتشديدها^(٧)، على أن «رسول الله» اسمها وخبرها محذوف للدلالة، أي ولكن رسول الله هُوَ أي محمد، وحذف خبرها سائغ وأنشد:

٤٠٩٤ - فَلَوْ كُنْتُ ضَبِيًّا عَرَفْتُ قَرَابَتِي وَلَكِنْ زُنَجِيًّا عَظِيمَ الْمَشَافِرِ^(٨)

(١) قاله القرطبي في الجامع الكبير ١٤/١٩٦ وابن الجوزي في الزاد ٦/٣٩٣.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) قاله القرطبي في المرجع السابق وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٢٢٩ و ٢٣٠ والخازن ٥/٢٦٤ و ٣٦٥ والبيهقي ٥/٢٦٤ و ٢٦٥ وفيه «الذين لم يلداهم» بلفظ الجمع.

(٤) هذا رأي أبي الحسن الأخفش فقد قال في المعاني ٢/٦٦٠: «أي ولكن كان رسول الله» واستحسن رأيه ابن الأنباري في غريب إعراب القرآن ٢/٢٧٠ وانظر: الدرر للسمين ٤/٣٩١ وإعراب القرآن للزجاج ٤/٢٣٠ والتبيان ١٠٥٨ ومعاني الفراء ٢/٣٤٤.

(٥) قاله أبو حيان في البحر ٧/٢٣٦ والسمين في الدر ٤/٣٩١.

(٦) المرجع السابق.

(٧) مختصر ابن خالويه ١٢٠ والمحتسب ٢/١٨١ وهي من الشواذ.

(٨) البيت من الطويل يهجو به رجلاً من «ضبة» وهو للفرزدق والمشافر جمع مشفر وهو من البعير كالشفة =

أي أنت، وهذا البيت يروونه أيضاً «ولكن زنجي» بالرفع، شاهداً على حذف اسمها، أي «ولكنك». وقرأ زيد بن علي، وابن أبي عبله بتخفيفها^(١) ورفع «رسول» على الابتداء، والخبر مقدر أي هو، أو بالعكس أي ولكن هو رسول كقوله:

٤٠٩٥ - وَلَسْتَ الشَّاعِرَ السُّفْسَافَ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَذْرَءَ الْحَزْبِ الْعَوَانِ^(٢)
أي ولكن أنا مدره.

قوله: «وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ» قرأ عاصم بفتح التاء^(٣) والباقون بكسرها، فالفتح اسم للآلة التي يختم^(٤) بها كالتأبغ والقالب، لما يطبع به، ويقلب فيه هذا هو المشهور، وذكر أبو البقاء فيه أوجهاً آخر منها أنه في معنى المصدر قال: كذا^(٥) ذكر في بعض الأعراب، قال شهاب الدين: وهو غلط^(٦) محض كيف وهو مخرج^(٧) إلى تجويز أو إضمار، ولو حكى هذا في خاتم - بالكسر - لكان أقرب، لأن قد يجيء المصدر على فاعل وفاعلة وسيأتي ذلك قريباً، ومنها أنه اسم بمعنى^(٨) «آخر» ومنها أنه فعل ماض مثل «قاتل» فيكون «النبيين» مفعولاً به، قال شهاب الدين: ويؤيد هذا قراءة عبد الله المتقدمة^(٩). وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني بمعنى آخرهم لأنه قد ختم النبيين فهو خاتم^(١٠).

فصل

قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابناً^(١١) يكون من بعده نبياً، وروى عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حكم أنه لا نبي بعده لم يُعْطِهِ ولدًا ذكراً

= للإنسان وشاهده: ولكن زنجياً، حيث حذف خبر «لكن» أي «لا يعرف قرابتي»، وإذا رفع زنجي فإن المحذوف هو الاسم، والبيت لا يوجد بديوان الفرزدق وانظر: الكتاب ١٣٦/٢ والبحر ٢٣٦/٧، والإفصاح ٢١٣ والمحتسب ١٨٢/٢ والإنصاف ١٨٢ وأسرار البلاغة ١٢٩ وابن يعيش ٨١/٨ والهمع ١٣٦/١ ومجالس ثعلب ١٠٥، وأمالى السهيلي ١١٦، وتمهيد القواعد ١١٧/٢، واللسان «شفر» والمقرب ١٠٨/١، والمغني ٢٩١ وشرح شواهد للسيوطي ٧٠١ والمنصف ١٢٩/٣ وقد وجد بديوانه بلفظ «مشافره».

(١) ذكر تلك القراءة الشاذة ابن خالويه في المختصر ١٢٠ وانظر: معاني الفراء ٣٤٤/٢ والبحر المحيط ٢٣٦/٧ والأخفش في معانيه ٦٦٠.

(٢) البيت من تمام الوافر وهو مجهول القائل. وقد تقدم.

(٣) الحجة لابن خالويه ٢٩٠ والنشر ٣٤٨/٢ وتقريبه ١٦١ والسبعة ٥٢٤ والإنحاف ٣٥٥.

(٤) انظر: اللسان: «خ ت م» ١١٠١. (٥) التبيان ١٠٥٨.

(٦) الدر المصون ٣٩٢/٤. (٧) وفيه: «يحوج» بالمضارعة.

(٨) المرجعان السابقان.

(٩) لم يذكر المؤلف تقدماً لتلك القراءة وهي: «وَحَتَمَ النَّبِيِّينَ» بلفظ الماضي وهي قراءة ابن مسعود ومن حذا حذوه، وانظر: مختصر ابن خالويه ١٢٠ ومعاني الفراء ٢٤٤/٢.

(١٠) المرجعان السابقان. (١١) نقله في زاد المسير ٣٩٣/٦.

يصير رجلاً^(١)، وقيل: من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم إذ هو كالوالد لولد ليس له غيره^(٢). «وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» أي علمه بكل شيء دخل فيه أن لا نبي بعده، فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد عليه (الصلاة^(٣)) والسلام أن زوجه بزوجة^(٤) دعيه تكميلاً للشرع، وذلك من حيث إن قول النبي - عليه الصلاة والسلام - يفيد شرعاً لكن إذا امتنع هو عنه يفيد في بعض النفوس نفرة، ألا ترى أنه ذكر بقوله ما فهم منه جل أكل الضَّبِّ، ثم لما لم يأكله بقي في النفوس شيء، ولما أكل لحم الجمل طاب أكله، مع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب^(٥)، روى أبو هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ قَصْرِ أَحْكِمَ بَنِيَّانَ تَرَكَ مِنْهُ مَوْضِعَ لَبَنَةٍ فَطَافَ بِهِ النَّظَارُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ حُسْنِ بَنَانِهِ إِلَّا مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبَنَةِ لَا يُجِيبُونَ سِوَاهَا فَكُنْتُ أَنَا مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبَنَةِ خَتِمَ بِهِ الْبَنَانُ، وَخَتِمَ بِي الرُّشْدُ»^(٦)، وقال - عليه (الصلاة^(٧)) والسلام: «إِنَّ لِي^(٨) أَسْمَاءَ أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي يَمْخُو اللَّهُ بِي الْكَفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يَخْشُرُ اللَّهُ النَّاسَ عَلَى قَدَمَيْ وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ».

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ نَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَقُومُونَ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝٤٤ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝٤٦ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ۝٤٧ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨﴾

قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» قال ابن عباس^(٩): لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم

(١) ذكره الخازن والبغوي في تفسيريهما ٢٦٥/٥.

(٢) ذكره الفخر الرازي ٢١٤/٢٥.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) في «ب» بزوجه وما هنا هو الموافق لتفسير الرازي.

(٥) قاله الإمام الرازي في التفسير الكبير ٢١٤/٢٥.

(٦) الحديث رواه الإمام السيوطي في كتابه: «جامع الأحاديث» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وانظر كذلك مجمع البيان للطبرسي ٥٦٧/٨.

(٧) زيادة من «ب».

(٨) الحديث رواه جابر بن مطعم عن النبي - ﷺ - ولقد أورده الإمام البخاري في صحيحه ٢٠١/٣.

والإمام مالك في الموطأ رقم ١٥ من أسماء النبي وأورده أحمد في مسنده ٨٠/٤ و ٨١ و ٨٤.

(٩) تفسير البغوي ٢٦٥/٥ و ٢٦٦.

يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أهله في تركه إلا مغلوباً على عقله وأمرهم به في الأحوال كلها، فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] وقال: «اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» أي بالليل والنهار، والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا ينساه^(١) أبداً «وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» أي صلوا له بكرة يعني صلاة الصبح و «أَصِيلًا» يعني صلاة العصر، وقال الكلبي: «وأصيلاً» صلاة الظهر والعصر والعشاء، وقال مجاهد معناه: قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فعبر بالتسبيح عن أخواته، وقيل: المراد من قوله: «ذِكْرًا كَثِيرًا» هذه الكلمات يقولها الطاهر والخيث والمحدث^(٢).

قوله: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ» الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين فذكر صلاته تحريضاً للمؤمنين على الذكر^(٣) والتسبيح، قال السدي: قالت^(٤) بنو إسرائيل لموسى: أبصلي ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى فأوحى الله إليه قل لهم: إني أصلي وإن صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء. وقيل: الصلاة من الله هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده، وقيل: الثناء عليه. قال أنس: لما نزلت إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر: ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزل الله عز وجل هذه^(٥) الآية.

قوله: «وَمَلَائِكَتُهُ» إما عطف على فاعل «يصلي»، وأغنى الفصل بالجار عن التأكيد بالضمير^(٦)، وهذا عند من يرى الاشتراك أو القدر المشترك أو المجاز^(٧)؛ لأن صلاة الله غير صلاتهم. وإما مبتدأ وخبره محذوف، أي «وملائكته يصلون» وهذا عند من يرى شيئاً مما تقدم جائزاً إلا أن فيه بحثاً، وهو أنهم نصوا على أنه إذا اختلف مدلولوا الخبرين فلا يجوز حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه وإن كانا بلفظ واحد، فلا تقول: «زَيْدٌ ضَارِبٌ وَعَمْرُو» يعني وعمرو ضارب في الأرض أي مسافر^(٨).

(١) المرجع السابق.

(٢) ذكرت هذه الآراء في زاد المسير لابن الجوزي ٣٩٨/٦ ومعالم التنزيل للبغوي ٢٦٦/٥.

(٣) قاله الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٢١٥/٢٥.

(٤) ذكر الخازن والبغوي في تفسيريهما هذه الأقوال ٢٦٦/٥ وانظر: القرطبي ١٩٨/١٤.

(٥) معالم التنزيل للبغوي المرجع السابق ٢٦٦/٥.

(٦) حيث إن من شرط العطف على الضمير المرفوع المنفصل بظاهر أن يؤكد هذا الضمير بضمير مثله كقوله تعالى: «اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ».

(٧) قال الزمخشري: «جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرافة» فكانه يرى صحة

العطف وانظر الدر المصون ٢٩٣/٤.

(٨) يعني لأن الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فقد اختلف المعنيان وإن كانا بلفظ واحد.

وانظر الدر المصون للسمين ٢٩٣٩/٤.

فصل

الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، فقيل: إن اللفظ المشترك يجوز استعماله في مَعْنَيَيْهِ معاً وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز. قال ابن الخطيب^(١): وينسب هذا القول للشافعي رحمه الله، وهو غير بعيد؛ وذلك لأن الرحمة والاستغفار مشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر له والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة واحدة، ثم قال: «لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان يعني (أنه)^(٢) برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان. «وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً» وهذا بشارة لجميع المؤمنين وأشار بقوله: «يصلّي عليكم» أن هذا غير مختص بالسامعين وقت الخطاب. قوله: «تَحِيَّتُهُمْ» يجوز أن يكون مصدراً مضافاً لمفعوله، وأن يكون مضافاً لفاعله ومفعوله على معنى أن بعضهم يُحَيِّي بعضاً، فيصح أن يكون الضمير للفاعل والمفعول باعتبارين لا أنه يكون فاعلاً ومفعولاً من وجه واحد^(٣) وهو قول من قال: «وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» [الأنبياء: ٧٨] أنه مضاف للفاعل والمفعول.

فصل

المعنى تحية المؤمنين يَوْمَ يلقونه أي يرون الله سلام أي يسلم الله عليهم ويسلمهم من جميع الآفات، وروي عن البراء بن عازب^(٤) قال: تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه. وعن ابن مسعود^(٥) قال: إذا جاء ملك يقبض روح المؤمن قال: رَبُّكَ يُقْرِئُكَ السلام، وقيل: تسلم عليهم الملائكة تبشرهم حين يخرجون^(٦) من قبورهم ثم قال: «وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً» يعني الجنة.

فإن قيل: الإعداد إنما يكون مِمَّنْ^(٧) لا يقدر عند الحاجة إلى الشيء عليه، وأما الله تعالى فغير محتاج ولا عاجز فحيث يلقاه (و)^(٨) يؤتيه ما يرضى به وزيادة فما معنى الإعداد من قبل؟

فالجواب: أن الأعداد للإكرام لا للحاجة^(٩).

(١) قاله فخر الدين الرازي في تفسيره ٢٥/٢١٥.

(٢) سقط من «ب».

(٣) قاله في البحر المحيط ٧/٢٣٨ والدر المصون ٤/٣٩٣.

(٤) تفسير البغوي ٥/٢٦٦ المسمى معالم التنزيل.

(٥) المرجع السابق. (٦) المرجع السابق وانظر: القرطبي ١٤/١٩٩.

(٧) قاله الإمام الفخر الرازي في تفسيره التفسير الكبير ٢٥/٢١٦.

(٨) الواو ساقطة من الفخر الرازي ومن «ب».

(٩) كذا هي في تفسير الرازي و «أ» هنا. وما في «ب» لا لِحَاجَةٍ بدون ألف التعريف.

قوله: «يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا» أي شاهدًا للرسول بالتبليغ «وَمُبَشِّرًا» لمن آمن بالجنة و «نَذِيرًا» لمن كذب بالنار «فشاهدًا» حال مقدرة، أو مقارنة لقرب الزمان^(١) «وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ» إلى توحيده وطاعته، وقوله «بِإِذْنِهِ» حال أي ملتبسًا بتسهيله، ولا يريد حقيقة الإذن لأنه مستفاد من «أَرْسَلْنَاكَ»^(٢).

قوله: «وَسِرَاجًا» يجوز أن يكون عطفاً على ما تقدم، إما على التشبيه، وإما على حذف مضاف أي ذا سراج^(٣)، وجوز القراء أن يكون الأصل: وتالياً سراجاً، ويعني بالسراج القرآن^(٤)، وعلى هذا فيكون من عطف الصفات وهي لذات واحدة، لأن التالي هو المرسل. وجوز الزمخشري أن يعطف على^(٥) مفعول «أَرْسَلْنَاكَ» وفيه نظر لأن السراج هو القرآن ولا يوصف بالإرسال بل بالإنزال إلا أن يقال: إنه حمل على المعنى كقوله:

٤٠٩٦ - فَعَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا [حَتَّى شَتَّتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا]^(٦)

وأيضاً فيغترف في الثواني ما لا يغترف في الأوائل، وقوله: «مُنِيرًا» لأنه يهتدى^(٧) به كالسراج يستضاء به في الظلمة. وأعلم^(٨) أن في قوله: «سِرَاجًا» ولم يقل: إنه شمس مع أن الشمس أشد إضاءة من السراج فائدة وهي أن نور الشمس لا يؤخذ منه شيء، والسراج يؤخذ منه أنوار كثيرة إذا انطفئ الأول يبقى الذي أخذ منه وكذلك إن غاب النبي - ﷺ - كان كلُّ صحابي كذلك سراجاً يؤخذ منه نور الهداية كما قال عليه (الصلاة)^(٩) (و) السلام: «أَصْحَابِي كَالْجُومِ بَأْيَهُمْ أَقْدَرُتُمْ أَهْتَدَيْتُمْ»^(١٠) وفي هذا الخبر لطيفة وهي أن النبي عليه (الصلاة)^(١١) (و) السلام لم يجعل أصحابه كالسراج وجعلهم كالنجوم لأن النجم لا يؤخذ منه (نور)^(١٢) بل له في نفسه نور إذا غرب لا يبقى نور مستفاد منه فكذلك الصحابي إذا مات فالتابعي يستنير بنور النبي - ﷺ - ولا يأخذ إلا قول النبي - عليه (الصلاة)^(١٣) (و) السلام - وعليه فأنوار المجتهدين كلهم من النبي - ﷺ - ولو جعلهم كالسراج والنبي - ﷺ - كان سراجاً كان للمجتهد أن يَسْتَنِيرَ بِمَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ، ويأخذ النور ممن اختار وليس كذلك فإن مع

(١) قال بذلك أبو حيان في البحر ٢٣٨/٧ والسمين في الدر ٣٩٣/٤.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) السابقان.

(٤) نقل هذا الرأي للفراء أبو حيان في بحره ٢٣٨/٧ ولم أجده في كتابه معاني القرآن ولعله في كتاب آخر له.

(٥) قال: «ويجوز أن يعطف على كاف أرسلناك» انظر: الكشف ٢٦٦/٣.

(٦) هذا بيت من الرجز ذكره الفراء في معانيه ١٤/١ ونسبه لبعض بني أسد، وفي ١٢٤/٣ ونسبه لبعض بني دبير وقد نسب ابن جني في الخصائص للذي الرمة. انظر: الخصائص ٤٣١/٢. وانظر: الدر المنثور ٩٠/٤.

و ٣٩٤ واللسان: «ع ل ف» ٣٠٧٠، والحجة للفارسي ٢٣٣/١ وآمال المرتضى ٢٥٩/٢.

(٧) في «ب» مهتدى بالاسمية.

(٨) قرره الفخر الرازي في تفسيره ٢١٧/٢٥.

(٩) ساقط من «ب».

(١٠) المرجع السابق.

(١١) و (١٢) و (١٣) سواقط من «أ» والفخر الرازي وزيادة من «ب».

نص النبي - ﷺ - لا يُعْمَلُ بقول الصحابي بل يؤخذ النور من النبي ولا يؤخذ من الصحابي، فلم يجعله سراجاً.

قوله: «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» عطف على مفهوم تقديره: «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً فَاشْهَدْ وَبَشِّرْ» ولم يذكر «فاشهد» للاستغناء عنه، وأما البشارة فذكرت إشارة للكرم، ولأنها غير واجبة لولا الأمر^(١). وقوله «بَأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً» كقوله تعالى: «أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً عَظِيماً» والعظيم والكبير متقاربان.

قوله: «وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ» تقدم تفسيره أول السورة، وهو إشارة إلى الإنذار يعني خالفهم ورُدُّ عليهم.

قوله: «وَدَعْ أَذَاهُمْ» يجوز أن يكون «أَذَاهُمْ» مضافاً لمفعوله أي اترك أذاك لهم، أي عقابك إياهم^(٢).

قال الزجاج: لا تجازهم^(٣) عليه، وهذا منسوخ بآية السيف، ويجوز أن يكون مضافاً لفاعله أي اترك ما^(٤) أذوك به فلا تؤاخذهم حتى تؤمر أي دعه إلى الله فإنه يعذبهم بأيديكم وبالنار، وبين هذا قوله تعالى: «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا» أي حافظاً.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعُدُّوهنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّوهُنَّ سِرَّاحاً جَمِيلاً ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَنِسَاءَ عِيَالِكَ وَنِسَاءَ خَالِكَ وَنِسَاءَ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴿٥٠﴾ تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُفَوِّضُ إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَرَضِينَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾»

قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ...» الآية وجه تعلق الآية^(٥) بما

(١) قاله الرازي في تفسيره (٢٥/٢١٨)، وفيه: إبانة للكرم، وليس إشارة.

(٢) الدر المصون ٤/٣٩٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه له ٤/٢٣١.

(٤) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/٢١٨ و ٢١٩.

(٥) الدر المصون المرجع السابق.

قبلها هو أن الله تعالى ذكر في هذه السورة مكارم الأخلاق وأدب نبيه على ما تقدم والله تعالى أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه فكلما ذكر لنبيه مكرمة، وعلمه أدباً ذكر للمؤمنين ما يناسبه، ولما بدأ الله تعالى في تأديب النبي - عليه الصلاة والسلام^(١) - ذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من أزواجه بقوله بعده «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ» وثالث بما يتعلق بجانب العامة بقوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً» كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً» ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَخَضَعُوا لِلْمُؤْمِنَاتِ» ثم كما ثلث في تأديب النبي بجانب الأمة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وبقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦] فإن قيل^(٢): إذا كان هذا إرشاداً إلى ما يتعلق بجانب من هو من خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس؟

فالجواب: هذا إرشاد إلى أعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها، وبيانه^(٣) أن المرأة إذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تأكيد العهد، ولهذا قال تعالى في حق الممسوسة: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [النساء: ٢١]، فإذا أمر الله (تعالى)^(٤) بالتمتع والإحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة إليها بالإفشاء أو حصل تأكدها بحصول الولد بينهما، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ فُتاً أَوْ لَا تَهْرُهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] لو قال: لا تضربهما ولا تشتمهما ظن أنه حرام لمعنى مختص^(٥) بالضرب أو الشتم، فأما إذ قال: «لا تقل لهما أف» علم من معان كثيرة فكذلك هنا لما أمرنا بالإحسان مع من لا مودة معها علم منه الإحسان مع الممسوسة ومن لم تطلق^(٦) بعد ومن ولدت عنده منه.

قوله: «ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ» إن قيل: ما الفائدة بالإتيان «بِئْسَ» وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك؟ فالجواب: أنه جرى على الغالب. وقال الزمخشري: نفى التوهم^(٧) عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها قريبة العهد بالنكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المرأة^(٨) في حباله الزوج ثم طلقها. قال أبو حيان^(٩):

(١) في «ب» طَلَّقَ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) في «ب» وسيأتي وهو ما يخالف تفسير الرازي.

(٤) انظر: الكشف ٢٦٧/٣.

(٥) في «ب» وتتراخى بها المدة.

(٦) ساقط من «ب».

(٧) البحر المحيط ٢٣٩/٧.

(٨) في «ب» يختص.

واستعمل «عسى» صلة لمن وهو لا يجوز. «قال شهاب الدين» يخرج^(١) قوله على ما خرج عليه قول الآخر:

٤٠٩٧ - وَإِنِّي لَرَامٍ نَّظْرَةً قَبْلَ الَّتِي لَعَلِّي - وَإِنْ شَطَطَتْ نَوَاهَا - أَرْوَرَهَا^(٢)

وهو إضمار القول، وفي هذه الآية دليل على أن تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح، لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح بكلمة «ثم» وهي للتراخي حتى (و) لو^(٣) قال لأجنبية: إِذَا نَكَحْتُكَ فَأَنْتِ طَالِقٌ، أو كل امرأة أتزوجها فهي طالق فنكح، لا يقع الطلاق، وهو قول عليّ، وابن مسعود، وجابر، ومعاذ، وعائشة. وبه قال سعيد بن المسيب، وعُزُورَةُ، وشُرَيْحٌ، وسعيد بن جبير، والقاسم، وطاوس والحسن، وعكرمة، وعطاء بن يسار، والشعبي، وقتادة، وأكثر أهل العلم. وبه قال الشافعي، وأحمد^(٤). وروي عن ابن مسعود أنه قال: يقع الطلاق وهو قول إبراهيم النخعي وأصحاب الرأي^(٥)، وقال ربيعة ومالك والأوزاعي: إن عين امرأة يقع، وإن عم فلا يقع، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: كذبوا على ابن مسعود إن كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول: إن تزوجت فلانة^(٦) فهي طالق، يقول الله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ ولم يقل: ﴿إِذَا طَلَقْتُمُوهُنَّ ثُمَّ نَكَحْتُمُوهُنَّ﴾^(٧) وروى عطاء عن جابر قال: قال رسول الله - ﷺ - «لَا طَلَّاقَ قَبْلَ النِّكَاحِ»^(٨).

قوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ» تجامعوهن «فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا» أي تحصونها وتستوفونها بالأقراء والأشهر، «فتعتدونها» صفة «لعدة» وتعتدونها فتتعلونها إما من العَدَد، وإما من الاعتِدَاد أي تحتسبونها أو^(٩) تستوفون عددها من قولك: عَدَّ الدَّرَاهِمَ فَاغْتَدَّهَا أي استوفى عددها، نحو: كَلْتُهُ فَاكْتَالَهُ، وَوَزَنْتُهُ فَاتَّزَنَهُ^(١٠)، وقرأ ابن

(١) الدر المصون ٤/٣٩٤.

(٢) البيت من بحر الطويل وهو للفرزدق. وانظر شرح الكافية ٣٧/٢ والدر المصون ٤/٣٩٤ والأشموني ١٦٣/١ والمغني ٣٨٨ و ٣٩١ و ٥٨٥ مكرراً، وشرح شواهد للسيوطي ٨١٠ والهمع ١/٨٥. وأما الشجري ٦/١، والخزانة ٥/٤٦٤ - ٤٦٩ وليس بديوانه وإنما بديوانه: وإن شئت على أنا لها. انظر ديوانه (١٠٦/١).

(٣) ساقط من «ب».

(٤) وانظر في ذلك معالم التنزيل للبغوي ٥/٢٦٧ وتفسير الخازن ٥/٢٦٧ وتفسير ابن كثير ٣/٤٩٨ والقرطبي ١٤/٢٠٣ وقد قال: «وقال هذا نيف على ثلاثين من صاحب وتابع وإمام سمي البخاري منهم اثنين وعشرين».

(٥) المراجع السابقة. (٦) في «ب» بفلانة.

(٧) المراجع السابقة. (٨) الحديث رواه الإمام البخاري باب الطلاق ٣/٢٧١.

(٩) في «ب» وتستوفون. (١٠) قاله شهاب الدين ابن السمين في كتابه الدر المصون ٤/٣٩٥.

كثير - في رواية - وأهل مكة بتخفيف الدال^(١) وفيها وجهان:

أحدهما: أنها من الاعتداد وإنما كرهوا تضعيفه فحذفوه؛ قاله الرازي^(٢)، قال: ولو كان من الاعتداء الذي هو الظلم لضعف، لأن الاعتداء يتعدى^(٣) «بعلی». قيل: ويجوز أن يكون من الاعتداء^(٤) وحذف حرف الجر أي تَعْتَدُونَ عَلَيْهَا أي على العدة مجازاً، ثم تعتدونها كقوله:

٤٠٩٨ - تَحِثُّ فُتَيْدِي مَا بَهَا مِنْ صَبَابَةٍ وَأُخْفِي الَّذِي لَوْلَا الْأَسَى لَقَضَانِي^(٥)
أي لَقَضَى عَلَيَّ، وقال الزمخشري: وقرئ تَعْتَدُونَهَا مخففاً أي تعتدون فيها^(٦) كقوله:

٤٠٩٩ - وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سُلَيْمَى وَعَامراً قَلِيلَ سَوَى الطَّغْنِ الشَّهَالِ نَوَافِلُهُ^(٧)
وقيل: معنى تعتدونها أي تعتدون عليهن فيها^(٨)، وقد أنكر ابن عطية القراءة عن ابن كثير وقال: غلط ابن أبي بزة عنه^(٩)، وليس كما قال.

والثاني: أنها من العدوان (والاعتداء)^(١٠) وقد تقدم شرحه، واعتراض أبي الفضل عليه بأنه كان ينبغي أن يتعدى «بعلی» وتقدم جوابه، وقرأ الحسن «تَعْتَدُونَهَا» - بسكون العين وتشديد الدال^(١١) - وهو جمع بين ساكنين على (غير)^(١٢) حديهما.

(١) ذكره ابن خالويه في المختصر ١٢٠ وأبو حيان في البحر ٢٤٠/٧ وانظر: السبعة ٥٢٢ وهي من القراءات المتواترة.

(٢) هو أبو الفضل الرازي صاحب كتاب لوايح القرآن وقد سبقت ترجمته.

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٢٤٠/٧.

(٤) نقل أبو حيان في البحر ٢٤٠/٧ هذا التوجيه عن أبي الفضل الرازي أيضاً.

(٥) البيت من بحر الطويل وقد نسب لعروة بن خدام ولم يوجد بدويانه، والشاهد فيه «لَقَضَانِي» حيث حذف حرف الجر (على) والأصل: لَقَضَى عَلَى، فلما حذف حرف الجر اتصل الفعل بالضمير ويمكن القول: إن الفعل «قضى» تضمن معنى «أهلك» أو «قتل» فتعدى بنفسه دون وساطة حرف الجر وعلى هذا فإن معنى «تَعْتَدُونَهَا» أي تعتدون عليها وهذا رأي الرازي ومن حذا حذوه. وقد تقدم.

(٦) نقله في الكشف ٢٦٧/٣.

(٧) من الطويل لأحد الغامرين، وسليم وعامر حيان من قيس بن عيلان، والطعن جمع طعنة وهي الشكة بالرمح ونحوه، والشَّهَالُ جمع شَهِال، وهي الرماح المرتوية بالدم، والنوافل جمع نافلة، وهي ما زاد عن الأصل، ويقصد الشاعر بها هنا الغنائم والشاعر يريد أن يقول: لا يرضى في ذلك اليوم سوى الطعن والغنائم، والشاهد: «شَهِدْنَاهُ» حيث نصب الفعل الضمير وهو الهاء للانساع في ذلك والأصل: شَهِدْنَا فِيهِ. وقد تقدم.

(٨) البحر ٢٤٠/٧.

(٩) زيادة من «ب».

(١٠) ذكره أبو حيان في المرجع السابق.

(١١) ساقطة من «أ» وزيادة من «ب».

(١٢) المرجع السابق.

فصل (١)

دلت هذه الآية على أن العدة حق الزوج فيها غالب وإن كان لا يَسْقُطُ بإسقاطه؛ لما فيه من حق الله تعالى. ثم قال: «فَمَتَّعُوهُنَّ» أي أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس^(٢): هذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً فلها المتعة، وإن كان فرض لها صداقاً فلها نصف الصداق ولا متعة لها، وقال قتادة: هذه الآية منسوخة بقوله: «فَنَصِفُ مَا قَوَّضْتُمْ» [البقرة: ٢٣٧]، قيل: إنه عام وعلى هذا فهل هو أمر وجوب أو أمر استحباب؟ فقيل: للوجوب فتجب المتعة مع نصف المهر، وقيل: للاستحباب فيستحب أن يمتعها مع الصداق بشيء^(٣)، ثم قال: «وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً» أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار، وقيل: السراح الجميل: أن لا يطالبها بما آتاها.

قوله تعالى: «يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ» أي مهورهن «وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» وقوله: «مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ» رد عليك من الكفار بأن تنسي فتملك، وهذا بيان لما ملكت، وليس هذا قيداً بل لو ملكت يمينه بالشراء كان الحكم كذا، وإنما خرج مخرج الغالب^(٤). واعلم أنه ذكر^(٥) للنبي - عليه الصلاة والسلام - ما هو أولى فإن الزوجة التي أُوْتِيَتْ مهرها أطيب قلباً من التي لم تؤت والمملوكة التي سبأها الرجل بنفسه أطهر من التي اشتراها الرجل لأنه لا يدري كيف حالها، ومن هاجرت من أقارب النبي - ﷺ - معه أشرف ممن لم تهاجر، وقال بعضهم: إن النبي - ﷺ - ما كان يستوفي ما لا يجب له والوطء قبل إيتاء الصداق غير مستحق وإن كان حلالاً لنا وكيف والنبي عليه الصلاة والسلام إذا طلب شيئاً حرم الامتناع على المطلوب؟ والظاهر أن الطالب في المرة الأولى إنما هو الرجل لحياء المرأة فلو طلب النبي - ﷺ - من المرأة التمكين قبل المهر للزم أن يجب وأن لا يجب وهو محال ولا كذلك أحدنا ويؤكد هذا قوله: «وَأَمْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ» يعني حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها.

واعلم أن اللاتي^(٦) ملكت يمينه مثل صفية، وجوهرية، ومارية «وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ» يعني نساء قريش «وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ» يعني نساء بني زُهرة «اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ» إلى المدينة فمن لم تهاجر معه منهم لم يجز له نكاحها، روى أبو صالح عن أم هانئ أن رسول الله - ﷺ - لما فتح مكة خطبني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له

(١) ساقطة من «أ» وزيادة من «ب».

(٢) ذكره القرطبي في الجامع ٢٠٥/١٤ والبخاري والخازن في تفسيريهما ٢٦٧/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٢/٦.

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) البخاري والخازن ٢٦٧/٥.

(٥) في «ب» اللاتي بالهمزة وكلاهما صحيح.

(٦) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ٢٢٠/٢٥.

لأنني لم أكن من المهاجرات وكنت من المطلقات^(١)، ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل. قوله «وامرأة» العامة على النصب وفيه وجهان:

أحدهما: أنها عطف على مفعول «أخللنا» أي وأخللنا لك امرأة موصوفة^(٢) بهذين الشرطين، قال أبو البقاء وقد رد هذا قوم، وقالوا: «أخللنا» ماض، و «إن وهبت» - وهو صفة للمرأة - مستقبل، «فأخللنا» في موضع جوابه، وجواب الشرط لا يكون ماضياً في المعنى، قال: وهذا ليس بصحيح لأن معنى الإحلال ههنا الإعلام بالحل إذا وقع الفعل على ذلك كما تقول: «أبخت لك أن تكلم فلاناً إن سلم عليك»^(٣).

والثاني: أنه ينتصب بمقدر تقديره: «ويحل لك امرأة»^(٤).

قوله: «إن وهبت، إن أَرَادَ» هذا من اعتراض الشرط على الشرط، والثاني هو قيد في الأول ولذلك نعره حالاً، لأن الحال قيد، ولهذا اشترط الفقهاء أن يتقدم الثاني على الأول في الوجود. فلو قال: إن أكلت إن ركبت فأنيت طالق، فلا بد أن يتقدم الركوب على الأكل، وهذا له تحقق الحالية والتقييد كما ذكرنا، إذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الأكل غير مقيد بركوب فلهذا اشترطنا تقدم الثاني وقد مضى تحقيق هذا وأنه يشترط أن لا تكون ثم قرينة تمنع من تقدم الثاني على الأول كقوله: «إن تزوجت إن طلقك فعبدني حر»^(٥) لا يتصور هنا تقديم الطلاق على التزويج^(٦).

قال شهاب الدين: وقد عرض لي إشكال على^(٧) ما قاله الفقهاء بهذه الآية وذلك أن الشرط الثاني هنا لا يمكن تقدمه في الوجود بالنسبة إلى الحكم الخاص بالنبي - ﷺ - لا أنه لا يمكن عقلاً، وذلك أن المفسرين فسروا قوله تعالى: «إن أَرَادَ» بمعنى قبل الهبة^(٨) لأن بالقبول منه عليه (الصلاة)^(٩) (و) السلام يتم نكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة إذ القبول متأخر، وأيضاً فإن القصة كانت على ما ذكرته من تأخر إرادته من هبتها وهو مذكور في التفسير^(١٠)، وأبو حيان لما جاء إلى ههنا جعل الشرط الثاني متقدماً على

(١) في «ب» والبخوي الطلقاء وانظر: معالم التنزيل للإمام البخوي ٢٦٨/٥ وتفسير الخازن ٢٦٨/٥ أيضاً.

(٢) قاله الفراء في معانيه ٣٤٥/٢ ومكي في مشكل الإعراب ١٩٩/٢ وأبو البقاء في التبيان ١٠٥٨ وابن الأنباري في البيان ٢٧١/٢ والسمين في الدر ٣٩٦/٤.

(٣) التبيان ١٠٥٨.

(٤) انظر: البيان والتبيان والدر المصون المراجع السابقة.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) انظر تلك الفقرة بأكملها فقرة «إن وهبت» في الدر المصون للسمين ٣٩٦/٤ وانظر: حاشية الجمل على الجلالين فيما نقله عن السمين ٣٧٠/٣.

(٧) ذكره في الدر المصون ٣٩٦/٤ و ٣٩٧ وفيه: «إلا أنه قد عرض لي إشكال».

(٨) في الدر «الهبة».

(٩) «يأده» من «ب» عن الدر المصون و«أ».

(١٠) ممن قال بذلك الزمخشري في الكشف ٢٦٨/٣ والقرطبي في الجامع ٢٠٩/١٤.

الأول على القاعدة العامة، ولم^(١) يستشكل شيئاً مما ذكرته، وقد عرضت هذا الإشكال على جماعة من أعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عن جواب إلا ما قدمته من أنه ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلته آنفاً، وقرأ أبو حيوة «وامرأة» بالرفع على الابتداء، والخبر مقدر، أي أخللناها لك أيضاً^(٢). وفي قوله: «إن أَرَادَ النَّبِيُّ» التفات من الخطاب إلى الغيبة بلفظ الظاهر تنبيهاً على أن سبب ذلك النبوة، ثم رجع إلى الخطاب فقال: «خَالِصَةً لَّكَ»، وقرأ أبي والحسن وعيسى «أَنْ» بالفتح^(٣)، وفيه وجهان:

أحدها: أنه بدل من «امرأة» بدل اشتمال قاله أبو البقاء^(٤)، كأنه قيل: وأخللنا لك هبة المرأة نفسها لك.

والثاني: أنها على حذف لام العلة^(٥) (أي)^(٦) لَأَنَّ وَهَبْتُ، وزيد بن علي «إِذْ وَهَبْتُ»^(٧) وفيه معنى العلية.

قوله: «خالصة» العامة على النصب وفيه أوجه:

أحدها: أنه منصوب على الحال من فاعل «وَهَبْتُ» أي حال كونها خالصة لك دُونَ غَيْرِكَ^(٨).

الثاني: أنها حال من «امرأة» لأنها وصفت فتخصصت، وهو بمعنى الأول، وإليه ذهب^(٩) الزجاج.

الثالث: أنها نعت مصدر مقدر أي هبة خالصة فنصبها «بَوَهَبْتُ»^(١٠).

الرابع: أنها مصدر مؤكد «كَوَعَدَ اللَّهُ»^(١١)، قال الزمخشري: والفاعل والفاعلة في

(١) قال أبو حيان في البحر ٢٤٢/٧: «وإذا اجتمع شرطان فالثاني شرط في الأول متأخر في اللفظ متقدم في الوقوع ما لم تدل قرينة على الترتيب نحو: إن تزوجتك إن طلقتك فعبدي حر».

(٢) ذكرها ابن خالويه في مختصره ١٢٠. وهي من الشواذ وانظر: أبا حيان في بحره ٢٤٢/٧.

(٣) المحتسب ١٨٢/٢ ومختصر ابن خالويه ١٢٠ ومعاني الفراء ٣٤٥/٢ وهي من القراءات من الأربعة فوق العشرة المتواترة بالإتحاف ٣٥٦ والكشاف ٢٦٨/٣ بنسبتها للحسن فقط والقرطبي ٢٠٩/١٤ والبحر ٢٤٢/٧ بزيادة الشعبي وسلام.

(٤) قاله في التبيان ١٠٥٩. (٥) المرجع السابق وانظر: الكشاف ٢٦٨/٣ والتبيان ٢٧١/٢.

(٦) ساقطة من «ب». (٧) ذكرها أبو حيان في بحره ٢٤٢/٧.

(٨) التبيان ١٠٥٩ ومشكل الإعراب لمكي ١٩٩/٢ وقد جعلها حالاً مطلقة ولم يحدد صاحبها، الدر المصون ٣٩٧/٤ أيضاً.

(٩) قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: «وخالصة منصوب على الحال المعنى: أنا أخللنا لك هؤلاء، وأخللنا لك من وهبت نفسها لك» وانظر: البحر المحيط ٢٤٢/٧.

(١٠) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٥٩ والسمين في الدر ٣٩٧/٤.

(١١) ذكره أبو البقاء في المرجع السابق وأبو حيان في البحر ٢٤٢/٧ والسمين في الدر ٣٩٧/٤ والزمخشري في الكشاف ٢٦٨/٣.

المصادر غير عزيزين كالحَارِجِ والقَاعِدِ، والكَاذِبَةِ والعَافِيَةِ^(١) يريد بالخارج ما في قول الفرزدق:

٤١٠٠ - وَلَا خَارِجاً مِنْ فِي زُورِ كَلَامٍ^(٢)

وبالقاعد ما في قولهم: «أَقَاعِدًا وَقَدْ سَارَ الرُّكْبُ»، وبالكاذبة ما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْعَنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢٢]، وقد أنكر أبو حيان عليه قوله: «غير عزيزين» وقال بل هما عزيزان، وما ورد متأول^(٣)، وقرئ: «خَالِصَةٌ» بالرفع^(٤)، فإن كانت «خالصة» حالاً قدر المبتدأ «هي» أي المرأة الواهبة، وإن كانت مصدراً قدر فتلك الحالة خالصة، و «لك» على البيان أي أعني لك نحو: «سَقِيَا لَكَ»^(٥).

فصل

المعنى: أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق، فأما غير المؤمنة فلا تحلُّ له إذا وهبت نفسها منه، واختلفوا في أنه هل كان يحل للنبي - ﷺ - نكاح اليهودية والنصرانية، فذهب أكثرهم إلى أنه كان لا يحل له ذلك لقوله: «وامرأة مؤمنة» وأول بعضهم الهجرة في قوله: «هَاجَرْنَ مَعَكَ» يعني على الإسلام أي أسلمن معك، فيدل ذلك على أنه لا يحل نكاح غير^(٦) المسلمة. وكان النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر، وكان ذلك من خصائصه عليه (الصلاة^(٧)) والسلام - لقوله تعالى: ﴿خَالِصَةٌ لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كالزيادة على الأدب ووجوب تخير النساء من خصائصه لا مشاركة لأحد معه، واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة، فقال سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء: لا ينعقد إلا بلفظ النكاح^(٨) أو

(١) المرجع السابق وفيه: «والعافية» والكاذبة.

(٢) عجز بيت من بحر الطويل صدره:

عَلَى خَلْفَةٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُنْصِلِمًا

ويروى: «على قَسَمٍ» بدل «على خَلْفَةٍ» و «سوء كلام» بدل «زور كلام» والشاهد: «ولا خارجاً» حيث نصب «خارجاً» على المصدر النائب عن فعله قال في الكتاب ٣٤٦/١ كأنه قال: ولا يخرج خروجاً ألا تراه ذكر «عاهدت» في البيت قبله. وانظر: ديوانه ٢١٢/٢ والكتاب ٣٤٦/١ والبحر المحيط ٢٤٢/٧ والمقتضب ٢٦٩/٣ و ٣١٣/٤ وأمالى المرتضى ٤٦/١ وشرح شواهد الشافية ٧٢ - ٧٩، والإفصاح ١٨٢ و ٢٢٤ و ٣٣٦ وكامل المبرد ١/١٢٠.

(٣) ذكر ذلك أبو حيان في بحره ٢٤٢/٧.

(٤) في البحر المرجع السابق ولم ينسبها المعين وقد نسبها صاحب شواذ القرآن (١٩٥) لابن أبي عتبة.

(٥) الدر المصون ٣٩٨/٤.

(٦) نقل ذلك القرطبي في الجامع عن ابن العربي ٢١٠/١٤ والبهوي ٢٦٨/٥.

(٧) سقط من «أ».

(٨) في «ب» الإنكاح.

التزويج، وبه قال ربيعة ومالك والشافعي^(١)، ومعنى الآية أن إباحة الوطاء بالهبة وحصول التزويج بلفظها من خواصه عليه السلام. وقال النخعي وأبو حنيفة وأهل الكوفة ينعقد بلفظ الهبة^(٢) والتملك وأن معنى الآية أن تلك المرأة صارت خالصة لك زوجة من أمهات المؤمنين ولا تحل لغيرك أبداً بالتزويج وأجيب بأن هذا التخصيص بالواهبة لا فائدة فيه فإن أزواجه كلهن خالصات له، وما ذكرناه (يتبين)^(٣) للتخصيص فائدة.

فصل

اختلفوا في التي وهبت نفسها لرسول الله - ﷺ - هل كانت عنده امرأة منهم فقال عبد الله بن عباس ومجاهد: لم يكن عند النبي - ﷺ - امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين^(٤)، وقوله: «وَهَبَتْ نَفْسَهَا» على طريق الشرط والجزاء، وقيل: بل كانت موهوبة واختلفوا فيها، فقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة الهلالية^(٥) يقال لها: أم المساكين^(٦)، وقال قتادة^(٧): هي ميمونة بنت الحارث^(٨)، وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل^(٩): أم شريك بنت جابر من بني أسد^(١٠)، وقال عروة بن الزبير^(١١): هي خولة بنت حكيم من بني^(١٢) سُلَيْم.

قوله: «قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا» أوجبنا على المؤمنين «فِي أَزْوَاجِهِمْ» من الأحكام أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر «وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين، وإنما ذكر هذا لئلا يحمل واحد من المؤمنين نفسه على ما كان النبي عليه السلام فإن له في النكاح خصائص ليست لغيره، وكذلك في السَّرَارِي.

قوله: «لِكَيْلَا» يتعلق «بِخَالِصَةِ»^(١٣) وما بينهما اعتراض و «مِنْ دُونِ» متعلق «بِخَالِصَةِ» كما تقول: خَلَصَ^(١٤) مِنْ كَذَا.

(١) انظر: معالم التنزيل ٢٦٨/٥ وتفسير الخازن ٢٦٨/٥.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) زيادة للسياق.

(٤) القرطبي ٢٠٨/١٤.

(٥) السابق.

(٦) لكثرة إطعامها المساكين، انظر: أسد الغابة ٥/٤٦٦.

(٧) السابق.

(٨) ماتت سنة ٤٩ هـ، أعلام النساء ١٣٨/٥ و ١٣٩.

(٩) البغوي ٢٦٨/٥ والقرطبي ٢٠٩/١٤.

(١٠) الأنصارية واسمها غزية أو غزيلة. انظر: القرطبي السابق وأسد الغابة ٥/٥٩٤.

(١١) معالم التنزيل للبغوي ٢٦٨/٥.

(١٢) لها خمسة عشر حديثاً وروى عنها عمر بن عبد العزيز وعُزُوءَةُ، انظر: خلاصة الكمال ٤٩٠.

(١٣) هذا قول الزمخشري في الكشف ٢٦٩/٣ والسمين في الدر ٣٩٨/٤.

(١٤) المرجع الأخير السابق وقد جعل أبو البقاء وابن الأنباري ومكي «أحللنا» هو المتعلق «لكَيْلَا». انظر: التبيان ١٠٥٩ والبيان ٢٧١/٢ ومشكل الإعراب ١٩٩/٢.

فصل

قال المفسرون: هذا يرجع إلى أول الآية أي أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة «لكيلا يكون عليك حرج» «وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» يغفر الذنوب جميعاً ويرحم العبيد.

قوله: «تُرْجِي» أي تؤخر^(١) «مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ» أي تضم^(٢) «إِلَيْكَ» مَنْ تَشَاءُ» واختلف المفسرون في معنى الآية فأشهر الأقاويل أنه في القسم بينهما وذلك أن التسوية بينهما في القسم كان واجباً عليه، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن. قال أبو رزين^(٣) وابن زيد نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي - ﷺ - وطلب بعضهن زيادة النفقة وهجرهن النبي - ﷺ - شهراً حتى نزلت آية التخيير فأمره الله - عز وجل - أن يُخَيِّرَهُنَّ بين الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا، ويمسك من اختارت الله ورسوله والدار الآخرة على أنهن أمهات المؤمنين فلا يُنكحن أبداً وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضين به قَسَمَ لهن أو لم يقسم أو قسم لبعض دون بعض أو فضل بعضهن على بعض في النفقة والقسمة فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واختارته على هذا الشرط^(٤) وذلك لأن النبي^(٥) عليه الصلاة والسلام بالنسبة إلى أمته نسبة السيد المطاع والرجل وإن لم يكن نبياً فالزوجة في ملك نكاحه والنكاح عليها فكيف زوجات النبي بالنسبة إليه فإذا هن كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات. والإرجاء التأخير والإيواء الضم، واختلفوا في أنه هل أخرج أحداً منهن عن القسم فقيل: لم يخرج أحداً بل كان رسول الله^(٦) - ﷺ - مع ما جعل الله من ذلك يسوي بينهما في القسم إلا سودة^(٧) فإنها رَضِيَتْ بترك حقها من القسم وجعلت نوبتها لعائشة، وقيل: أخرج بعضهن^(٨)، روى جرير^(٩) عن منصور^(١٠) عن أبي رزين قال: لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يُطْلَقَهُنَّ،

(١) و (٢) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣٩/٢.

(٣) أبو رزين: مسعود بن مالك ويقال: ابن عبد الله أبو رزين الكوفي وردت عنه الرواية في حروف القرآن روى عن ابن مسعود وعلي والأعمش، انظر: غاية النهاية ٢٩٦/٢ وانظر أسباب النزول في القرطبي ٢١٥/١٤ وتفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ٢٦٩/٥.

(٤) المرجع الأخير السابق. (٥) قاله الفخر الرازي في تفسيره ٢٢١/٢٥.

(٦) قاله ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٨/٦.

(٧) هي سودة بنت زلفة روى لها أبو داود والنسائي ماتت سنة ٥٤ هـ. انظر: أعلام النساء ٢٦٩/٢.

(٨) المرجع السابق.

(٩) هو جرير بن حازم الأزدي أبو النضر أحد الأعلام عن الحسن وابن سيرين وطاوس، وابن أبي مليكة وعنه أيوب، وابن عون وابنه وهب بن جرير مات سنة ١٧٠ هـ. وانظر: خلاصة الكمال ٦١.

(١٠) منصور بن المعتمر السلمي أبو عتاب الكوفي أحد الأعلام المشاهير عن إبراهيم، وأبي وائل وعنه: =

فقلن يا رسول الله: اجعل لنا من نفسك ومالك ما شئت ودَعْنَا على حالنا فنزلت هذه الآية فأرجأ رسول الله - ﷺ - بعضهن وآرى إليه بعضهن فكان ممن آوى عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة وكان يقسم بينهن سواء، وأرجأ منهن خمساً: أم حبيبة^(١)، وميمونة، وسودة، وصفية^(٢)، وجويرية^(٣) فكان يقسم لهن ما شاء^(٤). وقال مجاهد: ترجي من تشاء منهن يعني تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد إليك من تشاء بعد العزل بلا تجديد عقد^(٥)، وقال ابن عباس: تطلق من تشاء منهن وتُمسك من تشاء^(٦) وقال الحسن: تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من تشاء من أمتك^(٧) وقال: كان النبي - ﷺ - إذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتهَا حتى يتركها رسول الله^(٨) - ﷺ - وقيل: تُقبَل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن لك فتؤويها إليك وتترك من تشاء فلا تقبلها^(٩)، روى هشام عن أبيه قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي - ﷺ - فقالت عائشة: أما تستحيي المرأة أنت تهَب نفسك للرجل فلما نزلت «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ» قالت: يا رسول الله: ما أرى ربك إلا يسارع في هَوَاك^(١٠).

قوله: «وَمَنْ ابْتَغَيْتَ» يجوز في «من» وجهان:

أحدهما: أنها شرطية في محل نصب بما بعدها وقوله: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ» جوابها، والمعنى من طلبتها من النسوة اللاتي عزلتهن فليس عليك في ذلك جناح^(١١).

والثاني: أن تكون مبتدأة، والعائد محذوف^(١٢) وعلى هذا فيجوز في «مَنْ» أن تكون «موصولة» وأن تكون شرطية، و «فلا جناح عليك» خبر، أو جواب أي التي ابتغيتهَا. ولا بد حينئذ من ضمير راجع إلى اسم الشرط من الجواب أي في ابتغائها وطلبها^(١٣)، وقيل: في الكلام حذف معطوف تقديره: ومن ابتغيته مِمَّنْ عَزَلْتُ وممن لم

= أيوب وشعبة، متقن لا يخلط ولا يدلس ثقة ثبت له ألفا حديث مات سنة ١٣٢ هـ انظر: خلاصة الكمال ٣٨٨.

(١) بنت أبي سفيان كانت تحت عبد الله بن جحش وهلك بأرض الحبشة فتزوجها رسول الله، انظر: المعارف لابن قتيبة ١٣٦.

(٢) بنت حيي بن أخطب الخبيرية لها أحاديث ماتت سنة ٥٠ هـ، انظر: خلاصة الكمال ٤٩٣.

(٣) بنت الحارث المصطلقية لها أحاديث في البخاري ومسلم ماتت سنة ٥٦ هـ انظر أعلام النساء ٢٢٧/١.

(٤) القرطبي ٢١٥/١٤ (٥) انظر: تفسير ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٧/٦.

(٦) السابق. (٧) السابق.

(٨) انظر: تفسير البغوي ٢٦٩/٥.

(٩) وهو قول الشعبي وعكرمة انظر: زاد المسير المرجع السابق ومعالم التنزيل للبغوي ٢٦٩/٥.

(١٠) المرجع الأخير السابق وانظر القرطبي ٢١٥/١٤.

(١١) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٥٩ والسمين في الدر ٣٩٨/٤.

(١٢) المرجعان السابقان. (١٣) المرجع الأخير السابق.

تعزل سواء، لا جناح عليك كما تقول: «مَنْ لَقِيكَ مِمَّنْ لَمْ يَلْقَكَ جَمِيعُهُمْ لَكَ شَاكِرٌ» يريد من لقيك ومن لم يلقك وهذا فيه إلغاز^(١).

قوله: «ذَلِكَ» أي التفويض إلى مشيئتك «أَذْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ» أي أقرب إلى قرّة أعينهن، والعامّة «تَقَرَّ» مبنياً للفاعل مسنداً «لأعينهن» وابن مُحَيِّصُنَّ «تَقَرَّ» من «أَقَرَّ» - رباعياً - وفاعله ضمير المخاطب^(٢) (و)^(٣) «أَعْيُنُهُنَّ»، نصب على المفعول به وقرىء «تَقَرَّ» مبنياً للمفعول^(٤) (و) «أَعْيُنُهُنَّ» رفع لقيامه مقام الفاعل وتقدم معنى «قرّة العين»^(٥) في مريم.

قوله: «كُلُّهُنَّ» العامّة على رفعه توكيداً لفاعل «يَرْضَيْنَ»، وأبو إياس^(٦) بالنصب توكيداً لمفعول «آتَيْنَهُنَّ»^(٧).

فصل

قال المفسرون لا جناح عليك لا إثم عليك، أباح له ترك القسم لهن حتى إنه ليُرْجِي من يشاء في نوبتها ويَطَأ من يشاء منهن في غير نوبتها ويرد إلى فراشه من عزلها تفضيلاً له على سائر الرجال «ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن» أي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهم أقرب إلى رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله عز وجل، «وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ» أعطيتهن من تقرب وإرجاء وعزل وإيواء «والله يعلم ما في قلوبكن» من أمر النساء والميل إلى بعضهن «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» أي إن أضمرت خلاف ما أظهرت فالله يعلم ضمائر القلوب فإنه عليم وإن لم يعاقبنهن^(٨) في الحال فلا يغترون^(٩)، فإنه حليم لا يعجل.

قوله: «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ» قرأ أبو عمرو «لَا تَحِلُّ» بالتأنيث اعتباراً باللفظ والباقون

(١) السابق والبحر المحيط ٢٤٣/٧ وقد رجح أبو حيان الرأيين السابقين الجائزين في «من» فقد قال: «ويجوز أن يكون ذلك توكيداً لما قبله أي ومن ابتغيت ممن عزلت (ومن لم تعزل) سواء لا جناح عليك...» ثم قال: «والراجع القول الأول».

(٢) قراءة من القراءات الشاذة فوق العشرة المتواترة فقد ذكرت في الإتحاف ٣٥٦. وانظر: البحر ٢٤٣/٧ وهي في الكشاف بلا نسبة الكشاف ٢٦٩/٣. وقد نسبها ابن خالويه في المختصر له ص ١٢٠.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) لم تعز في كل من البحر ٢٤٣/٧ والكشاف ٢٦٩/٣ والجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١٤.

(٥) قرت عينه تقر: بردت وانقطع بكاؤها واستحارها بالدمع اللسان: «ق ر ر» ٣٥٨٠.

(٦) هو جوبة بن عائذ كما ذكره ابن جني في المحتسب.

(٧) من القراءات الشاذة وقد ذكرها ابن جني في المحتسب ١٨٢/٢ و ١٨٣ وابن خالويه في المختصر ١٢٠، وقد قال ابن جني: «فالمعنيان إذا واحد، إلا أن الرفع أقوى معنى، وذلك أن فيه إصرافاً من اللفظ بأن يرضين كلهن».

(٨) في «ب» يعاتبهن. (٩) وفيها يغترون بإسناد الفعل إلى واو الجماعة.

بالباء لأنه جنس والمفصل أيضاً^(١)، وقوله «مِنْ بَعْدُ» أي من (بعد)^(٢) اللائي نصصنا لك على إخلالهن كما تقدم^(٣)، وقيل: من بعد إباحة النساء المسلمات دون الكِتَابِيَّات^(٤).

فصل

قال المفسرون: من بعد أي من بعدهن. قال ابن الخطيب: والأولى أن يقال لا تحل لك النساء من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران^(٥)، وقال ابن عباس وقتادة: من بعد هؤلاء التسعة^(٦) خيرتهن فاخترتك، وذلك أن النبي - ﷺ - لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن، وحرّم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن، واختلفوا في أنه هل أبيح له النساء من بعد، قالت عائشة: ما مات رسول الله - ﷺ - حتى أحل له النساء. وقال أنس: مات على التحريم، وقال عكرمة: معنى الآية لا تحل لك النساء إلا اللاتي أحللنا لك أزواجك، الآية ثم قال: لا تحل لك النساء من بعد اللاتي أحللنا لك بالصفة التي تقدم^(٧) ذكرها. وقيل لأبي بن كعب: لو مات نساء النبي - ﷺ - كان يحل له أن يتزوج، قال: (و)^(٨) ما يمنعه من ذلك؟ قيل: قوله عز وجل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ قال: إنما أحلّ الله ضرباً من النساء فقال: «بأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك» قال: «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ»^(٩) قال أبو صالح: أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاثمائة. وقال مجاهد: معناه لا تحل لك اليهوديات بعد المسلمات^(١٠) «وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ» بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول: لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية «إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» أحلّ له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهن؛ وروي عن الضحاك معنى «وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ» ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواجاً غيرهن بأن تطلق فتكح غيرهن فحرم عليه طلاق النساء اللواتي كن عنده وجعلهن أمهات المؤمنين وحرمن على غيره حين^(١١) اخترته، فأما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه^(١٢). وقال ابن زيد في قوله: «وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ

(١) الإتحاف للبناء ٣٥٦، والسبعة لابن مجاهد ٥٢٣ وحجة ابن خالويه ٢٩١ والتيسير في القراءات ١٧٩ والنشر ٣٤٩/٢ وقد قال فيه: «فقرأ البصريان بالياء على التأنيث» والدر المصون ٣٩٩/٤.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» وزيادة من «ب».

(٣) يشير إلى الآية ٥٠ من نفس السورة.

(٤) هذا قول مجاهد وغيره وانظر: بحر أبي حيان ٢٤٣/٧ و ٢٤٤.

(٥) انظر: تفسيره ٢٥٢/٢٥.

(٦) في «ب» التسع وهو الصواب نحوياً وانظر: زاد المسير ٤٠٩/٦.

(٧) انظر هذه الأقوال في تفسير البغوي ٢٧٠/٥.

(٨) و (٩) زيادتان عن «أ» و «ب». (١٠) ذكره الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٤١٠/٦.

(١١) في «ب» إذ. (١٢) المرجع السابق.

مِنْ أَزْوَاجٍ» كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول^(١) الرجل: بادئني بامرأتك وأبادلك بامرأتي، تنزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي^(٢)، فأنزل الله - عز وجل - «وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَعْهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ» يعني تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته «إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» لا بأس أن تبادل بجارياتك ما شئت، فأما الحرائر فلا، روى عطاء بن^(٣) يَسَارٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: دَخَلَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - بِغَيْرِ إِذْنٍ وَعِنْدَهُ عَائِشَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَا عَيْنَةُ أَيْنَ الْإِسْتِذَانُ؟ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا اسْتَأْذَنْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ مَضْرٍ مِنْذُ أُدْرِكْتُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ هَذِهِ الْحَمِيرَاءُ الَّتِي^(٤) جَنَبَكَ؟ فَقَالَ: هَذِهِ عَائِشَةُ أُمُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَيْنَةُ: أَفَلَا أَنْزَلَ لَكَ عَنْ أَحْسَنِ الْخَلْقِ^(٥)؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِنْ اللَّهُ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ فَلِمَا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: مَنْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هَذَا أَحْمَقُ مُطَاعٍ وَإِنَّهُ عَلَى مَا تَرَيْنَ لَسِيدٌ قَوْمِهِ. قَوْلُهُ: «وَلَوْ أَعْجَبَكَ» كَقَوْلِهِ: «أَعْطُوا السَّائِلَ وَلَوْ عَلَى قَرَسٍ» أَيِ فِي كُلِّ حَالٍ وَلَوْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الْمَنَافَةِ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ^(٦): قَوْلُهُ «حَسَنُهُ» فِي مَعْنَى الْحَالِ.

فصل

معنى «ولو أعجبك حسنهن» أي ليس لك أن تطلق أحداً من نسائك وتنكح بدلهما أخرى ولو أعجبك جمالها. قال ابن عباس^(٧) يعني أسماء بنت عميس الخثعمية^(٨) امرأة جعفر بن أبي طالب فلما استشهد جعفر أراد رسول الله - ﷺ - أن يخطبها فنهى عن ذلك. وقال بعض المفسرين^(٩) ظاهر هذا ناسخ لما كان قد ثبت له عليه (الصلاة^(١٠)) (و السلام من أنه إذا رأى واحدة فوقعت في قلبه موقِعاً كانت تحرم على الزوج ويجب عليه طلاقها. وهذه مسألة حكيمية وهي أن النبي عليه (الصلاة^(١١)) (و السلام وسائر الأنبياء^(١٢)) في أول النبوة يشتد عليهم برحاء الوحي ثم يستأنسون به فينزل عليهم وهم يتحدثون^(١٣).

(١) في «ب» يقول الرجل للرجل.

(٢) وهو نفس رأي أبي هريرة رضي الله عنه، انظر: المرجع السابق ومعالم التنزيل للبغوي ٢٧١/٥ وتفسير الخازن ٢٧١/٥.

(٣) المرجعان السابقان الأخيران.

(٤) في «ب» إلى جنبك وكذلك في المرجعين الآخرين.

(٥) وفيهما: وتنزل لي عن هذه.

(٦) قال في الكشف ٢٧١/٣: ولو أعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في «تَبَدَّلَ» لا من المفعول الذي هو «من أزواج» لأنه موغل في التكثير وتقديره: «مفروضاً إعجابك بهن».

(٧) معالم التنزيل للبغوي ٢٧١/٥.

(٨) هي الخثعمية من المهاجرات الأول وأخت ميمونة لأما لها ستون حديثاً، انظر: الخلاصة ٤٨٨ وفي «ب» الحنفية وهو تحريف.

(٩) وهو الفخر الرازي.

(١٠) و (١١) زيادتان من «ب».

(١٢) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٢٥/٢٢٢.

(١٣) في الفخر: «يتحدثون».

مع أصحابهم لا يمنعونهم من ذلك مانع، ففي أول الأمر أحل الله من وقع في قلبه تفريراً لقلبه، وتوسعاً لصدره لئلا يكون مشغول القلب بغير الله، ثم لما استأنس بالوحي نسخ ذلك إما لقوله عليه (الصلاة^(١)) والسلام الجمع بين الأمرين، وإما لأنه بدوام الإنزال لم يبق له مألوف من أمور الدنيا فلم يبق له التفات إلى غير الله فلم يبق له حاجة إلى إخلاء^(٢) المتزوج بمن وقع بصره عليها.

قوله: «إِلَّا مَا مَلَكَتْ فِيهِ أَوْجُهُ»:

أحدها: أنه مستثنى من النساء فيجوز فيه وجهان: النصب على أصل الاستثناء والرفع على البذل وهو المختار^(٣)، والثالث: أنه مستثنى من «أزواج» قاله أبو البقاء^(٤)، فيجوز أن يكون في موضع نصب على أصل الاستثناء، وأن يكون في موضع جر بدلاً من «هُنَّ» (على^(٥)) اللفظ، وأن يكون في موضع نصب بدلاً من «هُنَّ» على المحل^(٦)، وقال ابن عطية إن كانت (ما^(٧)) مصدرية فهي في موضع نصب لأنه من غير الجنس^(٨) وليس بجيد؛ لأنه قال بعد ذلك^(٩) والتقدير: إلا ملك اليمين، و«ملك» بمعنى مملوك انتهى. وإذا كان بمعنى مملوك صار من الجنس وإذا صار من الجنس لم يكن متقطعاً على أنه على تقدير انقطاعه لا يتحتم نصبه، بل يجوز عند تميم الرفع بدلاً والنصب على الأصل كالم متصل بشرط صحة توجه العامل إليه^(١٠) كما تقدم تحقيقه^(١١)، وهذا يمكن توجه العامل إليه، ولكن اللغة المشهورة لغة الحجاز وهو لزوم النصب في المتقطع مطلقاً، كما ذكره أبو محمد آنف^(١٢).

فصل

قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية^(١٣)، «وَكَاَنَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً» حافظاً عالماً بكل شيء قادراً عليه، وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من

(١) زيادة من «ب» على «أ» والفخر.

(٣) ذكره ابن الأثير في البيان ٢٧٢/٢ ومشكل الإعراب لمكي ٢/٢٠٠ وإعراب القرآن للنحاس ٣/٣٢٢ والبيان ١٠٥٩.

(٤) التبيان المرجع السابق ١٠٦٠.

(٦) هذا شرح لعبارة أبي البقاء قاله السمين في الدر المنصون ٤/٣٩٩.

(٧) سقطت من «ب».

(٨) نقله عنه أبو حيان في بحره ٧/٢٤٥.

(٩) هذا هو اعتراض أبي حيان عليه في البحر ٧/٢٤٥.

(١٠) بقية معنى كلام أبي حيان في البحر ٧/٢٤٥ على ابن عطية.

(١١) لعله يقصد قول الله - عز وجل -: «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ» وهي الآية

«٩٨» من نفس السورة «يونس».

(١٢) وأبو محمد هنا هو ابن عطية فذلك كنيته.

(١٣) زاد الميسر ٦/٤١٠.

النساء، روي عن جابر قال: قال رسول الله - ﷺ - «إِذَا خُطِبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ»^(١).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِطِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينٍ لِخَدِيثِ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَعِجْ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجْ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي ءَابَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ وَلَا أَسْرَافَهُمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهَا ذَلِكَ أَذْنًا أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ اللَّهُ عُفُورًا رَجِيمًا ﴿٥٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَعُغْرَتُكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا نَفَعُوا أُجِدُوا وَفُتِلُوا نَفْعِيلاً ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ الآية قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في شأن^(٢) وليمة زينب حين بنى بها رسول الله - ﷺ - لما روى ابن شهاب^(٣) قال: أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين فقدم رسول الله - ﷺ -

(١) ذكره الخازن والبغوي في تفسيرهما ٢٧١/٥.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) في «ب» بيان.

المدينة قال: فكانت أم هانئ تواطئني على خدمة النبي - ﷺ - فخدمته عشر سنين وتوفي وأنا ابن عشرين فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما أنزل في مُبْتَنَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بَزِينَبِ بِنْتِ جَحْشٍ أَصْبَحَ النَّبِيُّ - ﷺ - بها عروساً فدعا القوم وأصابوا من الطعام ثم خرجوا وَبَقِيَ رَهْطٌ مِنْهُمْ عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَأَطَالُوا الْمُكْثَ فَقَامَ النَّبِيُّ - ﷺ - وخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي - ﷺ - فمشيت حتى جاء عتبة حُجْرَةَ عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فَرَجَعَ فَرَجَعْتُ معهم حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا فَرَجَعَ النَّبِيُّ - ﷺ - ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة فظن أنهم قد خرجوا فَرَجَعَ ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فاضرب النبي - ﷺ - بيني وبينه بالسُّتْرِ - فأنزل الله الحجاب^(١)، (و) قال أبو عثمان واسمه الجَعْدُ^(٢) عن أنس (قال) فدخل - يعني رسول الله - ﷺ - البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» إلى قوله: «وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ»^(٣) وروي عن ابن عباس أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحيتنون طعام رسول الله - ﷺ - فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله - ﷺ - يتأذى بهم فنزلت الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾^(٤). وروى ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن أزواج^(٥) النبي - ﷺ - كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ^(٦) وهو صَعِيدٌ^(٧) أَفْتِيحٌ فكان عمر يقول للنبي - ﷺ - احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل فخرجت سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زوج النبي - ﷺ - ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: قد عرفناك يا سَوْدَةُ حرصاً على أن تنزل آية الحجاب فأنزل الله الحجاب، وعن أنس قال^(٨): قال عمر: وافقني ربي في ثلاثة، قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقلت يا رسول الله: إنه يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات

(١) نقله القرطبي في الجامع مع تغيير في بعض الألفاظ ٢٢٤/١٤.

(٢) الجعد بن دينار الشكري أبو عثمان البصري الصيرفي صاحب الحلى عن أنس، وأبي رجاء وعنه الحمادان وثقه ابن معين انظر: الخلاصة ٦٢.

(٣) انظر: معالم التنزيل للبخاري ٢٧٢/٥.

(٤) زاد المسير ٤١٣/٦.

(٥) تفسير الخازن ٢٧٢/٥ وانظر: المرجع السابق ٢٧٣/٥.

(٦) قال ابن منظور في اللسان: وَالْمَنَاصِعُ الْمَوَاضِعُ الَّتِي يُتَخَلَّى فِيهَا لِبَولٍ أَوْ غَائِطٍ أَوْ حَاجَةِ الْوَاحِدِ «مَنْصَعٌ» لِأَنَّهُ يَبْرُزُ إِلَيْهَا وَيُظْهَرُ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ: «كَانَ مُتَبَرِّزَ النِّسَاءِ فِي الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ تَسُوِيَ الْكَنَفَ فِي الدُّورِ الْمَنَاصِعُ» اللسان: «ن ص ع» ٤٤٤٣.

(٧) وقد ورد حديث عن ذلك: «أَنَّ الْمَنَاصِعَ صَعِيدٌ أَفْتِيحٌ خَارِجُ الْمَدِينَةِ» المرجع السابق.

(٨) القرطبي ٢٢٤/١٤.

المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب قال: بلغني ما آذنين^(١) رسول الله - ﷺ - نساؤه قال: فدخلت عليهن فجعلت استقربهن واحدة واحدة قلت: والله لئن تبهرن أو لبدرته الله أزواجاً خيراً منكُنَّ حتّى أتيت على زينب فقالت: يا عُمَرُ: ما كان في رسول الله - ﷺ - ما يعظ نساءه حتّى تعيظهنَّ أنت قال: فخرجت فأنزل الله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ﴾^(٢) الآية.

قوله: «إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» فيه أوجه:

أحدها: أنها في موضع نصب على الحال تقديره: إِلَّا مَضْحُوبِينَ بِالِإِذْنِ^(٣).

الثاني: أنها على إسقاط باء السبب تقديره: «إِلَّا بِسَبَبِ الْإِذْنِ لَكُمْ» كقوله «فَأَخْرَجَ بِهِ»^(٤) أي بسببه^(٥).

الثالث: أنه منصوب على الظرف قال الزمخشري: «إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ» في معنى الظرف تقديره: إلا وقت أن يؤذن لكم و «غَيْرَ نَاطِرِينَ» حال من «لَا تَدْخُلُوا» وقع الاستثناء على الحال والوقت معاً كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي إلا وَقْتُ الْإِذْنِ ولا تدخلوا إِلَّا غَيْرَ نَاطِرِينَ إناه^(٦)، ورد أبو حيان^(٧) الأول بأن النحاة نصوا على أن «أَنْ» المصدرية لا تقع مَوْقِعَ الظرف، لا يجوز: «أَتَيْكَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ» وإن جاز ذلك في المصدر الصريح نحو: «أَتَيْكَ صِيحَ الدِّيكِ»، ورد الثاني بأنه لا يقع بعد «إِلَّا» في الاستثناء إلا المستثنى أو المستثنى منه أو صفته ولا يجوز فيما عدا هذا عند الجمهور^(٨)، وأجاز ذلك الكسائي والأخفش أجازا «مَا قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ضَاحِكِينَ»^(٩) و «إِلَى طَعَامٍ» متعلق بـ «يُؤْذَنَ» لأنه بمعنى إِلَّا أَنْ يَدْعُو إِلَى طَعَامٍ^(١٠)، وقرأ العامة غَيْرَ نَاطِرِينَ - بالنصب على الحال - كما تقدم، فعند الزمخشري ومن تابعه العامل فيه «يُؤْذَنَ» وعند غيرهم العامل فيه مقدر تقديره ادخلوا غير ناطرين^(١١)، وقرأ

(١) في تفسير البغوي «بعض ما آذى».

(٢) انظر المرجع السابق وقد قال الإمام القرطبي عن هذا الرأي: «هذا وإن لا يقرم على ساق». انظر: الجامع ٢٢٤/١٤.

(٣) قاله أبو البقاء قال: «أي لا تدخلوا إلا ماذنونا لكم» التبيان ١٠٦٠ وانظر: السمين في الدر ٤٠٠/٤.

(٤) بعض آية من البقرة ٢٢ «فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ رُوحًا لَكُمْ».

(٥) وهذا رأي أبي إسحاق الزجاج في معاني القرآن ٢٣٤/٤ والنحاس في إعراب القرآن ٣٢٢/٤ وأبي حيان في البحر ٢٤٦/٧.

(٦) الكشف ٢٧٠/٣.

(٧) مع تصرف في عبارته انظر: البحر المحيط ٢٤٦/٧.

(٨) انظر الهمع ٢٠٤/١.

(٩) انظر الهمع ٢٣٠/١.

(١٠) التبيان ١٠٦٠.

(١١) هو قول ابن الأنباري في البيان ٢٧٢/٢ وإن كان قد قال: غير منصوب على الحال من الواو في «لا تدخلوا» الظاهر.

ابن أبي عبلة «غَيْرٍ» بالجر^(١) صفة لطعام واستضعفها الناس من أجل عدم بروز الضمير لجَرَيَانِه على غير مَنْ هو له فكان من حقه أن يقال: غَيْرَ ناظرين إناه أنتم، وهذا رأي البصريين^(٢)، والكوفيون يجيزون ذلك إن لم يُلِيسْ كهذه^(٣) الآية، وقد تقدمت هذه المسألة وفروعها وما قيل فيها، وهل^(٤) هذا مختص بالاسم أو يجري في الفعل خلاف مشهور قلَّ من يَضْبُطُهُ^(٥).

قوله: «إِنَاهُ» قرأ العامة «إِنَاهُ» مفرداً أي نضجه، يُقَالُ: أَنَى الطَّعَامُ إِنَى، نحو: قَلَاهُ قَلَى، أي غير منتظرين إذْرَاكَه وَوَقَّتْ نَضْجِه^(٦) ويقال: أَنَى الحَمِيمُ^(٧) إذا انتهى حَرُّه، وَأَنَى أَنْ يَفْعَلَ^(٨) كَذَا أي حان إِنَى بكسر الهمزة مقصورة؛ وقرأ الأعمش «آناه» جمعاً على أَفْعَالٍ^(٩)، فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً والياء همزة لتطرفها بعد ألف زائدة فصار في اللفظ «كَآنَاهُ» من قوله: «وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ» وإن كان المعنى مختلفاً، قال البَغَوِيُّ: إذا فتحت^(١٠) الهمزة مَدَدَتْ فَقُلْتُ: الْآنَاءُ وفيه لغتان أَنَى يَأْنِي، وَأَنْ يَتَّيْنُ مثل: حَانَ يَجِينُ.

قوله: وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ أَكَلْتُمْ «فَانْتَشِرُوا» تفرقوا واخرجوا من منزله.

فصل

قال ابن الخطيب قوله: «إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ» إما أن يكون فيه تقديم وتأخير تقديره «وَلَا تَدْخُلُوا إِلَى طَعَامٍ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» فلا يكون منعاً من الدخول في غير وقت

(١) انظر: البحر المحيط ٢٤٦/٧ والكشاف ٢٧٠/٣ والبيان ٢٧٢/٢ وهي من الشواذ غير المتواترة.

(٢) كابن الأنباري انظر: المرجع السابق والمرجعين السابقين له.

(٣) وممن أجاز ذلك الفراء في معانيه ٣٤٧/٢.

(٤) في «ب» وقيل: وهو تحريف.

(٥) عند الآية ٤ من سورة «الشعراء» وهي قوله: «إِنْ نَشَأْ نُثَوِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَافُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ».

(٦) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٤٠/٢ والقرطبي ٢٢٦/١٤ والبحر المحيط ٢٤٦/٧ والإنصاف ٥٧ و ٥٨ واللسان: «خ ض ع».

(٧) معالم التنزيل للبغوي ٢٧٢/٥ و ٢٧٣.

(٨) انظر: المجاز ١٤٠/٢ فقد قال: ويقال: أَنَى لك أن تفعل يَأْنِي أَنِيًا، والاسم: إِنَى، وَأَنَى أبلغ. وانظر أيضاً اللسان (أني) ص ١٦٠ و ١٦١.

(٩) لم أجدها منسوبة إليه إلا في البحر ٢٤٦/٧ وانظر شواذ القرآن ١٩٥ فقد نسبها إليه أيضاً وزاد بالجر يعني بالقراءة هذه قراءة الهمز.

(١٠) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٢٧٢/٥.

الطعام بغير الإذن وإما أن لا يكون فيه تقديم وتأخير فيكون معنى^(١): «ولا تدخلوا إلا أن يؤذن لكم إلى طعام فيكون الإذن مشروطاً بكونه إلى طعام فإن لم يؤذن إلى طعام فلا يجوز الدخول فلو أذن لواحد في الدخول لاستماع كلام لا لأكل طعام لا يجوز^(٢)» فنقول المراد هو الثاني ليعم النهي عن الدخول، وأما كونه^(٣) لا يجوز إلا بإذن^(٤) إلى طعام فلما تقدم في سبب النزول أن الخطاب مع قوم كانوا يَتَحَيَّنُونَ حين الطعام ويدخلون من غير إذن فمنعوا من الدخول في وقتهم^(٥) بغير إذن، والأولى أن يقال المراد هو الثاني لأن التقديم والتأخير خلاف الأصل. وقوله: «إلى طعام» من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه لا سيما إذا علم أن غيره مثله فإن من جاز دخول بيته بإذنه إلى طعامه، جاز دخوله إلى غير طعامه^(٦) فإن غير الطعام يمكن وجوده مع الطعام فإن من الجائز أن يتكلم معه وقت ما يدعوه إلى الطعام وَيَسْتَعِينُهُ^(٧) في حوائجه ويعلمه مما عنده من العلوم مع زيادة الطعام^(٨) فإن رضي بالكل فرضاه بالبعض أقرب إلى العقل^(٩) فيصير من باب: ﴿فَلَا تَقُلْ لِّمَنَّا أَمْرٌ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقوله: «غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً»^(١٠) أي لا تنتظروا وقت الطعام فإنه ربما لا يَتَهَيَّأ^(١١).

فصل

لا يشترط في الإذن التصريح به بل إذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قال: «إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ» من غير بيان فاعل فالأذن إن كان الله أو النبي أو العقل المؤيد بالدليل جاز والنقل دال عليه حيث قال: ﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ [النور: ٦١] فلو جاء الرجل وعلم أن لا مانع في البيت من يكشف أو بحضور^(١٢) غير محرم أو علم خلو الدار من الأهل^(١٣) وهي محتاجة إلى إطفاء حريق فيها أو غير ذلك جاز الدخول وفي معنى البيت موضع مباح^(١٤) اختاره شخص لعبادته أو اشتغاله بشغل فيأتيه أحد ويطلب المكث عنده^(١٥).

قوله: «وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ» يجوز أن يكون منصوباً عطفاً على «غَيْرِ» أي لا

(١) في «ب» والرازي «معناه» بالضمير.

(٢) في تفسير الفخر: «نقول» بدون الفاء. (٣) وفيه: «وأما قوله فلا يجوز».

(٤) وفيه: إلا بالإذن الذي إلى طعام. (٥) وفيه «في وقته».

(٦) وفيه «طعامه بإذنه». (٧) في «ب» والفخر: «وَيَسْتَعِينُهُ».

(٨) وفيه: «إلا طعام». (٩) في الفخر: «الفعل».

(١٠) سقطت من الفخر.

(١١) انظر في هذا كله تفسير ابن الخطيب الفخر الرازي ٢٢٤/٢٥.

(١٢) في «ب» حضور.

(١٣) في «ب» الأصل.

(١٤) في «ب» بيت بدل من «مباح». (١٥) انظر: تفسير الرازي ٢٢٤/٢٥ و ٢٢٥.

تدخلوها غَيْرَ نَاضِرِينَ وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ^(١) والمعنى ولا طالبين الأُنْسَ لِلْحَدِيثِ، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلاً فَهَؤُا عَنْ ذَلِكَ.

قوله: «لِحَدِيثٍ» يحتمل أن تكون لام العلة أي مستأنسين لأجل أن يحدث بعضكم بعضاً وأن تكون المقوية للعامل لأنه قرع أي ولا مستأنسين حديث أهل البيت أو غيرهم^(٢).

قوله: «إِنَّ ذَلِكَ» أي إن انتظاركم واستئناسكم فأشير إليهما إشارة الواحد كقوله: ﴿عَوَانٌ بَيْنَكَ وَذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] أي إن المذكور.

قوله: «فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ» قرئ «لَا يَسْتَحْيِي» بياء واحدة، والأخرى محذوفة، واختلف فيها هل هي الأولى أو الثانية وتقدم ذلك في البقرة، وأنها رواية عن ابن كثير وهي لغة تميم يقولون اسْتَحْيَ يَسْتَحْيِي مثل: اسْتَقَى يَسْتَقِي^(٣).

قوله: «وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ» أن لا يترك تأديبكم وهذا إشارة إلى أن ذلك حق وأدب، ثم ذكر أدباً آخر فقال: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» أي من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله - ﷺ - مُتَقَبِّةً كانت أو غير مُتَقَبِّةً «ذَلِكُمْ أَظْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» من الريب لأن العين روزنة^(٤) القلب فإذا لم تر العين لا يشتهي القلب، فأما وإن رأت العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي، فالقلب عند عدم الرؤية أظهر وعدم الفتنة حينئذ أظهر^(٥).

قوله: «وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَغْدِهِ أَبَدًا» نزلت في^(٦) رجل من أصحاب النبي - ﷺ - قال: لئن قُبِضَ رسول الله - ﷺ - لأنكحن عائشة. قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة ابن عبيد الله^(٧) فأخبر الله عز وجل - أن ذلك مُحَرَّمٌ وقال: «إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً». وروى مَعْمَرٌ عن الزهري أن العالية بنت ظبيان التي طلق النبي - ﷺ - تزوجت رجلاً وولدت له وذلك قبل تحريم أزواج النبي - ﷺ - على الناس^(٨).

(١) هذا قول أبي البقاء في التبيان ١٠٦١ والسمين في الدر ٤٠١/٤.

(٢) انظر: البحر ٢٤٧/٧ والدر ٤٠١/٤. والمقوية التي تقوي اسم الفاعل في طلبه المفعول حيث إن اسم الفاعل فرع عن الفعل في العمل.

(٣) يشير بآية البقرة إلى قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَغُوضَةٌ» وهي الآية ٢٦ منها.

(٤) قال في اللسان: «وَالرُّوزْنَةُ: الكوة، وفي المحكم: الخُزُقُ في أعلى السقف، التهذيب: يقال للكوة النافذة الروزن قال: وأحسبه مُعْرَباً» اللسان «روزن» ١٦٣٩.

(٥) تفسير الرازي ٢٢٥/٢٥.

(٦) ذكره السيوطي بالتفصيل في أسباب النزول ١٤٣ والقرطبي ٢٢٨/١٤ وزاد المسير ٤١٦/٦.

(٧) المراجع السابقة.

(٨) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٢٧٣/٥.

قوله: ﴿إِنْ تُبَدُّوا شَيْئاً أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ الآية نزلت^(١) فيمن أضمر نِكَاح عائشة بعد رسول الله - ﷺ - وقيل: قال رجل من الصحابة ما بالناس يمنع الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية^(٢)، ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأقارب ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله - عز وجل - ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ﴾ أي لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب عن هؤلاء^(٣) «وَلَا نِسَائِهِنَّ» قيل: أراد به نساء المسلمين حتى لا يجوز للكتابات الدخول عليهن^(٤).

وقيل: هو عام في المسلمين والكتابات^(٥) وإنما قال: «وَلَا نِسَائِهِنَّ» لأنهن من أجناسهن، وقدم الآباء لأن اطلاعهم على بناتهم أكثر، وكيف وهم رأوا جميع بدن البنات في حال صغرهن ثم الأبناء ثم الإخوة وذلك ظاهر، إنما الكلام في بني الإخوة حيث قدمهم الله عليه على بنات^(٦) الأخوات لأن بني الأخوات آبائهم ليس المحارم خالات^(٧) أبنائهم وبني الإخوة آبائهم محارم أيضاً، ففي بني الأخوات مفسدة ما وهي أن الابن ربما يحكي خالته عند أبيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك بنو الإخوة. فإن قيل: لم يذكر الله تعالى من المحارم الأعمام والأخوال ولم يقل: ولا أعمامهن ولا أخوالهن؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن ذلك معلوم من بني الإخوة وبني الأخوات لأن من علم أن بني الأخ للعمات محارم علم أن بنات الأخ عند آبائهم وهم غير محارم وكذلك الحال في ابن الخال.

قوله: «وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ» ذكر هذا بعد الكل، فإن المفسدة في الكشف لهم ظاهرة^(٨)، واختلفوا في عبد المرأة هل يكون محرماً لها فقليل يكون لها لقوله: «وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ»، وقيل: المراد من كان دون البلوغ^(٩).

قوله: «وَاتَّقِينَ» عطف على محذوف أي امْتَنِعْنَ ما أُمَرْتُنَّ بِهِ وَاتَّقِينَ اللَّهَ^(١٠) أن يراكن غير هؤلاء^(١١)، وقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً» في غاية الحسن في هذا

(١) و (٢) المرجع السابق وانظر: تفسير الخازن ٢٧٣/٥ المسمى لباب التنزيل.

(٣) زاد المسير ٤١٧/٦. (٤) و (٥) الخازن والبغوي ٢٧٣/٥.

(٦) في «ب» وتفسير الفخر الرازي: «بني الأخوات».

(٧) في تفسير الفخر: «إِنَّمَا هُمْ أَزْوَاجُ خَالَاتِ أَبْنَائِهِمْ».

(٨) في «ب» والرازي: «أمر الخال».

(٩) وانظر هذا كله في التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٢٦/٢٥.

(١٠) ذكره الخازن في لباب التأويل والبغوي في معالم التنزيل ٢٧٤/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٦/٤١٨.

(١١) قاله السمين في الدر ٤٠٦/٤. (١٢) قاله البغوي في معالم التنزيل ٢٧٤/٥.

الموضع لأن ما سبق إشارة إلى جواز الخلوة بهم والتكشف لهم فقال إن الله شاهد عند اختلاء بعضهم ببعض فخلوتكم مثل ملتكم بشهادة الله تعالى فاتقوا^(١) الله فإنه شهيد على أعمال العباد.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» العامة على نصب «الملائكة» نَسَقاً على اسم «إِن» و «يُصَلُّونَ» هل هو خبر عن «اللَّهُ وملائكته» أو عن «الملائكة» فقط، وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلاتين خلاف^(٢). وقرأ ابن عباس وَرَوَيْتَ^(٣) عن أبي عمرو: وَمَلَائِكَتُهُ رَفْعاً^(٤) فيحتمل أن يكون عطفاً على محل اسم «إِن» عند بعضهم^(٥)، وأن يكون مبتدأ والخبر محذوف وهو مذهب البصريين^(٦)، وقد تقدم فيه بحث نحو: زَيْدٌ ضَارِبٌ وَعَمْرُو أَي ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ.

فصل

لما أمر^(٧) بالاستئذان وعدم النظر إلى نسائه احتراماً له كمل بيان حرمة وذلك أن حالاته منحصرة في حالتين حالة خلوة فذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة بقوله: «لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ» وحالة بكونه في ملا والملا إما الملا الأعلى وإما الملا الأدنى أما احترامه في الملا الأعلى فإن الله وملائكته يصلون عليه، وأما احترامه في الملا الأدنى فقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

فصل

قال ابن عباس: أراد أن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له، وعن ابن عباس

(١) قاله الفخر الرازي ٢٥/٢٢٧.

(٢) تقدم عند قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» من الآية ٤٣ من نفس السورة.

(٣) هو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي رُوِيَ المَقْرِيُّ، قرأ على يعقوب الحَضْرَمِي تصدر للإقراء قرأ عليه محمد بن هارون التمار وأبو عبد الله الزبيري مات بالبصرة سنة ٢٣٨ هـ، انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي ١/٢١٦ وغاية النهاية ٢/٢٣٤ و ٢٣٥.

(٤) لم ترد هذه القراءة مروية عن أبي عمرو في السبع أو العشر المتواترة كما لم ترد عن طريق الأربع الشواذ فوق العشرة وعلى ذلك فهي غير متواترة انظر: مختصر ابن خالويه ١٢٠ والكشاف ٣/٢٧٢.

(٥) وهو ما يسمى بالعطف على المحل وهو القسم الثاني من أقسام العطف وقوله «عند بعضهم» أي بعض البصريين لأن للعطف على المحل شروطاً ثلاثة معروفة من بينها وجوب المُخْرَز - أي الطالب لذلك المحل والطالب لرفع لفظ الجلالة - وهو الله - هو الابتداء والابتداء هو التجرد والتجرد قد زال بدخول «إِن» ولكن الكوفيين أجازوا تلك المسألة وشبهتها لأنهم لم يشترطوا المُخْرَز، ولأن «أَن» لم تعمل عندهم في الخبر شيئاً بل هو مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخولها.

(٦) لأنهم يشترطون في العطف على المحل وجود المحرز كما قلت.

(٧) تفسير الرازي ٢٥/٢٢٧.

أيضاً: يصلون يزكون، وقيل: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار^(١). وقال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء^(٢)، روى عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لَقِيتُ كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةَ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقُلْتُ بَلَى فَأَهْدُهَا إِلَيَّ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نَسْلُمُ فَكَيْفَ نَصْلِي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٣) وروى أبو حَمِيد السَّاعِدِيُّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ نَصْلِي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(٤). وروى ابن مسعود قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»^(٥). وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٦)، وروى عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن رسول الله - ﷺ - أنه جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقال: «إِنِّي جَاءَنِي جَبْرِيلُ فَقَالَ: أَمَّا يُرْضِيكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٧) وروى عامر بن ربيعة^(٨) أنه سمع النبي - ﷺ - يقول «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ فَلْيَقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيَكْثِرْ»^(٩) وروى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَاجِدِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونَ عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»^(١٠).

فصل

دلت الآية على وجوب^(١١) الصلاة على النبي - ﷺ - لأن الأمر للوجوب ولا تجب

(١) معالم التنزيل للبغوي ٢٧٤/٥ (٢) زاد المسير ٣٩٨/٦

(٣) السابق.

(٤) رواه البخاري ١٧٨/٣ والإمام مالك في الموطأ باب السفر برقم ٦٦ ومسنود الإمام أحمد ٦٣/١ و ٣/٤٧ و ١١٨/٤ و ٢٤١ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٧٤/٥ و ٢٧٤ و ٤٢٤.

(٥) الحديث في الترمذي ٣٢/١ أوتر «باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي».

(٦) نقله البغوي في معالم التنزيل ٢٧٥/٥ والجامع في أحكام القرآن للقرطبي ٢٣٥/١٤.

(٧) المرجعان السابقان القرطبي ٢٣٧/١٤ والبغوي ٢٧٥/٥ وانظر الخازن ٢٧٥/٥ وفي القرطبي «والبشرى في وجهه» بدل «البشر».

(٨) ابن كعب بن مالك العنزي أنبلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة، وإلى المدينة وشهد بدرًا والمشاهد له اثنتان وعشرون حديثاً مات سنة ٣٣ هـ - انظر: خلاصة الكمال ٨٤.

(٩) البغوي ٢٧٥/٥ (١٠) القرطبي ٢٢٧/١٤.

(١١) وهو قول محمد بن المواز، وابن العربي والدارقطني فيما ذكر القرطبي، والذي عليه الجم الغفير والجمهور الكثير أن ذلك من سنن الصلاة ومستحباتها كالإمام مالك وسفيان الثوري وأهل المدينة وأهل الكوفة.

في غير التشهد فتجب في التشهد وكذلك قوله: «وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» أمر فيجب السلام ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا في التشهد: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وذكر في السلام المصدر للتأكيد، ولم يؤكد الصلاة لأنها كانت مؤكدة بقوله: «إن الله وملائكته يصلون على النبي».

فإن قيل: إذا صلى الله وملائكته عليه فأى حاجة به إلى صلاتنا؟

فالجواب: أن الصلاة عليه ليس لحاجة^(١) إليها وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه، وإنما هو لإظهاره وتعظيمه (كما أن الله تعالى)^(٢) وجب علينا ذكر نفسه ولا حاجة له إليه وإنما هو لإظهاره وتعظيمه منا شفقة علينا ليثبنا عليه ولهذا قال عليه (الصلاة)^(٣) (و) السلام: «ومن صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً».

قوله (تعالى)^(٤): ﴿إِنَّ^(٥) الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ فيه أوجه أي يقولون فيه ما صورته أذى وإن كان تعالى لا يلحقه ضرر ذلك حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الأنداد ونسبة الولد والزوجة^(٦) إليه، قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون^(٧)، قال عليه (الصلاة)^(٨) (و) السلام يقول الله تعالى: «سَتَمَنِّي عَبْدِي يَقُولُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَخَذُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»^(٩)، وقال عليه (الصلاة)^(١٠) (و) السلام قال الله تعالى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ^(١١)، وقيل: يؤذون الله: يلحدون في أسمائه وصفاته^(١٢)، وقال عكرمة: هم أصحاب التصاوير^(١٣)، روى أبو هريرة قال: سمعت النبي - ﷺ - يقول: «قال الله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فليخلقوا ذرةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»^(١٤)

(١) في تفسير الفخر الرازي «لحاجته إليها». (٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) سقط من «ب». (٤) سقط من «ب».

(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢٢٨. (٦) في «ب» والزوجية بياء النسبة.

(٧) ذكر هذا المعنى البغوي والخازن عنه بدون سند انظر تفسيريهما ٥/٢٧٥ وزاد المسير لابن الجوزي ٦/٤٤٣٠، ومعنى أذى الله: وصفه بما هو منزّه عنه وعصيانه ولعنهم بالدنيا: بالقتل والجلاء وفي الآخرة بالنار.

(٨) زيادة من «ب».

(٩) أورده البغوي والخازن في تفسيريهما مروياً عن أبي هريرة رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - ورواه البخاري بصيغة كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك.

(١٠) زيادة من «ب».

(١١) الحديث أورده البخاري مروياً عن أبي هريرة ٣/١٨٧ وكذلك أورده مسلم في صحيحه باب الألفاظ وفي مسند الإمام أحمد ٣/٢٣٨ و ٣٧٢.

(١٢) نقله البغوي في تفسيره ٥/٢٧٦. (١٣) المرجع السابق وانظر: القرطبي ١٤/٢٣٨.

(١٤) في صحيح البخاري ٤/٤٤ باب اللباس وانظر: مسند الإمام أحمد ٢/٢٣٢ و ٢٥٩ و ٣٩١ و ٤٥١ و ٥٢٧.

ويحتمل أن يكون على حذف مضاف أي أولياء الله كقوله: ﴿وَسَلَّى الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية^(١) قال عليه (الصلاة^(٢)) (و) السلام: قال الله تعالى: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ». وقال: «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ»^(٣). ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله وارتكاب معاصيه وذكره على ما يتعارفه الناس بينهم والله عز وجل منزّه عن أن يلحقه أذى من أحد، وقال بعضهم أتى بالجلالة تعظيماً، والمراد يؤذون رسولني كقوله: ﴿إِنَّمَا يَبَايَهُوكَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ١٠] وأما إيذاء الرسول فقال ابن عباس: هو أنه شجّ في وجهه وكسرت رُبَاعِيَّتُهُ، وقيل: ساحر شاعر معلم مجنون^(٤)، ثم قال: «لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» واللعن الطرد، وهذا إشارة إلى بعد لا رجاء للقرب معه، لأن البعيد في الدنيا يرجو القرب في الآخرة فإذا خاب في الآخرة فقد خاب وخسر. ثم إنه تعالى لم يحصر جزاءه في الإبعاد بل أوعده بالعذاب المهين فقال: «وَأَعَدَّ لَهُمْ» وهذا يفيد التأكيد؛ لأن السيد إذا عذب عبده حالة الغضب من غير إعداد يكون دون ما أعد له قيداً وغلاً^(٥).

قوله: «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا» أي من غير ما عملوا ما أوجب أذاهم، وقال مجاهد: يقعون فيهم ويرمونهم بغير كلام^(٦)، وقيل: إن من جلد مائة على شرب الخمر أو خدّ أربعين على لعب التردّ فقد أؤذي بغير ما اكتسب^(٧).

قوله: «فَقَدْ اخْتَمَلُوا» خبر «والذين» ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط^(٨).

وقوله: «بُيْهَاتَانَا وَإِنَّمَا صُبِّتَا» قال مقاتل^(٩): نزلت في علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كانوا يؤذونه ويسمعونه^(١٠) وقيل: نزلت في شأن عائشة، وقال الضحاك والكلبي: نزلت في الزّناة (الذين)^(١١) كانوا يتمشون في طريق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فإن سكنت اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا

(١) هذا هو الوجه الثاني في معنى قوله: «إِنَّ اللَّهَ» فقوله: «ويحتمل أن يكون على حذف مضاف» معطوف على قوله «أَي يَقُولُونَ فِيهِ مَا صَوَّرْتَهُ أَذَى وَإِنْ كَانَ تَعَالَى لَا يَلْحَقُهُ ضَرَرُ ذَلِكَ» وانظر: البحر المحيط لأبي حيان ٢٤٩/٧، والدر المصون ٤٠٢/٤ والكشاف ٢٧٣/٣ و ٢٧٤.

(٢) سقط من «أ».

(٣) ذكر الأول البخاري في صحيحه باب الرقاق وانظر الاثنين في الخازن والبغوي بدون سند ٢٧٦/٥.

(٤) زاد المسير ٤٢٠/٦ والبغوي والخازن ٢٧٦/٥.

(٥) قاله الفخر الرازي في تفسيره ٢٢٨/٢٥.

(٦) أو جرم قاله الخازن والبغوي في المرجعين السابقين.

(٧) هذا هو رأي الفخر ٢٢٨/٢٥ و ٢٢٩.

(٨) في أن الشرط مجيء جوابه بالفاء وإنما لا تأتي إلا إذا كان الجواب جملة اسمية أو جملة فعلية فعلها طلبية أو جملة فعلية مصدرية بالسين وسوف أو بقدر كما هنا، وانظر: الدر المصون للمسمين الحلبي ٤٠٢/٤.

(٩) تفسير الخازن والبغوي ٢٧٦/٥. (١٠) في تفسير البغوي: «ويشتمونه».

(١١) سقطت من «ب».

يطلبون إلا الإماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة؛ لأن زي الكل كان واحداً يخرجون في دِرْع وخمار الحرة والأمة فشكوا ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله - ﷺ - فنزلت^(١) هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية، ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء فقال - عز وجل - : ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾.

فإن قيل: البهتان^(٢) هو الزور، وهو لا يكون إلا في القول، والإيذاء قد يكون بغير القول، فمن أدى مؤمناً بالضرب أو أخذ ماله لا يكون قد احتمل^(٣) بهتاناً؟.

فالجواب: أن المراد: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بالقول لأن الله تعالى أراد إظهار شرف المؤمنين لأنه لما ذكر أن من أدى الله ورسوله لعن، وإيذاء الله أن ينكر وجوده أو يشرك به من لا يبصر لا يسمع وذلك قول فذكر إيذاء المؤمنين بالقول وعلى هذا خص إيذاء القول بالذكر لأنه أعم؛ لأنه الإنسان لا يقدر أن يؤذي الله بما يؤلمه من ضرب أو أخذ مال ويؤذيه بالقول وكذا الغائب لا يمكن إيذاؤه بالفعل ويمكن إيذاؤه بالقول بأن يقول فيه ما يصل إليه فيتأذى، ووجه آخر في الجواب بأن يقال: قوله بعد ذلك: وإئماً مبيناً، كأنه استدرك فكان قوله احتمل بهتاناً إن كان بالقول، وإئماً مبيناً ما كان الإيذاء^(٤).

قوله: «يُدْنِينَ» كقوله «قُلْ لِعِبَادِي يَقِيمُوا^(٥)» و «مِنْ» للتبعية، و «الْجَلَابِيبُ» جمع «الجلِيب» وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، قال ابن عباس (أبو)^(٦) عبيدة من نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر^(٧). وقوله: «ذَلِكَ أَذْنَى» أي إدناء الجلابيب أقرب إلى عرفانهن^(٨) أي أدنى أن يعرفن أنهن حرائر^(٩) «فَلَا يُؤْذِينَ» لا يتعرض لهن، ويمكن أن يقال: المراد يعرفن أنهن لا يزني لأن من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة لا يطمع فيها أنها تكشف عورتها فيعرفن أنهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن^(١٠). «وَكَانَ اللَّهُ

(١) المرجعان السابقان.

(٢) انظر: تفسير الإمام فخر الدين الرازي ٢٥/٢٢٩.

(٣) في «ب» فقد بزيادة الفاء.

(٤) انظر: تفسير الرازي ٢٥/٢٣٠.

(٥) في أنه خبر يراد به الأمر والآية ٣١. وقد خرج الأمر مخرج الخبر إيماء إلى جمل الأمر.

(٦) زيادة يقتضيها العرف فقد سقطت من كلتا النسختين.

(٧) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٥/٢٧٦ و ٢٧٧.

(٨) قاله السمين في الدر ٤/٤٠٢.

(٩) فلا يتبعن وانظر: البغوي ٥/٢٧٧ والرازي ٢٥/٢٣٠.

(١٠) هذا رأي الإمام الفخر الرازي انظره فيما سبق.

عَفُوراً رَّحِيماً» قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية مَقْتَعَةً فعلاها بالدرّة، وقال: يا لكاع أنتشبهين بالحرائر ألقى القناع^(١).

قوله: «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» لما ذكر حال المشركين الذين يؤذون الله ورسوله والمجاهر الذي يؤذي المؤمنين ذكر حال المُسِير الذي لا يظهر الحق ويظهر الباطل وهو المنافق ولما كان المذكور من قبل أقواماً ثلاثة نظر إلى أمور ثلاثة وهم المؤذون لله والمؤذون للرسول، والمؤذون للمؤمنين ذكر للمسرين ثلاثة نظراً إلى اعتبار أمور ثلاثة:

أحدها: المنافق الذي يؤذي الله سرّاً.

والثاني: الذي في قلبه مرض وهو الذي يؤذي المؤمن باتِّباع نِسَائِهِ.

والثالث: المرجف الذي يؤذي النبي عليه (الصلاة^(٢)) والسلام بالإرجاف بقوله:

غُلِبَ محمد، وسيخرج من المدينة وسيؤخذ، وهؤلاء وإن كانوا قوماً واحداً إلا أن لهم ثلاث اعتبارات وهذا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ حيث ذكر أصنافاً عشرة وكلهم يوجد في واحد بالشخص لكنه كثير الاعتبار^(٣) فقال: «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ» أي عن نفاقهم «وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» يعني الزناة، «وَالمرجفون بالمدينة» بالكذب وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله - ﷺ - يوقعون في الناس أنهم قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحوه، وقال الكلبي: كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشوا الأخبار^(٤).

قوله: «لَتُغْرِبَنَّكُ بِهِمْ» أي لَتُحَرِّسَنَّكُ^(٥) وَلتُسَلِّطَنَّكُ عليهم لَتُخْرِجَهُمْ من المدينة «ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا» لا يسكنونك فيها أي في المدينة «إِلَّا قَلِيلاً» حتى يخرجوا منها، وقيل: لنسلطنهم^(٦) عليهم بقتلهم ونخرجهم من المدينة.

قوله: «إِلَّا قَلِيلاً» أي إِلَّا زَمَاناً قَلِيلاً، أو إِلَّا جَوَاراً قَلِيلاً، وقيل: «قَلِيلاً» نصب على الحال من فاعل «يجاورونك» أي إِلَّا أَقَلَاءً أَذْلَاءً بمعنى قَلِيلِينَ، وقيل: قَلِيلاً منصوب على الاستثناء أي لا يجاورك إِلَّا القليل منهم على أذل حال وأقله^(٧).

قوله: «مَلْعُونِينَ» حال من فاعل «يَجَاوِرُونَكَ» قاله ابن عطية^(٨)، والزمخشري^(٩)

(١) تفسير الخازن والبيهقي ٢٧٧/٥ وفي تفسير الخازن: «متقبة» والبيهقي فيه: «مقتنعة».

(٢) زيادة من «ب» على «أ».

(٣) تفسير الرازي ٢٥/٢٣١.

(٤) قاله البيهقي في معالم التنزيل ٢٧٧/٥.

(٥) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٥٢ وقد قال: «أَنِّي لَتُسَلِّطَنَّكُ عليهم ونولعنك بهم» وانظر: البيهقي ٥/٢٧٧.

(٦) في البيهقي لنسلطنك وهو الظاهر.

(٧) الدر المصون ٤/٤٠٣ والبحر المحيط ٧/٢٥١.

(٨) الكشف ٣/٢٧٤ و ٢٧٥.

(٩) المرجع الأخير السابق.

وأبو البقاء^(١)، قال ابن عطية لأنه بمعنى مُتَقَوِّنَ منها مَلْعُونِينَ^(٢)، وقال الزمخشري: دخل حرف الاستثناء على الحال والظرف معاً كما مر في قوله: «إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ»^(٣)، وتقدم بحث أبي حيان معه، وهو عائد هنا^(٤)، وجوز الزمخشري أن ينتصب على الشَّئْمِ^(٥)؛ وجوز ابن عطية أن يكون بدلاً من^(٦) «قليلًا» على أنه حال كما تقدم تقريره^(٧)، ويجوز أن يكون «ملعونين» نعتاً، لـ «قليلًا» على أنه منصوب على الاستثناء من واو «يجاورونك» كما تقدم تقريره، أي لا يُجَاوِرُكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ قَلِيلًا ملعوناً، ويجوز أن يكون منصوباً «بأخذوا» الذي هو جواب الشرط، وهذا عند الكسائي والفراء فإنهما يجيزان تقدم معمول الجواب على أداة الشرط نحو: خَيْرًا إِنْ تَأْتِيَنِي تُصِبْ، وقد منع الزمخشري من ذلك فقال: ولا يصح أن يَنْتَصِبَ «بأخذ» لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها^(٨)، وهذا منه مشي على الجارّة، وقوله ما بعد كلمة الشرط يشمل فعل الشرط والجواب، فأما الجواب فتقدم حكمه وأما الشرط فأجاز الكسائي أيضاً تقديم معموله على الأداة، نحو: «زَيْدًا إِنْ تَضَرَّبَ أَهْنُكَ»^(٩) فتلخص في المسألة ثلاثة مذاهب المنع مطلقاً، الجواز مطلقاً، التفصيل يجوز تقديم معمولي الجواب، ولا يجوز تقديم معمولي الشرط وهو رأي الفراء.

قوله: «وَقُتِّلُوا» العامة على التشديد، وقرئ بالتخفيف^(١٠). وهذه يردها مجيء المصدر على التفعيل إلا أن يقال: جاء على غير مصدره^(١١)، وقوله: «سُنَّةَ اللَّهِ» تقدم نظيرها.

(١) التبيان ١٠٦٠.

(٢) في البحر ٢٥١/٧ قال: - أي ابن عطية - «كأنه قال: ينتفون من المدينة ملعونين».

(٣) الكشف ٢٧٥/٣.

(٤) فقد قال أبو حيان بأنه لا يقع بعد «إلا» في الاستثناء إلا المستثنى والمستثنى منه أو صفته ولا يجوز في ما عدا هذا عند الجمهور، وقد أجاز ذلك الكسائي والأخفش وأجازوا: ما قام القوم إلا يوم الجمعة ضاحكين وقد تعرضت لتلك القضية بالتفصيل عند الآية «٥٣» من تلك السورة.

(٥) الكشف ٢٧٤/٣.

(٦) نقله عنه أبو حيان في بحره ٢٥١/٧.

(٧) ومن قال بحالته أيضاً مكي في مشكل إعراب القرآن وقد أجاز النصب على الدم والشم أيضاً كالزمخشري، انظر: المشكل ٢٠٢/٢ وقال بهذين القولين أيضاً ابن الأنباري في بيانه ٢٧٢/٢ و ٢٧٣.

(٨) انظر: الكشف ٢٧٥/٣.

(٩) هذا انطباع من المؤلف يشبه انطباع أبي حيان والسمين في كل من البحر والدر وانظر: البحر ٢٥١/٧ والدر ٤٠٣/٤.

(١٠) نقل هذه القراءة أبو حيان في البحر ٢٥١/٧ وقد جعلها صاحب شواذ القرآن عربية ولم يشتمها قراءة انظر: الشواذ ١٩٥.

(١١) البحر المحيط ٢٥١/٧ والدر المصون ٤٠٤/٤.

قوله (١): «مَلْعُونِينَ» مطرودين من باب الله وبابك، وإذا خرجوا لا يَنْفَكُونَ عن الذلة ولا يجدون ملجأ بل أينما يكونون يؤخذون ويقتلون، وهذا ليس بدعاً بل هو سنة جارية وعادة مستمرة تفعل بالمكذبين «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» أي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ فإن النسخ يكون في الأقوال أما الأفعال إذا وقعت والأخبار لا تنسخ.

قوله: «يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ» لما بين حالهم في الدنيا أنهم يُلْعَنُونَ وَيُهَانُونَ وَيُقْتَلُونَ أراد أن يبين حالهم في الآخرة، فذكرهم بالقيامة وما يكون لهم فيها فقال: «يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ» أي إن وقت القيامة علمه عند الله لا يبين لهم فإن الله أخفاها لحكمة وهي امتناع المكلف عن الاجترار وخوفهم منها في كل وقت.

قوله: «وَمَا يُذِيرُكَ لَعَلَّ السَّاعَةِ» الظاهر أن «لعل» تعلق كما تعلق التمني و «قريباً» خبر كان على حذف موصوف أي شيئاً قريباً، وقيل: التقدير: قيام الساعة فروعيت «الساعة» في تأنيث «يكون» وروعي المضاف المحذوف في تذكير «قريباً» وقيل: «قريباً» أكثر استعماله استعمال الظروف فهو هنا ظرف في موضع الخبر (٢). وقال ابن الخطيب: فَعِيلٌ يستوي فيه المذكر والمؤنث قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] أي لعل الساعة تكون قريبة.

فصل

المعنى أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعرفه لعل الساعة تكون قريباً. وهذا إشارة إلى التخويف، ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» أي كما أنهم ملعونون في الدنيا عندكم فكذلك هم يلعنون عند الله وأعد لهم سعيراً كما قال: «لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» مطيلين المكث فيها مستمرين، وقوله «فيها» أي في السعير لأنها مؤنثة، أو لأنه في معنى «جهنم» (٣) «وَلَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» حال ثانية (٤)، أو من «خَالِدِينَ» لا يجدون ولياً ولا نصيراً أي لا صديق يشفع لهم، ولا ناصر يدفع عنهم.

قوله: «يَوْمَ» معمول «لخَالِدِينَ» (٥) أو لمحذوف، أو «لنصير» أو «لأذكر»، أو «يقولون» بعده (٦)، وقرأ العامة ثَقَلَبُ - مَبْنِيًّا للمفعول (و) وَجُوهُهُمْ رفع على ما لم

(١) في «ب» فصل بدل «قوله».

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) الدر المصون ٤/٤٠٤.

(٤) وكانت الأولى هي قوله: «خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا»، وانظر المرجع السابق.

(٥) وهو قوله: «خَالِدِينَ فِيهَا» الآية ٦٥ من السورة الحالية.

(٦) المرجع السابق وقد اقتصر أبو البقاء في التبيان على ثلاثة أوجه فقال في ١٠٦١ يجوز أن يكون ظرفاً لـ «لا يجدون» أو «نصيراً» أو «يقولون».

يسم فاعله، وقرأ الحسن وعيسى والرؤاسي^(١) - بفتح التاء - أي تَنَقَّلَب (و) وَجُوهَهُمْ فاعل به^(٢)، وأبو حيوة نُقِّلَب بالنون أي نحن (و) وَجُوهَهُمْ بالنصب^(٣). وعيسى^(٤) تَنَقَّلَب - بضم التاء وكسر اللام - أي تقلب السعير أو الملائكة وَجُوهَهُمْ بالنصب على المفعول به «يَقُولُونَ» حال^(٥) و «يَا لَيْتَنَا» مَحْكِي. قوله^(٦): «تقلب وجوههم في النار» ظهراً لبطن كانوا يسحبون عليها يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول في الدنيا.

قوله: «سَادَتْنَا» قرأ ابنُ عامر في آخرينَ بالجمع بالالف والتاء، قال البغوي على جَمْعِ الْجَمْعِ^(٨)، والباقون «سَادَتْنَا» على أنه جمع تكسير غير مجموع بألف وتاء^(٩)، ثم «سادة» يجوز أن يكون جمعاً لسيد ولكن لا ينقاس لأن «فِعْلَةً»^(١٠) لا يجمع على «فَعْلَةٍ» وسادة فعلة، إذ الأصل سَوْدَةٌ، ويجوز أن يكون جمعاً لسائد نحو: فَاجِرٌ وَفَجْرَةٌ وَكَافِرٌ وَكَفْرَةٌ، وهو أقرب إلى القياس مما قبله، وابن عامر جمع هذا ثانياً بالالف والتاء وهو غير مقيس أيضاً نحو: بَيُّوتَاتٍ، وَجَمَالَاتٍ^(١١).

فصل

لما بين أنه لا شفيح لهم يدفع عنهم العذاب بين أن بعض أعضائه أيضاً لا يدفع العذاب عن البعض بخلاف عذاب الدنيا فإن الإنسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاءً بيده فإن من يقصد رأسه ووجهه يجعل يده جُتَّةً لوجهه ووقاية له يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول في الدنيا فيندمون حيث لا تنفعهم الندامة ثم يقولون «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا» أي

(١) هو محمد بن الحسن الرؤاسي أبو جعفر كان من أكابر المدرسة الكوفية وله اختيار في القراءة ينسب إليه، توفي سنة ١٨٧ هـ انظر: غاية النهاية ١١٦/٢.

(٢) أورد هذه القراءة الفراء في معانيه ٣٥٠/٢ فقد قال: «ولو قرئت: «نُقِّلَبَ وَنُقِّلَبَ» كانا وجهين» وانظر: مختصر ابن خالويه ١٢٠ والبحر المحيط ٢٥٢/٧ والكشاف ٢٧٥/٣ بدون نسبة فيه.

(٣) أوردها ابن خالويه في المختصر ١٢٠.

(٤) هو عيسى بن عمر الكوفي.

(٥) المحتسب ١٨٤/٢ والبيان ١٠٦١.

(٦) من «الوجه» ويضعف أن يكون حالاً من الضمير المجزور لأنه مضاف إليه انظر: التبيان ١٠٦١ والدر المصون ٤٠٤/٤.

(٧) في «ب» فصل بدل قوله.

(٨) انظر: معالم التنزيل له ٢٧٧/٥.

(٩) قراءة ابن عامر غير قراءة سبعة متواترة وانظر: الإتحاف ٣٥٦ والسبعة ٥٢٣ ومعاني القرآن للفراء ٢/٥٠ والقرطبي ٢٤٩/١٤.

(١٠) في «ب» (فعل) وهو خطأ فالمقصود «فعل» لأن سيد على وزن فيعل فالأصل سيود.

(١١) قاله شهاب الدين السمين في الدر ٤٠٥/٤.

أطعنا السادة بدل طاعة الله وطاعة الرسول «فَأَصْلَحُوا السَّبِيلَ». «رَبَّنَا آتِنَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا»^(١) قرأ عاصم «كبيراً» - بالباء الموحدة - والباقون بالمثلثة وتقدم معناهما في البقرة^(٢)، والمراد بضعفين من العذاب أي ضِعْفَيْنِ عَذَابٍ غَيْرِهِم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيبًا ۖ﴾ (٦٩) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ﴾ (٧٠) ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۖ﴾ (٧١) ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۖ﴾ (٧٢) ﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ﴾ (٧٣)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هَادُوا مُوسَى﴾ الآية لما بين أن من يؤدي الله ورسوله يلعن ويعذب، وكان ذلك إشارة إلى أن الإيذاء كفر أرشد المؤمنين إلى الامتناع من الإيذاء الذي هو دونه وهو لا يورث كفراً وهو من لم يرض بقسمة النبي عليه (الصلاة و) السلام وبحكمه (بالقِيءِ لِبَعْضٍ) فقال: لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال بعضهم: إيذاؤهم لموسى بنسبة عيب في بَدَنِهِ، وقيل: إن قارون قال لامرأة: قولي إن موسى قد وقع في فاحشة والإيذاء المذكور في القرآن كاف وهو قولهم: «أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا» وقولهم: «لَنْ نَضِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ» إلى غير ذلك فقال للمؤمنين: لا تكونوا أمثالهم إذا طلبكم الرسول للقتال لا تقولوا اذهب أنت وربك فقاتلا وإذا أمركم الرسول بشيء فاتوا منه ما استطعتم، وقوله: «فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا» على الأول ظاهر لأنه أبرز جسمه لقومه فرأوه وعلموا فساد اعتقادهم ونطقت المرأة بالحق وأمر ملائكته حتى عبروا بهارون عليهم فرأوه غير مجروح فعلموا براءة موسى - عليه الصلاة والسلام - عن رموه به وعلى الثاني فبرأه الله مما قالوا أي أخرجه عن عهده ما طلبوا بإعطائه البعض إياهم وإظهاره عدم جواز البعض وقطع حُجَجِهِمْ ثم ضرب عليهم الدُّلَّةَ والمسكنة وغضب عليهم^(٣).

قوله: «عِنْدَ اللَّهِ» العامة على «عند» الظرفية المجازية، وابن مسعود والأعمش وأبو حنيفة «عبدًا» من^(٤) العبودية «لله» جار ومجرور وهي حسنة قال ابن خالويه

(١) انظر: تفسير الإمام الفخر الرازي ٢٣٢ و ٢٣٣.

(٢) عند الآية: «قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا» وهي الآية ٢١٩.

(٣) الإمام الفخر الرازي ٢٥/٢٣٣.

(٤) المختصر لابن خالويه ١٢٠ والمحتسب ١٨٥/٢ والقرطبي ٢٥٠/١٤ والبحر ٧/٢٥٣.

صَلَّيْتُ^(١) خلف ابن شُبَيْوْذ^(٢) في رمضان فسمعتَه يقرأ بقراءة ابن مسعود^(٣) هذه قال شهاب الدين: وكان مولعاً بِتَقْلِ الشَّاذَةِ^(٤)، وَمَا فِي «مِمَّا قَالُوا» إمَّا مصدرية، وإما بمعنى الذي^(٥)، و «وَجِيهًا» كريماً ذَا جَاهٍ، يقال وَجْهَ الرَّجُلِ يُوْجِهْ وَجَاهَهُ فَهُوَ وَجِيهٌ إِذَا كَانَ ذَا جَاهٍ وَقَدَّرَ^(٦). قال ابن عباس: كَانَ حَظِيًّا عِنْدَ اللَّهِ لَا يَسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَقِيلَ: كَانَ مُحِبًّا مَقْبُولًا^(٧)، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا أُودِيَ بِهِ مُوسَى فَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سَتْرًا لَا يَرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاهُ مِنْهُ فَأَذَاهُ مَنْ أَذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ: مَا يَسْتُرُ هَذَا التَّسْتُرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أَدْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَخَلَعَ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى حَجَرٍ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنْ الْحَجَرُ غَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرٌ، ثَوْبِي حَجَرٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ وَاسْتَرَّ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ يَضْرِبُهُ بِعَصَاهُ فَوَاللَّهِ إِنْ بِالْحَجَرِ لَتَذْبَأُ مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا»^(٨). وَقِيلَ: لَمَّا^(٩) مَاتَ هَارُونَ فِي التَّيِّهِ ادَّعَوْا عَلَى مُوسَى أَنَّهُ قَتَلَهُ فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ حَتَّى مَرَوْا بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَعَرَفُوا أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ وَلَمْ يَرَوْا بِيَدِهِ جَرْحًا، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: إِنْ قَارُونَ اسْتَأْجَرَ امْرَأَةً لَتَقْذِفَ مُوسَى بِنَفْسِهَا عَلَى رَأْسِ الْمَلَأِ فَعَصَمَهُ اللَّهُ وَبَرَأَ مُوسَى وَأَهْلَكَ قَارُونَ^(١٠)، وَرَوَى أَبُو وَائِلٍ^(١١) قَالَ: سَمِعْتُ

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شُبَيْوْذ أبو الحسن البغدادي شيخ الإقراء بالعراق أخذ عن كثيرين منهم أحمد بن نصر بن وأخذ عنه كثير منهم الحسن بن سَعِيد المَطْرُوعِي. مات سنة ٣٢٨ هـ انظر: غايَةُ النِّهَايَةِ ٥٢/٢: ٥٦.

(٣) اضطرب في نقل هذه القراءة عنه رحمه الله، ففي المحتسب: «وَكَانَ عَبْدًا لِلَّهِ وَجِيهًا» وفي المختصر لابن خالويه «وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ وَجِيهًا» ونسبت للأعمش وأبي حيو. قال ابن خالويه وقيل: لابن مسعود وما في البحر والقرطبي والكشاف يوافق ما في المختصر انظر: البحر ٣٥٣/٧ والجامع ٢٥٢/١٤ والكشاف ٢٧٦/٣ وانظر شواذ القرآن ١٩٦ «وَكَانَ عَبْدًا لِلَّهِ» موافقة لابن جني في المحتسب وقد ذكر الإنحاف تلك القراءة رغم أنها شاذة فقال: وعن المطوعي «وَكَانَ عَبْدًا لِلَّهِ» بفتح العين فباء موحدة مع تنوين الدال منصوبة من العبودية لله بالجر ووجيهاً صفة «عبدًا» الإنحاف ٣٥٦.

(٤) الدر المنصون ٤٠٦/٤. (٥) السابق.

(٦) قال ابن منظور في اللسان «و ج هـ»: «وَرَجُلٌ وَجِيهٌ ذُو وَجَاهَةٍ، وَقَدْ وَجَّهَ الرَّجُلُ - بِالضَّم - صَارَ وَجِيهًا أَيْ ذَا جَاهٍ وَقَدَّرَ وَانْظُرْ أَيْضًا الْقُرْطُبِي ٢٥٢/١٤.

(٧) انظر هذه الأقوال في زاد المسير لابن الجوزي ٤٢٦/١٦ ومعالم التنزيل ٢٧٨/٥.

(٨) الحديث أورده البخاري في صحيحه تفسير سورة ٣٣ و ١١١. انظره في البخاري ١٧٨/٣ وانظر: مسند الإمام أحمد ٥١٥/٢ وتفسير البغوي ٢٧٨/٥.

(٩) المرجع الأخير السابق. (١٠) وانظر أيضاً الخازن ٢٧٨/٥.

(١١) هو شقيق بن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي أحد سادة التابعين مُحَضَّرَمٌ عن أبي بكره وعمر، وعثمان =

عبد الله قال: قسم النبي - ﷺ - قَسَمًا فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَأَخْبَرْتُهُ فغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ «يَزْحَمُ اللَّهُ مُوسَى أَوْذِي بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ».

قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا». قال ابن عباس: صواباً، وقال قتادة عدلاً، وقال الحسن: صدقاً، وقيل: مستقيماً، وقال عكرمة: هو قول لا إله إلا الله^(١) «يُضْلَخُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ»، قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم، وقال مقاتل: يزكي أعمالكم^(٢) «وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»؛ لأن النجاة من العذاب تعظيم بعظم العذاب فإن من أراد أن يضرب عبده سوطاً ثم نجا منه لا يقال: فاز فوزاً عظيماً، ويحتمل أنه أراد بالفوز العظيم الثواب الكبير الدائم الأبدي^(٣).

قوله: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ» وهذا إما حقيقة وإما تمثيل وتخيل. وأراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيغوها عذبهم، قاله ابن عباس^(٤). وقال ابن مسعود: الأمانة أداء الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في الحكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع^(٥). وقال مجاهد: الأمانة^(٦) الفرائض وحدود الدين. وقال أبو العالية: ما أمروا به ونهوا عنه^(٧)، وقال زيد بن أسلم: هي الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع^(٨). وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال: هذه أمانة استودعتكها فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له، وقيل: هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً ولا معاهداً في شيء قليل ولا كثير. وهذه رواية الضحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين^(٩)، وأكثر السلف أن الله عرض هذه الأمانة على السموات والأرض

= وعنه الشعبي وعمرو بن مرة وغيرهما مات في خلافة عمر بن العزيز وانظر الخلاصة ١٦٧ وانظر تفسير الخازن والبغوي ٢٧٨/٥.

(١) أورد هذه الأقوال المرجعان السابقان والقرطبي ٢٥٣/١٤ وزاد المسير ٤٢٧/٦ وغريب القرآن لابن قتيبة فسره بالقصد تفسيره ٣٥٢.

(٢) قاله ابن الجوزي في الزاد ٤٢٧/٦ والبغوي في معالم التنزيل ٢٧٩/٥.

(٣) هذا قول الفخر الرازي في تفسيره ٢٣٤/٢٥.

(٤) وهي رواية ابن أبي طلحة عنه المرجعان السابقان.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٤/١٤.

(٦) البغوي ٢٧٩/٥.

(٧) السابق والخازن ٢٧٩/٥ وهذا رأي أبي الدرداء السابقان والقرطبي ٢٥٤/١٤.

(٨) المراجع السابقة. (٩) البغوي والخازن ٢٧٩/٥.

والجبال فقال لهن: أَتَحْمِلْنَ هذه الأمانة بما فيها؟ قُلْنَ: وما فيها؟ قال: إن أَحْسَنْتُنَّ جُوزِيْتُنَّ وَإِنْ عَصَيْتُنَّ عُوْقِبْتُنَّ فَقُلْنَ: لا يا رب نحن مسخرات لأمرِكَ لا نريد ثواباً ولا عقاباً^(١) وَقُلْنَ ذَلِكَ خَوْفاً وخشية وتعظيماً لله خوفاً أن لا يقوموا بها لا معصية ومخالفة وكان العرض عليهن تخبيراً لا إلزاماً ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها، والعجادات فيها خاشعة لله - عز وجل - ساجدة له كما قال تعالى للسموات والأرض: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وقال في الحجارة: ﴿وَلَنْ مِّنْهَا لَمَّا يَحِيطُ مِن خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ وَالْحُجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْكَوَابُ...﴾ [الحج: ١٨] الآية. وقال بعضهم: رُكِبَ الله (عز وجل)^(٢) فيهن العقل والفهم حين عرض الأمانة عليهن حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن. وقيل: المراد من العرض على السموات والأرض هو العرض على أهل السموات عرضها على من فيها من الملائكة وقيل: المراد المقابلة أي قابلنا الأمانة مع السموات فرجحت الأمانة وهي الدين والأول أصح^(٣)، وهو قول أكثر العلماء.

قوله: «فأبين» أتى بضمير هذه كضمير الإناث لأن جمع التكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وإن كان مذكراً وإنما ذكرنا ذلك لثلاث يتوهم أنه قد غلب المؤنث - وهو السموات - على المذكر وهو الجبال^(٤). واعلم أنه لم يكن إياؤهن كإباء إبليس في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣١]؛ لأن السجود هناك كان فرضاً وههنا الأمانة كانت عرضاً والإباء هناك كان استكباراً وههنا استصغاراً لقوله تعالى: «وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا»^(٥) أي خفن من الأمانة أن لا يؤديها فيلحقهن العقاب «وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ» يعني آدم عليه السلام فقال يا آدم: إني عرضت الأمانة على أهل السموات والأرض والجبال فلم تُطَفِّها فهل أنت آخذها بما فيها؟ فقال يا رب: وما فيها؟ قال: إن أَحْسَنْتُ جُوزِيْت وَإِنْ أَسَأْتُ عُوْقِبْتَ فتحملها آدم عليه السلام. فقال الله تعالى أما إذ تحمّلتها فسأعينك أجعل لبصرك حجاباً فإذا خشيت فاغلق وأجعل لفرجك ستراً فإذا خشيت فلا تكشفه على ما حرمت^(٦) عليك قال مجاهد^(٧): فما كان بين أن تحملها وبين أن أخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر إلى العصر «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» قال ابن عباس: ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر الله وما احتمل من الأمانة^(٨) وقال مقاتل: ظلوماً لنفسه جهولاً بعاقبة ما تحمل^(٩). وذكر الزجاج^(١٠) وغيره من أهل المعاني في قوله: «وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ» قولاً، فقالوا: إن الله

(١) وهي رواية مَعْمَرُ عن الحسن البصري رحمه الله، انظر القرطبي ٢٥٤/١٤.

(٢) سقط من «ب».

(٣) قاله الخازن والبغوي ٢٧٩/٥ و ٢٨٠.

(٤) قاله الرازي ٢٣٥/٢٥.

(٥) قاله السمين في الدر ٤٠٦/٤.

(٦) السابقان.

(٧) معالم التنزيل والخازن ٢٨٠/٥.

(٨) البغوي ٢٨٠/٥.

(٩) زاد المسير ٤٢٩/٦.

(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٨/٤.

اَثْمَنَ آدم وأولاده على شيء، واثمن أهل السماوات والأرض والجبال على شيء فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا من الطاعة والقيام بالفرائض والأمانة في حق السموات والأرض هي الخضوع والطاعة لما خلقهم له، «فَأَبَيْنُ أَنْ يَحْمِلْنَهَا» أي أدين الأمانة يقال فلان لم يتحمل الأمانة أي يخون فيها «وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ» أي خان فيها، ويقال: فلان حمل الأمانة أي أثم فيها بالخيانة قال تعالى: «وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ»، «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» حكى عن الحسن على هذا التأويل أنه قال: «وحملها الإنسان» يعني الكافر والمنافق حمل الأمانة أي خان، والأول قول السلف^(١).

قوله: «لِيُعَذِّبَ» متعلق بقوله: «وَحَمَلَهَا» فقيل: هي لام الصيرورة لأنه لم يحملها لذلك^(٢)، وقيل: لام العلة على المجاز لما كانت نتيجة حمله ذلك جعلت كالعلة^(٣) الباعثة.

فصل

قال مقاتل: لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ بما خانوا الأمانة ونقضوا الميثاق^(٤). ثم قال: «وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ»، قرأ الأعمش برفع «ويتوب»^(٥) على الاستئناف أي يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة، وقال ابن قتيبة^(٦) عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير^(٧) في الطاعات. وعطف المشرك على المنافق ولم يُعَذِّبْ اسمه تعالى فلم يقل: «وَيُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ» وعند التوبة أعاد اسمه وقال: «ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات» ولو قال: يتوب على المؤمنين والمؤمنات كان المعنى حاصلًا ولكنه أراد تفضيل المؤمن على

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٢٨٠/٥ و ٢٨١.

(٢) هذا يشبه قول أبي حيان في البحر المحيط ٢٥٤/٧: «لأنه لم يحملها لأن يعذب لكنه حملها فآل الأمر إلى أن يعذب من نفاق وأشرك ويتوب على من آمن». وانظر تفسير السمين ٤٠٦/٤. وهذه اللام هي التي نسبها لام العاقبة كقوله تعالى: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا».

(٣) وهو قول الزمخشري في الكشاف ٢٧٧/٣ قال: واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في «ضربته للتأديب» نتيجة الضرب واللام متعلقة بـ «حَمَلَ» أو بـ «عَرَضْنَا».

(٤) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٢٨١/٥.

(٥) هذه قراءة من الأربع فوق العشرة المتواترة انظر: الإتحاف ٣٥٦ والقرطبي ٢٥٨/١٤ وقد نسبها للحسن. والكشاف ٢٧٧/٣ والبحر ٢٥٤/٧ ومختصر ابن خالويه ١١١.

(٦) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري اللغوي الكاتب كان رأساً في العربية واللغة والأخبار ثقة ديناً فاضلاً أخذ عن أبي إسحاق بن راهويه وأبي حاتم وعنه ابنه القاضي أحمد وابن درستويه من مصنفاته: إعراب القرآن، معاني القرآن، غريب القرآن مات سنة ٣٦٧ انظر: بغية الوعاة ٦٣/٢.

(٧) انظر: غريب القرآن له ٣٥٢ وتأويل مشكل القرآن أيضاً له ٢٣٨.

المنافق فجعله كالكلام المستأنف ويجب هناك ذكر الفاعل فقال «ويتوب الله»^(١) ثم قال: «وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» لما ذكر في الإنسان وصفين الظلوم والجهول ذكر من أوصافه وصفين فقال «وكان الله غفوراً رحيماً» أي كان غفوراً للظالم رحيماً على الجاهل.

روى الثعلبي عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَحْزَابِ وَعَلَّمَهَا أَهْلَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ أُعْطِيَ الْأَمَانَ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(٢).

تَمَّ الْجُزْءُ الْخَامِسُ عَشَرَ، وَيَلِيهِ الْجُزْءُ السَّادِسُ عَشَرَ

وَأَوَّلُهُ: تَفْسِيرُ سُورَةِ سَبَأٍ

(١) قاله الفخر الرازي في تفسيره ٢٣٧/٢٥.

(٢) الحديث ذكر بدون سند في كل من الكشاف ومجمع البيان الكشاف ٢٧٨/٣ ومجمع البيان للطبرسي ٥٢٤/٨ وضعفه صاحب السراج المنير في تفسيره ٢٧٧/٣.

فهرس محتويات
الجزء الخامس عشر
من
اللباب

فهرس المحتويات

سورة الشعراء

٣		الآيات : ١ - ٤
٦		الآيات : ٥ - ٩
٨		الآيتان : ١٠ ، ١١
١٠		فصل في معنى الآية : « وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين »
١٠		الآيات : ١٢ - ١٧
١٣		الآيات : ١٨ - ٢٢
١٤		فصل في أن فرعون عدّد عليه نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال
١٥		فصل في ورود لفظ « الفرار » على أربعة أوجه
١٧		فصل في اختلافهم في تأويل « أن عبّدت »
١٨		الآيات : ٢٣ - ٣١
١٩		فصل في معنى : « قال فرعون وما ربّ العالمين »
٢٢		الآيات : ٣٢ - ٣٧
٢٣		الآيات : ٣٨ - ٤٢
٢٤		الآيات : ٤٣ - ٤٨
		فصل في أن السحرة لما شاهدوا أمراً خارجاً عن حدّ السحر لم يتمالكوا أن رموا
٢٦		بأنفسهم إلى الأرض ساجدين
٢٦		الآيات : ٤٩ - ٥١
٢٨		الآيات : ٥٢ - ٦٢
٣٥		فصل في معنى قوله : « فلمّا تراءى الجمعان »
٣٥		الآيات : ٦٣ - ٦٨
٣٨		الآيات : ٦٩ - ٧٧

٤٠	فصل في تقرير الحجة التي ذكرها إبراهيم أن من عبد غيره لا بد أن يلتجئ إلى
٤٢	في المسألة ليعرف مراده أو يسمع دعاءه
٤٣	الآيات: ٧٨ - ٨٢
٤٦	فصل في معنى قوله: «والذي هو يطعمني ويسقيني»
٥٠	الآيات: ٨٣ - ٨٩
٥١	فصل في معنى «السليم»
٥١	الآيات: ٩٠ - ١٠٤
٥٢	فصل في معنى قوله: «وهم فيها يختصمون»
٥٣	فصل في معنى قوله: «نسويكم رب العالمين»
٥٤	فصل: قال الجبائي: قولهم: «فكنون من المؤمنين» ليس بخبر عن إيمانهم
٥٤	لكنه خبر عن عزمهم
٥٥	الآيات: ١٠٥ - ١٢٢
٥٧	فصل في المراد بقوله: «وما علمي بما كانوا يعملون»
٥٩	فصل في دلالة الآية على أن الذين نجوا منه كان فيهم كثرة
٥٩	الآيات: ١٢٣ - ١٤٠
٦٢	فصل في معنى: «سواء علينا» أي: مستو عندنا أو عظمت أم لم تكن من الواعظين
٦٣	أظهروا قلة اكترائهم بكلامه
٦٥	الآيات: ١٤١ - ١٥٩
٦٥	فصل في معنى: «فرهين»
٦٦	فصل في جواب صالح لهم: «هذه ناقة لها شرب...»
٦٧	الآيات: ١٦٠ - ١٧٥
٦٩	فصل في تفسير قوله: «وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم»
٧٠	الآيات: ١٧٦ - ١٩١
٧٨	الآيات: ١٩٢ - ١٩٦
٧٩	فصل في المراد بقوله: «ولأنه لتنزّل رب العالمين»
٧٩	فصل في نزول جبريل على الأنبياء
٨١	الآيات: ١٩٧ - ٢٠٤
٨٣	فصل في معنى الآية: «أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل»
٨٥	فصل في معنى قوله: «ولو نزلناه...»

٨٦	فصل في معنى قوله: «فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أي العذاب
٨٧	الآيات: ٢٠٥ - ٢٠٩
٩١	الآيات: ٢١٠ - ٢١٣
٩٢	فصل في الاحتجاج على صدق محمد - عليه السلام - بكون القرآن تنزيل رب العالمين
٩٢	الآيات: ٢١٤ - ٢٢٠
٩٤	فصل: قال الجبائي: هذا يدل على أنه - عليه السلام - كان بريئاً من معاصيهم
٩٥	فصل في معنى الآية: «وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ»
٩٦	الآيات: ٢٢١ - ٢٢٣
٩٧	الآيات: ٢٢٤ - ٢٢٧
٩٨	فصل في وصف شعراء الكفار الذين كانوا يهجون الرسول ﷺ

سورة النمل

١٠٣	الآيات: ١ - ٣
١٠٥	فصل في معنى الآية: «هَدَىٰ وَبَشَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ»
١٠٧	الآيتان: ٤، ٥
١٠٩	الآيات: ٦ - ٩
١١٠	فصل في المراد بهذه الآية: «وَأَنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ وَعَلِيمٍ»
١١٠	فصل في معنى الآية: «إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا...»
١١٣	فصل في المراد بـ «من»
١١٤	فصل في معنى قوله: «بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ»
١١٦	الآيات: ١٠ - ١٤
١٢٢	الآيات: ١٥ - ١٩
	فصل في معنى الآية: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا...»
١٢٣	
١٢٧	فصل في معنى الآية: «وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ...»
	فصل في معنى قوله: «قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»
١٣٢	
	فصل في معنى الآية: «فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ...»
١٣٤	
١٣٥	الآيات: ٢٠ - ٢٥

١٣٦	فصل في معنى الآية: «وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين» ..
١٤١	فصل في طعن الملاحدة في هذه القصة
١٤٢	فصل في قول المعتزلة: قوله: «يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم» يدل على أن فعل العبد من جهته
١٤٩	الآيات: ٢٦ - ٢٩
١٤٩	فصل في دلالة قوله: «يخرج الخبء في السموات والأرض» على كمال العلم
١٥٢	الآيات: ٣٠ - ٣٣
١٥٤	فصل في استنباط أسرار البسملة
١٥٩	فصل في معنى الآية: «ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين»
١٦٠	الآيات: ٣٤ - ٣٧
١٦٠	فصل في معنى الآيات: «واني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون، فلما جاء سليمان...»
١٦٣	فصل في معنى قوله: «يا أيها الملأ أياكم يأتييني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين»
١٦٣	الآيات: ٣٨ - ٤٠
١٦٥	فصل في معنى قوله: «قبل أن تقوم من مقامك»
١٦٦	فصل في اختلافهم في «الكتاب»
١٦٨	فصل في معنى قوله: «أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه»
١٦٨	الآيات: ٤١ - ٤٣
١٦٨	فصل في معنى الآية: «قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون»
١٧١	الآية: ٤٤
١٧١	فصل في معنى الآية: «قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبه لجة...»
١٧٥	الآيات: ٤٥ - ٥٣
١٨٠	فصل في معنى قوله: «تقاسموا بالله لنبيته وأهله...»
١٨٢	فصل في معنى الآية: «فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون»
١٨٢	الآيات: ٥٤ - ٥٨
١٨٤	فصل في معنى الآية: «فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط...»
١٨٤	الآيات: ٥٩، ٦٠
١٨٤	فصل في معنى الآية: «قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى...»

١٨٧	الآيتان: ٦١، ٦٢
١٨٩	الآيات: ٦٣ - ٦٦
١٩١	فصل في نزول الآية: «قل لا يعلم من في السموات والأرض...» في المشركين ...
١٩٤	فصل في قراءات «أذارك»
١٩٥	الآيات: ٦٧ - ٧٥
	فصل في معنى قوله: «إنا لمخرجون، لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل
١٩٦	إن هذا إلا أساطير الأولين»
١٩٨	الآيات: ٧٦ - ٨١
٢٠٠	فصل في معنى قوله: «وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم»
٢٠١	الآيات: ٨٢ - ٨٦
٢٠٢	فصل في معنى قوله: «تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون»
٢٠٥	الآية: ٨٧
٢٠	الآية: ٨٨
٢٠٨	الآيتان: ٨٩، ٩٠
٢٠٨	فصل في شرح أحوال المكلفين بعد قيام القيامة
٢١٠	الآيات: ٩١ - ٩٣
٢١٠	فصل في معنى الآية: «وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه...»

سورة القصص

٢١٣	الآيات: ١ - ٦
٢١٤	فصل في معنى قوله: «يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم»
٢١٦	الآيات: ٧ - ٩
٢١٩	الآيتان: ١٠، ١١
٢٢٢	الآيتان: ١٢، ١٣
	فصل في معنى الآية: «وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على
٢٢٢	أهل بيت يكفلونه...»
٢٢٤	الآيات: ١٤ - ١٧
٢٢٥	فصل في اختلافهم في السبب الذي لأجله دخل موسى المدينة على حين غفلة من أهلها ..
٢٢٦	فصل في معنى قوله: «هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته...» ..
٢٢٧	فصل في احتجاج من طعن في عصمة الأنبياء بهذه الآية

٢٢٩	فصل في قول المعتزلة: الآية تدل على بطلان قول من نسب المعاصي إلى الله
٢٣٠	فصل في معنى قوله: «بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين»
٢٣٠	الآيات: ١٨ - ٢١
٢٣٤	الآيات: ٢٢ - ٢٨
٢٣٥	فصل في اختلافهم في السبب المقتضي لذلك الحبس
٢٣٨	فصل في معنى قوله: «لما أنزلت إليّ من خير فقير»
	فصل في معنى قوله: «فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك
٢٣٩	ليجزيك أجر ما سقيت لنا. . .»
٢٤١	فصل في معنى «الأجرة»
٢٤٣	فصل في معنى الآية: «قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي. . .»
٢٤٣	فصل في معنى قوله: «وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين»
	فصل في معنى الآية: «قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا
٢٤٦	عدوان عليّ. . .»
٢٤٧	الآيات: ٢٩ - ٣٢
٢٥١	فصل في معنى قوله: «واضمم إليك جناحك من الرّهب»
٢٥٣	الآيات: ٣٣ - ٣٧
	فصل في معنى قوله: «ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما
٢٥٧	ومن اتبعكما الغالبون»
٢٦٠	الآيات: ٣٨ - ٤٣
٢٦٣	الآيات: ٤٤ - ٤٧
	فصل في معنى الآية: «ولكنّا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً
٢٦٥	في أهل مدين. . .»
٢٦٧	الآيات: ٤٨ - ٥٥
٢٧١	فصل في معنى قوله: «الذين آتيناهم الكتاب من قبله»
٢٧٣	الآيات: ٥٦ - ٥٩
٢٧٣	فصل في معنى الآية: «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء»
٢٧٣	فصل في احتجاج أهل السنة بهذه الآية في مسألة الهدى والضلال
٢٧٧	الآيات: ٦٠ - ٦٦
٢٧٩	فصل في معنى قوله: «هؤلاء الذين أغويانا أغويناهم كما غويانا»

٢٨١	فصل في دلالة الآية على بطلان قول الجبرية
٢٨١	الآيات: ٦٧ - ٧٠
٢٨٣	فصل في معنى قوله: «وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة...»
٢٨٤	الآيات: ٧١ - ٧٥
٢٨٦	الآيات: ٧٦ - ٧٨
	فصل في معنى الآية: «إنما أوتيته على علمٍ عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك
٢٩٢	من قبله من القرون»
٢٩٤	الآيات: ٧٩ - ٨١
٢٩٥	فصل في معنى الآية: «فخسفنا به وبداره الأرض...»
٢٩٧	الآيتان: ٨٢، ٨٣
٣٠٠	الآيات: ٨٤ - ٨٨
٣٠٣	فصل في استدلال المعتزلة على أن الجنة والنار غير مخلوقتين

سورة العنكبوت

٣٠٥	الآيات: ١ - ٣
٣٠٥	فصل في حكمة افتتاح هذه السورة بحروف التهجي
٣١٠	فصل في معنى الآية: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون»
٣١٢	فصل في معنى قوله: «فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين»
٣١٣	الآيات: ٤ - ٩
٣١٥	فصل في بيان حسن التكليف
٣١٦	فصل في معنى الآية: «من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم»
٣١٩	فصل في معنى الآية: «ووصينا الإنسان بوالديه حسناً...»
٣٢٠	الآيتان: ١٠، ١١
٣٢٢	فصل في معنى الآية: «أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين»
٣٢٣	الآيتان: ١٢، ١٣
	فصل في معنى الآية: «وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل
٣٢٣	خطاياكم...»
٣٢٤	الآيتان: ١٤، ١٥
٣٢٦	الآيات: ١٦ - ١٨
٣٢٧	فصل في معنى قوله: «اعبدوا الله واتقوه»

٣٢٩		الآيتان: ١٩ ، ٢٠
٣٣٠		فصل في معنى قوله: «أو لم يروا كيف يُبدىء الله الخلق . . .»
٣٣٣		الآيتان: ٢١ ، ٢٢
٣٣٥		فصل في معنى قوله: «وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء . . .»
٣٣٦		الآيات: ٢٣ - ٢٥
٣٣٧		فصل في ورود «أو»
٣٤١		الآيتان: ٢٦ ، ٢٧
٣٤٣		الآيات: ٢٨ - ٣٠
٣٤٤		فصل في دلالة الآية على وجوب الحدّ في اللّواطه
٣٤٧		الآيات: ٣١ - ٣٥
٣٥٢		الآيتان: ٣٦ ، ٣٧
٣٥٤		الآيات: ٣٨ - ٤٠
٣٥٦		الآيات: ٤١ - ٤٣
٣٥٨		فصل في معنى الآية: «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون»
٣٥٨		الآيتان: ٤٤ ، ٤٥
٣٦١		الآيات: ٤٦ - ٤٩
٣٦٣		الآيات: ٥٠ - ٥٢
٣٦٤		فصل في معنى الآية: «أو لم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم»
٣٦٦		الآيات: ٥٣ - ٥٥
٣٦٨		الآيات: ٥٦ - ٦٠
٣٦٩		فصل في معنى قوله: «يا عبادي»
٣٧٠		فصل في معنى الآية: «كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون»
٣٧٢		فصل في معنى الآية: «الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون»
٣٧٢		فصل في كلمة «كأين»
٣٧٢		فصل في معنى الآية: «كأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها . . .»
٣٧٣		الآيات: ٦١ - ٦٤
٣٧٤		فصل في معنى الآية: «لئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر . . .»
٣٧٧		الآيات: ٦٥ - ٦٩

سورة الروم

٣٨١	 الآيات : ١ - ٥
٣٨٢	 فصل في حكمة افتتاح هذه السورة بحروف التهجي
٣٨٤	 فصل في معنى قوله : « في أدنى الأرض »
٣٨٤	 فصل في معنى قوله : « في بضع سنين »
٣٨٦	 فصل في قراءات « غُلِبَتْ »
٣٨٦	 فصل في معنى قوله : « يومئذ يفرح المؤمنون »
٣٨٧	 الآيات : ٦ - ١٠
٣٨٩	 فصل في وجه دلالة الخلق بالحق على الوجدانية
٣٩١	 الآيات : ١١ - ١٦
٣٩٢	 فصل في معنى قوله : « ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون »
٣٩٤	 الآيتان : ١٧ ، ١٨
٣٩٥	 الآية : ١٩
٣٩٦	 الآيات : ٢٠ - ٢٤
٣٩٩	 فصل في معنى الآية : « يريكُم البرق خوفاً وطمعاً وينزل عليكم ... »
٣٩٩	 فصل في معنى قوله : « وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها »
٤٠٠	 فصل في معنى قوله : « إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون »
٤٠١	 الآيتان : ٢٥ ، ٢٦
٤٠٢	 فصل في معنى الآية : « ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ... »
٤٠٣	 فصل في معنى قوله : « ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون »
٤٠٣	 فصل في معنى الآية : « وله من في السماوات والأرض كل له قانتون »
٤٠٣	 الآية : ٢٧
٤٠٥	 الآية : ٢٨
٤٠٨	 الآيات : ٢٩ - ٣٢
٤٠٩	 فصل في معنى « فطرة الله »
٤١١	 فصل في معنى الآية : « منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين » ..
٤١٢	 الآيات : ٣٣ - ٣٥
٤١٤	 الآيات : ٣٦ - ٣٨
٤١٦	 الآيتان : ٣٩ ، ٤٠

٤١٧	فصل في معنى الآية: «الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم...»
٤١٩	الآيات: ٤١ - ٤٤
٤٢١	الآيات: ٤٥ - ٤٧
٤٢١	فصل في معنى قوله: «ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله...»
٤٢٢	فصل في معنى قوله: «وليديقمكم من رحمته»
٤٢٣	الآيات: ٤٨ - ٥٠
٤٢٧	الآيات: ٥١ - ٥٤
٤٢٧	فصل في تسمية «الرياح»
٤٢٧	فصل في معنى الآية: «ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلّوا من بعده يكفرون»
٤٣٠	الآيات: ٥٥ - ٥٨
٤٣١	فصل في معنى الآية: «وقال الذين أوتوا العلم والإيمان...»
٤٣٣	الآيات: ٥٩، ٦٠
٤٣٤	فصل في معنى قوله: «ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون»

سورة لقمان

٤٣٥	الآيات: ١ - ٧
٤٣٦	فصل في قوله: «الحكيم»
٤٣٧	فصل: قال في البقرة: «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة» ولم يقل هنا: الذين يؤمنون بالغيب؛ لأن المتقي هو التارك للكفر ويلزم منه أن يكون مؤمناً، والمؤمن هو الآتي بحقيقة الإيمان
٤٣٨	فصل في نزول هذه الآية: «ومن الناس من يشتري لهو الحديث»
٤٤٠	فصل في معنى قوله: «كأن لم يسمعها»
٤٤٠	الآيات: ٨ - ١١
٤٤٢	الآيات: ١٢ - ١٩
٤٤٤	فصل في بيان الله تعالى فساد اعتقاد المشركين في عبادة من لا يخلق شيئاً
٤٤٨	فصل في فائدة ذكر «الصخرة»
٤٥٣	فصل في معنى قوله: «اغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير»
٤٥٣	الآيات: ٢٠ - ٢٦
٤٥٤	فصل في معنى قوله: «وأسبغ عليكم من نعمه ظاهرة وباطنة»
٤٥٧	الآيات: ٢٧ - ٣٢

- ٤٦١ فصل في معنى قوله: «والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر»
 فصل في معنى الآية: «ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
 ٤٦٣ في الليل...»
 ٤٦٦ الآيات: ٣٣، ٣٤

سورة السجدة

- ٤٧٠ الآيات: ١ - ١٢
 فصل في معنى الآية: «بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير
 ٤٧٢ من قبلك...»
 ٤٧٧ فصل في معنى قوله: «ذلك عالم الغيب والشهادة»
 ٤٨٠ فصل في المقصود بقوله: «وقالوا أنذا ضللنا»
 فصل في معنى الآية: «قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّل بكم ثم إلى
 ٤٨١ ربكم ترجعون»
 ٤٨٣ الآيات: ١٣ - ٢٢
 ٤٩٠ الآيات: ٢٣ - ٣٠
 فصل في معنى قوله: «لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون، إن ربك هو يفصل
 ٤٩١ بينهم يوم القيامة...»
 ٤٩٣ فصل في معنى قوله: «قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون» ..

سورة الأحزاب

- ٤٩٥ الآيات: ١ - ٥
 فصل في معنى قوله: «وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم
 ٥٠٠ وما جعل أدعياءكم أبناءكم...»
 ٥٠٣ الآيات: ٦ - ٨
 فصل في معنى قوله: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو
 ٥٠٤ الأرحام بعضهم أولى ببعض...»
 ٥٠٩ فصل في معنى قوله: «أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً»
 ٥٠٩ الآيات: ٩ - ١٧
 فصل في معنى قوله: «إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم...»
 ٥١٢ فصل في معنى قوله: «هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً»
 ٥١٤

٥١٧	فصل في دلالة الآية: «قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت...»
٥١٩	فصل في معنى الآية: «قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل»
٥٢٠	الآيات: ١٨ - ٢٧
	فصل في معنى الآية: «أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور
٥٢٢	أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت...»
٥٢٤	فصل في معنى قوله: «يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً»
٥٢٦	فصل في معنى قوله: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...»
٥٢٨	فصل في معنى قوله: «صديقوا ما عاهدوا الله عليه...»
٥٣٢	فصل في معنى قوله: «وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً»
٥٣٤	الآيات: ٢٨ - ٣٦
	فصل في سبب نزول هذه الآية: «يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن
٥٣٤	الحياة الدنيا...»
	فصل في اختلاف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى
٥٣٦	يقع نفس الاختيار أم لا؟
	فصل: قال ابن الخطيب: وههنا مسائل منها هل كان هذا التخيير واجباً على
٥٣٧	النبي ﷺ أم لا؟
٥٣٩	فصل: قال ابن عباس المراد هنا بالفاحشة النشوز وسوء الخلق
٥٤١	فصل في معنى قوله: «نؤتها أجزها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً»
٥٤٣	فصل في معنى قوله: «لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول...»
٥٤٦	فصل في معنى قوله: «وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى»
٥٥٢	الآيات: ٣٧ - ٤٠
	فصل في نزول هذه الآية: «وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك
٥٥٣	عليك زوجك...»
	فصل في معنى قوله: «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على
٥٥٥	المؤمنين حرج...»
	فصل في معنى قوله: «ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين
٥٥٦	خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً»
	فصل في معنى قوله: «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً
٥٥٧	إلا الله...»

فصل في معنى قوله: «ما كان محمد أباً أحيد من رجالكم ولكن رسول الله	
وخاتم النبيين	٥٥٨
الآيات: ٤١ - ٤٨	٥٥٩
فصل في أن الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار	٥٦١
فصل في معنى قوله: «تحتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً»	٥٦١
الآيات: ٤٩ - ٥٢	٥٦٣
فصل في دلالة الآية: «يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن	
من قبل أن تمسوهن	٥٦٧
فصل في معنى قوله: «يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك . . . وامرأة مؤمنة	
إن وهبت نفسها	٥٧٠
فصل في اختلافهم في التي وهبت نفسها للنبي ﷺ	٥٧١
فصل في معنى قوله: «ترجي من تشاء منهمن وتؤوي إليك من تشاء»	٥٧٢
فصل في قول المفسرين: لا جناح عليك لا إثم عليك أباح له ترك القسم لهن	٥٧٤
فصل في معنى قوله: «لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو	
أعجبك حسنهن	٥٧٥
فصل في معنى قوله: «ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك»	٥٧٦
فصل في معنى قوله: «وكان الله على كل شيء رقيباً»	٥٧٧
الآيات: ٥٣ - ٦٨	٥٧٨
فصل في معنى قوله: «لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام	٥٨١
فصل: لا يشترط في الإذن التصريح به بل إذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول	٥٨٢
فصل في أنه لما أمر بالاستئذان وعدم النظر إلى نسائه احتراماً له كمل بيان حرمة	٥٨٥
فصل: قال ابن عباس: أراد أن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له	٥٨٥
فصل في دلالة الآية على وجوب الصلاة على النبي ﷺ	٥٨٦
فصل في معنى قوله: «يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك	
لعل الساعة تكون قريباً»	٥٩٢
فصل: لما بين أنه لا شفيح لهم يدفع عنهم العذاب بين أن بعض أعضائه أيضاً	
لا يدفع العذاب عن بعض	٥٩٣
الآيات: ٦٩ - ٧٣	٥٩٤
فصل في معنى قوله: «ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات	
ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً»	٥٩٨